المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين

حرف الألف

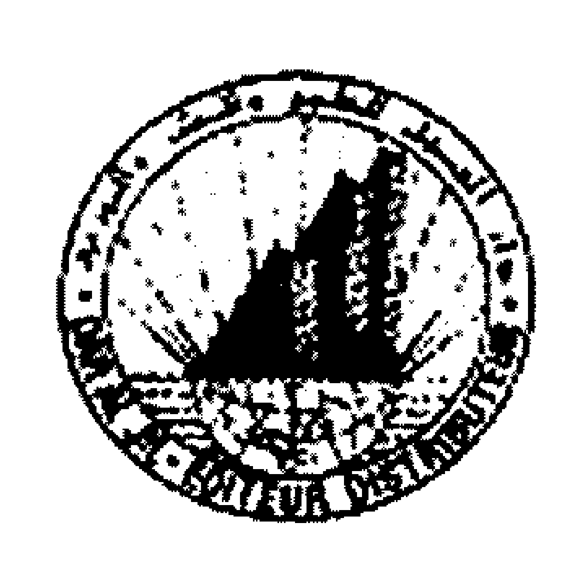
2

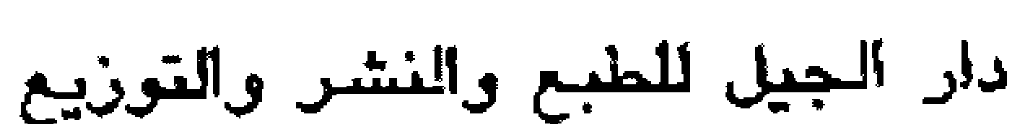
الإشبيلي - أيوب

دار الجيل



المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم




دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع

موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين

حرف الألف / المجلد الثاني

بترخيص من

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

جميع الحقوق محفوظة لـ

دار الجيل

الطبعة الأولى

1425هـ - 2004م



المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

تونس: القباضية الأصلية - ص.ب.: 1120

هاتف: 784466 - 0021671

فاكس: 782091 - 0021671

784965 - 0021671

E.mail: Alesco@Email.ati.tn

Website: www.alesco.net



دار الجيل

بيروت: البوشرية - شارع الفردوس - ص.ب.: 8737 (11) - برقياً دار جيلاب

هاتف: 689950 - 689951 - 689952

فاكس: 689953 (009611)

E.mail: daraljil@inco.com.lb.

Website: www.daraljil.com

القاهرة: هاتف: 5865659

فاكس: 5870852 (00202)

تونس: هاتف: 71922644

فاكس: 71923634 (00216)


أ
المجلد الثاني
الإشبيلي - أيوب

الإشبيلي، أبو عمر أحمد بن محمد بن حجاج

(القرن 5 هـ / 11 م)

أبو عمر أحمد بن محمد بن حجاج الإشبيلي أحد مشاهير علماء الفلاحة بالأندلس ممن كان له شأن في إعادة ربط علوم الفلاحة والنبات والبيطرة في الغرب الإسلامي بالحكمة والفلسفة وعلوم الأوائل، على إثر ما تعرضت له هذه الأصول من اجتثاث في سياق الضربة العامريّة. وعلى غرار غيره من حكماء أهل الفلاحة، تكاد تصمت كتب التراجم والطبقات عن ذكر تفاصيل حياته. والملاحظ أنّ الترجمة الفريدة التي خصها ابن بسام لهذا العلم قد سقطت من متن كتابه الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، وهي الترجمة الأصل التي اقتطف منها ابن سعيد بعض النتف أثبتها في كتابه «المغرب في حلى المغرب».

وينتمي ابن حجاج إلى إحدى أعرق البيوتات الإشبيليّة المتأصلة في عرب لخم من اليمانية الذين استقرّوا منذ وقت مبكر بسند بني حجاج المنسوب إليهم على بعد خمسة عشر ميلا من الحاضرة. كما ينتسبون من جهة الأم إلى سارة القوطية التي ورثت عن أبيها ألمند بن غيطشة آخر ملوك القوط الضياع الواسعة بغرب الأندلس. وقد نال بنو حجاج الرياسة والجاه والثروة بإشبيلية وقرمونة وبمجمل غرب البلاد على مدار تاريخ الأندلس. وتجمع المصادر التي تناولت بالذكر ابن حجاج على وصفه بالوزير الخطيب الأديب، وكذا بالشيخ الفقيه الإمام. وليس أدل على شمول مداركه لعلوم زمانه الفقهية والأدبيّة والحكميّة من إقرار معاصريه من أهل القلم «بكونه بحر علوم، وسابق منثور ومنظوم».

إلاّ أنّ علم الفلاحة كان الغالب على اهتماماته بعدما أصبحت له سوق نافقة بإشبيلية العبادية، خلال القرن الخامس الهجري. ويرجع الفضل في ذلك إلى جملة من الحكماء الذين استجمعوا قواهم على إثر النكسة العامريّة فتجردوا لإقراء الحكمة والفلسفة وعلوم الطبيعة بحاضرة إشبيلية. نخص منهم بالذكر الشيخ الحكيم أبا الحسن شهاب بن محمد المعيطي الذي شكل مع ابن حجاج ومعاصره أبي الخير الإشبيلي، أقطاب علماء الفلاحة والنبات الذين تألقوا بإشبيلية الطائفيّة. وسرعان ما التحق بحاضرة بني عباد كل من محمد بن إبراهيم بن بصال وعلي بن اللونقة لاثنين من طليطلة على إثر سقوطها في يد ألفونسو السادس ملك قشتالة خلال سنة (478هـ / 1085م). كما التحق بإشبيلية محمد بن مالك الطغنري حيث تلقى أصول علم الفلاحة (474هـ / 1081م) مع أقرانه من طلاب الحكمة وعلوم الطبيعة على يد أبي الحسن شهاب بن محمد المعيطي

الإشبيلي. هكذا تألقت شخصية ابن حجاج العلميّة في ظلال هذه المدرسة الفلاحيّة الإشبيليّة الموصولة الروابط بطليطلة الدنونية والممتدّة الجسور نحو غرناطة الزيريّة.

ومن أبرز مصنّفات ابن حجاج كتاب «المقنع في الفلاحة» الذي وضعه بإشبيلية سنة (466هـ / 1073م). ويتضمن هذا الكتاب خلاصة آراء الحكماء القدامى وعصارة تجارب علماء الفلاحة السابقين، فضلا عن إسهامات علماء مشرق دار الإسلام خلال القرون الهجريّة الأولى. وتقدر مجمل المصادر التي اعتمد عليها ابن حجاج في وضع كتابه بثلاثين علما من أشهر حكماء الإغريق وعلماء الهند والروم وغيرهم من المختصين في الفلاحة والنبات وعلوم الطبيعة، على مدار العصور الخالية إلى زمن المؤلف. لم يقتصر دور ابن حجاج على استقصاء المعارف الفلاحيّة الموروثة عن الأمم والحضارات القديمة وجعلها في متناول عامة الفلاحين بالأندلس، بل اندرج على إخضاع خلاصتها لمحك التجربة. وهو ما باشر تدبيره بإقليم الشرف المطل على الحاضرة وبغيره من حقول التجارب الفلاحيّة بالمملكة العبادية. ولا غرو، فقد اشتهر بنو حجاج بكثرة ما توارثوه من مستغلات واكتسبوه من ضياع بمجمل غرب الأندلس.

وبجمعه بين العمل والنظر وربطه الحكمة بالتجريب، اتضحت مكانة ابن حجاج المتميّزة في سياق تاريخ علم الفلاحة والنبات والبيطرة بالأندلس؛ إذ يحتل موقعا وسطا بين «أصحاب التقليد من أهل الفلاحة» الأندلسيين الذين اقتصروا على بعث المعارف القديمة وإثبات آراء الحكماء الأوائل، وبين المتأخرين ممن آثر المنهج التجريبي. ومن المعلوم أنّ الشروع في فصل العلوم التجريبيّة عن أبعادها الفلسفيّة في الحضارة العربيّة الإسلاميّة، ابتداء من منتصف القرن الخامس الهجري، قد أسفر عن الميل جملة نحو إيثار الأعمال التطبيقيّة والجوانب التقنيّة. وهو ما يتضح من قول محمد بن مالك الطغنري بأننا لم نثبت في فلاحتنا إلاّ «بمقدار ما انتهت إليه طاقتنا وبلغ تجريبنا». وبالمثل، لم يتردد ابن العوام عن الإقرار: إنّني «لا أثبت شيئا من رأي إلاّ ما جربته مرارا فصح».

وبصرف النظر عما يتضمنه كتاب «المقنع في الفلاحة» من معلومات بيطريّة، فقد عمد ابن حجاج إلى إفراد كتاب متخصص في هذا الحقل، يجمع أيضا بين الحكمة والتجريب. وهو ما كشف عنه بالقول في سياق تناوله لتربية المواشي: «وقد ذكرت ذلك في كتابي في البيطرة وتقصيته في جميع الحيوان على ما وجدت الفلاسفة متفقين فيه، ولم آل إليه الاجتهاد، ولا معنى لإعادة معنى واحد في كتابين». إلاّ أنّ كتاب ابن حجاج في البيطرة ما زال إلى اليوم في حكم المفقود.

وبقدر ما استفاد ابن حجاج الإشبيلي من آراء علماء الفلاحة السابقين ممن يندرج ضمن أهل النظر، بقدر ما أثر في توجيه اللاحقين من أهل التجربة والتدريب. يتضح ذلك من خلال دأب المتأخرين من أهل الفلاحة الأندلسيين على الأخذ عنه. ويقدم أبو زكريا يحيى بن العوام الإشبيلي أبرز مثال بهذا الخصوص، إذ عمد إلى تضمين مجمل فصول كتاب «المقنع في الفلاحة» في متن كتابه

المصنف في نفس الموضوع بحاضرة إشبيلية قبل سقوطها في يد القشتاليين.

آثاره

1 - المقنع في الفلاحة: حققه صلاح جرار وجاسر أبو صفية وصدر تحت إشراق عبد العزيز الدوري ضمن منشورات مجمع اللغة العربيّة الأردني سنة 1982. وهو الكتاب الذي أعيد ضبط متنه مع ترجمته للغة الإسبانيّة من طرف المستعربة خوليا مرية كاراباصا وطبع على الميكروفيلم ضمن منشورات جامعة غرناطة سنة 1988.

ويوجد النص الأصلي لكتاب المقنع في شكل شذرات متداخلة مع نصوص فلاحيّة مختلفة ضمن جملة من المجاميع المخطوطة، نذكر منها الشذرات التالية: أ - مخطوط المكتبة العامّة بالرباط رقم د 1410، [أوراق 194، 216]؛ ب - مخطوط المكتبة العامة بالرباط رقم ج 617، [صفحات 478، 510]؛ جـ - مخطوط المكتبة الحسنية بالرباط رقم 69 [صفحات 74، 103]؛ د - مخطوط المكتبة الحسنية بالرباط رقم 6342 [صفحات 40، 58]؛ هـ مخطوط المكتبة العامة بتطوان رقم 889/ 13 [صفحات 78، 81]؛ و - مخطوط المكتبة الوطنيّة بباريس رقم 5013 [أوراق 47، 71]. 2 - كتاب في البيطرة: أشار إليه كما تقدم في كتاب المقنع. 3 - القصد والبيان: ذكره ابن العوام، ويشبه اسم هذا الكتاب عنوانا لكتاب لابن وافد [الفلاحة، 1، نقلا عن مقدمة محقق كتاب المقنع].

المصادر والمراجع

● ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح. إحسان عباس، تونس/ ليبيا، 1981، 1 م1، ص 25 ● ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، تح. شوقي ضيف، القاهرة، 1978، ج 1، ص 256 ● ابن العوام، كتاب الفلاحة، خوصي أنطونيو بانكيري، مدريد 1802، ج 1، ص 8 ● أحمد الطاهري، الطب والفلاحة بين الحكمة والتجريب، البيضاء، 1997، ص 83، 103.

● Julia Maria Carabaza, «La Familia de los Banü Hayay (siglos II-VII/VII-XIII)» Estudios Onomastico-Biograficos de as-Andalus. V, Madrid, 1992, pp.39-55.

د. أحمد الطاهري

جامعة الحسن الثاني المحمّدية - المغرب

الإشبيلي، أبو الحسن شريح بن محمد

(451 هـ / 1059 م - 539 هـ / 1144 م)

هو شريح بن محمد بن شريح بن أحمد الرعيني الإشبيلي، أبو الحسن. كذا ساق «الذهبي» نسبه في «تاريخ الإسلام» و«سير النبلاء» وزاد «ابن الجزري» (عبد الله) بعد يوسف حين ترجم لأبيه «محمد» في «غاية النهاية».

ولد بإشبيليّة لخمس بقين من ربيع الأوّل سنة 451 هـ في أسرة علميّة ذات شأن، يتصدّرها والده أبو عبد الله (ت. 476 هـ)، وفيها خاله أحمد بن محمد بن خولان (ت. 433 هـ) المقرئ المحدّث. وظهر فيها أيضًا سبطه حبيب بن محمد بن حبيب، وهو ممّن اشتغل بالعلم والإقراء.

وفي إشبيليّة حاضرة الأندلس وعاصمة دولة ابن عبّاد نشأ شريح وأخذ العلم عن شيوخها وفي مقدّمتهم والده الموصوف بـ«العلامة» وكان فقيهًا مقرئًا محدّثًا نحويًا أديبًا، بل كان رئيس وقته في الإقراء، وإليه كانت الرحلة. وقد أخذ عنه ابنه القراءات والحديث والعربيّة، وحمل عنه علمًا كثيرًا [سير الذهبي، 20/ 242]، وروى عنه مصنّفاته في القراءات وهي «الكافي في القراءات السبع» وهو من مصادر «النشر في القراءات العشر» (1/ 167)، و«التذكير» أو «التذكرة في القراءات السبع» أيضًا، و«اختصار الحجّة» لأبي علي الفارسي، ورواية الإدغام الكبير لأبي عمرو بن العلا، وقراءة يعقوب بن أبي إسحاق الحضرمي، والمكي والمدني من القرآن [فهرست ابن خير، 31-42؛ الصلة، 1/ 553؛ بغية الملتمس، 81؛ سير الذهبي، 18/ 554؛ غاية النهاية، 2 / 153] كما أخذ أبو الحسن عن شيوخ بلده وغيرهم سماعًا وإجازة وفيهم: خاله أحمد السّابق ذكره، وعلي بن محمد الباجي (ت. 462 هـ)، وأبو محمد عبد الله بن خزرج (ت. 478 هـ)، وأبو عبد الله بن منظور، وعنه سمع صحيح البخاري، وأبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن حسين بن شنظير (ت. 402 هـ)، وأبو مروان عبد الملك بن سراج القرطبي الأموي (ت. 489 هـ) إمام اللّغة في الأندلس، وأجاز له مروياته أبو محمد بن حزم (ت. 456 هـ) وهو مستبعد [الصلة، 1/ 234؛ بغية الملتمس، 318؛ سير الذهبي، 20/ 142؛ تاريخ الإسلام، 34/ 500؛ غاية النهاية، 1/ 324؛ بغية الوعاة، 2/ 3].

وبعد أن استكمل شريح تحصيله واستوفى شروط التصدّر تأهّل للقيام بمهام الإقراء والرّواية والتّدريس والخطابة، حتّى صار مقصدًا لطلاّب العلم يرحلون إليه ويروون عنه مسموعاته ويقرؤون عليه مصنّفات أبيه ومصنّفاته، ويتفاخرون بالأخذ عنه [الغنية، 213؛ فهرست ابن خير 38-40]. وقد تولّى قضاء إشبيليّة مدّة لم يقطع خلالها الإقراء والأخذ عنه، ثمّ صرف عنه.

وتقلّد الخطابة في مسجد إشبيليّة نحوًا من خمسين سنة كان خلالها يزاول الإقراء والإسماع إلى أن أقعده الكبر عن ذلك، فلزم داره واستخلف على الصلاة، وظلّ الناس يأخذون عنه حتّى توقّف لعلّة الهرم والاختلاط، بعد أن أدرك التاسعة والثمانين.

وحفظ له المؤرّخون جهوده وبراعته في أداء مهامه العلميّة فنعته «الذهبي» (ت. 748 هـ) بـ«خطيب إشبيليّة ومقرئها ومسندها»، و«شيخ المقرئين والمحدّثين»، و«الإمام الأستاذ» [العبر، 2/ 456؛ سير النبلاء، 20/ 142؛ معرفة القرّاء، 490]؛ وقال عنه معاصره ابن بشكوال (ت. 578هـ) وكان قد أخذ عنه: «كان من جلّة المقرئين معدودًا في الأدباء والمحدّثين، خطيبًا، بليغًا، حافظًا، محسنًا، فاضلاً، واسع الخلق» [الصلة، 1/ 234]؛ وزاد القاضي عياض (ت. 544 هـ) معاصره فسمّاه «شيخ المتصدّرين في زمنه، القائمين بعلوم القرآن والاستقلال بالنّحو والعربيّة، تفاخر النّاس بالأخذ عنه» [الغنية، 213]؛ وفي الحديث وصفت روايته بالشّهرة في الأندلس [تاريخ الذهبي، 34/ 501].

وقد اجتذب صيت شريح وبراعته في الإقراء جموع الدّارسين فرحلوا إليه من الأقطار ليأخذوا عنه الحديث والقراءات، وقرأ عليه عدد كثير منهم: ابن بشكوال، خلف بن عبد الملك (ت. 578 هـ)، وابن خير الإشبيلي، وأبو بكر محمد (ت. 575 هـ)، والقاضي عياض بن موسى السبتي (ت. 544 هـ)، وأبو جعفر أحمد بن الرحمن بن مضاء القرطبي (ت. 592 هـ) وقرأ عليه لنافع وابن كثير، وأبو الحسن نجبة بن يحيى (ت. 591 هـ) وقد قرأ عليه القرآن وروى عنه الحديث، وأبو بكر محمد بن الجدّ (ت. 586 هـ)، ومحمد بن خلف بن صاف (ت. 586 هـ)، وإبراهيم بن محمد بن ملكون النحوي (ت. 581 هـ) وتلا عليه بالسبع عدد كثير منهم سبطه حبيب بن محمد بن حبيب، وأحمد بن محمد بن مقدام الرعيني (ت. 604 هـ)، وعبد الرحمن بن علي الزهري (ت. 613 هـ) الذي حدّث عنه بصحيح البخاري، واليسع بن عيسى بن حزم (ت. 575 هـ) الذي وصف شيخه بأنّه إمام في التّجويد والإتقان، علم من أعلام البيان، وأبو محمد عبد اللّه بن محمد الحجري (ت. 591 هـ)، وأخذ عنه غير هؤلاء عدد كبير القراءات والحديث [م. س.].

وكانت وفاة شريح في الثالث والعشرين من جمادى الأولى سنة تسع وثلاثين وخمس مئة (539) في إشبيليّة، وكانت جنازته مشهودة، وصحفت «تسع» إلى «سبع» في «بغية الملتمس»، و«غاية النهاية».

■ آثاره

انفرد ابن خير الإشبيلي بذكر طائفة من مصنّفات شيخه شريح رواها عنه مع ما روى عنه من مصنّفات أبيه الآنف ذكرها، وهي كما أوردها في «فهرسته»: 1 - الانتصاف من الحافظ أبي عمرو الداني، 40؛ 2 - توجيه حروف قرأ بها يعقوب الحضرمي، لم يقرأ بها أحد سواه من السبعة، 38؛ 3 - حصر جميع الآي المختلف في عدّها بين أهل الأمصار، 39؛ 4 - خطب شريح، سمعها عليه مكتوبة، وسمعه يخطب بها أيضًا: 419؛ 5 - قراءة حمزة بن حبيب الزيات، 38؛

6 – مسألة في الراء المشدّدة، 38؛
7 – نهاية الإتقان في تجويد تلاوة القرآن، 38.

المصادر والمراجع

● السيوطي، بغية الوعاة، تح. أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر (مصوّرة)، بيروت، 1997 م؛ ● ابن عميرة الضبيّ، بغية الملتمس، دار الكاتب العربي، القاهرة، 1967 م؛ ● الذهبي، تاريخ الإسلام، تح. عمر تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت؛ ● م.ن، دول الإسلام، إدارة إحياء التراث الإسلامي، قطر، 1988 م؛ ● م.ن، سير أعلام النبلاء، ط2، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، 1982 م؛ ● م.ن، العبر، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1985 م؛ ● م.ن، معرفة القرّاء الكبار، تح. بشار عواد معروف وآخرين، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، 1984 م؛ ● م.ن، المعين في طبقات المحدثين، تح. همّام عبد الرحيم، دار الفرقان، عمّان، 1984 م؛ ● العماد الأصفهاني، خريدة القصر (قسم المغرب)، ط. المجمع العلمي العربي، دمشق؛ ● ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، دار إحياء التّراث، بيروت (مصوّرة)؛ ● ابن بشكوال، الصلة، الدار المصريّة للتّأليف، القاهرة، د. ت؛ ● الجزري، غاية النهاية، تح. برجشتراسر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1932 م؛ ● الغنية (فهرست شيوخ القاضي عياض)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982؛ ● ابن خير الإشبيلي، فهرست، دار الآفاق الجديدة (مصوّرة)، بيروت، د. ت؛ ● ابن تغري بردي، النّجوم الزّاهرة، دار الكتب المصريّة، القاهرة، 1963 م؛ ● ابن قنفد، وفيّات، تح. عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1980 م؛ ● الزركلي، الأعلام، ط. 14، دار العلم للملايين، بيروت، 1999 م، ص 161–162.

د. صاحب جعفر أبو جناح
جامعة صنعاء – اليمن

الإشبيلي، أبو الخير المعروف بالشجار

(... هـ/ ... م - القرن 6 هـ/ 12م)

ولد أبو الخير الإشبيلي، المعروف بالشجّار، في مدينة إشبيلية وترعرع بها وتتلمذ على مشائخها وتدرّب على أيدي عدد من المشتغلين بعلم الفلاحة. وتذكر المصادر التاريخية أنه عاش في القرن 6 هـ/ 12 م، لكنها لا تقدم عن حياته الشخصية أكثر من هذه المعلومات الضئيلة، فلم تشر حتى إلى اسمه الكامل، ناهيك عن تاريخ ميلاده أو وفاته.

لقد اهتم أبو الخير بالنبات فألف فيه كتابه الشهير «عمدة الطبيب في معرفة النبات»، وصار من أبرز علماء الأندلس في حقل علم الزراعة والنبات. وانصب اهتمام أبي الخير، بوجه خاص، على استخدام النبات في المجال الطبي. ولذا اعتمد معاصروه على أعماله وتجاربه لمواصلة البحث والتأليف في النبات. ذلك كان حال الأطباء وعلماء النبات أبي العلاء بن زهر الإيادي الإشبيلي (525 هـ / 1130 م)، وأبي بكر بن الصائغ التجيبي، الشهير بابن باجة الأندلسي السرقسطي (ت 533 هـ / 1139 م)، وابن العوام الإشبيلي (6 هـ / 12 م). ومن المعلوم أن هذا الأخير قد اعتمد كثيرا على أعمال أبي الخير حيث ذكره أكثر من مائة وتسعين مرة في كتابه حول الفلاحة، وذلك بدءا بالمقدمة التي أشار فيها صاحبها إلى من اعتمد على أعمالهم فذكر من بين هؤلاء العلماء «الشيخ الحكيم أبا الخير الإشبيلي رحمه الله». وتركّز المعلومات التي استقاها ابن العوام من أعمال أبي الخير على وصف أنواع النباتات وأجناسها. وهذا ما يؤكد نسبة كتاب عمدة الطبيب في معرفة النبات إلى أبي الخير الإشبيلي إذ كان هذا الكتاب مجهول المؤلف حتى فترة قريبة.

ويستخلص المؤرخون من وصف ابن العوام لأبي الخير ونعته «بالشيخ الحكيم» أن أبا الخير كان مهتما أيضا بالطب والصيدلة والمؤلفات في الحكمة وغيرها من علوم عصره. ولا بد من الإشارة إلى أن جلّ علماء النبات كانوا يركّزون على المادة النباتية لمعرفة هل بالإمكان استغلالها كمادة استشفائية؟، فضلا عن استخدامها في التغذية ومقتضيات الحياة الأخرى مثل الدباغة ونحوها، وهو ما يتجلى في العديد من الكتب المؤلفة في مجال الفلاحة. ومن ثم اجتهد أبو الخير ليكون كتابه «عمدة الطبيب في معرفة النبات مرجعاً للأطباء في معرفة أنواع النبات» وطرق استعمالها في العلاج.

لقد عرفت الكتابات العربية في مجال الزراعة ازدهارا كبيرا في الأندلس [توفيق فهد، موسوعة تاريخ العلوم، ص1082] التي وصفها ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان قائلا: «لا تقع العين بها إلا على حقول ناضرة، ورياض غنّاء، ومراع واسعة، وأنهار جارية». ولعل ذلك كان أحد الأسباب التي جعلت إشبيلية تنجب العديد من علماء النبات خلال الفترة الممتدة من القرن 5هـ إلى 7هـ، أمثال أحمد بن حجاج الإشبيلي مؤلف كتاب «المقنع في الفلاحة» الذي كتبه سنة 466 هـ / 1273م، وابن العوّام الإشبيلي مؤلف كتاب الفلاحة، وهذا إضافة إلى أبي الخير الإشبيلي . وكانت طليطلة قد سبقت إشبيلية في هذا المجال بظهور علماء بارزين في الزراعة منهم الحاج أبو عبد الله إبراهيم الطليطلي، المعروف بابن بصال - وهو أحد أكبر علماء الفلاحة في القرن 5 هـ - وكذا رفيقه ابن الوافد. وفي هذا السياق يشير المؤرخان خوان فيرني Vernet وخوليو سامسو Samso إلى ظهور مدرسة للعلوم الزراعية رأت النور في طليطلة ثم امتدت إلى إشبيلية فبرزت وجوه علمية لامعة أمثال « ... ابن وافد (999 م / 1074 م) وابن بصال

(وكلاهما من طليطلة)، وأبي خير [M. J. Carabaza pp: 223 - 240]، وابن حجاج (وكلاهما من إشبيلية)، والطغناري (الذي تنقل بعد أن درس في إشبيلية بين عدة مدن في الأندلس وشمال أفريقيا). نضيف إلى هذه اللائحة اسم ابن العوام الذي عاش فيما بعد ... والذي لخص كل مساهمات المدرسة الأندلسية في هذا المجال» [فيرني، خوان وسامسو، موسوعة تاريخ العلوم، ج.1، ص.382-383].

ولعل أهم مؤلفات أبي الخير هو كتاب «عمدة الطبيب في معرفة النبات» الذي ظل مجهول النصّ ومجهول السيرة الذاتية لمؤلفه حتى عام 1990. ففي هذه السنة قام الباحث محمد العربي الخطّابي بتقديم وتحقيق كتاب «عمدة الطبيب في معرفة النبات» موضحاً أن: «الفضل في التنبيه إلى هذا الكتاب يرجع إلى المستشرق ميكيل آسين بلاثيوس Asin palaciaus (1871-1944) الذي اطلع على مخطوط لهذا الكتاب محفوظ في خزانة الأكاديمية الملكية للتاريخ بمدريد، نسخ الجزء الأول منه في مدينة فاس عام 996 م. فتبيّن أنّه يضم أسماء وصفات نباتات وأدوية مدونة باللغة الرومانصية [الرومانصية هي لغة الإسبان القديمة].

فجمع تلك الألفاظ وأعاد كتابتها بالحروف اللاتينية وبين معانيها وجعلها في معجم دعاه «معجم الألفاظ الرومانصية مما سجله نباتي أندلسي مجهول عاش بين القرنين 11 م و12م». وقد نشر هذا المعجم عام 1943 من قبل المجلس الأعلى للأبحاث العلمية في مدريد - وهو يضم 630 مصطلحا تمكن بلاثيوس من إرجاعها إلى أصلها، وعجز عن 88 مصطلحا). وأشاد بلاثيوس في مقدمة هذا المعجم بأهمية الكتاب وبصاحبه فقال عن تصنيفه للنبات إنه «كان سبّاقاً إلى ابتكار نظام للتصنيف هو أقرب من غيره إلى نظام التصنيف الحديث ... لم يسبقه إلى ذلك أحد فيما يعرف».

وأشار الخطابي في مقدمة كتابه - بعد التحريات والمقارنات أن المستشرق بلاثيوس كان قد بيّن أن صاحب كتاب عمدة الطبيب ليس للطبيب والفيلسوف المختار بن الحسن ابن بطلان البغدادي (456 هـ / 1066 م) الذي عاش في مصر والقسطنطينية وصنف أزيد من خمسين مجلداً. وهو خطأ كان قد وقع فيه بعض النسّاخ، منهم ناسخ مخطوطة هذا الكتاب ذاته. كما أثبت بلاثيوس أن المؤلف أندلسي إشبيلي عاش في الأندلس خلال القرن 6هـ. لكنه لم يتمكن من تحديد هذا المؤلف بدقة وكانت تلك التحريات والمقارنات هي التي جعلته يحزم أن صاحب كتاب «عمدة الطبيب في معرفة النبات» هو أبو الخير - وأن هناك نسختين مخطوطتين كتبتا في المغرب لكتاب أبي الخير، وهما خاليتان من مقدمة الكتاب ومن اسم مؤلفه (هناك مخطوطة في خزانة الأكاديمية الملكية للتاريخ في مدريد تحت رقم 243، وتوجد المخطوطة الثانية في الخزانة العامة للكتب والوثائق في الرباط تحت رقم 3505).

وقد ذكر أبو الخير في كتابه أنه تعلم «الصنعة» على يد الشيخ أبي الحسن علي بن عبد الرحمن الساعدي الأنصاري، الشهير بابن اللونقة (ت 498 هـ)، وأنه كان على صلة

وثيقة بالشيخ الفلاّح أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن البصال، وكلاهما عاش بطليطلة في القرن 5 هـ / 11 م.

كما أوضح أبو الخير في كتابه أنه كان يلتقي بابن البصال في «جنّة السلطان» بإشبيلية التي أنشأها الحاكم المعتمد بن عباد (431 هـ / 488 هـ). ولم يكتف أبو الخير بأبحاثه وتجاربه بإشبيلية بل راح يجوب أنحاء الأندلس وجزءا من المغرب الأقصى وبلغ مراكش وأغمات. وربما زار تلك المناطق أكثر من مرة وجمعته لقاءات بعلمائها. والملاحظ أن أبا الخير كان ملما بلغات تلك المنطقة ولهجاتها المختلفة وباللغات السائدة وقتئذ إذ كان يورد أسماء كثيرة للنباتات باللاتينية واليونانية والفارسية والإسبانية والبربرية والنبطية. وهذا إضافة إلى ذكر أسمائها بلهجات محلية منتشرة بوجه خاص في الأندلس والمغرب.

وأهمية كتاب أبي الخير، الذي يقع في جزأين ويضم 1739 مادة نباتية ودوائية مقدمة في لوحات مرتّبة أبجديا، لا تكمن في هذا الجانب فحسب، بل إنها تمتدّ إلى محتواه الموسوعي الجامع في مجال النبات والطب. وقد عكف المؤلف على تجنب الحشو في عمله منشغلا بحسن اختيار الألفاظ والمصطلحات. فهو يقدم تعريفات وافية لكل نبات (الاسم، والصفات، والأجناس، والانتماء الطبيعي في الزمان والمكان) مركزا على الخصائص الطبيعية للنبات واستعمالاته الدوائية. حتى أن بعضهم تساءل عما إذا كان أبو الخير قد مارس الطب وعالج الناس أم أن ما جاء في كتابه بخصوص الأدوية يعبّر عن رأي صاحبه على ضوء تجاربه الشخصية. ويستمد الكتاب أهميته العلمية أيضا من كونه يعدّ مصدراً لما ألّف بعده في الفلاحة والطب، ويتأكد ذلك بوجه خاص من خلال كتاب الفلاحة لابن العوام الإشبيلي، وكتاب حديقة الأزهار في ماهية العشب والعقار [كتاب حديقة الأزهار، تحقيق محمد العربي الخطابي، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1405هـ] للطبيب المغربي أبي محمد الغساني الوزير (1019 هـ / 1610 م).

ويرى المؤرخون أن الكتاب يتميّز عن المؤلفات التي تناولت هذا الموضوع في العالم الإسلامي بدقة وصف أجزاء كل نوع من النباتات مبينا خصائصه الطبيعية والفيزيولوجية ومحددا بيئتها وأماكن وجودها، وهذا فضلا عن تسمياته بلغات مختلفة. ويذكر أن أبا الخير كان يقف بنفسه على المنابت ولا يكتفي بما يسمع أو يقرأ من معلومات، وهذا ما زاد عمله دقة في تحديد اختلاف الأجناس والأنواع ومكّنه من تصحيح ما وقع فيه بعض المؤلفين من أخطاء.

آثاره

1 - كتاب عمدة الطبيب، ورد في مخطوط الرباط بعنوان عمدة الطبيب في معرفة النبات لكل لبيب. وقد سجل الناسخ هذا العنوان في صدر الصفحة الأولى وفي ختام النسخة. وأما في مخطوط مدريد فيرد الكتاب بأسماء متعددة، ففي صدر النسخة نجده عمدة الطبيب في معرفة النبات، وفي خاتمة الجزء الأول عمدة الطبيب في شرح الأعشاب. بينما يرد في خاتمة الجزء الثاني بعنوان عمدة الطبيب في معرفة النبات لكل لبيب. والراجح في نظر

المؤرخين أن اسم الكتاب هو عمدة الطبيب في معرفة النبات. ويعتقد بعضهم أن عبارة «لكل لبيب» أقحمها الناسخون، ربما بحثا عن السجع في صيغة العنوان: 2 كتاب الفلاحة (وهو يحمل نفس تسمية كتاب الفلاحة لابن العوام). توجد ثلاث نسخ من هذا المؤلف الهام في تطوان وتونس وباريس. نشير إلى أن ابن العوام وصف هذا المؤلف بالقول «إنه كتاب مبني على آراء جماعة من الحكماء والفلاحين وعلى تجاربه (أي تجارب أبي الخير)». وقد تم تحقيقه وترجمته حديثا في أسبانيا؛ 3 - كتاب النبات؛ 4 - كتاب الأدوية المفردة. ذلك ما يمكن استنباطه من كلام أبو عبد الله الوطواط عند الحديث عن فستق الأرض في كتابه مباهج الفكر ومناهج العبر حيث يقول «قال أبو الخير في الأدوية المفردة له: ببلاد إفريقيا نبات يسمى فستق الأرض، ينبت بنفسه في الرمل ...». لكن ليس هناك ما يؤكد وجود هذا الكتاب؛ 5 - كتاب غلط الأطباء، يعتقد المؤرخون من خلال قراءة كتاب عمدة الطبيب أن لأبي الخير كتاباً طبيّاً بهذا العنوان، ربما يكون ملخصاً لكتاب عمدة الطبيب. يقول أبو الخير بهذا الشأن في معرض الحديث عن مادة الكنكر: «يقيء بشدة وينفع المفلوجين. وإن أكثر منه قتل. وقد بينته في كتاب غلط الأطباء».

المصادر والمراجع

- أبو الخير الإشبيلي، عمدة الطبيب في معرفة النبات، تح. محمد العربي الخطابي، سلسلة التراث، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط 1990؛
- التكريتي، رعد صالح، المنهج الزراعي العلمي في التراث العربي، دراسة في تاريخ العلوم عند العرب، مركز إحياء التراث العلمي العربي، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بغداد، 1989؛
- الحموي، ياقوت، معجم البلدان، الجزء الثالث، بيروت، 1955؛
- الخطابي، محمد العربي، الأغذية والأدوية عند مؤلفي الغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1990؛
- راشد، رشدي، موسوعة تاريخ العلوم العربية، ج. 1، مركز دراسات الوحدة العربية ومؤسسة عبد الحميد شومان، 1997؛ ● محجوب، سليمى، أبو الخير الإشبيلي وكتابه عمدة الطبيب في معرفة النبات، مجلة التراث العربي، العدد 85، يناير 2002، اتحاد الكتاب العرب، دمشق.
- Carabaza J.M.: Abu L-Jayr. Kitab Al-Filaha (Tratado de agricultura), Introduccion, edición, traduccione Indices, Agencia Espanola de co-operación Internacional, Madrid, 1991;
- Carabaza J.M.: Un agrónomo del siglo XI: Abu-l-Jayr, In Garcia Sanchez, ed. Ciencias de la Naturaleza en al-Andalus: Textos y Estudios, vol I, 1990, pp. 223-240;
- Garcia E: Abu L-Jayr, Kitab al-Filaha (Tratado de agricultura), Al-Qantara, 14, 1, 1993, pp. 231-234.

د. أبو بكر خالد سعد الله

المدرسة العليا للأساتذة - الجزائر

الإشبيلي، أبو إسحاق الغافقي، إبراهيم بن أحمد

(.... هـ / ....م - ت 716 هـ / 1344م)

إبراهيم بن أحمد بن عيسى بن يعقوب الغافقي الإشبيلي ثمّ السبتي، ولد بإشبيلية سنة 641 هـ، ولمّا تغلّب الإفرنجة على إشبيلية وسقطت بأيديهم سنة 646، ارتحل به أبواه إلى سبتة، وبمجرّد ما استقرّت العائلة أُلحق الصبيّ بكتّاب الحيّ حيث حفظ القرآن الكريم بالروايات على يد المؤدّب المقرىء الشيخ أبي بكر بن مَشْلُيُون الذي ذكره ابن حجر العسقلاني في «الدرر الكامنة»، ومحمّد بن الجزري في «غاية النهاية في طبقات القرّاء» باسم «ابن شُلْبُون».

وبالتوازي مع حفظ القرآن والتمرّس في رواياته، أقبل إبراهيم الغافقي على قراءة العربيّة والنحو فأخذ عن اللغوي أبي الحسن ابن أبي الربيع، وقرأ عليه كتاب سيبويه تفهّما وتقدّم في العربية حتّى ساد أهل المغرب. أمّا أخذ الحديث، فقد لزم فيه كلاً من محمّد بن جرير، صاحب أبي جمرة، وأبا عبد الله الأزدي الذي لزمه كامل سنة ستّمائة وستّين 660 هـ وأكثر الرواية عنه [جلال الدين السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ج 1، ص 405]. وجاء في سير أعلام النبلاء للحافظ شمس الدين الذهبي أنّ صاحب الترجمة سمع في الفقه: موطأ الإمام مالك وكتاب الشفاء للقاضي عياض وفي القراءات، كتاب «التيسير في القراءات السبع» للإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان الداني من محمد بن جَوْبَر الراوي بسماعه من أبي حمزة، وقال: «كذا في الأصل، وعنه نقل الصفدي و كذلك في الوافي بالوفيات، وقال: «والصواب جمرة» بالجيم ثم الميم فالراء المهملة بعدها هاء وليس «حمزة» وهو محمد بن أحمد بن عبد الملك، راوي كتاب التيسير»، كما في «غاية النهاية في طبقات القرّاء» لابن الجزري، ج 2، ص 69 وغيره، وقد جاء على الصواب في «الدرر الكامنة» لابن حجر العسقلاني، وكتاب العبر». وقال الذهبي: «حدثني بأخباره أبو القاسم بن عمر الحصري» [شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، رقم الترجمة، 6592].

وجاء في «غاية النهاية في طبقات القرّاء»، ج 1، ص 8 لابن الجزري أنّ الإمام إبراهيم بن أحمد بن عيسى، أبا إسحاق الإشبيلي، المقرىء الفقيه الفرضي الحافظ، قرأ على ابن مشليون كتاب «الكافي في الفرائض» لإسحاق ابن يوسف الفرضي الزرقالي، الصرد، اليمني (ت 500)، وكان قد استغنى به أهل زمانه عن الكتب القديمة في المواريث لما فيه من الوضوح بكثرة ما يعمد إليه صاحبه من ذكر أمثلة متعدّدة لكلّ مسألة يبسطها، كما أنه قرأ كتاب «التيسير في القراءات» لأبي عمرو الداني على أبي الحسن عليّ بن محمد الخضّار -بالمعجمتين، وأبي العباس أحمد بن ثابت المازري [ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القرّاء، ج 1، ص 8].

ويقول حاجّي خليفة في «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون» مج 1، ص 520: التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني، مُختصر مشتمل على مذاهب القراء السبعة بالأمصار وما اشتهر وانتشر من الروايات والطرق عند التالين، وصحّ وثبت لدى الأيمّة المتقدّمين، ذكر فيه صاحبه عن كلّ واحد من القرّاء روايتين، وعليه شروح عديدة.

ولـمّا اشتدّ عود صاحب الترجمة ومسك بناصية العلوم الشرعيّة وقبض بزمام العلوم اللغوية، قسّم وقته بين التدريس والتأليف، وقد صار شيخ سبتة في القراءات تاليًا بالسبع، والفقيه المالكيّ والنحويّ والفرائضيّ والمحدّث، فتربّع بالجامع المركزي بسبتة للتدريس العام ورواية الحديث.

قال عنه ابن قاضي شبهة: «كان من أهل العلم، مالكي المذهب، لغويًا، جمع وألّف وحدّث ببعض مؤلفاته»، وقال فيه تلميذه أبو القاسم الحصري: «كان حسن السمت، بشوش الوجه، كثير التودّد للناس، ووصفه بقدوة الأئمّة وعَلَم الأمّة ومحيي السنة وناصر الشريعة، وقد خلّف مؤلّفات في فنونٍ جمّة». وترجم له الشيخ عفيف الدين اليافعي اليمني المكّي (ت 768 هـ) في كتابه «مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما تيسّر من حوادث الزمان» قائلاً: «...توفّي بسبتة المعمّر المقرىء عالـمها النحوي، ذو العلوم أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن عيسى الغافقي الإشبيلي وله خمس وسبعون سنة، سمع التيسير من أبي جوبر بسماعه من أبي جمرة، وبحث كتاب سيبويه على ابن أبي الربيع وتلا بالسبع، وقد جمع أشتات العلوم وأحاط بالأصول والفروع، وعرف الواضح والغامض، ووعى الغريب والنادر، واستقصى الشاذّ والمَقيس بذكاء وفطنة وثقافة وألمعيّة فأهّله كلّ ذلك للفتيا والتدريس والجمع والتصنيف، فكان فقيها أصوليا، محيطا بعلوم القران، أديبا فاضلاً، وله تصانيف وجلالة وتلاميذ».

حدّث أبو القاسم بن عمران الحصري تلميذ صاحب الترجمة، أنّ شيخه توفّي بسبتة سنة ستّ عشرة وسبعمائة للهجرة، ودفن بها وقد بلغ الخامسة والسبعين، وشيّعه خلقٌ عظيم.

آثاره

لئن تواتر في تقاريظ المترجمين له أنّ تصانيف تعدّدت وشملت مختلف العلوم الشرعيّة واللغويّة، فإنّهم لم يسمّوا منها إلاّ مؤلَّفَيْن، أحدهما في القراءات وقد سمّاه:

1 - في قراءة نافع، مخطوط، وذكره له كلّ من: محمد بن محمد الجزري في «غاية النهاية في طبقات القرّاء»، ج 1، ص 8، وشمس الدين الذهبي في كتاب «العبر في أخبار مَنْ غَبَرَ»، ج 4، ص 45 وغيرهما.

2 - والثاني في النحو باسم: شرح على كتاب الجمل في النحو للشيخ أبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاج (ت 339 هـ)، مخطوط أيضًا، وقد ذكره له كلّ من: حاجّي خليفة في كشف الظنون: ج 1، ص 604، وابن أيْبَك الصفدي في كتابه: الوافي بالوفيات، ج 5، ص 312 وغيرهما.

المصادر والمراجع

• العسقلانيّ، الدرر الكامنة في أعيان

الماثة الثامنة، دار الجيل، بيروت، د.ت؛ ● الذهبي، شمس الدين، سير أعلام النبلاء، تح. عبد الله عبد السلام محمد عمر علوش، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 1417 هـ / 1997 م، رقم الترجمة 6592؛ ● ذيول العبر في أخبار مَنْ غبر للذهبي بتحقيق وضبط محمد السعيد بن بسيوني الزغلول، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، سنة 1405 هـ / 1985 م؛ ● اليمني، اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقضان في معرفة ما تيسّر من حوادث الزمان، ط1، مطبعة دار المعارف النظامية، حيدر آباد الدكن، 1339 هـ؛ ● الصفدي، ابن أيبك، الوافي بالوفيات، باعتناء س. ديدرينغ، دار النشر بفيسبادن، ألمانيا الفيدرالية، 1401 هـ / 1981 م؛ ● كحّالة، معجم المؤلّفين، ج 1، ص7، مكتبة دار المثنّى بمعيّة دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت؛ ● الحنبلي، أبو الفلاح يحيى بن عماد، شذارت الذهب في أخبار مَنْ ذَهب، ج6، ص37، المكتبة التجارية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1351 هـ؛ ● الجزري، محمد، غاية النهاية في طبقات القرّاء، ج 1، ص8، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1405هـ / 1933م.

د. حسن مزيو

جامعة الزيتونة - تونس

ابن أشتة، أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد

(... هـ / ... م - 360 هـ / 971 م)

هو محمد بن عبد الله بن محمد بن أشتة، وكنيته «أبو بكر»، ويلقب بـ«الأصبهاني» لأنّ مولده بأصبهان، كما يلقب بـ«اللّوذري». وكان مولده في مطلع القرن الرّابع على سبيل التّقريب؛ لأنّه لم يدرك أحمد بن حرب المتوفّى سنة 301 هـ / 903م.

وهو من جلّة علماء السّلف، يحظى لديهم بكلّ تقدير، فقد كان صاحب سنّة، ضابطًا مشهورًا، مأمونًا، ثقة، ونال من علماء الجرح والتّعديل المنزلة العالية، والثّناء الموفور. وقد برع ابن أشتة في علم القراءات فقد كان مقرئًا، وأستاذًا كبيرًا في هذا المجال، وإمامًا مشهورًا اقتدى به كثير من التّلاميذ الّذين صاروا أئمّة في القراءات من بعده.

كما برع ابن أشتة في علوم العربيّة فكان عالمًا بالعربيّة، بصيرًا بالمعاني، وكان نحويًا محقّقًا.

أمّا عن شيوخ ابن أشتة فقد تلقّى العلم على يد كثير من أئمّة عصره؛ منهم «أبو بكر بن مجاهد»، و«محمد بن الحسن الكسائي

الأشناني الأصبهاني»، و«محمد بن يعقوب المعدل»، و«أبو بكر محمد بن الحسن النقاشي»، و«أبو بكر الآدمي»، و«عمر بن علان أبو حفص البغدادي»، و«إبراهيم بن جعفر الباطرقاني»، و«محمد بن أحمد بن عبد الوهاب»، و«عبد الله بن باذان بن الوليد»، و«يوسف بن جعفر بن معروف»، و«محمد بن عبد الله بن زيد أبو عبد الرحمن القرشي المقرئ القصير البصري».

كما أخذ العلم عنه عدد كبير من التّلاميذ، الّذين صاروا أعلامًا وأئمّة من بعده، منهم «خلف بن قاسم»، و«خلف بن إبراهيم»، و«عبد الله بن محمد بن أسد الأندلسي»، و«عبد المنعم بن غلبون»، و«محمد بن عبد الله المؤدّب»، الّذي انفرد عن شيخه ابن أشتة في بعض الحروف، و«إبراهيم بن أحمد بن الحسن بن مهران».

وقد كان ابن أشتة مصنّفًا حسن التّصنيف، ترك عددًا من المصنّفات الّتي أثنى عليها العلماء، والّتي أفادوا منها، ولكنّها فقدت من بين ما فقد من كنوز التّراث العربي، وكان ممّا ذكره العلماء من مصنّفات ابن أشتة «كتاب المصاحف».

ويعدّ هذا الكتاب أحد أشهر الكتب الثّلاثة الّتي تناولت اختلاف المصاحف، وجمع القرآن وعلومه، وهي:

أ - كتاب المصاحف لابن أبي داود السجستاني (ت. 316 هـ)، مطبوع.

ب - كتاب المصاحف لابن الأنباري (ت. 328 هـ).

ج - كتاب المصاحف لابن أشتة (ت. 360 هـ).

ولم يبق منها إلاّ كتاب ابن أبي داود، وضاع كتاب ابن الأنباري وكتاب ابن أشتة ولكنّهما واصلا الحياة فيما جاء بعد ذلك من مصنّفات المتأخرين.

فأمّا أبو شامة المقدسي فقد أشار إلى رواية ابن أشتة عن قول سفيان بن عيينة عن اختلاف قراءة المدنيّين والعراقيّين أنّها لا تدخل في السّبعة الأحرف، وعلّق ابن أشتة على ذلك بأنّ اختلاف العراقيّين والمدنيّين راجع إلى حرف واحد من الأحرف السّبعة.

كما ظهرت إشارات عن ابن أشتة في كتاب «النّشر» لابن الجزري تتناول أقوالا لابن أشتة عن قرّاء القرآن مثل «يعقوب الحضرمي»، و«خلف البزار».

وأمّا السيوطي فقد اطّلع على كتاب المصاحف لابن أشتة ونصّ في خطبة الإتقان على أنّه كان من المراجع الّتي اعتمد عليها في تأليف الإتقان، إلى جانب المصاحف لابن أبي داود.

وقد نقل السيوطي من كتاب ابن أشتة عددًا كبيرًا من النّصوص، تعطي فكرة عن المحتوى العلمي لهذا الكتاب، فقد أورد نصوصًا تتعلّق بنزول القرآن منجمًا، وما نزل منه ليلا، وأوّل ما نزل منه، وأوّل ما نزل من بعض سور القرآن، وبيان أنّ قراءة النّاس اليوم هي العرضة الأخيرة الّتي عرضها النبيّ على جبريل في العام الأخير، كما تناول جمع القرآن الكريم، وأوّل من جمعه في مصحف، وهو سالم مولى أبي حذيفة، ثمّ جمع أبي بكر للقرآن، وإسناده مهمّة الجمع لزيد بن ثابت، ومنهجه في الجمع، ونيّة عمر بن الخطّاب

لجمع القرآن قبل أن توافيه منيّته، فقام بالجمع بعده عثمان.

ونصوص عن ترتيب سور المصحف، واختلاف مصاحف الصّحابة في هذا التّرتيب، وإجماع الصّحابة على ترتيب السّور في مصاحف عثمان.

كما أورد السيوطي نصوصًا من ابن أشتة تتّصل بتسمية المصحف أخذا من التّسمية الحبشيّة لأوّل مرّة في عهد أبي بكر.

كما نقل السيوطي نصوصا من ابن أشتة تتعلّق بالرّسم العثماني، ونفى ابن أشتة أن يكون بهذا الرّسم أيّ خطأ، ودافع عن عثمان ومنهج رسمه.

كما تناولت النّصوص عند ابن أشتة كتابة المصحف، وحرص الصّحابة على ذلك مثل إظهار السّين في البسملة، ومدّ الرحمن، وتوصيتهم بذلك.

كما نجد نصوصًا تتّصل بأوّليّة الكتابة، وأنّ آدم أوّل من وضع الكتاب العربي والسّرياني، والكتب كلّها، وأوّل من وضع الكتاب العربي هو إسماعيل، وأوّل كتاب أنزل من السّماء هو أبو جاد، وقد أفاد من هذه النّصوص الّتي تتعلّق بأوّليّة الكتابة ابن فارس في كتابه "الصاحبي"، والسيوطي في "الإتقان"، و"المزهر".

ومن هنا يتبيّن لنا أنّ السيوطي أفاد كثيرًا من كتاب المصاحف لابن أشتة في وضع كتابه «الإتقان» للصّلة الوثيقة بين الكتابين في علوم القرآن، وكان السيوطي ينقل نصّ ابن أشتة موجزًا تارة، ومطوّلا تارة أخرى، وكان اسم ابن أشتة يتردّد في الصّفحة الواحدة في الإتقان عددًا من المرّات قد تصل في بعض الأحيان إلى خمس مرّات.

ولئن مات ابن أشتة وضاعت كتبه، فإنّ ما نقله السيوطي في الإتقان أحيا قدرًا لا بأس به من كتاب المصاحف لابن أشتة، ممّا يجعل من هذا الكتاب مصدرًا مهمّا من مصادر علوم القرآن.

لقد امتدّت حياة ابن أشتة تقريبًا على مدى ستّين عامًا فيما بين مسقط رأسه أصبهان، وبغداد، حيث تلقّى العلم على شيوخه هناك وخاصّة على أبي بكر بن مجاهد، وبين مصر الّتي كانت خاتمة المطاف له حيث توفّي بها ليلة الأربعاء لثلاث بقين من شعبان سنة 360 هـ / 962م.

■ آثاره

1 - المحبر، الّذي أثنى عليه ابن الجزري ووصفه بأنّه كتاب جليل يدلّ على عظم مقداره؛ 2 - المفيد، وهو كتاب في القراءات الشّاذّة؛ 3 - المصاحف، وهو من أجلّ ما كتب عن المصاحف وعلوم القرآن، وهو مفقود أيضًا، ولكنّ آثارًا منه بقيت فيما جاء بعدُ من كتب؛ فقد أفاد منه أبو شامة، والسيوطي الّذي نصّ على أنّه رأى كتاب المصاحف لابن أشتة ونقل منه أشياء في «كتاب الإتقان».

■ المصادر والمراجع

1 - مصادر ترجمته:

● الزركلي خير الدين، الأعلام، ط. 14، دار العلم للملايين، بيروت، 1420هـ / 1999 م، ص 224؛ ● السيوطي، بغية

الوعاة في طبقات اللّغويين والنحاة، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصريّة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، صيدا، بيروت، د. ت؛ ● ابن الجزري، غاية النّهاية في طبقات القرّاء، نشره ج. برجشتراسر، مطبعة السّعادة، 1352 هـ / 1933 م؛ ● حاجي خليفة، كشف الظّنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، 1413 هـ / 1992 م؛ ● إسماعيل باشا البغدادي، هديّة العارفين أسماء المؤلّفين وآثار المصنّفين من كشف الظّنون، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، 1413 هـ / 1992 م؛

2 - كتب تناولت نصوصًا من كتبه:

● السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، الحجازيّة، مصر، 1368هـ / 1948 م؛ ● ابن فارس، الصاحبي، تح. السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى الحلبي، د.ت؛ ● أبو شامة المقدسي، المرشد الوجيز إلى علوم تتعلّق بالكتاب العزيز، تحقيق طيار آلتي قولاج، دار صادر، بيروت، 1395 هـ / 1975م؛ ● السيوطي، المزهر في علوم اللّغة وأنواعها، تح. المولى والبجاوي وأبي الفضل، مطبعة عيسى الحلبي، د. ت؛ ● ابن الجزري، النّشر في القراءات العشر، المطبعة التّجاريّة، د. ت.

م. د. محمود خراج

جامعة الإسكندريّة ـ مصر

الأشتر، صالح بن محمد

(1346 هـ / 1927- 1413 هـ / 1992 م)

صالح بن محمد الأشتر، شاعر وباحث وأستاذ جامعي من سورية. ولد في حلب بحيّ قسطل الحرامي، لأسرة متوسطة الحال، وأنهى دراسته الابتدائية بالمدرسة الرشدية عام 1358 هـ/ 1939م؛ وتابع دراسته المتوسطة بالتجهيز الثانية في حلب بحيّ الفرافرة، والدراسة الثانوية بالتجهيز الأولى في حلب (ثانوية المأمون حاليا). وتخرج فيها عام 1365 هـ/ 1946 م، وتابع دراسته الجامعية الأولى بكلية الاداب - قسم اللّغة العربية - في الجامعة السورية بدمشق (جامعة دمشق حاليًا) وفي المعهد العالي للمعلمين، فنال الإجازة في الآداب بمرتبة الامتياز 1370 هـ/ 1950م وأهلية التعليم الثانوي في العام ذاته، وكان متفوّقًا في مختلف مراحل تعليمه.

عيّن مدرّسا للعربية في ثانويات حلب، غير أنه أوفد في السنة ذاتها لمتابعة دراسته الجامعية العليا إلى فرنسا باعتباره الناجح الأول في قسم اللغة العربية، فنال درجة «دكتور دولة» من جامعة السوربون بباريس 1374 هـ /

1954 م، وعين بعد عودته إلى سورية مفتشًا أول للغة العربية بالمنطقة الشمالية، فأستاذا مساعدا بكلية الشريعة في جامعة دمشق عام 1375 هـ / 1955 م، ودرّس فيها سنتين. ثم انتقل إلى كلية الآداب بجامعة دمشق 1377 هـ/ 1957 م فأمضى فيها خمس سنوات، وأوفد في عام 1383 هـ/ 1963م إلى جامعة الملك سعود حيث درّس فيها خمس سنوات، ثم إلى جامعة محمد الخامس بالمغرب، فدرس في فروعها المختلفة بالرباط وتطوان وفاس حتى عام 1398 هـ/ 1978م حيث استبد به الحنين إلى مسقط رأسه فتخلّى عن عمله، واستقر بحلب متفرغا لشؤون أسرته.

تتلمذ صالح على أبرز أعلام مدرسي الأدب في حلب عبر دراسته الثانوية، ومنهم الأديب خليل هنداوي والشاعر عمر يحيى. وفي جامعة دمشق أسهم في تكوينه الأدبي واللغوي أعلام بارزون منهم الشاعر الناقد شفيق جبري، واللغوي البارز سعيد الأفغاني، والأديب الشاعر أمجد الطرابلسي، والدكتور إبراهيم الكيالي وسواهم. وفي فرنسا كان للمستعرب ريجيس بلاشير أثر في تكوين منهجه في الدراسة والنقد، وقد حظي بتقدير أساتذته لتفوّقه ونشاطه.

شارك في مهرجان الكواكبي بحلب 1379 هـ/ 1959م، ومهرجان الشعر (البحتري) بدمشق 1381 هـ/ 1961م، ومهرجان ابن زيدون بالرباط 1395 هـ/ 1975م.

أمضى أبرز مراحل عمره في المغرب، وبرز على الساحة الأدبية فيها شاعراً وباحثًا ومشاركًا في النشاطات الأدبية والثقافية، وقد أهلته مواهبه لممارسة الأدب إبداعًا وبحثًا وتدريسًا. كتب شقيقه الدكتور عبد الكريم الأشتر في ملف عن حياته: «وأعتقد أن صالحا كان يرضيه أن يكون في نظر نفسه ونظر الناس شاعرًا، وكاتبًا من بعد..»، إلا أن عمله التخصصي صرفه في واقع الحال عن الشعر إلى البحث والدراسة الأدبية، إذ منحهما جلّ اهتمامه فلم تطبع دواوينه، ويبدو أن أول تجربة حبّ له في الجامعة هي التي فجّرت شاعريّته، لكنه كان حريصًا على كتمانها. ولعلّ ذلك كان من دوافع عزوفه عن طبع دواوينه الثلاثة المخطوطة في الغزل، أما شعره في المغرب فيدور حول إعجابه بذلك البلد الشقيق الذي احتضنه، وهو يشيد فيه بالروابط القومية بين أقطار العروبة، ويحنّ إلى مسقط رأسه سورية، ومع أنه التزم الشعر العمودي في كل ما كتب من شعر إلا أنه حرص على التماس التجديد في اختيار مفردات شعره المشحونة بالانفعال، وهو يبرز مشاعره الذاتية بلون من التفرد والطرافة، كما في قوله من مقطوعة بعنوان: «صلاة إلى المغرب»:

أصلّي لوجهك يا مغربي
وأنت العزيزُ وأنت الأبيّ

غسَلت عيوني بسحْر الرؤى
ونوّرتَ دربي في الغيْهب

وأيقظت في شبابًا خبا
وعلّقتَ حلمي بالكوكب

لئن فاض شوقًا بقلبي الهوى
إلى الشام يومًا فلا تعجب

ففي الشام أهلي وأنتَ الهوى
محضْتُك حبّي فلم أكذِب

وتجمع دراساته النقدية بين التحقيق والبحث الأدبي، وقد أعدّ بعضها على صورة أطروحات جامعية لنيل مختلف الدرجات العلمية، وبعضها الآخر خلال تدريسه الجامعي، ونالت دراساته وتحقيقاته اهتمام الباحثين فتناولوها بين ناقد، ومقرّظ، ومنهم مصطفى جواد، ومحمد مندور، وجورج مقدسي من جامعة هارفرد، وريجيس بلاشير. وقد أخذ عليه بعضهم الإسراف في ربط شعر الحداثة العربي بأدب النكبة، والتسليم بأن النكبة كانت العامل الأساسي المؤثر في تطوّر الشعر العربي المعاصر.

■ آثاره

1 - تحقيق أخبار البحتري، لأبي بكر الصولي، طبعه أولا مجمع اللغة العربية بدمشق 1378 هـ/ 1958م ودار الفكر بدمشق 1384 هـ/ 1964 م، ط 2، دار الأوزاعي ببيروت، ط 3، 1398 هـ/ 1978 م؛ 2 - إعتاب الكتّاب، لابن الأبّار طبعه مجمع اللغة العربية بدمشق 1381 هـ/ 1961 م، ودار الأوزاعي ببيروت ط 2، 1408 هـ/ 1987م؛ 3 - الهفوات النادرة، لغرس النعمة الصابىء، طبعه مجمع اللغة العربية بدمشق، ط1، 1387 هـ/ 1967م، ودار الأوزاعي ببيروت 1408 هـ/ 1987م، ط 2؛ 4 - البحتري، شاعر عربي من القرن الهجري الثالث، وهو أطروحته بالفرنسية لنيل الدكتوراه، ومنه اقتبست ترجمة البحتري في الموسوعة الإسلامية كما يزعم المؤلف، (مخ)؛ 5 - أندلسيات شوقي، أثر الأندلس في شاعرية شوقي وفنه، طبع جامعة دمشق 1379 هـ/ 1959م؛ 6 - في شعر النكبة، دراسة تخطيطية لأصداء نكبة فلسطين في الشعر العربي المعاصر، طبع جامعة دمشق 1379 هـ/ 1959 م؛ 7 - أعلام مبرّزون من الشرق والغرب، طبع دار الشرق العربي ببيروت، وقد أسهم بكتابة إحدى عشرة حلقة من هذه السلسلة للناشئة؛ 8 - صور من الذكريات، خواطر وصفية ونقدية، (مخ)؛ 9 - ثلاثة دواوين مخطوطة في الغزل تحتفظ بها أسرته وهي: - صلاة إلى المغرب، نشرت بعض قصائده في الصحف والمجلات، - مَثالث حب: مخ، - أُحِبُّك: مخ.

■ المصادر والمراجع

● الملف الجامعي للراحل، ومنه استقي أبرز ما ورد في الترجمة؛ ● الذكرى المئوية لثانوية المأمون، 1310 هـ/ 1892م - 1413 هـ/ 1992م؛ ● كتاب وثائقي، طبع دار القلم العربي بحلب 1413 هـ/ 1992م.

فالح فلّوح

كاتب من سوريا

الإشتركوني، أبو الطاهر محمد بن يوسف

(حوالي 470 هـ / 1077 م - 538 هـ / 1143 م)

أبو الطاهر محمد بن يوسف بن عبد الله التميمي السرقسطي (توفي بقرطبة في 21 جمادى الأولى 538 هـ / 8 ديسمبر 1143 م) أديب ولغوي أندلسي عاش في أواخر عصر ملوك الطوائف ثم دولة المرابطين إلى قرب نهايتها. وهو يعرف أيضًا بالإشتركوني، نسبة إلى إشتركوي (بالإسبانية Estercuel، وهي بلدة صغيرة اندثرت الآن وكانت من أعمال مدينة تطيلة Tudela التابعة اليوم لمقاطعة نَبَرّه Navarra في أقصى شمال شرقي إسبانيا، إذ كانت أولية أسرته منها. ولم ينص من ترجموا لأبي الطاهر على سنة ميلاده، ولكن المرجح أنه ولد حول سنة 470 هـ / 1077 م وأنه قضى شبابه في مدينة سرقسطة Zaragoza عاصمة ما كان يعرف بالثغر الأعلى، وكانت من أعظم حواضر ملوك الطوائف في ظل بني هود من قبيلة جذام العربية، ومن أكثرها ازدهارا ثقافيا. ويبدو أنه اضطر للهجرة من بلده بعد سقوطه في يد الملك المسيحي ألفونسو الأول المعروف بالمحارب Alfonso I, el Batallador ملك أرغون Aragon سنة 512هـ/ 1118م. فتنقل بين حواضر الأندلس الباقية في أيدي المسلمين. وأقبل على طلب العلم من شيوخ هذه الحواضر، ومن بينهم أبو علي الصدفي الذي لازمه بمرسية Murcia، فسمع منه أهم كتب الحديث وكذلك «المؤتلف والمختلف» للدار قطني ومشتبه النسبة لعبد الغني بن سعيد، ومن كتب التصوف رياضة المتعلمين لأبي نُعيم الإصبهاني وأدب الصحبة للسُّلَمي، وفي بلنسية Valancia أخذ عن ابن السِّيد البطليوسي العالم الموسوعي المعروف، وفي قرطبة Cordoba عن المحدث اللغوي المؤرخ ابن عَتّاب، وفي مالَقَة Malaga عن النحوي ابن الأخضر، وفي إشبيليّة Sevilla عن القاضي أبي بكر بن العربي. وقد استقر في قرطبة حتّى وفاته بعد مرض طاوَلَهُ نحو ثلاث سنوات.

آثاره

كان أكثر اهتمام أبي الطاهر بعلوم اللغة والأدب، فكان شاعرًا محسِّنا، غير أننا لا نعرف أن شعره جُمع في ديوان، وإنما وردت منه نماذج كثيرة في غضون ما كتبه عنه مترجموه وكذلك في ثنايا مقاماته التي حفظت لنا قريبًا من ألف وخمسمائة بيت بين مقطعات وأراجيز. وأما آثاره النثرية فنعرف منها ثلاثة كتب:

1 كتاب جمع فيه شعر أبي بكر محمد بن عمّار وزير ملك إشبيلية المعتمد بن عباد (ت 477 هـ / 1084 م)، ورتب فيه هذا الشعر على حروف المعجم، كما ذكر جملة من سيرة ابن عمار وأخباره. ولم يصل إلينا هذا الكتاب، غير أنّ ابن الأبار القضاعي

أورد منه مقتطفات عديدة في كتابه الحلة السِّيَراء؛ 2 - كتاب المُسَلسَل في غريب لغة العرب، وهو كتاب عارض به كتابين سابقين لاثنين من اللغويين المشارقة، أولهما «المُدَاخل» لمحمد بن عبد الواحد الزاهد البغدادي المعروف بالمُطَرِّز (ت 345 هـ / 955 م)، والثاني «شجر الدُّرّ» لأبي الطيّب اللغوي تلميذ المطرز (ت 351 هـ / 962 م). وقد صرح أبو الطاهر في مقدمة كتابه بأنه اطلع على كتاب «المُداخل» للمطرز، فرأى مادته قليلة لا تفي بالغرض، ولهذا فقد ندب نفسه لاستكماله متّبعًا منهج المطرز نفسه، وهو يعني بالمداخل الألفاظ الغريبة المتداخلة، أي المشتركة اللفظ مع اختلاف المعاني.

وأما عنوان «المسلسل» فهو في سرد مثل هذه الألفاظ، ولكن مع سياقها بحسب تسلسل المعاني، مرتبة على حرف الهجاء من الهمزة إلى الياء، وقد جعله في خمسين بابًا تشتمل على أكثر من تسعمائة مدخل. وطريقته في إيراد الألفاظ هي أنه يبدأ ببيت شعر ترد فيه كلمة غريبة مشتركة اللفظ ولها معنيان مختلفان، فبعد شرحه للمعنى الأول يستشهد على المعنى الآخر ببيت، وترد في شرح هذا البيت كلمة أخرى بمعنيين مختلفين، فيورد شاهدا على المعنى الآخر... هكذا تنتظم المفردات في سلاسل يقود إليها تداعي المعاني.

وتتوالى الشواهد الشعرية في الكتاب حتّى تصل إلى 429 شاهدا. وهو منهج طريف في ترتيب غريب اللغة مما يدخل في باب «المشترك». وقد قام بتحقيق هذا الكتاب الأستاذ محمد عبد الجواد ونشر في القاهرة سنة 1957؛ 3 - والكتاب الثالث هو «المقامات اللزومية» التي تدعى أيضًا «السرقسطية» بنسبة مؤلفها. ومن المعروف أن المقامات فن نثري ينسب ابتكاره لبديع الزمان الهمذاني (ت 398 هـ / 1008 م)، وهي لون من الحكايات يدور حول موضوع واحد هو الكُدْيَة أو الشَّحاذة الأدبية، ولهذه الحكايات راوٍ هو عيسى بن هشام، وأما البطل - أبو الفتح الإسكندري - فهو أديب مُتَخيّل يحول حيله لسلب أموال الناس مستعينًا بدراية لسانه ومقدرته اللغوية وحفظه لغريب اللغة، فالمقامة وإن كانت لا تخلو أحيانا من حبكة قصصيّة - كانت تتخذ من الحوار والوصف وسيلة لحشد عبارات مجموعة مثقلة بألوان البديع، إذ الهدف منها تقديم نص لغوي في المقام الأول. وقد تابع هذا النهج في الكتابة أبو القاسم محمد بن علي الحريري (ت 516 هـ / 1122 م)، إذ ألّف خمسين مقامة تابع في بنيتها بديع الزمان، فقد جعل لها بطلاً أديبًا محتالاً هو أبو زيد السَّروجي. غير أن مقامات الحريري كانت أكثر اهتماما بغريب اللغة وبالمحسِّنات البديعية، ومن هنا كثرت شروحها واهتمام الأدباء شرقا وغربا بمحاكاتها. فقد دخلت مقامات الحريري الأندلس في حياة مؤلفها، وكثر رواتها وشارحوها ومقلدوها. وكان أول من عارضها في الأندلس أبو الطاهر الإشتركوني الذي ألف على منوالها خمسين مقامة هي المعروفة باللزومية، وذلك لأنه التزم فيها بما لا يلزم سواء في نصوصها النثرية أو الشعرية، ففي النثر لم يكتف في سجعه بحرف واحد في الفواصل، بل بالحرفين الأخيرين، وفي الشعر

فعل مثل ذلك في قوافي في الأبيات على نهج لزوميات أبي العلاء المعري.

وجعل أبو الطاهر للمقامات مؤلفًا خياليًا هو المنذر بن حمام يقص أحداثها عن راوية هو السائب بن تمام، وأما البطل فهو من يسميه أبا حبيب الدَّوسيّ، وقد يشاركه في حيله ابنه حبيب. وقد اتخذ الإشتركوني لعدد من مقاماته - نحو نصفها - عناوين من مدن وأقاليم تدور فيها الأحداث على نحو ما فعل الحريري، مثل جرجان، عمان، دمياط، الإسكندرية، بغداد... ويلاحظ أن معظم هذه المواضيع كانت في المشرق،، على حين أن نصيب المغرب منها كان قليلا لا يتجاوز ثلاثا: القيروان في المقامة الثانية والعشرين، وطنجة في المقامة السادسة والأربعين، وجزيرة طريف Tarifa الأندلسية في المقامة الثامنة والأربعين. وأما بقية المقامات فبعضها منسوب إلى ضروب من الحيوان: الدب، الفرسية، الحمامية، العنقاوية، الأسدية، وبعضها يصف مجالس أدبية مثل مقامة الشعراء، والمفاضلة بين الشعر والنثر، والمقامة الخمرية، ونجد في هذه أحكاما نقدية على الشعر والشعراء، وبعضها يصف أساليب نثرية معينة، مثل المقامة المرصعة والمدبجة والمثلثة التي تقوم على أسجاع ثلاثية، وبعضها الآخر يشير إلى الحرف الملتزم في الأسجاع: الهمزية، الجيمية، الدالية، النونية، على نسق الحروف، على حروف أبجد.. وتقل في المقامات الإشارات إلى شخصيات أو أحداث تاريخية، ومن ذلك المقامة العشرون، وفيها وصف لمصر والأهرام وتنتهي بقصيدة شيعية الطابع في مدح الخليفة الفاطمي، وفي الثانية والعشرين ومسرحها القيروان يتحدث عن تخريب الأعراب لهذه الحاضرة في منتصف القرن الخامس الهجري. والمقامة التاسعة والأربعون (في تحقيق الوراكلي) تبدو مهداة إلى الأمير المرابطي تاشفين بن علي يوسف الذي كان عاملاً لأبيه على الأندلس بين سنتي 519 و532 هـ (1162-1138 م). ويلفت النظر في إحدى المقامات وهي البربرية فخره بالحضارة الأندلسية وسخريته من البربر وتنديده بعُجْمتهم، والمقامة الرابعة والأربعون وهي العنقاوية على جانب كبير من الطرافة، ففيها مغامرة خيالية يقص فيها البطل خبر قوم تقذف بهم أمواج البحر إلى جزيرة يتبيّن لهم بعد ذلك أنها سلحفاة بحرية هائلة الحجم، ولا ينقذهم إلا فرخ طائر هو العنقاء يحملهم بين ثنايا ريشه إلى أرض النيل، وفي القصة تشابه مما ورد في مغامرة سندبادية في إحدى قصص «ألف ليلة وليلة».

وهناك طبعتان للمقامات اللزومية: الأولى بتحقيق الدكتور بدر أحمد ضيف (الإسكندرية 1982) على أساس أربعة مخطوطات، والثانية بتحقيق حسن الوراكلي (الرباط 1995) على أساس سبعة مخطوطات، وقد أضاف هذا المحقق إلى المقامات الخمسين تسع مقامات أخرى وردت في أحد المخطوطات. وأول ما عرف منها في أوروبا كان مقامتين (الخامسة والسادسة) اضطلع بنشرهما الباحث الإسباني إغناسيو خواردان آسُّو دِلْ ريُّو Ignassio Jordan Asso del Rio مع ترجمة لاتينية، ضمن «المكتبة العربية الأرغونية» (أمستردام، سنة 1782)،

Bibliotheca Arabico — Aragonesis, Amsterdam وقام بترجمة كاملة للمقامات إلى الإسبانية الباحث إغناسيو فرّاندو فروتوس Ignacio Ferrando Frutos (سرقسطة 1999)، كما قام بترجمة كاملة لها إلى الإنجليزية الباحث الأمريكي جيمس ت. مونرو James T. Monroe بحسب طبعة الوراكلي، مع دراسة وافية: the Maqamat Al - Luzumiylla, brill, Leiden, Boston, kalm 2002.

المصادر والمراجع

● ابن بسام الشنتريني، الذخيرة، القسم الثالث، بيروت 1979، ص 909-912؛ ● ابن خير الإشبيلي، فهرسته، سرقسطة 1893، ص 387، 450؛ ● ابن بشكوال، الصلة، القاهرة 1966، 2/ 588، ترجمة 1291؛ ● الضبي، بغية الملتمس، القاهرة 1967، ص 532، ترجمة 1555؛ ● ابن الأبار، التكملة، مدريد 1889، ص 618، ترجمة 1722؛ ● الحلة السيراء، القاهرة 1964، 2/ 521؛ ● جلال الدين السيوطي، بغية الوعاة، القاهرة 1964، 1/ 279؛ ● المقري، نفح الطيب، بيروت 1968، 1/ 291 ● عبد الرحيم بن أحمد العباسي، معاهد التنصيص، بيروت 1980، 3/ 306. ومن الدراسات الحديثة: ● إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، عصر الطوائف والمرابطين، بيروت 1985، ص 317-324؛ ● مقدمات الطبعتين العربيتين للمقامات والترجمتين الإسبانية والإنكليزية؛ ● دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الأوروبية الثانية) 4/ 193.

د. محمود علي مكي

مجمع اللغة العربية - القاهرة

الأشتري، أبو الحسن ورام بن أبي فراس

(... هـ / ... م - 605 هـ / 1208 م)

ينتسب الشيخ ورام بن أبي فراس ورام الى الصحابي مالك بن حارث الأشتر النخعي (صاحب الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وحامل رايته في موقعة صفين). وقد عاش أبو الحسن ورام المالكي الأشتري في مدينة الحلة التي أسسها سيف الدولة صدقة الأسدي المزيدي، وقد انقطع للعبادة والزهد، بعد أن قضى شطرا من حياته في سلك الأجناد، حيث كان يلبس القباء والمنطقة، ويتقلّد السيف. ثم سلك طريق العلم والفقه، فأصبح عالما، محدثا فقيها صالحا، وقد تتلمذ على فقهاء عصره منهم:

سديد الدين محمود بن علي الحمصي، وأبو عبد الله محمد بن جعفر المشهدي، وموفق الدين الحسين بن الفتح الجرجاني، وأبو الحسن علي بن إبراهيم العريضي الحسيني، وابن الكيال محمد بن محمد بن هارون.

وقد التقى به المحدث الشيخ منتجب الدين علي بن عبيد الله بن بابويه القمي (صاحب كتاب الفهرست) بمدينة الحلة، وقد أشار إليه بأنّه زاهد، عابد، جليل؛ وقد تتلمذ عليه السيد رضي الدين علي بن طاووس، وكان جده من جهة أمه، وقد أشار إليه في كتابه «فلاح السائل» بلفظ «جدي» وقال: «أوصي أن يجعل في فمه بعد وفاته فص عقيق عليه أسماء الأئمة من آل البيت»، وقد اشتهر الشيخ ورام المالكي الاشتري بكتابه «تنبيه الخواطر ونزهة النواظر».

يعرف هذا الكتاب باسم «مجموعة ورام» وقد وصفه علماء الرجال بأنّه «حسن» وهو كتاب في الزهد والنصائح قد اشتمل على أحاديث وردت في مراتب الموعظة الحسنة، إلاّ أنّ الغالب عليها صفة المراسيل إذ ليس التعويل على بعضها، وبمعنى أدقّ أن الكتاب يحتوي الغث والسمين، وقد أكثر فيه النقل عن الحسن بن أبي الحسن البصري، وقسمه إلى أبواب وبيانات وأحاديث ومناجاة، وأسئلة موجهة إلى الأئمّة من آل البيت وإجاباتهم عنها، ويشير أبو الحسن ورام في مضامين الكتاب إلى بعض موارده، ومصادر أحاديثه، ويمكن التقاط نوادر جميلة ذات أهمية تاريخية وتشريعية من خلال أبواب الكتاب وبياناته، ولكن الذي يؤخذ على الكتاب إهمال الإسناد، إذ إن الروايات جاءت مرسلة غير مسندة، ويكتفي بإيراد الحديث النبوي الشريف بصحابي راويه.

و أشارت بعض المصادر إلى نماذج من شعر أبي الحسن ورام الأشتري ومنه:

يا أيها الراقِد كمْ ذا المنامْ
عـلام ذي الغفلة جهلاً علامْ
علام تفني العمر لا ترعوي
شربتَ يا هذا غيرَ السمدام
في طمعِ الدنيا ولذاتها
وجمْع ما تترك من ذا الحطام
حلّ بك الشّيب أما تستحي
قد آن إقلاعُكَ عن ذا المقام
قد أشبه الشبان في جهلهم
ذو شيبة يفعل فعل الغلام

■ آثاره

تنبيه الخواطر ونزهة النواظر، طبع بتحقيق العلامة السيد محمد صادق بحر العلوم النجفي، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف 1384 هـ/ 1964م.

■ المصادر والمراجع

● ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الشيباني (ت 630 هـ)، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت 1386هـ/ 1966م؛ ● الأشتري، أبو الحسين ورام ابن أبي فراس المالكي (ت605هـ)، نزهة الخواطر ونزهة النواظر المعروف بمجموعة ورام، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف 1384 هـ/ 1964 م؛ ● البحراني، يوسف بن أحمد

(ت1186هـ)، لؤلؤة البحرين في الإجازات وتراجم رجال الحديث، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، الطبعة الثانية 1969 م؛ ● ابن حجر، شهاب الدين أبو الفضل أحمد العسقلاني (ت 852 هـ)، لسان الميزان، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد الدكن، الطبعة الأولى 1329 هـ؛ ● الحر العاملي، محمد بن الحسن (ت1104هـ)، امل الآمل، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، الطبعة المحققة 1385 هـ؛ ● الخوانساري، محمد باقر الموسوي (ت1313هـ)، روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، دار المعرفة، بيروت 1974م؛ ● الشبيبي، محمد رضا، مؤرخ العراق ابن الغوطي، مطبعة التفيض، بغداد 1370 هـ/ 1950م؛ ● ابن طاووس، رضي الدين علي بن موسى الحسني (ت 664 هـ)، فلاح السائل، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف 1385هـ/ 1965م؛ ● الطهراني، محمد محسن (آغابزرك)، طبقات أعلام الشيعة أو الأنوار الساطعة في المائة السابعة؛ ● القمي، عباس محمد رضا (ت1359هـ)، سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار، المطبعة العلمية، النجف الأشرف 1352 هـ؛ ● م.ن، الفوائد الرضوية في احوال العلماء الجعفرية، كتاب خانة مركزي 1327 هـ؛ ● الكاظمي، عبد النبي (ت 1256)، تكملة الرجال، مطبعة الآداب، النجف الأشرف؛ ● المامقاني، عبد اللّه بن محمد حسن (ت 1351 هـ)، تنقيح المقال في احوال الرجال، المطبعة المرتضوية، النجف الأشرف 135 هـ؛ ● المجلسي، محمد باقر محمد تقي (ت 1111 هـ)، بحار الأنوار، طبع حجر 1315 هـ؛ ● منتجب الدين، علي بن عبيد اللّه (ت 585 هـ)، الفهرست ملحق بكتاب بحار الأنوار، للمجلسي في المجلد 25؛ ● النوري، حسين الطبرسي (ت1320هـ)، مستدرك الوسائل، المطبعة الإسلامية 1384 هـ.

د. حسن عيسى علي الحكيم
جامعة الكوفة ـ العراق

ابن أشرس، أبو معن ثمامة النّميري

(... هـ / ... م - 213هـ / 833 م)

المتكلم المعتزلي، ثمامة بن أشرس النميري، أبو معن، البصري البغدادي؛ زعيم المعتزلة السياسي أيام الخليفتين المأمون والواثق؛ ولد في زمن غير معروف لدينا، كما أن أخباره غير متيسرة لا في مصادر المتقدمين ولا في المراجع

المتأخرة. والمشهور أنه عاش في البصرة، وزامل هناك بشر المعتمر (المتوفى سنة 210/ 825) الذي سيصبح زميله في بغداد ورئيسا للمعتزلة فيها؛ كما زامل أبا الهذيل العلاف (المتوفى سنة 230/ 845) رئيس معتزلة البصرة. وعُرف ثمامة بأنه واحد من أهم روّاد مجلس المأمون، وهو الذي حسّن للخليفة تبني أفكار المعتزلة، حتى أعلن المأمون انتماءه الرسمي للاعتزال، وربما كان أقرب إلى جماعة (الثمامية) المنسوبة إلى ثمامة بن أشرس، [Al-A'asam, p. 259]. وصفت المصادر الأشعرية ثمامة أنه هو الذي "أغوى" المأمون بعقيدة المعتزلة، وهو أمر غير موضوعي، بدلالة أن بشر بن المعتمر كان مشهورا في بغداد حتى أن الخليفة الرشيد سجنه لميوله الشيعية، وربما كان ثمامة بن أشرس هو الذي حسّن للرشيد الإفراج عن بشر بن المعتمر.

ومن تلاميذه المبرزين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (المتوفى سنة 255/ 868) [Al-A`asam, p. 23]، وابن العماد، [شذرات الذهب، 2/ 121]، الذي أخذ عنه عندما كان في البصرة؛ كما عاصر من الخلفاء الرشيد، والمأمون والمعتصم، والواثق؛ ولعلّه هو الذي رشح للمأمون ابن أبي داوود للوزارة، ممثلا للجانب السياسي للمعتزلة فامتد تأثيره زمان الواثق وصولا إلى المتوكل الذي ألغى العقيدة المعتزلية من سياسة الدولة سنة 233/ هـ847م عندما بادر بالانقلاب على المعتزلة فاستكمله سنة 237هـ/ 851م.

كان لثمامة آثاره السياسية إلى جانب الكلامية في دولة بني العباس مدة ربع قرن أو يزيد حتى توفي سنة 213هـ/ 828م وكان لثمامة، أيضا، اهتمام بدقيق الكلام كما فعل زميلاه: بشر بن المعتمر في بغداد، وأبو الهذيل العلاف في البصرة، فقد تناول موضوع التولد في الأفعال تماما كما فعل بشر بن المعتمر، وربما استكمالا له، عندما قال "إن الله فعل العالم بطباعه" [شذرة Al-A'asam, p. 13 = 109] وقد اعتبره ابن الريوندي خارجا عن الإجماع بهذا القول [Ibid, p. 166]، وقارن الشهرستاني، [الملل والنحل 1/ 76]. وقد اتهمه ابن الريوندي بأنه كافر لأنه "جعل ربه مطبوعا. والمطبوع مُحدَث لا ينفك من أفعاله التي طبع عليها" [شذرة Ibid., p. 13 = 110].

وقد انتقد ابن الريوندي شخصية ثمامة، كما فعل مع إبراهيم النظام (ت سنة 230هـ/ 842م)، ومعمّر بن عبّاد (ت سنة 220هـ/ 835م)، وعلي الأسواري (ت سنة 240هـ/ 854م)، [قارن Al-A'asam, p. 43]؛ فكان الشخصية السادسة من بين شيوخ المعتزلة الذين هاجمهم [Ibid., p. 34]؛ وأحيانا يروى عنهم روايات غامضة عن مجهولين [Ibid., p. 34]؛ حتى صارت المصادر المخصصة للفرق والمذاهب تأخذ من ابن الريوندي أينما أرادت إدانة المعتزلة عامة وثمامة بن أشرس منهم بوجه خاص [أنظر مثلا الأشعري، مقالات الاسلاميين 1/ 229، 251؛ 2/ 407، 584].

ومن المدهش أن يُروى عن ثمامة قوله بالماهية وهو الأمر الذي اعتبره المعتزلة كفرا وخروجا عن الاعتزال [الشذرة، Ibid., p. 166 = 193].

نستخلص من كل فكر ثمامة بن أشرس أهمية أقواله في تولد الأفعال:

1 ـ أن الله فعل العالم بطباعه.

2 ـ ان الأفعال المتولدة لا فاعل لها.

3 ـ أن هناك فصلاً بين الفعل وبين السبب.

وبناء على ذلك، فالمعرفة التي ينصّ عليها ثمامة هي متولدة من النظر، ولأن النظر فعل بحسب رأيه، معدوم السبب، فهو بلا فاعل أيضا، وهذا معناه إثبات للأفعال المتولدة في الإنسان وليس نفيا لها. ويبدو أن ثمامة لم يكن دقيقا في معالجة التولد في الأفعال، كما فعل بشر بن المعتمر أو أبو الهذيل العلاف؛ وهو أمر يدل عندنا على أن ثمامة لم يكن معنيا كثيرا بدقيق الكلام عن نحو يقرّبُهُ من المنظّرين في الاعتزال. وكما يبدو فكره مشوشا على العموم فيما يتوفر من شذرات منسوبة إليه في المصادر والمراجع. ومن ناحية أخرى يظهر ثمامة كأنه يخالف زملاءه من المعتزلة في مبدأ «المنزلة بين المنزلتين»، فكأنه تابع غيلان الدمشقي (المتوفى سنة 125/ 743)؛ وأثر في رجال عصره أمثال محمد بن شعيب، ومويس بن عمران، وصالح قبة.

ومن غرائب الأفكار التي تنسب إلى ثمامة بن أشرس، رأيه في أهل الأديان والملل والعقائد، حيث يقول: «إن أكثر اليهود، والنصارى، والمجوس، والزنادقة، والدهرية، ونساء أهل القبلة وعوامّهم، وأطفال المؤمنين بأسرهم يصيرون في «يوم» القيامة ترابا. ولا يدخل اليهود، والنصارى، وسائر من عدّدنا من الكافرين، والأطفال، وعوام أهل الإسلام الجنّة» [الشذرة Ibid., p. 90 = 133]. وبهذا يكون ثمامة، برأي ابن الريوندي، قد خرج من الإجماع [الشذرة، Ibid., p. 166].

وليس كل ما قاله ابن الريوندي، ونقله عنه مؤلفو كتب الفرق والمذاهب والملل من أهل السنة يدل على صحة تلك الأقاويل [قارن: البغدادي، الفرق، ص 158؛ والرسعني، مختصر، ص 115] التي وصفها ابن الريوندي بالشنيعة [الشذرة، Ibid., p. 110]؛ لأن هذا الكلام غير منسجم مع العقلانية التي تميز بها المعتزلة، فكيف ينقلب كل هؤلاء الناس ترابا؟ ولماذا ترابا وليس غيره؟ وإذا ذهبنا إلى ما يراه الخياط بأن مؤلف كتاب فضيحة المعتزلة قصد إلى الإساءة إلى المعتزلة، فيجب أن لا يغيب عنّا مدى الانتحال في تلك الأقوال، وغيرها، مثل قول ثمامة: «إن مكة، والمدينة، والكوفة، والبصرة، وسائر دار الإسلام دار كفر، وأهلها عنده [= عند ثمامة] كفار مشركون» [الشذرة 91 = Ibid., p. 133؛ وقارن البغدادي، الفرق، ص 158].

فماذا يمكن أن يقال عن ثمامة في قوله في الناس وموطنهم، بغير الكذب؛ فالخياط يقول صراحة عن ابن الريوندي «فأردف كذبه على ثمامة» بذكر متكلمين كلهم من رجال النصف الأول من القرن الثالث الهجري/ الثامن الميلادي؛ وبعضهم كان من المرجئة ولم يكونوا من المعتزلة.

آثاره

لم تصل إلينا غير شذرات في المصادر، خصوصا كتاب فضيحة المعتزلة لابن

الريوندي، نشرة الأعسم، باريس - بيروت، 1975-1977.

المصادر والمراجع

● ابن المرتضى، طبقات المعتزلة، نشرة ارنولد، حيدر أباد، 1316/ 1900؛ ● الأشعري، مقالات الاسلاميين، نشرة ريتر، اسطنبول، 1929-1930؛ ● البغدادي، الفرق بين الفرق، ط. القاهرة، 1328/ 1910؛ ● الخياط، الانتصار والرد على ابن الريوندي، نشرة نيبرك، القاهرة، 1925؛ ● الرازي، فخر الدين، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، نشرة علي سامي النشار، القاهرة، 1356/ 1938؛ ● الرسعني، مختصر الفرق بين الفرق، ط. القاهرة، 1924؛ ● الشهرستاني، الملل والنحل، ط. القاهرة، 1928-1929.

● A- AlA'asam; Ibn al.Riwandi's Kitab Fadihat al- Mu'tazilah, Paris-Beirut, 1975-1977; ● M. Horten: Die Philosophisclen Systeme der spekulatuven theologie in islam, Bonn, 1912; ● H. Nyberg: Le livre du Triomphe et de la Refutation d'Ibn al-Riwandi L'hérétique, éd. A.N. Nader, Beyrouth, 1957.

د. عبد الأمير الأعسم

بيت الحكمة - بغداد - العراق

الأشرف الغساني الملك، أبوحفص عمر بن الملك المظفر

(... هـ / ... م - 696 هـ / 1296 م)

أبو حفص عمر بن عبد الملك المظفر يوسف بن عمر بن علي بن رسول، ممهد الدين المتوفى سنة 696 هـ/ 1296م، ثالث ملوك الدولة الرسولية في اليمن، انتدبه أبوه الملك المظفر يوسف للمهمات، ثم تنازل له عن الملك قبيل وفاته سنة 694 هـ/ 1299م فاستمر قرابة سنتين في الحكم إلى حين وفاته في مدينة تعز.

كان عالما مشاركا في الفقه، وعلوم اللغة، والنحو، والتاريخ، والطب، والصيدلة، والبيطرة، وعلم الفلك، والأسطرلاب، كان حسن السيرة، أكثر اطلاعا من غيره على كتب الأنساب والسير [العقود في ملوك الدولة الرسولية لابن وهاس، طبع بالقاهرة 1918 م /1 284-297؛ الأعلام للزركلي، الطبعة الرابعة 5/ 69؛ معجم المؤلفين لكحالة 8/ 6].

أبدع في التأليف وصناعة الآلات الفلكية، كالأسطرلاب النحاسي، والساعات الشمسية (الرخامات)، وكان له السبق في صناعة الإسطرلاب الخاص من قسمة السدس، وقسمة الثلث، وهو من ابتكاره وقد منح أكثر

من إجازة في إجادة صناعته للإسطرلابات وإصلاحها من أساتذة هذا العلم، وألف في ذلك كتابا بعنوان «تعليم الطلاب صناعة الأسطرلاب» وتدريبهم عليه، فكشف لنا عن الجانب العملي لهذه الصناعة، وهي من أول الإجازات التي وصلتنا في هذه الصناعة في التاريخ العربي الإسلامي.

كما اهتم الملك الأشرف بشكل خاص بعلم البيطرة ومعالجة الحيوان وهو من العلوم المهمة والنادرة في بابه في التراث العربي، وضعه المؤلف فيما جربه هو وغيره من أهل الخبرة والمعرفة في اليمن، كما ألف في علم الصيدلة والأدوية المفردة، واستفاد ممن سبقه من العلماء في هذا المجال كابن البيطار المتوفى سنة 646 هـ/ 1248م [معجم المؤلفين 6/ 22]، والزهراوي الأندلسي المتوفى 427 هـ/ 1036م [الأعلام 2/ 310-311] وغيرهما، واشتغل بعلم الأنساب والتاريخ ووضع فيه تأليفا مهمًا.

آثاره

ومن المفيد استعراض آثاره في علوم الاسطرلاب وصناعته، البيطرة، والأدوية، والتي كان لها تأثير في تطور هذه العلوم في الحضارة العربية وفي جوانب من الحضارة الانسانية.

1 - مُعين الطلاب في عمل الأسطرلاب، وهو كتاب في الاسطرلاب وصناعته وأجزائه وصفائحه وحالات استعماله في الأعمال الفلكية، وكيفية عمله والمواد التي يُصنع منها. يقول الملك الاشرف في مقدمته لهذا الكتاب: إنه وضعه على غاية الاجتهاد، واختار ما يغني الصانع في تيسير المعرفة في صناعته، ويكفيه عن كثير من الكتب المصنفة، فوضع المقنطرات والكواكب المعمول بها، والعمدة على وضعها وتحريرها، والتعرف على فك حروفها وأعدادها وأبعادها وأنصاف أقطارها. وتكلم عن أنواع الاسطرلاب فقال: منه ما يكون تامًا وعدد مقنطراته تسعون، ومنه ما يكون ثنائيا، وعدد مقنطراته خمسة وأربعون، ومنه ما يكون ثلاثيا وعدد مقنطراته ثلاثون، ومنه ما يكون خماسيا وعدد مقنطراته ثمانية عشر، وهكذا فصل في هذا الكتاب أجزاء الاسطرلاب وأنواعه واستعمالاته في مختلف الأحوال والاتجاهات، وقسمة الصفائح. لقد صنع الملك الأشرف الأسطرلاب على ما وصفه في كتابه وبين كيفية صناعته بكل أجزائه، ويعتبر أول من اخترع قسمة السدس واستخدامها، وقسمة الثلث واستخدامها، فاطلع على ما كتبه، وما صنعه من الاسطرلاب بعض علماء الفلك في زمانه فمنحوه الاجازة أو الشهادة العلمية في صنعته واستخدامه، وهي أول الإجازات التي ذكرت في صناعة الآلات الفلكية، إذ لم يسبق أن ورد ذكر مثل من هذه الإجازات عند المؤرخين والدارسين للتراث العربي، وقد وجدنا على النسخة الخطية لهذا الكتاب المحفوظة في دار المخطوطات برقم 20237/ 1 نصوص هذه الإجازات المدونة في آخر المخطوط وهي: الإجازة الأولى: منحت له من إبراهيم بن ممدود الحاسب الملكي المظفري الموصلي، وقد بين في إجازته صحة جميع ما عمله الملك الأشرف من صحة الدوائر والمقنطرات والمراكز وأنصاف الأقطار والكواكب، والحجرة

والصفائح سبكا وضربا وقسمةً ووضعًا، وصحة قسمة دائرة البروج وصحة العضائد وعيار المجموع فيها، ولم يجد المجيز فيها مأخذا، إلا أنه كان اليسير من جهة الصانع الخراط فأصلحه الملك الأشرف بنفسه، فكتب له المجيز ما نصه: «وضعت له خطي هذا شاهدا على صحة ذلك، وأجزت له أن يعمل ما يشاء من فن ذلك، بما استقريته من إتقانه ومعرفته وذكائه وخبرته واختباري له في ذلك، وامتحاني إياه في سنة 689 هـ/ 1290م وكتب الإجازة سنة 690 هـ / 1291 م ثم جدد الملك الأشرف عمل أسطرلاب آخر بقسمة السدس سنة 681 هـ / 1282 م فاستقريتها فوجدتها في غاية الصحة والتناسب».

وأجيز الملك الأشرف بشهادة ثانية من حسن ابن علي الفهري المظفري الذي قال: إنه شاهد الأسطرلابات التي أتقن إحكامها وصنعتها الملك الأشرف، اثنان منها قسمة السدس والآخر قسمة الثلث، وقال أيضًا: شاهدت جميع ما عمل بها من صحة الدوائر والمقنطرات والمراكز وأنصاف الأقطار والقطرين المتقاطعين على ظهورها، وامتحنت حروف العضائد المستعملة، وقيام الشظايا على العضائد، ومقابلة ثقوب الشظايا بعضها ببعض، فوجدتها في غاية التحقيق فليعمل ما يشاء بما استقريته منه في ما ذكرته في خطي هذا. وذلك بتاريخ اليوم الثاني من رجب سنة اثنين وتسعين وستمائة. إن هاتين الشهادتين في صناعة الإسطرلاب خصوصا الأسطرلابات التي من ابتكاره لهي براءة اختراع بالمعنى الحديث. لهذا العلم العربي الجليل

[مخطوطات الفلك والتنجيم في مكتبة المتحف العراقي لأسامة النقشبندي وظمياء محمد، ص 225]؛ 2 - المغني في البيطرة، وهو من الكتب المهمة والنادرة في موضوعه، تناول فيه المؤلف أمراض الخيل والبغال والحمير والإبل والبقر والضان والمعز، قال في مقدمة كتابه: هذا كتاب مختصر جمعناه فيما جربناه وجربه أهل الخبرة من حكماء الخيل من أهل اليمن في أمراض الخيل وما يعرض لها، رتبه المؤلف في تسعين بابا ووضع فهرسا بالأبواب في أول الكتاب وهي: الأبواب من الباب الأول إلى الباب السادس والسبعين في الخيل وألوانها وصفاتها وأجناسها وأسمائها وما يحمد منها وما يذم، وتفسير أسنانها وعلاماتها، وفي رياضة الخيل وأوصافها ولجمها في سراجها وأنعالها، وينتهي ذلك بالباب الخامس. وفي الباب السادس يتناول الأمراض التي تصيبها في كل جزء من أجزاء جسمها أنواعها وأسبابها وعلاماتها وعلاجاتها كالجرد البقري، وفتان المفاصل ومرض الحمر، ومرض الخنازير، ومرض السرطان، وغيرها من الأمراض وعلاجاتها، وينتهي ذلك بالباب السادس والسبعون. والأبواب من السابع والسبعين إلى الباب الثمانين: في البغال وأسمائها وألوانها وصفات الجيّد منها والرديء وما يختار منها للركوب وحمل الأثقال، وما يعرض لها من العلل والأمراض وعلاجاتها. الباب الحادي والثمانين في ذكر الحمير وأنواعها وصفات الجيّد منها وأمراضها وأسبابها وعلاجاتها. الباب الثالث والثمانون إلى السادس والثمانين: في ذكر البقر وأسمائها وصفاتها وأمراضها وأسبابها وعلاماتها وعلاجاتها.

والبابان الأخيران تكلم فيهما المؤلف عن الضان والمعز؛ نسختان من الكتاب في دار المخطوطات بالرقمين (8673 و 13642) [مخطوطات الطب والصيدلة والبيطرة في مكتبة المتحف العراقي، لأسامة النقشبندي بغداد 1981، ص 342-343، وذكر بروكلمان نسخة من الكتاب في برلين برقم 6195 بدون المؤلف، بروكلمان 1/ 901، الأعلام 5/ 69]؛ 3 - طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب، طبع بتحقيق ك. و. سترستين في المجمع العربي بدمشق سنة 1949م، ثم بعنوان ذخائر التراث العربي الإسلامي لعبد الجبار عبد الرحمن 1/ 342، طبع بغداد 1980 م؛ 4 - المعتمد في الأدوية المفردة، وهو كتاب مختصر لخص فيه من كتاب الجامع في الأدوية المفردة لابن البيطار وأشار إليه بحرف العين، وكتاب منهاج الدكان لداود العطار الذي كان حيا سنة 658 هـ/ 1260 م، وأشار إليه بحرف الجيم ومن إبدال الزهراوي وأشار إليه بحرف الزاي، وكفاية الطب لحبيش التفليسي المتوفى سنة 629 هـ / 1231 م وعلامته ف، ورتب أسماء الأدوية على حروف المعجم. نشره مصطفى السقا في القاهرة سنة 1951م ونسبه لأبيه الملك المظفر الرسولي وكذلك حاجي خليفة [كشف الظنون 2/ 1732، ذخائر التراث 2/ 836، والصحيح ما ذكر الزركلي في الأعلام 5/ 69]؛ 5 - التبصرة في علم النجوم، رتبه المؤلف على أبواب [كشف الظنون 1/ 338]؛ 6 - تحفة الأحباب في التاريخ والأنساب، ولعله نفس كتاب طُرفة الأصحاب؛ 7 - رسالة في الأسطرلاب، [الأعلام 5/ 69].

د. أسامة ناصر النقشبندي

دار المخطوطات ـ بغداد

ابن أبي الأشعث، أبو جعفر أحمد بن محمد

(... هـ / ... م ـ ت 360 هـ / 970م)

أبو جعفر أحمد بن محمد بن محمد بن أبي الأشعث، طبيب موصلي، أصله من بلاد فارس، حيث كان متصرفًا في بعض الولايات، ولكنه صُودر، فخرج من بلده هاربًا، ودخل الموصل بحالة سيئة من العري والجوع. اتصل بالأسرة الحمدانية الحاكمة، واستطاع بواسطة علاجه لولدٍ عليل لناصر الدولة أبي محمد الحسن (317-356 هـ / 929-967 م)، عجز الأطباء عن شفائه، أن ينال رضا هذا الأمير، ومن بعده ابنه عضد الدولة أبي تغلب الغضنفر (356-369 هـ / 967-979 م).

أقام ابن أبي الأشعث بالموصل، واتخذ له تلاميذ عدّة منهم: أحمد بن محمد البلدي، الذي كان من أجلّ تلاميذه، ولازمه مدة

سنين، واشتغل عليه، وتميز في صناعة الطب؛ ومحمد بن ثواب الموصلي، الذي يُعرف بابن الثلاّج، وكان أثيراً لديه، وقد صنّف له أحد كتبه، كما سنرى عند ذكر مؤلفاته. ومن تلامذته الآخرين: ابنه محمد، وأبي الفلاح، الذي برع في صناعة الطب، وكذلك جابر بن منصور السكري، وأحمد بن الحسين بن زيد بن فضالة البلدي.

ولا يشير ابن أبي أصيبعة، الذي كتب ترجمة مفصّلة لابن أبي الأشعث إلى ثقافته الأولى، أو أستاذه في الطبّ، بل على العكس يقول إنه لم يكن منذ بداية عمره يتظاهر بالطب، وبرز في هذه الصناعة في مدينة الموصل. وأصبح مشهورًا بها، وكان وافر العقل، سديد الرأي، محبًا للخير، كثير السكينة والوقار متفقهاً في الدين، فاضلاً في العلوم الحكمية ومتميّزاً بها. ويبدو أنه قد درس الطب في بلاد فارس، على أيدي أساتذة لا تذكر لنا المصادر المتاحة أسماءهم، وعمل على تثقيف نفسه بقراءته للكتب الطبية، لا سيما كتب جالينوس، وأرسطوطاليس، التي أضحى خبيرًا بها، ومطلعًا على أسرارها، وقد شرح الكثير منها.

ولم يكن ابن أبي الأشعث يكتفي بالطب النظري، بل إنه دعم أبحاثه وجهوده، بوسائل عملية ما أمكنه ذلك؛ فقد أشار إلى قيامه بتشريح أسد حيّ بحضرة الأمير عضد الدولة الغضنفر، لشرح حقيقة طبية: «مفادها أن الغذاء إذا حصل في المعدة، وهو كثير الكمية تمددت تمددًا يبسط سائر غضونها». وأثبت ذلك للحاضرين الذين استصغروا معدة الأسد، بصبّ الماء الكثير فيها واستيعابها له [ابن أبي أصيبعة، عيون، ص 612]. ويدل تواجده في بلاط الأمير عضد الدولة الغضنفر، الذي ابتدأ حكمه سنة 356 هـ/ 966 م، إلى أنه كان مقرّباً من الأمراء الحمدانيين حتى السنوات الأخيرة من عمره. ويبدو أنه عاش وبقي في الموصل إلى آخر عمره وكتب فيها معظم مؤلفاته، قبل أن يتوفى في سنة 360 هـ / 970 م.

■ آثاره

يرى أحد المؤلفين المُحْدثين، أن تميز ابن أبي الأشعث كواحد من الطبقة الأولى للأطباء العرب، هو تأليفه للكثير من الكتب والمصنفات ذات المستوى المختلف، فقد ألف كتبًا لدارسي الطب المبتدئين، وأخرى لمن تجاوز حد تعلّم الطب وتهيأ للدراسات العليا. ولم تقتصر مؤلفاته على الطب فحسب، بل كتب في علوم أخرى، شأنه شأن الكثير من علماء زمانه الذين كانوا يكتبون كل ما تيسر لهم من العلوم [محمود الحاج قاسم، أحمد بن أبي الأشعث، ص 74]. وعلى العموم يمكن تقسيم مؤلفاته إلى نوعين: طبية وغير طبية. أما بالنسبة إلى الكتب الطبية، فهي على ثلاثة أقسام: القسم الأول: شرح وتصنيف لكتب الأقدمين: ومن هذه الكتب مؤلفات جالينوس التي فصّلها إلى جمل وأبواب وفصول وقسّمها تقسيماً لم يسبقه إليه أحد، لتسهل على الدارس، لا سيما كتاب الفرق لجالينوس في مقالتين، الذي فرغ منه في رجب 342هـ/ 953م. وكذلك كتاب الحميات لجالينوس وفصل أيضاً في كتب أرسطوطاليس وغيره. القسم الثاني: مؤلفاته الطبية العامة: وتشمل نحو عشرة كتب أشار إليها ابن أبي أصيبعة، وهي: 1 - كتاب

السرسام والبرسام ومداواتهما، في ثلاث مقالات، صنفه لتلميذه محمد بن ثواب الموصلي، أملاه عليه من لفظه، وكتبه عنه بخطه في رجب سنة 355 هـ؛ 2 - كتاب الجدري والحصبة والحميقاء؛ 3 - كتاب في القولنج وأصنافه ومداواته والأدوية النافعة منه، مقالتان؛ 4 - كتاب في البرص والبهق ومداواتهما، مقالتان؛ 5 كتابان في الصرع؛ 6 - كتاب في الاستسقاء؛ 7 - كتاب في ظهور الدم، مقالتان؛ 8 - كتاب الماليخوليا؛ 9 - كتاب تركيب الأدوية؛ 10 - كتاب أمراض المعدة ومداواتها؛ القسم الثالث: المؤلفات التخصصية للطلبة ذوي المستوى العالي في الطب. وهذه كتب صنفها للنخبة من تلاميذه، الذين وصلوا مرحلة متقدمة جدًا في العلوم الطبية وهي: 1 - كتاب الأدوية المفردة، في ثلاث مقالات، ابتدأ بكتابته في مستهل ربيع الأول 353 هـ / 964م بناء على طلب بعض تلاميذه، ومنهم أحمد بن محمد البلدي، ومحمد بن ثواب، وهما حسب قوله: «في طبقة من تجاوز تعلّم الطب، ودخلا في جملة من يتفقّه فيما علم من هذه الصناعة، ويفرّع، ويقيس، ويستخرج». فكتبه لهما، ولمن في طبقتهما من تلامذته، الذين جاوزوا حد التعلم إلى حد التفقه، بحيث يستطيعون الانتفاع به، ويستنبطون منه أحكامًا لم يذكرها ويضيفون إليه، ويبنون عليه؛ ويشمل هذا الكتاب مواضيع متعددة [حمارنة، فهرس، ص 66]؛ منها القوانين والشرائع التي تنظم علم الأدوية والغذاء، والكليات والخواص، ومقادير الأدوية، واستعمال العلاجات بصورة عامة بشكل يبين نبوغه في علم الأدوية. كما يشمل الكتاب أيضا آراء ابن أبي الأشعث القيمة بالنسبة إلى دراسة أخلاق الأطباء وممارستها، وفوائد اختيار طبيب العائلة الجيد. إضافة إلى الدعوة للارتفاع بمستوى المهنة، إذ يقول: «إن الله فرض البلاغ أيها الأطباء. إن الله يسألكم عما عملتم في أبدان الناس، فهذا ما أعظ به الطبيب»؛ 2 - كتاب الغاذي والمغتذي، مقالتان، ويشرح ابن أبي الأشعث في هذا الكتاب أعضاء جسم الإنسان من الناحية التشريحية والفسلجية، والمنافع الطبية لكل منها وعلاقتها، وتغذية الجسم. وقد فرغ من تأليفه بقلعة برقي من أرمينية في صفر سنة 348 هـ / 959 م. وتوجد من هذا الكتاب نسخة خطية في المكتبة البريطانية، وهو أقدم كتاب عربي مخطوط في العلوم الطبية في هذه المكتبة [حمارنة، فهرس، ص 10]؛ أما مؤلفاته غير الطبية فهي: 1 - كتاب الحيوان؛ 2 كتاب في العلم الإلهي، مقالتان (فرغ من تأليفه في ذي القعدة سنة 355 هـ / 965 م)؛ 3 - مقالة في النوم واليقظة، كتبها إلى تلميذه أحمد بن الحسين ابن زيد بن فضالة البلدي.

المصادر والمراجع

● ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، تحقيق نزار رضا، بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة، 1965، 331-332، 612 - 614؛ ● حاجي خليفة، كشف الظنون، إستانبول 1941، أعادت مكتبة المثنى ببغداد طبعة بالأوفست، 1/ 51، 401، 2/ 1389، 1402، 1408، 1424، 1432، 1444، 1446، 1451، 1455، 1783؛ ● الزركلي، الأعلام،

ط 2، القاهرة، مطبعة كونستانوماس، 1955، 1/ 201؛ ● كحالة، معجم المؤلفين، دمشق، مطبعة الترقي، 1957، 2/ 148؛ ● بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ترجمة السيد يعقوب بكر ورمضان عبد التواب، ط 2، القاهرة، دار المعارف، 1977، 4/ 288-289؛ ● حمارنة، سامي خلف، فهرس المخطوطات العربية في الطب والصيدلة في المكتبة البريطانية، القاهرة، دار النشر للجامعة المصرية، 1975، ص 10، 66؛ ● الحاج قاسم، محمود، أحمد بن أبي الأشعث، مجلة الرسالة الإسلامية، العدد 119-120، السنة الحادية عشرة، بغداد، 1978، ص 73-77.

أ.د. عبد الواحد ذنون طه

جامعة الموصل ـ العراق

ابن الأشعث، عزيز بن الفضل

(... هـ / ... م - كان حيا سنة 256 هـ / 869 م)

عزيز بن الفضل بن فضالة بن مخراق بن عبد الرحمن بن عبيد الله الهذلي، المعروف بابن الأشعث. عالم جغرافي من علماء بغداد، وإخباري وشاعر وراوية عارف باللغة والنحو. لم تذكر المصادر والمراجع التي ترجمت له شيئا عن تاريخ ميلاده أو وفاته سوى أنه كان حيا سنة 256 هـ، وإن أشار بعضها إلى أنه عاش خلال القرن الثالث الهجري. وذكر المرزباني في معجم الشعراء أنه محدّث معتمدي، أي من العلماء والشعراء الذين اتصلوا بالخليفة المعتمد، وحضروا المجالس العلمية التي كان يقيمها خلال مدة حكمه بين 256 هـ و 279 هـ.

كان لعزيز بن الفضل اهتمامات جغرافية ولغوية وأدبية، وأكثر ما اعتنى بلغات العرب واختلاف لهجات القبائل، وخصّ منها لغة هذيل بتصنيف، قال عنه الأزهري في مقدمة تهذيب اللغة: وله كتاب لغات هذيل [تهذيب، 1/ 33]، كما اهتم بالجغرافيا الطبيعية فتتبّع الأمكنة والمواضع ببلاد العرب، وصنّف كتابا في صفات الجبال والأودية بمكة وما والاها: توجد منه نقول وإشارات أخذها عنه عرام بن الأصبغ السّلمي (275 هـ / 888 م) في كتابه «أسماء جبال تهامة وسكانها، وما فيها من القرى، وما ينبت عليها من الأشجار وما فيها من المياه» [نوادر المخطوطات، 412].

■ آثاره

لم يصلنا أيّ كتاب من مؤلفات ابن الأشعث، غير أن كل المصادر التي ترجمت لحياته أثبتت له كتابين: 1- لغات هذيل؛ 2- كتاب صفات الجبال والأودية وأسمائها بمكة وما وراءها.

المصادر والمراجع

● السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، بيروت (د.ت)، دار المعرفة؛ ● الأزهري، التهذيب، تح. عبد السلام هارون، ومحمد علي النجار، 1964م القاهرة، المؤسسة المصرية؛ ● ابن النديم، الفهرست، تح. مصطفى الشويمي، تونس 1406هـ/ 1985م، الدار التونسية للنشر؛ ● ياقوت الحموي، معجم الأدباء، (20 ج)، تح. محمد فريد الرفاعي، القاهرة 1357هـ/ 1938م، دار المأمون؛ ● المرزباني، معجم الشعراء، تح. أحمد فرج، القاهرة 1960م، مطبعة الحلبي؛ ● إقبال أحمد الشرقاوي، معجم المعاجم، بيروت 1993م، دار الغرب الإسلامي؛ ● نوادر المخطوطات، تح. عبد السلام هارون، القاهرة 1955م، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

د.حلاّم الجيلالي

جامعة سيدي بلعباس- الجزائر

الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق

(260 هـ / 874 م ـ 324 هـ / 936 م)

لا يعرف عن حياة الأشعري شيء كثير فابن النديم مثلا لم يخصص له في كتابه «الفهرست» سوى نبذة قصيرة لا تدلّ على شأن كبير بالرغم من أن الكتاب ألّف بعد وفاة الأشعري بخمسين عاما، مما يتيح القول بأن جانبا من مكانة الأشعري ترجع إلى المدرسة الكلامية التي انتسبت إليه: فمن الممكن أن تكون هذه المدرسة التي تطوّرت بعد وفاته قد أضفت على الرجل أهمية بالغة نتيجة نموها واتساعها. على هذا يكون تلاميذ الأشعري والعلماء الذين جاؤوا بعده ومكّنوا لمقولاته بالتطوير والنشر هم الذين أتاحوا له من الشهرة العلمية ما لم يكن قد توفر له شخصيا أثناء حياته.

ينتسب أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق حفيد الصحابي أبي موسى الأشعري إلى قبيلة «أشعر» اليمنية. ولد على أرجح الأقوال سنة 260 هـ / 873 م بالبصرة المركز العلمي والثقافي وبها نشأ فأخذ عن جمع من علمائها ومشائخها. درس الفقه على الحافظ زكرياء الساجي (ت 307 هـ / 920 م)، وأبي إسحاق المروزي (ت 340 هـ/ 951 م) وأخذ علم الكلام عن أبي علي الجبائي (ت 303 هـ / 916 م) رئيس المعتزلة في البصرة. أتقن فن الجدل والمناظرة حتى أصبح شيخه الجبائي ينيبه في المناظرات لإجادته هذا الفن.

ظل مقيما على مذهب المعتزلة حتى الأربعين من عمره، ثم أعلن سنة 300 هـ / 912 م

في ملإ من الناس بجامع البصرة تراجُعه عن مقولاتهم وخاصة مسألتي خلق القرآن وعدم رؤية الله بالأبصار. تذكر بعض الروايات أن هذا التحوّل جاء إثر رؤيا تكررت رأى فيها الرسول عليه السلام يوجهه إلى ضرورة الاقتداء بالسنة النبوية.

ما يمكن أن تدل عليه هذه الرواية، إذا تجاوزنا المماحكات المذهبية الضيقة وما تحرص عليه من إدانة لهذه الفرقة أو تلك، هو ضرورة تنزيل هذا الحدث في سياق الخطاب العام العقدي للقرن الرابع الهجري. مثل هذا التوجّه يقف بنا على المنطق الذي حرّك جهد الأشعري وحدّده في لحظة التكوّن والتأسيس. هذا الفهم للحدث في بعده التاريخي يجعل من الإدانة الرسمية للاعتزال التي حصلت في عهد المتوكل العباسي سنة 234 هـ / 848 م غير ذات جدوى، إذ هي لم تفض إلى القضاء على هذا المذهب.

إنّ في إعلان الأشعري الرجوع عن مذهب المعتزلة بعد انقضاء أكثر من ستين سنة على الإدانة السياسية لمذهبهم ما يرجّح ضعف أثر تلك الإدانة. لقد احتفظ الاعتزال بنفوذ فكري واجتماعي في حواضر هامة مثل الريّ وبغداد مما أتاح لهذا التيار الفكري إمكانيات مختلفة تصدّى بها لأهم الحركات المناهضة له، ومما يؤكد ذلك هو أن «توبة» الأشعري عن الاعتزال لم تمنعه من الاحتفاظ بالبناء الحجاجي العقلي. ضمن هذا التوجه المقاوم لتطويق الاعتزال يتنزّل سعي الأشعري الذي يمكن أن يعتبر في جانب منه ردا على محاولات التضييق المختلفة، إنه حلّ وسط يعتمد من جهة على الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية كما كان يفعل المتكلمون عموما والمعتزلة خصوصا، ولا يجاهر من جهة أخرى بالقطع مع التوجه السلفي الذي يمثله المحدّثون عموما والحنابلة خصوصا.

يساعدنا على هذا التفسير لمجاهرة الأشعري بمخالفة المعتزلة على توسيع الرؤية ومزيد إبراز السياق الذي تندرج فيه تلك المسألة. عندئذ تضمر هذه القضية ويفهم خطاب الأشعري ضمن حركة الأفكار وتفاعلها أي أن دلالتها تتحوّل إلى مستوى الفعل والانفعال بين المذاهب والفرق الإسلامية المختلفة فيما بينها من أجل مقاومة الخصم الأخطر أي الاتجاه الباطني وعقيدته الدينية وما تفضي إليه. بمثل هذا التشخيص يتحوّل مسعى الأشعري ليصبح نتاجا اقتضاه إدراك وجود النقيض الباطني وما يعنيه بالنسبة إلى عالم الوجود السياسي والفكري السنّيين.

إذ أمكن لبعض خصوم الأشعري أن يتجاوز الحدود الضيقة للخلافات المذهبية مما أتاح له أن يتمثّل جانبا من جهد الأشعري التنظيري من أجل بناء علم لأصول الدين فإن العديد من الخصوم ظلّوا على مواقفهم ولم تقلل الأيام والسنون من عداوتهم. لا غرابة إذن أن واصل مثلا الحنابلة التقليديون رفضهم مسلك الأشعري باعتباره دفاعا عن السنة بطرق المتكلمين، لذلك ظل هذا الحل الوسط مستبعدا فظل علم الكلام - في حياة الأشعري وبعدها - مدانا من قبل عموم المحدّثين. انتقل الأشعري في أواخر حياته إلى بغداد حيث توفي وبها دفن سنة 324 هـ / 935 م. وتذكر الروايات أن بعض الحنابلة اعتدى على قبره، وفي ذلك تأكيد على مدى إعراض

البعض عن قبول أي تعديل في المنهج السلفي.

بعد ذلك وبمدة مديدة ألف ابن عساكر ـ أحد كبار علماء المذهب الأشعري والمتوفى في الثلث الأخير من القرن السادس للهجرة ـ كتابا بعنوان «تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام الأشعري»، حرص فيه على تبرئة الشيخ مما كان يُنسب إليه. فعل ذلك بعد أن مضى على وفاة الأشعري ما يزيد على القرنين؛ وفي هذا دلالة أخرى على مدى تواصل الخلاف العقدي والفكري بين المدرسة السلفية والاتجاه الأشعري، وعلى ما كان يرمز إليه مؤسس هذا الاتجاه بالنسبة إلى المحدثين وعلماء السلف.

يعد النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، وهي الفترة التي عاشها الأشعري، فترة ضعف الدولة العباسية خاصة وتدهور الأوضاع السياسية عامة. في هذه الفترة اندلعت ثورة الزنج والقرامطة في المشرق، كما تزايدت أهمية الدعوة الشيعية الفاطمية في المغرب. أما الحياة العلمية والفكرية فإنها واصلت نموّها بما للفقهاء والقراء والمتكلمين والأدباء من نشاط بلغ بالعراق آنذاك خاصة في البصرة وبغداد شأوا عظيما. إلى جانب هذا كان في العراق لأهل الذمة من النصارى واليهود والمجوس ولغيرهم مجال خصب عبروا فيه عن معتقداتهم وأفكارهم.

غير أن هذه المرحلة شهدت بروز مؤشرات ضعف خطيرة هددت البناء الحضاري والفكري وكان الحدث الأهم الذي وسم هذا القرن هو الصدام بين التيار السلفي للمحدثين والمدرسة الاعتزالية. مرّ هذا الصدام بمرحلتين كبيرتين: طور الإدانة السياسية في عهد المتوكل العباسي 234 هـ / 848 م ثم طور الإدانة الفكرية العقدية الذي تواصل بعد ذلك عقودا متوالية مما جعله محدّدا لمسار الأحداث التي عرفتها القرون الموالية وتعبيرا عن تراجع حضاري وديني عرفته ديار الإسلام.

ومن جهة أخرى فقد قوي الخلاف الفقهي في بغداد بين الحنابلة والشافعية. يذكر الحافظ ابن الأثير في «الكامل في التاريخ» أن الخليفة العباسي الراضي (ت 329 هـ / 940 م) لما عظُم أمر الحنابلة ببغداد كاتبهم يهددهم قائلا: «لئن لم تنتهوا عن مذموم مذهبكم ومعوج طريقتكم... ليستعملن السيف في رقابكم والنار في منازلكم ومحالّكم».

تقدم مثل هذه العبارات الموجزة جانبا من مظاهر هذا التراجع الذي ألمعنا إليه والذي نضيف إليه نوعا آخر من الصراع الذي نشب بين الحنابلة وبين الصوفية. ضمن هذا المشهد العام يمكن إدراك جانب من أهمية الأشعري وطبيعة الإضافة الفكرية التي يمثلها داخل الفضاء السنّي.

لكن جهود الرجل في هذا المجال على خطورتها لا ينبغي أن تنسينا جانبا آخر يحتاج إلى التأكيد في سياق استعراض السمات البارزة لعصر الأشعري. لقد كنا أشرنا سابقا إلى علاقة الأشعري بالطرف الآخر الباطني، ذلك الخصم المهاجم للعقل والمشكك في قدرته على المعرفة، ذلك «الذي يعرف الحق بمعرفة ضده ونقيضه». هذا الطرف الباطني الإسماعيلي الداعي إلى وجوب إمامة المعصوم الذي يعلم من أمر الربوبية والتوحيد ما لا يعلمه سائر الناس والذي يغترف من الحكمة الهرمسية والتعاليم الغنوصية مثل هذا

الطرف كان يمثل بالنسبة إلى خطاب الأشعري خاصة والسني عامة المنافس الأخطر لعدة اعتبارات لعلّ أهمها هو أنه قادر على بناء منظومة معرفية وكلامية وأخلاقية وسياسية مغايرة.

ضمن هذا السياق المعقد والدقيق يمكن أن ننظر إلى الأشعري على أنه مؤسس علم الكلام بمعناه الذي حدده ابن خلدون أي أنه العلم الذي يتضمن "الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعين". إن نظرنا إلى الرجل من هذه الزاوية تضاءلت أمامنا مرة أخرى مسألة انخلاعه من المذهب الاعتزالي بعد أن أقام عليه أربعين سنة، وبرزت أهميته من جهة كونه عاملا حاسما للانتقال بالدين من مرحلة الإيمان الأوليّ التأسيسي إلى الإيمان العقلي المؤسّس الذي يعبّر عن بلوغ الفكر العربي مرحلة جديدة من مراحل التطور. بهذا تصبح أهمية الأشعري متمثلة في إدراكه ضرورة الانتقال في تعقل الدين بما يتناسب واللحظة التاريخية الخاصة. من ثم يكون الأشعري هو الإمام الذي جعل من علم الكلام في مجمله حركة ينهض فيها الفكر العربي من موقع التديّن للدفاع بأساليب العقل عن إيمانه.

جاءت اهتمامات الأشعري العقدية والفكرية مؤكدة على مسائل إثبات وجود الله عن طريق حدوث العالم وخاصة عبر تغير الإنسان وتطوره كما عالجت قضية أسماء الله وصفاته (العلم، الإرادة، القدرة، الكلام)، فاعتبر أن هذه الصفات ليست ذاته كما يقول أهل الاعتزال بل هي لا عين الله ولا غيره، أما في خصوص موضوع كلام الله فقد اعتمد الأشعري رأي الحنابلة القائل بأن كلامه سبحانه غير مخلوق. من جهة أخرى رفض الأشعري التأويل لذلك فسر الآيات المتشابهة المتعلقة بيد الله وبجلوسه على العرش وما شابهها على الحقيقة دون تحديد كيفية، وقال بأن رؤية الله يوم القيامة تكون بتمكين الأصفياء ما يتيح لهم رؤيته تعالى .في خصوص القدر اعتبر الأشعري أن الله خالق كل شيء وأن الإنسان يفعل فعله عن طريق استطاعة وقدرة محدثة لا تكون عنده قبل القيام بالأمر أو بعده إنما هي تمكين من الله فقط، فالله هو الخالق الفعلي لأفعال العباد. بناء على هذا فقد ناقش الأشعري مسألة الشر فاعتبر أن الله لا يأمر به، وأن العقاب والثواب يتعلقان بأفعال العباد رغم أن الله هو الفاعل النهائي.

حدد مفهوم الإيمان والفسق والتكليف كما تناول مسألة الحسن والقبح مرسيا بذلك قواعد متميزة للاعتقاد معتبرا أن هذا السعي له أصول في القرآن والسنة.

إذ كان الأشعري قد تناول المسائل السابقة وما ارتبط بها فإنه كان يعبّر عن المعضلة الكبرى لعلم الكلام ألا وهي كيف يتأتى الكلام عن الله تعالى بلغة بشرية؟ للإجابة عن هذا التساؤل الأساسي اختار الأشعري موقفا وسطا جعل من خلاله طروحاته الكلامية متميزة من جهة عن التسليم الساذج الذي يعيد ما ورد في القرآن والسنة دون أي بناء أو حجج عقلية بشرية، وبين التجريد الفلسفي الصارم الذي لا يكاد يقيم وزنا للنص التأسيسي وضوابطه وحدوده.

بهذا المنهج أمكن للأشعري أن يوصل

لاستقامة النظر في الله وأن يثبت صدق النبي فاتحا الباب لمقولة «إن العلوم الدينية فروع من أصل واحد هو علم الكلام»، كل ذلك ضمن توجه عام وواسع لتقرير قواعد الاعتقاد ورسم الملامح الكبرى لمجال المعقول وحدوده.

انتشر مذهب الأشعري بعده انتشارا بطيئا، ففي أقصى المشرق كان أصحاب المذهب «الماتريدي» ينافسون الأشاعرة رغم تشابه مذهبيهما، أما في المغرب فقد حمل المذهب الأشعري محمد بن تومرت في بداية القرن السادس الهجري الثاني عشر للميلاد فذاع في القيروان وصقلية والأندلس.

كان للأشعري عدد هام من التلاميذ منهم من أخذ عنه مباشرة ومنهم أجيال متوالية من بينهم أعلام كالقاضي أبي بكر الباقلاني (ت 403 هـ / 1013 م)، ومحمد بن الحسن بن فورك (ت 406 هـ / 1016 م)، وإمام الحرمين عبد الملك الجويني (تت 478 هـ / 1085 م). ثم كان أبو حامد الغزالي صاحب كتاب الاقتصاد في الاعتقاد (ت 505 هـ / 1111 م) وهو يعدّ واسطة عقد المدرسة الأشعرية. لمع في القرون الموالية عدد من المتكلمين الأشاعرة فظهر فخر الدين الرازي (ت 606 هـ / 1209 م)، وعضد الدين الإيجي (ت 756 هـ/ 1355 م)، فعلي بن محمد الجرجاني (ت 816 هـ/ 1413 م). ثم تواصل التأليف ضمن هذه المدرسة حتى فترة متأخرة فظهر إبراهيم اللقاني في القرن الحادي عشر للهجرة والسابع عشر للميلاد، ثم إبراهيم البيغوري صاحب تحفة المريد على جوهرة التوحيد (ت 1271 هـ/ 1861 م).

هؤلاء الأعلام الأشاعرة وغيرهم وإن اختلفت أهمية إسهامهم الفكري والعقدي وتباينت طرق استدلالهم ومناهج تآليفهم، فإنهم ظلوا متفقين في معالجة الإشكال الرئيسي للعلاقة بين العقل والنقل. لقد كانوا على رأي مؤسس المذهب يعتبرون أن الأولوية للمنقول على المعقول: من ثم كان حرصهم على تقرير المقولة الواردة في كتاب «الإبانة» والمؤكدة على أن النص القرآني «يبقى على ظاهره» وأنه ليس لنا أن نؤوله إلا بحجة «وإلا فهو يبقى على ظاهره». بهذا تميزت تجربة الأشعري حين نهضت، ثم بعد أن نمت وتطورت كانت تعبيرا عن الفكر العربي المتديّن وهو يدافع بأسلوب العقل عن العقيدة الإسلامية، فمثّلت بذلك أحد جوانب القوة والغنى والتنوّع في التراث العربي الإسلامي من جهة، وكانت إشارة ودلالة على بعض مظاهر الضعف والقصور في ذلك التراث من جهة ثانية.

آثاره

أثبتت المصادر التاريخية والكلامية للأشعري عددا هاما من المصنفات بلغ الثلاثمائة لم يصلنا منها إلا القليل، نذكر من بينها العناوين التالية:

1 - الفصول، وفيه رد على من كان يعتبر من الملحدين والخارجين عن الملة؛ 2 - خلق الأعمال، وهو رد على المعتزلة؛ 3 - جواز رؤية الله بالأبصار، وهو نقض لأدلة المعتزلة في نفيهم الرؤية؛ 4 - جواب العمانيين، وجوابات أهل فارس؛ 5 - تفسير القرآن.

كما تنسب إليه أيضا كتب:

6 - إمامة الصديق؛ 7 - الرد على المجسّمة؛ 8 - الرد على ابن الراوندي؛

9 - الأسماء والأحكام؛ 10 - رسالة في الإيمان.

لكن أهم المؤلفات التي وصلتنا هي:

11 - الإبانة عن أصول الديانة، ألّفه بعد أن انفصل عن المذهب الاعتزالي، لذلك احتوى على فقرات فيها ولاء للتيار الحنبلي. في الكتاب بيان لرؤية الأشعري في عدة مسائل عقدية منها بحث في الصفات الإلهية؛ 12 - اللُمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، يقدم نموذجا للفكر الحجاجي لدى المؤلف ومدى ما حفظ عليه من المنهج العقلي الاعتزالي الذي نشأ فيه؛ 13 - مقالات الإسلاميين واختلاف المصلّين، تناول فيه نشوء الفرق الإسلامية وتطورها وأسند فيه كل مقال إلى قائله وفي الكتاب تعريف موضوعي بآراء شيوخه وتعريف بآرائه الخاصة؛ 14 - رسالة أهل الثغر، ألفها بعد تحوّله عن الاعتزال وهو رد على رسالة وردت عليه من الطرف الشرقي من القوقاز سنة 297 هـ/ 909م؛ 15 - رسالة استحسان الخوض في علم الكلام، أكد فيه على أن الخوض في المسائل الكلامية ليس من المحظور الشرعي باعتبار أن النص القرآني نفسه قد عالج مثل هذه القضايا. في هذا الكتاب ردّ على دعوى الحنابلة التي بدأها أحمد بن حنبل نفسه (ت. 241 هـ/ 855م) في ذم علم الكلام والنهي عن تناول مسائله.

تتميز هذه المؤلفات بلغة جدلية تتجه باستمرار إما للرد على الدهريين والملحدين واليهود والنصارى؛ وإما ـ وهذا هو الأغلب ـ للرد على أهل الاعتزال. بعض المؤلفات كانت عبارة عن ردود على رسائل ترد عليه من جهات مختلفة. كتب الأشعري إضافة إلى المسائل العقدية في التفسير، وفي أصول الفقه، مثل «الاجتهاد في الأحكام»، و«علة الخمر».

مما يذكر للأشعري عناوين أخرى بعضها ما زال مخطوطا مثل «شجرة اليقين» و«المقدمة في علم التوحيد» و«الدرة الفريدة في العقيدة» لكن عددا من الباحثين يذهب إلى أنها منتحلة نسبت إليه في فترات لاحقة وذلك لما لقيه الأشعري في القرون الموالية من شهرة ومكانة في جهات مختلفة من البلاد الإسلامية.

المصادر والمراجع

● أبو الحسن الأشعري، الإبانة في أصول الديانة [ط. حيدر آباد الهند] تح. فوقية حسين محمود دار الأنصار 1977 القاهرة؛ ● م.ن، مقالات الإسلاميين نشر أول مرة من قبل «هلموت رتر» في إستنبول سنة 1929، ثم حقق هذه الطبعة محمد محيي الدين عبد الحميد ونشرها في مطبعة السعادة بمصر سنة 1950؛ ● الأشقر، أبو الحسن، رسالة أهل الثغر، نشر محمد السيد الجليند سنة 1407 هـ؛ ● م.ن، اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، نشر أول مرة من قبل ربتشرد يوسف ماكرثي في بيروت 1953 ثم نشره ثانية حمودة غرابة في القاهرة، مكتبة الخانجي سنة 1955؛ ● م.ن، رسالة استحسان الخوض في علم الكلام... أوردها ع. ربدوي في مذاهب الإسلاميين، بيروت 1971؛ ● أبو القاسم، ابن عساكر الدمشقي، تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام الشيخ ابي الحسن الأشعري؛

مطبعة الترقي دمشق 1928؛ ● الباقلاني أبو بكر، التمهيد في الرد على الملحدة المعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة، تح. ريتشارد يوسف ماكرثي اليسوعي، المكتبة الشرقية، بيروت 1957؛ ● البغدادي، أبو منصور، أصول الدين، دار الكتب العلمية 1981 بيروت؛ ● م.ن، الفرق بين الفرق، تح. محيي الدين عبد الحميد، مط. المدني، د.ت. القاهرة؛ ● أحمد بن حنبل، رسالة في الرد على الزنادقة والجهمية (مجموع عقائد السلف)، نشره علي سامي النشار وجمعه الطالبي، دار المعارف 1971، الإسكندرية؛ ● الجويني، أبو المعالي، العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية، تصحيح وتعليق الشيخ محمد زاهد الكوثري، مط. الأنوار، القاهرة 1948؛ ● م.ن، الإرشاد في قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، تح. أسعد تميم، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت 1985؛ ● م.ن، الشامل في أصول الدين، تح. علي سامي النشار وآخرين، دار المعارف، الاسكندرية 1969؛ ● أبو حامد الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد، دار الأمانة، بيروت 1969؛ ● م.ن، فضائح الباطنية، تح. ع. ربدوي، مؤسسة دار الكتب الثقافية، د.ت، الكويت؛ ● م.ن، إلجام العوام عن علم الكلام، نشرة ميراز محمد شيراز بومباي، الهند د.ت؛ ● الإيجي، عضد الدين، المواقف في علم الكلام، عالم الكتب، د.ت. بيروت؛ ● السبكي، تاج الدين السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج 2/ 245؛ ● ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 1/ 326 وج 3/ 284؛ ● البغدادي الخطيب، تاريخ بغداد، ج 11/ 346؛ ● ابن كثير، البداية والنهاية، ج 11/ 187؛ ● ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب في أعيان من ذهب، ج 2/ ص303؛ ● كحالة عمر رضا، معجم المؤلفين، 7/ 35؛ ● سعيد بن سعيد العلوي، الخطاب الأشعري مساهمة في دراسة العقل العربي الإسلامي، بيروت، دار المنتخب العربي ط 1412/ 1992؛ ● الأنصاري حماد بن محمد، أبو الحسن الأشعري وعقيدته، ط 2. 1395/ 1975، الجامعة الإسلامية المدينة المنورة.

- M. Allard, Le problème des attributs divins dans la doctrine d'Al Ash'ari et ses premiers grands disciples, Beyrouth, Imp. Catholique 1965, 450 pp;
- M. Arkoun, Essais sur la pensée islamique, Maisonneuve et Larose, 1984, Paris;
- G. Makdesi; Ach'ari and achoarites in Islamic Religious History, in S.I. 17 (1962);
- R.J. Mac Carthy, The Theology of Al-Ash'arî, Beyrouth, Imp. catholique, 1953, 275 PP.
- W.M.Watt; E I, 2 Ed., I/715-716; Islamic Philosophy and Theology, Edenbourg, 1962.

د. أحميدة النيفر

جامعة الزيتونة ـ تونس

الأشعري القمي، سعد بن عبد اللـــه

(... هـ / ... م - 299 أو 301 هـ / 911 أو 913 م)

سعد بن عبد الله بن أبي خلف الأشعري القمي من كبار محدثي الشيعة، أصله من العرب، والأشعري نسبة إلى أشعر وهي قبيلة مشهورة من اليمن.

والأشعر هو نبت بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ.

لقب بالأشعر لأنّ أمّه ولدته والشعر على بدنه [اللباب، 1/ 51]، وقد هاجر بعض الأشعريين من اليمن إلى الكوفة ومنها إلى قم. وذكر الحسن بن علي بن عبد الملك القمي (ت805م) في كتابه [تاريخ قم، 242-245] إنه أوّل من هاجر من الأشعريين إلى قم أخوان هما عبد الله والأحوص ابنا سعد بن مالك بن عامر الأشعري سنة 62هـ/ 681م.

واستقبلهم يزدا نفار رئيس الناحية وأقطع لهما ووهبهما قرية قريبة من ناحية قم. وتشير مصادر ترجمة هذه الأسرة إلى أنّهم تركوا قم ورحلوا إلى الكوفة أيام ثورة زيد بن علي بن الحسن سنة 122هـ/ 739م أيام هشام بن عبد الملك، وبعد مقتل زيد أسر الأحوص وسجن وأطلق من السجن بعد سنين فرحل مع أخيه عبد الله إلى إيران ونزلا قم. إنّ أوّل من مصّر قم طلحة بن الأحوص الأشعري، وبدأ تمصيرها سنة 83هـ/ 802م أيام الحجاج بن يوسف الثقفي، وكان أمير سجستان من قبل الحجاج آنذاك عبد الرحمن بن الأشعث بن قيس ثم خرج عليه وكان في عسكره 17 شخصًا من علماء التابعين من العراق، ولما هزم ابن الأشعث وفر إلى كابل كان من جملة أنصاره إخوة هم: عبد الله، والأحوص، وعبد الرحمن، واسحاق، ونعيم بنو سعد بن مالك بن عامر الأشعري وذهبوا إلى قم وكان فيها 7 قرى اسم احداها كمندان فاستطاع الإخوة فتحها والسيطرة عليها وصارت السبع قرى سبع محال وسميت باسم إحداها وهي كمندان فأسقطوا بعض حروفها فسميت بتعريبهم قم.

وكان متقدم الإخوة عبد الله بن سعد وكان له ولد هو سعد بن عبد الله تربى بالكوفة فانتقل منها إلى قم وكان على المذهب الإمامي وهو الذي نقل التشيّع إلى قم. كان سعد من كبار محدّثي الشيعة ومن شيوخ رواية محمد بن قولويه. ذكره الطوسي في رجاله وعدّه من أصحاب الإمام الحسن العسكري، وقال: لم أعلم أنه روى عنه [الرجال، 475]. وذكره أيضًا في باب من لم يرو عن الأئمّة كما قال عنه سعد بن عبد الله القمي: يكنى أبا القاسم جليل القدر واسع الأخبار كثير التصانيف ثقة [الفهرست، 75] وأثنى عليه النجاشي (ت 450هـ/ 1085م) وقال: أبوالقاسم شيخ الطائفة وفقيهها ووجيهها [الرجال، 124] رحل في طلب الحديث. وسمع الحديث من شيوخ أهل السنّة ومنهم:

الحسن بن عرفة بن يزيد البغدادي العبدي المحدّث (ت257هـ/ 871م) [البداية والنهاية، 11/ 26]؛ ومحمّد بن عبد الملك الدقيقي؛ ومحمد بن إدريس، أبو حاتم الرازي (ت 277هـ- 895م) [هدية العارفين، 2/ 19]؛ وعباس البرقعي.

وكان سعد القمي قليل الحديث روى عن الحكم بن مسكين، أبو محمد من أهل الكوفة [رجال النجاشي، 105]. وروى عنه أحمد بن محمد بن عيسى بن عبد الله بن سعد بن مالك بن الأحوص الأشعري [رجال النجاشي، 64]، أشارت بعض المصادر ترجمته إلى قصة ملاقاته مع الإمام الحسن العسكري الإمام الحادي عشر عند الشيعة الإمامية وقد أثارت هذه القصة جدلا بين مترجم له وقد وثقها البعض وضعفها البعض الاخر [كمال الدين وتمام النعمة، 251-257].

توفّي سعد بن عبد الله الأشعري سنة 301هـ/ 913م أو 299هـ/ 911م في ولاية رستمداد من بلاد طبرستان.

آثاره

عرف سعد القمي بكثرة التصانيف وتنوّعها وقد أشارت مصادر ترجمته وهي: ذكر النجاشي أنّه صنف كتبا كثيرة منها:

1- كتاب الوضوء؛ 2- كتاب الصلاة؛ 3- كتاب الزكاة؛ 4- كتاب الصوم؛ 5- كتاب الحج، [رجال النجاشي، 134]؛ 6- كتاب بصائر الدرجات [فهرست الطوسي، 76]؛ 7- كتاب الضياء في الرد على المحمدية والجعفرية [رجال الجعفرية، 134]؛ 8- كتاب فرق الشيعة [رجال النجاشي، 134]، وسماها ابن شهرآشوب في معالم العلماء 54 باسم مقالات الإمامية؛ 9- كتاب الرد على الغلاة [رجال النجاشي، 134]؛ 10- كتاب ناسخ القرآن ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه [رجال النجاشي، 134]؛ 11- كتاب فضل الدعاء والذكر [رجال النجاشي، 134]؛ 12- كتاب جوامع الحج [رجال النجاشي، 134]؛ 13 كتاب مناقب رواة الحديث [فهرست الطوسي، 76]؛ 14- كتاب مثالب رواة الحديث [فهرست الطوسي، 76]؛ 15- كتاب المتعة [رجال النجاشي، 134]؛ 16 كتاب الرد على علي بن ابراهيم بن هاشم في معنى هشام ويونس [رجال النجاشي، 134]؛ 17- كتاب قيام الليل [رجال النجاشي، 134]؛ 18- كتاب الرد على المجبرة، [رجال النجاشي، 134]؛ 19- كتاب فضل قم والكوفة [معالم العلماء، 54]؛ 20- كتاب فضل أبي طالب وعبد المطلب وأبي النبي [معالم العلماء، 54]؛ 21- كتاب فضل العرب [رجال النجاشي، 134]؛ 22- كتاب الأمانة [رجال النجاشي، 134]؛ 23- كتاب فضل النبي ﷺ [رجال النجاشي، 134]؛ 24- كتاب الدعاء [رجال النجاشي، 134]؛ 25- كتاب الاستطاعة [رجال النجاشي، 134]؛ 26- كتاب احتجاج الشيعة على زيد بن ثابت في الفرائض [فهرست الطوسي، 76]؛ 27- كتاب النوادر [رجال النجاشي، 134]؛ 28- كتاب المنتخبات [معالم العلماء، 54]؛ 29- كتاب المزار [رجال النجاشي، 134]؛ 30- كتاب مثالب هشام ويونس [رجال النجاشي، 134]؛ 31- كتاب مناقب

الشيعة [رجال النجاشي، 134]؛ 32- فهرست كتب ما رواه [فهرست الطوسي، 76].

ومن أشهر كتب سعد القمي كتابه المقالات والفرق أو فرق الشيعة فان أهميته كبيرة في مجال الفرق وتكاد تكون أكثر من أهمّية كتاب النوبختي فرق الشيعة. وقد عمل الدكتور محمد جواد مشكور مقارنة بين الكتابين أثبت من خلالها أنّ سعد القمي ألّف كتابه بعد النوبختي فنقل منه وأضاف عليه، ولما كان سعد الأشعري من كبار محدّثي الإمامية فإن رجال الشيعة الإمامية كالكشي والطوسي يعتمدون على أقواله وينقلون أكثر المواضيع الخاصة بفرق الشيعة منه لا من النوبختي رغم أنه من كبار علماء الإمامية إلاّ أنهم عرّفوه من علماء الكلام والمتكلّمين وآثروا سعد بن عبد اللـه المحدث الفقيه.

فضلا عن أنّ أسلوب النوبختي أسلوب رجل لا أسلوب رجل محدث فقيه كسعد بن عبد اللـه الذي كان يلزم ذكر السند ورواة الأخبار على خلاف النوبختي الذي لم يثبت في كتابه المصادر والإسناد التي اقتبس منها [مقدمة كتاب المقالات والفرق، طهران، مطبعة حيدري، 1963].

المصادر والمراجع

● الطوسي، محمد بن الحسن، الرجال، 431، النجف، المطبعة الحيدرية، 1961؛ ● ابن النديم، الفهرست، ص75-76، المطبعة الحيدرية 1937؛ ● ابن شهر آشوب، محمد بن علي، معالم العلماء، ص 54، النجف، المطبعة الحيدرية 1961؛ ● النجاشي، أحمد بن علي بن العباس، الرجال، ص 133-135، طهران؛ ● الشيخ الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، ص 251-257، طهران؛ ● القمي الحسن بن علي بن عبد اللـه بن عبد الملك، تاريخ قم، ص242-245، طهران 1353هـ؛ ● ابن الأثير، علي بن محمد بن عبد الكريم، اللباب في تهذيب الأنساب، 1/ 51، مصر 1357هـ؛ ● اسماعيل باشا البغدادي، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، 2/ 188، 198 - 199، 244، 272، 311، 415، 424، 427، بغداد، مكتبة المثنى، أوفسيت؛ ● محسن الأمين، أعيان الشيعة، 34/ 188-191، بيروت، 1950؛ ● المامقاني، أبو علي عبد اللـه، تنقيح المقال في أحوال الرجال، 2/ 17، طبع حجر؛ ● كحّالة، عمر رضا، معجم المؤلّفين، 4/ 211، بيروت، دار إحياء التراث العربي؛ ● الصدر، حسن، تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام، ص 265، بغداد، شركة النشر والطباعة العراقية، 1951م.

د. نبيلة عبد المنعم داود
مركز إحياء التراث العلمي
بغداد ـ العراق

الأشعري المالقي، أبو عبد الله محمد بن يحيى

(674 هـ / 1275 م ـ 741 هـ / 1340 م)

أبو عبد الله محمد بن يحيى بن محمد بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن سعد الأشعري المالقي، محدّث، فقيه، مؤرخ. من ذرية الصحابي المعروف أبي موسى الأشعري، الذي دخل بعض أحفاده إلى الأندلس، وسكنوا في منطقة رية (Raiya)، لاسيما مدينة مالقة (Malaga)، التي ولد فيها عالمنا هذا في أواخر شهر ذي الحجة من عام 674 هـ/ 1275م. وقد درس في طفولته على أحد أقاربه، وهو الشيخ الفقيه القاضي أبي القاسم بن أحمد بن حسن السّكوت، فقرأ عليه القرآن بمنزله، ولازمه، وتأدب معه. كما اختص بالأستاذ الخطيب أبي محمد بن أبي السدّاد الباهلي الأموي، وقرأ عليه القرآن العظيم جمعاً وإفراداً، وأخذ عنه العربية والفقه والحديث. وقرأ أيضاً على الشيخ الراوية أبي عبد الله محمد بن عيّاش الخزرجي القرطبي، ودرس عليه الكثير من كتب الحديث، منها كتاب صحيح مسلم، الذي سمعه عليه جميعاً، باستثناء جزء بسيط منه. ومن أشياخه أيضاً الفقيه المشاور الصدر الكبير أبي عبد الله بن أبي عامر بن ربيع، والخطيب المُحدّث أبي عبد الله بن رُشيد الفهري المتوفى سنة 721 هـ/ 1321 م، والأستاذ أبي جعفر بن الزبير المتوفى سنة 708 هـ/ 1308م، والأستاذ أبي عبد الله محمد بن أحمد بن داود اللخمي المعروف بابن الكماد.

ولم يكتف محمد الأشعري بعلماء أهل بلده في الأندلس، بل كانت له رحلة إلى المشرق، ابتدأها بالعبور إلى مدينة سبتة، حيث أخذ العلم فيها عن عميد الشرفاء أبي علي بن أبي التُّقى طاهر بن ربيع، والعدل الراوية أبي فارس عبد العزيز بن إبراهيم الهواري، وأبي إسحاق إبراهيم بن أبي بكر بن عبد الله التلمساني الأنصاري المتوفى سنة 690 هـ / 1291 م، والحاج الراوية أبي عبد الله محمد ابن محمد بن الخضّار، والمقرئ أبي القاسم ابن عبد الرحيم القيسي، وغيره. أما في تونس، فقد التقى بالأديب المعمر أبي عبد الله محمد بن هارون، وأخذ عنه؛ وكذلك درس على أبي العباس أحمد بن محمد الأشعري المالقي نزيل تونس. ومن أشياخه في مصر النسابة شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الدمياطي، وأبي المعالي أحمد بن إسحاق الأبرقوهي، وغيرهما من الشيوخ الذين التقى بهم في رحلته إلى الديار المقدسة لأداء فريضة الحج، وزيارة بلاد الشام.

عاد الأشعري إلى بلده مالقة، بعد أن ازداد علماً نتيجة رحلته المشرقية، التي لابد أنها استغرقت فترة طويلة من الزمن، فصار كما يصفه تلميذه أبو الحسن النباهي المتوفى بعد سنة 793 هـ / 1390 م: «سبّاق الحلبات معرفةً بالأصول، والفروع، والعربية، واللغة، والتفسير، والقراءات، مبرزاً في علم الحديث

تاريخاً، وإسناداً، ونسخاً، وتصحيحاً، وضبطاً، حافظاً للألقاب والأسماء والكنى، فتصدّر في فنون العلم؛ وكان كثير النصيحة، حريصاً على الإفادة: فنفع وأدّب، وخرّج وهذّب ...» [المرقبة العليا، 142]. وقد ابتدأ أول أمره بالتدريس في المسجد القريب من سكناه احتسابا، ثم تقدم في مجال الخدمة العامة على نطاق مدينته، فأصبح من مشيختها، ناظراً في أمور العقد والحل، ومصالح الكافة؛ ثم ولي القضاء بها، فأظهر الصرامة والشدة، وترك الهوادة، وأنفذ الحق، الأمر الذي ألّب عليه الكثير من الحساد والواجدين، فنسبوا إليه أموراً حملته على الخروج من مالقة.

ولم يكن أمام الأشعري المالقي سوى التوجه إلى مدينة غرناطة (Granada)، التي أصبحت قبلة علماء الأندلس، بعد أن استقرت فيها أوضاع دولة بني نصر. فبقي فيها فترة يسيرة، ما لبث بعدها أن اشتهر نتيجة علمه واجتهاده، فقُدّم للخطبة بالمسجد الجامع الأعظم، ثم ولي قضاء الجماعة، وهو أكبر منصب قضائي في الأندلس. وهنا أيضاً قام الأشعري بدوره على أحسن وأشد ما يكون، فصدع بالحق، وجرّح الشهود، وزيّف عدداً كبيراً منهم. فاستُهدف بذلك إلى عداء الكثيرين، وناله مشقة وتعباً وكيداً عظيما، حتى أنه كان يمشي إلى الصلاة في الليل، وهو غير آمن على نفسه. ولكنه مع ذلك استمر على نهجه القويم، ونال تأييد سلطان البلاد أبي الحجاج يوسف الأول بن إسماعيل (733-755 هـ / 1333-1354 م)، الذي وجد فيه رجلاً صلباً لا تلين قناته، ولا ينثني عوده.

وعلى الرغم من مشاغل القضاء، استمر الأشعري في التدريس والإقراء، وتصدّر لبث العلم في حضرة غرناطة. فكان يُدرس العربية، والأصول، والفقه، وإقراء القرآن، وعلم الفرائض والحساب، وعقد مجالس الحديث، شرحاً وسماعاً. وكان من أشهر تلاميذه، العالم الأندلسي المعروف لسان الدين محمد ابن الخطيب المتوفى سنة 776 هـ/ 1374 م، وأبو الحسن بن الحسن النباهي، والأستاذ أبي سعيد بن قاسم بن لب، وأبو محمد بن عبد المهيمن بن محمد الحضرمي السبتي، الذي وصف أستاذه في مشيخته، بالإمام العدل النزيه العالم الخاشع الشهيد الفاضل [التنبكتي، نيل الابتهاج، 238]. وقد اقتدى معظم تلاميذه بسجايا أستاذهم، الذي كان عديم المبالاة بالملبس، عزيز النفس، فصاروا على هيئة متميزة من لباس واقتصاد، وجهد واجتهاد. وكان ينصحهم ، بعد تقوى الله العظيم، بخصال منها: عدم الكتابة بخط دقيق الحروف، لأنه يضر بالأبصار، ويقلل انتفاع الناس به، وأن يتمعنوا فيما يقرؤونه من كتب الشيوخ، ويكونوا من الديانة والدراية بمثابة من يُقبل قوله فيما يدعيه، ولا يكذب فيه. وكان يقول لهم أيضاً بأن القاضي الجيد، هو الذي يعرف بشكل تفصيلي كيفية التوثيق، وعقد الشروط، ومن لم يتمرن في هذا، ولا أخذ نفسه بالتفقُّد في كتب التوثيق، لا ينبغي أن يكون قاضياً، وإن كان قوياً فائقاً في سائر العلوم.

■ آثاره

لم يترك الأشعري من المؤلفات سوى كتاب واحد هو: التمهيد والبيان في فضل الشهيد

عثمان بن عفان رضي الله عنه، الذي جمعه من عدة كتب، وابتدأه بالقول: «أما بعد فهذا كتاب أذكر فيه مصرع الإمام الشهيد ذي النورين عثمان بن عفان ... الخ». والكتاب مرتب على اثني عشر باباً، في ذكر نسبه، وأولاده، وأزواجه، وإسلامه، وهجرته، وبيعته، وقصة الشورى، والخوض في حقه ومن حاصره وقتله، وموضع قبره، وخلافته، وصفته ولباسه، وما قيل في رثائه، والأخذ بثأره. وتوجد نسخة من الكتاب في دار الكتب المصرية، وهي مخطوطة بقلم معتاد، وبخط قديم، نُقلت عن نسخة المؤلف، وبها ترقيع وتقطيع، وأثر عرق، وبهامشها تقييدات عليها. ويبدو من تاريخ الفراغ من تأليفه، في شهر ذي القعدة سنة 699 هـ / 1299 م، أنه كتبه وهو في مقتبل حياته العلمية، عندما كان في الخامسة والعشرين من عمره. وقد أشار ابن الخطيب إلى بيتين يتيمين له من الشعر، لم يُسمع له سواهما، في وصف قوس عربي النسب، عدّهما في شعر من لا شعر له، وهما:

هام الفؤاد في بنت النّبع والنّشم
زوراً تُزري بعطف البان والصّنم
قوام قامتها تمّام معطفها
من يلق مقتلها تُصميه او تُصم

وخُتمت حياة الأشعري المالقي بالموت شهيداً في معركة طريف التي وقعت بين الجيوش الإسبانية المتحدة بقيادة الفونسو الحادي عشر (Alfonso XI) ملك قشتالة، وبين الجيوش المغربية بقيادة السلطان أبي الحسن المريني، ومعها قوات الأندلس بقيادة السلطان يوسف أبي الحجاج ملك غرناطة، على مقربة من ميناء طريف على مضيق جبل طارق، وذلك ضحى يوم الاثنين السابع من جمادى الأولى سنة 741 هـ / 1340 م. ولم يُخلّف المالقي ذُرّيّة من الذكور، ويُذكر أنه كان راكباً بغلته في المعركة، يُحرض على القتال، ويستحث الهمم، ويُشجع الأبطال على الثبات، ويُشير على الأمير أن يُكثر من قول «حسبنا الله ونعم الوكيل»، إلى أن كبت به بغلته، فأبى الانسحاب، وظل يُقاتل راجلاً رابط الجأش، مجتمع القوى، حتى استشهد وهو يردد قول الله تعالى في الشهداء: ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ [آل عمران: 170].

المصادر والمراجع

● ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تح. محمد عبد الله عنان، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1974: 2 / 176-180؛ ● أبو الحسن النباهي، المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، نشره ليفي بروفنسال بعنوان، تاريخ قضاة الأندلس، بيروت، المكتب التجاري، ص 141-147؛ ● ابن حجر، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تح. محمد سيد جاد الحق، ط 2، القاهرة، دار الكتب الحديثة، 1966، 5/ 55، الترجمة 4662؛ ● السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، المكتبة العصرية، 1964، 1/ 265-266، الترجمة 495؛ ● أحمد بابا التنبكتي، نيل الإبتهاج بتطريز الديباج، بهامش الديباج المذهب لابن فرحون، طبعة عباس بن عبد السلام بن شقرون، مصر، الفحامين،

1351 هـ، ص 237-238؛ ● المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح. إحسان عباس، بيروت، دار صادر، 1968، 5 / 75، 385-387، 540، 604؛ ● ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، بيروت، دار المسيرة، 6 / 132-133؛ ● ابن مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، بيروت، دار الكتاب اللبناني، عن طبعة المطبعة السلفية الأولى 1349 هـ، ص 213-214، الترجمة 747؛ ● البغدادي، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، إستانبول، 1947، أعادت مكتبة المثنى ببغداد طبعه بالأوفست، 1 / 322؛ ● البغدادي، هدية العارفين، إستانبول، 1955، أعادت مكتبة المثنى طبعه ببغداد، 2/ 150؛ ● فهرس الكتب العربية الموجودة بدار الكتب المصرية، القاهرة، 1926، 5/ 145؛ ● الزركلي، الأعلام، ط.، القاهرة، مطبعة كونستانوماس، 1955، 8/ 9؛ ● كحالة، معجم المؤلفين، دمشق، مطبعة الترقي، 1957، 12/ 110؛

● C. Brockelmann, Geschichte der Arabischen Litteratur, Leiden, J.E., Brill., II, S 371.

أ.د. عبد الواحد ذنون طه

جامعة الموصل ـ العراق

الأشقر، إميل حبشي

(1306 هـ / 1888 م - 1402 هـ / 1981 م)

ولد إميل في بيت شباب من قضاء المتن. والده شاعر معروف في زمانه. تعلّم في مدرسة القرية، ثمّ في مدرسة قرنة شهوان بين العامين 1900 و 1902م التابعة لمطرانيّة قبرص المارونيّة (اليوم أبرشيّة أنطلياس)، وكانت شبه كلّيّة، وقد أعطت غير مفكّر وكاتب وأديب.

امتاز بثقافة واسعة وبشغفه بالمطالعة الكثيفة، وبتعلّقه الشديد بالطبيعة، وإيثاره الريف، لذا عاش في ضيعته بيت شباب بعيداً عن الإعلام والبهرجة. عُرف بالتواضع، والنبل، والصدق، والفهم، والتفهّم، فكان عميق النظرة وحازماً في قراراته.

عمل موظّفاً في العدليّة اللبنانيّة كأمين سرّ محكمة الاستئناف العليا أيّام الانتداب الفرنسي بين العامين 1924 و 1928 م، ورأس بلديّة بيت شباب قبيل الحرب العالميّة الثانية. وعمل مدّة طويلة كاتباً إذاعيّاً في ألـ «بي بي سي» لندن، وفي إذاعة لبنان، فقدّم قصصاً تاريخيّة ومسرحيّات.

تزوّج ماري شاوول الحايك من بيت شباب ورُزِق منها ولدين هما يوسف الروائيّ المعروف، بهجت طبيب الأسنان. توفّي في 5 أيّار 1402 هـ/ 1981 م.

آثاره

ترك إميل حبشي الأشقر آثاراً متعدّدة في الصحافة والسياسة والتاريخ والأدب، راوحت بين المقالة والرواية المسرحيّة والبحث، كما له آثار ومخطوطات تاريخيّة لم تُنشر بعد.

1 - جريدة «النتيجة»، من آثاره الصحافيّة، أنشأها في بيت شباب أسبوعيّة في 4 نيسان العام 1912 م. وقد كتب فيها الافتتاحيّات والمقالات محارباً التدخّل التركيّ في شؤون لبنان داعياً إلى احترام نظام البروتوكول. وعالج في الجريدة موضوعات لبنانيّة عامّة، تناولت انتخابات مجلس الإدارة اللبنانيّ، و«جماعة الأرزيّين» وصراعهم مع المتصرّف يوسف باشا. وتهجّم على بقايا الأحزاب الكاذبة في لبنان التي لم تألف غير التعريض بالآخرين لغنم الرضى، واعتبر أنّ هذه الأحزاب ينقصها الأدب السياسيّ الراقي.

وانتشرت «النتيجة» في لبنان وبلاد الاغتراب، لكنّها أوقفت بحجّة أنّها معارضة لتوجّهات السياسة العثمانيّة، وبسبب عدم خضوع صاحبها للاجراءات التي طلبها جمال باشا من الصحف العام 1915 م، بأن يرسل أصحابها مسوّدات جرائدهم إلى الشام لأخذ الموافقة قبل نشرها، فتوقّفت جريدته العام 1915 م، فانتقل ليكتب فيما بعد في جريدة «النصير» وفي صحف أخرى. وأسهم الأشقر في تهذيب لغة الصحافة، وعمل جاهداً على صياغة إنشائيّة رائعة بعيداً عن السجع والمحسّنات، وعن العاميّة، فارتفع مستواها بفضل جهوده وخبرته العميقة.

2 - كتاب «جهاد لبنان واستشهاده». صدر عن مطبعة طبّاره، بيروت العام 1920م، وقدّمه «إلى الأجساد البالية التي تفصل بينه وبين طبقات الثرى، وإلى الأحبّاء النائمين في المنازل وخلف المنازل وإلى الجثث المكفّنة بالثلج، والملتفّة بقطعة من الحصير أو فضلة من الصوف، وإلى الجثث التي ربض الثعلب ينهش أجسادها في ظلام الليل، وإلى العظام التي جرفها السيل، فتبدّدت وانتشرت مثل قطع العاج».

أرّخ في هذا الكتاب بواقعيّة للمظاهر الاجتماعيّة والانسانيّة والتاريخيّة لمنطقة القاطع أي منطقة بيت شباب وجوارها في أثناء الحرب الكونيّة الأولى، وما تركته من آثار ومجاعة وموت في لبنان. ومرّ بأسماء بينها البطريرك المارونيّ الياس الحويّك الذي هرب من الأتراك ولجأ إلى منطقة القاطع متخفّياً في بيوتها. كما رصد حركة الليرة التركيّة المتدهورة في تلك الآونة وتقلّباتها وآثارها في الناس، والحالة التي آل إليها اللبنانيّون آنذاك.

ويُعَدّ كتابه من المراجع التاريخيّة والاقتصاديّة لمرحلة الحرب العالميّة الأولى، وهو يُدرَّس كوثيقة عن الحرب الأولى 1914-1918 في لبنان.

3 - ومن آثاره مجلّة «الليالي» التي أسّسها بداية مع ميشال حايك العام 1929 م، ثمّ انفرد بها ليصبح صاحبها ومحرّرها ومديرها.

وهي شهريّة تاريخيّة أدبيّة، ظهرت فيها رواياته التاريخيّة بحلقات متتابعة، وتوقّفت في العام 1941 م حيث عادت بعد انتهاء الحرب العالميّة الثانية لتحتجب من جديد بسبب مرض ألمّ بصاحبها، فتحوّل إلى الكتابة الإذاعيّة في إذاعتي الـ "بي بي سي" لندن ولبنان. ثمّ عادت "الليالي" إلى الصدور حتّى العام 1952 م حيث توقّفت نهائيّاً.

انتشرت المجلّة في لبنان وفي أقاصي سوريا وبلاد العرب على الرغم من صعوبات النقل وضعف الخدمات البريدية.

ولإميل الأشقر ست عشرة رواية، نشرها في مجلّة "الليالي" هي:

1 ـ ما قبل الإسلام:

1 ـ الحارث الأكبر الغسّانيّ؛ 2 ـ النعمان الثالث ملك العراق؛ 3 ـ بلقيس ملكة اليمن؛ 4 ـ زنّوبيا ملكة تدمر؛ 5 ـ حسناء الحجاز؛ 6 ـ الحارث ملك الأنباط.

2 ـ في تاريخ الإسلام:

كتب التاريخ الإسلاميّ، فوضع يده على الحقائق التاريخيّة التي لا مجال للبحث في صحّتها ودقّتها، وتناول شؤون الحياة السياسيّة والاجتماعيّة في عهد الخلفاء الراشدين وأتباعهم وما في ذلك العصر من أمور بالغة الأهمّيّة، ما كانت لتصل إلى القارئ لولا الجهود التي بذلها إميل حبشي الأشقر. ومن هذه الروايات: 7 ـ هند والمنذر (حول النزاع بين الخلفاء الراشدين)؛ 8 ـ السفّاح والمنصور (بداية العصر العبّاسيّ)؛ 9 ـ محمّد وكلثوم (التاريخ الأمويّ وفتوحات المغرب والأندلس)؛ 10 ـ أسد وكوثر (التاريخ العبّاسيّ)؛ 11 ـ جنون الهوى؛ 12 ـ الأمير العاشق؛ 13 ـ اليمنيّة الساحرة (تاريخ الأمويّين بعد معاوية)؛ 14 ـ على مذابح الهوى؛ 15 ـ مصارع الملوك في الإسلام.

امتازت "الليالي" باختيارها القصّة ذات الآمال الوطنيّة الخالصة، والحبّ العذريّ المتدفّق، والتاريخ المنبسط المكشوف فاستحوذت على عقول الطلّاب في حينها، وعلى مدارك الشيوخ، وأحبّتها الطبقات الأدبيّة جميعها، فكانت تقرأها بلذّة واستمتاع وبمتابعة حوادث الرواية حتّى النهاية.

وأرّخت للتاريخ العربيّ قبل الإسلام وبعده، وطرقت جميع الأبواب التي لم تكن معروفة من قبل، مثل تاريخ الأنباط في بترا، وتاريخ تدمر، وتاريخ غسّان في أوّل عهد المسيحيّة، وتاريخ العراق قبل المسيحيّة، وبلقيس ملكة اليمن. ثمّ كتبت قصّة الفتح الإسلاميّ. وكان للمجلّة دور مهمّ في زمانها بإطلاعها القرّاء على التاريخ القديم المندثر، بأسلوب روائيّ جميل، ولغة سهلة، ما أكسبها طابعاً جديداً امتاز بالابتكار والتجدّد، بدلاً من السرد التاريخيّ الصرف الذي يبعث السأم والضجر في نفس القارئ.

واعتمد على مصادر عربيّة وآسيويّة وغربيّة، وتقارير بعثات علماء الآثار والمؤرّخين. وقد كان الأشقر على اتّصال دائم بأعمالهم وإنجازاتهم، فزادت معلوماته، وقوي اطّلاعه على ما طرأ من أبحاث أثريّة، ممّا قوّى الروح العلميّة عنده، وصوّر الحقيقة كما ظهرت لوجدانه، وسبر غور الحوادث، فأظهر الأسباب والمعطيات التي أدّت إلى هذه الوقائع والحوادث التاريخيّة، بعد أن كان

يعتبرها بعضهم معجزات إلهيّة.

واعتبرت كتاباته امتداداً للحركة التاريخيّة التي شهدها المطلع الأوّل من عصر النهضة العربيّة، والتي كان من أبرز روّادها المؤرّخ الروائيّ جرجي زيدان.

برع في تشخيص التاريخ العربيّ وفي كتابة روايات تمثيليّة قلّ نظيرها في أدب العرب. فهو من الروّاد المؤرّخين المخضرمين، عاصر حركة الأدب منذ نهضته حتّى ملامحه الجديدة، وتمكّن من تطوير الرواية التاريخيّة العربيّة في محاولة لتبسيط لغتها وأسلوبها وإشباعها بروح عصريّة، فإذا الرواية التاريخيّة معه تخرج من إطارها المعهود ضمن المناخ الكلاسيكيّ المتوارث، وتحاول أن تؤسّس للملامح الروائيّة الأولى وإن بقي محورها أخبار العرب والأحداث التي عاشتها الحضارة العربيّة منذ العصر الجاهليّ حتّى فجر الإسلام و الحكم العبّاسيّ واتّجاهاته الاجتماعيّة والسياسيّة والاقتصاديّة.

حاول أن يجعل من الرواية فنّاً قائماً بعينه، بعد جرجي زيدان، إذ أعطى الأشقر نكهة خاصّة لتراثيّة الأسلوب الروائيّ السرديّ الواقعيّ لقصص الماضي، وهذا ما ميّزه عن جرجي زيدان وبعض الكتّاب اللبنانيّين الأوائل الذين تعاملوا مع تراثهم كأنّهم يتعاملون مع أساليب جامدة منقولة نقلاً عن بواطن الكتب. واستطاع بأسلوب رشيق، سلس، جميل العبارة، بعيد عن الزخرفة والتنميق أن يقصّ علينا روايات التاريخ العربيّ من الغساسنة إلى مصارع الملوك في الإسلام، ويشدّ تاريخ العرب والإسلام من دون أن يؤخذ عليه سقطة في كتابته بصدق وعمق بالغَيْن، مع الحرص دائماً على ألاّ يخلط الجد بالفكاهة، وألاّ يمزج بين البحث التاريخيّ والحوادث التاريخيّة.

والواقع أن هذا الشكل الروائيّ من التاريخ لقي رواجاً شديداً، ورغبت الخاصّة والعامّة في مطالعته. ومن هنا انتشرت مجلّة «الليالي» انتشاراً واسعاً.

أفادت رواياته جميع المسرحيّين اللبنانيّين في أعمالهم وكتّاب المسلسلات التلفزيونيّة في صوغ الحلقات الشائقة التي تكشف عن كنوز الماضي من خلال الذكريات والمشاهدات والصور المعبِّرة، وبذلك يكون قد فتح أمام الجميع أبواب الماضي العربيّ للعودة إليه لدراسة تراثه وشخصيّاته.

كانت رواياته شهيرة وفريدة في نوعها، ينشد فيها صاحبها قصصاً من قلمه ينسج مادّتها من خيوط التاريخ العربيّ. كان للخيال فيها دور وللواقع دور. والدور الأكبر للتاريخ مع حرصه على أن لا يزري بهذا الماضي، لا من بعيد، ولا من قريب. فلا يعبث بحرمته، ولا ينتقص من حقيقته ولا يتجنّى على ثوابته. وكان حذقه في حبك العقدة وفكّها مثار إعجاب النقّاد والقرّاء، وهو حذقٌ لم يعرفه إلاّ القليل من أصحاب هذا اللون. أمّا بيانه فبيان كاتب وقف على أسرار العربيّة وألف العديد من كبار كتّابها. وهكذا استطاع أن يذهب في القصّة التاريخيّة إلى أبعد ممّا ذهب إليه جرجي زيدان رائد هذا الفنّ.

يشار إلى إنّ الروايات كانت تنشر في مجلّة «الليالي» بترقيم متتالٍ ومتتابع بغية جمعها بسهولة في كتاب كما جرى. كما إنّ المجلّة

أعطيت أرقاماً جديدة في صفحاته الأخيرة تتحدّث عن شؤون محلّيّة وبعض الأخبار والكوارث والانتخابات البلديّة، وأغراض دعائيّة.

فضلاً عن مجلّة «الليالي»، اهتمّ إميل حبشي الأشقر بالشعر، وله في هذا المجال قصيدة «علم الأرز» نشرتها له جريدة «السلام» الصادرة في الأرجنتين. كما له العديد من المقالات والمنشورات في الصحافة.

والخلاصة إن إميل حبشي الأشقر كان صفحة مشرقة في طريقة كتابة التاريخ العربيّ بأسلوب روائيّ مغاير وجديد. وهو ظاهرة خلاّقة مميّزة مبدعة، ومعلّم من معلّمي الكتابة، وقد عمل في هذا الحقل سبعين عاماً من أصل ثلاثة وتسعين عاماً من عمره، وهو رائد الرواية العربيّة بامتياز.

المصادر والمراجع

1 ـ الكتب:

● أرشيف مايا يوسف حبشي الأشقر؛ ● باسيلا، جوزف، نوافذ على الشرق والغرب، طبعة ثانية، الجزء الأوّل، دار المفيد، 1994، ص 199؛ ● دي طرازي، الفيكونت فيليب، تاريخ الصحافة العربيّة، ج 4، مطابع دار صادر، بيروت، 1967، ص 30، 124؛ ● الرامي، الخوري جان، مسيرة مدرسة قرنة شهوان عبر ثلاثة قرون، منشورات مدرسة مار يوسف قرنة شهوان، 2003، ص 73؛ ● عارج سعاده، جورج، الصحافة في لبنان، ط 1، وكالة النشر العربية، جونيه ـ لبنان، 1965، ص 208، 210؛ ● الفيصل، سمر روحي، معجم الروائيّين العرب، ط 1، جرّوس برسّ، طرابلس ـ لبنان، 1995، ص 61؛ ● هارون، جورج، معجم الصحف اللبنانيّة في المناطق اللبنانيّة 1867-1984، إعلام وتوثيق 17، الجامعة اللبنانيّة، كلّيّة الإعلام والتوثيق، الفنار، 1985، ص7؛

2 ـ الجرائد والموسوعات:

الأنوار، 16 أيّار 1986؛ الليالي، العددان 11 و 12، ● السنة 14، بيت شباب، تشرين الثاني وكانون الأوّل 1952؛ ● النتيجة، عدد 55، السنة الثانية، الجمعة 23 أيّار 1913؛ ● النهار، 13 أيّار 1981؛

- Encyclopédie Maronite, t.I, Université Saint Esprit, Kaslik, Liban, 1992, p.289.

د. يوسف لبكي

الجامعة اللبنانية ـ بيروت ـ لبنان

الأشقر، يوسف حبشي

(1348 هـ / 1929 م - 1413 هـ / 1992 م)

ولد يوسف حبشي الأشقر في بيت شباب من قضاء المتن لبنان العام 1929 م/ 1348 هـ. والده الصحافيّ والأديب إميل حبشي الأشقر صاحب جريدة «النتيجة»، ومجلّة «الليالي» ومؤلّف أكثر من ستّة عشر كتاباً حول تاريخ العرب ما قبل الإسلام وبعده.

تلقى دروسه الابتدائيّة والمتوسّطة في مدرسة «الناشئة الوطنيّة» في بيت شباب لصاحبها الأديب جورج مصروعة ما بين العامين 1934 و 1941 م، ثمّ انتقل إلى مدرسة القدّيس يوسف للآباء اليسوعيّين في بيروت وبقي فيها حتّى العام 1948. التحق بجامعة القدّيس يوسف للآباء اليسوعيّين ما بين 1948 و1951 م، وتخرّج فيها مع شهادة في الحقوق العامّة والفلسفة.. ودرس كذلك الفلسفة العامّة والمنطق وتاريخ الفلسفة في الأكاديميّة اللبنانيّة العام 1954 م. تزوّج سيلفي الغزال العام 1958 م، ورزق منها ثلاثة أولاد هم: إميل، ومايا، ومارسيل.

لم يمارس مهنة المحاماة بتاتاً، ورفض منصب القاضي الذي عُرض عليه. عمل في أواخر الأربعينات موظّفاً مياوماً في وزارة البريد والبرق والهاتف. وعندما أنهى دراسته الجامعيّة انتقل إلى العمل في وزارة العمل والشؤون الاجتماعيّة، ثمّ عُيّن مديراً فنّيّاً في صندوق الضمان الاجتماعي.

مارس الصحافة الأدبيّة في مجلاّت عديدة أبرزها: الحكمة، الأجيال الجديدة وملحق النهار الأدبيّ. وكتب فيها أشعاراً حرّة وقصصاً قصيرة. وأنس في نفسه ميلاً إلى النقد، فإذا عنوانه الشهريّ «ما يُقرأ وما لا يُقرأ» في الحكمة وكأنّه السوط المُسلّط على كل نتاج رديء. وفي بداياته الأدبيّة كتب الشعر المنثور. كان عضواً في جمعيّة «أهل القلم» اللبنانيّة مع صلاح لبكي، وإدوار حنين، وفي مجلس المتن الشمالي للثقافة، وندوة الثلثاء، والرابطة اللبنانيّة للآداب والفنون التي أعلنت ميثاقها العام 1963 م، وضمّت إميلي نصر الله، وميشال أسمر، وسعيد أ.عقل، وأدونيس، ورئيف أبي اللمع، قام بزيارات إلى مصر وسوريا وبعض الدول الأوروبيّة. توفّي في 5 آب 1413 هـ/ 1992 م.

مع يوسف حبشي الأشقر وصلت الكتابة القصصيّة المعاصرة إلى قلب الحداثة، ولم تعد حرفة يتقنها صاحبها ويوظّفها في خدمة أغراض اجتماعيّة أو سياسيّة. ولم تعد فعل شهادة على الواقع، سيّئاً أكان أم جيّداً، بل صارت فعل خلق وإبداع وعالما من الوهم والتخيّل قائماً بعينه.

مال أكثر إلى كتابة القصّة القصيرة، وغلبت على ذوقه. وتخوّف من كتابة الرواية الكبيرة عند العرب. وأعجب بأكبر أدباء روسيا كدوستويفسكي، وغوغول، وتولستوي، وغوركي.

تمتاز قصصه بالواقعيّة، ولكنّها واقعيّة من نوع

آخر. إنّها لا تطمع في إعطاء القارئ صورة وهميّة عن الواقع، ولكنّها تسعى لإعطائه الصورة الحقيقيّة الفعليّة لحياة الروح والجسد، بما فيها من اضطراب وعبث وتناقض وفوضى. إنّها تتقصّى أدقّ خلجات النفس، ليس المضاء منها الجليّ العائم على سطح الوعي فقط، ولكن الغارق أيضاً في ما تحت الوعي وحتّى الدفين في أعمق أعماق اللاوعي.

فهو استمدّ كتابته من معين الواقع عبر الصور التي أحياها في الريف أو في المدينة حيث يمثّل الريف عنده الجمال والبساطة، وفيه من القديم الذي ذكّره بطفولته. وأدخل إلى واقعيّته النمط التحليليّ البسيكولوجيّ أكثر ممّا توقّف عند الوصف الخارجيّ. وجعل المدينة حركة دائمة، وحمّل أبطاله الصدق والكذب والبساطة والتكبّر والحبّ في العطاء والاحترام، والجمال والبشاعة. فمثّلت بيت شباب نمط الحياة في القرية اللبنانيّة في العادات والتقاليد، كما مثّلت مدينة بيروت نمط التجارة والاستهلاك اليوميّ لآليّة الحياة بكلّ تغريبها وظروفها. ومن هذه الأمكنة، استوحى الصور، صور الخير والشرّ والحبّ والكراهية والحقّ والجمال وعكسها. فألبس أشخاصه قناع العالم الإنساني في صراعهم مع الحياة اليوميّة، وجعلهم يعتلون خشبة المسرح على خبرة وإتقان لعبة الفنّ والتركيب.

بدت الرومانسيّة في أدبه حالة وتجربة معاً. هي حالة ثابتة عند بعض شخصيّات الريفيّة، من التي لم تلوّث المدينة ريفيّتها الصافية، كما في كتابه «الأرض القديمة». وهي نتيجة تجربة عند شخصيّات أخرى دخلت معترك المدينة وخاضته، كما في روايتي «أربعة افراس حمر» و«لا تنبت جذور في السماء».

والرومانسيّة عنده حلّ من الحلول الممكنة للإنسان الباحث عن حرّيّته، كانت الواقعيّة أحدها كما الرمزيّة كما العبثيّة أحياناً. ولم ينظر إلى الرومانسيّة على أنّها يقين على مستوى المثال، بل نظر إليها على أنّها حقيقة على مستوى الإنسان. ولأنّ كلّ إنسان يخترع حلّه وفق ما يلائم وما لا يلائم، ولأنّ المدينة كانت قد بدأت تتحكّم في إنسانها، وتحوّل الريف تراكماً زمنيّاً ماضياً، ارتدت الرومانسيّة معه نسبيّتها، كما ظهرت بغلالة المأساة.

وتُستشفّ الرومانسيّة عنده من خلال التطوّر الدراميّ لقصصه ورواياته، وتأتي غامضة وممتزجة بمناخ فلسفيّة وشعوريّة. وقد دارت حول ثلاثة محاور هي: الأرض والحبّ والإيمان. والأرض تعني الريف، ولكنّه ريف مهزوم، يحاول عبثاً أن يوقف هجوم المدينة عليه، ويجاهد إنسانه بعنادٍ ومكابرةٍ ليتشبّث بما بقي له من مُثُل، نقضتها المدينة والحياة الجديدة. والريف هنا يحمل مأساة جيل عرف طعم التمزّق بين ماضٍ وحاضر، ويحمل وجع إنسان صفعته الحضارة بأعزّ ما عنده من الحبّ والإيمان والفرح وأنقاها. وقد وعى الأشقر هذا الريف فجاءت معاناته أكثر عمقاً، ورومانسيّته أكثر حزناً ومأسويّة. وهو يرى أنّ الباقي من الريف بعض العادات والتقاليد التي تمارس على سبيل التذكّر والتذكير ليس إلاّ. لكنّ هذا الواقع الريفيّ الذي وعاه الأشقر بعقله رفضه بروحه، أي إنّ التجربة التي هزمت العقل وسلبته يقينه وقفت أمام القلب عاجزة عن أن تسلبه حبّه للريف وعزاءه فيه، وفي هذا الصراع بين العقل المنهزم والقلب المقاوم سرّ رومانسيّته. وهذا الصراع يكاد يكون السمة البارزة لشخصيّاته كلّها. ولا ينفصل محور

الريف عن الحبّ والإيمان. فبعض شخصيّاته يعاني تمزّقاً بين الريف والمدينة، وتمزّقاً بين حبّ يريده القلب ووجوديّة ترفض هذا الحبّ وتحاربه. كما أنّها تقاسي معاناة في الإيمان أيضاً، إذ هي في بحث دائم عن الله من دون أن تصل إليه أو تيأس منه.

آثاره

وضع يوسف حبشي الأشقر عدداً من المؤلّفات تنوّعت بين القصّة والرواية أهمّها:

1) في مجال القصّة القصيرة: وهي أوّل نتاجه، وقد بذر فيها أفكاره، وجاء حصاده جيّد الجنى بإصدارات هي:

1 ـ طعم الرماد، بيروت، 1952، وهو مجموعة قصص بدأ بها بعد أن أقلع عن كتابة الشعر الحرّ؛ 2 ـ ليل الشتاء، دار المكشوف، بيروت، 1955، نالت جائزة يوسف اسكندر نصر بإشراف جمعيّة أهل القلم. وفيه أربع قصص، محتواها أن لا عناية إلهيّة في الدنيا ولا قدر مكتوباً ولا رعاية لهذا العالم ولا للإنسان، بل كل ما يحصل هو من باب المصادفة؛ 3 ـ شقّ الفجر، قصّة، دار الثقافة، بيروت، 1956، وفيه زوال نوع معيّن من الحضارة التي تؤمن بالقلم والمعرفة ولا تصل في نهايتها بالإنسان إلاّ إلى فقدان الله وتالياً إلى التعاسة الفكريّة؛ 4 ـ الأرض القديمة، مجموعة قصص، المطبعة المخلّصيّة، صيدا، 1963، نالت جائزة أصدقاء الكتاب، وهو مجموعة من أربع قصص عن أربع شخصيّات في الضيعة كانت موجودة عن حقّ وكان هو يعرفها عن قرب. وقد ساعده خلقها من جديد على المصالحة نسبيّا مع الضيعة؛ 5 ـ وجوه من الأرض القديمة، مجموعة قصص، المكتبة الأهليّة، 1983، وهي مجموعة قصص ريفيّة قد تكون من أكثر كتاباته قسوة عن بشر ومجتمع اكتشفهم أثناء سكناه الضيعة وزادت ملامته وعتبه عليهم ويأسه من العودة إلى مكان الصفاء والسلام الذي تخيّله في «شقّ الفجر» و«الأرض القديمة»، والذي ظنّ يوماً أنه ربيع جديد لدنيانا. كتبها وكأنّه ينتقم لبراءته التي كتبت «الأرض القديمة» وطُعِنت في مثاليّتها؛ 6 ـ آخر القدماء، المكتبة الأهليّة، بيروت، 1984، كتاب هو مجموعة قصص ريفيّة أيضاً، رجع فيها إلى اللجوء فكريّاً ونفسيّاً في عمليّة حنين واسعة وعميقة إلى الضيعة التي عرفها وهو طفل والتي عرفها أجداده وآباؤه من قبله. وكأنّه فيه يستحضر بركة من القدامى تغفر للحديثين خطاياهم.

2) الرواية: وقد كتبها بتأنٍّ، وأعطى على التوالي:

1 ـ أربعة أفراس حمر، المكتبة العصريّة، بيروت، 1964، كتاب يُعَدُّ نقلة نوعيّة من القصّة القصيرة إلى الرواية. وهذا الكتاب قصّة جيله والجيل الذي سبقه بقليل والذي خسر نفسه في الحضارة الجديدة ولم يستطع أبداً أن يسترجعها ولا رضي بخسارتها ولا استطاع أن يعوّض عنها في أيّ من المجالات لأنّه كان قد فقد المقدّس فيها أي المطلق الإيمانيّ؛ 2 ـ لا تنبت جذور في السماء، رواية، دار النهار للنشر، بيروت، 1971، وهي محطّة كتابيّة وفكريّة مهمّة، إذ كانت بمثابة إعلان الحشرجة الأخيرة مع الإيمان والله والمطلق ونهاية التمزّق والتفتيش وبداية الاستسلام

الأكبر؛ 3 ـ المظلّة والملك وهاجس الموت، دار النهار للنشر، بيروت، 1981، وهو كتاب يصعب تحديده إذ إنّه لا يصنّف لا بالرواية ولا بالقصص، ويشكّل علامة فارقة جداً إنْ من ناحية الأسلوب القصّيّ أو من ناحية المضمون. وهذا الكتاب هو شهادة قام بها ضدّ الحرب اللبنانيّة التي لم يؤيّدها يوماً. إنّه قصّة الملك ـ الكاتب ـ الذي يُنتزع منه عرشه عندما تتمزّق مظلّة القناعات والآمال فجأةً وتنسج أشلاؤها هاجس الموت؛ 4 ـ الظلّ والصدى، رواية، دار النهار للنشر، بيروت، 1989. هذه الرواية كانت محاولة لخلق الرواية الشاملة التي هي حلم كلّ روائيّ. وينتهي فيها جيله المتّصل بمئات السنين من الجذور والتشبّث بالبقاء. وهي أوّل محاولة غوص في شطر من الوطن هو شطر مجتمعيّ.

وقد كتب هذه القصص والروايات في أماكن استدعته إليها توجّهات الكتابة كالمقهى والمكتب والبيت وغيرها.

كما كتب عدداً من **المسلسلات التلفزيونيّة** منها: والضيعة بألف خير العام 1971 م، ووجوه العام 1984، وحسّون العام 1985، ومبارك العام 1986، وميليا العام 1987 م، وترك مجموعة من المقالات والأبحاث المتنوّعة.

المصادر والمراجع

1 ـ الكتب:

● أبو شقرا، إيلي، وظائف المكان النفسيّة في ثلاثيّة يوسف حبشي الأشقر، رسالة دبلوم الدراسات العليا في اللغة العربيّة وآدابها، الجامعة اللبنانيّة، كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، 2003؛ ● الأدب اللبنانيّ الحيّ، تقديم صبحي البستاني، دار النهار للنشر، بيروت، 1988، ص 81-110؛ ● أعلام الثقافة في لبنان 6، المهرجان اللبنانيّ للكتاب، السنة 10، الحركة الثقافيّة أنطلياس، 1991، ص 35؛ ● عسّاف، جوزيف بشارة، الشخصيّات في رواية «لا تنبت جذور في السماء» ليوسف حبشي الأشقر مع مقارنتها بشخصيّات «قرف» لفؤاد كنعان، دراسة أُعِدّت لنيل دبلوم الدراسات العليا في اللغة العربيّة وآدابها، الجامعة اللبنانيّة، كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، الفرع الثاني، الفنار، 1987؛ ● تحوّلات الريف والمدينة في القصّة اللبنانيّة المعاصرة، أطروحة دكتوراه دولة في اللغة العربيّة وآدابها، الجامعة اللبنانيّة، كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، الفرع الثاني، الفنار، 1992؛ ● كامبل، الأب روبرت ب. اليسوعيّ، أعلام الأدب العربيّ المعاصر سيَر وسيَر ذاتيّة، المجلّد 1، ط 1، المعهد الألمانيّ للأبحاث الشرقيّة في بيروت 62، بيروت، 1996، ص 264- 266؛

2 ـ الجرائد والمجلّات:

● الأديب، السنة 22، الجزء 7، المجلد 44، (يوليو 1963)، ص 57؛ ● السفير، 7 آب 1992؛ ● ملحق النهار، العدد 559، 24 تشرين الثاني 2002؛

د. يوسف لبكي

الجامعة اللبنانية ـ بيروت ـ لبنان

ابن الأشم، عبدالله بن الزّبير الأسدي

(... هـ / ... م - 90 هـ / 807 م)

هو عبد الله بن الزّبير (بفتح الزاي) بن الأشم بن الأعشى بن بجرة [الأغاني 14/ 208] بن ثعلبة بن دودان بن أسد [معجم قبائل العرب 1/ 21 - كحّالة]، قاتلوا مع عبيد الله بن زياد سنة 61 هـ الحسين بن علي ابن أبي طالب [معجم قبائل العرب 1/ 23؛ كحّالة] ولد ونشأ بالكوفة إبّان التحولات الكبيرة فيها، حيث انتقال عاصمة الخلافة الإسلاميّة إليها أثناء خلافة علي بن أبي طالب (سنة 35 هـ) والصراع بين علي ومعاوية (سنة 36 هـ) ثم خلافة معاوية (سنة 40 هـ) فخلافة ابنه يزيد (سنة 60 هـ) فمعاوية بن يزيد (سنة 64 هـ) فخلافة عبد الله بن الزّبير (سنة 64هـ) فمروان بن الحكم فابنه عبد الملك (سنة 65 هـ)، وبقي على قيد الحياة حتى تولى الحجاج بن يوسف الثقفي (سنة 95 هـ) الكوفة لعبد الملك بن مروان، وسار في بعث الري (خراسان) مرغما فيمن سيّرهم الحجاج في بعث المهلب بن أبي صفرة (سنة 82 هـ) لمحاربة الخوارج كما في قوله: [طويل].

أَقُولُ لإِبْرَاهِيمَ لَمَّا لَقِيتُه
أَرَى الأَمْرَ أَضْحَى مُنْصَبا مُتَشَعِّبَا

تَجَهَّزْ وَأَسْرِعْ فَالحَقِ الجَيْشَ لا أَرَى
سِوَى الجَيْشِ إلا في المَهَالِكِ مَذْهبا

تَخَيَّرْ فَإِمَّا أَن تَزُورَ ابنَ ضَابِئٍ
عُمَيْرًا وإمّا أن تَزُورَ المُهَلَّبَا

هُمَا خُطَّتا خَسْفٍ نَجَاؤكَ مِنْهُمَا
رُكُوبُكَ مُولَيًا مِنَ الثَّلْجِ أَشْعَبَا

[الكامل في التاريخ 4/ 379].

وصفته الكثير من المصادر التي ترجمت له بأنّه شاعر هجاء، حاد المزاج، أمويّ الهوى، إلاّ أنّ المتأمّل فيما بقي من شعره يرى أنّ عبد الله بن الزّبير قد أخلص للأمويّين شعره ما ينم عن إخلاص ووفاء، وتفاعل معهم على نحو مصلحته الشخصيّة، فكان شعره شاهداً على الكثير مما وقع في عصره من أحداث. ولفصاحة هذا الشعر وصحته استمد منه اللغويون والنحويون بعضا من شواهدهم.

ليس لعبد الله بن الزّبير ديوان شعر مخطوط، فشعره مفرّق في بطون كتب الأدب والتاريخ والنحو واللّغة، جمعه ووثّقه يحيى الجبوري في كتاب بعنوان «شعر عبد الله بن الزّبير الأسدي» وهو عبارة عن نتف وأبيات وقليل من القصائد، وقد قسّمه الدارس إلى ثلاثة أقسام، أفرد القسم الأول لدراسة حياته وشعره، وخصّ القسم الثاني بالشعر المؤكد نسبته لابن الزّبير الأسدي، أمّا القسم الثالث فقد ذكر فيه الشعر المنسوب له ولغيره من شعراء عصره، كما ورد في المصادر المختلفة، وأهمّ فنون شعره: المدح، والهجاء، والرثاء، وقليل من الوصف.، أسلوبه متين، يغلب على لغته البداوة، من

أهم مميّزاته الموضوعيّة: العصبية الجاهليّة والعاطفة الإسلاميّة. قال في مقتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة رسولي الحسين بن علي إلى أهل الكوفة وقد كان واليها من قبل الأمويين عبيد الله بن زياد (ت 60 هـ): [طويل].

إنْ كُنْتِ لاَ تَدْرِينَ مَا الموْتُ فانْظُرِي
إلى هَانِئٍ في السُّوقِ وابنِ عَقيلِ
إلى بَطَلٍ قَدْ هَشَّمَ السَّيْفُ وَجْهَهُ
وآخرَ يَهْوِي من طَمَارِ قَتيلِ
أصَابَهُمَا أمْرُ الأميرِ فأصْبَحَا
أحَادِيثَ مَنْ يَسْرِي بِكُلِّ سَبِيلِ
تَرَيْ جَسَدًا قَدْ غيَّرَ المَوْتُ لَوْنَهُ
وَنَضْحُ دَمٍ قَدْ سَالَ كُلَّ مَسِيلِ
فَتى هُوَ أحْيَا مِنْ فَتَاةٍ حَيِيَّةٍ
وأقطعُ من ذي شَفْرَتينِ صَقيلِ

[شعر عبد الله بن الزبير، ص 115].

وكان أهل المدينة كرهوا خلافة يزيد بن معاوية، وخلعوه، وحصروا من كان فيها من بني أمية، وأخافوهم، فوجه إليهم يزيد جيشا قمع ثورتهم في وقعة الحرّة (سنة 63 هـ) وكان من بين القتلى يعقوب بن طلحة، ابن خالة يزيد بن معاوية، وكان الذي جاء ينعيه إلى الكوفة رجل يُقال له الكروّس، فقال ابن الزّبير يرثيه: [الطويل].

لَعَمْرُكَ مَا هَذا بعَيْشٍ فَيُبْتَغَى
هَنيء وَلاَ مَوْتٍ يُريح سَريعِ
لَعَمْرِي لَقَد جَاءَ الكروّسُ كَاظِمًا
عَلَى أمْرِ سوءٍ حِينَ شَاعَ فَظِيعِ
نَعَى أسْرَةَ يَعْقُوبَ مِنْهُم فأثمرت
مَنَازِلُهُم مِن رَوْمَةٍ فَبَقيعِ
وَكُلُّهُمُ غَيثٌ إذَا قَحطَ الوَرَى
وَيعقُوبُ مِنْهُم للأنامِ رَبيعُ

[الأغاني 14/ 226] (وفي البيت إقواء).

ومن تقلبه بين الهجاء والمدح بناء على العلاقات الشخصيّة والمصالح الماديّة قوله يهجو عبد الله بن الزّبير بن العوام (ت 73 هـ) حين منعه العطاء: [الوافر]

أرَى الحَاجَاتِ عِنْدَ أبِي خُبَيبٍ
نَكِدنَ وَلاَ أمَيَّةَ في البِلاَدِ
وَمَا لِي حِينَ أقْطَعُ ذَاتَ عِرْقٍ
إلى ابنِ الكَاهِلِيَّةِ مِنْ مَعَادِ
وَقُلْتُ لِصُحْبَتِي أدْنُوا رِكَابِي
أُفَارِقُ بَطْنَ مَكّةَ في سَوَادِ

[تهذيب تاريخ دمشق 6/ 427]

ويمدح مصعب بن الزّبير (ت 71 هـ) حين عفا عنه وبرّه في قوله: [الطويل].

جَزَى اللهُ خَيْرًا مُصْعَبًا إنَّ خَيْرَهُ
يَنَالُ بِهِ الجانِي وَمن لَيْسَ جَانِيا
وَيَعْفُو عَنِ الذَّنْبِ الذِي يَعْلَمُونَهُ
وَيُعْطِي مِنَ المعْرُوفِ مَا لَيْسَ خَابِيا

[الأخبار الموفقيات، ص 465].

ومن جياد مدائحه قوله في أسماء بن خارجة الفزاري (ت 82 هـ) حين تشفع في إطلاق سراحه من حبس ابن أم الحكم ابن أخت معاوية وواليه على الكوفة: [الطويل].

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الجُودَ أَرْسَلَ فانتقى
حَلِيفَ صَفاءٍ وائتلى لا يُزايِلُهْ
تَخَيَّرَ أَسْمَاءَ بنَ حِصْنٍ فابطأتْ
بِفِعْلِ العُلَى أيمَانُهُ وَشَمَائِلُهْ
تَرَاهُ إذا ما جئتَهُ مُتَهَلِّلاً
كأنَّكَ تُعطِيهِ الذي أنْتَ سَائِلُهْ
ولَوْ لَم يَكُنْ في كَفِّهِ غيرُ رُوحِهِ
لجَادَ بِهَا فَلْيَتَّقِ اللَّهَ سَائِلُهْ

[شعر عبد الله بن الزّبير الأسدي، ص 120].

كفّ بصر عبد اللّه بن الزّبير الأسدي في آخريات حياته وتوفي بالري (خراسان) سنة 90 هـ [الوافي بالوفيات 17/ 180].

■ المصادر والمراجع

● ابن الأثير، محمد بن عبد الكريم، الكامل في التاريخ، 4/ 379، صادر، بيروت، 1979؛ ● الإصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين: الأغاني، 7/ 14، الثقافة، بيروت، 1983؛ ● الأيوبي، ياسين، معجم شعراء لسان العرب، ص 228 - العلم للملايين، بيروت، ط 2، 1987؛ ● بابتي، عزيزة فوّال، معجم الشعراء المخضرمين والأمويين، صادر، بيروت، ط 1، 1998؛ ● ابن بدران، عبد القادر، تهذيب تاريخ دمشق، ج 7، دار المسيرة، بيروت، ط2، 1979؛ ● الجبوري، يحيي: شعر عبد اللّه بن الزّبير الأسدي، وزارة الإعلام، بغداد، 1974؛ ● الزبير بن بكّار: الأخبار الموفقيات، تح. سامي العاني، وزارة الأوقاف، بغداد، 1972؛ ● الزركلي، خير الدين، الأعلام، ج4، العلم للملايين، بيروت، ط9، 1986؛ ● زيدان، جرجي، تاريخ آداب اللغة العربيّة، ج 1، الحياة، بيروت، د.ت؛ ● الصفدي، خليل بن أيبك، الوافي بالوفيات، ج 17، باعتناء دوروتيا كرافولسكي، فيسبادن، ألمانيا، 1981؛ ● عبد الرحمن، عفيف، معجم الشعراء، المناهل، بيروت، ط 1، 1972؛ ● فرّوخ، عمر، تاريخ الأدب العربي، ج 1، العلم للملايين، بيروت، 1984؛ ● كحالة، عمر رضا، معجم قبائل العرب، ج 1، الرسالة، بيروت، ط5، 1985.

د. عبد الجليل منصور
عبد الحسين المريض
جامعة البحرين

الأشموني، علي بن محمد بن عيسى

(838 هـ / 1435 م – 929 هـ / 1524 م تقريبا)

علي بن محمد بن عيسى بن يوسف... الأشمونيّ الأصل، ثمّ القاهري الشافعيّ، ويعرف بالأشموني، ولد في شعبان بنواحي قناطر السباع بالقاهرة. نشأ نشأة علمية، وبدأ بحفظ القرآن الكريم، ثم حفظ المنهاج، وهو كتاب «منهاج الطالبين وعمدة المفتين» للإمام محيي الدين النووي (ت 676 هـ) في فروع الفقه الشافعي.

وحفظ كتاب «جمع الجوامع»، وهو كتاب في أصول الفقه لتاج الدين السُّبكي عبد الوهاب ابن علي الشافعي (ت 771 هـ)، وهو مختصر مشهور، وعليه شروح كثيرة، وحفظ أيضا الخلاصة الألفيّة المشهورة باسم ألفية ابن مالك (ت 672 هـ).

أخذ الأشموني عن عدد من شيوخ عصره، ذكر عدداً منهم الإمام السخاوي شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت 902 هـ)، فممّن أخذ عنهم الفقه: الجلال المحلّي محمد بن أحمد (ت 864)، وهو فقيه متكلّم أصوليّ نحويّ منطقي، وهو الذي بدأ تفسير الجلالين الذي أكمله السيوطي؛ والعلم البُلقيني علم الدين صالح بن عمر (ت 864 هـ) قاضي القضاة، وهو ابن سراج الدين البلقيني الشافعي قاضي قضاة الديار المصرية وعالمها؛ والمُناوي شرف الدين يحيى بن محمد (ت 871 هـ) قاضي القضاة، شيخ الإسلام، وقد تصدّى للإفتاء والإقراء؛ والبامي شمس الدين محمد بن أحمد (ت885هـ) - والبامي نسبة لبلد بصعيد مصر، والجوَجريّ محمد بن عبد المنعم من فقهاء الشافعية بمصر (ت 889 هـ).

وأخذ الأشموني الأصلين (أصول الفقه وأصول الدين) والعربية والفرائض (علم المواريث) عن جماعة أخرى من الشيوخ منهم: الكافيجي محيي الدين محمد بن سليمان بن سعد. قال السيوطي: «المحقق علامة الوقت أستاذ الدنيا في المعقولات» (ت 879 هـ)؛ وسيف الدين الحنفي محمد ابن محمد بن عمر بن قطلوبغا البكتمري (ت 881 هـ)، وكان بارعًا في الفقه والأصول؛ والشُّمُنيّ تقي الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن حسن (ت 873) كان محدّثًا نحويًا؛ والحصكفي أبو بكر بن محمد ابن شاذي التقيّ الحصنيّ نزيل القاهرة (ت 881 هـ) أخذ عن علمائها ودرّس في مدارسها؛ والشّارمساحيّ شهاب الدين أحمد بن علي (ت 865). قال السيوطي في نظم العقيان: «وأدركته في آخر عمره وقرأت عليه الفرائض».

ذكر السخاوي شمس الدين أنّ الأُشموني تصدّر للإقراء من سنة 864 هـ، وقال عنه:

إنّ الطلبة انتفعوا به، وحضر بعضُ العلماء بعض ختومه (يقصد ختم القرآن)، ومن هؤلاء الشيخ فخر الدين المقسي عثمان بن عبد الله،

والزين عبد الرحيم. وقد حجّ الأشموني عام 885 هـ، وكان يعمل شاهدًا «يتكسّب بالشهادة»، وولي القضاء، وذهب قاضيًا إلى دمياط ثلاث سنوات، ثم حُجر عليه لأسباب لم تُذكر.. وقد عبّر السخاوي عن ذلك بقوله: «ثم امتحن بالترسيم مدة... وبعد أن نجا استمرّ في عمله».

لا يُعلم تاريخ وفاته ولا مكانها، وقد اختلف مؤرّخوه فيما بين عامي 900 هـ على ما ذكره الزركلي نقلاً عن مراجع حديثه، وبين ما ذكره الشوكاني محمد بن علي (ت 1250 هـ) الذي حدّد وفاته في 17 ذي الحجة عام 918 هـ. أمّا ابنُ العماد فقد حدّد وفاته بعام 929 هـ. أمّا عمر رضا كحالة فقد أورد للأشموني نفسه ثلاث تراجم في مواضع مختلفة مع تاريخ وفاة مختلف في كل موضع... وما ذكرناه من تاريخ وفاته هو مجرّد موافقة لما ورد لدى ابن العماد في شذرات الذهب، وهو أوّل كتاب وأقدم كتاب حدّد تاريخ وفاة الأشموني، ولا يصحّ ما ذكره الزركلي وغيره من الذين قالوا بأنّه توفي عام 900 هـ لأنّ ذلك لو كان لذكره السخاوي المتوفى عام 902 هـ. ويبقى مجال الترجيح قائمًا بين عامي 918 و 929 هـ.

عرف الأشموني بصفته نحويًا شارحا للألفيّة، وبناء على ذلك نال شهرة واسعة بين النحاة ولا سيما بعد أن طُبع شرحه للألفية منذ عام 1399 هـ: ولا يزال الدارسون يرجعون إليه ويعتمدونه، ويبدو أنّ شرحه من أضخم شروح الألفية وأغزرها مادةً وأجمعها لمذاهب النحاة، وقد كان الشرّاح أقبلوا على ألفيّة ابن مالك يشرحونها بعد أن أضحت كتاب التعليم الأساسي، فلا عجب أن وجدنا لها في كشف الظنون من عام 686 هـ (وهو عام وفاة بدر الدين بن مالك) أوّل شارح للألفيّة إلى عام 1000 هـ، وهو عام وفاة الغزّي محمد بن محمد بن الرضى أكثر من أربعين شرحًا. وهكذا فقد وجد الأشموني أمامه شروحًا عديدة، مهّدت له الطريق وسهّلت السبيل وجمعت ما تفرّق من السواد. وفعلاً فإننا نجده يذكر في شرحه عدّة شروح للألفيّة سبقت شرحه، فقد ذكر شرح الألفية للشاطبي (ت 790 هـ) وشرح الألفية للمكودي، وأوضح المسالك إلى ألفيّة ابن مالك لابن هشام الأنصاري (ت 761 هـ) إضافةً إلى عدد من شروح الإيضاح العضدي والشروح الأخرى، كشرح الجزولية للأندلسي القاسم ابن أحمد (ت 661 هـ)، وشرح مفصّل الزمخشري لابن الحاجب (ت 646 هـ) إضافة إلى كتاب «التسهيل» لابن مالك الذي أكثر الأشموني من الرجوع إليه وإلى شرحه، وكان بين يديه أيضا شرح الكافية الشافيه لابن مالك إضافةً إلى كتب اللّغة والتفسير، وغير ذلك مما هيّأ له مادّة ناجزة بين يديه استخدمها، وتصرّف بها في إنجازه شرحه الضخم للألفية.

وقد انتقد الأشموني بتهافته على نقل ما في الكتب السابقة عليه، وهو غالبا ما يغفل نسبة النقول إلى أصحابها أو إلى مصادرها، مع أنّه قد يصرّح بذلك في مواضع، فقد صرّح بذكره الشاطبي لدن شرحه قول ابن مالك في باب المعرب والمبني «في اسمي جنتنا»، كما صرّح بالمغني عند قوله الناظم «وفعل أمر ومضي بُنيا»، وبالتوضيح في باب النكرة والمعرفة في سياق شرحه لقول ابن مالك

«وأخبروا باثنين أو بأكثر»، وقد صرّح بهذه الانتقادات الشيخ محمد الطنطاوي في كتابه نشأة النحو.

آثاره

1 - منهج السالك إلى ألفيّة ابن مالك، وهو شرح ضخم للخلاصة الألفيّة لابن مالك (ت 672 هـ)، وبه عرف الأشموني ونال شهرته، وقد طبع هذا الكتاب بهامش حاشية الصبّان المؤلّفة عام 1193 هـ، مع تقريرات الشيخ أحمد الرفاعي ببولاق سنة 1280 هـ، كما طبع بالمطبعة الأزهرية بمصر عام 1305 هـ، وبالخيرية 1305 هـ، وبمطبعة الاستقامة بالقاهرة عام 1947 م، بتحقيق محمّد محيي الدين عبد الحميد، وبدار الكتاب العربي بيروت عام 1955 م؛ 2 - نظم المنهاج وشرحه، والمنهاج للإمام النووي، وهو موجز في فروع الفقه الشافعي..؛ 3 - شرح مجموع الكلائي، وهو مجموع في علم الفرائض للشيخ أبي عبد الله شمس الدين محمد بن شرف الكلائي الفرضي الشافعي (ت 777 هـ)؛ 4 - شرح قطعة من التسهيل، والتسهيل هو تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك النحوي صاحب الألفيّة. وقد شرحه عدد من العلماء قبل الأشموني منهم أبو حيان الأندلسي (ت 745 هـ) في كتابه «التذييل والتكميل في شرح التسهيل»، وابن عقيل (ت 769 هـ) في كتابه: «المساعد في شرح تسهيل الفوائد»؛ 5 - إيساغوجي، وهو شرح أو نظم لكتاب إيساغوجي، وإيساغوجي لفظ يوناني معناه الكليّات الخمس أي: الجنس والنوع والفصل والخاصة والغرض العام، وقد صنّف فيه جماعة منهم فرفريوس الصوري (ت 364 م) وعبد اللطيف البغدادي (ت 929 هـ)؛ 6 - نظم جمع الجوامع، وهو كتاب في أصول الفقه؛ 7 - حاشية على كتاب الأنوار لعمل الأبرار للأردبيلي في الفقه الشافعي لجمال الدين يوسف بن إبراهيم (ت 799 هـ).

المصادر والمراجع

● ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار المسيرة، بيروت 1979؛ ● السخاوي، الضوء اللامع، منشورات مكتبة الحياة، لبنان، د.ت؛ ● الشوكاني، محمد علي، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: ط. القاهرة، 1348 هـ؛ ● البغدادي، إسماعيل، هديّة العارفين، مكتبة المثنّى، بيروت، د.ت؛ ● حاجي خليفة، كشف الظنون، مكتبة المثنّى، بيروت، د. ت؛ ● الزركلي، الأعلام، ط. 14، دار العلم للملايين، بيروت، 1999، 5/ 10؛ ● كحالة، معجم المؤلّفين، دار الترقي، دمشق؛ ● سركيس، معجم المطبوعات العربية والمعرّبة، القاهرة، 1938؛ ● شوقي ضيف، المدارس النحوية، دار المعارف بمصر، القاهرة 1968؛ ● الطنطاوي، محمد، نشأة تاريخ أشهر النحاة، مط. السعادة، القاهرة 1969.

د. عبد الإله نبهان

جامعة اليرموك ـ الأردن

الأشناندانى، أبو عثمان سعيد بن هارون

(... هـ / ... م – 256 هـ / 870 م)

سعيد بن هارون الأشناندانى، أبو عثمان، لا يُعرف عنه الكثير، كان نحويًا لُغويًا من أئمّة اللّغة، ومن العلماء بالأدب، ومن رواة اللّغة والأخبار، من أهل بغداد ، سكن البصرة، ولقيه بها ابن دريد (ت 321 هـ)، نسبته إلى أشناندن، موضع الأُشنان (بالفارسية)، وهي محلّة ببغداد.

حضر الأشناندانى حلقة الأصمعي (ت 216 هـ)، وذكر أصحاب التراجم أنه أخذ العلم عن التّوزي أبي محمد عبد الله بن محمد، مولى قريش، (ت 230 هـ)، وفي رواياته أنّه سمع الأخفش سعيد بن مسعدة (ت 215 هـ)، وروى عنه، كما أنه روى عن الجرمي (ت 225 هـ).

يُذكر من تلاميذه أبو بكر بن دريد (ت321هـ)، وقد روى عنه في كتاب الجمهرة، وفي الأمالي الدريدية، وأخذ عنه محمد بن سعيد الكُرپاني الأديب الأخباري.

وردت في الكتب التي ترجمت للأشناندانى، وفي الجمهرة لابن دريد، وكتب اللغة كالمُزهر للسيوطي (ت 910 هـ) روايات عنه تُبيّن مكانته العلمية، ومعرفته بلغات العرب، وتفرُّده ببعض الرّوايات.

آثاره

ذكر أصحاب التراجم أنّ له كتابين هما:

1 - كتاب معاني الشعر؛ 2 - كتاب الأبيات.

وكتاب معاني الشعر طُبع أوّل مرّة بدمشق سنة 1992، بتحقيق عز الدين التنوخي، وأُعيد طبعه في القاهرة سنة 1932. وذكر من ترجم للأشناندانى هذا الكتاب منسوبًا إليه، بيد أن بروكلمان في تاريخ الأدب العربي أثار شكًا حول نسبة الكتاب إلى الأشناندانى من غير تعليل، وذكر أن مؤلّفه ينبغي أن يكون أبا بكر ابن دريد.

والكتاب منتخبات من الشعر القديم المُولّد انتقاها الأشناندانى من الشعر الذي يحتوي معاني مُشتركة، أو صورة جميلةً، أو مثلاً سائرًا، أو معنًى طريفًا أو غريبا، أو لغة غريبةً.

تكمن أهمّية الكتاب في أنّه واحد من كتب المعاني المشهورة، وأنّه جمع شعرًا لبَعْض الشعراء المعروفين والمجهولين، وكثيرًا من معاني التركيب العربي والصور الشعرية وغرائب اللغة.

المصادر والمراجع

● الفيروز آبادي، البلغة في تاريخ أئمة اللغة، تح. محمد المصري، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق 1972، ص 88؛ ● ابن دريد، جمهرة اللغة، دار صادر، بيروت، ج. 1، ص 21، 27-28؛ 3 ● ابن النديم، الفهرست، تح.

رضا تجدد، طهران، 1971م، 1/ 60؛ ● حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1413 هـ/ 1992م/ ج. 2، ص 1729؛ ● ابن الأثير الجزري، اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر، بيروت، 1400 هـ/ 1980م، ج1، ص 67؛ ● السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تح. محمد أحمد جاد المولى، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي أحمد البجاوي، مكتبة دار التراث، القاهرة ط. 3، ج 1، ص 133-134-583؛ ● ياقوت الحموي، معجم الأدباء دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ج 11، ص 231-232؛ ● البغدادي إسماعيل باشا، هدية العارفين، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1413 هـ/ 1992م، ج 1، ص 388؛ ● ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ج 4، ص 352؛ ● الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، 1968م، ج 3، ص 3؛ ● بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، تر. د. عبد الحليم النجار، دار المعارف، القاهرة، ط. 5، ج. 2، ص 167-168؛ ● كحالة، معجم المؤلفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج. 3، ص 233؛ ● التنوخي، عز الدين، مقدمة كتاب معاني الشعر، دمشق، 1992 م.

د. سمير أحمد معلوف

جامعة الإمارات العربية المتحدة

أشهب القيسي، أبو عمرو بن عبد العزيز

(145هـ/204م - 462هـ/819 م)

أبو عمرو أشهب بن عبد العزيز بن داود بن إبراهيم القَيْسيُّ العامري الجَعْدِيُّ. الفقيه المالكي المصري. يُقال: اسمه مسكين، وأشهب لقب له [ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 1، ص238؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج 2، ص 12؛ الزركلي، الأعلام، ج 1، ص 333؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 14، ص 140]. وُلد بمصر سنة 145 هـ / 762 م، وقيل سنة 140 هـ، وقيل سنة 150 هـ، وتوفي فيها يوم السبت لثمان بقين من شعبان سنة 204 هـ / 819 م، بعد موت الإمام الشافعي بثمانية عشر يوما. ودفن بالقرافة الصغرى، وقبره مجاور لقبر ابن القاسم (ت 191 هـ / 806 م) رحمه الله [مخلوف، شجرة النور، ص 56؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 1، ص 238، 239؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب،

ج 2، ص 12؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 14، ص140]. قال محمد بن عاصم المعارفي: رأيت في المنام كأن قائلا يقول: يا محمد، فأجبته، فقال: ذهب الذين يُقال عن فراقهم ليت البلاد بأهلها تتصدع، قال: وكان أشْهَب مريضا، فقلت: ما أخوفني أن يموت أشْهَب، فمات في مرضه ذلك، والله أعلم [ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 1، ص 239].

كان فقيها للديار المصرية في وقته وأحد أعلامها البارزين، وكان صاحب الإمام مالك ابن أنس، وأحد تلاميذه الكبار، وثقة فيما روي عنه، وانتهت إليه الرياسة الفقهية في مصر بعد وفاة ابن القاسم، وكانت بينه وبين ابن القاسم بعض المنافسة العلمية والاجتهادية، [ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 1، ص 238؛ الزركلي، الأعلام، ج 1، ص 333]. أثنى عليه العلماء، ووصفوه بالشيخ والفقيه والثبت والعالم والجامع بين الورع والصدق...، فقد قال فيه الشافعي: ما رأيت أفقه من أشْهَب لولا طيش فيه، أو ما أخرجت مصر أفقه من أشْهَب لولا طيش فيه، وقال أبو عبد الله القضاعي في كتاب «خطط مصر»: كان لأشهب رياسة في البلد، ومال جزيل، وكان من أنظر أصحاب مالك، رضي الله عنه. وكان محمد بن عبد الله بن عبد الحكم صاحب أشْهَب يفضل أشْهَب على ابن القاسم [ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 1، ص 238؛ مخلوف، شجرة النور، ص 59؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج 2، ص 12؛ الزركلي، ج 1، ص 333]. قال أبو عمر بن عبد البر: كان فقيها حَسَنَ الرأي والنظر، فضّله ابن عبد الحَكَم على ابن القاسم في الرّأي، فذُكر هذا لمحمد ابن عمر بن لُبابة الأندلسي، فقال: إنما قال ذلك ابن عبد الحكم، لأنه لازم أشْهَب، وكان أخْذُهُ عنه أكثر، وابن القاسم عندنا أفقه في البيوع وغيرها.

وقيل: كان أشهب على خراج مصر، وكان صاحب أموال وحشم. قال سحنون: رحم الله أشْهَب، ما كان يزيد في سماعه حرفا واحدا.

وقال سعد بن معاذ الفقيه: سمعت محمد بن عبد الله بن عبد الحكم يقول: أشْهَب أفقه من ابن القاسم مائة مرة [الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 8، ص 323 ـ 324].

ومن شيوخه: مالك بن أنس، والليث بن سعد، والفضيل بن عياض، ويحيى بن أيوب، وسليمان بن بلال، وبكر بن مُضَر، وداود بن عبد الرحمن العطار، وغيرهم من العلماء المدنيين والمصريين [ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 1، ص 238؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 8، ص 323؛ مخلوف، شجرة النور، ص 59].

وتلامذته: الحارث بن مسكين، ويونس بن عبد الأعلى، وبحر بن نَصْر، ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم، ومحمد بن إبراهيم بن الموّاز، وسحنون بن سعيد فقيه المغرب، وعبد الملك بن حبيب فقيه الأندلس، وهارون ابن سعيد الأيْلي [الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 8، ص 323؛ مخلوف، شجرة النور، ص 59].

آثاره

1 - كتاب الحج، برواية سحنون القيرواني،

انظر أيضا: إبراهيم شبوح في مجلة معهد المخطوطات العربية 2/ 1956/ 363 [سزكين، تاريخ التراث العربي، مجلد 1، ج 3، ص 145]؛ 2 - كتب سماعه، وقد قال مخلوف: إنها عشرون كتابا [مخلوف، شجرة النور، ص59].

المصادر والمراجع

● ابن خلكان أبو العباس شمس الدين (608-681 هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح. إحسان عباس، دار الثقافة بيروت [ج 1، ص 238 - 239]؛ ● الذهبي، شمس الدين، سير أعلام النبلاء، تح. محب الدين العمروي، بيروت، لبنان 1417 هـ / 1997 م، دار الفكر، ج 8، ص323 - 324؛ ● الزركلي، خير الدين. الأعلام، بيروت، لبنان، طبعة عاشرة سنة سبتمبر 1992، دار العلم للملايين، ج 1، ص333؛ ● سزكين، فؤاد، تاريخ التراث العربي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، السعودية، سنة 1411 هـ/ 1991 م، مج 1، ج 3، ص145؛ ● ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح. لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، دار الافاق الجديدة، ج 2، ص 12؛ ● ابن كثير، البداية والنهاية، تح. عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والداراسات العربية والإسلامية بدار هجر، مصر، 1419 هـ/ 1998م، ج14، ص140؛ ● مخلوف، محمد، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الفكر، ص 59.

د. نور الدين مختار الخادمي
جامعة الزيتونة - تونس

الأشيري الصنهاجي، أبو محمد عبد الله محمد

(.... هـ / ..... م - 561 هـ/ 1165 م)

أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله ابن علي الصنهاجي، الأشيري، محدّث وأديب. ويعرف بابن الأشيري لأنّ أصل والده من أشير، وهي مدينة في الشمال الأفريقي بالقرب من بجاية. وينتمي إلى قبائل صنهاجة البربرية. عاش في الأندلس، وتفقه على علمائها، الذين أخذ عنهم الحديث النبوي الشريف، ومن هؤلاء أسماء لامعة في سماء القرن السادس الهجري في الأندلس، أمثال أبي بكر بن العربي، وأبي جعفر بن غزلون، وأبي الحسن بن موهب، وأبي الحسن شريح بن محمد، وأبي عبد الله بن أصبغ المعروف بابن المناصيف، وأبي الفضل بن عياض، وأبي الوليد بن الدباغ، وغيرهم، فتكوّنت

لديه ثقافة دينية وأدبية عالية جدًا، أهلته للإقراء والتدريس والكتابة.

هاجر الأشيري إلى المغرب، وعمل كاتبًا لدى «صاحب المغرب» الذي لم يشر ابن الأبار إلى اسمه، وهو على الأرجح، عبد المؤمن بن علي (524-558هـ/ 1130-1163م). فلما توفي هذا الخليفة استتر الأشيري ونهبت كتبه فتوجّه إلى الشام وأقام بها وفيها صاحب أبا القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عساكر (ت 571هـ/ 1175م) صاحب كتاب تاريخ مدينة دمشق، حيث سمع منه، وكتب عنه كتابًا ألفه لأجله موضوعه فيمن وافقت كنيته كنية زوجة من الصحابة. وأخذ ابن عساكر بدوره عنه شيئًا من أخبار أبي الوليد الباجي. ولكنّه لم يسمع منه حديثًا مسندًا «لنزول روايته».

زار الأشيري العراق، وحدّث ببغداد، وكذلك بالموصل، حيث كان أبرز تلامذته هو أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم المعروف ببهاء الدين بن شداد (ت 632هـ/ 1234م)، الذي أجاز له الأشيري جميع ما يرويه عنه على اختلاف أنواعه، بخطه الذي احتفظ به ابن شداد في فهرسته، وذلك في شهر رمضان سنة 559هـ/1163م [ابن خلكان، وفيات الأعيان، 7/ 86].

■ آثاره

وقد وُصف الأشيري بأنه كان رجلاً فاضلاً حافظًا ثقة، وأنه كان أيضًا أديبًا، وله شعر جيّد. وقد حدّث بالموطأ، وغيره، وله شرح على قصيدة الحصري. وقد توفي الأشيري في شهر شوال أو رمضان في سنة 561 هـ/1165م وذلك بعد رجوعه من الحجاز لأداء فريضة الحج في الطريق من المدينة إلى الشام. وقد دفن بظاهر باب حمص وشمالي بعلبك.

■ المصادر والمراجع

● ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، نسخة على القرص المرن بإشراف مركز التراث لأبحاث الحاسوب الآلي، 22/ 226، 229؛ ● ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، نشر عزت العطار الحسيني، لقاهرة، مكتبة الخانجي، 1955-1956، 2/ 917-918؛ ● ابن خلكان، وفيات الأعيان، تح. إحسان عباس، بيروت، دار صادر، 1968، 7/ 86، ضمن ترجمة ابن شداد؛ ● مطلوب، ناطق صالح، الرحلة في طلب العلم والحياة الثقافية بالموصل، فصل ضمن موسوعة الموصل الحضارية، الموصل، دار الكتب 1992، 2/ 367؛ ● طه عبد الواحد ذنون، صور من التأثير العلمي بين الموصل والأندلس، بحث ضمن محاضر المؤتمر العلمي الأوّل لتاريخ العلوم عند العرب، مركز التراث العلمي العربي، جامعة بغداد، 4 - 6 مايو/أيار 202، ص13 .

د. عبد الواحد ذنون طه

جامعة الموصل - العراق

■ الأصابي، أحمد بن عبد اللـه السلمي

(كان حيا سنة 1118 هـ / 1706 م) ■■■

الشيخ أحمد بن عبد الله السلمي الأصابي، شهاب الدين. والأصابي نسبة إلى ذي أصاب، موضع باليمن قرب زبيد. درس علومه في زبيد على الشيخ عبد الله بن محمد باقي المزجاجي (ت 1074 هـ) من أسرة آل المزجاجي نسبة إلى المزجاجية موضع بالقرب من زبيد [ملحق البدر الطالع، 111].

ومثل بقيّة العلماء رحل في طلب العلم إلى مدينة زبيد، وفي زبيد السيّد يحيى بن عمر ابن مقبول الأهدل (ت 1142 هـ/ 1729م)، والأهدل من أهل زبيد ومحدث مشهور. وقد وقعت بينه وبين الأهدل مناظرات فرحل عن زبيد سنة 1116 هـ / 1704 م، وقبل خروجه من زبيد كان يتولّى الوقف، وزاد في بعض جوامع زبيد فسعى يحيى بن عمر الأهدل في هدمها سنة 1116 هـ / 1704 م فحرّر رسالة سمّاها «الضوء اللامع في زيادة الجامع» وأرسل بفتواه الى القاضي طه السادة فقرر هذا الزيادة، ثم انتقل من زبيد ولم يسمع له بعد ذلك بخبر. وصف الأصابي بأنه عالم مشارك في كثير من العلوم.

■ آثاره

ذكرت مصادر ترجمته مؤلفات له في فنون مختلفة هي: 1 - الإعلان بنعم الله الواهب الكريم المنّان، وهو كتاب عام في الفقه، والعروض، والنحو، والتصريف، والمنطق، وتجويد القرآن فرغ منه سنة 1118 هـ / 1706 م؛ 2 - مؤلف في الرد على الصوفية والمحاولة في علم الجبر والمقابلة؛ 3 - ترويح ذوي الإمعان والمحاولة في علم الجبر والمقابلة؛ 4 - شرح الافهام المراحة في رياض المسرة والإباحة لطالبي علم المساحة؛ 5 - الضوء اللامع في زيادة الجامع؛ 6 - إعلان جمع الصدقات المجيدة لإصلاح عين زبيدة [إيضاح المكنون، 1/ 105].

■ المصادر والمراجع

● ابن زبارة، محمد بن محمد بن يحيى الحسني اليمني، ملحق البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، 2/ 37، طبع مع كتاب البدر الطالع للشوكاني، بيروت، دار المعرفة؛ ● إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين، 1/ 168، بغداد، مكتبة المثنى (اوفسيت)؛ ● م.ن، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، 1/ 104 - 105، بغداد، مكتبة المثنى؛ ● الزركلي، خير الدين، الأعلام، 1/ 155، بيروت؛ ● فهرس دار الكتب المصرية، 6/ 180 - 181، القاهرة، دار الكتب.

د. نبيلة عبد المنعم داود

مركز احياء التراث العلمي - بغداد

الأصبحي، أبو الحسين علي بن أحمد بن أسعد

(644 هـ / 1247 م - 703 هـ / 1303 م)

هو أبو الحسن علي بن أحمد بن أسعد بن أبي بكر بن محمد بن أبي الفتوح بن علي بن صبح الأَصْبَحي، وهو يمني من أهل مدينة تعز. ولد في 25 ذي الحجة سنة 644هـ/ 3 ماي 1247 م). درس الفقه الإسلامي ونبغ فيه، كما درس علم الحديث. وقد تتلمذ في علم الفقه على الفقيه عبد الوهاب بن الفقيه أبي بكر بن ناصر. ثمّ انتقل لدراسة الفقه إلى ابن خاله وعليه أتقن الفقه وحققه، ثمّ لما أكمل دراسة الفقه على يديه أخذ عنه كتب الحديث.

وقد تميز أبو الحسن علي بن أحمد الأصبحي بحسن الهيأة ودماثة الخلق إضافة إلى نبوغه في العلم، فكان «فقهاء عصره جميعًا يرجعون الى قوله ويسألونه ويعتمدون جوابه. وكان جميل الخلق دائم البشر حسن الألفة محبا للأصحاب، ويتألفهم ويعجبه اجتماعهم.. وأجمع أهل عصره على ورعه وزهده ونزاهة عرضه وأنه يقول الحق ولو على نفسه» [الخزرجي، كتاب العقود اللؤلؤية، ج ١، ص 353].

تتلمذ على أبي الحسن الأصبحي عدد من أهل عصره فدرسوا على يديه الفقه وما يتصل به من علوم مساعدة، وكان أبرزهم: سعيد بن أبي بكر، وسعيد بن العودري، وعمر الجيش، ومحمد بن جبير، وإسماعيل بن أحمد الحلي، ومحمد بن علي، وعبد الله بن عمر بن أيمن، وأبو بكر بن المقرىء، وأبو بكر بن حاتم السلماني، وأبو بكر المغربي، ويوسف بن النعمان.

ويبدو أن الأصبحي لم يكن يعجبه التدريس النظامي في المدارس، لذا فقد ذكر أنه درس في المدرسة المظفرية أياما قلائل ثم امتنع من التدريس.

ولم تقتصر جهود أبي الحسن علي الأصبحي في خدمة الفقه الإسلامي على التدريس، بل إنه صرف جانبًا كبيرًا من جهده على التأليف وتصنيف الكتب.

ويظهر أن أبا الحسن علي الأصبحي كان قد بلغ مرتبة الاجتهاد في مجال الفقه الشافعي، فكان فقيهًا يُحتج بقوله ويؤخذ بفتاواه. ومن ثم، فقد انتهت إليه الرئاسة في اليمن أجمع في مجال العلم والفتوى؛ إن الخدمات العلمية التي قدمها والشمائل التي اتصف بها أبو الحسن الأصبحي قد جعلته وجيهًا عند العام والخاص، فكان حكام اليمن يجلّونه ويعرفون له مكانته وقدره، وكان طلاب العلم ينهلون من علمه ويقصدونه للدراسة والفتوى. وكانت وفاته في ليلة الإربعاء الرابع عشر من المحرم سنة 703 هـ / 1303 م عن عمر ناهز الـ 59 سنة هجرية.

ومن أشهر آثار الأصبحي كتاب «معين أهل التقوى على التدريس والفتوى» وقد وصف

تقي الدين السبكي مضمون جزئه الأول فقال: «وقد وقفت على المجلّد الأول من هذا الكتاب فإذا به قد جمع فيه فأوعى، وقال في خطبته إنه طالع فيه نيفًا وأربعين مصنفًا للأصحاب (من فقهاء الشافعية)، وعدّد أكثرها، وذكر منها الروضة للشيخ محيي الدين النووي، فدلنا ذلك على تأخر زمانه، والتزم في هذا الكتاب أن لا يذكر فيه إلا المسائل التي وقع فيها خلاف مذهبي. أما المتفق عليها بين الشافعية فلا يذكرها. وأن لا يذكر من مسائل الخلاف الا ما يقع فيه تصحيح ليعين على الفتوي» [طبقات الشافعية، ج 6، ص142]؛

آثاره

1 - كتاب معين أهل التقوى على التدريس والفتوى؛ 2 - غرائب الشرحين؛ 3 - أسرار المهذب؛ 4 - كفى بالعين شاهدًا.

المصادر والمراجع

● السبكي، تقي الدين، طبقات الشافعية الكبرى، بيروت، ط 2، بلات، ج 6، ص 142؛ ● علي بن الحسن الخزرجي، كتاب العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، مصر 1911، ج1، ص353-355؛ ● با مخرمة عبد الله بن أحمد، تاريخ ثغر عدن، ليدن، 192، ص 1؛ ● الزركلي، خير الدين، الأعلام، ط14، بيروت 1979، دار العلم للملايين، ج 4، ص257 ... إلخ.

أ. د. هاشم يحيي الملاح

المجمع العلمي العراقي - العراق

الأصبحي، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر

(632 هـ / ... م - 691 هـ / ... م)

أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن محمد ابن منصور، يماني، مولود في «الذنبتين» من بلاد اليمن في سنة 632 هـ؛ وانتقل إلى «مصنعه سَيْر» فأقام فيها أكثر من عشرين سنة [العقود اللؤلؤية، ج 1، ص 264؛ هجر العلم، ج 2، ص717] وأصله من أصابح ذبحان، وربما كان مولده في «أبين» وهي أيضًا من بلاد اليمن كما أورد ذلك الجندي [السلوك، ج 2، ص 73].

وعندما ضاقت به الحال انتقل عنها إلى مدينة إبْ [السلوك، ج 2، ص 73؛ العقود اللؤلؤية، ج 1، ص 264]، فلقيه أهلها ملقى حسنًا وأكرموه واحتملوا من جاء معه من الطلبة وقاموا بكفايتهم ما داموا منقطعين. وقد أخذ الفقيه محمد العلم والفقه عن أبي بكر بن عمران الأصبحي، وهو فقيه ولي قضاء الذنبتين، ثم قرأ على عمّه منصور بن محمد ابن منصور. وقد كان الفقيه محمد فقيهًا كبيرًا

محققاً مدققا في الجواب، مبارك التدريس، به تفقه جمع كثير من نواحي شتّى، لعل أبرزهم أبو الحسن الأصبحي [السلوك، ج2، ص 72، 74؛ طبقات الخواص، ص327].

وقد رويت حوله كثير من الكرامات والخوارق من مثل رؤية بعض الفقهاء له بعد موته في المنام، فقال له: ما فعل الله بك؟ فقال: أخذ بيدي وأدخلني الجنة، فقال له: وجدت منكرًا ونكيرًا، فقال: لا، بل سمعت صوتا لا أدري ما هو، أسمعني كلاما حفظت منه قوله: قل للرجلين انصرفا عن الفقيه كلاكما، قل للرجلين انصرفا من قبل أن يراكما، قل للرجلين انصرفا، واعلما أنه مولاكما [السلوك، ج 2، ص 72؛ طبقات الخواص، ص 327]. وقد كان شديد الورع منذ صغره حتّى قيل عنه إنه كان لا يأكل الا ما يتحقق حله، ووصف بأنه كثير العبادة وزيارة الصالحين [السلوك، ج 2، ص 73؛ طبقات الخواص، ص 327].

مات على الطريق المرضي ضحى الجمعة سادس شوال منذ سنة 691 هـ بعد أن عمر تسعا وخمسين سنة وقبر إلى جانب قبر الإمام سيف السنة [السلوك ج 2، ص 74؛ طبقات الخواص، ص 327؛ العقود اللؤلؤية، ج 1، ص 264؛ هجر العلم، ج 2، ص 718].

■ آثاره

له العديد من الكتب والمؤلفات أبرزها: 1 - المصباح وهو مختصر في الفقه؛ 2 - الفتوح في غرايب الشروح؛ 3 - الإيضاح في مذاكرة المسائل المشكلة من التنبيه والمصباح؛ 4 - فضائل الأعمال؛ 5 - الإشراف في تصحيح الخلاف، وقد عكف عليه الناس ليستفيدوا به حتّى ظهر كتاب «المعين» تصنيف تلميذه أبي الحسن الأصبحي؛ 6 - الترجيح؛ 7 - الرسائل.

■ المصادر والمراجع

• الجندي السكسكي، السلوك في طبقات العلماء والملوك، ج 2، تح. الأكوع الحوالي، شركة دار التنوير للطباعة والنشر، طبعة 1989؛ • الشرجي الزبيري، طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص، الدار اليمينية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1986؛ • الخزرجي، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، تح. محمد بسيوني، في مجلدين، 1911 م؛ • الأكوع، القاضي إسماعيل، هجر العلم ومعاقله، دار الفكر المعاصر بيروت، دار الفكر دمشق، 1955 م.

صلاح علي بن مدشل
جامعة حضرموت - اليمن

ابن أبي الإصبع، أبو محمد زكي الدين بن ظافر

(595هـ / 1199 م - 654 هـ/ 1255م)

أبو محمد زكي الدين بن ظافر المعروف بابن أبي الإصبع، قيل ولد بمصر سنة 585 هـ / 1188 م، أو 590 هـ/ 1194 م، والأرجح أنه ولد سنة 595 هـ / 1199 م [الأعلام، ط 1986، 4/ 30 هامش أ]، وتربّى في مدارسها إبان الدولة الأيوبية، وشطرا من دولة المماليك البحرية، ولم تذكر كتب التاريخ مدرسة بعينها، أو شيخا بعينه تلقى عليه العلم، لكن مؤلفاته تؤكد أنه قرأ للرماني، وعبد القاهر، وابن سنان الخفاجي، وفخر الدين الرازي، إذ نقل عنهم الكثير.

كان أديبا وشاعرا، قال الشعر في معظم الأغراض القديمة كالوصف، والغزل، والمديح، والهجاء، والزهد، لكنه عرف بجهوده البلاغية، وبخاصة في مباحث البديع، حيث جمع آراء من سبقوه، ورتّبها، وصنفها، وعدّل بعضها، وألغى بعضها الآخر، ثم أضاف ما اهتدى إليه بجهده الخاص، وتوفي بمصر سنة 654هـ/ 1255م. وقد تأثر به ونقل عنه بعض علماء البلاغة المتأخرين أمثال: شهاب الدين محمود، والنويري، والخطيب القزويني، وبهاء الدين السبكي، والسيوطي، والعباسي صاحب «معاهد التنصيص».

آثاره

1 - تحرير التحبير، هذا الكتاب مخصص للأشكال البديعية في الشعر والنثر، وقسمه المؤلف إلى ثلاثة أقسام، تكلم في القسم الأول عن الأصول التي عرض لها ابن المعتز، وقدامة بن جعفر، وفي القسم الثاني تكلم عن الفروع، وفي القسم الثالث تكلّم عن الأشكال البديعية التي اهتدى إليها مثل: التحبير، والتدبيج، والتمزيج. وقد نشر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية هذا الكتاب بتحقيق الدكتور حنفي شرف سنة 1383 هـ / 1963م؛ 2 - بديع القرآن، وقد خصصه ابن أبي الإصبع للأشكال البديعية في القرآن الكريم، سواء في ذلك الأشكال التي حدّدها السابقون، أو التي اهتدى هو إليها. وواضح أن الكتاب كان نوعا من التلخيص لتحرير التحبير. وقد تناول تسعة ومائة باب من أبواب البديع، وترك اثنين وعشرين بابا من «تحرير التحبير» لأنه لم يجد لها أمثلة في الكتاب الكريم، ويلاحظ أنه أضاف أشكالا بديعية لم يذكرها في تحرير التحبير مثل: التفصيل والتنظير، والإيماء. وقد حقق الدكتور حنفي شرف الكتاب، ونشرته مكتبة نهضة مصر سنة 1378 هـ / 1957 م؛ 3 - الخواطر السوانح في أسرار الفواتح، وقد لخصه السيوطي في الإتقان، 2/ 230، وذكر أنه تضمن تفسير معاني أوائل السور القرآنية. وطبع الكتاب بالقاهرة سنة 131 هـ/ 1960 م، لكن بدون تحقيق؛ 4 - كتاب الأمثال، وهو من الكتب المفقودة، لكن المؤلف أشار إلى محتواه في «تحرير التحبير»، حيث عرض

فيه لما وقع في القرآن الكريم من الأمثال، وألحق بها الدواوين الإسلامية، ثم أمثال العامة، ثم أمثال المتنبي وأبي تمام؛ 5 - صحاح المدائح، وهو - أيضًا - من الكتب المفقودة، وهو عبارة عن ديوان شعر في مدح النبي وأهل بيته، ومدح الخلفاء الراشدين، وقد خصص المؤلف بعض قصائده لوصف بلاغة القرآن وبديع أسلوبه [مقدمة تحقيق بديع القرآن]؛ 6 - الكاملة في تأويل «تلك عشرة كاملة»، وقد ذكر ابن أبي الإصبع في «بديع القرآن» محتوى هذا الكتاب الذي تناول فيه تفسير بعض الآيات القرآنية التي تحتوي على أشكال بديعية، كما تناول الكلام عن الأفلاك والنجوم والأنواء ونزول الغيث، ومقدماته من الرعد والبرق والرياح؛ 7 - الشافية في علم القافية، وقد استخلص الدكتور شرف مضمون الكتاب من عنوانه "ابن أبي الإصبع بين علماء البلاغة" فهو دراسة علمية في العروض والقوافي؛ 8 - الميزان في الترجيح بين كلام قدامة وخصومه، وقد أوضح المؤلف في تحرير التحبير أن هذه الدراسة تتناول ما يلزم في تأليف الشعر والنثر؛ 9 - وصية ابن أبي الإصبع للكتاب والقراء؛ وقد ذكر المؤلف في تحرير التحبير أن هذه الوصية تحرير لوصية أبي تمام للبحتري، وإيضاح ما أشكل منها، وإضافة ما تحتاجه لتكتمل الفائدة منها.

المصادر والمراجع

● الصنعاني، محمد بن صالح، مسالك الأبصار، 6/ 230؛ ● ابن شاكر الكتبي، عيون التواريخ، 20/ 73-75؛ ● السيوطي، حسن المحاضرة، 1/ 327؛ ● ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 7/ 37؛ ● م. ن. المنهل الصافي، 3/ 405؛ ● خليفة، حاجي، كشف الظنون، 1/ 188؛ ● الكتبي، ابن شاكر، فوات الوفيات، 1/ 374؛ ● ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، 5/ 265؛ ● العباسي، عبد الرحيم بن أحمد، معاهد التنصيص، 4/ 265؛ ● الزركلي، الأعلام، 1986؛ ● حنفي شرف، ابن أبي الإصبع بين علماء البلاغة [المقدمة].

د محمد عبد المطلب مصطفى

جامعة القاهرة

الإصبعي البحراني، أحمد بن سليمان

(حيًا في 1117 هـ / 1705 م)

أحمد بن سليمان بن علي بن أبي ظبية الإصبعي الشاخوري، ولد في البحرين، وتلقى علومه على يد والده الذي كان عالماً وفقيهاً معروفاً في البلاد، ومن شيوخه سليمان بن عبدالله الماحوزي (ت 1121هـ/ 1709م). والأخبار عن مراحل حياته وتلقيه العلمي شحيحة.

عاش في عصر اتسم بانبعاث حياة علمية نشطة في البحرين، ازدانت بنخبة كبيرة من العلماء والشعراء [المنصور، أنيسة، شعر البحرين، ص98 ـ 135]. ونوّه مترجموه له بعلمه وإمكاناته الفكرية، ويوصف بأنه مؤلف أديب كامل [الأمين، أعيان الشيعة 2/ 600؛ البلادي، الأنوار، ص 148؛ التاجر، منتظم الدرين ترجمة 53].

آثاره

1- عقد اللآل في فضائل النبي والآل، ويوصف بأنه كتاب حسن قليل المثيل [الأنوار ص 150] ويذكر الطهراني في [الذريعة 15/ 295] أنه فرغ منه في عام 1117هـ/ 1705م ويشير إلى مصادره، وأنه مرتّب على ستة عشر باباً، وصدّر المؤلف كل باب بقصيدة في مدح من عقد له الباب، كما ذكر أماكن تواجده، 2 - نزهة الناظرين وبهجة السالكين، وأشار الطهراني في [الذريعة 24/ 129] إلى بعض موضوعاته وأماكن وجوده؛ 3 - الأسئلة الأحمدية، وهي أسئلة وجهها إلى الشيخ عبدالله بن صالح السماهيجي (ت 1135هـ/ 1722م)؛ 4 - كتب له إجابات عليها [الأعيان 2/ 600].

المصادر والمراجع

● الأمين، محسن، أعيان الشيعة، دار التعارف، بيروت، 1983 2/ 600؛ ● البلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مطبعة النعمان، النجف، 1377 ص148 و150؛ ● التاجر، محمد علي، منتظم الدرين، (مخطوط) ترجمة 53؛ ● الطهراني، آغا بزرك، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، دار الأضواء، بيروت، ط3، 1983، ج 15/ 295 و24/ 192؛ ● القائيني، علي الفاضل، معجم مؤلفي الشيعة، مطبعة وزارة الإرشاد الإسلامي، 1405، ص55؛ ● المنصور، أنيسة، شعر البحرين، أطروحة دكتوراه دولة بصدد النشر، ص98 ـ 135؛ ● النويدري، سالم، أعلام الثقافة الإسلامية، مؤسسة المعارف، بيروت، 1992، 2/ 35 ـ 36.

د. أنيسة أحمد خليل المنصور

جامعة البحرين

الإصبعي البحراني، سليمان بن علي

(... هـ / ... م - 1101 هـ / 1689 م)

سليمان بن علي بن سليمان بن راشد ابن أبي ظبية الإصبعي الشاخوري، ينسب إلى قرية «أبو صيبع» من قرى البحرين، ثم انتقل منها إلى القرية المجاورة «الشاخورة»، وكانت القريتان من المراكز العلميّة آنذاك.

لا يعرف تاريخ مولده، ولكنه عاش في فترة

الانتعاش العلمي في البحرين، حيث انبعثت فيها حركة علميّة نشطة ذات طابع ديني، زهت بأسماء الكثير من الفقهاء وعلماء الدين والشعراء [المنصور، شعر البحرين، ص 98-135].

تتلمذ على مجموعة من علماء البحرين، ومن أساتذته: الشيخ علي بن سليمان بن درويش القدمي (ت 1064هـ/ 1653م) والذي لقب بأم الحديث لتضلعه في علم الحديث [يوسف البحراني، لؤلؤة البحرين ص 13 - و14]، كما أخذ عن الشيخ جعفر بن كمال الدين البحراني (ت 1088 هـ/ 1677م) والشيخ صالح بن عبد الكريم الكرزكاني (ت 1098هـ/ 1686م). وروى عن الشيخ أحمد بن محمد المقشاعي الإصبعي (ت بعد 1105هـ/ 1693م)، [الأمين، مستدركات أعيان الشيعة، 2/ 152؛ التاجر، منتظم الدرين ترجمة 362؛ الخوانساري، روضات الجنات، 2/ 191 و4/ 13؛ النويدري، أعلام الثقافة الإسلاميّة، 2/ 109].

أشاد مترجموه بقدراته العلميّة، فوصفه الحر العاملي في [أمل الآمل 2/ 1296] بأنّه فاضل فقيه علاّمة، ووصفه تلميذه ليمان الماحوزي (ت 1121 هـ / 1709م) بأنّه أعجوبة وقته في الحفظ وسعة العلم [فهرست علماء البحرين، ص 139]، وقيل عنه بأنّه مجتهد في المعقول والمنقول [الأمين، مستدرك الأعيان، 2/ 151].

توفي في 1101 هـ/ 1689م في البحرين ودفن في قريته «الشاخورة»، ورثاه أقرب أصدقائه عبد الرؤوف الجدحفصي، من شعراء البحرين (ت 1113 هـ/ 1701م)، بقصيدة ضمنها تاريخ الوفاة وهو [البسيط]:

صَاحَ الغُرابُ في رجَبٍ على
موْتِ الفَقيه فَأيُّ دَمْعٍ يُدَّخرُ

ويروي عنه جماعة من علماء البحرين، ويذكر الرواة أنّ جلّ علماء البحرين في عصره يروون عنه إمّا رواية أو دراية [التاجر، المنتظم]. ومن أشهر تلاميذه الذين نبغوا وتسلموا مراكز فقهيّة مرموقة: سليمان بن عبد الله الماحوزي، الذي احتفى به حتى لامه أصحابه على كثرة ملازمة شيخه وتجنبه التنويع في مرجعيّة الأخذ فقال متمثّلاً ببيت للشاعر العباسي بشار بن برد (ت 167 هـ / 783م) مع اختلاف يسير في روايته: [الخفيف].

عَنَّفوني لمَّا لَزِمْتُ سليمان
وجَانَبْتُ جُمْلَةَ العُلَمَاءِ

فَتَمَثَّلْتُ في الجَوَابِ بِبَيتٍ
قَالَهُ مُغْلَقٌ مِنَ الشُّعَرَاءِ

(يَسْقُطُ الطَّيْرَ حَيْثُ يَنْتَثِرُ الحَبُّ
وتُغْشَى مَنَازِلُ الكُرَمَاءِ)

[البلادي، أنوار البدرين، ص 149]

■ آثاره

للأصبعي مجموعة من المؤلّفات تتنوع بين رسالة وكتاب. ومن الكتب: كتاب العمدة، وكتاب في مناسك الحج، وله رسالة في حكم صلاة الجمعة زمن الغيبة، ردّ عليها أستاذه أحمد بن محمد المقابي (ت 1105 هـ/ 1693م)، ورسالة في تحليل القهوة والتبغ (التتن)، ورسالة في علم الكلام في أصول الدين، ورسالة في تحريم السمك الخالي من القشور، ورسالة في استقلال البكر، ورسالة

في الأوامر والنواهي، ورسالة في قول الرسول ﷺ: «من لا تقية له لا دين له» [الأمين، مستدركات أعيان الشيعة، 2/ 151 و152؛ البلادي، أنوار البدرين، ص 149؛ التاجر، منتظم الدرين، ترجمة 362؛ الحر العاملي، أمل الآمل، 2/ 129؛ الخوانساري، روضات الجنات، 4/ 13؛ الماحوزي، فهرست علماء البحرين، ص 138؛ عبد الله أفندي، رياض العلماء، 2/ 451؛ يوسف البحراني، لؤلؤة البحرين، ص 13].

المصادر والمراجع

● أفندي، الإصبهاني عبد الله، رياض العلماء، تحقيق أحمد الحسيني، مطبعة الخيام، قم، 1401، 2/ 451؛ ● الأمين، حسن، مستدركات أعيان الشيعة، دار التعارف، بيروت، ط 1، 1989، 2/ 151، 152؛ ● البحراني، يوسف بن أحمد العصفور، لؤلؤة البحرين، مطبعة النعمان، النجف، د.ت، ص 12-14؛ ● البلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مطبعة النعمان، النجف 1377هـ ص 148، 150؛ ● التاجر، محمد علي؛ منتظم الدرين، (مخطوط)، ترجمة 362؛ ● الحر العاملي، محمد بن الحسن، أمل الآمل، تحقيق أحمد الحسيني، مكتبة الأندلس، بغداد، 1385، 2/ 129؛ ● الخوانساري، محمد باقر الموسوي، روضات الجنات، مكتبة إسماعيليان، طهران، د.ت، 2/ 191 و4/ 13؛ ● الماحوزي، سليمان ابن عبد الله، فهرست علماء البحرين، تحقيق فاضل الزاكي، نشر المحقق، ط 1، 2001 ترجمة (28)؛ ● المنصور، أنيسة شعر البحرين من القرن السابع عشر إلى الثلث الأوّل من القرن العشرين، أطروحة دكتوراه دولة بصدد النشر، ص 98-135؛ ● النويدري، سالم، أعلام الثقافة الإسلاميّة في البحرين، مؤسسة المعارف، بيروت 1992، 2/ 108 - 111.

د. أنيسة أحمد خليل المنصور

جامعة البحرين

الإصبعي البحراني، محمد بن أحمد

(ت بعد 1123 هـ/ 1711م)

عاش محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف بن مخزوم الإصبعي الأوالي الخطي البحراني في أواخر القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي، ورد حا من القرن الثاني عشر الهجري، الثامن عشر الميلادي.

وكانت أسرته قد نزحت من جزيرة «سترة»، إحدى جزر البحرين إلى الخط، القطيف، ثمّ

عادت لتستقر في البحرين وتنسب إليها وإلى القرى التي سكنتها كـ «أبو صيبع» و«مقابة» [الماحوزي، فهرست علماء البحرين ص 146؛ النويدري، أعلام الثقافة الإسلامية 2/ 60].

لا تقدم كتب التراجم ترجمة الإصبعي، لكن يمكن القول إنّه نشأ في ظل أسرة معروفة في العلم والأدب، فكان والده وجدّه وعمّاه من العلماء [ديوانه، ص 17]. وأشاد الماحوزي (ت 1121 هـ/ 1709م) بوالد المترجم وكان شيخه فقال عنه إنّه أعجوبة زمانه في الذكاء والحكمة، ونادرة عصره في الكمال والنبل، وبلغ من الكمال أقصاه [النويدري، 2/ 61]، كما نوّه الشيخ يوسف البحراني [اللؤلؤة، ص 38]، بعلمه ودقّة نظره، وأشاد بتصانيفه الدالة على علوّ كعبه، وما هو عليه من بلاغة في التعبير والتحبير والتحرير. كما أشاد بجدّ المترجم الشيخ محمد بن يوسف الذي كان ماهرا في العلوم العقليّة والفلكيّة والرياضيّة والهيئة والهندسة والحساب والعربيّة [اللؤلؤة، ص 39؛ أعلام الثقافة، 2/ 235]. وكان كل من الجدّ والأب من العلماء الذين اضطلعوا بنشاط جيّد في ممارسة التدريس.

في هذا الجو العلمي الغني تربى الإصبعي، فكان يجلس مع أترابه في حلقات درس والده وجدّه، ويتلقّى عنهما مختلف علوم عصره، من علوم قرآنيّة، وحديث، وفقه، وشرائع، وأصول، وما إليها من علوم اللغة والأدب ورفد ذلك نشاط شعري، فكان والده شاعرا وشعره في غاية الجودة والجزالة [اللؤلؤة، ص 38؛ الديوان، ص 17]. وكذلك كان جدّه شاعرا، وله ديوان شعر [ديوان المترجم، ص 17 ـ 18]. فليس غريبا أن يلقى الإصبعي من أسرته عناية وتوجيها في تحصيله العلمي، ورعاية لميوله الأدبيّة.

على أنّ سمو مكانة الأسرة العلميّة لم يحم أبناءها من غائلة العوز، فقد عاش الشيخ محمد حياة بائسة، وظروفا اجتماعيّة صعبة، فكان يعاني الإملاق والفقر، وعمّق آلامه ما أصيب به من أمراض وأسقام أورثته نحولاً في الجسم، إلى أن وافته المنية بعد سنة 1117هـ/ 1123م، أي بعد أن انتهى من إملاء كتابه «منهاج السلوك» [الديوان، ص 23]، وبمدّة لا يعرف مقدارها لإهمال كتب التراجم الترجمة إليه.

عاصر الإصبعي فترة حرجة كثرت فيها الاضطرابات، وعانى أهل البحرين من الانفلات الأمني [المنصور، أنيسة، شعر البحرين، ص 39-51]، وما يستتبع ذلك من آثار اجتماعيّة سيئة كالفقر والعوز، فنضح شعره بالشكوى والتوجع من الفقر والمرض وغيرها من الظواهر الأخلاقيّة السيئة كالنفاق والتملق والغيرة والمنافسة والحسد.

ويغلب على أشعاره ورودها على شكل مقطوعات، وأطول قصائده نفسا ما كانت في المديح، وتحديدا مديح الشيخ ناصر بن بهاء الدين، من أمراء الخط (القطيف)، الذي كاد أن يقصر مدحه عليه فالقصيدة البائية عدتها 70 بيتا [الديوان، ص 57]، والرائية بلغت خمسين بيتا [ص 76]، وجعل الشاعر هذه القصيدة معرضا للعديد من الموضوعات، فقد يعمد في مدائحه إلى وصف فقره وحاجته استعطافا للممدوح، وحثا له على البذل والعطاء. يقول في مدح الشيخ ناصر بن بهاء الدين: [الديوان، ص 59]: [الطويل].

وإنّي لأهوى الشـيءَ للطِّبّ والدَّوَا
وتعديلهُ الخلْط الذي هُو غالبي

ولكنّما الإفلاسُ يمْنعُني الذي
أُحِبُّ وأهْوى منْ جميع مَطَالِبي

متى قُلْتُ: ابْغي الامرَ قَالَ لي: اصطَبِرْ
وإنْ رُمْتُ فِعْلَ الخيْرِ فَهْوَ مُحَارِبي

ولَوْ كُنْتُ أَشْكُو الفَقْرَ للشّيْخِ نَاصِر
لَفَارَقَنِي فَقْرِي وَجَانَبَ جَانِبِي

ودفعته الحاجة إلى أن يستمنحه بأسلوب مكشوف ودون مواربة [الديوان، ص68]: [الطويل].

أَجِزْني جَزِيلاً تَجْزَ خَيْرًا فبالهُدَى
لمَنْ جاء إخلاَصًا بصالحةٍ عَشْرُ

ويشيد بسجاياه وأخلاقه جانحا إلى المبالغة والإسراف [الديوان ص 79]: [الطويل].

لَقَدْ طَبَّقَ الآفاق جُودُكَ والنَّدى
فَلَمْ يَبقَ افقٌ وهوَ مِنْ جُودِكُمْ صُفْرُ

لَقَدْ عَشَقَ الإحْسَانَ طِفْلاً ويَافِعًا
عن اللُّطْفِ بالإخْوانِ لَيْسَ لَهُ صَبْرُ

ورغبة في استرضائه وتطلعا إلى دفعه إلى الجود يقرنه برموز الكرم والحلم والذكاء في التراث العربي ويحكم له بالتفوق عليهم [ص 80]: [الطويل].

فَحَاتِمُ المَشْهُورُ في الجُودِ دُونَهُ
كَذَا أحْنَف في حِلْمِهِ حلمه نَزْرُ (!)

يَفُوقُ إيَاسًا في ذَكَاءٍ وَفِطْنَةٍ
كَذَا في سَنَاهُ يَصْغُرُ الشَمْسُ والبدرُ

وتبرز الشكوى في شعر الإصبعي، وتتعدد مصادرها، فيشكو من وضعه المادي، ومن اعتلال صحته، ويشكو من قريته، ومجتمعه وأعدائه بل الدهر وصروفه وغدر أهله، فيقول شاكيا لربه، داعيا على أعدائه [الديوان ص 95]: [الطويل]

أَتَيْتُكَ اشكُو انْتَ تعْلَمُ حَالِيَا
عُدُوي - إلهي - لا تُنِلْهُ الأمَانِيَا

يُمَزِّقُ مِنِّي العِرْضَ غَيْرَ مُرَاقِبٍ
بِكُلِّ مَكَان كَانَ مِنِّي خَالِيَا

ويَغْتَابُنِي بُغْضًا وَقَدْ قُلْتَ مُنْزِلاً
بِنكرِكَ لا يَغْتَبْ عَنْ الغَيْبِ نَاهِيَا

ويتوجع من الدنيا وغدرها ومنحها وما تسببه من آلام [الديوان ص 57]: [الطويل].

رَأَيْتُ مِنَ الدُّنْيَا كَغَدْرِ الكَوَاعِبِ
تُوَاصِلُنَا يَوْماً وتَنْأَى بِجَانِبِ

إذَا اخْتَبَرَ الدُّنْيَا الكَرِيمُ رَأَى بِهَا
سُمُومَ الأفَاعِي لاَ سُمُومَ العَقَارِبِ

ويشكو من أهل بلدته (أوال) ويعرض لصور من عيوبها الاجتماعيّة التي ينفر منها [الديوان ص 66]: (الكامل).

لا يَخْدَعَنَّكَ مِنْ اوَالَ مُنَافِقٌ
بِفُؤَادِهِ وحَشَاهُ نَارٌ تُوقَدُ

كَلَّا وإنْ أبْدَى الوِدَادَ فَإنَّهُ
لِحُسَامِهِ قَدْ سَمَّ وهوَ مُجَرَّدُ

ويتألم من الفقر الذي يرافقه ويداوم على مرافقته فيدعو عليه [ص 59]: [الطويل].

فَقُوتِلَ إفْلاَسِي وَأَبْعدَ بالغِنى
فإنّي أرَى الإفْلاَسَ أقْبَحَ صَاحِبِ

وترتبط الشكوى بمناجاة الخالق وطلب

الرحمة والمغفرة منه [الديوان ص 91]: [الطويل].

ضَاقَ الخِنَاقُ فَدَاوِ دَائِي بِالذِي
هُوَ لِلحَوائِجِ والجَرَائِحِ مُرْهَمُ
وامْنُنْ عَلَيَّ بِنَظْرَةٍ تَعْفُو بِهَا
عَنْ زَلَّتِي أَنْتَ المُجِيبُ المُكْرِمُ

وتمتزج المناجاة بمعاني الاستكانة والتذلل والدعاء [الديوان ص 94]: [الكامل].

يَا رَبِّ إِنِّي مُسْتَكِينٌ بَائِسٌ
أَرْجُو لَدِيكَ كَرَامَةً أَحْظَى بِهَا

وتطلعا إلى استجابة الدعاء يتوسل بالرسول وعترته [الديوان ص 64]: [الطويل].

إلَهِي بِجَاهِ المصْطَفَى سيِّد الوَرَى
وعِتْرَتِهِ الأطْهَارِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ
تَوَلَّ قَضَا حَاجَاتِ عَبْدِكَ واكفِهِ
مَؤُونَةَ دُنْيَاهُ وبُلْغَةَ قُوتِهِ

وتبدو شخصيته كمدرس يعتني بالجانب التربوي، ويشكل الشعر التعليمي محورا أصيلا في شعره، فهو يدعو إلى تبجيل المعلم واحترامه، وينصح بتقليل الأكل والشرب، ويحث على طلب الرزق، ويحذر من الدنيا وخداعها، وينصح بمصاحبة من يخشى ربه، ومما قاله ناصحا ابنته بطاعة الخالق وأداء فروض العبادة [الديون ص 91]: [الطويل].

بنيةُ قُومِي عِنْدَ كُلِّ فَرِيضَةٍ
وَأَدِّي جَمِيعَ الفَرْضِ عَنْكِ بِمَنْزِلِ
كَمَالُكِ ان تُرْضِي إلهَكِ دَائِمًا
وانْ تَلْبِسِي ثَوْبَ الحَيَاءِ وَتَغْزِلِي

ويحذر من الأعداء ويدعو إلى مداراتهم، ويدل على آلية درء شرهم [الديوان ص 75]: [البسيط].

دَارِ العَدُوَّ ضعيف البطش والعضدِ
إنَّ اللَّبِيبَ من الاعْدَاءِ فِي نَكَدِ
دَارِ العَدُو بِبَذْلِ المَالِ مُعْتَذِرًا
واحْذَرْهُ حَذْرَ ذَوِي الألْبَابِ لِلأَسَدِ
إنَّ العَدُوَّ وإنْ أَرْضَاكَ ظَاهِرُهُ
فَالقَلْبُ مُشْتَعِلٌ بِالحِقْدِ والحَسَدِ

وتتسم لغته الشعريّة بالبساطة والسهولة ومقاربتها لتخوم اللغة الدارجة. ويظهر ميله للبحور الطويلة جليا فيكثر من استخدامها. ويأتي الطويل في المرتبة الأولى يليه الكامل [الديوان ص 44]. وتأثرا باتجاه عصره ظهر نزوعه إلى استخدام فنون البديع خاصة الجناس والطباق. وفي تشبيهاته واستعاراته مال إلى استخدام المتداول منها، مع قدرة في بعض الأحيان على استثمار الموروث الشعري بطريقة سلسة تنمّ عن موهبة أدبيّة أصيلة [الديوان ص 38]. وظهر في أسلوبه ميل إلى الاقتباس خاصة في مجال آيات القرآن الكريم. يقول مقتبسا معني الآية الكريمة ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ﴾ [الأنعام. 160] [طويل].

أجِزْنِي جَزِيلاً تُجْزَ خَيْرًا فَبِالهُدَى
لِمَنْ جَاءَ إِخْلاَصًا بِصَالحَةٍ عَشْرُ

■ آثاره

للإصبعي عدّة مؤلّفات منها:

1 - منهاج السلوك، وهو كتاب حقّقه د. وليد محمود خالص، ونشره مركز بحوث التاريخ والتراث الشعبي، بجامعة الإمارات العربيّة

المتحدة سنة 1991؛ 2 - ديوان شعر عشر د. وليد خالص على نسخة خطية منه في المتحف العراقي، فحقّقه ونشره اتحاد كتّاب وأدباء الإمارات في 1992. ويشتمل هذا الديوان على 368 بيتًا تقريبًا موزعة على أربع وأربعين شعرا بين قصيدة أو مقطوعة. وتدور أشعاره في إطار موضوعات الشعر العربي القديم من مديح ونسيب وشكوى، ويغلب على معانيه وألفاظه الطابع التقليدي. وصوّر بعض شعره جانبا من حياة الإصبعي، كما رسم العديد من الصور الاجتماعيّة السلبيّة السائدة في مجتمعه.

المصادر والمراجع

● الإصبعي، محمد بن أحمد، ديوانه، تح وليد محمود خالص، منشورات اتحاد كتاب وأدباء الإمارات، ط1، 1992؛ ● البحراني، يوسف، لؤلؤة البحرين، مطبعة النعمان، النجف، د.ت، ص 37-40؛ ● الماحوزي، سليمان، فهرست علماء البحرين، تحقيق فاضل الزاكي، نشر المحقق، ط1، ص 145-149؛ ● المنصور، أنيسة، شعراء البحرين من القرن السابع عشر إلى القرن الثالث الأوّل من القرن العشرين، أطروحة دكتوراه دولة بصدد النشر، ص 39-51؛ ● النويدري، سالم، أعلام الثقافة الإسلاميّة في البحرين، مؤسسة المعارف، بيروت 1992، 2/ 60 - 63.

د. أنيسة أحمد خليل المنصور

جامعة البحرين

أصبغ، أبو عبد الله أصبغ بن الفرج بن سعيد

(... هـ / ... م - 225 هـ / 840 م)

هو أصبَغ بن الفَرَج بن سعيد بن نافع، المُكنى بأبي عبد الله، الفقيه المالكي، ومفتي الديار المصرية [مخلوف، شجرة النور، ص 66؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 9، ص 289؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 1، ص 240؛ كحالة، معجم المؤلفين؛ ج 2، ص 302]. وُلد بعد سنة خمسين ومائة، ورحل إلى المدينة المنورة ليسمع من الإمام مالك - رحمه الله تعالى - فدخلها يوم وفاته، [الخضري، تاريخ التشريع، ص 179]. وتوفي بمصر يوم الأحد لأربع بقين من شهر شوال سنة خمس وعشرين ومائتين، وقيل سنة ست وعشرين ومائتين، وقيل سنة عشرين ومائتين، رحمه الله عز وجل [ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 1، ص 240؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج 2، ص 56؛ مخلوف، شجرة النور، ص 66]. تولى رتبة الإفتاء بمصر، وذُكر للقضاء في مجلس الأمير عبد الله بن طاهر، فسبقه سعيد بن عُفير [الذهبي، سير

أعلام النبلاء، ج 9، ص 290؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج 2، ص 56]. أثنى عليه عدد من العلماء والفقهاء، وسموه بالفقيه والأفقه والناظر والثقة والعالم، وقدموه على كثير من الأعلام والبارزين، فقد قال فيه ابن المعين: كان من أعلم خلق الله كلهم برأي مالك يعرفها مسألة مسألة متى قالها مالك ومن خالفه فيها.

وقال فيه أبو حاتم: هو أجلُّ أصحاب ابن وهب [ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج 2، ص 56]. وقال في حقه عبد الملك ابن الماجشون: ما أخرجت مصر مثل أَصْبَغ، قيل له: ولا ابن القاسم؟ قال: ولا ابن القاسم [ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 1، ص240؛ الزركلي، الأعلام، ج 1، ص333؛ مخلوف، شجرة النور، ص66]. وحكى عون ابن عبد الله قال: قال لي أَصْبَغ: سمعت من أبيك كلاما نفعني الله تعالى به وهو: لأن يخطىء الإمام في العفو خير من أن يخطىء في العقوبة [ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 1، ص 240]. وكان المُزني والرّبيع يقولان: كنّا نأتي أَصْبَغ قبل قدوم الشافعي، فنقول له: علّمنا مما علّمك الله تعالى. وقال أحمد بن عبد الله: أَصْبَغ ثقة صاحب سُنَة. وقال أبو حاتم: كان أَجَلّ أصحاب ابن وهب. وقال أبو سعيد بن يونس: كان يحيى بن عثمان بن صالح يقول: هو من أولاد عبيد المسجد، كان بنو أمية يشترون للمسجد عبيدا يخدمونه، فأَصْبَغ من أولاد أولئك، وكان مضطلعا بالفقه والنظر [الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 9، ص290]، وقال مُطَرِّف بن عبد الله: أَصْبَغ أفقه من عبد الله بن عبد الحكم. كان كاتبا لابن وَهْب، وجده نافع عتيق عبد العزيز بن مروان بن عبد الحكم الأموي والي مصر [ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 1، ص 240]، وقال ابن فرحون: كان فقيه البلد، ماهرًا في فقهه، طويل اللسان، حسن القياس، نظارا، من أفقه الطبقة الأولى الذين انتهى إليهم فقه مالك والتزموا ممن لم يره ولم يسمع منه من أهل مصر [ابن فرحون، الديباج المذهب، ص 97]؛ وقيل لأشهب: من لنا بعدك؟ قال: أصبغ بن الفرج. وقال ابن وهب: لولا أن تكون بدعة لسوّرناك يا أصبغ كما تسور الملوك فرسانها. وقال ابن اللباد: ما انفتح لي طريق الفقه إلا من أصول أصبغ [ابن فرحون، الديباج المذهب، ص 97].

وقال أصبغ: أخذ ابن القاسم يوما بيدي وقال: أنا وأنت في هذا الأمر سواء فلا تسألني عن المسائل الصعبة بحضرة الناس ولكن بيني وبينك حتّى أنظر وتنظر [ابن فرحون، الديباج المذهب، ص 97]. وكان من بين العلماء المصريين المرموقين، هو لا يعد فقط على أنه أحسنهم علما بفقه مالك، بل إنه كان له أيضا بعض الميزات الفقهية [موراني، دراسات في مصادر الفقه المالكي، ص 121].

تفقه أَصْبَغ بأعلام بارزين وأخذ عن جماعة من الراسخين في المذهب المالكي [ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج 2، ص 56؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 1، ص 240؛ مخلوف، شجرة النور، ص 66]. ومن هؤلاء الشيوخ والأساتذة: - ابن القاسم العُتْقي المالكي

المولود بمصر سنة 132 هـ / 749 م، ثم انتقل إلى المدينة المنورة، وسمع بها دروس الإمام مالك ابن أنس - رضي الله عنه - لمدة عشرين عاما. وهو يعد من أبرز تلاميذه وأهم رواته. وهو شيخ للإمام سحنون (160-240هـ / 776-854 م) صاحب المدونة الكبرى [سزكين، تاريخ التراث العربي، م 1، ج 3، ص 142 - 143، 148 - 149]؛ - أبو محمد عبد الله بن وَهْب الفِهري القرشي المصري، ولد بمصر سنة 125 هـ / 743 م، محدث وفقيه ومفسر، روى عن الإمام مالك، وهو من تلاميذه. وهو الوحيد الذي لقبه مالك بفقيه مصر. توفي سنة 197هـ/ 812م [سزكين، تاريخ التراث العربي، م1، ج 3، ص 144]؛ - أبو عمرو أشهب بن عبد العزيز ابن داود القَيْسي، ولد بمصر سنة 145 هـ/ 762 م، تلميذ لابن وهب، محدث وثقة وفقيه مرموق عالي المكانة. توفي سنة 204 هـ / 819 م [سزكين، تاريخ التراث العربي، م 1، ج 3، ص 145؛ مخلوف، شجرة النور، ص 59]. فكان هؤلاء الأعلام أبرز الشيوخ الذين تفقه أصبغ بهم. وقد ذكر الذهبي أنه حوى علما جما من ابن وهب وابن القاسم [الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 9، ص 289].

كما أنه قد أخذ وروى عن غير هؤلاء، وممن روى عنهم: عبد العزيز الدَّراوَرْدي، وأسامة ابن زَيد بن أسلم، وأخوه عبد الرحمن بن زيد، وحاتم ابن إسماعيل، وعيسى بن يونس السَّبيعي [الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 9، ص 289؛ مخلوف، شجرة النور، ص 66].

وتتلمذ لأصبغ خلق كثير، وروى عنه جم غفير، فقد حدّث عنه: البخاري، وأحمد بن الحسن الترمذي، ويحيى بن معين، وأحمد ابن الفرات، والربيع بن سليمان الجيزي، وإسماعيل سَمُّويه، ومحمد بن إسماعيل السُّلمي، وأبو الدرداء عبد العزيز بن مُنيب المَرْوَزي، ويحيى بن عثمان بن صالح، وبكر ابن سَهل الدُّمياطي، وأبو يزيد يوسف القَراطيسي، وأبو حاتم الرازي، وابن وضّاح، ومحمد بن أسد الخشني، وسعيد بن حسان؛ وتفقه به ابن الموّاز، وابن حبيب، وأحمد بن زيد القرطبي، وغيرهم [الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 9، ص 289؛ مخلوف، شجرة النور، ص 66].

آثاره

لأصبغ مؤلفات، منها: 1 - كتاب الأصول، في عشرة أجزاء؛ 2 - تفسير غريب الموطأ؛ 3 - كتاب آدلب الصائم، أو آداب الصيام؛ 4 - كتاب أو كتب سماعه من ابن القاسم. وقد ذكر ابن فرحون أنها اثنان وعشرون كتابا؛ 5 - كتاب آداب القضاء، وقيل: آداب القضاة؛ 6 - كتاب الرد على أهل الأهواء؛ 7 - كتاب المزارعة، وذكر مخلوف له كتابا آخر بعنوان (تفسير حديث الموطأ)، ولعله تفسير غريب الموطأ [مخلوف، شجرة النور، ص 66].

المصادر والمراجع

- أبو الأجفان، محمد، الكليات الفقهية للإمام المقري، الدار العربية للكتب، تونس، سنة 1997، ص 174؛
- الخضري بك، محمد، تاريخ التشريع الإسلامي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة التاسعة سنة 1390

هـ / 1970م، ص 179؛ ● ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين، (608 هـ / 681 هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح. إحسان عباس، دار الثقافة بيروت، ج 1، ص 240؛ ● الذهبي، شمس الدين، سير أعلام النبلاء، تح. محب الدين العَمْروي، بيروت، لبنان، (1417 هـ / 1997 م)، دار الفكر، ج9، ص 289 - 290؛ ● الزركلي، خير الدين، الأعلام. بيروت، لبنان، (طبعة عاشرة سنة سبتمبر 1992)، دار العلم للملايين، ج 1، ص 333؛ ● سَزكين، فؤاد، تاريخ التراث العربي، الرياض، السعودية، سنة 1411هـ/ 1991م، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، مجلدا، ج 3، ص 142-145، 149؛ ● ابن العماد، الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح. لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، دار الآفاق الجديدة، ج2، ص 56؛ ● ابن فرحون، برهان الدين إبراهيم، الديباج المذهب، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ص 97؛ ● كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، بيروت، لبنان، مكتبة المثنى ببيروت، ودار إحياء التراث العربي، ج 2، ص 302؛ ● مخلوف، محمد بن محمد، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الفكر، ص 59، 66؛ ● موراني، ميكلوش، دراسات في مصادر الفقه المالكي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى سنة 1409 هـ / 1988 م، دار الغرب الإسلامي، ص 121، 191.

د. نور الدين الخادمي

جامعة الزيتونة - تونس

أبو الأصبغ، عيسى بن سهل

(413 هـ / 1022 م - 486 هـ / 1093 م)

القاضي أبو أصبغ عيسى بن سهل ابن عبد الله الأسدي الجيّاني القرطبي الفقيه الملكيّ النوازليّ المشهور [عياض، ترتيب المدارك، ج 8، ص 182؛ ابن خير، الفهرست، ص 436؛ ابن بشكوال، الصلة، ج 2، ص 635؛ الضبي، بغية الملتمس، ص 403؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 14، ص 124؛ ابن فرحون، الديباج المذهب، ص 181؛ مخلوف، شجرة النور، ص 122؛ كحالة، معجم المؤلفين، ج 8، ص 25]. ولد سنة 413 هـ بجيّان بالفتح ثم التشديد، وهي مدينة كبيرة من مدن الأندلس تجمع قرى كثيرة وبلدانا، بينها وبين قرطبة سبعة عشر فرسخًا، انتسب إليها جماعة وافرة من أهل العلم منهم المحدّث الكبير الحسين بن محمد بن أحمد

الغساني المعروف بالجياني (ت 498 هـ)، وأبو الحجاج يوسف بن محمد بن فاروا (545هـ) [عياض، ترتيب المدارك، ج 8، ص 182؛ ابن بشكوال، الصلة، ج 2، ص 635؛ ياقوت، معجم البلدان، ص 226؛ النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص 96؛ ابن فرحون، الديباج المذهب، ص 181؛ كحّالة، معجم المؤلفين، ج 8، ص 25].

كان محدّثًا فقيها مشاورا موثّقًا نوازليًا بارعًا، سكن قرطبة وتفقّه بكبار شيوخها حتّى أصبح من أيمّة المالكيّة في عصره، وولّي بها الشورى وكتابة حاكمها ابن جريس، وكتب للقاضي أبي زيد الحشّاء بطليطلة ثم فارقه لأمر نقمه عليه، وقدم سبتة فنوّه به صاحبها البرغواطي، فرأس فيها وأخذ عنه جماعة من فقهائها، وولي قضاء طنجة ومكناسة، ثمّ رجع إلى الأندلس، فولّي قضاء غرناطة إلى أن دخلها المرابطون فبقي يسيرًا ثمّ نُفي منها [عياض، ترتيب المدارك، ج 8، ص 182؛ النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص 96؛ ابن بشكوال، الصلة، ج 2، ص 635؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 14، ص 124؛ ابن فرحون، الديباج المذهب، ص 181؛ الزركلي، الأعلام، ج 5، ص 103]، والظاهر أنه كان ذا منزلة سامية نال بها وجاهة عند أمراء عصره، فقد ذكر النباهي في تاريخ قضاة الأندلس أنه لمّا استقرّ أمير المسلمين يوسف بن تاشفين بسبتة يروم عبور البحر برسم الجهاد في الأندلس وجّه إليه الأمير عبد الله قاضيه ابن سهل رسولا في معرض الهناء له والتلقي بالرحب فقابله بالمبرّة والكرامة [ص 97].

نوّه به الأيمّة، وأشادوا بغزارة علمه وحميد خلاله، ذكره الإمام أبو الحسن بن الباذش فقال: «كان من أهل الخصال الباهرة والمعرفة التامّة، يشارك في فنون من العلم» وقال ابن الصيرفي: «كان من أهل العلم والفهم والتفنّن في العلم مع الخير والورع وصحّة الدين وكثرة الجود، بارع الخطّ، فصيح الكتابة، حاضرالذهن له قريض جزل» [ابن بشكوال، الصلة، ج 2، ص 635؛ ابن فرحون، الديباج المذهب، ص 182]، وقال ابن الخطيب في الإحاطة في تاريخ غرناطة «كان من جلّة الفقهاء، وكبار العلماء، حافظًا للرأي، ذاكرا للمسائل، عارفا بالنوازل، بصيرًا بالأحكام، متقدّما في معرفتها، جمع فيها كتابا حسنا مفيدًا يعوّل الحكّام عليه» [ابن بشكوال، الصلة، ج 2، ص 635؛ النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص 97؛ ابن فرحون، الديباج المذهب، ص 182].

لقي الإمام أبا عبد الله بن عاتب فلازمه فترة طويلة، وحصّل عليه الشرعيات حتّى برع فيها، ونقل عنه في كتاب الإعلام مسائل كثيرة من ذلك أنه سأله عن الهدية التي تهديها الأزواج إلى الزوجات قبل البناء كالخفّين والجوربين ونحوهما، هل يقضى على الزواج بها إن امتنع منها وطلب بها؟ فقال: بل يقضي عليه بها على قدره وقدرها وقدر صداقها وليس عليها أن تثيبه إلاّ أن تشاء [مخطوط بالمكتبة الوطنية، رقم 18394، ورقة 52 أ]، وسأله عن تقييد نقل شهادة المريض إلى القاضي كيف هو، فقال: الذي كان يعمل به في ذلك شهد عند القاضي فلان بن فلان زيد ابن فلان وبكر بن فلان، أن فلان بن فلان

أشهدهما لمرضه المانع له من الخروج أن شهادته الواقعة في هذا الكتاب حق على حسب وقوعه فيه [مخطوط بالمكتبة الوطنية رقم 18394، ورقة 11 ب]، وقد كان هذا الشيخ يعلو بأبي الأصبغ ويثني عليه [عياض، ترتيب المدارك، ج 8، ص 182؛ ابن بشكوال، الصلة، ج 2، ص 635].

سمع بجيّان، وغرناطة، وطليطلة، وقرطبة، وسبتة، فقد روى عن أبي عبد الله محمد بن عتاب الجذامي (ت 462 هـ)، وأبي القاسم حاتم بن محمد بن عبد الرحمان التميمي القرطبي المعروف بابن الطرابلسي (ت 469 هـ)، وأبي عمر أحمد بن محمد بن عيسى بن القطان (ت 460 هـ)، وأبي مروان عبيد الله بن محمد بن مالك (ت 460 هـ)، وأبي محمد مكّي بن أبي طالب (ت 437)، وابن شمّاخ وأبي الوليد هشام بن عمر بن سوار الفزاري، وأبي زكرياء يحيى بن محمد ابن حسين الغسّاني المعروف بالقليعي (ت 442 هـ)، والقاضي أسد، وأبي بكر عثمان ابن عيسى بن يوسف التجيبي المعروف بابن رافع رأسه، وأبي جعفر مكّي بن عيسى ابن أحمد المعروف بالكندي (ت 454 هـ)، وأبي بكر محمد بن موسى بن فتح الأنصاري المعروف بابن الغراب من أهل بطليموس (ت 460 هـ)، وأجازه الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البرّ النمري (ت 463 هـ) [عياض، ترتيب المدارك، ج 8، ص 182؛ ابن بشكوال، الصلة، ج 2، ص 635؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 14، ص 124؛ النبّاهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص 96؛ ابن فرحون، الديباج المذهب، ص 181-182؛ مخلوف، شجرة النور الزكيّة، ص 122].

وحدّث عنه خلق منهم خالاي أبو محمّد، وأخوه ابن الجوزي، والقاضي أبو عبد الله محمّد بن عيسى التميمي (505 هـ) ثم ترك الرواية عنه [ابن بشكوال، الصلة، ج 2، ص 635؛ مخلوف، شجرة النور الزكيّة، ص 122]. وبه تفقّه جماعة منهم أبو بكر محمّد بن عليّ المعافري (ت 483 هـ)، وأبو الحسن أحمد بن أحمد بن محمّد الأزدي المعروف بابن القصير من أهل غرناطة (ت 531 هـ)، وأبو زيد عبد الرحمان بن محمّد بن عبد الرحمان الصقر الأنصاري البلنسي (ت 523 هـ)، وأبو عبد الرحيم بن محمّد بن فرج الغرناطي الخزرجي المعروف بابن الفرس (ت 542 هـ)، وأبو عبّاس أحمد ابن محمّد الأنصاري المعروف بابن الحداد، وأبو إسحاق إبراهيم بن جعفر اللواتي (ت 513 هـ)، وهو أشدّهم اختصاصا به، فقد صحبه فترة طويلة، وسمع منه جميع كتبه وحدّث بها عنه وكتب له في قضائه بطنجة، وغرناطة [عياض، ترتيب المدارك، ج 8، ص 182؛ ابن بشكوال، الصلة، ج 2، ص 635؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 14، ص 124؛ النبّاهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص 96؛ ابن فرحون، الديباج المذهب، ص 181-182؛ مخلوف، شجرة النور الزكيّة، 122].

روى القاضي أبو الأصبغ عيسى بن سهل بسنده جملة من الأحاديث النبوية منها ما حدّث به عن شيخه عبد الله بن أبي بكر بن حزم عن أبيه عن عمرو بن سليم الزرقي أنه

قال أخبرني أبو حميد الساعدي أنهم قالوا: يا رسول الله كيف نصلّي عليك؟ فقال: قولوا «اللهم صلّ على محمّد وأزواجه وذرّيته كما صلّيت على آل إبراهيم وبارك على محمّد وأزواجه وذرّيته كما باركت على آل إبراهيم إنّك حميد مجيد» [عياض، الشفاء، ج2، ص 54-55].

وعن أبي القاسم حاتم بن محمّد بن عمر بن الفخار عن أبي عيسى عن يحيى عن مالك عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس ابن مالك رضي الله عنه: «رأيت رسول الله ﷺ وحانت صلاة العصر، فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه، فأتي رسول الله ﷺ بوضوء فوضع رسول الله ﷺ في ذلك الإناء يده وأمر الناس أن يتوضّئوا منه. قال: فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه فتوضّأ الناس حتّى توضّأوا من عند آخرهم» [عياض، الشفاء، ج 1، ص 186].

وعن حاتم بن محمّد أيضًا عن أبي عبد الله ابن الفخّار عن أبي عيسى عن عبيد الله عن يحيى عن مالك عن داود بن الحصين عن أبي سفيان مولى بن أبي أحمد أنه قال: سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول: «صلّى رسول الله ﷺ صلاة العصر فسلّم في ركعتين، فقام ذو اليدين فقال: يا رسول الله، أقصرت الصلاة أم نسيت؟ فقال رسول الله ﷺ: كلّ ذلك لم يكن» [عياض، الشفاء، ج 2، ص 119-120].

وعن حاتم بن محمد عن أبي حفص الجهني عن أبي بكر الآجري عن إبراهيم بن موسى الجوزي عن داود بن رشيد عن الوليد بن مسلم عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن عبد الرحمان بن عمرو الأسلميّ وحجر الكلاعي عن العرباض بن سارية في حديثه في موعظة النبي ﷺ أنه قال: «فعليكم بسنّتي وسنة الخلفاء الراشدين، المهديين عضّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإنّ كلّ محدثة بدعة، وكلّ بدعة ضلالة» [عياض، الشفاء، ج 2، ص 9].

آثاره

1 - الإعلام بنوازل الأحكام، عوّل عليه شيوخ الفتيا والحكّام [عياض، ترتيب المدارك، ج 8، ص 182؛ ابن بشكوال، الصلة، ج 2، ص 635؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 14، ص 124؛ النبّاهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص 96؛ ابن فرحون، الديباج المذهب، ص181-182].

ولأهميته حفل به المصنّفون على اختلاف عصورهم، وأكثروا من إيراد أقواله، فقد نقل عنه أبو الوليد بن رشد (ت 520 هـ) [الفتاوي، ج 1، ص 598، ج 2، ص 791]، ومحمّد بن عيسى بن المناصف (ت 620 هـ) [تنبيه الحكّام، ص 187، 262-263، 286، 350]، وأحمد بن يحيى الونشريسي (ت 914 هـ) [المعيار، ج 4، ص 70، 82، 84، ج 4، ص 70، 82، 84، ج 6، ص 262، 468] وعبد السلام ابن محمّد الهواري (ت 1328 هـ) [شرح وثائق محمّد بن أحمد بن حمدون بناني، ص 8].

وهو مصنّف جليل القدر كثير النفع في بابه، حرّره بأسلوب جامع بين الدقّة والوضوح، واستدلّ لمسائله المتنازع فيها بالنصوص

الشرعية، وعوّل على أقوال أيمّة المذهب المبثوثة في المدوّنة والموازية والمواضحة والعتبية وسائر الأمّهات فيما لم يجد فيه نصّا من الكتاب والسنة وقد ضمّنه أبوابا عديدة وزّعها على أربعة أجزاء، أوّله «الحمد لله الأوّل، الآخر، الباطن، الظاهر... وبعد حمد الله تعالى والصلاة على رسوله المصطفى فإنّي بجميل صنع الله فيّ وجليل أفضاله، وحسن عونه لي، أيّام نظري في القضاء والأحكام وزمن تقييدي أحكام غيري من القضاة والحكّام، جرت على يديّ نوازل استطلعت فيها برأي من أدركت من الشيوخ والعلماء، وانفصلت لي في مسائل كاشفت عنها كبار العلماء، إذ كانوا من هذا الشأن بأرفع مكان وأعلى منزلة وأرفع درجة رسوخا وعلما ودراية وفهما، وكنت علّقت أكثر ذلك على حسب وقوعه لا على ترتيبه وتنويعه لأتذكّر به متى احتجت وأستظهر به متى احتججت ثمّ إنّي رأيت الآن ضمّ تلك النوازل إلى نظام، وجمع تلك المسائل إلى ترسيم والتئام، وجمع أشكالها بعضها إلى بعض لتكون أمكن وأيسر ومنفعتها أقرب وأكثر وإن كان الذهن كليلا والنشاط قليلاً.. وقد ضمّنته مسائل لا توجد إلاّ فيه، ومعاني لا غنى لمستبصر فيها. وكان ابتدائي به لعشر خلون من المحرّم سنة 472 هـ» [مخطوط، المكتبة الوطنية رقم 18394، ورقة 19أ]، وآخره «والحمد لله ثم الحمد لله على ما منحنا من هداه وفهمنا فيه وعلّمنا إياه، والصلاة التامّة على رسوله محمّد الذي اصطفاه وختم به الرسل واجتباه..» [مخطوط، المكتبة الوطنية، رقم 18394، ورقة 204].

يعرب هذا الكتاب عن رسوخ قدمه، ووفرة اطّلاعه، واستقلال نظره في علمي الحديث والفقه، فمن الأوّل قوله بعد إيراد اختلاف الأنظار فيمن شهد عدول بكونه مرضيّا، وشهد آخرون بسخط حاله «والأول أصحّ في النظر، وقائلوه أكثر، وعليه العمل» [مخ. المكتبة الوطنية، رقم 18394، ورقة 6أ]، وقوله في حديث القضاء باليمين مع الشاهد «هو مرسل عند جميع رواة الموطأ ومالك وأصحابه يقولون بالمرسل كقولهم بالمسند، وهو عندهم أصل يرجع إليه ويعوّل عليه وهو مذهب الصحابة والتابعين رضي الله عنهم، وقد أسند هذا الحديث ثقات منهم عبيد الله ابن عمر، وعبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي وغيرهما عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر عن النبيّ ﷺ» [مخطوط، المكتبة الوطنية رقم 18394، ورقة 19أ]، ومن الثاني قوله بعد حكاية الاختلاف فيمن حكم بعلمه أو بما أقرّ عنده في مجلس قضائه وإن لم تحضره بيّنة «وهذا عندي القياس الصحيح المطّرد لمن قال لا يقضي القاضي بعلمه ولا بما يسمع في مجلس نظره لكنّ الذي قاله أبو إبراهيم، وابن العطّار به جرى العمل وهو عندي الاستحسان، ويعضده قوله مطرف وابن ماجشون وأصبغ» [مخط. المكتبة الوطنية رقم، 18394، ورقة 19أ].

وهذا الكتاب توجد منه نسختان بتونس: الأولى بدار الكتب الوطنية رقم 18394 تقع في 204 ورقة موزّعة على أربعة أجزاء، ويرجع تاريخ نسخها إلى أواخر القرن السابع، حجم المخطوط 27.5 × 21 صم، والثانية بمكتبة آل النيفر رقم 484 وهي نسخة

قيروانية نسخها قاسم بن محمد بن عظوم المرادي الأوسي القرفي، تقع في مجلّد واحد يشتمل على أربعة أجزاء، وهي سالمة من التمزيق والعيوب، إذ تمّ نسخها في 7 رجب 1204 هـ، حجم المخطوط 29 صم × 21 صم، وتوجد منه نسخة في خزانة الرباط (86 أوقاف) [الزركلي، الأعلام، ج 5، ص 103].

والكتاب حقق السفر الأوّل منه د.أنس العلاّني لنيل شهادة الدكتوراه الحلقة الثالثة في الفقه، والسياسة الشرعية بإشراف الشيخ محمّد الشاذلي النيفر، توجد نسخة منه بمكتبة المعهد الأعلى لأصول الدين تحت رقم ح 32، وقد حقّقه أيضًا د. نصوح النجّار كما ذكر الزركلي في [الأعلام ج 5، ص 103]، ومن تصانيفه شرح الجامع الصحيح للإمام محمّد بن إسماعيل البخاري (ت 256 هـ) [البغدادي، هدية العارفين، ج 1، ص 807].

توفّي مصروفا عن قضاء غرناطة يوم الجمعة ودفن يوم السبت الخامس من المحرّم سنة 486 هـ [عياض، ترتيب المدارك، ج 8، ص182؛ ابن بشكوال، الصلة، ج 2، 635؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 14، ص 124؛ النبّاهي، تاريخ قضاة الزندلس، ص 97؛ ابن فرحون، الديباج المذهب، ص 182؛ مخلوف، شجرة النور، ص 122؛ كحالة، معجم المؤلّفين، ج 8، ص 25].

المصادر والمراجع

● أبو الأصبغ، عيسى بن سهل، الإعلام بنوازل الحكام، مخط. بالمكتبة الوطنية رقم 18394، ورقة 6أ، ورقة 19أ، ومخط. بمكتبة آل النيفر رقم 448؛ ● ابن رشد، أبو الوليد محمّد بن أحمد (ت 520 هـ)، الفتاوي، تح. د. المختار ابن الطاهر التليلي، دار الغرب الإسلامي، ط 1، 1407 هـ/ 1987 م، ج 1، ص 598، ج 2، ص791؛ ● عياض، أبو الفضل: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تح. سعيد أحمد أعراب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، ط 1403 هـ/ 1983 م، ج 8، ص 182، ● اليحصبي الأندلسي، الشفاء بتعريف حقوق المصطفى، منشورات دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة-تونس، ج 1، ص 186، ج2، ص9، 54-55، 119-120؛ ● الإشبيلي، ابن خير، (ت557هـ)، فهرسة، مطبعة قومش بسرفسطة، ط 2، 1384 هـ/ 1963م، ص 436؛ ● ابن بشكوال، أبو القاسم، الصلة، تح. إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ودار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1410 هـ/ 1989 م، ج2، ص 635؛ ● الضبي، أبو جعفر أحمد بن يحيى بن أحمد، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس دار الكتاب العربي ط1388 هـ/ 1967 م، ص 403؛ ● ابن المناصف، محمد، تنبيه الحكّام على مآخذ الأحكام، أعدّه للنشر عبد الحفيظ منصور، دار التركي للنشر، ط1، 1409هـ/ 1988م، ص187، 262-263، 286، 350؛ ● الذهبي، أبو عبد الله، سير أعلام النبلاء، تح. محب الدين أبي سعيد عمر ابن غامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت،

لبنان، ط 1، 1417 هـ 1997 م، ج 14، ص 124؛ ● النبّاهي، أبو الحسن، تاريخ قضاة الأندلس ويسمّى كتاب المرقبة العليا فيمن يستحقّ القضاء والفتيا، دار الكاتب المصري القاهرة، ط 1، 1367 هـ / 1948 م، ص 96؛ ● ابن فرحون، إبراهيم بن علي، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب وبهامشه كتاب نيل الابتهاج بتطريز الديباج للتنبكتي، دار الكتب العلمية، بيروت - بلبنان، ص 181؛ ● الونشريسي، أبو العباس، المعيار المعرّب والجامع المغرب عن فتاوي علماء إفريقية والأندلس والمغرب، خرّجه جماعة من الفقهاء بإشراف د. محمّد حجّي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1401 هـ / 1981 م، ج4، ص 70، 82، 84، ج6، ص268، 468؛ ● الهواري، عبد السلام، شرح وثائق المفتي النوازليّ محمد بن أحمد بن حمون بنّاني، دار الكتب العربيّة تونس، ط 1368 هـ / 1949 م، ص 8؛ ● البغدادي، إسماعيل باشا، هدية العارفين، أسماء المؤلّفين وآثار المصنّفين، استانبول، ط 1375 هـ/ 1955 م، ج 1، ص 807؛ ● مخلوف، محمّد، شجرة النور الزكيّة في طبقات المالكية، المطبعة السلفيّة القاهرة، ط1349 هـ / 1992 م، ص 122؛ ● الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، ط 4، 1399 هـ / 1979 م، ج 5، ص 103؛ ● كحّالة، عمر رضا، معجم المؤلّفين تراجم مصنّفي الكتب العربية، مطبعة الترقّي، دمشق، 1376 هـ / 1956 م، ج 8، ص 25.

د. برهان النفاتي

جامعة الزيتونة - تونس

الأصفهاني، الشيخ محمد حسين بن محمد الغروي

(1296 هـ / 1878 م - 1361 هـ / 1942 م)

ولد في مدينة النجف الأشرف، ولقب بالغروي، وينتهي نسبه إلى الحاج محمد إسماعيل، الذي هاجر من مدينة نخجوان إلى مدينة أصفهان، ولحق به لقب الأصفهاني، ولقب والده محمد حسن بمعين التجار الأصفهاني النجفي، ونشأ العلامة الشيخ محمد حسين الغروي في مدينة النجف؛ وتتلمذ على أعلامها في الفقه والأصول وعلم الكلام، وهم: الشيخ محمد كاظم الأخوند الخراساني، والشيخ رضا الهمداني، والشيخ حسن التويسكاني، والشيخ باقر الأصبهاناني، والسيد محمد الأصطهباني الفشاركي.

وأصبح الشيخ محمد حسين الأصفهاني الغروي عالمًا فاضلاً متبغًا، حاويًا الفروع والأصول، جامعا المعقول والمنقول؛ وكان له باع طويل في الأدب والتاريخ، ونظم قصائد وأراجيز في غاية الدقة والإبداع والرقة والانسجام، وقد أهلته علميته للصعود إلى مرتبة المرجعية الدينية والتقليد، وقد أجاز كثيرًا من أهل العلم والفضل إجازة اجتهاد في مدرسة النجف، وهم: الشيخ محمد طاهر الشيخ راضي النجفي، والشيخ محمد طه الحويزي، والسيد هادي التبريزي.

توفي الشيخ محمد حسين الأصبهاني الغروي في مدينة النجف الأشرف في ليلة الخامس من ذي الحجة 1361 هـ / 1942 م ودفن في الصحن الحيدري.

آثاره

برع الشيخ الأصبهاني في علمي الفقه والأصول، ونظم الشعر في اللغتين العربية والفارسية، وكتب في حقول المعرفة الإسلامية كتبًا ورسائل وهي كما يلي:

1 ـ علوم القرآن والفقه والأصول:

1 - الاجتهاد والتقليد والعدالة؛ 2 - الإجارة؛ 3 - أرجوزة في الصوم؛ 4 - الأصول على النهج الحديث؛ 5 - أصالة الصحة؛ 6 - أراجيز في بعض أبواب الفقه كالصوم والاعتكاف؛ 7 - تعليقة على رسالة القطع للشيخ مرتضى الأنصاري المتوفى عام 1281 هـ؛ 8 - حاشية على كتاب المكاسب للشيخ الأنصاري؛ 9 - رسائل عديدة منها: رسالة في المشتق والوضع، رسالة في العدالة، رسالة في الصحيح الأعم، رسالة في الطلب والإرادة، رسالة في صلاة المسافر، رسالة في صلاة الجمعة، رسالة في قاعدة لا ضرر، رسالة في قاعدة التجاوز، رسالة في قاعدة الفراغ، رسالة في الحقيقة الشرعية، رسالة في تقسيم الوضع، رسالة في إطلاق الأمر، رسالة في أخذ الأجرة على الواجبات، رسالة في الطهارة؛ 10 - كتاب الفصول؛ 11 - كتاب أصول الفقه؛ 12 - الوسيلة من أهمّ أبواب الفقه؛ 13 - نهاية الدراية في شرح الكفاية.

2 - الفلسفة وعلم الكلام:

1 - تحفة الحكيم، أرجوزة في الفلسفة تقع في ألف بيت جمع فيها أصول الفلسفة وطرائقها، وأزاح الستار عن شبهاتها؛ 2 - رسالة في موضوع العلم؛ 3 - رسالة في إثبات المعاد الجسماني؛ 4 - زبدة العلوم؛ 5 - رسالة في تحقيق الحق وما يتعلّق به.

3 - اللغة والأدب:

1 - الأنوار القدسية، أرجوزة في مدح الرسول الكريم محمد عليه أفضل الصلاة والسلام. وآل بيته الكرام؛ 2 - ديوان شعر في مراثي آل البيت؛ 3 - ديوان شعر في العرفان والحكمة والأنوار القدسية؛ 4 - رسالة في أن الألفاظ موضوعة للمعاني؛ 5 - مجموعة أراجيز في فضائل آل البيت؛ 6 - مجموعة أراجيز في اللغة العربية.

المصادر والمراجع

● حرز الدين محمد، معارف الرجال في

تراجم العلماء والأدباء، مطبعة الآداب، النجف الأشرف 1383 هـ/ 1964م؛ ● الخاقاني، علي، شعراء الغري أو النجفيات، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، 1954-1956 م؛ ● الخياباني، محمد علي التبريزي المدرس، ريحانة الأدب في تراجم المعروفين بالكنية واللقب، مطبعة سعدي؛ ● الفقيه، محمد تقي، جامعة النجف في عصرها الحاضر، مطبعة صور الحديثة؛ ● كوركيس، عواد، معجم المؤلفين العراقيين في القرنين التاسع عشر والعشرين، مطبعة الإرشاد، بغداد 1969م.

د. حسن عيسى علي الحكيم
جامعة الكوفة ـ العراق

الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله

(336 هـ / 948 م - 430 هـ / 1038 م)

أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق ابن موسى بن مهران أبو نعيم الأصبهاني، ولا اختلاف بين المصادر في سلسلة نسبه هذه. هو محدث حافظ من المشاهير، ومسند كبير تفرّد بعلوّ الرواية في الأربع عشرة سنة الأخيرة من عمره، اتسمت جهوده بأهمّية خاصة في تاريخ السنة في مجالي الرواية الحديثة، والدراسات الرجالية، والإسناد.

ولد على أرجح الروايات في رجب سنة 336 هـ/ جانفي 948 م بأصبهان إحدى المدن التاريخيّة بمنطقة الجبال بالشمال الغربي للجمهورية الإيرانيّة، وهي قائمة إلى اليوم، والمشارقة - على عكس المغاربة - ينطقون اسمها بالفاء: أصفهان.

وليس لدينا معلومات عن غير الجانب العلمي من حياته، وسماعه في صباه من والده يدلّ على انتسابه إلى العلم، ويذكر أبو نعيم أنّ جدّه مهران هو أول من أسلم من أجداده، وأنّه مولى عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب. فأبو نعيم ينحدر من أصل فارسي؛ استجاز له أبوه - حسب ما قيل - وهو صبي في السادسة كبار المشائخ المسندين فتفرّد بإجازتهم وهم: المعمّر عبد الله بن عمر بن شوذب من واسط؛ خيثمة بن سليمان بن حيدرة أبو الحسن الطرابلسي محدث الشام (ت 343 هـ / 945 م)؛ محمد ابن يعقوب بن يوسف المعقلي أبو العباس الأصم شيخ نيسابور (346 هـ / 957 م)؛ جعفر بن محمد بن نصير أبو محمد الخلدي البغدادي شيخ الصوفية ومحدثهم (346 هـ / 957 م).

أول سماعه كان في سنة (344 هـ / 955 م) بأصبهان فأخذ عن مشايخ كثيرين للغاية من

أعلامهم: والده عبد الله بن أحمد توفي سنة (365 هـ / 975 م) في شهر رجب؛ سليمان ابن أحمد أبو القاسم الطبراني الحافظ صاحب التصانيف (ت 360 هـ / 970 م)؛ أحمد بن جعفر بن معبد أبو جعفر السمسار مسند أصبهان (346 هـ / 957 م)؛ أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيّان المعروف بأبي الشيخ حافظ أصبهان، ومسند زمانه، وصاحب التصانيف الكثيرة (369 هـ/ 979 م)؛ أحمد بن محمّد بن يحيى أبو عبد الله القصار مسند أصبهان (ت 349 هـ).

ثمّ بدأ رحلته للطلب سنة (356 هـ/ 967 م)، فطاف بأهمّ حواضر العلم في عصره بالعراق والحجاز وخراسان، منها: بغداد والبصرة وواسط والكوفة، ومكة، والأهواز، ونيسابور، وعسكر مكرم، وجرجرايا، وتستر، وجرجان، وإستراباذ.

وتهيّأ له من لقاء الكبار ما لم يقع لغيره من الحفاظ، وجمع الكثير من روايات الشيوخ من كلّ الأمصار. وفي المصادر توسّع في ذكر شيوخ رحلته وتعيين لأماكن أخذه عنهم. وأورد معظم ذلك محب الدين بن النجار في «ذيل تاريخ بغداد». ومن هؤلاء:

- الحافظ أبو زرعة الإستراباذي محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن بندار (390 هـ/ 999 م)؛ - أبو بكر الآجري بن الحسين البغدادي صاحب التصانيف الكثيرة الحافظ المتقن (360 هـ / 970 م)؛ - فاروق بن عبد الكبير أبو حفص الخطابي محدث البصرة ومسندها. كان حيّا في سنة (361 هـ / 971 م)؛ - الحافظ أبو أحمد محمد بن أحمد بن الحسين الغطريفي العبدي الجرجاني (377 هـ) مصنف الصحيح على المسانيد وأمير الغزاة بدهستان.

واتساع رحلته وتعميره الطويل وتفرّده بالرواية عن الكبار وانقطاعه للحديث إملاء وتصنيفا مع صلاحه وأمانته، صيره إمام عصره المرحول إليه، ومرجع حفاظه، وعمدة مسنديه، وكثر تلاميذه وتعدّدت طبقاتهم، ونبه ذكر العديد منهم مثل: أحمد بن علي بن ثابت أبو بكر الخطيب البغدادي (392-463هـ / 1001-1070 م) الحافظ الشهير وعمدة المؤلّفين في المصطلح وهو من خاصّة تلاميذه؛ - أبو يوسف عبد السّلام بن محمد القزويني المفسر المعتزلي (ت 488 هـ / 1097 م)؛ - أبو الفضل حمد بن أحمد بن الحسن بن الحداد الأصبهاني (ت 486 هـ / 1095 م)؛ - الحافظ هبة الله بن محمد بن علي أبو رجاء الشيرازي (445 هـ/ 1053 م)؛ - سليمان بن إبراهيم بن محمد أبو مسعود الأصبهاني المانحي (486 هـ / 1093 م) محدث أصبهان في زمنه، وله عدّة تصانيف.

كان أبو نعيم أشعري المعتقد، شافعي المذهب، صوفي السلوك؛ لذا لم يسلم من أذى التعصب المذهبي، فهجرت حلقته بعض الوقت، ومنعه المخالفون للأشاعرة من الجلوس في الجامع. وكان بينه وبين أبي عبد الله بن منده منافرة شديدة، فكان عبد الله «يقذع في المقال في أبي نعيم»، حسب تعبير الذهبي، و«نال أبو نعيم من أبي عبد الله في تاريخه» [سير أعلام النبلاء، 17 / 453].

نوّه الكثير من العلماء بعلمه وحفظه حسب ما نقله الذهبي، فقد قال مثلا حمزة بن العباس العلوي: «كان أصحاب الحديث يقولون: بقي

أبو نعيم أربع عشرة سنة بلا نظير، لا يوجد شرقًا ولا غربًا أعلى منه إسنادا ولا أحفظ منه»؛ ولئن ردّ الذهبي على الذين يأخذون على أبي نعيم تساهله في التعبير عن الإجازة في الحديث بأنّه قلّ أن يفعل ذلك، وأنّه «صدوق عالم بهذا الفن» أي الحديث فإن دفاعه هذا لم يمنعه من أن يقول: «ما أعلم له ذنبا - والله يعفو عنه - أعظم من روايته للأحاديث الموضوعة في تواليفه ثمّ يسكت عن توهينها».

آثاره

1 - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، وهو أكبر موسوعة في تاريخ متصوفة الأمة الإسلامية ونساكها اشتملت على (697) ترجمة لهم، رتبت على الطبقات: الصحابة، فالتابعون، فأتباعهم، فمن بعدهم إلى عصر المؤلّف. والتراجم خالية من المادة البيوغرافية سوى الاسم وتركّزت على نقل أقوال أصحابها في الورع والزهد والديانة، وتصوير أحوالهم ومنازلهم في العبادة والصلاح والولاية. وليست قيمة الحلية في موسوعية مادّتها وتخصّص موضوعها فقط بل تعود أيضا إلى وفرة روايات الحديث والآثار المسندة بها. وفيها من الطرق والأحاديث ما لا يوجد في غيرها، فهي من كتب الرواية المهمّة، لولا أنّ المؤلّف قد طوّلها بالأسانيد وتكرار الأخبار والاستطراد بما لا علاقة له بموضوعها الأصلي، وقد جمع في الحلية الصحيح والحسن والضعيف وبعض الموضوع، وهي في كل الحالات تدل بكثرة مواردها وطريق رواياتها واتساع أفقها على تبحر مؤلفها في الحديث وتمرسه به. نشر الكتاب كاملا في 8 أجزاء بالقاهرة في مطبعة السعادة في السنوات 1932-1938، ثمّ نشرته دار الفكر العربي. وأجود طبعاته الطبعة الخامسة لدار الكتاب العربي ببيروت سنة 1407 هـ/ 1987م في عشرة أجزاء، وإضافاتها أنّها استدركت الأخطاء الطباعية الكثيرة في طبعة عام 1985 في خمسة مجلّدات، ولم تقسم الترجمة الواحدة بين جزئين، ودققت في ترقيم التراجم وخصّصت الجزء العاشر لفهرست الأحاديث القوليّة والفعليّة والأعلام المترجمين. قام بهذا كمال يوسف الحوت؛ 2 - دلائل النبوّة، وهو من أجمع ما كتب في موضوعه مع ما فيه من ضعيف ومردود. نشرته المطبعة النظامية بحيدر آباد الهند، ودار عالم الكتب ببيروت؛ 3 - ذكر أخبار أصبهان = تاريخ أصبهان، ترجم فيه للرواة والمحدثين والفقهاء والقضاة من أبناء أصبهان ومن ترجم فيه للرواة والمحدثين والأحاديث، وصفه السخاوي بأنّه أجمع ما كتب في أصبهان وعلمائها. نشره ديدرنغ في جزأين في ليدن، الجزء الأول سنة 1931، والثاني سنة 1934 وطبعته دار انتشارات جيهان بإيران، ودار الكتب العلمية ببيروت. ولنبيل بن منصور البصارة تخريج باسم: أنوار البيان في ترتيب أخبار أصبهان، رتب فيه أحاديث هذا الكتاب على حروف المعجم بذكر طرف الحديث وبجانبه الجزء والصفحة، اعتمد فيه على طبعة ليدن هذه، ونشرته دار الدعوة سنة 1404 هـ / 1984 م مع كتاب «إيقاظ الأخبار على أحاديث مشكل الآثار للطحاوي» للبصارة أيضا؛ 4 - ذكر من اسمه شعبة، أورده فاروق حمادة في مقدّمة تحقيقه للضعفاء للمترجم [ص 20]؛ 5 - رياضة المتعلّم، ذكره ابن خير في

فهرسته ضمن مروياته [ص 154 ط. المكتب التجاري، بيروت]. وأورده ابن الأبّار القضاعي (658 هـ) في المعجم في أصحاب أبي علي الصدفي الذي كان يكثر من إقرائه في حلقاته [ص12، 22، 33]، ط دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة 1387/ 1967)، كشف الظنون [1/ 938]؛ 6 - الضعفاء، حققه فاروق حماده، ونشرته دار الثقافة بالدار البيضاء سنة 1405 هـ في طبعته الأولى وهو جزء منفرد جعله مقدمة لمستخرجه على صحيح مسلم، وموضوعه التكلّم عن الرواة الضعفاء الذين ساق أحاديث من طريقهم في المستخرج المذكور، وعدتهم (289) راويا، فبين عمن كانت رواياتهم تلك ومن اختصّ بها من تلاميذ لهم ورواها عنهم. واعتمد في ذلك على السابقين من ثقات العلماء وعلى اجتهاداته الخاصة مع حرصه على التوثيق الإسنادي لكل ما يورده أو يقرره من آراء. رواه عنه أبو علي الحسن بن أحمد الحداد الاصبهاني (ت 515 هـ / 1121 م)، ومما يعكس أهمية هذا الكتاب، استيعاب ابن حجر لمادته في تهذيب التهذيب ولسان الميزان؛ 7 - كتاب المهتدي، نشرته مكتبة المطبوعات الإسلامية بحلب بتحقيق عبد الفتاح أبو غدّة؛ 8 - معرفة الصحابة، أكثر فيه من رواية الحديث وبيان العلل واختصر التراجم، طبعته مكتبة الدار ومكتبة الحرمين بالسعودية بتحقيق محمد راضي سنة 1408 هـ (ط. الأولى)؛ 9 - الأربعون حديثا، على مذهب الصوفية. منه نسخة في الظاهرية تحت رقم: مجموع 64 (50-63). ومنه نسخة قديمة متآكلة في الخزانة الملكية بالرباط باسم «الأربعين في أصول المحققين». قال في أوّله: «أما بعد فإنّي أحببت أن أجمع في... مذاهب المتصوفة وخلائقهم أحاديث الناظرين إلى اعتقاد ما كان عليهم من المحققين ومتقدميهم من الصادقين» [حمادة، تح. الضعفاء، ص 18]. واعتمده الألباني في سلسلته الضعيفة وسماه: «الأربعين الصوفيّة» [2/ 134-135، ط. 1399 هـ]؛ 10 - كتاب الإمامة، نشر مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنوّرة، ط. 3، 1415 بتحقيق علي الفقيهي؛ 11 - المستخرج على كتاب «معرفة علوم الحديث للحاكم» وقف عليه ابن حجر وقال إن مؤلفه أبقى فيه أشياء للمتعقب. وفيه مقدمة في المصطلح مهمة، وتوجد نسخة منه في مكتبة كوبرلي بإستنبول [صبحي السامرائي، مقدمة تحقيق الخلاصة للطيبي، 13]؛ 12 - مسند إسحاق بن راهويه، ذكره ابن حجر في الفتح [5 / 285]، ولعله نفس الكتاب الذي أشار إليه بروكلمان [6 / 227] باسم: «مسند»، وهو موجود بمكتبة القاهرة برقم: (أول 1/ 418)؛ 13 - مسند عبد الله بن دينار العدوي، مولى ابن عمر، ذكره ابن حجر في تلخيص الحبير، (4/ 213، ط. السيد عبد الله هاشم سماني)؛ 14 - طبقات المحدثين والرواة، رقمها: مجموع 60 (19-30)؛ 15 - طب النبي، أورد فيه الأحاديث النبوية المتعلقة بموضوعه؛ 16 - عمل اليوم والليلة؛ 17 - الغريب، وهو دراسة تهذيب لكتاب غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت 224 هـ) [كشف الظنون، 2/ 1209]؛ 18 - فضائل الصحابة؛ 19 - فضائل الجنة؛ 20 - فضل العلم؛ 21 فضل العالم العفيف؛ 22 - فضائل الخلفاء؛

23 - الأربعون حديثا، على مذهب أهل السنة والجماعة؛ 24 - الأمالي؛ 25 - كتاب الرياضة والأدب؛ 26 - السواك، مخطوط؛ 27 (كتاب) الشعراء، وسماه بروكلمان «منتخب من كتاب الشعراء»، يوجد في الظاهرية: 37، 124، الظاهرية ثان: 298، [تاريخ الأدب العربي، 2/ 227]؛ 28 - صفة الجنّة؛ 29 - كتاب الصلاة؛ 30 مناقب الشافعي، ذكره له سيد صقر في مقدمة تحقيقه لكتاب «مناقب الشافعي» للبيهقي [حمادة مقدمة تحقيق الضعفاء، 19]. وتعزو مراجع بيليوغرافيا الكتب إلى أبي نعيم بعض العناوين التي لم تصح نسبتها إليه أو يحوم حولها الشك في ذلك؛ 31 - الأموال، ذكره له بروكلمان [6/ 227] وقال طبع بالقاهرة سنة 1337 وشك في صحّة نسبته إليه؛ 32 - المنتقى، ذكره محمد حميد الله في [الوثائق السياسية في العصر النبوي، الطبعة السادسة بدار النفائس، ص 651]، وقال: ومنه نسخة خطية عندي في مجلدين ضخمين؛ 33 - أطراف الصحيحين، عزاه إليه صاحب كشف الظنون [1/ 116]. والمصادر تنسب هذا الكتاب إلى ابن نعيم عبيد الله بن أبي علي الحسن بن أحمد الحداد الأصبهاني (ت 517 هـ) [ابن العماد، شذرات الذهب، 4/ 56، ط. دار الفكر].

المصادر والمراجع

● الحوت كمال يوسف، فهرست أحاديث حلية الأولياء، وهو الجزء العاشر من كتاب الحلية، نشر دار الكتاب العربي، ط 5، بيروت 1407 هـ / 1987 م، ص 7-11؛ ● حمادة فاروق، مقدمة تحقيق كتاب الضعفاء لأبي نعيم الأصبهاني دار الثقافة، الدار البيضاء ط. 1، 1405/ 1984 ص 9-22؛ ● السبكي التاج أبو نصر عبد الوهاب بن علي، طبقات الشافعية الكبرى، طبعة عيسى الحلبي 1385/ 1966، ط 1، 4/ 18-25؛ ● الذهبي أبو عبد الله محمد، تذكرة الحفاظ، دار إحياء التراث، بيروت، نسخة مصوّرة عن طبعة دائرة المعارف العثمانية بالهند 1377/ 1958، 3/ 1092-1097؛ ● الصفدي، الصلاح خليل بن أيبك، الوافي بالوفيات، بيروت 1402/ 1982، دار صادر، 7/ 81-84؛ ● الزركلي، الأعلام، ط 14، دار العلم للملايين، ج 1/ 157؛ ● بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، 1/ 3، 5 - 6؛ ● دائرة المعارف الإسلامية، ط. ج 1/ 146، فصل أبو نعيم.

د. محمد الناصر الزعايري

جامعة الزيتونة - تونس

د. محمد الميسّر

جامعة الأزهر - مصر

الإصبهاني قوام السنة، أبو القاسم اسماعيل

(457 هـ / 1064 م - 535 هـ / 1140 م)

أبو القاسم إسماعيل بن محمد الطلحي التيمي القرشي، من أحفاد الصحابي المبشّر بالجنة طلحة بن عبيد. ولد في أصبهان سنة 457 هـ / 1064م. إمام في التفسير والحديث والفقه والقراءات، واللغة والأدب، حافظ متقن، عرف عنه نبوغه المبكر وحبه للعلم وأهله، فضلا عن زهده في الدنيا وأهلها، فلم يعرف عنه اتصاله برجال السياسة والإدارة في عصره سواء في أصبهان أو في غيرها من البلدان التي زارها، على الرغم من أنه عاش في ظل الدولة السلجوقية، التي يحقّ لها أن تفتخر بوزيرها نظام الملك الطوسي (ت 485 هـ / 1092 م)، الذي رعى العلم والعلماء، وأنشأ النظاميات في ثماني من مدن الإسلام الكبرى في الشرق الإسلامي لتدريس الفقه الشافعي وعلوم أخرى.

إن دراسة سيرة حياة قوام السنة تشير إلى أن حب العلم ملك عليه حياته، فلم يعرف عنه منافسته لغيره من العلماء سواه من الشافعية، أتباع مذهبه الفقهي، أو من غيرهم من أصحاب المذاهب الفقهية الأخرى. وفي هذا دليل واضح على حسن خلقه، وطلبه العلم خالصا لله؛ وهذا ما جعله ينال ثناء علماء عصره وتقديرهم له [ابن الجوزي، المنتظم، 10/ 90]. وقد تلقى علومه الأولى في مسقط رأسه أصبهان، إحدى أبرز قلاع الفقه الشافعي، فضلا عن اشتهارها بعلم الحديث الذي برع فيه أبناؤها وبناتها على السواء. وكان أول شيوخه هي العالمة الجليلة عائشة بنت الحسن بن إبراهيم الوركانية (ت 460 هـ / 1067م)، وقد ضاع سماعه منها فيما بعد. كما قرأ على أبي عمرو عبد الوهاب بن أبي عبد الله بن منده الحافظ الأصبهاني [السمعاني، الأنساب، 3/ 408-409]. فضلا عن والده محمد الطلحي، وإبراهيم بن محمد الطيان، ومحمد بن أحمد بن ررا، وأبي منصور بن شكرويه، وعبد الرحمان بن محمد الأصبهاني، وسليمان بن إبراهيم الحافظ، ومحمد بن أحمد السمسار، وأحمد ابن عبد الرحمان الذكواني، وأبي عبيدة الثقفي [الذهبي، سير، 20/ 80-81].

وسرعان ما رحل في طلب العلم، مقتفيا أثر أسلافه من أئمة هذه الأمة، حيث وصل إلى بغداد. وهناك تتلمذ كما يشير السمعاني على يد عالمها محمد بن محمد أبو نصر الزينبي، مسند العراق، وأبو الحسن عاصم بن الحسن الفاصمي الأديب والشاعر، وعلماء آخرين، كما رحل إلى نيسابور حيث تتلمذ لأبي المظفر موسى بن عمران الأنصاري، وأبي بكر أحمد بن خلف الشيرازي؛ وفي الري تتلمذ لأبي بكر إسماعيل بن علي الخطيب، وآخرين. كما رحل إلى مكة المكرمة حيث جاور فيها وسمع من العلماء الكثر الذين يجاورون فيها.

لقد كان قوام السنة مؤلفا مكثرا، إلا أنه لم يؤلف معجما يضم شيوخه الذين أخذ عنهم وأجازوه، مع أن هذه كانت سنة كثير من الفقهاء والمحدثين والأدباء حيث يذكرون أسماء شيوخهم وطبيعة العلوم التي أجيزوا فيها من قبلهم، إضافة إلى تقييمهم لهؤلاء المشايخ.
أما على صعيد تلاميذه الذين تخرجوا على يديه وأجازهم فقد كانوا كثرا، وأصبح عدد منهم من أعلام القرنين الخامس والسادس، وكان من أبرزهم الإمام الحافظ السمعاني (ت 562 هـ / 1166 م) مؤلف كتابي الأنساب، والتحبير وغيرهما من الكتب، والذي بلغ من إجلاله لشيخه قوام السنة أن وصفه بأنه كان أستاذه في الحديث، وأنه عنه أخذ هذا العلم، كما أشاد بإمامته في التفسير والحديث واللغة والأدب، فضلا عن علو كعبه في المتون والأسانيد. كما يشير الذهبي إلى أن من تلاميذه البارزين أبو موسى المديني الأصبهاني أحد حفاظ عصره (581 هـ / 1185 م) الذي وصف شيخه بأنه إمام أئمة وقته وأستاذ علماء عصره وقدوة أهل السنة في زمانه، وأنه مجدد المائة الخامسة الذي أحيا الله به الدين، فضلا عن الحافظ أبي طاهر السلفي الأصبهاني المحدث المشهور (ت 576 هـ / 1180 م)، والحافظ أبي القاسم علي بن الحسين بن عساكر محدث الشام (ت 571 هـ / 1175 م)، ومؤلف السفر الكبير تاريخ دمشق والذي بلغ ثمانين مجلدا، وأبي سعد الصائغ محمد بن عبد الواحد الأصبهاني المحدث (ت 581 هـ / 1185 م)، كما أشير إلى تلميذ آخر نبغ من تلاميذ قوام السنة وهو منتجب الدين العجلي الفقيه الشافعي المشهور والواعظ الزاهد (ت 600 هـ / 1203 م) [ابن خلكان، وفيات الأعيان، 1/ 208].
مات قوام السنة في أصبهان ليلة عيد الأضحى سنة (535 هـ / 1140 م) بعد أن ابتلي بشلل نصفي (الفالج) فتحمله صابرا محتسبا، وبعد أن تحمل من قبله فقد ابنه الشاب.

آثاره

ترك قوام السنة مؤلفات كثيرة في التفسير الذي برع فيه وأجاد، فضلا عن مؤلفات في الحديث، والفقه، والعربية، والأدب، والتاريخ. ويشير الذهبي إلى أنه ألف أربعة كتب في التفسير ما بين كبير، ومتوسط، وصغير، حيث كان تفسيره الكبير والمسمى «الجامع» يقع في ثلاثين مجلدا، وهو يدل على جهد ضخم بذله المؤلف؛ أما المتوسط ويسمى «المعتمد في التفسير» فيقع في عشرة مجلدات؛ في حين كان يقع الصغير المسمى «الموضح في التفسير» في أربعة مجلدات؛ أما تفسيره الرابع فكان باللغة الفارسية ويقع في عدة مجلدات، ولا يعرف هل كان هذا التفسير الأخير مجرد ترجمة لأحد تفاسيره الثلاثة التي كتبت باللغة العربية، أم أنه تفسير مستقل بذاته، وأميل إلى ترجيح الاحتمال الأخير للإمكانيات العلمية العالية التي كان يتمتع بها قوام السنة. وبذلك تضعه هذه التفاسير في مصاف كبار المفسرين الذين عرفهم ديننا الحنيف من أمثال الطبري، والرازي، والقرطبي، ولم يصلنا من هذه التفاسير شيء مع الأسف حالها حال مؤلفاته الأخرى، ويعود ذلك على الأرجح إلى التدمير الواسع النطاق الذي أحدثه الغزو المغولي لمدن المشرق الإسلامي.

وعلى صعيد الحديث والسنة المطهرة فقد ألف «الترغيب والترهيب» ويذكرنا هذا الكتاب بسميّه للحافظ المنذري الذي يسير على سياقه.

وكتاب «السنة» ويقع في مجلد واحد، وكتاب «دلائل النبوة» في مجلد واحد، وشرح لصحيح البخاري، وشرح لصحيح مسلم، وهذان الكتابان كان قد بدأهما ابنه عبد الله الذي توفي في ريعان شبابه عام (526 هـ / 1141 م) فأتمهما قوام السنة. وكان إتمامه لشرح مسلم عند قبر ابنه. ويلاحظ أنه لا أثر لهذين الشرحين في الشروحات المؤلفة فيما بعد على صحيح مسلم والبخاري، مثل فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر، وشرح الكرماني والعيني على البخاري، فضلا عن شرح النووين والأبي لصحيح مسلم. ولم يصل إلينا شيء من هذه الكتب والشروحات حالها حال التفاسير.

كما أشير إلى مؤلفات له على صعيد اللغة مثل كتاب «إعراب القرآن» وهو عمل ضخم يدل على إمكانيات عالية في اللغة ويذكرنا بكتاب في الموضوع نفسه ألفه أبو جعفر النحاس النحوي (ت 338 هـ / 949 م). وأشار ابن الجوزي إلى أماليه التي بلغت ثلاثمائة وخمسمائة مجلس في جامع أصبهان، كما أشار الذهبي إلى كتاب «سير السلف» وهو في التاريخ على الأرجح وكتاب «المغازي» في مجلد واحد ربما كان في تاريخ السيرة. كما أشير إلى كتاب آخر هو «التذكرة» لم يشر إلى طبيعة العلوم التي تناولها وكان يقع في ثلاثين جزءا [ابن العماد، شذرات الذهب، 4/ 106]. كذلك أشير إلى كتاب «الحجة في بيان المحجة» ربما كان في مجال العقيدة [البغدادي، هدية العارفين، 1/ 211]. وبذلك نجد أن هذه التصانيف الكبيرة في معظمها والبالغة خمسة عشر مصنفا قد فقدت ولم يصلنا شيء منها.

المصادر والمراجع

● السمعاني، الأنساب، تحقيق عبد الرحمان بن يحيى المعلمي، حيدر آباد الدكن، دائرة المعارف العثمانية، 1385هـ/ 1966م، 3/ 408-409؛ ● القيسراني، الأنساب المتفقة، بغداد، مكتبة المثنى، عن ليدن، مطبعة بريلك ص98؛ ● ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم، بغداد، الدار الوطنية، 1990 عن طبعة حيدر آباد الدكن، 10/ 90؛ ● ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح. إحسان عباس، بيروت، دار صادر، 1971، 1/ 208، 6/ 169-170؛ ● اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، حيدر آباد الدكن، دائرة المعارف العثمانية، 1338 هـ، 3/ 263؛ ● الذهبي، سير أعلام النبلاء، تح. شعيب الأرنؤوط ونعيم العرقسوسي، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1986م، 20/ 80-84؛ ● م.ن، العبر في خبر من غبر، تح. صلاح الدين المنجد، الكويت، دائرة المطبوعات والنشر، 1960 م، 4/ 94-95؛ ● السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تح. عبد الفتاح الحلو، محمود أحمد الطناحي، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1968، 8/ 127؛ ● الأسنوي، طبقات الشافعية، تح. عبد الله الجبوري، بغداد، مطبعة الإرشاد،

1390 هـ / 1970 م، 1/ 360؛ ● ابن كثير، البداية والنهاية، بيروت، مكتبة المعارف، الرياض، مكتبة النصر، 1966م، 12/ 217؛ ● ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر؛ ● السيوطي، طبقات المفسرين، بيروت، دار الكتب العلمية، 1983م، ص27-28؛ ● الداوودي، طبقات المفسرين، تح. علي محمد عمر، القاهرة، مكتبة وهبة، 1972 م، 1/ 112-114؛ ● ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د. ت، 4/ 106؛ ● حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، طهران، المكتبة الإسلامية، 1387 هـ/ 1947 م، 1/ 163، 211، 2/ 760، 1732؛ ● البغدادي، هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، طهران، المكتبة الإسلامي، 1387 هـ/ 1947 م، 1/ 211؛ ● كحالة، معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، دمشق، المكتبة العربية، 1376 هـ/ 1957 م، 2/ 293؛ ● الصفار، معجم الدراسات القرآنية، بغداد، جامعة بغداد، 1984 م، ص 219.

د. رعد محمود البرهاوي

جامعة الموصل ـ العراق

الأصبهاني، أبو الثناء شمس الدين محمد

(674 هـ / 1276 م - 749 هـ / 1349 م)

هو محمد بن عبد الرحمان بن أبي القاسم ابن أحمد أبو الثناء شمس الدين الأصبهاني أو الأصفهاني وكان ينتسب إلى علاء الدّولة الهمداني.

ولد في أصبهان في شهر شعبان من سنة أربع وسبعين وستّمائة للهجرة لستّ وسبعين ومائتين وألف للميلاد، تعلّم في أصبهان ومهر وتقدّم في العلوم والفنون.

قرأ على والده، وعلى «جمال الدين بن أبي الرجاء» النّحو، والأصول، واللّغة، والمنطق. حفظ كتبا عديدة وصنّف تصانيف مفيدة ودرّس في أصبهان، وفي تبريز، وفي الشام، وفي مصر.

واشتغل عليه العلماء في المعقولات واستفادوا خصوصا في أصول الفقه ومن محفوظه، بعد كتاب اللّه العزيز، «كتاب الشّامي في الأسامي» للزوزني وهو كتاب كبير الحجم، وحفظ «الكافية» في النّحو وقد بحثها على والده وغيره من الفضلاء، ثمّ حفظ «الغاية القصوى» في الفقه و«المنهاج» في

الأصول وكلاهما من مصنّفات القاضي «نصر الدين البيضاوي» وبحثهما على والده، وبحث «الحاصل» لـ«تاج الدين الأرموي». ثمّ قرأ «الرّسالة الشمسيّة» في المنطق مع شرحها على أخيه الأوحد «إمام الدين»، وقرأ «المطالع» في المنطق وحفظه، ثمّ قرأ «الطّوالع» في أصول الدين للقاضي «ناصر البيضاوي»، وحفظ «الحاوي» في الفقه، وبحث «أصول» النسفي في الخلاف، وبحث كتبا في علم الهيئة لـ«الجغمني» و«التّذكرة» لإقليدس و«الكليّات» في الطبّ، وسمع «صحيح البخاري» عن «ابن الشحنة».

حجّ سنة أربع وعشرين وسبعمائة وفي طريق عودته زار بيت المقدس. وفي صفر من سنة خمس وعشرين وسبعمائة قدم إلى دمشق، فأكرمه أهلها ثمّ آوى إلى الجامع الأموي ولازمه ليلا نهارا مكبا على التلاوة والتّدريس، واجتمع به الشيخ ابن تيمية وسمع كلامه فأعجب به وبالغ في تعظيمه حتّى قال مرّة في مجلسه: «اسكتوا حتّى نسمع كلام هذا الفاضل»، ثمّ انتقل إلى التّدريس بالرواحية. وكان عالما بالعربيّة والتّفسير والفقه والعقائد فذاع صيته واجتبى علمه الكثير من طلبة العلم، وقد أقام بدمشق سبع سنين. ثمّ طلب على البريد إلى مصر في سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة؛ وقد جاء في طلبه الشيخ مجد الدين الاقصرائي شيخ خانقاه سرياقوس بالقاهرة، فقصد مصر وبالغ أهلها في الاحتفاء به، وبنى له قوصون الخانقاه بالقرافة في القاهرة ورتّبه شيخا بها، قال الأسنوي: كان بارعا في العقليّات صحيح الاعتقاد محبّا لأهل الصّلاح طارحا للتكلّف، مجموعا على العلم. واستمرّ يدرس العلم وينشره إلى أن توفّي في ذي القعدة من سنة تسع وأربعين وسبعمائة، لتسع وأربعين وثلاثمائة وألف ميلاديّة.

■ آثاره

ترك تصانيف كثيرة ومتنوّعة، منها:

1 - التّفسير الكبير، سمّاه أنوار الحقائق الربّانيّة. قال الصفدي رأيته يكتب في تفسيره من خاطره من غير مراجعة، مخطوط، وهو اليوم قيد التّحقيق؛ 2 - شرح المختصر لابن الحاجب، شرحه قبل أن يقدم إلى البلاد العربيّة؛ 3 - وصنّف في دمشق تشييد القواعد في شرح تجريد العقائد للنّصر الطوسي، مخطوط؛ 4 - شرح فصول النسفي، مخطوط؛ 5 - شرح طوالع الأنوار للبيضاوي، مطبوع؛ 6 - بيان معاني البديع، جعل معظم همّه في دراسة وجوه البديع في القرآن؛ 7 - شرح كتاب البديع لابن السّاعاتي، في أصول الفقه، شرحه في مصر؛ 8 - شرح مطالع الأنوار للأرموي، في المنطق؛ 9 - شرح كافية ابن الحاجب؛ 10 - شرح قصيدة الساوي، في العروض؛ 11 - ناظر العين في المنطق تصنيف وشرح؛ 12 - ألّف كتابا في الفقه في مذهبي الإمامين الشافعي وابن حنيفة، ذكره الشّيخ جمال الدين الحويري في فهرس الخانقاه بمصر.

■ المصادر والمراجع

● ابن حجر العسقلاني، الدّرر الكامنة، ج4، ص 327-328، حيدر آباد، 1350هـ؛ ● السبكي تاج الدين، طبقات الشّافعيّة، ج 6، ص 247، القاهرة،

1324 هـ؛ • ابن رافع السلامي، تاريخ علماء بغداد، ص 218-219، دار المتنبّي، بغداد، 1357 هـ/ 1938م؛ • جلال الدين السيوطي، بغية الوعاة، ج2، ص 388، دار الفكر، بيروت، 1399 هـ/ 1979 م؛ • ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج6، ص165، المطبعة التيجانيّة، بيروت، لبنان (د. ت)؛ • الشوكاني، البدر الطالع، ج 2، ص 297-299، الجماليّة، القاهرة، مصر (د. ت)؛ • الخوانساري، روضات الجنات، ص 214، الطباطبائي، مصر، 1367 هـ؛ • العزاوي، التعريف بالمؤرخين، ج 1، ص 189 -190، دار الكتب المصريّة، 1348 هـ؛ • طاش كبرى زاده، مفتاح السعادة، ج 1، ص49، المطبعة الحديثة، القاهرة (د. ت)؛ • عمر كحالة، معجم المؤلّفين، ج 12، ص173-174، دار إحياء التراث العربي، بيروت (د. ت)؛ • الإسنوي، طبقات الشافعية، ج2، ص30، ط. مصر 1310 هـ؛ • حاجي خليفة، كشف الظنون، ص 46 - 116 - 235 - 442 - 443 - 1136 - 1148 - 1371 - 1717 - 1755 - 1879 - 1921، إستانبول، 1364 هـ/ 1945 م؛ • البغدادي، إيضاح المكنون، ج 1، ص 143، دار الفكر، 1402هـ/ 1982م؛ • اليافعي، مرآة الجنان، ط. 2، مؤسّسة الأعلى، بيروت، 1390هـ/ 1970م.

• Brockelemann, II, 110-111, S, II, 137.

د. عزوز الشوالي

وزارة التربية - تونس

الأصبهاني، يحيى بن عبد الرحمان

(548 هـ / 1153 م - 608 هـ / 1212 م)

يحيى بن عبد الرحمن بن عبد المنعم ابن عبد الله القيسي، الصقلي الأصل، الفارسي الأب، الدمشقي المولد، المعروف بالأصبهاني، فخر الدين، أبو زكرياء. فقيه شافعي، أصولي، صوفي، واعظ، جدلي، له اهتمام بفقه الخلاف الفقهي.

ولد بدمشق، ودخل أصبهان التي أقام بها خمسة أعوام، وتفقه بها، ودخل أذربيجان والروم والإسكندرية، وقصد بلاد المغرب بعد أن قصد مكة المكرّمة لأداء الحج، وجال في بلاد الأندلس، واستوطن غرناطة، وتوفي بها في شهر شوال سنة 1153 هـ [كحالة، معجم المؤلفين، ج 13، ص 206؛ الزركلي، الأعلام، ج 8، ص 152].

قال ابن مسدي (بفتحة على الميم): «قحطنا بغرناطة، فنزل أميرها إلى شيخنا أبي زكريا الأصبهاني، فقال: تذكر الناس فلعل الله أن يفرج عن المسلمين، فوعظ، فورد عليه وارد، فسقط، وحمل فمات بعد ساعة، فلما كفن وأردي حفرته، انفتحت أبواب السماء وسالت الأودية أمامنا» [الزركلي، الأعلام، ج 8، ص 152].

قال الأبار: كان فقيها شافعيا عارفا بالأصول، زاهدا كثير الصدقة، واعظا مذكّرا، ولم يكن بالضابطة [ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، ج 6، ص 266].

وقال ابن مسدي: قرأ على جزء (عروس الأجزاء) مما سمعه بأصبهان، وقال لي: يا بني تكون لك رحلة وجولان [الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 16، ص 53].

ومن شيوخه الذين درس عنهم، مسعود بن الحسن الثقفي، وأبي بكر بن بشاذ أو ماشاذة، وأبا رشد بن خالد، وابن مسدي، وسمع بالإسكندرية من السلفي [الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 16، ص 53]، كما سمع منه الكثير في بلاد الأندلس.

آثاره

1 - الروضة الأنيقة، وهو في الحديث، وهناك كتاب بعنوان، الروضة الأنيقة في بيان الشريعة والحقيقة، للشيخ عز الدين عبد العزيز ابن حمد بن سعيد الدميري المعروف بالديريني المتوفى سنة 697هـ [حاجي خليفة، كشف الظنون، ج 1، ص 924]؛ 2 - تعليقة في الخلاف بين الشافعي وأبي حنيفة، وقيل هو كتاب بعنوان «الخلافيات بين الشافعي وأبي حنيفة» [كحالة، معجم المؤلفين، ج 13، ص 206]؛ 3 - شرح غرامي صحيح، وهو مخطوط موجود في جامعة الرياض تحت رقم 2011 [الزركلي، الأعلام، ج 8، ص 152].

المصادر والمراجع

● حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان؛ ● ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي (ت 852 هـ)، لسان الميزان، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان 1390 هـ / 1971م، الطبعة الثانية؛ ● الذهبي، شمس الدين، سير أعلام النبلاء، تح. محب الدين العَمْروي، دار الفكر، بيروت، لبنان 1417 هـ/ 1997 م؛ ● الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، طبعة عاشرة سنة سبتمبر 1992؛ ● كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، مكتبة المثنى بيروت، ودار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

د. نور الدين مختار الخادمي

جامعة الزيتونة - تونس

الإصطخري، أبو اسحاق إبراهيم بن محمّد

(... هـ / ... م ـ 346 هـ / 957 م)

أبو إسحاق إبراهيم بن محمّد الفارسي الكرخي الإصطخري، عالم جغرافي ورحّالة والمعروف قطعا عن حياته قليل باستثناء أنّه قضى شطرا من حياته في ارتياد العالم فزار أقطارا كثيرة، وقد يكون دخل الهند وزار سواحل المحيط الهندي، والتقى سنة 325هـ/ 936م في بغداد الجغرافي ابن حوقل الأصغر منه سنّا وعرض عليه كتابه «المسالك والممالك» وطلب منه النظر فيه قائلا له: «قد نظرت في مولدك وأثرك وأنا أسألك إصلاح كتابي هذا حيث ظللت» [ابن حوقل في الموسوعة].

يعتبر الإصطخري أوّل من بلور صنف المسالك والممالك كصنف من أصناف التأليف التي اشتهرت في البلاد الإسلاميّة فيما بعد، ذلك أنّه وجّه علم الجغرافيا وجهة جديدة في القرن 4 هـ / 10 م، في نطاق ما أطلق عليه المختصّون «مدرسة البلخي».فكان همزة وصل بين البلخي (ت 322هـ/ 934م) صاحب صور الأقاليم الذي وصلنا في شكل تهذيب أنجزه الإصطخري بين 318هـ/ 930م - 321هـ/ 933م وابن حوقل (ت بعد 367 هـ / 977 م) إلى درجة أنّ كرامر عدّ مخطوطي الإصطخري وابن حوقل نصّا نموذجيّا واحدا أدخلت عليه تنقيحات وتصويبات. ويضيف تقديم دار مكتبة الحياة البيروتيّة لكتاب صورة الأرض قائلا: اطلع ابن حوقل على كتاب «المسالك والممالك» لأبي إسحاق الفارسي المعروف بالإصطخري، فكتبه من جديد، محتفظا بعنوانه ونسبه إلى نفسه [ص 6].

إن كتاب «المسالك والممالك» يعدّ أوّل كتاب جغرافي يشمل بلاد الإسلام حسب مجالات كبرى، وينبني على قاعدة منهجيّة أساسيّة تتمثّل في تضمين المعلومة الشخصيّة الثابتة المتبلورة في نطاق الرحلات والمعاينة الدقيقة. وقد عرض الإصطخري منهجه فقال متحدّثا عن الأقاليم: «... أقصد منها بلاد الإسلام بتفصيل مدنها وتقسيم ما يعود بالأعمال المجموعة إليها. ولم أقصد الأقاليم السبعة التي عليها قسمة الأرض، بل جعلت كلّ قطعة أفردتها مفردة مصوّرة تحكي موضع ذلك الإقليم (...) لأنّ الغرض في كتابي هذا تصوير الأقاليم التي لم يذكرها أحد علمته (...)، ففصلت بلاد الإسلام عشرين إقليما (...)» [ص 2-4] وهي: ديار العرب، والمغرب، ومصر، والشام، وبحر الروم، والجزيرة، والعراق، وخوزستان، وفارس، وكرمان، والمنصورة، وما يتّصل بها من بلاد السند، والهند، وأذربيجان، والجبال والديلم، وبحر الخزر، والمفازة وسجستان، وخراسان، وما وراء النهر.

وقد أدرج الإصطخري المنطقة السودانيّة إلى الجنوب من الصحراء ضمن المنطقة المغاربيّة ومصر.

اعتمد الإصطخري صور الأقاليم للبلخي وحاذاه في تطوير مفهوم الإقليم من مناخ حسب نظرية بطليموس، إلى وحدة جغرافية أي مجال أو بلد على حدة، حسب التقليد الإيراني. لكنه لم يقيّد تمييز الإقليم بالسلطة السياسية التي يخضع لها بكيفيّة مطلقة مشيرا إلى إمكانية عدم تطابق الحدود الطبيعية والحدود السياسية. كما ركّز - مثل البلخي - على بلاد فارس بحكم انتمائهما. هذا وطوّر نظرة البلخي إلى الجغرافيا القائمة على إيلاء الخرائط موقعا أساسيا، بالإضافة إلى تطوير مناهج بلورتها ورسمها لجعلها صورا أقرب ما تكون إلى الواقع، وبهذا التمشّي، جعل من رسم الخريطة المعطى الأساسي في أي تأليف جغرافي.

وقد جعل مصوراته عمادا للحديث وأصبح الكتاب تغلب عليه صفة الشرح للمصوّرات، يرسم المصوّر ويشرح ما فيه معرّجا في النصّ على النواحي البشرية والاقتصادية، وهذه الطريقة اتبعها فيما بعد ابن حوقل ولكنّه أضاف معلومات كثيرة على المصوّر نفسه.

وقد اهتمّ كثيرا بالمسافات وهي من الأغراض الأساسية لتصنيفه واستخدم التلوين في صوره على أنّه لا يمكن التعويل على المصوّرات الموجودة في المخطوطات واعتبارها من عمل المؤلّف بل هي من عمل النساخين.

وباعتماد الإصطخري عمل البلخي والأدبيّات الإدارية شكل الأطر الجديدة لعلم الجغرافيا بمحاولاته لتجزئة الوحدات الطبيعيّة إلى وحدات أصغر هي الكور (ج كورة بالمعنى الأصلي أي الدائرة) التي يتحدّد وجودها حول مدينة باعتبار أنّ هذه الأخيرة قاعدة جغرافيّة وإدارية لمنطقة صغرى. فجاء تحريره «الجذاذته» جافا في بعض الأحيان وقائما على محاور تهتمّ بموقع المنطقة ومسالكها ومدنها ممّا يجعل نصوصه تؤسس لجغرافيا بشريّة تهتمّ بأنشطة السكان إلى حدّ أنّ الإطار الطبيعي يصبح ثانويا وتكون الغاية من استعراضه تفسير تصرّفات البشر، إلاّ أنّ الإصطخري لم يكن صارما في ترتيب هذه العناصر بحكم عفويّته الرياديّة في ميدان جديد. وهذا الاضطراب سوف يتجاوزه المقدسي. وقد عدّ ميكال هذا التوجّه ثورة أدخلها الإصطخري على طريقة رسم خرائط صورة الأرض ليجعل من الإقليم مدار جغرافيا بشرية قوامها المدن، بأسلوب لا مجال فيه للعجيب والغريب.

وقد سار ابن حوقل في تقسيم العالم الإسلامي على نهج الإصطخري في عدد الأقاليم وإن كانت كفّة ابن حوقل أرجح لأنّه استفاد كثيرا من كتاب معاصره الإصطخري بعد أن أضاف ما حصّله في رحلاته المتعدّدة (كما يقول الدكتور عبد العال الشامي في كتابه عن جهود الجغرافيين المسلمين في رسم الخرائط). وكان الإصطخري قدوة في كتب المسالك والممالك، فقد تبيّن أخيرا أن ما كتبه ابن فضلان في رحلته الشهيرة إلى بلاد الخزر إنّما هو مأخوذ من كتاب الإصطخري، ولقيت كتاباته أهمّية كبيرة عند العلماء الروس فيما ذكره عن بلاد الخزر، وعند الأوروبيين فيما ذكره عن جزيرة صقلّية وجزيرة القلال (يرجح أنّها جزيرة فريكسينيتم **Fraxinetum** التي احتلّها العرب 889-972 م، كما يذكر ذلك المستشرق كراتشكوفسكي في تاريخ الأدب الجغرافي العربي)

■ إشارة

1 - المسالك والممالك، له عدد من الترجمات الفارسيّة حتّى ظنّ أنّ الكتاب أُلّف بالفارسية حتّى القرن الخامس عشر حين عثر على الأصل العربي، له أيضا ترجمة تركيّة تعود إلى عهد السلطان محمّد الثالث أي حوالي عام 1596 م. طُبع في ليدن 1870 ونشره المستشرق دو غوييه de Goeje في ليدن 1927 الذي يرى أنّ كتاب المسالك والممالك للإصطخري لم يكن سوى نسخة جديدة لمصنّف سابق كتبه أبو زيد البلخي [دائرة المعارف الإسلاميّة]. نشره فؤاد سيزكين في منشورات معهد تاريخ العلوم العربيّة والإسلاميّة، مج 34 عن طبعة ليدن 1870. ونشرته وزارة الثقافة والإرشاد القومي المصريّة من تحقيق محمد جابر الحيني سنة 1961 م عن مخطوطة مع مصوّرات الإصطخري عن دار الكتب المصريّة.

■ المصادر والمراجع

● أبو إسحق إبراهيم بن محمّد الفارسي، المسالك والممالك، وهو معوّل على كتاب صور الأقاليم للشيخ أبي زيد أحمد ابن سهل البلخي، منشورات تاريخ العلوم العربية والإسلاميّة، الجغرافيا الإسلاميّة، مج 34، طبعة ليدن 1870، ● سيزكين فؤاد، المسالك والممالك، أبو إسحق ابراهيم بن محمّد الفارسي الإصطخري (المعروف بالكرخي)، تح. محمد الحيني، ومراجعة شفيق غربال، 1961، وزارة الثقافة بمصر؛ ● عبد الرحمن حميدة، أعلام الجغرافيين العرب، دار الفكر 1980؛ ● م.ن، التراث الجغرافي، جامعة دمشق 1988-1989؛ ● الشلمي، عبد العال، جهود الجغرافيين المسلمين في رسم الخرائط، نشرة الجمعيّة وقسم الجغرافيا بالكويت (36) ديسمبر 1981؛ ● مؤنس، حسين، أطلس الإسلام، دار الزهراء؛ ● محمود عصام الميداني، خطوط الطول ودوائر العرض وقياس محيط الأرض في الجغرافيا العربيّة، الجمعيّة وقسم الجغرافيا بالكويت، 158، محرم 1414 هـ / 1993 م؛

● E.I.2, «al-Istakri», IV, 232; ● G.A.I. I 408; ● Kramers J.H., «la question Balhi-Istakhri et l'Atlas de Islam», in Acta Orientallia, X-XI, 1913-2; ● A. Miquel, la Géographie Humaine du monde Musulman, Paris La Haye, Mouton et C, T1, 1967, p.XXXI et 293-9; ● E.S Kennedy, «Géographie mathématique et carthographie», in R. Rached (direct), Histoires des sciences arabes, Paris, Seuil, T1, 1997, p.217-232.

د. خالد كشير
جامعة تونس
د. محمود عصام ميداني
جامعة دمشق
د. عبد القادر زبدية
جامعة الجزائر

الإصطخري، أبو سعيد الحسن بن أحمد

(244 هـ / 858 م - 328 هـ / 940 م)

هو الحسن بن أحمد بن يزيد بن عيسى بن الفضل بن بشار بن عبد الحميد بن عبد الله بن هانىء بن قبيصة بن عمرو بن عامر، أبو سعيد الإصطخري، أحد أئمة الشافعية ببغداد وقاضي قم [البغدادي، تاريخ مدينة السلام، م 8، ص206]. وذكر ابن خلكان أن نسبة إصطخري تعود إلى إصطخر بفارس قال: «والإصطخري بكسر الهمزة وسكون الصاد المهملة وفتح الطاء المهملة وسكون الخاء المعجمة وبعدها راء، هذه النسبة إلى إصطخر وهي من بلاد فارس خرج منها جماعة من العلماء رحمهم الله. وقد قالوا في النسبة إلى إصطخر إصطخري» [وفيات الأعيان، مج.2، ص 75].

ولد الإصطخري سنة أربع وأربعين ومائتين قال البغدادي: «قال لي عبد العزيز بن علي الوراق: ولد أبو سعيد الإصطخري في سنة أربع وأربعين ومائتين» [م. س، ص 208]. وكان أبو سعيد معروفا بالتشدد في الدين والزهد في متاع الدنيا، قال البغدادي: أخبرنا أبو منصور محمد بن عيسى الهمذاني قال: حدثنا صالح بن أحمد بن محمد الحافظ قال: الحسن بن أحمد بن يزيد أبو سعيد قاضي قم ويعرف بالإصطخري كان أحد الفقهاء مع ما رزق من الديانة والورع، ويدل كتابه الذي ألفه في القضاء على سعة فهمه ومعرفته [م. ن، ج.8، ص207].

ذكر أصحاب التراجم مجموعة من شيوخ الإصطخري وتلامذته نذكر منهم فيما رواه البغدادي قال: سمع سعدان بن نصر، وحفص بن عمرو الربالي، وأحمد بن منصور الربادي، وعيسى بن جعفر الوراق، وعباس ابن محمد الدوري، وأحمد بن سعد الزهوري، وأحمد بن حازم بن أبي غرزة، وحنبل بن إسحاق. وروى عنه محمد بن المظفر، وأبو الحسن الدار قطني، وأبو حفص بن شاهين، ويوسف بن عمر القواس، وأبو الحسن بن الجندي، وأبو القاسم بن الثلاج، وهو نسبه» [م. س، السبكي، طبقات الشافعية ج. 3، ص 230].

ولي الإصطخري قضاء مدينة قم والحسبة في بغداد قال ابن خلكان: «وكان قاضي قم وتولى حسبة بغداد، وكان ورعا متقللا، واستقضاه المقتدر على سجستان» [م. س.، م 2 ص 75]. وكان شديدا في عمله قال الذهبي: «ولي قضاء قم - مدينة قرب أصبهان - وولي حسبة بغداد فأحرق مكان الملاهي» [الذهبي، شمس الدين، سير أعلام النبلاء، ج. 15 ص 250]. وقال السبكي: «ومن أخباره أنه أحرق مكان الملاهي من أجل ما يعمل فيه. وهذا دليل أنه كان يرى جواز إفساد إذا تعين طريقا؛ وقيل كانوا يعملون فيه من الملاهي اللعب» [طبقات الشافعية، ج. 3، ص 292]، كان أبو سعيد حازما في عمله،

جاء في الطبقات: «ومن أخباره في حسبة أنه كان يأتي إلى باب القاضي فإذا لم يجده جالسا يفصل القضايا، أمر من يستكشف عنه هل به عذر يمنعه من الجلوس من أكل أو شرب أو حاجة الإنسان ونحو ذلك، فإن لم يجد به عذرا أمره بالجلوس للحكم» [م. س]. وقال أبو الوفاء: «ولي القضاء بقم ثم حسبة بغداد فكان يدور بها ويصلي على بغلته وهو دائر بين الأزقة، وكان متقللا جدا» [البداية والنهاية، ج. 11، ص 193].

كانت للإصطخري منزلة علمية معتبرة في بغداد وشهد بذلك علماء عصره عليها. قال البغدادي: «حدثني أبو الطيب طاهر بن عبد الله الطبري قال: حكي لي عن أبي القاسم الداركي أنه قال: سمعت أبا إسحاق المروزي يقول: لما دخلت بغداد لم يكن بها من يستحق أن أدرس عليه إلا أبو العباس بن سريج، وأبو سعيد الإصطخري. قال الطبري: وهذا يدل على أن أبا علي بن حبان لم يكن يقاس بهما» [تاريخ مدينة السلام، م 8، ص 207].

وروى أبو إسحاق بعض مناظراته قال: «فحضر يوما مجلس النظر مع أبي العباس بن سريج وتناظرا وجرى بينهما كلام، فقال له أبو العباس: أنت سئلت عن مسألة فأخطأت فيها وأنت رجل كثرةُ أكل الباقلا قد ذهب بدماغك فقال أبو سعيد في الحال: وأنت كثرة أكل الخل والمري - يؤتدم به قد ذهبت بدينك» [طبقات الشافعية الكبرى ج 3 ص 231]. وقال الطبري: «وحكي عن الداركي أنه قال: ما كان أبو إسحاق المروزي يفتي بحضرة الإصطخري إلا بإذنه» [السبكي، م. ن].

ومن مواقفه العلمية أنه لما استقضاه المقتدر على سجستان فسار إليها فنظر في مناكحاتهم فوجد معظمها على غير اعتبار الولي فأنكرها وأبطلها عن آخرها، [ابن خلكان، وفيات الأعيان، مج. 2، ص 75]. وفي رفضه لكل ما خالف الشرع ذكر السبكي قال: «وذكر صاحب الكافي في تاريخ خوارزم في ترجمة محمد بن أبي سعيد الفراتي انه قال: لما انصرفت من بغداد لقيت أبا سعيد الإصطخري بهمذان منصرفا من مدينة قم وكان قد ولي قضاها، فحكى لنا أنه مات بها رجل وترك بنتا وعمًّا؛ فتحاكموا إلي في الميراث فقضيت فيه بحكم الله: للبنت النصف والباقي للعم فقال أهل قم لا نرضى بهذا القضاء أعط البنت المال كله فقلت: لا يحل هذا في الشريعة، فقالوا: لا نتركك هنا قاضيا» [م. س. ج3 ص 233]، وكان نتيجة تمسكه بتطبيق الشرع في هذه المدينة أنه تعرض للمضايقة حتى خرج منها. روى الإصطخري عن نفسه قال: فكانوا يتسوّرون داري ليلا ويحوِّلون الأسرة عن أماكنها وأنا لا أشعر فإذا أصبحت عجبت من ذلك فقال أوليائي: إنهم يرونك أنهم إذا قدروا على هذا قدروا على قتلك فخرجت منها هاربا» [السبكي، م. س]. وكان مذهب القوم مذهب الغرابية من الروافض يقولون بأن المال كله للبنت لأجل فاطمة رضي الله عنها، [السبكي، م. س].

ومن فتاويه في القضاء قال أبو إسحاق المروزي: سئل يوما أبو سعيد عن المتوفى عنها زوجها إذا كانت حاملا هل تجب لها النفقة ؟ فقال: نعم، فقيل له: ليس هذا من مذهب الشافعي، فلم يصدق، فأروه كتابه فلم

يرجع وقال: إن لم يكن مذهبه فهو مذهب علي وابن عباس [البغدادي، تاريخ مدينة السلام، مج. 8، ص 207؛ السبكي، م.س، 231].

وقد استفتاه الخليفة القاهر في بغداد في الصابئين فأفتاه بقتلهم لأنه تبين له أنهم يخالفون اليهود والنصارى وأنهم يعبدون الكواكب، فعزم الخليفة على ذلك حتى جمعوا من بينهم مالا كثيرا له فكف عنهم [السبكي، م. ن].

ومن أخباره في القضاء كذلك أنه أتي بسقط لم تظهر فيه الصورة والتخطيط لكل أحد ولكن قالت القوابل وأهل الخبرة من النساء إن فيه صورة خفية وهي بينة لنا وإن خفيت على غيرنا، فلم يحكم بثبوته الاستيلاء وهذا خلاف مذهب الشافعي فجاءت القوابل فصببن عليه ماء حارا وغسلنه فظهرت الصورة [السبكي، م. س، ص 232]. إن مثل هذا الحكم من الإصطخري يبدو فيه تمسكه برأيه حتى وإن خالف المعروف. ولعل هذه الصورة لم تعرض عليه من قبل رغم أن العلماء كانوا يتحققون في مثل هذه الحادثة. قال السبكي: قال ابن الرفعة وحكى ابن داود في شرحه أن أبا علي بن خيران عرضت عليه مضغة (لامرأة) ألقتها فدعا بماء حار وصبه عليها فتبينت منها الخطوط، فحكم بأنه ولدها [الطبقات، ج. 3، ص 232].

ومن مروياته في مجال الأحكام الشرعية نذكر ما جمعه السبكي في طبقاته من تعدد الآراء في المسألة الواحدة وسأكتفي بعرض رأي الإصطخري في بعض المسائل منها:

- قال الإصطخري: إذا ولي القضاء غير مجتهد ووافق حكمه الحق نفذ ذلك الحكم.

- قال: إن للأم حق التصرف في مال الصبي بعد الجد، والثابت أنها لا تتصرف إلا بعد الوصي.

- إن للحاضر الراكب ترك الاستقبال في النافلة وأنه كان يفعله وهو على حسبة بغداد واحتج بأن المقيم يحتاج إلى التردد في حالة إقامته كالمسافر.

- قال أبو سعيد: إذا قالت المرأة لا ولي لها وليست في العدة فإنها تصدق لأنها أمينة؛ وقال الشافعي لا يزوجها القاضي حتى يشهد عدلان أن لا ولي لها.

- قال: فيمن استأجر رجلا أن يحمل له كتابا إلى آخر ويأتي بالجواب فأوصل الكتاب ولم يكتب المكتوب إليه الجواب أن للحامل الأجرة بكاملها، إنه لا يلزمه أكثر مما عمل والامتناع من غيره.

- وفي توبة القاذف أخذ الإصطخري بالظاهر ودقق في مذهب الشافعي الذي رأى أن القاذف تكفيه التوبة بإكذابه نفسه، فأضاف إليه أن يزيد فيقول: إنّي كاذب في قذفي له بالزنا، ثم يضيف شرطا بقوله: ولا أعود إلى مثله، واستدل بما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «توبة القاذف إكذابه نفسه». قال الإصطخري لا بد أن يكذب نفسه وإن كان صادقا فإنه عز من قائل قال: ﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [النور: 13] فهذا لقب أثبته الشرع [السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج. 3، ص 234-249].

وذكر البغدادي قال: قال الطبري وكان من الورع والزهد بمكان ويقال إنه كان قميصه وسراويله وعمامته وطيلسانه من شقة واحدة وكانت فيه حدة.

وعن خبر وفاته قال الذهبي: مات الإصطخري في جمادى الآخرة سنة ثمان وعشرين وثلاث مائة وله نيف وثمانون سنة [السير، ج. 15 ص 250]، واضاف ابن خلكان: وتوفي في جمادى الآخرة يوم الجمعة ثاني عشرة، وقيل رابع عشرة، وقيل مات في شعبان سنة ثمان وعشرين ومائتين [وفيات الأعيان، م. 2 ص 75]. والرواية ذكرها ابن العماد [شذرات الذهب، مج. 1، ج. 2 ص 312]. وقال البغدادي: أخبرني الأزهري قال: حدثنا أحمد بن إبراهيم بن شاذان قال: توفي أبو سعيد الإصطخري في شعبان سنة ثمان وعشرين [تاريخ مدينة السلام، م 8، ص 208].

آثاره

ذكر البغدادي قال: له تصانيف كثيرة، من ذلك: كتاب أدب القضاء ليس لأحد مثله [تاريخ مدينة السلام، مج. 8، ص 208]. وفي هداية العارفين ذكرت تصانيفه. ومن تصانيفه أدب القاضي على مذهب الشافعي، الجامع في الحساب، شرح الجبر والمقابلة لأبي كامل شجاع، كتاب الأقضية، كتاب الشروط والوثائق، كتاب الفرائض [حاجي خليفة، هدية العارفين، ص 269].

المصادر والمراجع

● البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي، تاريخ مدينة السلام، تح د. بشار عواد معروف دار الغرب الإسلامي م 8؛ ● السمعاني، أبو سعد عبد الكريم، الأنساب، تح عبد الله عمر البارودي دار الجنان ج 1؛ ● ابن خلكان، أبو العباس أحمد، وفيات الأعيان، تح إحسان عباس، م 2، دار صادر بيروت؛ ● الذهبي، شمس الدين، سير أعلام النبلاء، تح شعيب الأرنؤوط، ط 8 مؤسسة الرسالة 1412/ 1992؛ ● السبكي، أبو نصر تاج الدين، طبقات الشافعية الكبرى، تح محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلوج 3 ط. 1 مطبعة عيسى البابي؛ ● أبو الوفاء، ابن كثير، البداية والنهاية، ج. 11، دار الفكر؛ ● ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج. 2، دار الكتب العلمية، بيروت.

د. حراث بوعلاقي
جامعة الزيتونة

الأصفهاني، حمزة بن الحسن المؤدب

(280 هـ / 360 م - 893 هـ / 970 م)

حمزة بن الحسن الأصفهاني المعروف بالمؤدب مؤرخ وأديب وعالم باللغتين العربية والفارسية. ولد بأصفهان سنة 280 هـ، وبها نشأ، وكان يتردد على بغداد باحثا عن المواد التي يجمعها في رواية ديوان أبي نواس.

كان حمزة فارسيًا، وقد اتّهمه بعض مترجميه بالشعوبيّة، ولكن بروكلمان دفع هذه التهمة عنه فقال: «كان فارسيا يفخر بنسبه العجمي، ولكنه على رغم ذلك لم يعاد العرب بل أنصفهم وأعلى ذكرهم فلا يجوز أن يُعد من الشعوبية، كما فعل غولدزيهر في كتابه عن الدراسات الإسلامية».

عاش حمزة في جوّ علمي في بلده أصفهان، وكان أبوه مؤدبًا، وتلقى العلم عن جماعة من العلماء، وكان بارًّا بهم أمينا بذكره الأخذ عنهم، منهم أبو بكر بن دريد، وأبو عبد الله ابن أبي عامر، وأبو بكر أحمد بن شقير النحوي البغدادي، وأبو صدقة الآمدي، ومحمد بن جرير المؤرخ المفسّر، وعبدان بن أحمد الجواليقي المحدّث، وآخرون.

كانت لحمزة معرفة واسعة باللغة الفارسية، لغة قومه، وباللغة العربية والتاريخ والتفسير والحديث. وقد ألف الكتب في موضوعات كثيرة ذات صلة بثقافته الواسعة المتنوعة، وشهد له بسعة العلم وعمق النظر جماعة من العلماء وممن ترجموه، منهم أبو الريحان البيروني الذي أثنى على معرفته اللغوية، فقد نقل عنه ياقوت في معجم الأدباء قوله: «وأما على ما ذكره حمزة بن الحسين الأصفهاني - وهو صاحب لغة ومعنيّ بها - فهو الرستاق بلغة الجرامقة سكان الشام والجزيرة. يقسمون بها المملكة كما يقسم أهل اليمن بالمخاليف». ثم نقل كلامًا لحمزة في وصف الأرض وهو قوله: «الأرض مستديرة الشكل، المسكون منها دون الربع، وهذا الربع ينقسم قسمين برًّا وبحرًا».. وهذا الكلام ينبىء بسعة اطلاع حمزة على علم الجغرافية. وممّن أثنى عليه أيضًا السمعاني، وياقوت الحموي، والنويري، والثعالبي في ثمار القلوب، والبغدادي في خزانة الأدب.

آثاره

1 كتاب التنبيه على حدوث التصحيف، هذا الكتاب من أجلّ الكتب التي ألّفها حمزة الأصفهاني، وهو يدل على معرفة دقيقة بأصول الكتابة العربية وحروفها، وقد كسره على سبعة أبواب تناول في كل منها جماعة ممن وقع تصحيف في بعض من أخبارهم ورواياتهم وكتبهم. ولم يسلم من هذا العيب كبار العلماء أمثال أبي عبيدة والأصمعي، وأبي عمرو بن العلاء. وقد تعقّب المؤلف تصحيفاتهم فيما رووه كذلك ما وقع بين الشراح من الخلاف في أشعار الشعراء

الجاهليين والإسلاميين. والتصحيف عنده قد يكون متعمدا أو غير متعمد. حقق الكتاب محمد أسعد طلس (ت 1959) ونشر بعد المراجعة في مجمع اللغة العربية بدمشق سنة 1968؛ 2 - تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، وحققه المستشرق غوتوالد وطبع غير مرة. وقد ذكر فيه المؤلف طرفًا من أنساب قبيلة حمير وقبائل العرب التي كانت في جنوبي جزيرة العرب، وقد استعان في تأليفه بمراجع فارسية؛ 3 - ديوان أبي نواس، وكان حمزة يتردد على بغداد لجمع أشعاره، وقد طبع هذا الديوان في القاهرة سنة 1958 م. بتحقيق المستشرق فاغنر.

ومن كتبه المفقودة: 4 - تاريخ أصفهان، وهذا الكتاب لم يصل إلينا؛ 5 - كتاب في الأمثال، وقد أفاد منه العسكري في جمهرة الأمثال والميداني في مجمع الأمثال. وأقرّ الميداني باستفادته منه؛ 6 - كتاب في تاريخ كبار البشر أو كبار الأمم؛ 7 - تاريخ العرب قبل الإسلام. وقد حقق المستشرق راسموس قطعة منه؛ 8 - كتاب التشبيهات؛ 9 - كتاب مضاحك الأشعار؛ 10 - له كتاب متنازع في اسم مؤلفه وهو كتاب التماثيل في تباشير السرور أو فصول التماثيل في تباشير السرور، فقد نسبه بعضهم إلى ابن المعتز، وقد حقق هذا الكتاب ونشره معزوًا إلى ابن المعتز الأستاذان جورج قنازع وفهد أبو خضرة ونشر بدمشق سنة 1989م؛ 11 - وذكر بروكلمان في ترجمته لحمزة كتبًا أخرى هي في عداد المفقود من كتبه.

المصادر والمراجع

● القفطي جمال الدين، إنباه الرواة على أنباه النحاة، 1/ 335؛ ● النديم، الفهرست، ط إيران، ص 154؛ ● بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، (المترجم)، 3/ 60 .

د. محمد إحسان النص
مجمع اللغة العربية ـ دمشق ـ سوريا

الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد

(284 هـ / 897 م - 356 هـ / 967 م)

أبو الفرج، علي بن الحسين بن محمد، يمت بنسبه إلى مروان بن محمد، آخر خلفاء بني أميّة. وهذا ما يذكره أكثر من ترجموا له، أما ابن النديم فيجعله من ولد هشام بن عبد الملك. وهو من أعلام الأدباء والإخباريين، له اطلاع جيّد على التاريخ والسير والأنساب واللغة والموسيقى وأصول الغناء.

ولد بمدينة أصفهان، ولذلك قيل له الأصفهاني - أو الأصبهاني - ولعلّ أسرته لجأت إلى هذه المدينة الفارسية تجنبا لأذى بني العباس الذين نكّلوا ببني أميّة وطاردوهم

في شتّى البقاع، وقتلوا من وقع في أيديهم منهم. ومع أن أبا الفرج كان من بني أميّة فإنه اعتنق المذهب الشيعي، ومن المحتمل أن تكون أسرته قد اعتنقت هذا المذهب فنشأ هو عليه.

انتقل أبو الفرج من أصفهان إلى بغداد واستقر بها، وهي يومئذ موئل العلماء والأدباء، فأخذ عن خلق كثير منهم. وممن روى عنهم أخباره، أبو بكر بن دريد، وأبو بكر الأنباري، وعلي بن سليمان الأخفش الأصغر، وأبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحي، ومحمد بن خلف بن المرزبان، وإبراهيم بن محمد المهلّبي المعروف بنفطويه.

كان أبو الفرج يختلف في بغداد إلى دكاكين الوراقين ليطالع الكتب، وكان حريصًا على مجالسة الأدباء والعلماء، وعلى غشيان مجالس الغناء والشراب. وإلى ذلك، كان مكبّا على تصنيف الكتب في مختلف الفنون. وكانت له، مع هذا كلّه، هواية يمارسها هي البيطرة ومعالجة أمور الحيوان؛ وكان تلاميذه يترددون عليه ويأخذون عنه العلم ويقرؤون عليه كتبه.

وبسبب من تشيّعه وغشيانه مجالس الغناء والشراب نفرت منه طائفة من العلماء من مؤرخي أهل السنة، ومن هؤلاء أبو الفرج بن الجوزي عبد الرحمن بن علي فقد طعن في كتابه «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» وتحامل عليه.

اتصل أبو الفرج بالحسن بن محمد المهلّبي (ت 352 هـ) قبل أن يستوزره معز الدولة البويهي، وكان المهلّبي يومئذ يعاني العوز وضيق العيش. ثمّ اتّصل به بعد أن استوزره المعزّ ولازمه زهاء ثلاث عشرة سنة حتّى وفاة المهلّبي، وكان الوزير يغدق العطاء على أبي الفرج وينادمه ويؤاكله مع ما عرف به أبو الفرج من قذارة في الملبس والمأكل، وقد ذكروا أنه كان إذا لبس ثوبا لا يغسله ولا يخلعه حتّى يدركه البلى؛ والأصفهاني، في صفاته هذه، يختلف كل الاختلاف عن الوزير المهلّبي الذي عرف بالمبالغة في التأنّق في مأكله، ومع ذلك فقد احتمل أبا الفرج وظلّت أسباب المودة معقودة بينهما، تقديرا لأدبه وظرفه، حتّى فرّق الموت بينهما.

كانت لأبي الفرج، إلى جانب صِلاته بالمهلبي، صلات وطيدة بوزراء العباسيين والبويهيين، بل إنه كان متصلا بملوك بني أمية بالأندلس، وكانوا يطلبون إليه أحيانا تأليف الكتب، فيؤلفها ويرسلها إليهم، فيبعثون إليه بصلاتهم.

وقد ورد في معجم الأدباء لياقوت أن أبا الفرج اتصل بركن الدولة البويهي وبوزيره ابن العميد، فلما لم يجد عند ابن العميد ما كان يؤمله عاتبه بأبيات، لكن هذا الخبر بعيد عن الصحة، فأبو الفرج الذي اتصل بابن العميد كان كاتبا اسمه حمد بن محمد، وهو الذي وجه إليه أبيات العتاب.

وتذكر بعض الأخبار أن أبا الفرج اتصل بسيف الدولة الحمداني وأهداه كتاب الأغاني، فأعطاه ألف دينار، ويبدو أن اتصاله بسيف الدولة كان عارضا، ولعله وفد إليه وقدم له الكتاب، ولكنه لم يستقرّ عنده. وقد بلغ الصاحب بن عباد الخبر فعلق عليه قائلا: «لقد قصّر سيف الدولة، وإنه يستأهل أضعافها».

كان في أخلاق أبي الفرج وطباعه ما يشبه أن يكون تناقضا. فقد وصف بقذارة الملبس والمأكل، وبسلاطة اللسان حتى إن صديقه المهلبي الذي عاش في كنفه وأفاض عليه عطاياه لم ينج من سلاطة لسانه. وكان الناس يحذّرون لسانه، ويتقون هجاءه، ويصبرون على مجالسته ومؤاكلته ومشاربته مع ما عرف به من قذارة الملبس والمأكل، كان يهجو من يمنع عنه العطاء أو يمسّه بأذى، وكان لاذع السخرية، ولكنه من جانب آخر كان حسن المنادمة، ظريف المجلس، حلو الحديث. وعلى قسوته في هجاء الناس كان رفيقا بضروب الحيوان، يألف صحبتها، ويحنو عليها، ويعالجها إذا اعتلت، ويحزن أشد الحزن إذا نفقت، وله أبيات جيدة في رثاء ديك كان له فمات. ومنها قوله [من الكامل]:

أبكي إذا أبصرتُ ربعك موحشا
بتحنُّن وتأسُّف وشهيقِ
ويزيدني حزنًا لفقدك صادحٌ
في منزلٍ دانٍ إليّ لَصيقِ
فتأسُّفي أبدا عليك مواصلٌ
بسوادِ ليلٍ أو بياضِ شُروقِ

كان أبو الفرج غزير المعارف، متعدّد المواهب، شهد الأدباء والعلماء بسعة آفاقه المعرفية، فقد قال فيه القاضي التنوخي المحسن بن علي (ت 384 هـ) في كتابه «نشوار المحاضرة»: «كان يحفظ من الشعر والأغاني والأخبار والآثار والأحاديث المسندة ما لم أر قط من يحفظ مثله، ويحفظ ما دون ذلك من علوم أخر، منها اللغة والنحو والخرافات والمغازي والسير، ومن آلة المنادمة شيئا مثل علم الجوارح والبيطرة ونتف من الطب والنجوم والأشربة وغير ذلك، وله شعر يجمع إتقان العلماء وإحسان ظرفاء الشعراء». وقال فيه ياقوت: «أبو الفرج الأصفهاني العلامة النسّابة الإخباري، الجامع بين سعة الرواية والحذق في الدراية، لا أعلم لأحد أحسن من تصانيفه في فنّها، وحسن استيعاب ما يتصدّى لجمعه، وكان مع ذلك شاعرا مجيدا».

وكان أبو الفرج بصيرا بنقد الشعر ومواطن الصحة والإجادة فيه. في أسلوبه رشاقة، وعبارته أنيقة، وهذه الصفات تتجلّى في مؤلفاته، وفي كتاب الأغاني خاصة.

وإلى ذلك عرف أبو الفرج بقوة الحافظة، وحضور البديهة، وتوقّد الذهن. على أن قدراته هذه أصابها الوهن في أواخر أيامه لإصابته بالفالج.

يذكر جلّ من ترجموا له أنه توفي سنة 356 هـ، إلاّ صاحب الفهرست فهو يذكر أن وفاته كانت سنة نيف وستين وثلاثمائة.

آثاره

ترك أبو الفرج ما يزيد على ثلاثين مصنفا، فُقِدَ معظمها، وقد ذكر ابن النديم أنه كان يعول في تصنيفه على الكتب المنسوبة الخطوط وغيرها من الأصول الجياد. فمن أشهر مصنفاته:

1 - الأغاني؛ 2 - الإماء الشواعر؛ 3 - المماليك القيان؛ 4 - كتاب الديارات؛ 5 - صفة هارون؛ 6 - نسب بني عبد شمس؛ 7 - أخبار القيان؛ 8 - مقاتل الطالبيين؛ 9 - تفضيل ذي

الحجة؛ 10 - الأخبار والنوادر؛ 11 - أدب السماع؛ 12 - أخبار الطفيليين؛ 13 - مجرد الأغاني؛ 14 - التعديل والانتصاف في أخبار القبائل وأنسابها؛ 15 - كتاب الخمّارين والخمّارات؛ 16 - أيام العرب، ذكر فيه سبعمئة وألف يوم؛ 17 - الفرق والمعيار في الأوغاد والأحرار، وهي رسالة عملها في هارون المنجم؛ 18 - أخبار جحظة البرمكي؛ 19 - جمهرة النسب؛ 20 - نسب بني شيبان؛ 21 - نسب المهالبة؛ 22 - نسب بني تغلب؛ 23 - كتاب الغلمان المغنين؛ 24 مناجيب الخصيان، عمله للوزير المهبلي في خصيّين مغنيين كانا له.

ويذكر ياقوت أن له مصنفات أخرى كان يبعث بها إلى ملوك بلاد المغرب من بني أميّة، ولم يعد منها إلى المشرق إلا أقلّها. على أن أشهر كتبه كتابان هما:

- كتاب الأغاني: بيّن أبو الفرج في مقدمته الباعث على تأليفه فقال: «والذي بعثني على تأليفه أن رئيسا من رؤسائنا كلفني جمعه له، وعرّفني أنه بلغه أن الكتاب المنسوب إلى إسحاق (أي إسحاق الموصلي) مدفوع أن يكون من تأليفه، وهو مع ذلك قليل الفائدة، وأنه شاكٌّ في نسبته، لأن أكثر أصحاب إسحاق ينكرونه، ولأن ابنه حمادا أعظم الناس إنكارا لذلك...».

ومن العسير أن نعرف من هو الرئيس الذي كلفه تأليف هذا الكتاب، وغاية ما انتهى إلينا أنه أنفق في تأليفه خمسين سنة، وأنه قدّمه لسيف الدولة الحمداني فأعطاه ألف دينار، وعلمنا كذلك أنه كتبه مرّة واحدة في عمره، وهي النسخة التي أهداها إلى سيف الدولة. وهذا الخبر موضع نظر فإن كتابه انتشر في العراق ونسخه كثيرون.

ومن المحقق أن مبلغ الألف دينار الذي أعطاه سيف الدولة لأبي الفرج لا يوازي الجهد الذي بذل في تأليفه ولا يوازي قيمة هذا الكتاب الأدبية والتاريخية، ولو أن أبا الفرج قدّم هذا الكتاب إلى أيّ من الملوك والرؤساء الذين كانوا في عهده لنال أضعاف هذا المال. وقد ذكر المقّري صاحب «نفح الطيب» أن الخليفة الأموي الأندلسي الحكم المستنصر راسل أبا الفرج ليبعث إليه بنسخة من كتاب الأغاني، فأرسل إليه نسخة قبل أن يخرجه بالعراق، فأرسل إليه ألف دينار ذهبيا.

والكتاب يحمل اسم كتاب الأغاني، فغاية أبي الفرج الأولى من تأليفه كانت الحديث عن الغناء والمغنين وأصول الغناء والأصوات والألحان المشهورة. وكأن أبا الفرج أراد أن يكون كتابه بديلا من الكتاب المنسوب إلى إسحاق الموصلي في هذا الفن، ولكن الكتاب خرج عن أن يكون كتابا في الأغاني فقط، فقد توخّى أبو الفرج من تأليفه أمرا آخر هو جمع أخبار الشعراء الذين لهم أشعار غنّى فيها المغنون، وأخبار المغنين المشهورين. والنهج الذي اتّبعه في تأليفه يقوم أولا على إيراد أبيات لأحد الشعراء، ثمّ يذكر اسم من غنّى فيه ولحنه وطريقة إيقاعه، وهو يسمي هذا كله صوتا، ثم يورد ترجمة الشاعر قائل الأبيات، وترجمة المغني. ومن هنا حمل الكتاب طابع التراجم الأدبية. أما الأغاني وحدها فقد أفرد لها كتابا مستقلاً سمّاه «مجرد الأغاني».

وقد بدأ أبو الفرج كتابه بذكر الأصوات المئة التي اختارها المغنون لهارون الرشيد، وما أدخله الخليفة الواثق من تغيير في هذه الأصوات. ثم ذكر بعد ذلك ما اختاره من الأصوات الأخرى. وقد وضح أبو الفرج في مقدمة الكتاب طريقته في إيراد الأصوات المئة والأصوات المختارة.

وقد استخدم أبو الفرج في بيان الألحان مصطلحات كانت معروفة لعهده. وهي تتمايز في إيقاعاتها وطريقة الضرب على العود فيها، وهي: الثقيل الأول، وخفيف الثقيل الأول، والثقيل الثاني، وخفيف الثقيل الثاني، والرمل، وخفيف الرمل، وخفيف الخفيف، والهزج. وهذه المصطلحات مستمدّة - فيما يبدو - من كتاب إسحاق الموصلي الذي وضعه في أصول الغناء. وقد جهد الموسيقيون والمغنون فيما بعد في التعرّف على دلالة هذه المصطلحات على وجه الدقة في صحّة رواية أبي الفرج، فلم يهتدوا إلى ذلك حتى يوم الناس هذا.

والنهج الذي اتبعه أبو الفرج في ترتيب تراجم الشعراء يقوم على ذكر الصوت أولا، ثم إيراد أخبار الشاعر الذي ينسب إليه الشعر. وقد بدأ بالأصوات المئة المختارة فكانت أول ترجمة في الكتاب هي للشاعر أبي قطيفة، عمرو بن الوليد بن عقبة. وتلتها ترجمة معبد بن وهب المغني المشهور، صاحب اللحن والغناء في أبيات أبي قطيفة. ثم تلت ترجمة معبد أبيات لعمر بن أبي ربيعة، لحنها وغناها ابن سريج، فأورد أبو الفرج أخبار عمر بن أبي ربيعة، وقد استغرقت زهاء مئة وثمانين صفحة ونيف من الكتاب [طبعة دار الكتب]، ثم تلتها أخبار ابن سريج. وعلى هذا النحو كانت تتمة الكتاب. وقد اشتمل الكتاب على تراجم لزهاء ثلاثمئة شاعر وزهاء ستين من المغنين والمغنيات.

وكتاب الأغاني يعدّ اليوم أوفى مرجع لتراجم الشعراء والمغنين القدامى، وقد اتبع أبو الفرج طريقة الإسناد المتبعة في رواية الحديث النبوي. ولو فقد هذا الكتاب لجهلنا تراجم كثير من شعرائنا القدامى.

حظي كتاب الأغاني، في زمنه وفي العصور التالية، بمنزلة رفيعة لدى الأدباء والعلماء، وأثنوا عليه ثناء عظيما. ومن هؤلاء الصاحب ابن عباد، فقد نقل عنه قوله حين بلغه خبر إجازة سيف الدولة أبا الفرج بألف دينار: «لقد قصّر سيف الدولة، وإنه يستأهل أضعافها، وقد اشتملت خزانتي على مئتين وستة آلاف مجلد، ما منها ما هو سميري غيره، ولا راقني منها سواه» [معجم البلدان في ترجمة أبي الفرج].

وذكر ابن خلّكان أن الصاحب كان يستصحب في أسفاره حمل ثلاثين جملا من كتب الأدب ليطالعها. فلما وصل إليه كتاب الأغاني لم يكن بعد ذلك يستصحب سواه، استغناء به عنها.

وروى ياقوت الحموي عن كاتب عضد الدولة قوله: «لم يكن كتاب الأغاني يفارق عضد الدولة في سفره ولا حضره، وإنه كان جليسه الذي يأنس به، وخدينه الذي يرتاح نحوه».

وقال فيه ياقوت: «العمري إن الكتاب جليل القدر، شائع الذكر، جم الفوائد، عظيم العلم، جامع بين الجدّ البحت، والهزل النحت».

ويذكر ياقوت أيضًا أنه قرأه مرات، وأنه كتب منه نسخة بخطه في عشرة مجلدات.

لقد أصبح كتاب الأغاني، منذ تأليفه، مرجعا لكل من ألفوا في تراجم الشعراء، ومنه استمدّ الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد، وياقوت في معجم الأدباء، وابن خلكان في وفيات الأعيان، وعبد القادر البغدادي في خزانة الأدب، وغيرهم كثير.

ولما لهذا الكتاب من شأن كبير عني كثيرون باختصاره، ومنهم الوزير ابن المغربي الحسين ابن علي (ت 419 هـ)، وابن ناقيا الحلبي (ت 485 هـ)، وابن منظور صاحب لسان العرب، وابن واصل الحموي، وكثير من المؤلفين المحدثين.

نشر الكتاب للمرة الأولى في القاهرة بمطبعة بولاق عام 1285 هـ / 1868 م في عشرين جزءا، وهي نسخة محمد بن محمود بن التلاميد الشنقيطي. ثم نشر مرة أخرى، سنة 1923 بعناية محمد الساسي المغربي بالقاهرة. وأضيف إلى الأجزاء العشرين السابقة الجزء الذي نشره برونو brünnow في ليدن عام 1883م والفهرس الذي صنعه غويدي Guidi عام 1896 م، ثم نشرته دار الكتب المصرية محققا منذ عام 1927 م ولم تفرغ من نشره إلا عام 1974 م، وجاءت هذه الطبعة في أربعة وعشرين جزءا، وتبعت دار الكتب في نشره دور أخرى في لبنان، منها دار الثقافة ببيروت بين 1955-1964 م. وقد طبع منه مختارات الأغاني تح. إبراهيم الأبياري، القاهرة 1965، ومهذّب الأغاني لمحمد الخضري، القاهرة د.ت.

- كتاب مقاتل الطالبيين: ألف أبو الفرج هذا الكتاب بدافع ميله إلى الشيعة، فذكر فيه أخبار الطالبيين وسيرهم ووصف مقاتلهم بأسلوب شفاف مؤثر. وقد أورد جلّ أخباره في الكتاب بطريقة الإسناد، شأنه في كتاب الأغاني، وكان يتلقى أخبار الطالبيين عن أشخاص شاهدهم وعاصرهم، ثم يذكر من أخذ هؤلاء عنهم،حتّى ينتهي إلى الراوي الأول، وجعل كتابه مرتّبا ترتيبا تاريخيا، فيذكر أوّلا من قُتل في زمن الرسول عليه الصلاة والسلام، مثل جعفر بن أبي طالب، ثم من قتل بعدهم في زمن الخلفاء الراشدين، وهو محمد بن جعفر ابن أبي طالب الذي قتل في خلافة علي بن أبي طالب، كرّم الله وجهه، ومسلم بن عقيل ابن أبي طالب، وزيد بن علي بن الحسين، وغيرهم؛ ثم من قتل في زمن بني العباس ومنهم: عبد الله بن الحسن وأخوه إبراهيم ابن الحسن بن الحسن، وآخرون، وهم كثر أيضًا، وآخر من ذكرهم من قتلوا أيام المقتدر ابن المعتضد (ت 320 هـ). وقد ناهز عدد من ذكر أبو الفرج مقاتلهم عشرين ومئتي رجل.

وكان أبو الفرج يطيل في بعض التراجم، كمقتل علي بن أبي طالب وابنه الحسين، ويوجز في تراجم أخرى.

حقق الكتاب وشرحه العلاّمة السيد أحمد صقر، وجعل له حواشي وفهارس وافية للرواة والأعلام والفرق والأماكن والأيام والشعر والتراجم، ونشره في القاهرة سنة 1949 م. وهناك طبعات أخرى أيضًا...

المصادر والمراجع

● أبو الفرج، الأغاني، القاهرة 1927 م

وما بعدها، طبعة دار الكتب؛ ● م. ن.، مقاتل الطالبيين، تح. سيد أحمد صقر، القاهرة 1949م؛ ● الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، القاهرة 1930؛ ● المحسن التنوخي، نشوار المحاضرة، دمشق 1930م؛ ● ابن النديم، الفهرست، تح. رضا تجدد، طهران 1971 م؛ ● ياقوت، معجم الأدباء، إشراف رفاعي، الجزء الثالث عشر، القاهرة 1936 م، دار المأمون؛ ● ابن خلكان، وفيات الأعيان، تح. إحسان عباس، الجزء الثالث، بيروت 1994 م؛ ● الأصمعي محمد عبد الجواد، أبو الفرج الأصفهاني وكتابه الأغاني، القاهرة 1951 م، دار المعارف؛ ● شفيق جبري، أبو الفرج الأصفهاني، القاهرة 1955 م، دار المعارف.. إلخ.

د. محمد إحسان النص

مجمع اللغة العربية - دمشق

الإصفوني، أبو القاسم عبد الرحمان بن يوسف

(677 هـ / 1278 م - 749 هـ / 1348 م)

هو أبو القاسم أبو محمد عبد الرحمن بن يوسف بن إبراهيم بن علي نجم الدين القرشي الإصفوني، الشافعي. ولد بإصفون من صعيد مصر، وسكن قوص. تفقّه على البهاء القفطي وقرأ القراءات. كان عالمًا بالفرائض وهو علم المواريث، كما كان عالمًا بالحساب وله باع في علوم أخرى. قال الأسنوي في «طبقات الشافعيّة»: «برع في الفقه وغيره، وكان صالحًا سليم الصدر يتبرّك به من رآه من أهل السنّة والبدعة». انتفع به كثيرون وحجّ مرارًا، توفّي بمكّة أيّام عيد الأضحى ودفن بالمعلى.

آثاره

1 المسائل الجبريّة في إيضاح المسائل الدّوريّة في الجبر والمقابلة، منه نسخة محفوظة في خزانة الأوقاف ببغداد، أوّله «الحمد لله حمد الشاكرين، وأشهد أنّ لا إله إلاّ الله؛ أمّا بعد، فإنّ المسائل الدّوريّة في سائر التّصرّفات الرّسميّة، ما تمسّ الحاجة إلى معرفتها»، وهي نسخة حسنة، كتبها محمد ابن بدوي الجزائري العسكري في مدرسة العرب بإصفهان سنة 1115 هـ؛ 2 مختصر روضة الطّالبين، من جزأين:

- الجزء الأوّل: أوّله: «الحمد لله أولى ما يبدأ به الكلام، والشّكر على ما أسبغ به من الإنعام»، وآخره: «وإنّ شرط الإمام ألاّ يخمس عليهم، فشرط باطل، ويجب التخميس».

- الجزء الثاني: أوّله كتاب النّكاح وآخره: «فالولد حرّ وعليه قيمته للسيّد. وأولادها قبل

الإيلاد من نكاح أو زنا لا يعتقون بموته، وللسيّد بيعهم»، فرغ من تأليفه مستهلّ رجب سنة 730 هـ. ونسخه محمد بن أحمد بن بكر في 19 ربيع أوّل سنة 742 هـ.

ومن هذا الجزء نسخة ثانية وثالثة، وهي جميعًا من محفوظات المكتبة الظاهريّة بدمشق، وهو اختصار لكتاب النّووي «روضة الطّالبين وعمدة المتّقين»، ولهذا الكتاب مختصرات وشروح تعليقات كثيرة.

المصادر والمراجع

● ابن تغري بردي، أبو المحاسن جمال الدين يوسف، النّجوم الزّاهرة من ملوك مصر والقاهرة، مجلّد 10، ص 248، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1413هـ/ 1992م؛ ● ابن العماد، شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد، شذرات الذّهب في أخبار من ذهب، مجلّد 6، ص 167، تح. عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، 1410 هـ/ 1989م؛ ● الأسنوي، جمال الدين أبو محمد عبد الرحمن بن الحسن، طبقات الشّافعيّة، مجلّد 4، ص115، تح. عبد الله الجبوري، رئاسة ديوان الأوقاف، بغداد، 1970-1976م؛ ● بروكلمان كارل، تاريخ الأدب العربي، ج 2، ص 227، نشر المنظّمة العربيّة للتربية والثّقافة والعلوم والهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة، 1993م؛ ● البغدادي، إسماعيل باشا، هديّة العارفين، أسماء المؤلّفين وآثار المصنّفين، مجلّد 5، ص 527، وكالة المعارف الجليلة، إستانبول، 1951م؛ ● الجبوري، عبد الله، فهرس المخطوطات العربيّة، مجلّد 4، ص 115، رئاسة ديوان الأوقاف، مكتبة الأوقاف، بغداد، 1974م؛ ● حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ص 930، دار الفكر، بيروت، 1402 هـ/ 1982م؛ ● الدقر، عبد الغني، فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهريّة، الفقه الشّافعي، ص 255- 256، دمشق، 1383 هـ/ 1973م؛ ● السيوطي، جلال الدين، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، مجلّد 1، ص 242، دار إحياء الكتب العربيّة، القاهرة، 1387 هـ / 1968م؛ ● اليافعي، عفيف الدين أبو السعادات عبد الله بن أسعد، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزّمان، مجلّد 4، ص 334-335، تح. عبد الله الجبوري، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، 1984م؛ ● كحالة، عمر، معجم المؤلّفين، ج 2، ص 126، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، 1414 هـ/ 1993م؛ ● مجلّة المورد، مجلّد 6، ص 376.

د. عبد المجيد نصير

جامعة العلوم والتكنولوجيا

إربد ـ الأردن

الأصم، أبو بكر عبد الرحمن بن كيسان

(... هـ / ... م - ... 201 هـ / 816 م)

أبو بكر عبد الرحمن بن كيسان الأصم المعتزلي صاحب المقالات في الأصول. كان «من أفصح الناس وأفقههم وأورعهم [المرتضى، طبقات المعتزلة، ص 56]. يعدّ عبد الرحمن بن كيسان من طبقة أبي الهذيل العلاف وأقدم منه [ابن حجر، لسان الميزان، ج 3، ص427]، كان ثمامة ابن أشرس يتغالى فيه ويطنب في وصفه للمأمون، وطلب المأمون عند قدومه للعراق عبد الرحمن بن كيسان، فقال لثمامة: «أين صاحبك الذي كنت تصفه، أحضره لنستكشفه. قال: فقلت: سبقك يا أمير المؤمنين، أي مات قبل قدومك» [ابن النديم، الفهرست، ص214].

كان عبد الرحمن بن كيسان فقيرا شديد الصبر على الفقر، فقال له أصحابه: «كلٌ قد انتفعوا بصاحبهم، ونالوا به القضا وغيره من الدنيا، ونحن لا ننال بك شيئا. قال: فقال: بالله ما ظننت أن صحبتكم إياي للدنيا» [ابن النديم، الفهرست، ص 214]. ويذكر ابن النديم أن عبد الرحمن كان يعد من الأشخاص المعدودين في الاعتزال، ومن الأمور التي تؤخذ عليه أنه كان فيه ميل عن الإمام علي بن أبي طالب، وكان يناظر هشام بن الحكم حول الإمام علي بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان [المرتضى، فرق وطبقات المعتزلة، ص 65]، وكانت له كذلك مناظرات مع أبي الهذيل.

لم تذكر المصادر أيّ شيء عن شيوخه عدا ما أشار إليه المرتضى حول ذلك قائلا: «كان يصلّي ومعه في مسجده في البصرة ثمانون شيخا» [طبقات المعتزلة، ص 57].

وأشار ابن حجر إلى أن إبراهيم بن إسماعيل ابن علية هو أحد تلامذته [لسان الميزان، ج 3، ص427]؛ وقد أثنى عليه كلّ من أحمد ابن يحيى صاحب كتاب «فرق وطبقات المعتزلة» وابن حجر بقولهما إنه كان من أفصح الناس وأفقههم وأورعهم، إنه كان عفيفا، وكان «جليل المقدار يكاتبه السطان... وهو أحد من له الرياسة في حياته فقط [المرتضى، طبقات المعتزلة، ص 57]. وكان أبو علي لا يذكر أحدا في تفسيره إلا الأصمّ، وقال عبد الرحمن بن كيسان: «استعمال القلم أجدر أن يحض الذهن على تصحيح الكتاب من استعمال اللسان على تصحيح الكلام» [الجاحظ، البيان والتبيين، تح. عبد السلام محمد هارون، ط 5، ص 80].

آثاره

ذكر ابن النديم في الفهرست العديد من مؤلفات عبد الرحمن بن كيسان: 1 - كتاب تفسير القرآن، ويذكر المرتضى أن تفسيره عجيب [طبقات المعتزلة، ص 57]؛ 2 - كتاب خلق القرآن؛ 3 - كتاب التوحيد؛ 4 - كتاب الحجة والرسل؛ 5 - كتاب الآي التي تسأل عنها المجبرة؛ 6 - كتاب البيان

عن أسماء الله جلّ اسمه؛ 7 - كتاب الإمامة؛ 8 - كتاب افتراق الأمة واختلاق الشيع؛ 9 - كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ 10 - كتاب الرد على هشام في التشبيه؛ 11 - كتاب المخلوق؛ 12 - كتاب الحركات؛ 13 - كتاب الجامع على الرافضة؛ 14 - كتاب الردّ على المجبرة في المخلوق؛ 15 - كتاب الرد على الدهرية؛ 16 - كتاب الرد على الملحدة؛ 17 - كتاب الرد على اليهود؛ 18 - كتاب الرد على المجوس؛ 19 - كتاب المعرفة؛ 20 - كتاب رسائل الأئمة في العدل؛ 21 - كتاب الرد على من قال بالسّيف؛ 22 - كتاب الرد على أهل الفتوى؛ 23 - كتاب الرد على الزنادقة؛ 24 - كتاب معرفة وجوه الكلام؛ 25 - كتاب ما دلّ عليه الكتاب؛ 26 - كتاب السنة وصفة الكبائر وصغائرها.

المصادر والمراجع

● ابن النديم، الفهرست، تحقيق رضا تجدد، طهران، 1391 هـ/ 1971 م، ص 214؛ ● المرتضى، أحمد بن يحيى، طبقات المعتزلة، تح. سوسنة ديفلد - فلزر، بيروت، 1380 هـ/ 1961م، ص56؛ ● م.ن، فرق وطبقات المعتزلة، تح. وتعداد علي سامي النشار وعصام الدين محمد علي، القاهرة، 1972م، ص 65؛ ● ابن حجر، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني، لسان الميزان، ج 3، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط 2، بيروت، 1390 هـ/ 1971 م، ص 427؛ ● الزركلي، خير الدين، الأعلام، ط. 14، بيروت 1999، دار العلم للملايين، 3/ 323؛ وفيه أنه توفي نحو سنة 225 هـ/ 840م.

د. غانم هاشم خضير السلطاني
جامعة المستنصرية ـ العراق

الأصمعي، أبو سعيد عبد الملك بن قريب

(122 هـ / 740 م - 213 هـ / 828 م)

أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي الباهلي: من مشاهير علماء اللغة. صاحب النحو واللغة والغريب والأخبار والملح. تتفق المصادر على أنه ولد بالبصرة بين عامي 122 هـ و 123 هـ/ 740 م. لكنها لا تذكر شيئا كبيرا عن نشأته سوى طلبه العلم مبكرا، وتنقله في البادية وسماعه من الأعراب، وتنبّه إحساسه الشديد إلى الشعر وروايته وحفظه وتدوينه. ولم يذكر من القدامى تاريخ ولادته سوى ابن قتيبة في [المعارف، ص236؛ ابن خلكان في الوفيات، 2/ 347]. كما أنّ بعض المصادر القديمة قد استعاضت

عن ذكر ولادته ووفاته بتحديد عمره بتسعين سنة أو ثمان وثمانين [الشلقاني، 25]. لكن هذه المصادر تختلف في مكان وفاته وتاريخها. والأرجح أنّ وفاته كانت بالبصرة سنة 213 هـ / 828 م [ابن النديم، 78؛ دائرة المعارف، 2/ 264] وإن كان الزبيدي [ص 174] قد عدّ وفاته بمرو بخراسان سنة 216 هـ، وهو ابن إحدى وتسعين سنة. ويبدو أنّ هذا ما جعل بروكلمان يتردّد في تاريخ وفاته بين سنوات: 215 و216 و217 هـ [بروكلمان، 1/ 469].

والأصمعي نسبة إلى جدّ له يدعى أصمع الباهلي [الأنساب، 1/ 293]. تلقى العلم على أهمّ شيوخ عصره في مسقط رأسه بالبصرة، فأخذ النحو واللغة وشيئا من العروض عن الخليل (175 هـ)؛ والقراءة والأدب والعربية والشعر عن أبي عمرو بن العلاء (154 هـ)؛ والحديث عن شعبة بن الحجاج؛ والنحو والغريب والرواية عن يونس ابن حبيب (182 هـ)، وحماد بن سلمة (165 هـ)، وخلف الأحمر (181 هـ) وروى عنه شعر جرير [بروكلمان، 1/ 469].. ثم لازم أعراب البصرة وأعراب المربد، وأوغل في البادية يستمع من أهلها. قال عنه السمعاني: «سلك البراري، وصحب الأعراب، وأخذ الأدب من معدنه» [الأنساب، 1/ 294]. فكان لا يروي إلا عن عربي، ولا يروي إلاّ أصحّ اللغات [الأعراب الرواة، 85]. ثم انتقل إلى الحجاز فجالس نافع بن عبد الرحمان (169 هـ) قارىء المدينة، ومالك بن أنس (179 هـ)، والشافعي (204هـ).. فكان سنّي التوجه يلتزم بآثار السلف ويبتعد عن الأحزاب والفرق. لذلك قال عنه ابن رشيق (463 هـ): «كان الأصمعي يتكلم في ثلث اللغة لأنه كان يضيّق ولا يجيز إلاّ أصحّ اللغات ويلحّ في دفع ما سواه» [العمدة، 2/ 52]. ذلك أنه رغم تطوّر الدراسات اللغوية وفق مبدإ القياس، فقد كان الأصمعي أشدّ تسليما للعرب القدامى وأكثر اطمئنانا إلى السماع. وكثيرا ما كان يتّفق معاصروه أبو زيد (215 هـ) وأبو عبيدة (210 هـ) في شيء يقيسانه ويرفضه الأصمعي، بل إنه لم يكن يعتدّ إلا بعربي خالص العروبة، لم يخالط لسانه فساد [الشلقاني، 106].

وسرعان ما أصبح شيخا يُسمع له، فقد كان القراء يحضرون إلى حلقته بالبصرة لأخذ قراءة نافع عليه [المزهر، 2/ 261] فاشتهر بدرس الشعر والنظر في معانيه، ودرس اللغة والغريب، حتّى بلغ درجة التخصّص وشهد له علماء العربية بذلك [إنباه الرواة، 2/ 201؛ طبقات النحويين، 169]. وقد روى عنه كثيرون، إذ كان على دراية تامة باللغة وبفنون الشعر حتّى استدعاه هارون الرشيد (170-193 هـ) إلى بغداد وجعله مؤدبا للأمير. فكانت تلك مناسبة لتزعم الحياة العقلية في عاصمة الخلافة، وقد نال حظوة عند جعفر بن يحيى البرمكي [دائرة المعارف، 2/ 264]؛ وبالرغم ممّا ألفه من كتب طيلة فترة إقامته الطويلة ببلاط الرشيد عند مغادرته بغداد حمل كتبه في ثمانية عشر صندوقا، [زيدان، 1/ 407]، فإنّ الأصمعي لم يقدّم شيئا منها للرشيد، ولكنه أهدى لجعفر البرمكي كتاب «النوادر».

وربما أذكى صراع التنافس على الريادة الخلاف بينه وبين أبي زيد صاحب الغريب. والشعر واللغة، وأبي عبيدة، وقد برز في الأنساب والأخبار وأيام الناس. ولم يأت الأصمعي فعلا، من دسائس القصر وما يعتري هذه الحياة من حسد وتنافس ونفاق أحيانا، فانتهى عهده ببغداد بنهاية البرامكة. فما أن قتل جعفر (187 هـ) حتى اضطرّ إلى العودة إلى البصرة، واستبدله الخليفة بغريمه أبي عبيدة بنصيحة من منافسه في بغداد إسحاق الموصلي (235 هـ). وفي البصرة، عاد لإلقاء الدروس في حلقته بمسجدها إلى أن أقعده الكبر. ومن علامات شهرته أنّ أغلب مصنّفي العرب يستقون منه، كما أنّ له فضل جمع دواوين أغلب الشعراء التي وصلت إلينا إلى جانب مجموعته «الأصمعيات» [دائرة المعارف، 2/ 265].

ومن أبرز تلاميذه: أبو عبيد القاسم بن سلام (224هـ)، وأبو حاتم السجستاني (255هـ)، وأبو الفضل الرياشي (257 هـ)، وأبو سعيد السكري، وابن أخيه عبد الرحمان بن عبد الله، وأحمد بن محمد اليزيدي، ونصر علي الجهضمي، ومحمد بن إسحاق الصاغاني.. [دائرة المعارف، 2/ 264؛ تاريخ بغداد، 10/ 410].

لقد أمدّ اللغة بما دوّنه من كتب، وما ضمّنه في ثناياها من غريب في مروياته الشعرية خاصة. وقد وجد فيها أصحاب المعاجم معينا مفيدا في معاجم الموضوعات وفي كتب الغريب أيضًا. كما احتاج له النحاة في وضع القواعد وهو ما يستدعي رواية وثيقة. ويعرف عن الأصمعي أنّه راوية ثبت صدوق، وهو في الرواية والأخبار أقوى من منافسيه [الأفغاني، 179]، وعالم لغة يدرك ألفاظها، وينسبها إلى هذه القبيلة أو تلك، ويحتجّ لها بشعر أو رجز، حتّى أنّه جمع أكثرها مبوبة في موضوعات. فكانت أعماله تلك خطوة إلى المعاجم التي حاولت حصر مفردات اللغة العربية على نمط وترتيب معيّنين ليرجع إليها الباحث. وهو ما نهض به الخليل في معجم «العين». لكنّ الأصمعي كان إضافة إلى ذلك ذا حسّ دقيق بمعالم الجزيرة العربية وجغرافيتها وإدراكا لطبائع ساكنيها وهو ما أعانه على تذوّق الشعر وفهمه ونقده.

ولنا في شهادات اللغويين أصدق دليل على ذلك: فقد قال فيه المبرّد (285 هـ): «كان الأصمعي بحرا في اللغة، لا يُعرف مثله فيها وفي كثرة الرواية» [إنباه الرواة، 2/ 201]؛ وقال عنه الأخفش: «ما رأينا أحدا أعلم بالشعر من الأصمعي وخلف، والأصمعي أعلم لأنه نحويّ، له نحو أربعين كتابا في اللغة» [سزكين، 1/ 456]؛ وقال عنه الزبيدي (389 هـ): «كان الأصمعي من أروى الناس للرجز، فزعموا أنّه حفظ أربعة عشر ألف بيت، فقيل له: هو بيت أو بيتان؟ فقال: فيها المائة والمائتان» [الزبيدي، 169]؛ وقال عنه الخطيب البغدادي: «كان متضلّعا في لغة البدو ولهجاتهم، وكانت له يد غرّاء في اللغة لا يُعرف فيها مثله، وفي كثرة الرواية» [تاريخ بغداد، 10/ 414].

آثاره

وعت ذاكرة الأصمعي جلّ فروع المعرفة في عصره. فكانت مؤلفاته الكثيرة انعكاسا لذلك، وقد بلغ بها ابن النديم ثمانية وأربعين كتابا.

وكان اهتمامه منصبًا على اللغة وروايتها عن الأعراب، موجّها عنايته إلى الشعر والغريب. وهو ما ميّز آثاره، فهي بين: رسائل معجمية في مواضيع متخصصة، وأبحاث صرفية كالاشتقاق والإبدال وغيرهما، وكشف عن نصوص نادرة... وقد أهّله لهذه المهمّة كونه من أوثق رواة العربية وأكثرهم إحاطة بأطرافها ونفوذا في دقائقها، وأسرعهم جوابا وأحضرهم ذهنا. وإليه المرجع في معاني الشعر، وغريب اللغة [الزبيدي، 169].

1 - كتاب الفرق، نشره دافيد هنريخ ملّر (D. H. Muller, SBWA82, 1978, 235 - 28). ميّز فيه بين أسماء أعضاء الإنسان وأسماء أعضاء الحيوان. كما ميّز بين مسمّيات أخرى متعلّقة كأسماء جماعات الإنسان والحيوان، والفرق بين الأصوات؛ 2 - كتاب الأضداد، نشره هفنر (A. Haffner, Drie Arab, Quelenwerke, Beirut 1913, S. 570). نشر في مجموعة أوجست هفنر وتشتمل على كتاب للأصمعي وآخر لأبي حاتم السجستاني، وثالث لابن السكيت ورابع للحسن بن محمد الصغاني، وكلها في الأضداد. والكتاب بحث في الألفاظ التي يصحّ استعمالها على وجهين مختلفين. لكن يصعب أن ينسب هذا الكتاب كلّه إلى الأصمعي لأنّ فيه توسّعا وسندا ومواد تخرج عن نهج الأصمعي كالرواية عن أبي عبيدة، أو الاستشهاد بالقرآن والحديث. والأصمعي يتوقّف عن ذلك توقفا تامّا؛ 3 - كتاب الخيل، نشره أوجست هفنر (A. Haffner, SBWA 1895, 132X). يبدو فيه الأصمعي عليما بالخيول خبيرا بمميّزاتها. وقد خصّصه لما ينبغي أن يكون عليه أجود الخيل، وأسماء أعضائها، وصفاتها، وألوانها، وضروب مشيها، وأخبارها. وهو إلى ذلك كتاب لغة لأنه يعدّ مرجعا معجميًا لألفاظ اللغة الفصيحة المخصّصة لهذا المجال؛ 4 - كتاب الشاة، نشره هفنر (A. Haffner, SBWA 1895, 133VI). تحدث فيه عن ظروف حمل الشاة وولادتها وما تتطلّب من فحولة، وتحدث عن أعضائها وصفاتها وأنواع الشاء..؛ 5 - كتاب الإبل، نشره هفنر (A. Haffner, Texte Zur arab. Lexikographie, Leipzig 1905, 66, 157). وأعيد طبعه في بيروت ضمن مجلّد «الكنز اللغوي». وفيه وصف للناقة من بدء حملها وزمانه إلى وضعها، كما عرض لأمراضها وأدوائها، ولأسماء أعضائها، وأصواتها؛ 6 - كتاب الدارات، نشره أوّل مرّة المستشرق رودولف جاير، ثمّ أعاد نشره هفنر (A. Haffner, Dix anciens traités 3-6). وهو كتيّب يُعرف فيه بالدارات التي بجزيرة العرب وبأسمائها ويستشهد بما ورد منها في الشعر. ويقصد بالدارة ما اتّسع من الأرض وأحاطت به الجبال. وقد ذكر في الكتاب ستّ عشرة دارة؛ 7 - كتاب النخل والكرم، نشره هفنر (A. Haffner, Dix anciens traités 93-99). بيّن فيه أسماء النخلة من أوّل طلوعها، وعرض لثمارها وأسماء أنواعها ومراحل نموّها، ثمّ ذكر أمراضها.. أما الكرم فبيّن عن علم بطرائق زرعه، وأرشد إلى كيفيّة معاملة شجر العنب وثماره وأسماء أنواعه وأجودها؛ 8 - كتاب النبات والشجر، نشره هفنر (A. Haffner, Dix anciens traités 17-92)؛ 9 - كتاب خلق الإنسان، نشره هفنر (A. Haffner, Texte Zur arab. Lexikographie,

(Leipzig 1905, 158 - 232)، ولهذا الكتاب خمس عشرة مخطوطا تختلف عن بعضها اختلافا كبيرا. طبع هذا الكتاب في بيروت سنة 1903، ضمن كتاب «الكنز اللغوي». وتناول أسماء الإنسان في أطواره المختلفة، منذ كان في بطن أمه إلى أن استوى بشرا. ثمّ تناول صفات الإنسان وأسماء أعضائه، ثمّ عرض للنواحي الخلقية والخلقية. كما عالج بعض القضايا اللغوية كالتذكير والتأنيث والاشتقاق. ولهذا اعتمد عليه أغلب من جاء بعده ممّن ألّف في هذا المجال كأبي علي القالي في أماليه، وابن سيدة في المخصّص.. قال عنه الشلقاني: «هذا الكتاب أمثل ما كتب في هذا الموضوع تنظيما إذا قارنّاه بكتب معاصريه»؛ 10 - كتاب الوحوش، نشره جاير (R. Geyer, SBWA 1888, 353-420)؛ 11 - كتاب فحولة الشعراء، نشره توري (Ch. Torrey, ZDMG 65, 487-516). كما حقق هذا الكتاب محمد خفاجي وطه الزيني. وهو في الحقيقة أجوبة للأصمعي عن أسئلة ألقاها عليه تلميذه أبو حاتم السجستاني. وهي أجوبة مقتضبة لا ترقى إلى درجة التحليل والنقد. بل كان الأصمعي يكتفي بأحكام ومقارنات من قبيل: هذا الشاعر فحل أو ليس بفحل، أو هو من الفرسان. فهي ردود مقتضبة غير معلّلة في الغالب عبّر فيها عن مواقفه من عدد من الشعراء حسب أسئلة تلميذه؛ 12 - الأصمعيات، وهي إلى جانب المفضليات أهمّ محصول القصائد التي كانت تدوّن في دواوين الشعراء الكبار. غير أنّ الأصمعيات بمحصولها الذي لا يجاوز اثنين وسبعين قطعة وقصيدة، (مجموع أبياتها 163 تنتمي لواحد وستين شاعرا، أكثرهم جاهليون، وليس فيها إلا أربعة عشر شاعرا من المخضرمين والإسلاميين) لا تناسب في الواقع ما اشتهر به الأصمعي من حفظ ورواية للشعر، فذهب بعض الباحثين إلى أنّ المفضليات استنزفتها [بروكلمان، 1/ 132].

نشرها أول مرة المستشرق وليم ألوردت في ليبزيق بألمانيا سنة 1902 ضمن الجزء الأوّل من مجموع أشعار العرب. ثمّ أعاد تحقيقها ونشرها: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، في القاهرة سنة 1955، ثمّ أعيد طبعها سنة 1963، و1967. وهي مختارات شعرية جمعها الأصمعي فنسبت إليه والطريف أن ابن النديم وهو أقدم مرجع تحدث عن الأصمعي لم يشر إليها إلاّ بقوله «وعمل الأصمعي».. قطعة كبيرة من أشعار العرب ليست بالمرضية عند العلماء لقلة غريبها واختصار روايتها» [الفهرست، 78].

وعلى هذا بنى بروكلمان استنتاجه بأنّ الأصمعيات لم تلق ما لقيته المفضليات من انتشار لأنها أقلّ اشتمالا على غريب اللغة، ولأن الأصمعي اختصر روايتها [بروكلمان، 1/ 132]؛ 13 - كتاب فعلت وأفعلت، مخطوط، القاهرة، وهو يندرج ضمن نوع من التأليف عني بالصيغ المختلفة، وخاصة تلك التي لم يطّرد فيها القياس؛ 14 - كتاب ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه، مخطوط، دمشق؛ 15 - كتاب وصايا ملوك العرب (لكنه يعد من مؤلفات الوشاء)؛ 16 - غريب الحديث [مقدمة النهاية لابن الأثير]؛ 17 - كتاب الأبواب، [خزانة الأدب للبغدادي، 4/ 200]؛ 18 - كتاب الأمثال، [اللآلي للبكري، 1/ 426؛ أمالي القالي، 1/

250]؛ 19 - رسالة في علامة التأنيث [الإنصاف لابن الأنباري، 325]؛ 20 - كتاب الأجناس، وهو من أقدم الرسائل المؤلفة في الشعر [كتاب الصناعتين للعسكري، 249؛ المزهر للسيوطي، 1/ 179]؛ 21 - كتاب الاختبار [الكامل للمبرّد، 546]؛ 22 - كتاب أبيات المعاني [المطالع للغزولي، 1/ 17-19].

المصادر والمراجع

● الأصمعي، الأصمعيات، تح. أحمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف بمصر، ط 3، د.ت؛ ● الأفغاني، سعيد، في أصول النحو، دار الفكر د.ت؛ ● ابن النديم، الفهرست تح. إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت 1994؛ ● ابن خلكان، أبو العباس، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح. إحسان عباس، بيروت د. ت، 1/ 372؛ ● م. ن، الأعراب الرواة، دار المعارف، القاهرة 1977؛ ● بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، الجزء الأول، القاهرة 1992؛ ● الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، القاهرة 1931؛ ● دائرة المعارف الإسلامية، ج 2، القاهرة 1930؛ ● الزبيدي، أبو بكر، طبقات النحويين واللغويين، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، ط 3، 1984؛ ● الزركلي، الأعلام، 1/ 32، بيروت 1987، ط 7؛ ● زيدان جورجي، تاريخ آداب اللغة العربية، دار مكتبة الحياة، بيروت 1983؛ ● السمعاني، الأنساب، تح. عبد الرحمان بن يحيى العلمي التجاني، بيروت 1980؛ ● سركيس، يوسف إليان، معجم المطبوعات العربية والمعرّبة، 1/ 38، بيروت 1928؛ ● السيوطي، جلال الدين، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، 1/ 408، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت د.ت؛ ● م.ن، المزهر، ج 2، شرح وتعليق محمد جاد المولى بك، بيروت 1987؛ ● الشلقاني عبد الحميد، الأصمعي اللغوي، دار المعارف، القاهرة 1982؛ ● القفطي جمال الدين، إنباه الرواة على أنباه النحاة، 1/ 192، القاهرة، بيروت 1986؛ ● كحالة رضا، معجم المؤلفين، بيروت د.ت؛ ● محمد حسين آل ياسين، الدراسات اللغوية عند العرب، بيروت د.ت؛ ● ياقوت شهاب الدين الحموي، معجم الأدباء، تح. أحمد فريد رفاعي، ط 3، القاهرة 1980.

د. الحبيب النصراوي

جامعة الوسط - تونس

ابن أبي أصيبعة، أبو العباس أحمد بن قاسم

(حوالي 596 هـ / 1200 م - 668 هـ / 1269-70 م)

هو موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي بن أبي أصيبعة.

كان لجدّ العائلة خليفة بن يونس الخزرجي ابنان، الأول سديد الدين القاسم (575 هـ / 649 هـ) ولد بدمشق وامتهن طبيبًا للعيون في البيمارستانات: النوري الكبير لمؤسسه الملك نور الدين محمود بن عماد الدين الزنكي حوالي 559 هـ، وباب البريد بقرب الجامع الأموي، و القلعة بدمشق، والثاني، أبو الحسن علي المولود بحلب الشهباء في 579 هـ - والمتوفى في 17 شعبان 616 هـ بدمشق، حيث انخرط في صناعة الطبّ منذ العشرين من عمره وظهر نبوغه ثم درس العلوم الحكمية على الشيخ عبد اللطيف البغدادي.

أما الحفيد، وهو أحمد بن القاسم بن أبي أصيبعة فقد وُلد بدمشق، وبعد دراسات قرآنية وأدبية ورياضية اتجه إلى الصناعة الطبية، ومن شيوخه نذكر:

سيف الدين أبو الحسن علي الآمدي (ت: 631 هـ)، ومنذ عام 617 هـ كان في خدمة الملك المعظم عيسى في التدريس والبيمارستان النوري الكبير؛ ومهذب الدين أبو محمد عبد الرحيم بن علي الدخوار، أوحد زمانه الذي انتهت إليه رئاسة الطبّ بدمشق؛ والحكيم الأجلّ بدر الدين المظفر ابن القاضي مجد الدين قاضي بعلبك (ت: 650 هـ)؛ والشيخ عبد اللطيف البغدادي (586 هـ / 629 هـ) وكانت له صداقة مع الجدّ خليفة والأب سديد الدين القاسم ابن أبي أصيبعة يوم كان في دمشق.

ثم رافق في عام 633هـ الحكيم النباتي أبو محمد عبد الله بن أحمد المالقي ابن البيطار (ت: 646 هـ)، إذ كان العميد في معرفة النبات وأسمائها وتنوعها، وذا فطنة ودراية، وفي كمال مروءته وكرم نفسه ما يفوق الوصف ويُتعجب منه.

وفي عام 634 هـ كان في القاهرة للتمرين والخبرة في البيمارستان الناصري (الصلاحي)، حيث اجتمع بالطبيب - الصيدلاني سديد الدين أبي الفضل داود بن أبي البيان الاسرائيلي الخبير بالأدوية المفردة والمركبة في شتى العلل والوصفات ومقاديرها وأوزانها كالأقراص والسُّفوفات والأشربة، وكان يُعِدّ الأقراباذين (الدستور البيمارستاني).

بعدها توجّه إلى صرخد (صلخد بحوران في شرقي سورية) لاصطحاب الأمير أبي الحسن عز الدين أيبك بن غزال السامري المعظمي ليكون طبيبه الخاص ومستشارا له، وفي هذه الأثناء أكمل نسخة كتابه «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» غير المنقّحة لعام 642 هـ.

وبعد أن احتلّ الملك الصالح نجم الدين بن

الملك العادل صرخد، رجع الحفيد ابن أبي أصيبعة إلى البلاد السورية حيث ظل يعيش إلى ما قبيل وفاته بصرخد عام 668 هـ.

وكان من معاصريه: ـ عماد الدين أبو عبد الله محمد القاضي عباس الربعي الدنيسري. وأول اجتماعه به بدمشق في شهر ذي القعدة عام 667 هـ قبل وفاة ابن أبي أصيبعة ببضعة أشهر فقط، فوجد فيه النفس الفاضلة والمروءة الكاملة والأريحية التامة؛ - والحكيم الأجل عزالدين بن السويدي أبو اسحق إبراهيم بن محمد التاجر في السويداء، وكان صديقا لوالده، وبينهما مودة أكيدة وصحبة حميدة.

ولابن أبي أصيبعة، إضافة إلى اشتغاله بالطب، خاصة طب العيون، تآليف عديدة في الطب وأخبار الأطباء سنأتي على ذكرها في آثاره، وله أيضا شعر أورد منه شيئا في كتابه عيون الأنباء.

ويعتبر كتاب «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» من أهم كتب ابن أبي أصيبعة في موضوعه ليس في زمنه فقط، ولكن طيلة الحضارة الإسلامية قاطبة حتى العصور الحديثة. وهو يقع في مقدمة و 15 بابا:

في المقدمة ذكر شرف صناعة الطب بناء على تنويه الكتب الإلهية والأوامر الشرعية وأقوال الحكماء حد اعتبار علم الأبدان قرينا لعلم الأديان وهو ما يستدعي العناية بها وبالمشتغلين بها من الأطباء. غير أنه لما لم يجد من اعتنى بهذه الصناعة وأهلها، ولا من أحد من أربابها ألف فيها كتابا جامعا تولى هو نفسه سد هذه الثلمة في كتاب حدد لنا موضوعه بقوله: «رأيت أن أذكر في هذا الكتاب نكتا وعيونا في مراتب المتميزين من الأطباء القدماء والمحدثين، ومعرفة طبقاتهم على توالي أزمنتهم وأوقاتهم، وأن أودعه أيضًا نبذًا من أقوالهم وحكاياتهم، ونوادرهم ومحاوراتهم، وذكر شيء من أسماء كتبهم، ليستدل بذلك على ما خصهم الله تعالى به من العلم، وحباهم به من جودة القريحة والفهم؛ فإن كثيرًا منهم وإن قدمت أزمانهم، وتفاوتت أوقاتهم، لهم علينا من النعم فيما صنفوه، والمنن فيما قد جمعوه في كتبهم من علم هذه الصناعة ووضعوه، ما هو تفضل المعلم على تلميذه، والمحسن إلى من أحسن إليه. وقد أودعت هذا الكتاب أيضًا جماعة من الحكماء والفلاسفة، ممن لهم نظر وعناية بصناعة الطب، وجملاً من أحوالهم ونوادرهم وأسماء كتبهم؛ وجعلت ذكر كل واحد منهم في الموضع الأليق به على حسب طبقاتهم ومراتبهم».

وأما الأبواب فقد ذكر فيها ما يلي:

الباب الأول: في كيفية وجود صناعة الطبّ وأول حدوثها؛ الثاني في طبقات الأطباء الذين ظهرت لهم أجزاء من صناعة الطبّ وكانوا المبتدئين بها؛ الثالث في طبقات الأطباء اليونانيين الذين هم من نسل أسقليبيوس؛ الرابع في طبقات أطباء اليونان الذين أذاع أبقراط فيهم صناعة الطبّ؛ الخامس في الأطباء الذين كانوا منذ زمان جالينوس؛ السادس في طبقات الأطباء الاسكندرانيين ومن كان في زمنهم من الأطباء النصارى وغيرهم؛ السابع في طبقات الأطباء الذين كانوا في أول ظهور الإسلام من أطباء العرب؛ الثامن في طبقات الأطباء السريانيين

الذين كانوا في ابتداء ظهور دولة بني العباس؛ التاسع في طبقات الأطباء النقلة الذين نقلوا كتب الطبّ وغيره من اللسان اليوناني إلى اللسان العربي؛ العاشر في طبقات الأطباء العراقيين والجزيرة وديار بكر؛ الحادي عشر في طبقات الأطبّاء الذين ظهروا في بلاد العجم؛ الثاني عشر في طبقات الأطبّاء الذين كانوا من الهند؛ الثالث عشر في طبقات الذين ظهروا في بلاد المغرب والأندلس وأقاموا بها؛ الرابع عشر في طبقات الأطباء المشهورين من أطبّاء الديار المصرية؛ الخامس عشر في طبقات الأطباء المشهورين من أطباء الشام (لبنان وفلسطين والأردن)».

وبعد الفراغ من تأليف الكتاب ونسخه قدمه للمولى الصاحب الوزير أمين الدولة كمال الدين أبي الحسن بن غزال بن أبي سعيد، فهاداه وأجزل له العطاء، ومدحه الشعراء منهم معاصره عزالدين بن السويدي الذي قال فيه:

موفق الدين بلغت المنى
ونلت أعلى الرتب الفاخره
حملت في التاريخ من قد مضى
وإن غدت أعظمه ناخره
فخصك الله بإحسانه
في هذه الدنيا وفي الآخره

[عيون الأنباء، بيروت، 760].

■ آثاره

1 ـ عيون الأنباء في طبقات الأدباء. له طبعات متعددة منها: ط. المستشرق الألماني مولر سنة 1884 م؛ وط. بولاق / مصر سنة 1299 هـ. نقلا عن نسخة مولر؛ وط. بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة (د.ت)؛ 2 ـ معالم الأمم وأخبار ذوي الحكم. ذكره في مقدمة عيون الأنباء فقال: «فأما ذكر جميع الحكماء وأصحاب التعاليم وغيرهم من أرباب النظر في سائر العلوم، فإني أذكر ذلك إن شاء الله تعالى مستقصى في كتاب معالم الأمم وأخبار ذوي الحكم» [عيون الأنباء، بيروت، 8]؛ 3 ـ إصابة المنجمين، [هدية العارفين]؛ 4 ـ حكايات الأطباء في علاجات الأدواء.

■ المصادر والمراجع

● ابن أبي اصيبعة، عيون الأنباء، القاهرة 1299 هـ. بولاق، ج. 1/ 7-9، 45-41، 57، 84، 24-108، 199-173، ج. 2/ 202-210، 41-239، 274-247؛ ● ابن واضح الكاتب، أحمد (ت 284 هـ)، تاريخ اليعقوبي، بيروت، دار صادر، ج. 1/ 95-119؛ ● ابن خلكان، وفيات الأعيان، بيروت 1382 هـ، دار صادر، ج. 1/ 82-83، ج. 6/ 69، 8-77، 362؛ ● القفطي، تاريخ الحكماء، بغداد، المثنى، ص 8 14، 27-34، 74، 90-94، 101، 139-122، 158، 161، 171؛ ● اليونيني، موسى بن محمد، ذيل مرآة الزمان، حيدر آباد الدكن -الهند، 1374 هـ/ 1955 م، المطبعة العثمانية، ج. 2/ 437، ج. 4/ 65-66، 314-312؛ ● ابن تغري بردي، يوسف، النجوم الزاهرة، تح. أحمد جمال الدين الشيّال، القاهرة 1392 هـ، دار الكتب المصرية، ج. 7/ 229، 437؛ ● ابن جلجل، سليمان بن حسّان،

طبقات الأطباء والحكماء، تح. فؤاد سيد، القاهرة 1361 هـ، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، 1 ـ 4، 7- 42، 16 - 56، 68 - 74؛ ● ابن العماد الحنبلي، عبد الحي، شذرات الذهب، لجنة إحياء التراث العربي، بيروت 1351 هـ. دار الآفاق الجديدة، ج. 5 / 127- 8، 241، 327؛ ● ابن العبري، غريغوريوس، مختصر تاريخ الدول، بيروت 1365 هـ، المطبعة الكاثوليكية، 62، 92، 102-4، 112، 138؛ ● الشهرزوري، شمس الدين، نزهة الأرواح، تح. عبد الكريم أبو شويرب، طرابلس الغرب 1408 هـ، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ص 174 - 175، 180 - 181، 196 - 197، 215، 253، 274 - 280؛ ● البغدادي، إسماعيل باشا، هدية العارفين، بيروت (د.ت)، دار إحياء التراث العربي، ج.5/ 96؛ ● قنواتي، شحاتة، تاريخ الصيدلة والعقاقير، القاهرة 1390 هـ، دار المعارف، 88 - 122؛ ● البستاني، فؤاد أفرام، دائرة المعارف، بيروت 1369 هـ، ج. 2/ 197؛ ● كرد علي، محمد، كنوز الأجداد، دمشق 1360 هـ/ 1950 م، مطبعة الترقي، ص 332 - 334؛ ● كحالة، معجم المؤلفين، دمشق 1385هـ، مطبعة الترقي، 3/ 15، 4/ 136، 6/ 22، 7/ 155 - 156؛ ● الزركلي، خير الدين، الأعلام، بيروت 1400 هـ، 1/ 357، 377؛ ● عانوتي، أسامة، ابن أبي أصيبعة، بيروت 1395هـ، دار النفائس، ص 41 ـ 47؛ ● حمارنة، سامي خلف، تاريخ تراث العلوم الطبية عند العرب والمسلمين، عمان المطبعة الوطنية 1406 هـ / 1986 م، 1/ 68-98، 117-122، 160 ـ 175، 195-226، 272 277، 335- 352، 371 ـ 378؛ ● فهرس المكتبة الظاهرية، دمشق 1389 هـ/ 1969 م، ص 32-54، 58-70، 130 ـ 133، 147 - 169؛ ● فهرس المكتبة البريطانية، القاهرة 1395 هـ/ 1975 م، دار النشر للجامعات المصرية، 183 ـ 187؛ ● ابن القف الكركي، جامع الغرض، عمان 1409 هـ، الجامعة الأردنية، ص 38-40، 468.

د. سامي خلف حمارنة

واشنطن ـ أمريكا

الأصيلي، أبو محمد عبد الله بن ابراهيم

(324 هـ / 936 م ـ 392 هـ / 1002 م)

هو أبو محمد عبد الله بن إبراهيم بن (محمد) الأندلسي، الأموي المالكي المعروف بالأصيلي، القاضي من كبار أصحاب الحديث والفقه، ولد بكورة شذونة من بلاد الأندلس، ورحل به أبوه الذي كان من مسلمة الذمة إلى «أصيلا» فنشأ بها، وهي مرسى قرب طنجة من المغرب الأقصى وعرفت هذه المنطقة في كتب التراجم الأولى ببلاد العدوة وقال ابن عائذ ولد بأصيلا ونشأ بها [عياض، ترتيب المدارك، ج 7 ص 135] طلب العلم بالآفاق، فدخل أولا بلاد الأندلس المعروفة بالجزيرة الخضراء سنة اثنين وأربعين وثلاثمائة للهجرة، وتفقه بقرطبة بشيخها اللؤلؤي وابن مسرة وسمع من ابن المشاط وغيرهم، ثم رحل إلى المشرق سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة فلقي بالقيروان شيوخ إفريقية وكتب عنهم الفقه والحديث كأبي العباس الإبياني التونسي، وأبي العرب، وابن أبي زيد القيرواني الذي كتب عنه عن شيوخه الأندلسيين، ثم رحل إلى مصر مع أبي الحسن القابسي فلقي بها أبا الطاهر البغدادي وسمع من أبي القاسم الكناني ونظرائهم، ثم حج ولقي بمكة سنة ثلاث وخمسين أبا زيد المرزوي، وسمع منه صحيح البخاري، وأبا بكر الأجري وبالمدينة قاضيها أبا مروان المالكي، ثم سار إلى العراق فلقي بها الأبهري رئيس المالكية في عصره وأخذ عنه الأبهري أيضا، وحدث عن أبي الحسن الدارقطني وحدث عنه الدارقطني كثيرا في كتابه في الرواة عن مالك، وسمع ببغداد عرضته الثانية في صحيح البخاري من أبي زيد وسمعه أيضا من أبي أحمد الجرجاني وهما شيخاه في البخاري وعليهما يعتمد فيه.

ثمّ دخل البصرة والكوفة وواسط وسمع علماءها وأكثر الجمع والرواية واغترب بالمشرق نحو ثلاثة عشر عاما أو أكثر؛ ثم رجع إلى الأندلس فساد في ذلك حتى انتهت إليه الرئاسة بها في المالكية [ابن فرحون، الديباج، ص 224]. وسمع به صاحب الأندلس المستنصر بالله الحكم بن الناصر الأموي وبرحلته الطويلة للمشرق، فبعث يستعجله في الرجوع، وكان الحكم حسن السيرة، له غرام عظيم بالعلم وتحصيل الكتب فلما أقبل الأصيلي إلى الأندلس، ووصل إلى المرية سنة ست وستين وثلاثمائة مات الحكم فانعكس أمل الأصيلي، خصوصا وأنّه لم يجد في البداية مع ابن أبي عامر مدبر الأندلس القبول والتبجيل فبقي حائرا هائما حتى هم بالانصراف إلى المشرق، ثم نهض إلى قرطبة فشرف فقهاؤها بمكانه حتى عرف المنصور بن أبي عامر مكانه في العلم فرغب فيه وقدمه إلى الشورى [الضبيّ، بغية الملتمس، ص 441]. وسمع منه خلق كثير، وبه تفقه أبو عمران الفاسي والمهلب بن أبي صفرة، وابن الحذاء، وقد لازمه كثيرا وغيرهم.

وقد نقل الحفاظ والمتقدمون من أصحاب التراجم كالذهبي وابن الفرضي والقاضي عياض جملا من ثناء الجلة عليه وذكر فضله وعلمه، ونتفا من فتاويه واختياراته.

قال ابن حيان الأندلسي: «كان أبو محمد في حفظ الحديث ومعرفة الرجال والإتقان للنقل والبصر بالنقد والحفظ للأصول والحذق برأي أهل المدينة والقيام بمذهب المالكية، والجدل فيه على أصول البغداديين، فردا لا نظير له في زمانه، بلغني من غير وجه أنّه وجد في كتب الدار قطني: حدثني أبو محمد الأصيلي، ولم أر مثله» [عياض، ترتيب المدارك، ج 7، ص 138]. وقال ابن الفرضي: كان عالما بالكلام والنظر منسوبا إلى معرفة الحديث جمع كتابا في اختلاف مالك والشافعي وأبي حنيفة سماه «الدلائل على أمهات المسائل» وقد حفظت عليه أشياء وقف عليها أصحابنا وعرفوها يعني فيما خالفه فيه أهل الحديث من العقود فذكرها [تاريخ علماء الأندلس، ج 1، ص 426] وقال ابن المهلب - وذكر مشيخته - فقال: فأجلهم علما وفهما وأثبتهم نقلا وأصحهم ضبطا وأرفعهم حالا، وأعدلهم قولا، أبو محمد الأصيلي، وكان حين رجع من المشرق ولي قضاء سرقسطة، وقام بالشورى بقرطبة، حتى كان نظير ابن أبي زيد بالقيروان وعلى هديه إلا أنّه كان فيه ضجر شديد يخرجه أوقات الغيظ إلى غير صفته [ابن فرحون، الديباج، ص 224].

ونقل عياض عن أبي الوليد: قال: لما دخلت القيروان، أتيت أبا محمد بن أبي زيد، فقال لي: حاجتك؟ قلت: الأخذ عنك، فقال لي: ألم يقدم عليكم الأصيلي؟ قلت: بلى، فقال لي: تركت - والله - العلم وراءك، فكيف حاله مع أهل بلده؟ فأخبرته بظلمهم له، فقال: جهلوا ما أتى به. وأتيت القابسي، فجرى معه مثل ذلك، وقال مثل قوله، وأحضره ابن أبي عامر في جملة الفقهاء فاستشارهم في أرض موقوفة على بعض كنائس أهل الذمة أراد شراءها، فمنعه جماعة الفقهاء منه غير الأصيلي وحده، فإنه أفتى فيه بجوازه، واحتج لذلك فرجع ابن صاعد منهم إلى قوله.

والأصيلي أيضا أفتى ابن أبي عامر بجواز الصلاة في العمارية التي كان يلزم الركوب فيها في أسفاره وأباحه ذلك في الفريضة دون النزول بالأرض إذ كانت صلاته إيماء للوهن الذي أصاب قدميه من علة «النّقرس» وهي إحدى روايتي ابن القاسم في المدونة التي هي أم المذهب، ومنع ذلك حتى يباشر الأرض أرجح، وكان يحث على ترك التقليد، ويخطئ القول بنبوة مريم - أم عيسى عليها السلام - ويقول هي صدّيقة، وكان ينكر الغلو في كرامات الأولياء، ويثبت منها ما صح سنده، أو كان بدعاء الصالحين.

قال المهلب: وكان يعمل بالمزارعة على الثلث والربع، ويرى بذلك ولا يقول بمنعها في المذهب، ويقول: هي ألين مسائلنا وأضعفها، وحجته حديث معاملة النبي ﷺ أهل خيبر، ذلك أنّ النبي ﷺ عاملهم على أن يزرعوها ولهم شطر ما يخرج منها، وكذلك ما حكي عن عمر وجماعة أهل المدينة [عياض، ترتيب المدارك، ج 7، ص 141].

توفي سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة للهجرة، وكان جمعه مشهودا وأوصى أن يكفن في

خمسة أثواب، وكان آخر ما سمع منه حين احتضر: «اللهم إنك قد وعدت الجزاء على المصيبة، ولا مصيبة علي أعظم من نفسي، فأحسن جزائي فيها يا أرحم الراحمين». وكان كثيرا ما يذكر الأربعمائة وما يكون فيها من الفتن، ويدعو الله عزّ وجل أن يقبضه قبلها فأجاب الله دعاءه، ودفن بقرطبة بمقبرة الرصافة، وصلّى عليه القاضي أبو العباس بن ذكوان [الضبي، بغية الملتمس، ص 441].

آثاره

1 - الدلائل على أمهات المسائل، [ذكره كحالة في «معجم المؤلفين» ج 6، ص 19] وشكيب أرسلان في «الحلل السندسيّة» [ج 3، ص 226] بعنوان «الآثار والدلائل على أمهات المسائل» وهذا يدل على أن كتابته في الفقه مؤسسة على الأصول وهي طريقة العراقيين من أصحاب مالك، وهذا الكتاب هو شرح للموطأ، ذكر فيه خلاف مالك والشافعي وأبي حنيفة ولا يبعد أن يكون فقهاء المالكية في الأندلس قد تأثروا بمنهج الأصيلي وطريقته في التآليف، نذكر منهم - على سبيل المثال - ابن رشد الحفيد في كتابه بداية المجتهد ونهاية المقتصد؛ 2 - نوادر الحديث في خمسة أجزاء؛ 3 - الانتصار، والظاهر أنه في نصرة المذهب المالكي؛ 4 - رسالة المواعد المنتجزة؛ 5 الرد على ما استحل عن رسول الله ﷺ؛ 6 - الرد على ما شذ فيه الأندلسيون.

المصادر والمراجع

● ابن الفرضي (ت 403 هـ)، تاريخ علماء الأندلس، تح الأبياري، دار الكتاب المصري - القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت ط 2، 1410 هـ / 1989 م؛ ● الضبيّ (ت 599 هـ)، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تح الأبياري - دار الكتاب المصري - القاهرة، دار الكتاب اللبناني - بيروت، ط 2، 1410 هـ / 1989 م؛ ● القاضي عياض (ت 544 هـ)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تح: سعيد أحمد أعراب، المملكة المغربية، 1403 هـ / 1983 م؛ ● ابن فرحون المالكي (ت 799 هـ)، الديباج المذهب، في معرفة أعيان علماء المذهب، دار الكتب العلمية - بيروت، ط 1، 1417 هـ / 1996م؛ ● مخلوف، محمد (ت 1360 هـ)، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 1 / 1349 هـ؛ ● الحجوي، محمد بن الحسن (ت 1376 هـ)، الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، مطبعة زيد بن ثابت - دمشق 1397 هـ / 1977 م.

د. هشام قريسة

المعهد الأعلى للحضارة الإسلامية - تونس

الأطرابُلسي، أبو الحسن خَيْثَمة بن سليمان

(250 هـ/864 م - 343 هـ/954 م)

هو أبو الحسن خَيْثَمة بن سليمان بن حَيدرة القُرَشي، الأطرابُلسيّ، المحدّث، الحافظ، مُسنِد الشام في عصره. وُلد وتوفّي في طرابلس الشام، وكان شغوفًا بالرّحلة والسّفر إلى رجال الحديث وحفّاظه في البلاد، فطوّف بين: أَذَنة، وأنطاكية، والبصرة، وبغداد، وبيروت، وبيت لِهْيا، والثغور، وجَبلة، وجُبيل، وحلب، وحمص، والحيرة، ودمشق «و» عاقول، والرملة، وسامرّاء، وصنعا الشام، وصنعا اليمن، وعسقلان، وعكا، وعُكبراء، والكوفة، واللاذقيّة، والمدائن، والمَصيصة، ومكّة، ونصيبين، ونَيْسابور، وواسط. وأخذ عن نحو 150 شيخًا، وحفظ آلاف الأحاديث بأسانيدها. وعندما عاد إلى بلده أصبح كبير محدّثيها وأشهرهم، وكان يحدّث في الجامع الأمويّ بدمشق، وذاعت شُهرته الآفاق، حتّى لُقّب «محدّث الشام» أو «المُسند الشام»، وقصده الكثيرون من طلبة الحديث من أقصى العالم الإسلام إلى أقصاه، من الأندلس وبلاد المغرب، حتّى الحجاز واليمن وبلاد فارس، ونجارى، وسمرقند، وأواسط آسية، وبلغ الّذين تخرّجوا عليه نحو 150 شخصًا، ومنهم: «ابن جُمَيع الصيداويّ» (ت 402هـ)، و«ابن مفرّج القُرطبي» محدّث الأندلس (ت380هـ)، و«ابن مَنْدَه» صاحب المصنّفات (ت 395هـ)، وقد أخذ بطرابلس الشام عن «خيثمة» ألف جزء من الحديث، و«أبو نُعَيم الأصبهانيّ» صاحب «حلية الأولياء» (ت430هـ) وكان آخر من روى في الدّنيا عن «خيثمة» بالإجازة.

وقع في قبضة البيزنطيّين وهو في العشرين من عُمره، وكان يركب البحر إلى أنطاكية من أجل سماع الحديث على أحد شيوخها، وكاد أن يُقتل على أيديهم، وبقي أسيرًا عندهم مدّة أربعة أشهر حتّى أطلق سرحه، ومع ذلك واصل رحلاته في طلب العلم ولقاء كبار المحدّثين.

ونظرًا لكثرة الأحاديث الّتي كان يحفظها ويرويها، فقد كتب الكثير منها في مصنّفاته، واتّخذ لنفسه مكتبة كبيرة في طرابلس، واختصّ به ورّاقان كان يلازمانه ويقومان بتوريق مرويّاته ومحفوظاته ويحفظونها في مجلّدات. وأجمع كلّ الّذين ترجموا له على أنّه كان إمامًا ثقة في الحديث. وقال تلميذه «ابن منده»: «كان شيوخ الدّنيا خمسة: «ابن فارس» بأصبهان، و«الأصمّ» بنيسابور، و«ابن الأعرابي» بمكّة، و«خيثمة» بأطرابُلس، و«اسماعيل الصفّار» ببغداد [الذهبي، سير أعلام النّبلاء، 15/ 554]. ونظرًا لثقته وفضله، فقد كان شاهدًا عدلاً يستعين به القُضاة في قضايا الحكم والخلاف، ولمّا علا سِنّه امتنع عن حضور مجلس القاضي في ديوان طرابلس، فأصدر سلطان مصر والشام «أنوجور بن الإخشيد» (334-349 هـ) أمرًا

لقاضي طرابلس بأن يعتمد مجلس الحكم بين يدي «خيثمة» في الجامع الّذي يحدّث فيه، ليأخذ شهادته.

ويتألّف الجزء الواحد من مَرويّات «خيثمة» ما بين 7-12 صفحة، وعلى هذا يكون الألف جزء الّتي كتبها «ابن مَنْده» عنه يزيد مجموع صفحاتها على تسعة آلاف صفحة ! وهذا دليل على كثرة ما كان يُمليه على طلبة العلم.

عُمِّر «خيثمة» 93 عامًا، حتّى توفّي بطرابلس. وقد جمعنا مئات الأحاديث والفوائد الّتي رُويت من طريقه وبسنده، من عشرات المصنّفات الّتي تُعنى بالتّاريخ والتّراجم والطّبقات والسُّنن وغيرها، ما بين مخطوط ومطبوع، وإذا طُبعت لجاءت في مجلّد ضخم.

وصنّف «إدريس بن إبراهيم البغدادي الواعظ» كتابًا بعنوان «أُنْس الجليس ومَسَرّة الأنيس» روى فيه عن «خيثمة»، وحدّث «أبو البركات عقيل بن العباس الحسيني» (توفّي 451 هـ) بفضائل أهل البيت، من جمع «خيثمة». وفي كتاب «الرّوض البسّام» لـ«تمّام الرازي» (ت414هـ) نحو 180 حديثًا، منها الكثير بروايته عن «خيثمة»، وفي كتاب «الإيمان» لـ«ابن مَنْده» أكثر من 1000 حديث، نصفها تقريبًا عن «خيثمة»، ومثله في المجلّد 15 من كتاب «شرح السُّنّة» لـ«البَغوي» (توفّي 516هـ)، وغيره.

آوثاره

1 - المنتَخَب من الفوائد.

2 - فضائل الصّحابة.

3 - فضائل أبي بكر الصدّيق.

4 - الرّقائق والحكايات.

5 - من حديث خيثمة (ضمن مجموع بالظاهريّة، رقم 82).

6 - من حديث خيثمة (ضمن مجموع بالظاهريّة، رقم 41).

المصادر والمراجع

● حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ص1385؛ ● كحالة، معجم المؤلّفين، 4/ 131؛ ● سزكين، المعجم الشّامل للتّراث العربي المطبوع، 2/ 314؛ ● من حديث خيثمة بن سليمان الأطرابلسي، بتحقيقنا، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت، 1980 م.

د. عمر عبد السلام تدمري

الجامعة اللّبنانية - طرابلس

أطفيّش، أبو إسحاق إبراهيم بن امحمّد

(1305هـ / 1886 م - 1385 هـ/ 1965م)

هو أبو إسحاق إبراهيم بن امحمّد بن إبراهيم بن يوسف أطفيّش، ينتهي نسبه إلى عديّ بن كعب القرشي جدّ أبي حفص عمر بن الخطاب (رض)؛ و«أطفيّش» لفظ بربري مركب تركيبا مزجيّا من ثلاث كلمات، الأولى: «أطّفْ» بفتح الهمزة وتشديد الطاء المفتوحة وسكون الفاء، ومعناها ببعض لغات البربر «أمسك»، والثانية: «أيّا» بفتح الهمزة وتشديد الياء، ومعناها «أقبل، تعال»، والثالثة: «اش» ومعناها «كُل». وتقول بعض التراجم: إنّ أحد أسلاف صاحب الترجمة لُقّب به لمناداته صديقا له يدعوه إلى الطعام [خير الدين الزركلي، الأعلام، ج. 7، ص 156].

ولد ببلدة «بني يزقن» من قرى «وادي ميزاب» جنوب الجزائر، في أحضان عائلة كريمة متديّنة أنجبت للعالم الإسلامي عالما فذّا من علماء الجزائر وهو عمّه قطب الأيمّة الحاج إمحمّد بن يوسف أطفيّش (ت 1914 م).

أتمّ إبراهيم حفظ القرآن في الحادية عشرة من عمره، ثمّ أخذ مبادىء العلوم العربية والشرعيّة على يد عمّه القطب أطفيّش في مسقط رأسه، ثمّ عن المصلح العالم عبد القادر المجاوي بالجزائر العاصمة.

وفي سنة 1917 يمّم تونس ضمن بعثة علميّة، فالتحق بجامع الزيتونة، وكان مثار إعجاب مشائخه ذكاء وأخلاقا وسعة علم، وما لبث أن استهوته السياسة بأجوائها الحماسية الوطنيّة، فشارك في تأسيس الحزب الدستوري التونسي بزعامة الشيخ عبد العزيز الثعالبي صحبة زملائه في البعثة: محمد الثميني، وأبي يقظان، والشيخ صالح بن يحيى.

عُرف أبو إسحاق في الأوساط السياسية والثقافيّة بالجزائر وتونس بكرهه الشديد للاستعمار الفرنسي ومهاجمته له، فأبعده الفرنسيون إلى القاهرة التي وصلها في 23 فبراير 1923 م، وهي نفس الفترة التي نفي فيها كلّ من الأمير خالد بن عبد القادر الجزائري والشيخ عبد العزيز الثعالبي التونسي اللذين تربطهما بأبي إسحاق روابط العمل السياسي .

وفي القاهرة وجد المترجم له المجال واسعا للعمل الوطني، فنشط في ميدان السياسة والفكر وقام بأعمال جليلة في الصحافة وتحقيق التراث والتأليف، إلى جانب نشاطه الاجتماعي ضمن الجمعيات الخيريّة ذات التوجه الإصلاحي الإسلامي.

أصدر مجلّة «المنهاج» وترأس تحريرها ما بين سنتي 1344 هـ و 1349 هـ التي عرفت بتوجهها السياسي والاجتماعي القويين، فكان ينشر مقالات لكتّاب عُرفوا بعدائهم الصريح للاستعمار الغربي، تكشف عن مخططات الأنجليز والفرنسيين الاستيطانية في الحجاز

والشام والمغرب العربي بأسلوب تحليليّ عميق.

وفي الميدان الديني والاجتماعي كانت تردّ على مقالات التغريبيِّين المبهورين ببريق المدنيّة الغربيّة، المشككين في ثراء الحضارة الإسلامية وقدرتها على التطور، ومن ثمّ مُنعت هذه المجلّة من دخول كثير من الدول العربية والإسلامية، وما لبثت بعد مضاقات سياسية ومتاعب مالية أن توقفت، فأسند الشيخ أطفيّش رخصة صدورها إلى زميله في الكفاح محبّ الدين الخطيب، وكان ذلك سنة 1931م.

أسس صاحب الترجمة مع صديقه الشيخ الخضر حسين جمعيّة الهداية الإسلامية، وفي أواخر الخمسينات وبداية الستينات أصبح عضوا فعّالا في جمعيّة تعاون جاليات شمال إفريقيّة، والمؤتمر الإسلامي المنعقد بالقدس سنة 1350 هـ / 1930 م، كما كان عضوا نشيطا في جمعية الشبّان المسلمين الذي تربطه بزعيمها الحسن البنّا صداقة حميمة.

وفي سياق عمله السياسي كان إبراهيم أطفيش أوّل ممثل لدولة «سلطنة عمان» في الجامعة العربية، كما ترأس وفدها الرسمي بهيئة الأمم المتحدة في دورة جوان من سنة 1960 م، وكان قبل ذلك قد أسس أوّل مكتب لدولة «عمان» بالقاهرة سنة 1956م، وقد أملى عليه هذا الجانب السياسي في حياته تحرير مقالات سياسية واجتماعية كثيرة نشرها في المجلات والصحف المصرية.

وظلّ الرجل يشتغل بالعلم والسياسة إلى أخريات حياته حيث اشتد به المرض بما استدعى إجراء عملية جراحية عاجلة، غير أنّ القدر كان أسبق فوافته منيته يوم 20 شعبان 1385 هـ / 13 ديسمبر 1965 م ودفن في مقبرة آل الشماخي - كما أوصى. وقد صلّى عليه في جامع «المطرية الشيخ محمد المدني عميد كلية أصول الدين بالأزهر الشريف وشيعت جنازته بحضور كثير من العلماء ورجال الفكر في مصر.

آثاره

في شهر جوان من سنة 1940 م / 1359 هـ أسندت وزارة الداخلية المصرية لصاحب الترجمة مهمة الإشراف على قسم التصحيح بدار الكتب المصرية فكان من أجلّ أعماله فيها :

1 - تحقيق وتصحيح أجزاء من الجامع لأحكام القرآن للقرطبي في طبعته الأولى بدار الكتب المصرية بالقاهرة، سنة 1952م؛ 2 - تصحيح كتاب المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم من تأليف محمد فؤاد عبد الباقي؛ 3 - تحقيق وتصحيح أجزاء من كتاب نهاية الأرب؛ 4 - تعليق على كتاب «الوضع» للإمام أبي زكرياء يحيى بن أبي الخير الجنواني، وهو مختصر من الفقه والأصول تناوله أبو إسحاق بالشرح والتعليق، وقدّم له وعرّف بمؤلّفاته، كما ذكر فيه نبذة من تاريخ «نفّوسة» وهي فرقة من الشعب الليبي ورجاله، قد بدا منهم من حرية المذاهب الإسلاميّة ما لم يُعرف من غيرهم، وكتاب المختصر هذا مطبوع بشرحه وتعليقاته للمرة الثانية بالمطابع العالميّة بالسلطنة (د.ت) ومتداول بين الناس؛ 5 - تنبيهات على الجامع الصحيح مسند الحافظ المحدث الربيع بن حبيب الأباضي

المذهب، يؤكد فيها صحة مروياته مما رواه عن ضمام بن السائب عن جابر بن زيد عن عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي. كما ينبه إلى أنّ أبا يعقوب الورجلاني، مرتّب الجامع الصحيح للربيع قد جمع كلّ ما احتجّ به ابن حبيب على مخالفيه في مسائل الاعتقاد وغيرها وجعلها مضمون الجزء الثالث من الكتاب، وجعل كامل الجزء الرابع من المسند من مرويات أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمان عن أبي غانم الخراساني مضمومة إليها مراسيل جابر بن زيد؛ 6 - ثمّ إنّه أكمل مراجعة وطبع الثلاثة مجلدات الأخيرة من «شرح كتاب النيل وشفاء العليل» لعمّه محمد ابن يوسف أطفيش بالمطبعة السلفية بمصر، سنة 1343 هـ، والكتاب شرح لمتن ألّفه الشيخ ضياء الدين عبد العزيز الثميني الجزائري (ت 1223 هـ) [علي منصور، مقدّمة شرح كتاب النيل، ط 2، ص 3]؛ 7 - شرح كتاب «الملاحن» لابن دريد، طُبع عدّة مرات بمصر وعمان؛ 8 - كتاب «الدعاية إلى سبيل المؤمنين» طرح فيه نظرته إلى تطوير التعليم العربي الإسلامي؛ 9 - النقد الجليل للعتب الجميل، وقد ردّ فيه على محمد بن عقيل العلوي الذي طعن في مذهب أهل الحق والاستقامة، وقد صدر بالقاهرة لأول مرة سنة 1924 م، ثم أعيد طبعه بعمان عن مكتبة الضامري للنشر والتوزيع سنة 1993 م؛ 10 - الفرق بين الأباضية والخوارج، طبع عدّة مرات بالجزائر ومصر وعمان

وقد أشار أبو إسحاق في مراسلاته للشيخ أبي اليقظان إلى عدة مؤلفات منها ما أنجزه ومنها ما هو بصدد الإنجاز، والتي ظلت مخطوطة لم تر النور، ولم يعثر عليها إلى حدّ الساعة، وهي: - موجز تاريخ الأباضية، - المحكم والمتشابه، - عصمة الأنبياء والرسل، - الأقوال السنية في أحوال قطب الأيمة (أشار إليه في هامش كتاب الدعاية إلى سبيل المؤمنين، ص 109)، - القطب أطفيّش، صلاة السفر، منهاج السلامة فيما عليه أهل الاستقامة، - تفسير سورة الفاتحة، - الفنون الحربية في الكتاب والسنة، - مختصر الأصول والفقه للمدارس، - كتاب النقض.

المصادر والمراجع

● محمد ناصر، الشيخ إبراهيم أطفيش في جهاده الإسلامي، جمعية التراث، القرارة، الجزائر 1991 م؛ ● أبو اليقظان إبراهيم، ملحق السير، ص 145-147 (مخ)؛ ● مراسلات بين أبي يقظان وأبي إسحاق (مخ)، مكتبة محمد الناصر، الجزائر؛ ● يوسف الحاج سعيد، تاريخ بني ميزاب، المطبعة العربية، غرداية، 1992؛ ● جمعية التراث، القرارة، معجم أعلام الأباضية (قسم المغرب)، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

د. محمد صالح ناصر
جامعة الجزائر
د. حسن محمد مزيو
جامعة تونس

أطفيّش، محمّد بن يوسف

(1236هـ / 1820 م - 1332 هـ/ 1914م)

هو محمد بن يوسف بن عيسى أطفيّش العدوي الجزائري، وينتهي نسبه إلى عديّ بن كعب القرشي - جدّ أبي حفص عمر ابن الخطاب (رض). (انظر دلالة أطفيش في المدخل السابق: أطفيش، أبو إسحاق إبراهيم).

ولد في بلدة «يزقن» بوادي ميزاب من الجزائر سنة 1818 م، توفي والده وهو في الرابعة من عمره وكان تاجرا، فتولت أمّه تربيته ورعايته وعهدت به إلى شيخ حفظ على يديه القرآن الكريم وهو ابن ثماني سنوات، ممّا دلّ على نبوغه وذكائه وقوّة ذاكرته، ودفعه النجاح المبكّر إلى الانصراف لطلب العلم، وكانت بلدته - بني يزقن - في ذلك العهد مركزا علميّا معروفا يستقطب الطلبة منذ عهد الشيخ عبد العزيز الثميني في القرن الثامن عشر، وعهد طلبته الذين أدركهم الشيخ أطفيّش وأخذ عنهم، وكان أخوه الأكبر إبراهيم بن يوسف واحدا منهم، وكان قد رحل إلى المشرق يطلب العلم في عمان وفي الأزهر؛ ثمّ سافر إلى المغرب حيث درس عدّة سنوات، وبعد وفاة والده عاد إلى مسقط رأسه بني يزقن حيث اشتغل بالوعظ والتدريس. وكان من تلاميذه أخوه صاحب الترجمة الذي وجد نفسه في محيط علميّ توفرت فيه وسائل التحصيل المعرفي حيث ورثت زوجاته الثلاث مكتبات آبائهنّ، وكان كلّما سمع بوجود خزانة علمية في مكان ما، يقصدها ويعتكف بها. وقد عرف بإعراضه عن مظاهر الحياة كلّها وانقطاعه للعلم وتفرغه إلى درجة الاعتكاف، كما ألزم نفسه في حياته اليومية بنظام صارم ودقيق، فيبدأ يومه مباشرة بعد صلاة الصبح بدروس للعامة إلى طلوع الشمس، ثمّ يتفرغ للتعليم بالنهار، وبعد صلاة العصر إلى المغرب يجلس في مكتبه يستقبل العامة ويردّ على أسئلتهم، ثمّ يخصص الوقت الذي يفصل المغرب عن العشاء لتحضير المادة التي يحتاجها لدرس تلك الليلة؛ ثمّ يتفرغ بعد العشاء للكتابة والتأليف معظم الليل، ويخصّص الجزء الأخير منه للنوم؛ ثم يعيد الكرة في اليوم التالي؛ كما كان حريصا على الصلاة مع الجماعة في المسجد بحيث لا تفوته صلاة في اليوم [سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 3، ص 265].

والغريب في أمر الشيخ أطفيش هو الاكتفاء بطلب العلم في بلدته بني يزقن، دون أن يرحل في طلبه خارج الوطن، وهو موقف يتناقض مع حبّه الشديد للعلم والتعلّم، ولعلّ وجوده في محيط علمي ثريّ بالمكتبات والخزائن أغناه عن الاغتراب والسفر، كما أنّه كان على اتصال بالعالم الخارجي عن طريق الكتب، فقد كان معروفا بنهمه للكتب منذ الصغر وحبه للمطالعة وقراءة كلّ ما يقع بين يديه منها، وتلقى العلم ببلده على أشهر

مشائخ عصره منهم: الشيخ سعيد وِتّن وغيره [دبوز، نهضة الجزائر، ج ١، ص 301].

اشتغل الشيخ أطفيش بالتدريس أول أمره إلى جانب شيخه وشقيقه إبراهيم وهو في سن الخامسة عشرة، ولم يكد يبلغ العشرين حتى استقلّ بنفسه وفتح دارا لتدريس العلوم الدينية والعلوم الأدبية واللغوية والتربوية والأخلاق. وكان قد قسّم فيها التعليم إلى ثلاث طبقات - كما هو شائع في ذلك العهد - وكان إذا لم يجد ما يصلح لتدريس المادة التي يقرّرها، يلجأ إلى التأليف في ذلك الفن خصيصا لطلابه، فتخرّج على يديه عدد لا يحصى من التلاميذ أشهرهم: أبو إسحاق إبراهيم بن امحمد أطفيّش، والشيخ سليمان الباروني، والشيخ إبراهيم بن عيسى أبو يقظان، ومحمد ابن الحاج صالح الثميني، وغيرهم كثير.

وقد اجتمعت عند الشيخ أطفيّش صفات العالم العامل، فكانت له مواقف صارمة ضدَ كلّ من يحاول النيل من الإسلام أو المسلمين،فقد اتخذ موقفا شجاعا عندما حاول المستعمر الفرنسي هدم الجامع الكبير بالعاصمة فكتب رسالة احتجاج ووعيد للحاكم العام، وكان يراسل الحكومة الفرنسية ويحتجّ من ظلم ولاتها لأبناء الشعب ومنعهم من السفر إلى الخارج وخاصة لأداء فريضة الحجّ. وقد يفسّر هذا الموقف منه ضد الاستعمار عدم تقلّده لوظيفة رسمية في حياته رغم كفاءته العلمية ومكانته في المجتمع.

كما تصدّى المترجم له لمحاربة المظاهر السلبية في مجتمعه، فكان لا يسكت عن باطل مهما كلّفه، فقد استنكر بشدّة البدع المنتشرة بسبب تفشّي الجهل والاستعمار الذي كان يقف في طريق المصلحين، ويحارب العلماء ويضايقهم ويحدد من حريتهم بأساليب كثيرة كان يلجأ إليها، لذلك كان الشيخ أطفيش متجاوبا مع حركة النهضة الإسلامية وحركة محمد عبده ورشيد رضا، وقد كانت له مراسلات معهما، فكان ضدّ الجمود، يدعو إلى الاجتهاد واستعمال العقل، وقد عرف عنه اهتمامه بمتابعة الحالة السياسية للعالم الإسلامي والوهن الذي أصابه وسبّب سقوطه بيد الاستعمار وكان يتألم لذلك كثيرا في مراسلاته لعديد من الشخصيات السياسية والعلمية في العالم الإسلامين والغربي. وقد سبّبت له مواقفه هذه كثيرا من العناء حيث حاربه أهل بلدته، واضطرّ إلى تركها واستقرّ بغرداية مدّة طويلة [سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 3، ص 269-270].

وبعد عمر يناهز ستة وتسعين (96) عاما وافاه الأجل في بلدته - بني يزقن - ودفن في مقبرة بامحمد، وضريحه معروف.

آثاره

أحصى له جهلان عدون في كتابه «الفكر السياسي عند الأباضية من خلال آراء الشيخ محمد بن يوسف أطفيّش» حوالي ثمانين عنوانا، وفي كتاب «تراجم الأباضية» ستة وتسعون، المطبوع منها ثمانية وعشرون (28): ثلاثة في التفسير، وأربعة في الحديث والسيرة، وستة في الفقه، وثلاثة في التوحيد وعلم الكلام والفلسفة، واثنان في التاريخ والسير، وستة في اللغة والآداب والأخلاق، وأربعة في مواضيع متفرقة. وقد طبعت في عدة بلدان منها: الجزائر وتونس ومصر وعمان وزنجبار. وأشهرها:

1 - هميان الزاد إلى دار المعاد، في التفسير مطبوع في 13 مج، من الحجم الكبير، ويعتبر المرجع الأهم في مجاله عند الأباضية؛ 2 - تيسير التفسير، وهو خلاصة مختصرة لما تضمنه «هميان الزاد»، مطبوع في سبعة أجزاء سنة 1966 م بتحقيق الشيخ إبراهيم طلاي؛ وأعيد طبعه سنة 2001 م إلى الجزء الثاني عشر؛ 3 - داعي العمل ليوم الأمل، لم يتمه، وقد عزم أن يجعله في 32 ج، ثم عدل عن عزمه هذا واشتغل بتفسير هميان الزاد؛ 4 - وفاء الضمانة بأداء الأمانة، مطبوع في 3 أجزاء بمطابع سجلّ العرب، 1402 هـ؛ 5 - جامع الشمل في حديث خاتم الرسل، ط. في مجلد واحد؛ 6 - السيرة الشاملة، وهو في المعجزات، ط؛ 7 - الغسول في أسماء الرسول، ط؛ 8 - شرح كتاب النيل وشفاء العليل للشيخ عبد العزيز الثميني، بيروت 17 مج؛ 9 - شرح على شرح مختصر العدل، وهو قدر شرح النيل أربع مرّات أو أكثر، كما يذكر صاحبه في شرح النيل [علي منصور، مقدمة شرح كتاب النيل، ط2 ص 34]؛ 10 - حاشية على الإيضاح لعادل الشماخي، ط؛ 11 - مختصر الوضع والحاشية، ط؛ 12 - شرح الدعائم، طبع منه جزءان؛ 13 - ترتيب اللقط، ط؛ 14 - شمائل الأصل والفرع، ط. في جزئين؛ 15 - تخليص المعاني من ربقة جهل المثاني، مخ؛ 16 - شرح كتاب التوحيد للشيخ عيسى بن تيغورين، ط؛ 17 - إيضاح الدليل إلى علم الخليل، مخ؛ 18 - شرح كتاب العدل والإنصاف للورجلاني، ط؛ 19 - الرسم، وهو في قواعد الخط العربي، مخ؛ 20 - ربيع البديع في علم البديع، في البلاغة، مخ؛ 21 - ديوان شعر، ط؛ 22 - تحفة الحب في أصل الطب، طبع بالجزائر سنة 1403 هـ في 406 صفحات.

وله مؤلفات أخرى في النحو والصرف والبلاغة والفلك والعروض والوضع والفرائض، كما له رسالة مطبوعة في بعض تواريخ أهل بلدته - بني يزقن - ورسالة أخرى في إزالة الاعتراض عن محقّي آل أباض مطبوعة أيضا.

المصادر والمراجع

● أطفيش محمد بن يوسف أطفيش، تفسير هميان الزاد إلى دار المعاد، ط. زنجبار 1314 هـ؛ ● م.ن، وفاء الضمانة بأداء الأمانة في فنّ الحديث، مطابع سجل العرب 1402 هـ؛ ● جهلان عدّون، الفكر السياسي عند الأباضية من خلال آراء الشيخ محمد بن يوسف أطفيش؛ ● دبوز، محمد علي، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، دمشق 1965م؛ ● الزركلي خير الدين، الأعلام، ط. 14، بيروت 1999 م، ج. 7، ص 156-157.

د. محمد عيسى موسى
مجمع اللغة العربية - الجزائر
د. حسن محمد مزيـو
جامعة تونس

أطهر المباركبوري

(1359هـ/ 1916م - 1417 هـ/ 1996م)

من كبار العلماء في شبه القارة الهندو باكستانية، وصاحب باع طويل في الصحافة العربية في تلك البلاد.

ينتمي القاضي أطهر المباركبوري من ناحية أبيه إلى عائلة عرفت بالعلم والفضل والاشتغال بالقضاء؛ وكانت تسكن في أول أمرها مدينة «كرامانك بور»، ثم انتقلت إلى مدينة «مباركبور» التي بناها الأمير «سيد مبارك شاه» في عهد السلطان المغولي «هيمايون، 937هـ-963هـ» وسماها باسمه، ثم عاد إلى «كرامانك بور» حيث توفي بها في الثاني من شوال عام 965هـ، وكانت عائلته تولت أمر الشؤون الدينية والقضاء في هذه المدينة لأجيال متعاقبة؛ وإلى هذه العائلة ينتمي القاضي أطهر المباركبوري الذي أخذ لقب «القاضي» نسبة إلى اشتغال عائلته بالقضاء كما ذكرنا. أما من ناحية أمه فينتمي كذلك إلى عائلة عرفت بالاشتغال بالعلم وحب العلماء، وجده لأمه هو الشيخ أحمد حسين الرسولبوري (ت 1359هـ) وهو من العلماء المعروفين في زمانه، كما عمل رئيساً للمدرسين في إحدى مدارس «دكا» ببنجلاديش الحالية. هذا والاسم الحقيقي للقاضي أطهر المباركبوري هو «عبد الحفيظ أطهر بن الشيخ محمد حسن (ت 1398هـ) ابن الشيخ محمد رجب بن الشيخ محمد رضا بن الشيخ إمام بخش بن الشيخ علي الشهيد، ولد في الرابع من رجب عام 1359هـ الموافق للسابع من مايو عام 1916م بحي «حيدر آباد» في مدينة مباركبور بمديرية «أعظم كره»، وقد سماه جده لأمه عبد الحفيظ. أما اسم «أطهر» فهو اسم التخلص الذي كان يستخدمه في الشعر عندما كان يقرضه في أول أمره، ثم اشتهر به أكثر من اسمه الحقيقي.

بدأ القاضي أطهر المباركبوري حياته التعليمية بدراسة القرآن الكريم من والديه لما توفيت والدته عام 1377هـ، كان عمره آنئذ ثمانية عشر عاماً، فبذلت جدته لأمه له مزيداً من الاهتمام والرعاية، وخاصة أنها كانت قد وهبت حياتها وبيتها لتدريس القرآن الكريم وبعض الكتب الدينية لبنات الحي، وتوفاها الله في السادس والعشرين من رمضان عام 1378هـ وكان عمرها إذ ذاك ثمانين عاماً، كما كان لخاله العالم الشيخ محمد يحيى (ت عام 1387هـ) أثر واضح في تعليم الشيخ والذي اعترف في بعض كتبه بأن كل ما حصّل من العلم إنما هو من فضل عائلة أمه.

كما درس القاضي أطهر المباركبوري الحساب في مدرسة «إحياء العلوم» من السيد «أخلاق أحمد» (ت 1404هـ)؛ وبالإضافة إلى هذا فقد استفاد القاضي من كثير من العلماء والمشايخ في عصره نذكر منهم:

- الشيخ نعمة الله المباركبوري المتوفى عام 1362هـ، درس عليه اللغة الفارسية وبعض أنواع الخطوط.

- الشيخ المفتي محمد ياسين المباركبوري المتوفى عام 1404هـ، درس عليه كثيراً من الكتب العربية.

- الشيخ شكر الله المباركبوري المتوفى عام 1361هـ، ودرس عليه كتب المنطق والفلسفة.

- الشيخ بشير أحمد المباركبوري المتوفى عام 1404هـ، ودرس عليه بعض كتب المنطق.

- الشيخ محمد عمر المباركبوري المتوفى عام 1415هـ، ودرس عليه تفسير الجلالين للسيوطي وغيره من الكتب .

- الشيخ محمد يحيى الرسولبوري المتوفى عام 1387هـ، وهو خاله، ودرس عليه العروض والقوافي.

هذا وكان القاضي أطهر المباركبوري مجتهداً في تحصيل العلوم حريصاً على الاستفادة بقدر الإمكان من مدارس العلم ومعاهده في طول البلاد وعرضها رغم أنه كان يعيش وضعاً مادياً غاية في الصعوبة حتى اضطره سوء الحال إلى العمل أثناء الدراسة، فكان يعمل في تجليد الكتب حتى يستطيع توفير ثمن الكتب، وخاصة أنه كان يهوى جمعها والاطلاع عليها حتى أصبح بيته فيما بعد مكتبة كاملة تضم النادر من المطبوعات والمخطوطات العربية، وبعضها نسخها بخط يده.

رحل القاضي أطهر المباركبوري إلى «مراد آباد» عام 1359هـ/ 1940م للالتحاق بالجامعة «القاسمية الشاهية» حيث درس صحيح البخاري وسنن أبي داود وسنن ابن ماجه على يد المحدث المعروف الشيخ فخر الدين أحمد (ت 1395هـ/ 1972م)، وصحيح الترمذي على يد الشيخ محمد ميان (ت 1395هـ/ 1975م)، وصحيح مسلم على يد الشيخ محمد إسماعيل السنبهلي. وكان القاضي أطهر المباركبوري يرغب في السفر من أجل الدراسة وتحصيل العلم إلى الدول العربية، وخاصة إلى مصر ليدرس في الأزهر الشريف، لكن ضيق ذات اليد لم يمكنه من تحقيق أمنيته وإن استطاع تعويضها فيقول: «كان فكري كله أن أحصّل العلم، وكانت رغبتي الشديدة في كسب العلم قد غلبتني بدرجة أنني كنت أفكر دائماً في أن أسافر للأزهر للدراسات العليا، ولكن أمنيتي لم تتحقق، فبدلت عدم نجاحي في أمنيتي بنجاحي في جعل داري جامع الأزهر، وجامع الزيتونة، وجامع قرطبة، والمدرسة النظامية، والمدرسة المستنصرية، فكانت مناظر مدارس الأندلس وغرناطة، ومدارس العالم الإسلامي أمام عيني كأنني أنظر أساتذتها وطلابها، وأستفيد من فيضانهم العلمي وبركاتهم».

وقد كتب القاضي أطهر المباركبوري شعراً بالأردية أثناء مراحل الدراسة المختلفة، ونشره في مجلات مختلفة مثل مجلة «الفرقان» وقت أن كانت تصدر من «بريلي»، وفي مجلة «قائد» الصادرة من «مراد آباد»، وكذلك مجلة «زمزم» ومجلة «مسلمان» ومجلة «كوثر». وكانت هذه هي البداية الحقيقية لعلاقته بالصحافة حيث التحق بالعمل فيما بعد في صحف مختلفة، وفي مدن مختلفة أيضاً مثل «لاهور»، و«أمرتسر»، و«بومباي»، وكان أول مقال له بعنوان «مساوات»، نشر في مجلة «مؤمن» التي كانت تصدر من «بدايون» عام 1353هـ، كما عمل وهو طالب مديراً للمجلة

القلمية التي كان يصدرها اتحاد الطلاب في مدرسة «إحياء العلوم»، كما نشرت مقالاته في مجلات أخرى مثل مجلة « بيام تعليم: رسالة التعليم» التي كانت تصدر من «دهلي»، ومجلة «الجمعية» وكانت تصدر من «دهلي» أيضاً، ومجلة «العدل» الأسبوعية، وكانت تصدر من «كجرانواله»، ومجلة «قائد» التي كانت تصدر من « مراد آباد».

هذا وقد تميزت مقالات القاضي أطهر المباركبوري بمستواها العلمي الرفيع، ولغتها الجزلة حتى لا يشك القارئ في أنها لأحد العلماء، وهو ما جعل مدير إحدى المجلات التي كتب لها القاضي إحدى مقالاته يظن أنه عالم من العلماء وليس طالباً في مرحلة التعليم المتوسط، وكان لا يعرفه، فكتب اسمه هكذا: مولانا القاضي عبد الحفيظ أطهر المباركبوري من متخرجي دار العلوم بديوبند. لكن القاضي أرسل إليه يطلعه على الحقيقة، وأنه لا يزال طالباً.

كما تولى القاضي إدارة مجلة «البلاغ» الشهرية لفترة طويلة، وأشرف على إصدار مجلة «أنوار العلوم»، وكذلك مجلة «برهان» الشهرية، وعمل رئيساً لتحرير مجلة «أنصار»، وظل يعمل في الصحافة البقية الباقية من عمره، لكن عمله بالصحافة لم يشغله عن التأليف والتدريس، ولذلك نراه يعمل بالتدريس في مدرسة «إحياء العلوم»، ثم في جامعة «دابهيل» الإسلامية كأستاذ للأدب العربي والتاريخ، وأنشأ مؤسسة علمية باسم «الدائرة الملية في بلدة «مباركبور». كل ذلك بالإضافة إلى مشاركته في الخدمات الاجتماعية بالبلاد حيث كانت له اتصالات علمية قوية مع «جمعية العلماء»، وتولى منصب رئيس الجمعية بفرع «مهارشترا»، كما تولى رئاسة هيئة التعليم الديني، وكان أحد الأعضاء المؤسسين لقوانين الأحوال الشخصية الإسلامية.

هذا وقد يسر الله على القاضي أطهر المباركبوري في أواخر حياته وأغدق عليه الرزق حتى صار من أغنياء بلدته، واعترفت الدول بفضله وعلمه، فكرمته ولاية «السند» بباكستان ومنحته لقب «محسن السند»، كما كرمته الحكومة الهندية ومنحته جائزتها في مجال اللغة العربية. وظل القاضي يبذل من جهده وعمره في خدمة اللغة العربية والصحافة العربية ببلاد شبه القارة الهندو باكستانية حتى توفاه الله يوم الأحد السابع والعشرين من صفر عام 1417هـ الموافق الرابع عشر من يوليو عام 1996م ودفن بحضور كبار العلماء.

آثاره

ترك لنا القاضي أطهر المباركبوري العديد من المصنفات بالعربية والأردية نذكر منها: 1- خير الزاد في شرح بانت سعاد، غير مطبوع؛ 2- مرآة العربية، غير مطبوع؛ 3- الأئمة الأربعة في سيرة الإمام أبي حنيفة والإمام مالك والإمام الشافعي والإمام أحمد ابن حنبل؛ 4- الصالحات في سيرة بعض الصحابيات؛ 5- أصحاب الصفة، 225 بيتاً من الشعر؛ 6- رجال السند والهند؛ 7- العقد الثمين في فتوح الهند؛ 8- شرح وتعليق جواهر الأصول في علم الحديث؛ 9- الهند في العهد العباسي؛ 10- العرب والهند في عهد الرسالة، بالأردية؛ 11- الحكومات العربية في الهند، بالأردية،

وترجم إلى العربية؛ 12- المجد الماضي للهند في العهد الإسلامي، بالأردية؛ 13- الخلافة الراشدة والهند، بالأردية؛ 14- الخلافة الأموية والهند، بالأردية؛ 15 مآثر ومعارف؛ 16- نشاط الدعوة في عهد الأسلاف، بالأردية؛ 17- علي وحسين؛ 18- نظام الحياة الإسلامي، بالأردية؛ 19- المسلم، بالأردية؛ 20- طبقات الحجاج؛ 21 بعد الحج، بالأردية؛ 22- معارف القرآن؛ 23- مواعظ حسن البصري، بالأردية؛ 24- ترجمة علماء مباركبور، بالأردية؛ 25- بنات الإسلام؛ 26 مدارس خير القرون، بالأردية؛ 27- تدوين السير والمغازي؛ 28- من القاعدة البغدادية إلى صحيح البخاري، بالأردية؛ 29- العلم والعلماء في شرق البلاد، بالأردية؛ 30- آثار وأخبار؛ 31- الزواج الإسلامي، بالأردية؛ 32- شرح وتعليق تاريخ أسماء الثقات لابن شاهين البغدادي؛ 33- ديوان أحمد، وهو ديوان جده لأمه جمعه ونشره.

المصادر والمراجع

- المباركبوري، القاضي أبو المعالي أطهر، الهند في عهد العباسيين، القاهرة 1977م؛ • المباركبوري، القاضي أطهر، رجال السند والهند، القاهرة 1975م
- مجلة ثقافة الهند، العدد الثاني والأربعين 1992م.

د. أحمد محمد أحمد عبد الرحمان

جامعة الأزهر - مصر

أطيمش، محسن

(1366هـ/1946م - 1415هـ/1994م)

شاعر، وناقد، وأكاديمي من أوائل المتخصصين في دراسة المسرح الشعري دراسة منهجية في العراق، عمل أستاذًا للنقد والمسرح في الجامعة المستنصرية ببغداد منذ عام 1983.

ولد بمدينة الناصرية في محافظة ذي قار العراقية. حصل على شهادة الماجستير في الأدب العربي الحديث من كلية الآداب بجامعة بغداد عن رسالته الموسومة (الشاعر العربي الحديث مسرحيًا) وكان أستاذه المشرف على هذه الرسالة هو الناقد الدكتور جلال خياط، أما شهادة الدكتوراه فقد حصل عليها من كلية الآداب بجامعة القاهرة بتاريخ 1/ 2/ 1981 عن أطروحته الموسومة: «دراسة نقدية للظواهر الفنية في الشعر العراقي المعاصر» والتي أشرف عليها الأستاذ الدكتور عبد المحسن طه بدر، ونشرها أطيمش: دير الملاك - دراسة نقدية للظواهر الفنية في الشعر العراقي المعاصر - عام 1982م.

يرصد محسن أطيمش في دراسته أعلاه الظواهر الفنية في الشعر المتعلقة بالأداء القصصي، والقصيدة الطويلة، وقصيدة القناع والأسطورة، والرمز وعلاقة الظاهرة الأولى بالثابتة.

وفي كل الأحوال يظل السؤال الكبير المتعلق بمدى تأثر الأداة الشعرية بالمحتوى في القصيدة محورًا أساسيًا في هذه الدراسة، فهي تتلمس تأثيرات الظواهر الفنية على أدوات التعبير أي أثر الأداء القصصي في لغة الشاعر وفي صوره وتأثير الرمز والأسطورة في أداتيْ التعبير وموسيقى الشعر.

أما الاتجاه الآخر لمحسن أطيمش في مجال البحث الأكاديمي، فقد جاء في محاولاته لدراسة المسرح الشعري وخصائصه ليس في العراق فقط، وإنما على مستوى الشعر العربي كله، وكانت إسهاماته في هذا المجال من الجهود المهمة التي تناولت قضية طالما أهملها الدارسون والباحثون والنقاد هي قضية المسرح والشعر، إذ غالبًا ما كان الباحثون يدرسون كل فن لوحده باعتبار أنه يشكل ظاهرة مستقلة عن الآخر، وقد وجد محسن أطيمش أنه لا بد أن يتم تناول ظاهرتي الشعر والمسرح فيما اتفق عليه لاحقًا بالشعر المسرحي بنمط وأسلوب جديدَيْن بحيث يتعرض الباحث لهما مجتمعين لا يمكن الفصل بينهما، فهي دراسة لظاهرة أدبية معاصرة ما تزال في دور النمو والتجريب، ولم يكن فيها موروث ونصيبها من الدرس الجاد والنقد المعاصر قليل.

أما أهم ما يميز محسن أطيمش الشاعر فهو قدرته على توظيف الخاص بالعام، مما يجعله موقفًا سياسيًا وإبداعيًا، ويجعل رؤيته الشعرية تتسم بالأمانة والجدة والإخلاص.

إنَّ أهم إنجازاته الشعرية هو ديوانه الأناشيد الذي صدر عام 1992م، والذي تضمن مجموعة من المقاطع الشعرية المطولة سمّاها أناشيد كرسها للحديث عن الشاعر المصري محمد عفيفي مطر، حيث كانت ظاهرة القصة في الشعر، واستلهام الرمز والأسطورة جليتين في أشعار هذا الديوان، يقول في مستهل نشيده الثاني في الديوان:

حامل أسرار الأرض،
وصاحبُ أحلَى الملكات.
قال اليوم كلامًا، والهدهد ما كذّب يومًا،
قال سمعت اليوم نواحًا من رَجلٍ كالمذبوح
وفي أرضٍ نائية كالأهراماتِ
ورويدًا أبصرتُ الأرض تغوص،
تغوصُ به حتّى السرة منه
وظلّ الرمل يغوص به حتى ليكاد الآن
يلامس منه الكتفين.

■ آثاره

١ـ دير الملك، دراسة نقدية في الشعر العراقي المعاصر، 1982؛ 2 ـ الشاعر العربي الحديث مسرحيًا 1977؛ 3 ـ الأناشيد، ديوان شعري، 1992؛ 4 ـ مجموعة من القصائد الشعرية والمقالات النقدية، منشورة في المجلات والصحف الثقافية العراقية والعربية.

■ المصادر والمراجع

• المطبعي، حميد، موسوعة أعلام

العراق في القرن العشرين، ج1،ط1، دار الشؤون الثقافية، بغداد 1995؛ ● أطيمش، محسن، دير الملاك، دراسة نقدية في الشعر العراقي المعاصر، وزارة الإعلام، بغداد 1982؛ ● أطيمش، محسن، الأناشيد، ديوانه الشعري، بغداد، 1992.

د. جاسم محمد حسن

جامعة الموصل ـ العراق

ابن أعثم الكوفي، أحمد بن محمد

(... هـ / ... م - 314 هـ / 926 م)

أبو محمد أحمد بن محمد بن علي بن أعثم الكوفي الأخباري، والمعروف بـ«أعثم الكوفي»، مؤرّخ. لم تحمل المصادر التارخية الكثير من أخبار ابن أعثم، فاكتفى ياقوت الحموي في كتابه «معجم الأدباء» بقوله عنه: «الإخباري، المؤرّخ، وهو عند أصحاب الحديث ضعيف». وقد أورد له ياقوت أيضًا، استنادًا إلى أبي علي الحسين ابن أحمد السلامي البيهقي شعرًا، فقال: «أنشدني ابن أعثم الكوفي»:

إذا اعتذر الصديق إليك يومًا
من التقصير، عذر أخٍ مُقرِ
فصُنْه عن جفائك، وارضَ عنه
فإن الصفح شيمة كلِ حُرٍّ

وقد بقيت جميع المصادر والمراجع العربية التي ذكرت ابن أعثم عالة على ما ذكره ياقوت الحموي في معجمه.

آثاره

يذكر ياقوت الحموي في كتابه معجم الأدباء أن ابن أعثم الكوفي وضع كتبا ثلاثة هي:

1- كتاب المألوف؛ 2- كتاب الفُتوح، ذكره كحالة، بروكلمان، وحاجي خليفة باسم فتوح أعثم.

يتألّف كتاب الفتوح من ثمانية أجزاء، يؤرّخ فيه ابن أعثم إلى أيام الخليفة العباسي الثامن المعتصم بالله بن هارون الرشيد (218-227هـ/ 833-842م).

ومن خلال تتبع الترجمات التي حظي بها كتاب الفتوح نتعرّف القيمة التي يتمتع بها هذا الكتاب وأهمّيته.

يشير حاجي خليفة أن كتاب الفتوح قد ترجمه إلى اللغة الفارسية أحمد بن محمد المستوفي الهروي وذلك في سنة 596هـ/ 1199م، وهذه الترجمة نقلها إلى اللغة الإنكليزية كرانس ونشرها في مجموعة أوزلي الشرقية.

وهناك ترجمة إلى اللغة الألمانية أعدها ويلكنز تشرست، وقد تتبع هذه الترجمات كل من كارل بروكلمان في كتابه تاريخ الأدب العربي، ودائرة المعارف الإسلامية.

وقد رتب ابن أعثم كتابه الفتوح على ذكر أحداث وأخبار التاريخ الإسلامي وذكر رجالاته، بدأه بلمحة سريعة حول وفاة الرسول العربي ﷺ، ومبايعة أبي بكر الصديق رضي الله عنه بالخلافة (11-13هـ) - من بعده - بسقيفة بني ساعدة سنة 11هـ. أما محتويات الكتاب فهي الآتي:

- ذكر ابتداء سقيفة بني ساعدة وما كان من المهاجرين والأنصار.

- ذكر أخبار الردة.

- ذكر أخبار مسير خالد بن الوليد إلى أهل الردة.

- ذكر الفجاءة بن عبد الليل السلمي وما فعل بالمسلمين وكيف أحرق بالنار.

- ذكر أول حرب الردة.

- ذكر الأسرى الذين وجه بهم خالد بن الوليد إلى أبي بكر وما كان من أمرهم.

- ... خبر أويس القرني رحمه الله...

وهكذا حتى يصل ابن أعثم إلى آخر الكتاب بقوله:

- ذكر خلافة المأمون بن هارون الرشيد.

- ذكر تزويج المأمون ببوران بنت الحسن بن سهل.

- ذكر خروج المأمون إلى بلاد الروم.

- ذكر سيرة المأمون إلى بلاد الروم.

- ذكر سيرة المأمون وما جمع فيه من مكارم الأخلاق.

- ذكر خلافة المعتصم بالله.

- ذكر تولية الأفشين ومحاربته بابك الخرمي، وتوليته أرمينية وأذربيجان.

3- كتاب التاريخ: ذكر ابن أعثم في هذا الكتاب الأحداث التاريخية الإسلامية إلى أيام الخليفة العباسي الثامن عشر المقتدر بالله جعفر بن المعتضد (295 320هـ/ 908-932م)، ابتداه بأيام الخليفة العباسي السابع المأمون عبد الله بن هارون الرشيد (198-218هـ/ 813-833م)، وقال عنه ياقوت الحموي: « ويوشك أن يكون ذيلا على الأول، رأيت الكتابين»؛ 4 ابتداء خبر وقعة صفين، ذكره سزكين، واعتقد أنه قسم من كتاب الفتوح.

المصادر والمراجع

● ابن أعثم، أحمد، الفتوح، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، ص3؛ ● بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، ج3، ص55؛ ● الحموي، ياقوت، معجم الأدباء، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، ج2، ص230؛ ● خليفة، حاجي، كشف الظنون، دار الفكر، ج2، ص1239؛ دائرة المعارف الإسلامية، دار الفكر، ج1، ص91؛ ● سزكين، فؤاد، 1403هـ، تاريخ التراث العربي، التدوين التاريخي، جامعة الإمام محمد بن سعود، مج1، ج2، ص329؛ ● كحالة، عمر رضا، المستدرك على معجم المؤلفين، ص40؛ ● كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، ج11، ص27 .

د. محمد هشام النعسان

معهد التراث العلمي العربي

حلب - سوريا

ابن الأعرابي، أحمد بن محمد بن زياد

(246هـ / 861 م - 340 هـ/ 952م)

أحمد بن محمد بن زياد بن بشر بن درهم، أبو سعيد الأعرابي. الإمام المحدث، الحافظ، المؤرخ، الزاهد، الصوفي، العابد، من أئمة العارفين بالله تعالى، ومن العلماء بالحديث والطبقات. وابن الأعرابي من أهل البصرة بالعراق حيث كان مولده سنة نيف وأربعين ومائتين. ثم انتقل إلى الحجاز، وأصبح شيخا للحرم المكي. وفي مكة كانت وفاته حيث توفي بها يوم الأحد بين الظهر والعصر لسبع وعشرين خلت من ذي القعدة سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة، وله أربع وتسعون سنة.

وقد أخذ العلم عن عدد كبير من العلماء، منهم: الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني، وعبد الله بن أيوب المخرمي، وسعدان بن نصر، ومحمد بن عبد الملك الدقيقي، وأبو جعفر محمد بن عبيد الله المنادى عباسا الترقفي، وعباس بن محمد الدوري، وإبراهيم بن عبد الله العبسي، وأبو داود السجستاني.

خرّج عنهم معجمًا كبيرًا، ورحل إلى الأقاليم، وجمع وصنف، وقد صحب من المشايخ: أبا القاسم الجنيد بن محمد، وعمرو بن عثمان المكي، وأبا الحسن النوري، وحسنا المسوحي، وأبا جعفر الحفار، وأبا الفتح الجمال؛ وكان عالما بحديث رسول الله، عالي الإسناد، يعدّ من ثقات المحدثين.

روى عنه: أبو عبد الله بن خفيف، وأبو بكر ابن المقرىء، وأبو عبد الله بن منده، والقاضي أبو عبد الله بن مفرج، وعبد الله بن يوسف الأصبهاني، ومحمد بن أحمد بن جميع الصيداوي، وعبد الله بن محمد الدمشقي القطان، وصدقة بن الدلم، وعبد الرحمن بن عمر بن النحاس، وعبد الوهاب ابن منير المصريان، ومحمد بن عبد الملك بن ضيفون شيخ أبي عمر بن عبد البر، وأبو الفتح محمد بن إبراهيم الطرطوسي، وعدد كبير من المجاورين والحجاج.

تعبّد وتألّه وألّف مناقب الصوفية وحمل السنن عن أبي داود. وكان شيخ الحرم في وقته سندا وعلما وزهدا وعبادة، وجمع كتاب طبقات النساك، وكتاب تاريخ البصرة، وصنف في شرف الفقر وفي التصوف.

وطريقة ابن الأعرابي في التصوف مقيّدة بالكتاب والسنة، وذلك لأنه كان عالما بالآثار وبالسنة فكان لا يأخذ إلا عن أصل صحيح من السنة، أو عن أصحاب رسول الله ﷺ؛ قال ابن الأعرابي: المعرفة كلها الاعتراف بالجهل، والتصوف كله ترك الفضول، والزهد كله أخذ ما لابد منه، وإسقاط ما بقي: والمعاملة كلها استعمال الأولى فالأولى من العلم، والتوكل كله طرح الكنف، والرضا كله ترك الاعتراض، والمحبة كلها إيثار المحبوب على الكل، والعافية كلها إسقاط التكلف،

والصبر كله تلقي البلاء بالرحب، والتفويض كله الطمأنينة عند الموارد، واليقين كله ترك الشكوى عند ما يضاد مرادك، والثقة بالله علمك أنه بك، وبمصالحك، أعلم منك بنفسك.

وقال أيضًا: إن الله تعالى طيّب الدنيا للعارفين بالخروج منها، وطيّب الجنة لأهلها بالخلود فيها. فلو قيل للعارف: إنك تبقى في الدنيا، لمات كمدا؛ ولو قيل لأهل الجنة إنكم تخرجون منها، لماتوا كمدا؛ فطابت الدنيا بذكر الخروج منها، وطابت الجنة بذكر الخلود فيها. وقال أيضًا: أخسر الخاسرين من أبدى للناس صالح أعماله، وبارز بالقبيح من هو أقرب إليه من حبل الوريد؛ ومن أقواله: من أصلح الله همته، لا يتعبه بعد ذلك ركوب الأهوال، ولا مباشرة الصعاب، وعلا بعلوّ همته إلى أسنى المراتب؛ وتنزّه عن الدناءة أجمع. ومن كلامه في ترجمة أبي الحسين النوري، قال: مات وهم يتكلمون عنده في شيء سكوتهم عنه أولى لأنه شيء يتكهنون فيه، ويتعسفون بظنونهم، فإذا كان أولئك كذلك، فكيف بمن حدث بعدهم؟

وقال أيضًا: إنما كانوا يقولون «جمع» وصورة الجمع عند كل أحد بخلافها عند الآخر، وكذلك صورة الفناء. كانوا يتفقون في الأسماء، ويختلفون في معناها؛ لأن ما تحت الإسم غير محصور، لأنها من المعارف.

قال: وكذلك علم المعرفة غير محصور لا نهاية له ولا لوجده، ولا لذوقه...، فإذا سمعت الرجل يسأل عن الجمع أو الفناء، أو يجيب فيهما، فاعلم أنه فارغ ليس من أهل ذلك إذ أهلهما لا يسألون عنه لعلمهم أنه لا يدرك بالوصف. وقال أيضًا: إن الله تعالى جعل نعمته سببًا لمعرفته، وتوفيقه سببًا لطاعته، وعصمته سببًا لاجتناب معصيته، ورحمته سببًا للتوبة، والتوبة سببًا لمغفرته والدنوّ منه.

ومن أقواله: القلوب إذا أقبلت رُوّحت بالإرفاق، وإذا أدبرت رُدّت إلى المشاق؛ وقال: اشتغالك بنفسك يقطعك عن عبادة ربك، واشتغالك بهموم الدنيا يقطعك عن هموم الآخرة. ولا عبد أعجز من عبد نسي فضل ربه، وعدّ عليه تسبيحه وتكبيره، الذي هو إلى الحياء منه، أقرب من طلب ثواب عليه، أو افتخار به.

وقال: إن الله تعالى خلق ابن آدم من الغفلة، وركّب فيه الشهوة والنسيان. فهو كله غفلة، إلاّ أن يرحم الله عبدًا فينبّهه. وأقرب الناس إلى التوفيق من عرف نفسه بالعجز والذلّ، والضعف وقلّة الحيلة، مع التواضع لله. وقال من ادعى في أمره قوة إلاّ خُذل، ووكل إلى قوّته؛ وقال: مدارج العلوم بالوسائط، ومدارج الحقائق بالمكاشفة.

وقال: من طلب الطريق إلى الله، وصل إلى الطريق بجهد واجتهاد ومجاهدة، ومن طلبه استغنى عن الطريق والأدلّة، وكان الحقّ دليله إليه، وموصّله لا غير؛ وسئل ابن الأعرابي عن أخلاق الفقراء، فقال: أخلاقهم السكون عند الفقر، والاضطراب عند الوجود، والأنس بالهموم، والوحشة عند الأفراح.

وسئل: ما الذي ترضى من أوقاتك؟ فقال: الأوقات كلها لله تعالى، وأحسن الأوقات وقت يُجرى الحق فيه عليّ ما يرضيه عني؛

قال: العارفون بين ذائق، وشائق، ووامق. فالمِقَة شاقتهم، والشوق ذوّقهم. فمن ذاق - في شوق - فروى، سكن وتمكّن؛ ومن ذاق - فيه - من غير ريٍّ، أورثه الانزعاج والهيمان.

وقال في الزهد: هو ترك المحظور كله وترك الحلال والمباح قبل الحاجة والضرورة إليه. ثم ترك الزهد في الراحة، لتكون كل أوقاته مستغرقة الشغل بالعبادة والذكر، فإن لم تكن كذلك فقد بقي عليه بقية من الزهد، وكذلك في معاشرة الناس، والحديث والكلام وكل ما فعل من ذلك قبل وجوبه عليه، أو حاجته إليه فهو ميل إلى الدنيا وهو من الفضول والدنيا بأسرها من الفضول إلاّ ما استعين به منها على الآخرة.

فأول الزهد: الزهد في الحرام، ثم الزهد في المباح، وأعلى مراتب الزهد أن يزهد في الفضول والفضول كل ما لك عنه غنى.

آثاره

1 - الجمع والتفريق في آداب الطريق؛ 2 - رسالة في المواعظ والفوائد وغير ذلك؛ 3 - طبقات النساك؛ 4 - كتاب في معنى الزهد، وأقوال الناس فيه، وصفة الزاهدين؛ 5 - كتاب رؤية الله تبارك وتعالى؛ 6 - كتاب المعجم في الحديث؛ 7 - كتاب الوصايا.

المصادر والمراجع

● ابن الأعرابي، أحمد بن محمد بن زياد ابن بشر. المتوفى سنة 341هـ، كتاب فيه معنى الزهد والمقالات وصفة الزاهدين، تح. خديجة محمد كامل، مطبعة دار الكتب المصرية. القاهرة 1998م؛ ● يوسف بن تغري بردي البشغاوي، الظاهري، المتوفى874هـ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، طبع دار الكتب المصرية؛ ● ابن الجوزي، عبد الرحمن ابن علي بن محمد، أبو الفرج المتوفى 597هـ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 1412هـ؛ ● ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد، الكناني الأصل، المصري، لسان الميزان، مطبعة دار الفكر 1408؛ ● ابن العماد، عبد الحي بن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مكتبة القدسي 1350هـ؛ ● ابن كثير، إسماعيل بن عمر ابن كثير القرشي، البصري، ثم الدمشقي المتوفى 774هـ، البداية والنهاية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان؛ ● أبو نعيم، أحمد بن عبد الله الأصبهاني المتوفى 430هـ، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، مطبعة السعادة، مصر 1357هـ؛ ● بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي، ليدن 1937؛ ● البغدادي، إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إستانبول، الطبعة الثالثة 1387هـ؛ ● م.ن، إيضاح المكنون في الذيل عن كشف الظنون، طهران، الطبعة الثالثة 1378هـ؛ ● حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، طهران، الطبعة الثالثة 1387هـ؛ ● الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، الدمشقي الشافعي المتوفى

748هـ، تذكرة الحفاظ، دائرة المعارف العثمانية، الهند، طبعة ثالثة 1376هـ؛ • سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، الطبعة الحادية عشرة 1417هـ؛ • عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، مطبعة الترقي، دمشق 1377؛ • فؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1978م؛ • السلمي، محمد بن الحسين ابن محمد ابن سراقة المتوفى 412هـ، طبقات الصوفية، مكتبة الخانجي، القاهرة 1372هـ؛ • القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، الرسالة القشيرية، مطبعة دار الكتب 1972م.

أ. **خديجة محمد كامل**

دار الكتب المصرية

ابن الأعرابي، أبو عبد الله محمد بن زياد

(150هـ / 767 م – 230 هـ/ 845م)

أبو عبد الله محمد بن زياد بن الأعرابي لغوي كوفي؛ كان أبوه زياد عبدًا سنديًا [ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج18، ص 189]، مملوكًا لسليمان بن مجالد، وابن أخيه إبراهيم بن صالح، وسليمان بن مجالد كان أحد أتباع الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور. ويؤكد القفطي على أن ابن الأعرابي لم يكن عربيًا [القفطي، أنباء الرواة، ج3، ص133]، ونلاحظ اختلاف المصادر التاريخية في مسألة ولاية ابن الأعرابي فقد قيل إنه كان مولى لبني هاشم، وقيل أيضا إنه مولى لبني شيبان وكذلك لبني أسد.

ولد ابن الأعرابي حسب رواية عنه، وردت على لسان تلميذه ثعلب، في الليلة التي مات فيها الإمام أبو حنيفة، وكان ذلك سنة 150هـ/ 767م، وتوفي سنة 230هـ/ 845م، لكن بعض المصادر تذكر أنّه مات سنة 231 أو 232هـ في خلافة الواثق العباسي عن إحدى وثمانين سنة.

التحق ابن الأعرابي بكتاتيب الكوفة يتعلّم بها القراءة والكتابة والقرآن الكريم وبعض اللّغة والنّحو والعروض، ثمّ انتقل بين حلقات الفقهاء والعلماء بالمسجد الجامع يأخذ عنهم علوم القرآن من قراءات وتفسير وإعراب وحديث وفقه ونحو ولغة وأدب وأخبار وأنساب، وقد أخذ النوادر والنحو عن الكسائي [معجم الأدباء، 17/ 190]، والأدب عن القاسم بن معن وأبي معاوية الضرير [الوافي بالوفيات، ص 306]. وكان ابن الأعرابي ربيبا للراوية المشهور المفضل الضبي، فسمع منه دواوين الشعر وصححها، وروى عنه المفضليات.

ولما طالت صحبته للمسجد الجامع في الكوفة

واتسعت ثروته العلمية والأدبية أحسّ برغبة في ورود مناهل اللغة والأدب عن الأعراب أنفسهم، فتنقل في منازل القبائل المجاورة للكوفة يكتب ما عندهم من ألفاظ غريبة ولغات ونوادر وشعر، وقد غشي سوق الكناسة في ظاهر الكوفة بدفاتره وألواحه، وطاف بحلقات الشعراء الوافدين إلى السوق يبدون قصائدهم وأراجيزهم ويخالط الرواة ويكتب ما يروونه من أخبار ونوادر وأمثال وحكم، وكان ابن الأعرابي ماهراً في تصيّد فصحاء الأعراب فيستوقفهم ويحادثهم ويأخذ ما عندهم، حتّى إذا سبر غور هذا المجتمع العلمي والأدبي في الكوفة وظاهرها والكناسة، وأراد الإحاطة والاستقصاء شدّ رحاله وتوغل في البوادي الشاسعة يبحث فيها عن شيء جديد .[الأعرابي، كتاب خيل العرب وأسمائها، ص10].

آخذ أيضًا العلم عن البصرة، رغم أنه مبغض لشيخيها أبي عبيدة والأصمعي فروى عن بقية علمائها كأبي زيد الأنصاري الذي لم يسمع منه مباشرة ولم يجلس إليه. فابن الأعرابي قد جمع بين الثقافة الكوفيّة والثقافة البصريّة شأنه في ذلك شأن غيره من علماء الكوفة، ولم يكتف بالأخذ عن أئمّة اللّغة والكلام وحفظ الشعر بمساجد الكوفة والبصرة، بل انتقل إلى البوادي، فاتّصل بالأعراب مصدر الفصاحة وشافههم واستقى منهم علومه، وروى عن فصحائهم، وأكثر من السماع إلى بني أسد وبني عقيل... وهكذا أصبحت له معرفة دقيقة لكلام العرب، وقدرة على التمييز بين اللّغات المختلفة في اللفظ الواحد، وتوجيه المعاني وجهتها الصحيحة، وشرح غريب اللّغة .

تجمع الكتب على أنّ ابن الأعرابي ثقة في رواية أشعار العرب، لا تخلو الكتب من الإحالة عليه في نقل الأخبار والاستشهاد به في اللغة والمعجم. فهو نسّابة كثير السّماع لأشعار القبائل لكثرة تجواله بينها، عالم باللّغة، غزير الشعر، كان «عجبا في معرفة اللّغة والأنساب» [الوافي، 3/ 93]. يُعتبر أحفظ الناس للّغات والأيّام والأخبار، فهو يُملي على طلبته من حفظه ودون الاستعانة بكتاب [أنباء الرواة، 3/ 131؛ تاريخ بغداد، 5/ 285]. وابن الأعرابي بارع في الأدب ومن أكابر أئمة اللّغة في النّحو، وإن لم يصنّف فيه مؤلفًا خاصا به، وهو من أوثق النّاس رواية، استشهد به الجاحظ كثيرًا في كتابيه «الحيوان» و«البخلاء» وأشاد بسعة روايته، وقوّة حفظه، وأحالت عليه كتب اللّغة ومعاجمها، كأدب الكاتب لابن قتيبة، والأمالي للقالي، وفقه اللّغة للثعالبي، والمزهر وبُغية الوعاة للسّيوطي، والصحّاح للجوهري، ولسان العرب لابن منظور، «وقلّما حكى بصريّ عن كوفيّ» [دائرة المعارف، 1/ 340]. كما أنّه لم يوجد في الكوفيين أشبه برواية البصريّين منه. قيل عنه «له المنتهى في معرفة لسان العرب» [البداية والنهاية، 1/ 403؛ شجرات الذهب، 2/ 70]، وقال ثعلب: «انتهى علم اللّغة والحفظ إلى ابن الأعرابيّ» [معجم الأدباء، 17/ 190]، واعتبره محمد بن الفضل الشعراني «رأسا في كلام العرب» وخاصة في الكلام الغريب [معجم الأدباء 17/ 191؛نزهة الألبّاء، 151؛ دائرة المعارف، 2/ 341]. ووصفه أحمد بن علي الخطيب «بصاحب الغريب» [تاريخ بغداد، 5/ 285].

وبعد أن تشبّع ابن الأعرابي بالعلم، امتهن التعليم داخل حلقة الجامع الكبير وخارجها. فكان يحضر مجلسه خلق كبير من المستفيدين [مرآة الجنان، 2/ 106]، يقبلون عليه من أصقاع مختلفة من الدّنيا: من أقصى بلاد المشرق اسفيجاب إلى أقصى بلاد المغرب الأندلس [معجم الأدباء، 17/ 193]، وهو يعلّل الإقبال على الدرس بقوله «من لا قبول عليه فلا حياة لأدبه» [بغية الوعاة، 1/ 105؛ معجم الأدباء 17/ 195]، فطريقته في التعليم طريقة «الفقهاء والعلماء» ومذهبه شبيه بمذاهب جلّة الشيوخ.

أخذ عنه العلم عدد كبير من الطلبة منهم أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت 224 هـ/ 839م)، وابن السكيت أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (ت 244هـ/ 859م)، وأبو جعفر محمد بن حبيب الهاشمي البغدادي (ت 245هـ/ 860م)، الذي روى عنه كتبه وأبو عكرمة الضّبي، وهو عامر بن عمران بن زياد (ت 250هـ/ 865م)، ،أبو عمر شمر بن حمدويه الهروي (ت 255هـ/ 872م)، والطوسي، أبو الحسن علي بن عبد الله بن سنان، وأبو العبّاس، الآمدي بن يحيى ثعلب (ت 291 هـ/ 911 م)، الذي روى عن ابن الأعرابي كتاب النوادر، وأبو شعيب الحرّاني عبد الله بن الحسن (ت 295 هـ/ 913 م).

كان يحضر مجلسه زهاء مائة طالب، فكان يدرّس من غير كتاب، يقول عنه تلميذه ثعلب: «لزمته بضع عشرة سنة، ما رأيت بيده كتابا قط. وما أشكّ في أنّه أملى على الناس ما يُحمل على أجمال» [معجم الأدباء، 17/ 191؛ تاريخ بغداد، 5/ 283؛ نزهة الألبّاء؛ الأنساب 1/ 310].

لم يقتصر التعليم عنده على الحلقات في الجامع الكبير، بل كان يحترف التدريس خارجه، وينتقل لتأديب أبناء الخاصّة من الأمراء والوجهاء كابن سعيد بن مسلم. فكان يتقاضى كلّ شهر أجرا قيمته ألف درهم «ينفقه على أهله وإخوانه» [معجم الأدباء، 17/ 191]. ولكنه لم يدع إلى تعليم أولاد الخلفاء كما دُعي غيره من نحاة الكوفة كالكسائي، والفرّاء، وثعلب، رغم أنّه عاصر ثمانية خلفاء، على أنّه لقي حظوة عند المأمون (198-218هـ/ 814-833م) الذي كان يستحسن أدبه ويكبر علمه، والخليفة الواثق بالله (227-232هـ/ 842-847م)، وهو فصيح شاعر يعقد المجالس الأدبية، ويدعو إليها ابن الأعرابي، لما له من علم بالشعر وفنونه ومعانيه ودقّة روايته.

تجنّب ابن الأعرابي الانزلاق في المذاهب والفرق التي سادت ذلك العصر، فلم يأخذ بأساليب المتكلّمين، ولم يكن طرفا في حركة المعتزلة، ولم يقل برأي السنة في أزليّة القرآن [بغية الوعاة، 2/ 105؛ معجم الأدباء، 17/ 196]. فهو معتدل، محتكم إلى العقل، مهتمّ بالمسائل اللّغوية والأدبية دون غيرها.

ومن مآثره أيضًا أنه لم يعرف بالعصبية، فهو يأخذ من علماء الكوفة والبصرة على حد السواء رغم ما بينهما من جدال علمي يصل حدّ الخصام، وما عداوته للأصمعي وأبي عبيدة إلاّ لمسألة شخصيّة، فكلّ المراجع تتفق على أنه «لم يكن في الكوفيين أشبه برواية البصريين منه»، وهو لا يقول في أبي زيد الأنصاري رأس مدرسة البصرة إلاّ خيرا، وعنه أخذ العلم. ويعكس هذا الموقف حسن

أخلاقه [بغية الوعاة، 2/ 42]، وصدقه وورعه [الوافي، 3/ 79]، وثقته [تاريخ بغداد، 5/ 285؛ نزهة الألباء، 150] «فقد اغتاب رجل عنده بعض العلماء، فقال له: «لو لم تقل فينا ما قلت عندنا فلا تجلسنّ إلينا» [معجم الأدباء، 17/ 196].

وابن الأعرابي لا يتورّع في التصريح بعدم معرفته الجواب إذا طُرح عليه سؤال يجهله، فهو يقول: «لا أدري» إذا سئل عن شيء لا يعرفه.

ومن المواقف التي عُرف بها أنّه لا يقول بالترادف التام بين مفردات اللّغة، فقد روى تلميذه أبو العبّاس ثعلب قوله: «كلّ حرفين أوقعتهما العرب على معنى واحد في كلّ واحد منهما معنى ليس في صاحبه، ربّما عرفناه فأخبرنا به، وربّما غمض علينا فلم نلزم العرب جهله» [دائرة المعارف، 342]، فالترادف يبقى نسبيًا عنده.

ويرى ابن الأعرابي «أنّ اللّغة اصطلاح لا توقيف»؛ فالأسماء كلّها لعلّة، خصّت العرب ما خصّت منها؛ من العلل ما نعلمه، ومنها ما نجهله [دائرة المعارف، ص343]، فهو لا يرجع الجهل للّغة وللعرب بل للدّارس الذي ابتعد عهده عن ذاك المعنى.

وابن الأعرابي محافظ يقول بالفصاحة وينكر المولّد، فهو يتعصّب للقديم وينكر الجديد، وهو يفضّل الغريب ويستخفّ بالشعر الحديث، ويرى أنّ «أشعار القدماء مثل المسك والعنبر كلّما حركته ازداد طيّبًا» [دائرة المعارف، ص343]. ولكن رغم تفضيله القديم على الحديث فقد كان يشهد أنّ أبا نواس من أشعر الناس، بينما كان يستنكف شعر أبي تمّام لإسرافه في الصنعة، ووضعه الغريب في غير مواضعه. فابن الأعرابي متضلّع في الغريب، ولكنّه ينكره إذا أصبح متكلّفًا غير مستحسن وهو متشبّث بالقديم ولكنّه مقبل على ما حسن من الحديث.

آثاره

لم يصلنا من آثاره إلاّ عدد قليل، وبعضها جاء متفرّقًا بين صفحات كتب اللّغة والأدب، والبعض الآخر تمّت الإشارة إليه في مراجع مختلفة. ومن هذه المؤلفات مصنّفات صغيرة في موضوعات خاصّة شبيهة بالمعاجم الأولى والرسائل، حفظت منها كتب اللّغة الكثير؛ وأخباره ونوادره وأماليه كثيرة لا تحصى، عُدّ منها عشرون كتابا، منها الرسائل اللّغوية، ومنها دواوين الشُعراء، ومنها كتب أدبية.

تعدّ كتبه وسيلة من وسائل جمع اللّغة وتسجيلها والمحافظة عليها. أغلبها رسائل ذات موضوع موحّد شبيهة بالمعاجم والحقول الدّلاليّة. فقد احتوت كلّ رسالة على كلمات يجمع بينها التّقارب الدّلالي أو التقارب الدلالي واللفظي، سُميت عندهم بالغريب الذي هو في حاجة إلى الشرح؛ 1 - البئر، تح. رمضان عبد التواب، الهيئة المصرية للتأليف والنشر 1970، وهي رسالة من الرسائل التي تُعدّ لبنة من اللبنات المعجميّة العربيّة. فابن الأعرابيّ من مشاهير مؤسسي المعاجم المختصرة إلى جانب الأصمعي (ت 213)، وأبي زيد الأنصاري (ت 214)، وقطرب (ت 206)، وابن السكيت (ت 244)، والسّجستاني (ت 250). لذلك كانت أقواله تعتمد لثقتها عند جمهرة الأئمة

كمصدر من مصادر مادّة المعجم اللّغوية التي ألّفت بعده. فقد استشهد به كبار المعجميّين كالجوهري وابن سيده، وابن منظور وذكروا اسمه مرارا؛ 2 - تفسير أسماء الخيل وفرسانها، وهو بدون شكّ ما نشره ليفي دالا فيدا بعنوان (أسماء خيل العرب وفرسانها)، ليدن 1968، تحقيق محمد عبد القادر أحمد، مكتبة النهضة المصرية، 1984؛ 3 - الفاضل في الأدب، مخطوط في المكتبة الخالدية بالقدس 45/ 3، نشره ورايت Wrigth؛ 4 - الألفاظ؛ 5 - مجلد الأنواء؛ 6 - النبات؛ 7 - النوادر، توجد نقول في المزهر؛ 8 - أبيات المعاني؛ 9 - تاريخ القبائل؛ 10 - تفسير الأمثال؛ 11 - معاني الشعر؛ 12 - كرامات الأولياء؛ 13 - ديوان العاشقين؛ 14 - ديوان عمرو بن معديكرب؛ 15 - ديوان أبي محجن الثقفي.

المصادر والمراجع

● الأعرابي، أبو عبد الله، أسماء خيل العرب وأنسابها، القاهرة، 1984، ص1، 5 ـ 7؛ ● القفطي، إنباء الرواة على أخبار النحاة، محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، 1955، ج3، ص128-137؛ ● الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، 1954، ص213-215؛ ● البغدادي، تاريخ بغداد، ج5، القاهرة، 1931، ص282-285؛ ● ابن خلكان، وفيات الأعيان، تح. محمد محيي الدين عبد الحميد، ج3، القاهرة، 1948، ص 433-435؛ ● ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج18، القاهرة، 1980، ص189-196؛ ● ابن النديم، الفهرست، القاهرة، د.ت، ص108-109؛ ● الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج2، القاهرة، 1350هـ، ص70-71؛ ● ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، القاهرة، د.ت.، ص264؛ ● ابن كثير، البداية والنهاية، تح. محمد عبد العزيز النجار، القاهرة، 1991، ج5، ص854؛ ● الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، أي النحاة، القاهرة، د.ت.، ص207-212؛ ● الزركلي، الأعلام، بيروت، 1980، ج6، ص131؛ ● أحمد أمين، ضحى الإسلام، ج1، القاهرة، 2002، ص312؛ ● بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبد الحلم النجار، دار المعارف بمصر، 1961، ج2؛ ● دائرة المعارف الإسلامية، ط.ج، مجلّد 3، فصل ابن الأعرابي.

د. طارق منصور

جامعة عين شمس - مصر

د. زكية السائح دحماني

جامعة تونس

الأعرج، أبو داود عبد الرحمن بن هرمز

(... هـ/ ... م - 117 هـ/ 735م)

عبد الرحمن بن هُرْمُزْ الأعرج بحسب ما تذكر غالبية المصادر التي ترجمت له، محدّث من التابعين، أدرك عددا من الصحابة وروى عنهم، اختلف في كنيته، والأشهر: أبو داود، وقيل: أبو حازم.

وكان عبد الرحمن بن هرمز من الموالي، وربّما كان من أصل فارسي، كما يستدلّ من اسم أبيه وجدّه، وكان ولاؤه لبني عبد المطلب. فقد ذكرت المصادر انه كان مولى لمحمد بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب. ويبدو أنه قد نشأ في المدينة وأمضى معظم حياته فيها، لذا لقب بـ«المديني».

أخذ العلم من كبار شيوخ عصره المشاهير، فقد أخذ القراءة عرضا عن أبي هريرة، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عياش بن أبي ربيعة، كما أكثر من السنن عن أبي هريرة، وروى أيضا عن أبي سعيد الخُدْري، وعبد الله بن مالك بن بحينة، كما سمع أيضا من أبي سلمة بن عبد الرحمن، وعمير مولى ابن عباس، ومن عبد الرحمن بن عبد القارى، ومن محمد بن مسلمة الانصاري، ومعاوية بن أبي سفيان، ومعاوية بن عبد الله بن جعفر، وأسيد بن رافع بن خديج، وعبيد الله بن أبي رافع، وعبد الله بن كعب بن مالك.

وقد اشتهر بالقراءات القرآنية، فوصف بأنه كان ثقة ثبتا عالما مقرئا، فجوّد في قراءة القرآن وأقرأه للناس فضلا عن شهرته بكتابة المصاحف. قال ابراهيم بن سعد: كان الأعرج يكتب المصاحف، فهو من مشاهير قرّاء القرآن وكتّاب المصاحف في المدينة. مما يشير إلى سعة علمه ومعرفته، لان كتابة المصاحف تحتاج إلى خبرة ومعرفة لغوية، فضلاً عن معرفته بالآيات القرآنية والرسم القرآني، لكي تكون كتاباته كتابة صحيحة، وهذا لا يتوفر إلا لرجل ذي مقدرة علمية وبراعة لغوية.

ويبدو أنه كانت له مساهمة في بدايات نشاط وضع النحو بل هو حسب بعض الروايات «أوّل من وضع العربية» [الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص 20]؛ ويعتبر الأنباري أن هذه الرواية غير صحيحة لأن الأعرج وغيره أخذوا النحو في نظره عن أبي الاسود الدؤلي [نزهة الألباء، ص21].

وقد عدّه علماء الحديث من رواة الحديث الذين يُوثق بهم ويؤخذ عنهم، فذكر ابن حجر العسقلاني في [تهذيب التهذيب، ج6، ص290-291] أن ابن سعد قال عنه: كان ثقة كثير الحديث؛ ووصفه ابن المديني بأنه ثقة، وقال العجلي: إنه مديني، تابعي، ثقة؛ وذكر ابن أبي حاتم الرازي أن أبا زرعة سئل عنه فقال: مديني ثقة [كتاب الجرح والتعديل، ج5، ص297].

كما اهتم بالأنساب والتاريخ، ولذلك قيل

عنه بأنه أعلم الناس بأنساب العرب وأنساب قريش وأخبارها. وقد أخذ عنه تلك العلوم، وقرأ عليه، وحدث عنه عدد من الناس؛ فروى عنه الزهري، وأبو الزناد عبد الله بن ذكوان، ونافع بن أبي نعيم الذي روى عنه القراءة عرضًا أيضًا، كما روى عنه صالح ابن كيسان، ويحيى بن سعيد الأنصاري وعبد الله بن لهيعة الحضرمي الحافظ، كما أخذ عنه زيد بن أسلم، وأبو الزبير، وموسى بن عقبة، وعمرو بن أبي عمرو، وجعفر بن ربيعة، وسعد بن إبراهيم، وعبد الله بن الفضل الهاشمي، وعبيد الله بن أبي جعفر، وعلقمة بن أبي علقمة، ومحمد بن يحيى بن حبان، ومحمد بن عجلان، ومحمد بن إسحق كما روى عنه الحروف أسيد بن أبي أسيد، كما سمع منه محمد بن إسحق بن يسار المطلبي مولاهم المدني صاحب «السيرة النبوية». وروي أن الإمام مالك بن أنس كان يتردد إلى عبد الرحمن بن هرمز عدة سنين، ويأخذ منه علما لم ينشره بين الناس، فمنهم من قال: كان تردده إليه لطلب النحو واللغة، ومنهم من يرى أنه كان يأخذ علم أصول الدين عنه؛ ويبدو أنه كانت له رحلة إلى دمشق، فقد أورد الحافظ ابن عساكر ترجمته في تاريخه لأنه وفدَ على الخليفة يزيد بن عبد الملك (ت 105هـ) الذي وليَ الخلافة بعد عمر بن عبد العزيز رحمه الله. وكانت خلافته أربع سنوات، وأنه كان على ديوان أهل المدينة. رواه ابن عساكر عن الواقدي. وهذا يعني أن المترجم له زاول مهنة إدارية، وهي إشرافه على ديوان أهل المدينة، وهو مركز أو إدارة يُكتب فيها أهل الجيش وأهل العطيّة.

خرج إلى الإسكندرية في آخر أيامه مرابطًا بثغرها وأقام بها إلى أن مات ودفن فيها، وقد جاوز الثمانين من العمر.

المصادر والمراجع

● ابن الأنباري، نزهة الألباء، تح. ابراهيم السامرائي، ط2، بغداد، 1970، مكتبة الاندلس، ص 21 - 22، 24؛ ● ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، مصر، د.ت، وزارة الثقافة والارشاد القومي، 1/ 276؛ ● ابن الجزري، غاية النهاية، نشر برجستراسر، مصر 1932، مكتبة الخانجي، 1/ 381؛ ● خليفة بن خياط، تاريخ خليفة، تح. أكرم ضياء العمري، ط1، النجف 1967، 2/ 363؛ ● الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات، 101-102، تح. عمر عبد السلام التدمري، ط1، بيروت 1990، دار الكتاب العربي، ص 415؛ ● م.ن، تذكرة الحفاظ، دار إحياء التراث العربي، 1/ 97؛ ● م.ن، سير أعلام النبلاء، ط4، تح. شعيب الأرناؤوط، بيروت 196، 5/ 69؛ ● م.ن الذهبي، معرفة القراء الكبار، تح. محمد سيد جاد الحق، ط1، القاهرة 1969، دار الكتب الحديثة، 1/ 64؛ ● م.ن، العبر، تح. صلاح الدين المنجد، الكويت 1960، 1/ 145، 216، 264؛ ● الزركلي، الأعلام، ط3، 4/ 116؛ ● ابن سعد، كتاب الطبقات، تصحيح: إدوارد سخو، ليدن 1922، مؤسسة النصر/ طهران، 5/ 209؛ ● السيوطي، بغية الوعاة، تح. محمد أبو الفضل ابراهيم، بيروت د.ت، المكتبة

العصرية، 2/ 91؛ ● العسقلاني، تهذيب التهذيب، ط1، حيدر آباد 1326هـ، 6/ 290؛ ● ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ط2، بيروت 1979، دار المسيرة، 1/ 153؛ ● ابن قتيبة، المعارف، تح. ثروت عكاشة، ط2، مصر 1969، دار المعارف، ص465؛ ● القفطي، إنباه الرواة، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، القاهرة 1952، مطبعة دار الكتب المصرية، 2/ 172؛ ● ابن النديم، الفهرست، بيروت د.ت، مكتبة خياط، ص 39.

د. هاشم بن يحيى الملاح
عضو المجمع العلمي العراقي
د. عبد الجبار حامد أحمد
جامعة الموصل
محمد خير رمضان يوسف
مكتبة الملك فهد - الرياض

الأعسم، حبيش بن الحسن

(... هـ / ... م - 264 هـ/ 878م)

حبيش بن الحسن المعروف بالأعسم، طبيب مترجم، لم تذكر المصادر تاريخ ميلاده ووفاته، لكنها تجمع على أنه من مواليد القرن الثالث، وتذكر بعض المصادر أنه توفي عام 300هـ/ 912م [أحمد فريد رفاعي، عصر المأمون، ط1، ص 298]، وحبيش هو ابن أخت حنين بن إسحاق (ت 194/ 260). وعلى يديه تعلّم الطبّ.

لا تتوافر معلومات عن سيرته ومراحل حياته سوى أنّه كان مع خاله حنين بن إسحاق وابنه إسحاق بن حنين يمثلون أعظم النَّقَلَة الذين عرفتهم حركة الترجمة، وقد خدم حبيش بطبّه - كما هو شأن أستاذه وخاله حنين بن إسحاق - بعض خلفاء الدولة العباسية، فكان موضع ثقتهم وتقديرهم، ويعتبر حبيش أنه كان أيضا ملمّا بالهندسة، وقد اعتبره حنين بن إسحاق ذكيا مطبوعا على الفهم، لكن «ليس له اجتهاد بحسب ذكائه، بل فيه تهاون وإن كان ذكاؤه مفرطًا وذهنه ثاقبا» [ابن أبي أصيبعة، ص276]. واعتبره البيهقي من الأطبّاء المتقدّمين، وأنه «كان مصيبا في المعالجات» [ظهير الدين البيهقي، تاريخ الحكماء، ص19-20]. أما في مجال سائر النقل فتخبرنا كتب التراجم أن حنين بن إسحاق كان يقدم حبيشا على سائر النقلة ويعظمه ويرضى نقله لما يتميز به من الدقة والمعرفة بالعلوم التي يترجم منها، وقد أدّى هذا إلى أنه كان لا يتيسّر - كما يقول بروكلمان - التمييز القاطع بين نقوله ونقول خاله، وقد أدّى تشابه رسْمَيْ اسميهما في المخطوطات إلى بعض الخلط بين ترجماتهما؛ وقد قال القفطي في هذا

الصدد: «ومن جملة سعادة حنين صحبة حبيش له، فإنّ أكثر ما نقله حبيش نسب إلى حنين. وكثيرًا ما يرى الجهّال شيئا من الكتب القديمة مترجما بنقل حبيش، فيظنّ الفرد منهم أنّ النّاسخ أخطأ في الاسم وغالب على ظنّه أنّه حنين وقد صحّف فيكشطه ويجعله حنينًا» [أخبار الحكماء، ص177].

وكانت الترجمة في مدرسة حنين على مرحلتين، يقوم هو بتنفيذ المرحلة الأولى منها، وهي من اليونانية إلى السريانيّة، ويتولّى بعد ذلك أعضاء مدرسته - وعلى رأسهم إسحاق بن حنين، وحبيش بن الحسن - تنفيذ المرحلة الثانية في الترجمة، وهي من السريانية إلى العربية، وبجهود هذه المدرسة في الترجمة عرف أرسطو في العالم خاصة وأنّ مؤلّفات أرسطو، كما يقول أوليري، كانت معروفة في اللّغة السريانية ومعها شروح وملخّصات بعضها مؤلّف بالسريانية، وترجم بعضها الآخر عن اليونانية.

وإذا كانت حركة الترجمة عبر تاريخها الممتدّ من القرن السابع إلى القرن العاشر الميلادي تألّق فيها كوكبة غفيرة من النقلة ممّن ينتمون إلى جنسيّات وأديان مختلفة - ضمّت العربي، والفارسي، والهندي، والمسلم، والمسيحي، واليهودي، والمجوسي، والصابىء - فقد كان أكثر النقلة من السريان، ويتصدّرهم في الكفاءة والإتقان حنين بن إسحاق وابنه إسحاق، وحبيش بن الحسن الأعسم، هذا فضلا عن ثابت بن قره وقسطا بن لوقا البعلبكي، ويعقوب بن إسحاق الكندي.

وكما تذكر المصادر المختلفة، فالنقلة السريان هم أعظم طبقات النقلة في العدد والإنتاج، وكانوا ينقلون العلوم اليونانية بدقّة وأمانة فيما لم يمسّ الدين كالمنطق والطبيعة والطبّ والرياضة. أما الإلهيات ونحوها فكانت تعدّل وما يتفق والمسيحيّة. وقد سلك المسلمون نفس هذا المسلك، إذ أغفلوا من الإلهيّات كثيرًا مما يخالف تعاليم الإسلام [أحمد أمين، فجر الإسلام، ص 131].

ومما يذكر عن حبيش وخاله حنين بن إسحاق وولده وثابت بن قرّة في هذا المجال أنّهم كانوا مثالا للأمانة والنزاهة ودقّة الترجمة، واشتهروا بصدق النظر، وسعة المعرفة، واستقامة الأخلاق. وكانوا يهملون الترجمة التي يجدونها غير مرضية لهم، وينقدون ترجمة ابن البطريق، ويحلّون محلّها ترجمة حنين، والأمر كذلك بالنسبة إلى تراجم المجسطي، فقد أهمل العديد منها، ولم يبق سوى ترجمة حنين وإصلاح ثابت بن قرة [رشيد جميلي، حركة الترجمة في المشرق الإسلامي في القرنين الثالث والرابع للهجرة، ص 46-47].

أما عن طريقه حنين بن إسحاق وأتباعه - ومنهم حبيش بن الحسن الأعسم - في الترجمة، فقد كانت هي الطريقة السائدة في عصره، إذ كانت تترجم الأسماء كما يطوّعها لسان المترجمين العرب للنطق، وأحيانا كثيرة كان حنين يتصرّف في الترجمة، فكان يورد ما ليس له نظيرعند العرب بأسماء أخرى، كأن يقول عن الممثلين، أنّهم اللاعبون، أو أن يورد أسماء آلهة اليونان على أنّها أسماء الملائكة عندهم، وقد يترجم أسماء الحيوانات والطيور المعروفة، فإذا لم يجد لها ترجمة يوردها كما هي حتّى وإن جهلها القارىء، ولم يعرف مقصده منها؛ بل كثيرا ما يختصر العبارة أو يضمّ العبارتين والثلاث معا

في عبارة واحدة عربية. وقد يضحّي أحيانا بالمعنى في مقابل أن يلتزم الترجمة الحرفية [مقدمة كتاب أرطميدورس الإفسي: تعبير الرؤيا، نقله إلى العربية حنين بن إسحاق، تحقيق عبد المنعم الحنفي، ص9 - 10].

آثاره

ترجم حبيش عدّة كتب من اليونانيّة إلى السريانية، وكذلك من السريانية إلى العربية، أو مباشرة من اليونانية إلى العربية، ضمن المجموعة التي كانت تعمل في بيت الحكمة، أو استجابة لطلبات عدد من الراغبين مثل بني المنجّم، وقد قال عنهم القفطي [ص 31] إنّهم «كانوا يرزقون جماعة من النقلة منهم: حنين بن إسحق، وحبيش، وثابت بن قرّة وغيرهم في الشهر خمسمائة دينار للنقل والترجمة والملازمة»؛ وقد بقي اسم حبيش عالقا بترجمة بعض كتب أبقراط وجالينوس. **أما كتب أبقراط** فقد عرف حبيش بترجمة «عهد أبقراط» بتفسير جالينوس، وقد سبق أن ترجمه حنين إلى السريانية، وأضاف إليه شيئا من عنده. كما ترجم ثلاث مقالات من تفسيره لكتاب «قاطيطون». **أمّا جالينوس** فقد ترجم حبيش من كتبه مقالة «في محنة الطبيب»، و«كتاب الحثّ على تعلّم الطبّ»، وكذلك مقالة من «كتاب الحاجة إلى النبض» ضمن «كتاب النبض الكبير»، ترجم حبيش منه ستّ عشرة مقالة في حين ترجم حنين مقالة واحدة. وترجم حبيش كذلك ستّ مقالات من «كتاب تدبير الأصحّاء» و«كتاب الأدوية المفردة»، وكذلك «حيلة البرء»، ترجمها عن نسخة حنين السريانية في أربع عشرة مقالة، ثم أصلح حنين الستّ الأولى في حين أصلح حبيش الثماني الأواخر.

أما التشريح فقد ترجم من كتب جالينوس كذلك خمس عشرة مقالة من «التشريح الكبير»، وخمس مقالات «في علم أبقراط بالتشريح». وفي التشريح كذلك، ترجم مقالة من «كتاب تشريح الحيوان الميّت»، ومقالتين من «كتاب تشريح الحيوان الحيّ».

أمّا الكتب التي ترجمها لآل موسى بن شاكر، فكان منها مقالتان لمحمّد بن موسى من «كتاب فيما وقع من الاختلاف بين القدماء في التشريح»، ومقالة «في تشريح الرحم»، و«كتاب صرف الاغتمام»، وعشر مقالات من «كتاب في آراء أبقراط وأفلاطون». كما ترجم لأخيه أحمد بن موسى ستّ مقالات من «كتاب التعريف على الأعضاء الباطنة»، ومقالة من «كتاب العادات».

ومن الذين استجاب لرغباتهم كذلك أبو الحسن بن يحيى، ترجم له حبيش «كتاب العلل والأعراض».؛ ومن المؤلفات الأخرى التي قام بترجمتها «كتاب منافع الأعضاء»، ومقالة من «كتاب العضل»، و«كتاب خصب البدن» وترجم إلى العربية أيضا «كتاب الحيلة لحفظ الصحّة»، عن نقل لحنين إلى السريانيّة، ومقالتين من «كتاب المنى»، وسبع عشرة مقالة في «تركيب الأدوية» وفي «الأسماء الطبّية».

ويذكر من ترجماته الأخرى لكتب جالينوس، «كتاب الفواكه»، ومقالة في «الرياضة بالكرة الصغيرة»، وكذلك مقالة «في الرياضة بالكرة الكبيرة»، و«كتاب الحركة المجهولة» ويضاف إلى ذلك ترجمته لمقالة من «انتفاع الأخيار بأعدائهم»، وكذلك مقالة «في أنّ قوى النفس تابعة لمزاج البدن»، وقد ترجم بعضها الآخر اسحق بن حنين. كما ترجم مقالة من كتاب

«المدخل إلى المنطق»؛
ومن الكتب التي نقلها من العربية إلى السريانية بطلب من يوحنّا ابن ماسويه، نذكر كتاب «في حركة الصدر والرئة»، وكذلك أربع مقالات من «كتاب الأخلاق».؛ وتنسب إلى حبيش كذلك ترجمة كتاب ثابت في «سكون بين حركتي الشريان» الذي ألّفه بالسريانية، إلاّ أنّ القفطي اعتبر ذلك خطأً [ص116]. وقد تنضاف إلى هذه القائمة عناوين لمؤلفات شارك حبيش في ترجمتها بعض المترجمين الآخرين، نذكر منها مشاركته ثابت بن قرّة في ترجمة مقالة من «الكيموس الجيد والرديء»، وكذلك إسحق ابن حنين في ترجمة «كتاب عدد المقاييس».

■ المصادر والمراجع

● ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، شرح وتحقيق نزار رضا، منشورات دار ومكتبة الحياة، بيروت، د.ت؛ ● ابن خلّكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح. محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة بمصر، 1951؛ ● ابن النديم، الفهرست، دار المعرفة للطباعات والنشر، بيروت، د.ت؛ ● البغدادي، إسماعيل باشا، هداية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إستانبول، 1951؛ ● البيهقي، ظهير الدين، تاريخ حكماء الإسلام، تح. محمد كرد علي، مطبعة الترقّي، دمشق، 1946؛ ● السجستاني، أبو سليمان، منتخب صوان الحكمة، طبع Mouton the haye، 1979؛ ● غزّال، موسى يونان مراد، حركة الترجمة والنقل في العصر العبّاسي، مطبعة مار أفرام، العطشانة، لبنان، 1976؛ ● القفطي، علي بن يوسف، تاريخ الحكماء، أو مختصر الزوزني بالمنتخبات الملتقطات من كتاب أخبار العلماء بأخبار الحكماء، نشره يوليوس لبّرت، ليبزج، 1903؛ ● بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ترجمة السيد يعقوب البكر وحسن أحمد محمود، القاهرة 1970؛

● Badawi, Abderrahman, La transmission de la philosophie grecque au monde arabe, Vrin, Paris, 1968.; ● Chahine, Osmane, L'originalité créatrice de la Philosophie musulmane, Adrien Maisonneuve, Paris, 1972, p.17-20; ● De lacy, O'Leray, D.D., How Greek Science passed to the Arabs, Routledge and Kegan Paul, London, Boston and Henley, 1980.;

● Rosenthal, Franz, The Classical Heritage in Islam, Routledge and Kengan Paul, London, 1975.;

● Steinschneider, Moritz, Die arabischen Ue bersetz ungeur aus dem Griechischen, Z.D.M.G., vol. 50, Année 1896.; ● Walzer, R., Greek in to Arabic, Oxford, 1962.

د. مرفت عزت بالي
جامعة القاهرة – مصر
د. منجية عرفة منسية
جامعة الزيتونة – تونس

أعشى باهلة، أبو قحفان، عامر بن الحارث

(... هـ / ... م - ... هـ / ... م)

أعشى باهلة، ويكنى أبا قُحْفان، اسمه عامر بن الحارث أحد بني عامر ابن عوف بن وائل بن معن، معن أبو بهلة، وباهلة امرأة من همدان ينسبون إليها [المؤتلف والمختلف، 15؛ أمالي اليزيدي، 13؛ موسوعة شعراء العرب، 1/ 21]، ونسبه بعضهم فقال: اسمه عامر بن الحارث بن رياح، أو رباح، بن عبد الله بن زيد بن عمرو بن سلامة بن ثعلبة بن وائل بن معن [طبقات فحول الشعراء، 1/ 203] شاعر مجيد من أعلام شعراء الجاهلية [نشوء الطرب، 2/ 584].

لقد وهم أبو الفرج حين أشار إلى اجتماعه في مجلس مع بشار [الأغاني، 3/ 205]، فالأعشى جاهلي وبشار عباسي، وأخطأ البكري، في اسمه وكنيته حين ذكر أن اسمه (عمرو وكنيته أبو قحافة) [سمط اللآلي، 1/ 75] وشاركه في خطأ الكنية ابن منظور (مادة: عشا).

ووضعه ابن سلام في طبقة «أصحاب المراثي» وجعل اسمه ثالثًا فيها بعد متمم بن نويرة، والخنساء، لرثائه أخاه لأمه المنتشر بن وهب الباهلي، وروى من القصيدة أبياتًا ستة منها:

إني أشُدُّ حَزِيمي، ثم يدركُني
منك البلاءُ ومن آلائكَ الذِكَرُ

[طبقات فحول الشعراء، 1/ 203، 210].

وأخطأ البحتري حين جعل القصيدة في رثاء رجل يدعى قتيبة [الحماسة، 197].

ونحن، في الواقع لا نعرف الكثير عن أعشى باهلة، فالمصادر تذكره مقترنا بهذه القصيدة في رثائه المنتشر، ولم أعثر له على شعر من غيرها فيما اطلعت عليه من مصادر خلا أبيات في الحكمة يظن أنها له، هي:

أرى الصمتَ خيرًا من كلامٍ بمأثَمٍ
فكنْ صامتًا تسلمْ وإن قلتَ فاعدلِ

ولاتكُ في حقِّ الإخاءِ مُفَرِّطاً
وإن أنت أبغضتَ البغيضَ فأجْمِلِ

ولا تَعْجَلَنْ يوماً بشرٌّ تريدُه
وإنْ ما هممتَ الدهر بالخير فاعْجَلِ

ألا إن تقوى اللهِ خيرُ مَغَبَّةٍ
وأفضلُ زادِ الظاعنِ المتحمِّلِ

فقد رويت في [بهجة المجالس، 1/ 87] تحت عبارة: «وقال آخر»، لكن البحتري نسب البيت الأول منها لصالح بن عبد القدوس [الحماسة، 364]، أورد البيت الرابع ضمن ثلاثة أبيات نسبها لأعشى باهلة، والأبيات هي:

عليك بتقوى الله في كل أمرِ
تجدْ غِبَّها يومَ الحسابِ المطوَّلِ

ألا إن تقوى الله خيرُ مَغَبَّةٍ
وأفضَلُ زادِ الظاعنِ المتحمِّلِ

ولا خيرَ في طولِ الحياة وعيشِها
إذا أنت منها بالتُّقى لم ترحَلِ

[حماسة البحتري، 250]

لربما نسبة هذه الأبيات إليه يقربها من الشك، فالمعاني فيها إسلامية، لكن أبيات الحكمة السابقة ليست بعيدة عن روح الشاعر كما تظهرها مرثيته التي حوت بعضًا من معانيها، كما سيأتي.

وبقطع النظر عن الشك في هذه الأبيات، فإنها تطرح قضية قابلة للتفكير في عقيدة الشاعر، مثلما تطرح سؤالاً مهمًا: هل كان أعشى باهلة ممّن «كان... يتأله في جاهليته ويتعفّف في شعره، ولا يستبهر بالفواحش، ولا يتهكم في الهجاء» كما قال ابن سلام؟ [طبقات الفحول، 1/ 41].

ومما يدعو لهذا السؤال أيضًا أن هذا الشاعر في ذكره قاتل أخيه لا يهدد ولا يتوعّد وإنما يكتفي بالدعاء عليه، كما أنه يذكر الله ويدعوه أن يتلطّف بأخيه على ما سنرى. فهل تشكل هاتان الملاحظتان إشارة للإجابة بنَعَم عن ذلك السؤال؟

والقصيدة الرثائية -على أية حال- مشهورة، فقد رواها كاملة أكثر من مصدر: رواها الأصمعي فكانت الأصمعية الرابعة والعشرين، وعدد أبياتها فيها ثلاثة وثلاثون [الأصمعيات، 92/ 87] ورواها القرشي فكانت عدة أبياتها في جمهرته خمسة وثلاثين بيتًا [جمهرة أشعار العرب، 2/ 713-721]، ففي الظاهر أن في الجمهرة بيتين فقط زيادة على الأصمعيات؛ لكن الزيادة الحقيقية أربعة أبيات، لأن في الأصمعيات بيتين ليسا في الجمهرة؛ وهما:

كأنه بعد صدقِ القومِ أنفسَهمْ
بالياس يلمع من قُدَّامه البُشُرُ

إنّي أشُدُّ حَزيمي ثم يُدْرِكُني
منك البلاءُ ومن آلائك الذِّكَرُ

قال المبرّد تعليقًا على البيت الأول -فيما يرويه المرتضى-: لا نعلم بيتًا في يمن النقيبة وبركة الطلعة أبرع مع كل هذا البيت [أمالي المرتضى، 2/ 23]. ولا أدري كيف فات القرشي روايةُ هذا الأثر الجميل الذي تركه في نفس الآمدي! وتقديرا للقيمة المعنوية التي للبيت فقد روته مصادر أخرى [خزانة الأدب، 1/ 198].

أما الأبيات الزائدة في الجمهرة فهي:

يُمْسي ببيداءَ لا يُمسي بها أحدٌ
ولا يُحَسُّ، خلا الخافي بها أثَرُ

ضخمُ الدسيعةِ متلافٌ أخو ثقةٍ
حامي الحقيقة منه الجودُ والفخرُ

فنِعْمَ ما أنت عند الخير تسألُهُ
ونعم ما أنت عند الشرّ تنتظرُ

إن تقتلوه فقد يُسبي نساءَكُمُ
وقد تكونُ له المعلاةُ والخَطَرُ

والمنتشر الذي قيلت القصيدة في رثائه، هو: ابن وهب بن عجلان بن سلمة بن كرائة بن هلال بن عمرو بن سلامة بن ثعلبة بن وائل بن معن بن مالك بن أعصر بن سعد بن قيس

عيلان [طبقات فحول الشعراء، 1/ 203؛ خزانة الأدب، 1/ 189].

وكان المنتشر من عدّائي العرب «الذين كانوا يعدون على أرجلهم فيبلغون مبالغ أصحاب الخيول المضمّرة» [البرصان والعرجان، 247]. لذلك قيل عنه: «إنه أحد رِجْليّ العرب - منسوب إلى الرَّجْل - وهم السعاة السابقون في سعيهم» [الكامل، 2/ 64] وقيل أيضًا: إنه مشهور بالكرم إلى جانب العدو [نشوة الطرب، 2/ 584].

كما «كان رئيسًا فارسًا، وكان رئيس الأبناء يوم أرمام، وهو أحد يومي مضر في اليمن، وكان يومًا عظيمًا، قتل فيه مرّة بن عاهان، فقالت نائحة تبكيه:

يا عينُ فابكي على عمرو بن عاهانا
لو كان قاتلُه غيرَ الذي كانا
لو كان قاتلُه حيًّا نُعِجُّ به
لكنَّ قاتلَه بُهْلُ بنُ بُهْلانا

أي أنّ قاتله محتقر لا يعرف هيان بن بيان، فأغار المنتشر فقتل نائحة عمرو وأسر صلاءة ابن عمرو (أو ابن العنبر) الحارثي وكان من ساداتهم [سمط اللآلي، 1/ 76].

وتتحدث الأخبار عن سبب قتله فتقول: إنه لما أسّر صلاءة بن العنبر من بني الحارث بن كعب، طلب منه أن يفتدي نفسه فأبى، قال: لأقطعنّك أُنْمُلَةً أُنْمُلَةً، ما لم تفتد نفسك، فجعل يفعل ذلك به حتى قتله، فأصبح بنو الحارث يسمّونه «مجدِّعًا». ثم حج المنتشر بعد ذلك ذا الخلصة - وهو صنم أو بيت كانت خثعم تحجه - فلما رآه بنو نُفَيْل بن عمرو بن كلاب - وكانوا أعداءه - دلوا عليه الحارثيين فقبضوا عليه، وقالوا: لنفعلنّ بك كما فعلت بصلاءة، ففعلوا ذلك به [الكامل، 4/ 64-65]، وفي رواية أخرى أن أسيره الحارثي هو هند بن أسماء بن زنباع، وأن المنتشر كان - قبل أسر الحارثيين له - قد تهيّأ لقتالهم، لكن القوم أمّنوه فوضع سلاحه، فقال هند: أتؤمنون مقطّعًا؟ وإلهي لا أؤمنه! ثم قتله. فقال أعشى باهلة يشير إلى ما فعله هند وآل نوفل:

أَصَبْتَ في حَرَمٍ منا أخا ثقةٍ
هندَ بنَ أسماءَ لا يَهْنِيءْ لك الظَّفَرُ
لو لم تَخُنْهُ نُفَيْلٌ، وهي خائنةٌ
ألمَّ بالقومِ وِرْدٌ منه أو صَدَرُ

والملاحظ - كما مر - أنه لم يتهدّد قاتل أخيه بالقتل على عادة الشعراء الجاهليين، وإنّما اكتفى بأن دعا عليه أن لا يستمتع بظفره، حسب.

وروى بعض المصادر أن القصيدة للدعجاء أخت المنتشر وقيل لليلى أخته، وقد تكون نسبتها إلى ليلى هذه هي السبب في جعل عبد الملك بن مروان ينسب أبياتًا من القصيدة إلى ليلى الأخيلية [أمالي المرتضى، 2/ 19؛ أمالي اليزيدي، 13؛ الحماسة البصرية، 1/ 241].

أما القصيدة نفسها فقد عدها القرشي من عيون قصائد الرثاء السبع: لأبي ذؤيب الهذلي، والأعشى الباهلي، ومتمم بن نويرة اليربوعي، وذي جدن علقمة الحميري، ومحمد بن كعب ابن سعد الغنوي، وأبي زبيد الطائي، ومالك ابن الريب النهشلي [الجمهرة، 1/ 219-220]. ونعتها المرتضى فقال بعد أن رواها

كاملة: «من مراثي لة بالبلاغة والبراعة» [الأمالي، 2/ 20]. أما البغدادي فذكر الأمور التي دعته إلى أن يورّدها كلها مشروحة: «منها أنها نادرة قلّما توجد، ومنها أنها جيدة في بابها، ومنها أنّ كثيرًا من أبياتها شواهد في كتب العلماء» [خزانة الأدب، 1/ 188]. وسنتقرب من جو القصيدة معتمدين على رواية الأصمعي لأقدميتها:

بدأ الأعشى بتصوير تلقيه خبر قتل أخيه وحالة الاكتئاب التي أصابته، وفيض العواطف التي جاشت بها نفسه:

قد جاءَ من عَلُ أنباءٌ أُنَبَّؤُها
إليَّ لا عَجَبٌ منها ولا سَخَرُ

فظَلْتُ مرتفقًا للنجم أرْقُبُه
حرّان مكتئبًا لو ينفعُ الحذرُ

وجاشَتِ النفسُ لمّا جاء جمعُهُمْ
وراكبٌ جاء من تثليث معتمِرُ

ثم بدأ بتعداد مناقب المنتشر، فذكر جوده وتكفله إطعام القوم أيام الجدب والعوز، حتّى غدت إبله تفزع منه فتتوقّف عن الاجترار خوفا لما اعتادت أن يفجأها بالنحر للأضياف:

وتفزع الشَّوْلُ منه حين يفجؤُها
حتّى تقَطَّعَ في أعناقها الجِررُ

ثم مدحه بسعة آثاره الحميدة التي تراها في كل أرض ولدى كل إنسان، وبسر أخلاقه في تعامله مع الآخرين وبصفائه ووفائه للصديق، وبنصرته كل من استغاث به، وبجمعه غلبة الأعداء في الحروب إلى كسب المال في حال العسرة، إلى الاتّزان الجاد الحذر في كل محفل، وبالتوازن فيما يمنح من خير، وما يمنع من ظلم، وبقناعته فيما تيسر من طعام وشراب، وبتمام خَلْقه وصحّة جسمه، وبإدمانه على الإدلاج ليلاً، وبتطويعه الأمر الصعب، وبمفاجأة أعدائه حتّى أصبحوا غزوه في كل حين:

لا يأمن الناسُ مُمْساه ومُصْبَحَه
من كل فجٍّ إذا لم يغزُ يُنْتَظَرُ

ثم يفصح عن هول المصيبة التي ابتلي بها وقومه بعد مقتل فارسهم وسيدهم، وعن جزعهم لها وصبرهم عليها:

عشنا بذلك دهرًا ثم فارقنا
كذلك الرُمحُ ذو النصلين ينكسرُ

فإن جزَعنا فقد هدّت مصيبتُنا
وإن صبرنا فإنا معشرٌ صُبُرُ

وينهي القصيدة، بعد هذا، بالدعاء على هند ابن أسماء، قاتل المنتشر، أن لا يهنأ بظفره، وبالإشارة إلى عادة الخيانة في طبع آل نُفَيْل، وبدعاء الله أن يترفق بالمنتشر. وهو يوكد أن المنتشر - وإن كان قد سلك في حياته سبيلاً ارتضاه لنفسه - فإنه يبقى شهابًا يستضيء به قومه كلما ألمت بهم مصيبة كما يستضيء الساري في ظلمة الليل بالقمر:

إما سلكت سبيلاً كنت سالكَها
فاذهب فلا يُبْعِدَنْك اللهُ، منتشرُ

ورَادُ حربٍ شهابٌ يُستَضاءُ به
كما يُضيءُ سوادَ الطَخْيَةِ القمرُ

لقد أخذت القصيدة شهرتها من كونها زاخرة بالمشاعر الأخوية الصادقة التي فاضت بعفوية وأصالة، كما أنها جاءت محتفية بالقيم الاجتماعية والمزايا الإنسانية والصفات

المثالية التي ينشدها الإنسان في من يحمل مسؤولية السيادة وقيادة المجتمع.

والقصيدة على المستوى الفني محكمة البناء، قوية اللغة، واضحة الدلالة، صافية الرؤية والتوجّه، تلقائية الأسلوب، مما انعكس إيجابيًا على توافر السمات الجمالية المختلفة؛ وأهمّها الصور التشبيهية المعبّرة، والتوازنات الإيقاعية الموحّدة للنغمات الموسيقية والتنوّعات الفكرية.

ولعل هذا كله شد العلماء والنقاد والمصنفين في القديم إلى هذه القصيدة فرواها كلها بعض، وشرح أبياتها بعض ثانٍ، واستشهد بأبيات منها على موضوعات خاصة بعض ثالث. وسنختم المدخل بشيء من هذا المستشهد به:

قال البغدادي إن «زُفَر» يأتي ممنوعًا من الصرف حين يكون اسمًا على علم مثل «عُمَر» ويصرف حين يكون اسمًا معدولاً عن فاعل، واستشهد بالبيت التالي من القصيدة:

أخو رغائب يعطيها ويسألها
يأبى الظُّلامَةَ منه النوفل الزُّفَرُ

ثم يؤكد أن زفر هنا غير مصروف، قال: «الزُّفَر: الناهض بحِمله، وليس «زُفَر» هذا الاسم منقولاً من هذا الوصف، ولو كان كذلك لوجب صرفه، ألا تعلم أن فُعَلاً المعدول عن فاعل لا يجوز دخول اللام عليه، وذلك نحو زُحَل... ولو سميت بزُفَر بعد خلعك اللام عنه لوجب صرفه» [الخزانة، 1/ 186].

أما المبرد فجاء بالبيت ذاته على أن لزُفَر ومعناه الجِمْل، «يضرب مثلاً للرجل فيقال: إنه لزُفر أي حمّالٌ للأثقال، ويقال أتى جِمْلَه فازْدَفَره...وإنما يريده (أي الأعشى) بعينه» [الكامل، 1/ 57].

وحين احتاج ابن قتيبة إلى شاهد على «أن العرب تكره في الرجل كثرة الطعم ولا تصف به الشجاع بل تصفه بقلة الطعم» أتى ببيت الأعشى:

تكفيه حُزَّةُ فِلْذٍ إن ألمَّ بها
من الشِّواءِ ويُرْوي شربَه الغُمَرُ

[المعاني الكبير، 2/ 1108].

أما المبرد فقد توقف من البيت عند كلمة «فِلْذ»، فَفَلَذ له: أي قطع له، وعلى هذا جاء قول الرسول الكريم يوم بدر: «هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها» [الكامل، 1/ 356].

هذا قليل من كثير تداوله العلماء من أبيات هذه القصيدة كما أشار المرتضى حقًا فيما سبق.

المصادر والمراجع

● الآمدي، أبو القاسم، المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم، تح. ف. كرنكو، دار الجيل، بيروت، 1991؛ ● الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني، مصورة عن دار الكتب، القاهرة؛ ● الأصمعي، أبو سعيد، الأصمعيات، تح. أحمد محمد شاكر، وعبد السلام محمد هاورن، دار المعارف بمصر، ط 7، 1993؛ ● البحتري، أبو عبادة، الحماسة، تح. كمال مصطفى، المكتبة التجارية الكبرى بمصر، 1929؛ ● البصري، صدر الدين، الحماسية البصرية، تح. عادل جمال سليمان، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية،

القاهرة، 1978؛ ● البغدادي، عبد القادر، خزانة الأدب، تح. عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1979؛ ● البكري، أبو عبيد، سمط اللآلي في شرح أمالي القالي، تح. عبد العزيز الميمني، دار الحديث، بيروت، 1984؛ ● الجاحظ، أبو عثمان، البرصان والعرجان والعميان والحولان، تح. عبد السلام محمد هارون، دار الرشيد، بغداد، 1982؛ ● الجمحي، محمد بن سلام، طبقات فحول الشعراء، تح. محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، 1974؛ ● الجوهري، إسماعيل ابن حماد، الصحاح، تح. أحمد عبد الغفور عطر، القاهرة، ط 2، 1979؛ ● الأندلسي، ابن سعيد، نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، تح. نصرت عبد الرحمن، مكتبة الأقصى، عمان-الأردن، 1982؛ ● ابن عبد البر، أبو عمر، بهجة المجالس وأنس المجالس، تح. محمد مرسي الخولي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1982؛ ● الفيروزأبادي، أبو زيد، جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، تح. محمد علي الهاشمي، دار القلم، دمشق، 1986؛ ● المبرد، أبو العباس، الكامل، تح. محمد أبي الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1954؛ ● ابن منظور، جمال الدين، لسان العرب، دار الجيل ودار لسان العرب، بيروت، 1988؛ ● يحيى شامي، موسوعة شعراء العرب، دار الفكر العربي، بيروت، 1999؛ ● اليزيدي، أبو عبد الله، الأمالي، عالم الكتب، بيروت، ومكتبة المتنبي، بغداد، 1969 هـ.

د. عبد القادر أحمد الرباعي

جامعة اليرموك - الأردن

أعشى تغلب، ربيعة بن يحيى

(..... هـ / ..... م - 92 هـ / 710 م)

هو ربيعة بن يحيى بن معاوية بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن تغلب، وقيل إن اسمه «النعمان» من شعراء الدولة الأموية. كان نصرانياً وعلى النصرانية مات، وكان يتردد بين البداوة والحضر، فإذا حضر سكن الشام، وإذا بدا نزل الموصل وديار ربيعة حيث منازل قومه.

اتصل بالوليد بن عبد الملك، وكان يفد عليه بالمدائح ويعود بالعطايا. ولمّا ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة وفد إليه ومدحه، فلم يعطه شيئاً، وقال: ما أرى للشعراء في بيت المال حقّاً، ولو كان لهم فيه حقّ لما كان لك، لأنك امرؤ نصراني، فانصرف الأعشى، وهو يقول:

لعمري لقد عاش الوليدُ حياته
إمام هدىً لا مستزاد ولا نزر

كأن بني مروان بعد وفاته
جلامدُ لا تندى وإن بلّها القطر

وكان ينادم الحرّ بن يوسف بن يحيى بن الحكم، وله معه قصة طريفة. ومدح مدرك بن عبدالله الكناني أحد بني أُقيشر فأساء ثوابه، فقال في ذلك شعراً، كما قال شعراً في مالك ابن مسمع.

شعره قليل وإن ذكر الآمدي أنه كان له ديوان «مفرد». أكثر ما بقي من شعره في المدح التقليدي ومناسبات أخرى، وقد نشره جاير مع ديوان الأعشى الكبير (أعشى قيس) في سلسلة نشريات «جب» رقم (6) - لندن 1928.

المصادر والمراجع

● الآمدي، المؤتلف والمختلف، تح. عبد الستّار فَراج، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة 1961، ص 20-21؛ ● الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني، مصورة دار الكتب المصرية، ج. 11، ص281 - 284؛ ● بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبد الحليم النجار، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الأولى (د.ت) ج. 1، ص 238؛ ● الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة 1980، ج. 3، ص17؛ ● بابتي، عزيزة، معجم الشعراء المخضرمين والأمويين، دار صادر، بيروت 1998، ص34-35؛ ● الحموي، ياقوت، معجم الأدباء، مصورة ط. دار المأمون، ج. 11، ص 132-133.

د. يوسف بكار
جامعة اليرموك ـ الأردن

أعشى ربيعة، عبد الله بن خارجة

(..... هـ / ..... م - نحو 100 هـ / 718 م)

هو عبد الله بن خارجه بن حبيب بن قيس ابن عمرو بن حارثة بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان، كنيته أبو المغيرة. شاعر إسلامي من سكان الكوفه، اشتهر في أيام بني مروان بالشام. كان مرواني المذهب، شديد التعصب لبني أمّية. وهو الذي قوّى من عزم عبدالملك بن مروان على محاربة عبدالله بن الزبير بعد أن كان متردّداً، إذ قال له:

آل الزبير من الخلافة كالتي
عجل النِّتاج بحملها فأحالها

قوموا إليهم لا تناموا عنهُم
كم للغواة أطلتمو إمهالها

مدح عبد الملك وسليمان بن عبد الملك وسمّاه «تاسع الخلفاء» لأنه أغفل «عليّاً»: وجعل معاوية «رابع الخلفاء» وقد أحسن الاثنان إليه

وأجزلا له العطاء. بيد أن أمره مع الحجّاج بن يوسف كان مترجحاً بين الرضى منه والغضب عليه، وكان يعتذر إليه حين الغضب. وكان ممن امتدحوا أسماء بن خارجه أيضًا.

شعره قليل على الرغم من أنه كان له ديوان «مفرد» كما يذكر الآمدي. أكثر ما بقي من شعره في المدح، وقد نشره المستشرق جاير مع ديوان الأعشى الكبير في سلسلة نشريات «جب» رقم (6)- لندن 1928.

المصادر والمراجع

● الآمدي، المؤتلف والمختلف، تحقيق عبد الستار فرّاج، دار إحياء الكتب العربية القاهرة 1961، ص10 - 11؛ ● الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني، تح. عبد الكريم العزباوي، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة 1970، ج. 18، ص 132 - 136؛ ● بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبد الحليم النجار، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الأولى (د. ت)، ج. 1، ص 2338؛ ● الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة، 1980 ج. 4، ص 84؛ ● بابتي، عزيزة، معجم الشعراء المخضرمين والأمويين، دار صادر، بيروت 1998، ص 350؛ ● فروخ، عمر، تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة الخامسة 1984، ج. 1، ص 529 - 532؛ ● المرزوقي، شرح ديوان الحماسة، نشره أحمد أمين وعبد السلام هارون، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، الطبعة الثانية (د. ت) . ج.4، ص1776-1777؛

د. يوسف بكار

جامعة اليرموك ـ الأردن

الأعشى الكبير، ميمون بن قيس بن جندل

(قبيل 73 ق هـ / 551 م – 07 هـ / 629 م)

ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل، من شعراء الجاهلية وفحولهم، بل يُعدّ أستاذًا لهم [الأغاني، 9/ 112]. يكنى أبا بصير، ويلقب بالأعشى، لضعف بصره، ويسمّى بصناجة العرب [العمدة، 1/ 131].

ينتسب الأعشى - من جهة أبيه وأمّه - إلى بني قيس بن ثعلبة، وهم بطن من بطون قبيلة بكر بن وائل [جمهرة أنساب العرب، 319؛ المعارف، 98] التي كانت تقطن الجنوب الشرقي من نجد، والتي دارت بينها وبين قبيلة «تغلب» حرب البسوس الشهيرة، إلى جانب حروبها الكثيرة مع قبائل أخرى [العصر الجاهلي، 333-335].

وقد شهرت قبيلة قيس بن ثعلبة بالفصاحة [القيان والغناء، 220]. كما ورد في [الأغاني، 9/ 109] «أنّ حسانا سئل: من

أشعر الناس؟ فقال: أشاعر بعينه أم قبيلة؟ قالوا: بل قبيلة؟ قال: الزرق من بني قيس بن ثعلبة ويضيف الأصفهاني أنّ «هذا الحديث يُروى أيضًا عن غير حسان».

في هذه البيئة الشاعرة الأصيلة، وفي إقليم «اليمامة» الخصب الثري الذي كانت تقطنه عشيرة الأعشى والذي كان مشهورًا بالقيان ومجالس الأنس والشراب، وبخاصة بعد أن خرج بشر بن عمرو بن مرثد - شاعر جاهلي قديم من بني قيس بن ثعلبة - من الحيرة هربا من النعمان، إلى اليمامة، ومعه هريرة وخليده [الأغاني، 8/ 77]. ومن المسلم به أن هاتين القينتين -بالإضافة إلى «قُتيلة» كنّ وراء غرام الأعشى بالغناء وشغفه بالقيان [القيان والغناء، 52-53] - أقول: في إقليم هذا شأنه، وفي قرية من قراه تسمّى «منفوحة»، ولأب - وهو قيس بن جندل - كان يدعى قتيل الجوع، لأسباب [الشعر والشعراء، 159؛ الأغاني، 9/ 108]. ولد الأعشى في تاريخ لم يحدده الرواة. وإن ذهب بعض المحدثين إلى أنه ولد سنة 565 م [تاريخ التراث العربي، 2/ 40] دون دليل، وبعضهم بناء على أدلّة تاريخية وفنّية مقبولة [مقدمة ديوان الأعشى، 6، تحقيق مهدي ناصر الدين]. يرى أنه ولد قبيل العام الثالث والسبعين قبل الهجرة وهو ما أخذت به.

هذا، ولم يحفظ لنا التاريخ شيئًا عن نشأة الأعشى وثقافته، غير أنه كان تلميذًا وراوية لخاله المسيّب بن علس، وهو من شعراء بكر ابن وائل المعدودين [الشعر والشعراء، 100].

أما عن ثقافته التاريخية الواسعة وثقافته اللغوية العريضة التي يعدّ من أبرز مظاهرها كثرة الألفاظ الدخيلة في ديوانه، ولا سيّما الفارسية، إلى غير ذلك من الثقافات، فقد حصل عليها من كثرة أسفاره [مقدمة د. محمد حسين لديوان الأعشى، ص ش، ت].

هذا كما يكشف لنا عن بعض الدعائم الأخلاقية الكريمة التي نهضت عليها تربيته، ومنها وصيّة أبيه لهم بإكرام الضيف، والحفاظ على الجار، والدفاع عن الوطن ضدّ النفوذ الأجنبيّ (ق/ 62، ب: 4-7).

أمّا عن صفاته وأخلاقه فلقد لقب شاعرنا بالأعشى لضعف بصره، ولكن هذا العشا آل أخيرا إلى عمى [الشعر والشعراء، 161].

وتقرئنا بعض الروايات [الأغاني، 9/ 121] أنّ الأعشى قد تزوّج امرأة من عنزة، فلم يرضها، فطلّقها. كما يكشف لنا شعره (ق/ 2، ب: 16) عن أنه كان مزواجا. ولكنه لم يقدّم لنا من عقبه سوى «بصير» (ق 66/ ، ب / 3) على رأي أحد الباحثين [مقدمة مهدي ناصر الدين لديوان الأعشى، 6]، وابنة له لم يذكر اسمها، (ق4/ ، ب: 51-55).

كما تقرّر بعض الروايات [الأغاني، 9/ 116-117] أنّ الأعشى كان «كريمًا سخيا»، لا يبخل على صحبه ورفاقه من الندماء، يجتمعون إليه في منزله فيأكلون ويشربون الخمر. ولكن هذا الكرم ليس وقفا على الرفاق فحسب بل يؤكّد شعره (ق 10/ ، ب: 25-27) أنه كان كريما مع أهله وأقربائه، حليما عفوّا متغاضيا عن هنات المولى وسوءات الصديق (ق 82، ب: 15-18) محافظًا على حقوق الجار (ق / 8 ب: 54-55)؛ مراعيا أحوال اليتيم (ق/ 60 ب: 8-9) وفيّا بوعده (ق66، ب: 12-14)، محبًّا لقبيلته (ق 14، ب: 14-15) مدافعًا عنها

(ق15/ ، ب: 48-49)، مشاركًا في توجيه سياستها (ق/ 5، ب: 32-35) معتزًا بشعره، محتشدًا لصناعته، عاكفًا على إجادته (ق/ 5، ب: 68-69).

ولكن الأعشى مع هذا كلّه كان لاهيا، مجنًا، فاجرًا، عاهرًا، منغمسًا في الملذات، من خمر ونساء، وقيان. يقول ابن سلام [طبقات، 1/ 41-43]: «فكان من الشعراء من يتألّه في جاهليّته، ويتعفّف في شعره، ولا يستبهر بالفواحش، ولا يتهكّم في الهجاء.. ومنهم من كان ينعى على نفسه، ويتعهّر؛ منهم امرؤ القيس.. ومنهم الأعشى، قال: «ثم أورد من شعره الشواهد الكثيرة التي تدلّ على فجوره».

وحياة ماجنة فاجرة كهذه لابدّ أن تتطلّب أموالاً طائلة، لتلبية رغباتها وإشباع شهواتها؛ الأمر الذي دفع الأعشى إلى إدمان الرحلة، وارتياد البقاع والمواطن، مطريا السادة والأشراف، ليجني بشعره وبضاعته نداهم وصلاتهم، فكان بذلك أوّل من سأل بشعره، بل «جعل الشعر متجرا يتّجر به نحوالبلدان، وقصد حتّى ملك العجم، فأثابه، وأجزل عطيّته» [العمدة، 1/ 81]. وانظر في صفات الأعشى وأخلاقه والمؤثرات التي وجهت حياته: [القيان والغناء، 221-229؛ مقدمة د. محمد حسين لديوان الأعشى، ص ن-ت] وغيرها.

أما عن مذهبه وديانته فيرى ابن قتيبة [الشعر والشعراء، 164-165] أنّ الأعشى ممن أقر بالملكين الكاتبين في شعره.

وبشير يحيى بن متى -راوية الأعشى، وكان نصرانيا- إلى أنّ الأعشى كان قَدَريًا [الأغاني، 9/ 113].

ويعلن ابن نباتة [سرح العيون، 417] أنّ الأعشى كان يؤمن بالبعث والحساب.

ويرى طائفة من المحدّثين، كلويس شيخو، وفؤاد سزكين، وبروكلمان، أن الأعشى كان نصرانيا [انظر رأي كل منهم في مرجعه الخاص به بفقرة: مصادر ترجمة الأعشى].

أما د. محمد حسين [مقدمة ديوان الأعشى، ص ت] فيرى أن كل ما يوجد من آثار النصرانية في أخبار الأعشى وأشعاره لا ينهض دليلا على نصرانيته فهي لا تعدو أن تكون أثرا من آثار رحلاته وثقافته.

هذا، أما نالينو [تاريخ الآداب العربية، 86-87] فيؤكّد أن الأعشى وثني وإلى هذا ذهب د.شوقي ضيف الذي يراه مغرقا في وثنيته، ود. يوسف خليف [الروائع، 519].

وفي رأيي أنه وثني، اقتناعا برأي من ذهب هذا المذهب، ومن شكّ في نصرانيته من جهة، واستنادًا على ما ذكره الأعشى في شعره (ق/ 39، ب: 46-48) مفتخرا بسلوك قومه واستقامتهم وأنّهم «وثنيون متمسّكون بوثنيّتهم، وأنّهم حبسوا عبيدهم على خدمة أصنامهم وبيوتها» من جهة أخرى.

أما عن وفاته ونهايته فقد أراد الأعشى -في صلح الحديبية في السنة السابعة للهجرة/ 629 م - أن يفد على الرسول ﷺ، ليسْلِم؛ ومدحه بقصيدته الدالية [رقم 17 من الديوان] التي منها مشيرا إلى ناقته:

فآليت لا أرثي لها من كلالةٍ
ولا من حَفًى حتى تزورَ محمدا

متى ما تُناخِي عند باب ابن هاشم
تُريحي، وتلْقَي من فواضله يدا

فردّته قريش عن غايته، وذكرته بما ينهى عنه محمد من خلالٍ، كلها بالأعشى رافق وله

موافق؛ ألا وهي: الربا، والزنا، والخمر؛ وأغرته بجائزة سنية ليرجع عامه هذا، فآثر العودة إلى بلده بما ظفر منهم قائلاً «أرجع إلى اليمامة فأشبع من الأطيبين الزنا والخمر». فلما كان بقاع «منفوحة» رمى به بعيره فقتله. وقد ظلّ قبره بمنفوحة يتنادم عليه الفتيان حينا من الدهر، ويعدونه واحدًا منهم. انظر قصة نهايته وما حولها من أخبار في: [الشعر والشعراء، 159؛ الأغاني، 9/ 125-127] وغيرها من مصادر ترجمته.

أما عن أغراضه الشعرية فلا ريب أن الأعشى كان من أغزر شعراء الجاهلية قريضًا، وأكثرهم تصرّفا فيه؛ فشعره - الذي يبلغ: 2375 بيتا تقريبًا - متنوّع الفنون، متعدّد الأغراض بين: مدح، وهجاء، وعتاب، وغزل، وخمر ومجون، وفخر وحماسة، وقصص تاريخي، وحكمة، ووصف.

ولا ريب كذلك أن أكثر الأغراض شيوعًا في ديوانه، هو فن المديح لحاجة الأعشى إلى المال، وإلحاحه على الحصول عليه، لإرضاء نزواته، وإشباع شهواته كما ذكرنا، ومن ثمّ سعى إلى ممدوحيه مهما نأت ديارهم، واختلفت أجناسهم، معلنا عن ذلك -دون حياء أو خجل - بقوله (ق/ 4، ب: 56-59):

وقد طُفْتُ للمال آفاقه
عُمانَ، فحمص، فأوريشلمْ

أتيتُ النجاشيَّ في أرضه
وأرضِ النبيط، وأرضِ العجم

فنجرانَ، فالسَّرْوَ من حمير
فأيَّ مرامٍ له لم أرُمْ

ومن بعد ذلك إلى حضرموت
فأوفيت همِّي، وحينا أُنَهُمْ

هذا وقد صنع د. محمد حسين في نهاية ديوان الأعشى - ضمن فهارسه، فهرس الفنون العربية والمواضيع التي تضمّنها شعر الأعشى، وبهذه الدقّة المتناهية وهذا العمل الجليل تتّضح وضوحا بيّنا أغراض شعر الأعشى، والمعاني التي يتضمّنها كل غرض منها؛ مما يحملنا بأمانة إلى الاكتفاء بهذه الإحالة. ومنبهين كذلك إلى أنّ الأستاذ فوزي عطوي - في تحقيقه لديوان الأعشى - قد عرض الشعر ثمّة حسب الأغراض «وبذلك يكون. قد قام بعمل جليل، إذ يصل القارئ لما يرد في سهولة ويسر» على حدّ تعبير الباحث السيد علي عثمان في بحثه [الأعشى، حياته وشعره، ص/د].

شهر الأعشى بكثرة قصائده الطوال إذ يبلغ عدد قصائده التي يتجاوز عدد أبياتها 20-38 بيتا؛ (49 قصيدة). وهي قصائد تتعدّد موضوعاتها.

هذا، بينما تتحقّق الوحدة الموضوعية في كل مقطعاته، وعددها 18، وفي الكثير من قصائده القصيرة وعددها 15 .

أما من أهمّ ما يلاحظ على لغة الأعشى وأسلوبه فهو:

- عذوبة ألفاظه وسهولتها، وخفّة أسلوبه، وقرب تناوله، ويسر فهمه. وإن كان لا يخلو من الخشونة والبداوة وعسر الفهم في بعض الموضوعات كالفخر، ووصف الحرب، ووصف الصحراء، وما شابه ذلك.
- كثرة الألفاظ الأجنبية، وبخاصة االفارسية.
- كثرة اعتماده على الوصف والقصص.

- اعتماده أحيانا على الحوار.

هذا ولم تقف هذه السهولة والعذوبة والحيوية على لغته وأسلوبه، بل تمتدّ -كما يقول د. يوسف خليف [الروائع، 520] - إلى معانيه وأفكاره وموسيقاه العروضية «فهم كثير التنوع فيها مع ميل إلى الأوزان القصيرة والمجزوءة في طائفة من قصائده. وقد أضفى ذلك على شعره طابعا موسيقيا لفت أنظار الرواة القدماء، فأطلقوا عليه «صنّاجة العرب» اعترافا منهم بهذه الطاقة الموسيقيّة الضخمة التي كان يمتاز بها، والتي استطاع أن يوفرها لكل ما نظمه من شعر». وانظر الحديث مفصلا عن سماته الفنية في [العصر الجاهلي، 348-365؛ مقدّمة د، محمد حسين لديوان الأعشى، ص: ت - إلخ؛ القيان والغناء، 229-251] وغيرها.

جعله ابن سلام [طبقات فحول الشعراء، 1/ 51] في الطبقة الأولى من الجاهليين مع امرىء القيس، والنابغة الذبياني، وزهير بن أبي سلمى. وهو أشهر هذه الطبقة، وأميرها، لكثرة طواله الجياد، وتصرفه في المديح والهجاء وسائر الفنون [الأغاني، 9/ 109؛ سرح العيون، 414؛معاهد التنصيص، 196] بل هو أمدحهم للملوك وأوصفهم للخمر والحمر [الشعر والشعراء، 163؛ جمهرة أشعار العرب، 80]. بل هو أستاذ الشعراء في الجاهلية على الإطلاق [الأغاني، 9/ 112]، وحسبه قول المفضل الضبي: «من زعم أنّ أحدًا أشعر من الأعشى فليس يعرف الشعر» [جمهرة أشعار العرب، 81]، وحسبه كذلك أنه ما مدح أحدًا إلاّ رفعه ولا هجاه إلاّ وضعه [انظر قصته مع المحلّق الكلابيّ، وعلقمة بن علاّثة وغيرهما في الأغاني، 9/ 113-118؛ سرح العيون، 414 - 415].

ولقد قدّمه أبو عمرو بن العلاء على الشعراء وأوصى بشعره [الأغاني، 9/ 110] بقوله: «عليكم بشعر الأعشى فإنّي شبهته بالبازي يصيد ما بين العندليب إلى الكركيّ». كما قال عبد الملك بن مروان لمؤدب أولاده [جمهرة أشعار العرب، 81]: «أدّبهم برواية الأعشى، فإنّ له عذوبةً يدلّهم على محاسن الكلام، قاتله الله ما أعذب بحره وأصلب صخره!».

آثاره

لقد عرض د، شوقي ضيف [العصر الجاهلي، 339-347] إلى رواية ديوان الأعشى، ومخطوطاته، ونشرة المستشرق جاير، والأساس الذي قامت عليه وما فيه، وما عليها.

كما أشار فؤاد سزكين [تاريخ التراث العربي، 2/ 41-46] إلى رحلة ديوان الأعشى مخطوطا ومطبوعا، وإلى الدراسات والترجمات التي صنعت عنه وإلى ما كتب عن الأعشى بالعربية وغيرها، فنكتفي هنا بالإشارة إليهما، ونركز على طبعات الديوان على النحو الآتي:

1 - كتاب الصبح المنير في شعر أبي بصير ميمون بن قيس، تح. رودولف جاير -بيانه سنة 1927؛ 2 - ديوان الأعشى الكبير ميمون ابن قيس، شرح وتعليق د. محمد حسين القاهرة سنة 1950 م؛ 3 - ديوان الأعشى، تح. فوزي خليل عطوي - الشركة اللبنانية - بيروت، 1966؛ 4 - ديوان الأعشى، دار صادر، بيروت، د. ت؛ 5 ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس، شرحه وقدّم له مهدي

محمد ناصر الدين، ط الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1987؛ 6 - شرح ديوان الأعشى الكبير، تح، د. حنا نصر الحتي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1994م؛ 7 - كتاب شعراء النصرانية في الجاهلية، للأب لويس شيخو، مكتبة الآداب بالقاهرة، 3/ 357-392 .

■ المصادر والمراجع

• لقد كان الأعشى موضع اهتمام القدماء والمحدّثين على السواء ومن ثم كثرالحديث عنه كثرة، نكتفي منها بالإشارة إلى ما يأتي:

• عثمان السيد علي عثمان، الأعشى حياته وشعره، ماجستير من آداب سوهاج سنة 1981؛ • الزركلي، الأعلام، 7/ 341؛ الأغاني، طبعة دار الكتب المصرية، 9/ 108-129؛ • بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، 1/ 147-151؛ • شوقي، ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، الطبعة الثامنة، دار المعارف بمصر، 1977 م، ص 33-365؛ • سزكين، تاريخ التراث العربي، 2/ 40 64؛ • القرشي، جمهرة أشعار العرب، تح. علي البجاوي، نهضة مصر، سنة 1981 م، 202-236؛ • المصري، ابن نباته، سرح العيون، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، 1964، 413-420؛ • الأسد، د. ناصر الدين، القيان والغناء في العصر الجاهلي، ط. الثانية، دار المعارف بمصر، سنة 1968 م، 219-253؛ • العباسي، معاهد التنصيص، تح. محمد محي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، بيروت، 1947 م، 196-202 .

د. محمد عبد الحميد سالم

جامعة عين شمس

القاهرة - مصر

■ الأعظمي، أبو المآثر حبيب الرحمن بن محمد صابر

■ ■ ■

(1319 هـ - 1901 م / 1412 هـ - 1992 م)

هو أبو المآثر حبيب الرحمن بن الشيخ مولانا محمد صابر عناية الله الأعظمي، محدث وفقيه ومحقق هندي.

ولد سنة 1319هـ/ 1901 م في مدينة منو، بولاية يوبي بشمال الهند، ونشأ وترعرع في بيت علم ودين، ويغلب عليه الجد والتحفظ إذ إن والده أيضا كان عالما من علماء الهند، فكان هذا البيت مدرسته الأولى بل أهم مدرسة تكونت فيها عناصر خلقه وروحه. فقد روى زائر له قائلاً: "زرته مرة في بيته (في منو، البلدة الصناعية التي معظم سكانها من المسلمين وهم من طبقة العاملين في معامل

النسيج)، وهو جالس على سريره، عليه المهابة والوقار، نحيف وعجوز، قليل الكلام، أسمر اللون، أبيض اللحية وحوله بعض تلاميذه جالسون في هدوء، ولمست هناك البساطة والمجاملة في العيش، وعدم الاحتفاء بزينة الحياة الدنيا».

أتم دراسته الابتدائية ومبادئ العربية والتجويد والخط على أساتذة بلدته، ثم تتلمذ على كبار العلماء في عصره مثل الشيخ عبد الغفار بن عبد الله، وهو من أجل تلامذة العارف بالله الفقيه المحدث الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي، وتعلم منه اللغة العربية وآدابها والمنطق والفقه والحديث، وكان متفوقا في دراسته. ثم التحق بدار العلوم ديوبند، فأخذ العلم عن العلامة أنور شاه الكشميري، ومولانا سيد أصغر حسين، والمفتي عزيز الرحمن الديوبندي ومولانا شبير أحمد العثماني، ومولانا كريم بخش السنبلي في الحديث، والتفسير، والمنطق، والأدب، والهيئة.

وفي عام 1339هـ/ 1920 م لما فرغ من تحصيل العلوم الإسلامية وحصل على الإجازة من كبار الشيوخ والعلماء في الحديث والتفسير انتدب لتدريس الأدب العربي والفقه الإسلامي في مدرسة دار العلوم بمدينة مئو، ثم انتقل إلى جامعة مظهر العلوم بمدينة بنارس كرئيس لهيئة التدريس فيها. وفي عام 1949هـ تولّى التّدريس في مدرسة مفتاح العلوم، فقام بتطوير هذه المدرسة حتى أنشأها نشأة جديدة وجعلها جامعة للعلوم الإسلاميّة إلى جانب توليه إدارتها. وقد درّس فيها صحيح البخاري وسنن الترمذي لمدة عشرين عاما. كما قام بتدريس البخاري لمدة سنة في ندوة العلماء بلكهنو.

زار مولانا حبيب الرحمن الأعظمي البلاد العربية مرات، إلا أن هدفه من هذه الرحلات لم يكن النزهة أو السياحة، وإنما كان للبحث والتحقيق وللإشراف على طباعة ما حققه من مصنف عبد الرازق، كما سافر إلى الحجاز للحج مرات، وزار الكويت ودمشق وصيدا وبعلبك. ثم قام برحلة أخرى إلى حلب وزار اللاذقية وبلاد الشام، وزار البحرين. وقد حول كل هذه الرحلات إلى حركة فكرية وعلمية ينتفع وينفع بها. فقد استجازه كثير من أهل العلم وأسندوا الحديث إليه واجتمع في هذه الرحلات بعلماء الإسلام من أمثال الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر الأسبق، والشيخ عبد العزيز بن باز، والشيخ حسن المشاط، والشيخ محمد حسنين المخلوف، والعلامة خير الدين الزركلي، والشيخ مصطفى الزرقاء، ومفتي الجمهورية اللبنانية الشيخ حسن خالد (الذي استقبله في دار الإفتاء استقبالا حارا وأهداه تأليفه «الشهيد في الإسلام»).

لم يكن مولانا الأعظمي في معزل عن العمل العام تماما فقد اختاره حزب المؤتمر الهندي لترشيحه لعضوية المجلس التشريعي بولاية اترابراديش لخمس سنوات منذ سنة (1369هـ/ 1952م)، كما أصبح عضوا لمجلس الشورى في دار العلوم بديوبند (1373هـ/ 1953م) إضافة إلى عضويته في جمعية علماء الهند والهيئات العلمية الأخرى في العالم.

قدّرت الهند جهوده فتوجتها بمنحه جائزة

الدولة التقديرية في عام 1985م اعترافا بخدماته الجليلة في مجال الحديث والعلوم الإسلامية الأخرى. يقول عنه عبد الحليم محمود شيخ الأزهر الأسبق: «أشهد بأنه إن كان في العالم كله أحد يستحق أن يلقب بالمحدث الأعظم فهو مولانا حبيب الرحمن الأعظمي». وقال عنه المحقق المصري الكبير محمود محمد شاكر: «مولانا حبيب الرحمن الأعظمي - كما رأيت من عمله - أعظم العلماء في هذا العصر».

وفي الحادي عشر من شهر رمضان المبارك عام 1412هـ/ السادس عشر من مارس عام 1992م انتقل العالم المحقق والمحدث والفقيه حبيب الرحمن الأعظمي إلى رحمة الله عن عمر ناهز التسعين بعد أن عاش للعلم والمعرفة، وتحقيق كتب الأحاديث النادرة وإخراجها إلى النور، ووضع تآليف كثيرة في مختلف المواضيع الهامة بالعربية والأردية.

آثاره

يمكن أن نقسم آثاره العلمية إلى أربعة أقسام:

1 - مقالاته العلمية التي نشرت في المجلات الأدبية والعلمية الكبري باللغة الأردية، مثل مجلة «المعارف» الصادرة في مدينة أعظم كره، ومجلة «البرهان» الصادرة في دلهي، ومجلة «دار العلوم» في ديوبند، ومجلة «العدل» في كوجرانوالا، ومجلة «الفرقان» في بريلي ولكهنو، ومجلة «البلاغ» في بومباي، ومجلة «النجم» في لكهنو.

2 - الكتب التي حققها وقام بالتعليق عليها وهي:

1 - المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، للحافظ ابن حجر العسقلاني، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، الكويت 1390هـ/ 1970م؛ 2 المسند للحميدي، حيدر آباد، الهند، 1383هـ/ 1952م؛ 3 - كتاب الزهد والرقائق لعبد الله بن المبارك، في 11 جزءا و1627 حديثا، المطبعة العلمية ماليكاوْن، الهند، 1385 هـ/ 1965 م؛ 4 - المصنف لعبد الرازق، في 11 مجلدًا»، دار القلم، بيروت 1390 هـ / 1970 م؛ 5 - مسند أحمد، نشر هذا الكتاب المحقق المصري الشهير الشيخ أحمد محمد شاكر مع تعليقات له فعقب عليه مولانا الأعظمي، وصحّح النسخ الخطية وزيّن الحواشي بتعليقاته العلمية الدقيقة فنالت قبولا واستحسانا لدى معظم المحققين وعلماء الحديث، واعترفوا بفضله وتبحّره في هذا الفنّ. وقد أرسل له المحقق أحمد محمد شاكر بهذه الرسالة: «حضرة الأخ العلامة الكبير المحقق الأستاذ حبيب الرحمن الأعظمي، جاءني كتابكم الأول النفيس. أما استدراكاتكم فكلها نفيسة عالية ولا أقول هذا مجاملة ... وأشكركم خالص الشكر عن هذه العناية المجيدة وأرجو أن تزودوني بإرشاداتكم خدمة للسنة النبوية المطهرة، وأنتم كما رأيت من عملكم من أعظم العلماء بها في هذا العصر. فالحمد لله على توفيقكم... ثم أكرر الرجاء أن لا تحرموني من آرائكم النيرة وتحقيقاتكم النفيسة حفظكم الله وبارك فيكم»؛ 6 - سنن سعيد بن منصور، في مجلدين، طبعا في ماليكاوْن، في الهند في عام 1388هـ؛ 7 - انتقاء الترغيب والترهيب لابن حجر، طبع في

ماليكاؤن، الهند عام 1380هـ/ 1960 م؛ 8 - تلخيص الخواتم جامع الأصول، للمحدث محمد طاهر الفتني، طبع في ماليكاؤن، الهند؛ 9 - كشف الأستاذ من زوائد مسند البزاز للهيثمي، أربعة مجلدات نشرتها مؤسسة الرسالة، دمشق 1399هـ؛ 10 - كتاب الثقات لابن شاهين «معد» للطبع؛ 11 - المصنف لابن أبي شيبة، صدر منه إلى الجزء الخامس، نشر المكتبة الإمدادية بمكة المكرمة؛ 12 - المصنف لابن أبي شعبة (لم يكن مقدّراً لهذا الكتاب أن يرى النّور حيث إنّ الأجل وافاه فحال دون ذلك).

3 ـ الكتب المؤلفة باللغة العربية:

13 - الحاوي لرجال الطحاوي (هذا عمل مبتكر لم يسبقه أحد إلى التعريف برجال مشكل الآثار)؛ 14 - الإتحافات السنية بذكري محدثي الحنفية (لم يطبع).

4 ـ الكتب الأردية للمؤلف في رد المعارضين:

15- نصرة الحديث، في الاحتجاج بالحديث والرد على منكري الحديث؛ 16 - أعيان الحجاج (في مجلدين)؛ 17 - ركعات التراويح؛ 18 - ركعات التراويح مذيل برد أنوار مصابيح؛ 19 - الشارع الحقيقي؛ 20 - أحكام النذر لأولياء الله؛ 21 - الأعلام المرفوعة في حكم الطلقات المجموعة؛ 22 - الأزهار المربوعة في رد الآثار المتبوعة؛ 23 - تحقيق أهل الحديث؛ 24 - دفع المجادلة عن آية المباهلة؛ 25 - إرشاد الثقلين بجواب اتحاد الفريقين؛ 26 - التنفيذ السديد على التفسير الجديد؛ 27 - ابطال عزا داري؛ 28 - تعزية داري؛ 29 - دليل الحجاج (رهبر حجاج)؛ 30 - رد تحقيق الكلام (لم يطبع)؛ 31 - رجال البخاري (ألفه بناء علي طلب العلامى السيد سليمان الندوي)؛ 32 - دست كار أهل شرف، يؤكد مولانا الأعظمي في هذا الكتاب بأنّ المعيار الحقيقي لمكسب شرعي وشريف بموجب الأحكام الإلهية هو الخوف من الله والتمسك بصراط رسمه سبحانه وتعالى. ويدحض مولانا الأعظمي معايير الشرف التي وضعها الغرب.

المصادر والمراجع

● سراج الحسن، المحدث الأعظم، مجلة ثقافة الهند، المجلد 43، العدد 1، 1992 م؛ ● الزركلي، الأعلام، ط. 14، دار العلم للملايين، بيروت 1999.

د. جلال السعيد الحفناوي

جامعة نور مبارك ـ قازاقستان

الأعلم البطليوسي، أبو اسحاق إبراهيم بن محمد

(... هـ / ... م - 637 هـ/ 1239م)

إبراهيم بن محمد بن إبراهيم، يكنّى أبا إسحاق، ويعرف بالأعلم: أديب، لغوي، مقرىء؛ ويرد أيضًا في بعض المصادر على أنه إبراهيم بن القاسم. ولد بمدينة بطليوس Badajoz، في غرب الأندلس، وسكن في إشبيلية Sevilla.

ولد إسحاق ببطليوس ولا تذكر كتب التراجم تاريخ ولادته. وتوفي بإشبيلية سنة سبع وثلاثين وستّ مائة للهجرة الموافق لسنة أربعين ومائتين وألف ميلاديا [الأعلام 1/ 60؛ التكملة، 1/ 180]، وتتردّد مراجع أخرى بين سنتي إثنتين وأربعين وستّ وأربعين بعد الست مائة [المغرب، ص369؛ الكنى والألقاب، ج 2؛ معجم المؤلفين، 1/ 75؛ كشف الظنون، 1/ 288؛ بغية الوعاة، 1/ 422].

روى عن أبيه وعن أبي زيد المعروف بابن الجنديرة في بطليوس. وعن أبي الحسن بن سليمان المقرىء ولازمه كثيرًا. وقرأ النحو بشكل خاص على الأستاذ النحوي هذيل بن محمد بن هذيل الأنصاري الإشبيلي، الذي كان لطيفًا، كثير النوادر. فأخذ عنه علم العربية، وحكى الكثير من نوادره أيضًا، وكان ينزع منزعه في موارده ومصادره [ابن سعيد، اختصار القدح المعلى، 157]. وكان على اتصال بأبي بكر محمد بن زهر، صاحب الموشحات المعروف، الذي عاش صدرًا من حياته بالأندلس وبقيتها في مراكش وتوفي سنة 595هـ/ 1198م. وقد نقل عنه، كما أشار المقري بعض آرائه وتقويماته للوشاحين بالأندلس، [نفح الطيب، 7/ 5/ 7].

أخذ عنه أحمد بن يوسف الفهري اللبلي (ت 691هـ/ 1292م) صاحب العديد من التصانيف في اللغة، وعلي بن سعيد المغربي (ت 685هـ/ 1286م)، ويعد من أبرز تلاميذ إبراهيم البطليوسي، فقد قرأ عليه بإشبيلية، ولازمه مدة طويلة. وحينما غادر ابن سعيد إشبيلية، كان البطليوسي من أشهر المتصدرين للإقراء في هذه المدينة. وينتقد ابن سعيد أستاذه بسبب عدم تواضعه، وتعاليه، فيقول: «قرأت عليه مدة ما شاء اللّه من كتب، ووقفت على جملة من تصانيفه التي كان يزعم أنه لم يخلق اللّه تعالى من يصنّف مثلها في فنون العرب» [ابن سعيد اختصار القدح المعلى، 157]. كذلك يأخذ عليه، ضيق خلقه، وصعوبة التعامل معه، قائلا: إنه لم ير في أشياخ الأدباء أصعب خُلُقًا منه. ويورد في ذلك أمثلة منها، أنه كان يغضب حتّى من طيران الذباب حوله، ويضرب من يلمزه أو يبتسم من حركاته أو كلامه. ومما يشير أيضا إلى شدة تبرمه وشكاسة خُلقه أنه قال شعرًا في هجاء إشبيلية، المدينة الجميلة، التي لم يقل أحد من الشعراء شعرا في هجائها أو تفضيل بلد آخر عليها.

آثاره

اشتهر البطليوسي بكثرة تصانيفه التي بلغت نحو خمسين مؤلفًا [المقري، نفح الطيب، 3/ 452] منها:

1 - شرح الإيضاح للفارسي؛ 2 - شرح الجمل للزجاجي؛ 3 - شرح الكامل للمبرد؛ 4 - شرح الأمالي للقالي؛ 5 الجمع بين الصحاح للجوهري والغريب المصنف. وقد كان له اهتمام بالتاريخ أيضًا، فألف: 6 - تاريخ بطليوس، أو في أهل بطليوس [ابن الأبار، التكملة، 1/ 170]. هذه الكتب تعد الآن في عداد المفقودات، وليس لدينا عنها، سوى هذه الإشارات العابرة، وشهادة ابن سعيد التي تقول إنه وقف على جملة منها، ولكنه مع ذلك لا يشير إلى أسمائها أو موضوعاتها.

المصادر والمراجع

● ابن الأبار، محمد بن عبد الله القضاعي (ت 658هـ/ 1260م)، تكملة التكملة، جزءان مكتبة الخانجي، مصر؛ ● ابن سعيد، موسى (ت 673هـ/ 1275م)، اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى، تح إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني بيروت، ط2، 1980؛ ● ابن سعيد (ت685هـ/ 1286م) وجماعة من المؤلفين، المغرب في حلى المغرب، تح. شوقي ضيف، دار المعارف بمصر 1953؛ ● ابن الخطيب، لسان الدين (ت 776هـ/ 1374م)، الإحاطة في أخبار غرناطة، تح. محمد عبد الله عنان، ط2، 1973، الشركة المصرية للطباعة والنشر القاهرة، 4 أجزاء؛ ● السيوطي، جلال الدين (ت 911هـ/ 1505م)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جزءان، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، 1979، دار الفكر؛ ● حاجي خليفة (ت 1067هـ/ 1657م)، كشف الظنون، مكتبة المثنى بغداد، ج 1/ 2؛ ● القمي، الشيخ عباس (ت 1359هـ/ 1940م)، الكنى والألقاب، ج2، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط2، 1983؛ ● كحالة، رضا، معجم المؤلفين، المكتبة العربية بدمشق مطبعة الترقي 1957؛ ● الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، ط10، 1992؛ ● الطيار، رضا عبد الجليل، الدراسات اللغوية في الأندلس، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق 1980، دار الرشيد للنشر.

د. عبد الواحد ذنون طه

جامعة الموصل ـ العراق

د. زكية السائح دحماني

جامعة تونس

الأعلم الشنتمري، أبو الحجاج يوسف بن سليمان

(410 هـ/ 1019م - 474 هـ/ 1084م)

هو يوسف بن سليمان بن عيسى بن سليمان وكنيته أبو الحجّاج. وقد اشتهر باسم «الأعلم الشنتمري». سمّي الأعلم لأنه كان مشقوق الشفة العليا شقًا واسعا. و«الشنتمري» نسبة إلى مسقط رأسه «شنتمرية الغرب Agarve de Maria santa»، وهي مدينة في الجنوب الغربي من الأندلس. تقع على ضفاف المحيط الأطلسي فيما بين «شلب» Silves وإشبيلية. وتسمّى عليه Faro، وتتبع المنطقة الجنوبية من بلاد البرتغال. وتقابلها في الشرق مدينة أندلسية أخرى تدعى «شنتمرية الشرق»، وتسمى أيضا بني رزين، وتنطق بغير العربية «ألبراسين» albarracin [دائرة المعرف الإسلامية، ط جديدة IX/ 315-317 شنتمرية الشرق - شنتمرية الغرب].

ولد أبو الحجاج في مدينة «شنتمرية الغرب»، وبها نشأ وشبّ وتعلّم. ولكنّنا لا نعرف شيئا يذكر عن دراسته، وعمّن تعلّم من الشيوخ في هذه المرحلة الغامضة من حياته. ومن المفروض أن يكون قد حصل في موطن صباه على جملة من المعارف الأساسية في علوم العربيّة والرواية والأدب على طريقة أهل زمانه. وقد يكون استكمل تعلّمه في مرحلة لاحقة بمدينة شلب Silves الواقعة على بعد ثمانية وعشرين ميلا من مسقط رأسه، والتي كان يسكنها عرب فصحاء من اليمن وغيرها. ولكنّنا لا نتوفر على دليل قويّ يؤكد هذا الرأي. [شرح حماسة أبي تمام، مقدمة التحقيق ص11].

ثم رحل إلى قرطبة سنة 433 هـ/ 1041م، وله من العمر آنذاك أربع وعشرون سنة، واستقر بها إلى حدود 440هـ/ 1048م. وقرطبة في هذه الفترة يحكمها بنو جهور، وقد احتفظت في عهدهم بمنزلتها العالية بين الحواضر الأندلسية. ووجد الأعلم في رحابها شيوخا مرموقين، فأخذ عنهم اللّغة والنحو والأشعار والأخبار وأنساب العرب؛ وسرعان ما ظهرت عليه علامات النبوغ، فألّف أوّل كتبه الموسوم بـ «كتاب النكت في تفسير المخفي من كتاب سيبويه».

وأشهر شيوخه في هذه الفترة ثلاثة هم: أبو بكر مسلم بن أحمد الأفلح النحوي الأديب (ت 433هـ) قرأ عليه الأعلم كتاب سيبويه، وأدب الكاتب لابن قتيبة، وديوان الحطيئة. ولكن حياة الشيخ لم تطل إذ توفي بعد أشهر من حلول الأعلم بقرطبة، ومع ذلك فقد كان تأثيره في بناء شخصيته العلمية قويًا؛ وأبو القاسم بن محمد بن زكريا المشهور بابن الإفليلي (ت441 هـ)، وهو عالم متميّز وأديب مشهور، شهد له بالتفوّق في ضبط غريب اللّغة في الشعر الجاهلي والإسلامي.. روى عنه الأعلم كتاب «الغريب المصنّف» وأشعار أبي تمام وغيرها. وأبو سهل يونس بن

محمد بن يونس الحراني الجذامي (ت442هـ)، اشتهر باسم الوزير، روى عنه الأعلم خاصة ديوان الشعراء الستة الذين شرح شعرهم، التي شرحها، وجملة من دواوين الجاهليين والمخضرمين.

ولقد كان لهؤلاء الشيوخ تأثير عميق في شخصيّة الأعلم التي طبعت على الذكاء ونفاذ البصيرة وقوّة الحافظة، فصار بذلك إمام النحاة في زمانه، وراوية شهيرا لعدد هائل من كتب اللّغة والنحو ودواوين الشعر.

وازداد نجمه سطوعا فغادر قرطبة سنة 400هـ/ 1048م واستقرّ بإشبيلية على مدى خمس وعشرين سنة تعدّ أخصب فترة في حياته. واتّصل أوّل الأمر بالمعتضد بن عبّاد فلقي في كنفه الحظوة والمكانة العالمية، ثم لمّا آل الأمر إلى ابنه المعتمد سنة 446 هـ. كانت شهرة الأعلم قد طبقت الآفاق، وأصبح حجّة في أمّهات القضايا اللغويّة والنحوية، وأستاذا مرموقا يتزاحم على حلقات دروسه الطلبة من سائر الأصقاع الأندلسية، ومن مختلف المستويات الاجتماعية، وظلّ كذلك إلى أن أصيب بالعمى في آخر حياته.

وتخرّج عليه كثيرون صاروا فيما بعد أعلاما في النحو والأدب والشعر، منهم النحويّ المعروف بابن الطراوة (ت 528هـ)، والشاعر البارع ابن عبدون (ت 541هـ)، صاحب الرائية المشهورة في رثاء بني الأفطس.

وإلى جانب الاضطلاع بمهمّة التدريس كان للأعلم نشاط كثيف في تأليف الكتب، بدأ في قرطبة بشرح كتاب سيبويه، وسمّاه «كتاب النكت في تفسير الخفي من كتاب سيبويه».

ثم ألّف أثناء إقامته بإشبيلية على عهد المعتضد خاصّة، أي قبل أن يضعف بصره، كثيرا من المصنّفات في النحو واللّغة وشرح الأشعار القديمة والدواوين المولّدة. ومازالت آثاره تشدّ اهتمام الدارسين إلى اليوم، فامتدّت يد التحقيق والطبع إلى بعضها، فيما بقي الكثير منها مدفونا في خزائن المخطوطات، أو مفقودا في غياهب الضياع.

آثاره

1 ـ من تآليفه المطبوعة:

1- كتاب النكت في تفسير الخفي من كتاب سيبويه، حقّقه زهير عبد المحسن سلطان ضمن منشورات معهد المخطوطات العربية، الكويت، 1987؛ 2- شرح شواهد سيبويه، وسماه «تحصيل عين الذهب من معدن جواهر الأدب في علم مجازات العرب»، وقد أتمّه عام 457هـ/ 1064م؛ حققه وعلق عليه الباحث زهير عبد المحسن سلطان، ونشره سنة 1992 بدار الشؤون الثقافية العامة، بغداد؛ 3- شرح ديوان الشعراء الستة، وهم امرؤ القيس والنابغة الذبياني وعلقمة الفحل وزهير بن أبي سلمى وطرفة بن العبد وعنترة ابن شدّاد. طبع الكتاب في جزئين، طبعة أولى ثم ثانية سنة 1403هـ/ 1983م، ضمن منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت. ثم طبع فيما بعد ديوان كلّ شاعر من الشعراء الستّة المذكورين على حدة؛ 4 - شرح حماسة أبي تمّام، تح. علي المفضل حمّودان، مطبوعات مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي سنة 1413هـ/ 1992م، و التحقيق جزء من رسالة لنيل شهادة الدكتوراه من جامعة القاهرة؛ 5 - الفرق بين المسهب والمسهَب، وهو

جواب عن سؤال وجّهه المعتمد بن عباد إلى الأعلم وقد أورد المقري هذا الجواب في إنفح الطيب، ج 4/ 77]؛ 6- المسألة الزنبورية، أجاب فيها الأعلم عن أسئلة تتعلّق بنسب سيبويه، وسبب ملازمته للخليل بعد أن كان منصرفا إلى الحديث، وكذلك بالمناظرة المعروفة، وقد أملى هذه الرسالة في شهر صفر 476هـ قبيل وفاته [المقري، نفح الطيب، ج 4/ 77].

2 ـ أما مؤلفاته المخطوطة فتتمثل في:

6- شرح شواهد الجمل، حقّقه السيد عبد الكريم الشريف لنيل شهادة الماجستير من جامعة الإسكندرية، ولم يطبعه؛ 7- حماسة الأعلم الشنتمري، توجد نسخة منه في مكتبة حسن حسني عبد الوهاب، دار الكتب الوطنية، تونس، تحت رقم 756؛ 8- شرح شعر أبي تمام، تتوفّر في مكتبة حسن حسني عبد الوهاب قطعة منه تتضمّن شرحا لثلاث قصائد، وهي محفوظة في دار الكتب الوطنية بتونس تحت رقم 18377؛

3 ـ ونسبت كتب التراجم للأعلم كتبا لم يعثر لها على أثر منها:

9 شرح جمل الزجّاجي؛ 10 فهرست الأعلم الشنتمري؛ 11- المسألة الرشيدية؛ 12- المخترع في النحو؛ 13- معرفة الأنواء؛ 14- مختصر الأنواء؛ 15- معرفة حروف المعجم؛ 16 شرح قصائد الصبا في شعر أبي الطيب المتنبي، وقد يكون هذا الكتاب الأخير لشيخه ابن الإفليلي وساعده الأعلم في إنجازه.

المصادر والمراجع

● ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج. 2/ 474، 484، تح. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1978؛ ● ابن خير الإشبيلي، فهرست ابن خير، ص 314-315، فرنسيسكو كديرة ومن معه، المكتب التجاري، بيروت، 1963؛ ● ابن بشكوال، الصلة، ص 643، عز الدين العطار، القاهرة 1955؛ ● ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج 6/ 2848، إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي؛ ● القفطي، إنباه الرواة، ج. 4/ 59، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية، 1950-1955؛ ● ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ص 43، ط ابن أبي الشنب، الجزائر 1919؛ ● ابن خلّكان، وفيات الأعيان، ج 7/ 81، تح. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت؛ ● اليافعي، مرآة الجنان، 3/ 159-160، حيدر آباد، 1338هـ؛ ● الصفدي، نكت الهميان في نكت العميان، 313، تح. أحمد زكي، المطبعة الجمالية، القاهرة، 1911؛ ● السيوطي، بغية الوعاة، 2/ 356، محمد أبو الفضل إبراهيم، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، 1964-1965؛ ● المقرّي، نفح الطيب، 4/ 32، 35، 74، 79، تح. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968؛ ● حاجي خليفة، كشف الظنون، مجلّد 1/ 604-692، إستنبول 1941؛ ● ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج 3/ 403، مكتبة القدسي، القاهرة، 1350؛ ● إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين، مجلد 2/ 551، إستنبول، 1955، منشورات مكتبة المثنى، بغداد؛ ● بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج 5/

352، تح. عبد الحليم النجار، القاهرة، 1959-1963؛ • دائرة المعارف الإسلامية، جديدة XI/ 315؛ • الزركلي، الأعلام، ج. 8/ 233، الطبعة 14، دار الملايين، بيروت؛ • محمد رضا كحالة، معجم المؤلفين، 13/ 302، مطبعة الترقي دمشق، 1961؛ • شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص ص 293-294، دار المعارف بمصر، 1968؛ • سلطان زهير عبد المحسن، مقدمة تحقيق «النكت في تفسير كتاب سيبويه» للأعلم، منشورات معهد المخطوطات العربية، الكويت، 1987؛ • سلطان زهير عبد المحسن، مقدمة تحقيق «تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الآداب في علم مجاوزات العرب»، للأعلم، ص 4-84، ط 1، 1992، دار الشؤون الثقافية العامة، آفاق عربية بغداد؛ • علي المفصل حمودان، تحقيق شرح حماسة أبي تمام، للأعلم، مقدمة التحقيق، ص ص7-40، مطبوعات مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي، 1413هـ/ 1992م.

د. الشاذلي الهيشري

الجامعة التونسية

ابن الأعلم، أبو القاسم علي بن الحسن العلوي

(... هـ / ... م - 375 هـ/ 986م)

علي بن الحسن العلوي البغدادي، يُكنى بأبي القاسم ويعرف بابن الأعلم، عالم فلكي، ولد ونشأ في بغداد، وهو من الأشراف العلويين، وينتمي في نسبه إلى جعفر بن أبي طالب (الطيار). عاش في بغداد أيام تسلط البويهيين على الخلافة العباسية. وقد نال حظوة ومنزلة لدى بعض أمرائهم، مثل الأمير عضد الدولة خسرو شاهنشاه بن بويه (367-372هـ/ 978-983م)، الذي كان مهتما بدراسة العلوم، لا سيما الفلك، وكان يفتخر بدراسته لهذه العلوم على كبار علماء عصره أمثال عبد الرحمن الصوفي الذي درس عليه الكواكب الثابتة وأماكنها، والشريف علي بن الحسن المعروف بابن الأعلم، الذي درس عنه علم الأزياج، وهو فرع من فروع علم الفلك.

وكان ابن الأعلم قد اشتهر بمعرفته لعلم الهيئة (الفلك)، وصناعة التسيير، أي حساب مدى اقتراب بعض الكواكب والنجوم من بعضها البعض، وأثر ذلك في طوالع السعد والنحس التي تصيب البشر على الأرض. واشتهر بشكل خاص بسبب عمله لزيجه المشهور؛ والزيج، وجمعه أزياج، عبارة عن جداول فلكية تختص بحركات الكواكب وأوقات ظهورها وسرعتها، ومواضعها في

أفلاكها لأي وقت مفروض، ويتم إعداد الزيج من خلال الأرصاد الجوية. وأصل لفظ (الزيج=الزيك) من اللّغة البهلوية التي كان الفرس يستخدمونها في زمن الساسانيين، ويقصد به السدى الذي تنسج فيه لحمة النسيج، ثم أطلق على الجداول العددية، لمشابهة خطوطها الرأسية لخطوط السدى. وكتب الأزياج تشتمل على جميع الجداول الرياضية التي يبنى عليها كل حساب فلكي، مع إضافة قوانين عملها. ولم يكن ابن الأعلم، أول من ألف في هذا المجال، فقد سبقه الكثير من العلماء المسلمين الذين اشتهرت أزياجهم، مثل زيج محمد بن موسى الخوارزمي (ت 232هـ/ 846م)، وزيج محمد بن خالد بن جابر بن سنان البتاني (ت 317هـ/ 929م)، وزيج الممتحن لابن حبش الذي عاش في عصر المأمون والمعتصم، وزيج الحسن بن محمد الآدمي، وغيرهم. ولكن زيج ابن الأعلم، اشتهر في عصره، وأصبح عليه العمل، لفترة طويلة امتدت حتى القرن السابع الهجري [القفطي، أخبار الحكماء، ص235].

ويشير البيهقي (ت 565هـ/ 1169م) إلى فقدان هذا الزيج، باستثناء نسخة سقيمة منه، بسبب قيام ابن الأعلم بإلقائه في الماء. وهو يشير إلى «نَزق» هذا العالم. ويذم أخلاقه، ويصفها بأنها «أخلاق المجانين». وربما يرجع سبب التغير الحاصل في تصرفاته، إلى أنه وبعد وفاة عضد الدولة، لم يلق الاهتمام الكافي، وربما لقي الإهمال من قبل صمصام الدولة الذي تولى الأمور بعد وفاة والده، فتدهورت أحوال ابن الأعلم وتأخر أمره، وكف عن التردد إليهم، وأقام منقطعا عن الناس. متمثلاً بمقولة حكيمة، يبدو أنه طبقها على نفسه: «كن إمّا مع الملوك مكرّما وإمّا مع الزهاد متبتلاً». وقد استغرب البيهقي منه هذا الكلام الرصين، وعدها رمية من غير رام من ابن الأعلم [تاريخ حكماء الإسلام، ص90]. ولكن هذه الحكمة بالذات تعبر عن واقع حال الرجل، وأنه لم يكن كما صوّره البيهقي، بدليل علمه ومؤلفاته، ودراسة عضد الدولة على يديه. وأخيرًا فقد اختتم حياته بأداء فريضة الحج، وتوفي بعد مغادرته مكة في منزلة قريبة تعرف بالغُسَيلة، وهي ماء في جبل القَنان شرقي سميراء، يوم الأحد الثامن من المحرم سنة 375هـ/ 986م.

آثاره

إضافة إلى نبوغ ابن الأعلم في علم الفلك، كان أيضا عالمًا بالهندسة وأجزائها، وعارفًا بالقانون الفيثاغوري من الموسيقى. ولكن مؤلفاته اقتصرت على الفلك، منها: 1 - كتاب في أحكام النجوم؛ 2 - رسالة في النجوم؛ 3 - الزيج الذي سلف عنه.

المصادر والمراجع

● البيهقي، تاريخ حكماء الإسلام، تح. محمد كرد علي، دمشق 1946، مطبعة الترقي، ص90؛ ● ياقوت، معجم البلدان، بيروت 1977، دار صادر، 4/ 125؛ ● القفطي، أخبار العلماء بأخبار الحكماء، ليبزك 1903، ص235؛ ● ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، بيروت

1983، دار الرائد اللبناني، ص304؛ ● البغدادي، هدية العارفين، إستانبول 1955، 1/ 682؛ ● الزركلي، الأعلام، ط14، بيروت 1999، دار العلم للملايين، 6/ 272.

أ.د. عبد الواحد طه ذنون
جامعة الموصل - العراق

الأعمش، أبو محمد سليمان بن مهران

(61 هـ/ 680م - 148 هـ/ 765م)

هو أبو سليمان بن مهران، الأعمش. لقب بذلك لأنه كان أعمش. والعمش فساد في العينين يسيل الدمع، مع ضعف في الإبصار، مقرئ، محدث، فرضي. تباينت الروايات في تحديد مكان ولادته، فبعضها يفيد بأنها كانت في دونباوند أو دباوند، وهي قرية من رستاق الريّ، في الجبال، شمال بلاد إيران. وبعضها يفيد بأنها كانت في قرية (أمه)، من أعمال طبرستان. وقدموا به إلى الكوفة طفلا، وقيل: جاء حميلا، فولد بها. لذا كان يعرف بالكوفي [طبقات ابن سعد، 6/ 343؛ تاريخ بغداد، 9/ 3؛ وفيات الأعيان، 2/ 400؛ سير الذهبي، 6/ 227].

واتفق مترجموه على أن ولادته كانت في المحرم من سنة 61 للهجرة، ليالي قتل الحسين بن علي عليه السلام [م.س.]. وكان الأعمش من سبي الديلم، ومولى لبني كاهل، من بني أسد، فورث عنه ابنه هذا الولاء [م.س؛ تاريخ الذهبي، 6/ 76]. وقد هيأت له نشأته في الكوفة «بلاد الأدب ووجه العراق، ومنزل خيار الصحابة وأهل الشرف [معجم البلدان، 4/ 324]، وإقامته بها الأخذ عن طائفة من حملة القرآن ورواة الحديث والفقهاء وأصحاب الفرائض، وفيهم تابعون كبار أم. س؛ التهذيب، 4/ 223].

أخذ الأعمش القراءة عرضا عن إبراهيم النخعي، وزرّ بن حُبيش، وزيد بن وهب، وعاصم بن أبي النجود، ويحيى بن وثّاب، ومجاهد بن جبر، وأبي العالية الرياحي، وأبي حصين؛ وأخذ الحديث عن سعيد بن جبير، وإبراهيم النخعي، وعبد الله بن أوفى، وإبراهيم التيمي، وعمارة بن عمير، وغيرهم.

وروى القراءة عنه عرضا وسماعا حمزة الزيّات، ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، وجرير بن عبد الحميد، وأبان بن تغلب، وزائدة بن قدامة، وآخرون. وأخذ الحديث عنه كثيرون منهم: أبو إسحاق السبيعي، وسفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، وسليمان التيمي، وشعبة بن حجاج، وآخرون [سير الذهبي، 6/ 922؛ طبقات ابن الجزري، 1/ 315].

في شخصية الأعمش جانبان قد يبدوان متعارضين في ظاهرهما، فهو في جانب من سلوكه يبدو صارما صريحا، لا يرائي ولا يداهن أحدا حين يراه يفتقر إلى الظرف واللياقة، مما أثار بعض معاصريه فوصفه بأنه كان عسرا، سيئ الخلق [تاريخ بغداد، 9/ 5] فقد كان يضيق بلجاجة بعض الفتيان من حملة الصحف ونقلة الأخبار فينهرهم ويشتد عليهم معنفا ويقول: والله لا تأتون أحدا إلا حملتموه على الكذب [طبقات ابن سعد، 6/ 342]. ويشتد الأعمش على من يراه يجاوز الصواب إلى ما يمكن أن يمسّ سلامة المعتقد ونقاء الإيمان. فقد بعث إليه والي الكوفة، عيسى بن موسى، بألف درهم وصحيفة ليكتب له فيها حديثا، دون أن يحضر مجلسه، فكتب إليه الأعمش سورة الإخلاص، وبعث بها إليه. وحين عنّفه الوالي على ذلك كتب الأعمش إليه: «أفظننت أني أبيع الحديث"؟ ولم يكتب له، وحبس المال لنفسه، وله في ذلك حكايات كثيرة مع الولاة والرؤساء، حتى قال معاصره عيسى بن يونس: «ما رأيت الأغنياء والسلاطين عند أحد أحقر منهم عند الأعمش، مع فقره وحاجته» [حلية الأولياء، 5/ 47؛ م. س].

ومن جانب آخر تتجلى روح الظرف والدعابة والمرح والفكاهة عند الأعمش حتى وصف بأنه كان، مع جلالته في العلم والفضل، صاحب ملح ومزاح، وأنه كان لطيف الخلق مزّاحا، حتى أن ابن طولون الشامي صنّف في ذلك كتابا سمّاه «الزهر الأنعش في نوادر الأعمش» [الكنى والألقاب، 2/ 45؛ م. س]. وله في ذلك حكايات كثيرة مروية، منها أن رجلا جاءه وكان نبيلا كبير اللحية فسأله عن مسألة خفيفة في الصلاة، فالتفت الأعمش إلى جلسائه فقال: انظروا إليه! لحيته تحتمل حفظ أربعة آلاف حديث، ومسألته مسألة صبيان الكتاب [م. س].

إلى جانب هذه الموازنة بين الجدّ والصرامة من جهة، والظرف والدعابة من جهة أخرى، كان الأعمش على قدر كبير من الدقة والأمانة في التقيد بحدود الفرائض والعبادات، فقد حدّث وكيع بن الجراح (ت 197هـ) معاصره فقال: كان الأعمش قريبا من سبعين سنة لم تفته التكبيرة الأولى، واختلفت إليه قريبا من ستين سنة فما رأيته يقضي ركعة [م. س].

وكان يحيى القطان يقول فيه: كان من النسّاك، وكان محافظا على الصلاة في جماعة، وعلى الصف الأول. قال: وهو علامة الإسلام. وقيل أيضا: مات الأعمش يوم مات، وما خلّف أحدا من الناس أعبد منه [م. س].

وكان نسك الأعمش وزهده سببا في تبسطه في ملبسه وعدم اهتمامه به، حتى بلغ حدّا لفت اهتمام أصحابه واعتراض بعضهم. فقد روى الأعمش أن مالك بن الحارث استعان به في حاجة، فجاء في قباء مخرّق، فقال له مالك: لو لبست ثوبا غيره، فقال له الأعمش؛ امش، فإنما حاجتك بيد الله. فكان مالك يقول في المسجد: ما صرت مع سليمان إلا غلاما [سير الذهبي، 6/ 228]. وكان الأعمش يقول: لولا القرآن وهذا العلم عندي لكنت من بقّالي الكوفة .[م. س].

استطاع الأعمش بما رزق من ذكاء وفطنة

واعية أن يتمكن من أركان العلم الثلاثة في عصره، فكان كما قيل فيه، صاحب قرآن وفرائض وعلم بالحديث. وأنه كان محدث أهل الكوفة في زمانه، وكان فصيحا لا يلحن حرفا، وأنه كان أقرأ الناس للقرآن، وأعرفهم بالفرائض، وأحفظهم للحديث [تاريخ بغداد، 9/ 3]. وإذا سمع شعبة (ت 160هـ) ذكر الأعمش قال: المصحف، المصحف لأن الأعمش كان يسمّى المصحف، من صدقه [تهذيب التهذيب، 4/ 223؛ تذكرة الحفاظ، 1/ 154]، وكان معاصروه يسمونه سيد المحدثين [تاريخ بغداد، 9/ 11]. وكان الأعمش يقول: إن الله زيَن بالقرآن أقواما، وإني ممن زيّنه الله بالقرآن [الحلية 5/ 54].

اتفق مؤرخو الأعمش عامة على أن وفاته كانت عام 148هـ في شهر ربيع الأول، عن سبع وثمانين سنة. وصححها الخطيب البغدادي الذي ذكر أيضا عام 147هـ. وزاد ابن خلّكان رواية ثالثة وهي سنة 149هـ.

■ آثاره

لم يكن التأليف ظاهرة قائمة في عصر الأعمش، لأن الرواية هي الصورة المألوفة في نقل العلم، فقد ترك الأعمش مروياته من الحديث الشريف في صحف بين يدي رواته، كان يطلق عليها «كتاب الأعمش» وهو ما يفهم من الخبر القائل: كان جرير بن عبد الرحمن إذا حدث عن الأعمش أو أخذ في قراءة «كتاب الأعمش» يقول: هذا الديباج الخسرواني، أو: إني أريد أن آخذ لكم في الديباج الخسرواني [تاريخ بغداد، 9/ 10؛ تهذيب التهذيب، 4/ 223].

كان الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود (ت 32هـ) المؤسس الأول لحركة الإقراء في الكوفة منذ بداية تمصيرها، وهو من أصحاب المصاحف، وروى عنه أهل الكوفة حروفه. فلما جمع عثمان رضي الله عنه الناس على حرف كان أبو عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السلمي (ت 73هـ) أول من قرأ به في الكوفة، وأقرأ بجامع الكوفة أربعين عاما، حتى توفي زمن الحجاج، ثم خلفه عاصم بن أبي النجود (ت 127هـ). وقد انتهت قراءة ابن مسعود إلى الأعمش، فكان يقرأ بها، وكان واحدا ممن تجردوا للقراءة وضبطها، وصاروا في ذلك أئمة يقتدي بهم ويرحل إليهم، ولتصدّيهم للقراءة نسبت إليهم، وهم، في الكوفة، يحيى بن وثاب، وعاصم بن أبي النجود، والأعمش، وحمزة، والكسائي [جمال القرّاء، 437، 462؛ النشر 1/ 8].

وقد جرى العرف عند علماء القراءة، بعد ابن مجاهد (ت 324 هـ) على إدراج قراءة الأعمش في القراءات الشاذة، شأنها في ذلك شأن قراءة الحسن البصري، وابن محيصن، واليزيدي، وسواهم. وهم يشترطون لصحة القراءة، صحة السند وتواتره، وموافقة الرسم العثماني، وهو يحتمل وجوها، لأنه كان مجردا من نقط الإعجام وعلامات الضبط، وموافقة العربي بوجه من وجوهها، سواء كان أفصح أو فصيحا. والحق أن صحة السند وتواتره، وموافقة الرسم العثماني في وجوهه المحتملة، وموافقة اللغة العربية في وجوهها المختلفة، كل ذلك قائم في قراءة الأعمش. وجملة ما روي عنه يوافق الكوفيين، وهم عاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف البزّار،

والبصريين مثل الحسن البصري، وأبي عمرو ابن العلاء ويعقوب الحضرمي، وهو سابق لهم جميعا عدا عاصما والحسن البصري. لهذا يرى عبد الواحد بن أبي هاشم (ت349هـ) صاحب ابن مجاهد أن الأعمش أولى من ابن عامر في أن يكون في السبعة، إذ كانت قراءته كما يقول منقولة عن الأئمة المرضيين، وموافقة للمصحف المأمور باتباع ما فيه [جمال القراء، 435].

لكن عددا من المواضع التي قرأ فيها الأعمش بحرف ابن مسعود، مما جاء مخالفا للرسم العثماني كانت وراء هذه القضية، وهو ما صرّح به الذهبي (ت 748هـ) في قوله: وله قراءة شاذة ليس طريقها بالمشهور. والحق أن عدد هذه المواضع من القلّة بحيث لا تكاد تلفت النظر كثيرا ولا تشكل ظاهرة واضحة فيما روي عنه. لكن الراجح أن ما قرأ به من حروف عن شيخيه: إبراهيم النخعي ويحيى بن وثاب، مما خالف السبعة، وهي مما يحتمله رسم المصحف، وتحتمله وجوه العربية ولهجاتها، وإن كانت أدنى من سواها في الشهرة والفصاحة، كانت أيضا السبب الرئيس في إدارج قراءته في الشواذّ، وهي مسألة فرضها العرف الذي أشاعه ابن مجاهد في اختياره السبعة الذين اجتمع عليهم أكثر قراء الأمصار، وتجاوز من سواهم [قراءة الأعمش، 78].

المصادر والمراجع

● ابن البناء، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر، مصورة، دار الندوة الجديدة بيروت، د.ت؛ ● أحمد محمد الضبيب، الأعمش الظريف، دار الرفاعي، القاهرة، 1981م؛ ● الذهبي، تاريخ الإسلام، مكتبة القدسي، القاهرة، د.ت؛ ● الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مطبعة السعادة، القاهرة، 1931م؛ ● الذهبي، تذكرة الحفّاظ، ط3، حيدر أباد؛ ● ابن حجر، تهذيب التهذيب، مصورة عن طبعة حيدر آباد 1325هـ؛ ● علم الدين السخاوي، جمال القراء، تح علي حسن البواب، مكتبة التراث، مكة المكرمة 1987م؛ ● أبو نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء، ط. 1، مطبعة السعادة، القاهرة، 1935م؛ ● الذهبي، سير أعلام النبلاء، ط. 2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1982م؛ ● ابن سعد، الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، 1957م؛ ● ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، تح برجشتراسر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1932؛ ● صاحب، أبو جناح، قراءة الأعمش، بحث منشور في مجلة المورد التراثية، م17 ع 4، بغداد، 1988م؛ ● عباس القمّي، الكنى والألقاب، المطبعة الحيدرية، النجف، 1970؛ ● ابن جنّي، المحتسب، تح علي النجدي ناصف وزميليه، القاهرة، 1966م؛ ● ابن خلكان، وفيات الأعيان، تح إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1969.

د. صاحب جعفر أبو جناح
جامعة صنعاء

ابن الأعمش، الطالب محمد بن المختار

(1036 هـ / 1625 م - 1107 هـ/ 1696 م)

الطالب محمد بن المختار بن الأعمش العلوي الشنقيطي، عالم مؤلّف ومدرّس وفقيه لغويّ مشهور. هو أكبر فقهاء مدينة شنقيط، وأحد أبرز الوجوه العلميّة في بلاد شنقيط خلال قرنه، ألّف في الفقه فكان «أوّل من أجاد من أهل تلك البلاد في تصنيف النوازل» [ابن الأمين، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص 578]، وفي المنطق وعلم الكلام والنحو وعلم البيان والتنجيم وعلم الفلك؛ ولد بمدينة شنقيط بالشمال من بلاد شنقيط، وبها نشأ وتربّى وتلقّى تعلمه.

وضع له تلميذه ابن رازكه (ت 1143هـ) ترجمة ذاتية ذكر فيها «أنّه ولد عام توفي سيد أحمد بابا التنبكتي (ت 1036هـ)، فكان الناس يقولون: مات إمام محقّق في العام وولد آخر، يعنونه. حفظ القرآن وهو صغير... تلا على أبي علي الرداني بالقراءات السبع، وأخذ الفقه والحديث على شيخيه الفقيهين القاضي عبد الله بن محمد بن الحبيب الشهير بالقاضي (ت 1103هـ)، وأبي العباس أحمد بن أحمد بن الحاج العلوي (ت 1086 هـ)، وألفية ابن مالك وغيرها، وافتضّ ختام الفنون من المنطق والأصول والبيان والحساب بذهن ثاقب وفتح من الله تعالى، وقرأ تآليف السنوسي على شيخه القاضي وتردّد إليه في التفسير».

ومع أنّ البرتلي صاحب كتاب «فتح الشكور في معرفة أعيان تكرور» لم يفرده بترجمة إلاّ أنّه أكثر من ذكره والثناء عليه في تراجم أشياخه وتلاميذه وتلاميذهم، فذكر من أشياخه الذين تتلمذ عليهم: أحمد بن القاسم الواداني الحاجي اليعقوبي (ت 1086هـ)، وعمر الولي بن الشيخ محمد عبد الله بن محمد يحيى بن تنمر الولاتي المحجوبي، وعبد الله بن محمد بن أحمد بن عيسى البوحسني.

درّس ابن الأعمش، فتتلمذت عليه أجيال من الفقهاء والعلماء، وتخرّجت به جماعة وافرة من العلماء نذكر منها: محمد بن أبي بكر بن الهاشم القلاوي (ت 1098 هـ)، وعبد الله ابن محم بن القاضي العلوي المشهور ابن رازكه (ت 1143هـ)، ومحمد أحمد بن عبد الرحمن القلاوي، وعبد الله بن أبي بكر بن علي بن الشيخ الولاتي، ومحمد بن الحاج عثمان بن الطالب صديق الجماني، وعثمان ابن عمر الولاتي، وخليفة بن أحمد الحاج العلوي، وعبد الله الطالب أحمد بن الحاج المصطفى القلاوي.

عاش ابن الأعمش في شمال بلاد شنقيط، وارتبط ذكره بمدينة شنقيط في فترة ما سمّي في تاريخ هذه البلاد بزمن السيبة، حيث لم تعرف حكما سياسيا مركزيًا، وظلّت قبائلها في حروب متواصلة؛ وقد عاصر ابن الأعمش حركة الإمام ناصر الدين الهادفة إلى إقامة

نظام خلافة إسلامي في الجزء الجنوبي الغربي من البلاد، إلاّ أنّ اصطدام الإمام بقبائل حسّان أصحاب السلطة السياسيّة أدّى إلى قيام حرب «شربت»، بعد إعلان ناصر الدين الجهاد ضدّ هذه السلطة وحلفائها، وقد عارض ابن الأعمش هذه الحركة، وأفتى بعدم شرعيّة الجهاد فيها معتبرا أنّها حرب غير مشروعة، وقائلا بتكفير من شايع ناصر الدين فيها.

ومثلما كان لابن الأعمش موقفه من حركة ناصر الدين كان له موقف من دعوى الإمام المجذوب محمد بن أحمد بن إسحاق الشمسدي (ت 1098هـ) بمدينة أطار، التي ادّعى فيها أنّه يتلقّى الدروس عن الإمام الحضرمي (ت 498هـ) قاضي المرابطين، وأنّه يملي عليه بعض العلوم التي لم تؤخذ عنه في حياته، وقد اعتبر المجذوب نفسه مجرّد ناقل عن الحضرمي وسمّى مؤلّفه بكتاب المنة، وقد عارض ابن الأعمش دعوى المجذوب مبطلا دعواه في مؤلّف أرسله إلى أهل اطار سمّاه «الأجوبة الأطارية»، فلمّا بلغ ذلك أهل أطار بعثوا بكتاب صاحبهم إلى من بالمشرق من علماء، ليقرّظوا عليه، فاتّفق أن استحسنه منهم وقرّظته جماعة وهم: الشيخ أبو اسحاق الشهراني، والشيخ عبد الباقي الزرقاني، وشيخه علي الأجهوري، والشيخ سيد محمد الخرشي، فلما بلغ ذلك ابن الأعمش كتب رسالة في رد تقريظاتهم [ابن حامد، المقدمة، ص 28].

آثاره

ترك ابن الأعمش مؤلّفات مخطوطة، حقّق البعض منها، ونذكر أهمّها:

1 - نوازل ابن الأعمش، محقّق في جزئين، مخطوطات المعهد العالي للبحوث والدراسات الإسلاميّة، المخطوط رقم 267، الفقه؛ أ - جزء حقّقه محمد محمود بن سيدي محمد، مذكّرة تخرّج بالمعهد العالي للبحوث والدراسات الإسلاميّة، أنواكشوط؛ ب - جزء ثان حقّقته مريم بنت ماء العينين، مذكّرة تخرّج بالمعهد العالي للبحوث والدراسات الإسلاميّة، أنواكشوط؛ 2 - فتاوى ابن الأعمش: وهو مخطوط محقّق تعرّض فيه لبعض المسائل الفقهية النازلة بالمجتمع الشنقيطي حينها، وقد ألّفه على هيئة أسئلة وأجوبة شملت المعاملات والأنكحة والفرائض وفقه البادية وغيرها من المسائل الفقهيّة، فدلت على قدرته على تمثّل النصّ الفقهي وتأويله في ضوء ما يجدّ من قضايا فقهيّة، وما ينزل من نوازل يقتضيها الحراك الاجتماعي؛ 3 - شرح إضاءة الدجنّة على عقائد أهل السنّة، لأبي العباس أحمد بن محمدّ المقرّي التلمساني (ت 1050هـ)، وهو مخطوط في التوحيد شرح فيه ابن الأعمش منظومة المقرّي الواقعة في خمسمائة بيت، والتي أوجز فيها الناظم عقائد أهل السنّة والجماعة، وقد تناولها بالشرح والإيضاح من خلال أسلوب علمي دقيق يجمع بين تتبّع مادة النظم وتعميق مداركه بالعودة إلى الأصول التي استمدّ منها الناظم مادته، فكان شرحه إضافة وتعميقا للنصّ الأوّل (انظر قسم المخطوطات بدار الثقافة، أنواكشوط، المخطوط رقم 2274، التوحيد)؛ 4 - الأجوبة الأطاريّة، وهو مخطط في الفقه، ردّ فيه على دعوى الإمام المجذوب، وسعى إلى إبطال دعوى المجذوب ورأي

العلماء المساندين له من فقهاء المشرق في ردّهم بأنّ العالم يمكن أن يأخذ عنه علمه بعد موته، كما ادّعى ذلك الإمام المجذوب، بأخذه عن الإمام الحضرمي علوما توفّي قبل أن يمليها، وهو مؤلّف يظهر من جهة جانبا من النشاط المعرفي المتناول لقضايا فقهيّة وعقديّة انشغل بها علماء بلاد شنقيط في القرن الحادي عشر الهجري، وتواصلوا من خلالها ثقافيا مع علماء المشرق، كما يضيء من جهة أخرى جانبا من تاريخ العلاقة بين الفقهاء والمتصوّفة في الفكر الإسلامي خلال هذه الفترة، [انظر قسم المخطوطات بدار الثقافة، أنواكشوط، المخطوط رقم 482، الفقه]؛ 5 - شرح روضة الأفكار في علم الليل والنهار، وهو مخطوط في علم الفلك وحساب الزمن وجغرافيا الأرض، تعرّض فيه ابن الأعمش إلى بسط معارف علميّة عن حركة الأرض في الكون وما ينتج عن ذلك من تغيّر في الزمن يشمل حركة الفصول ومنازلها من السنة وعدد أيّام السنة بالتقييمين الشمسي والقمري، وطرائق حسابها، ومنزلة الشمس والقمر، ومعرفة الأبراج والقطب والجهات متعرّضا لمعرفة كيفيّة الاسترشاد بحركة النجوم والكواكب لمن ضلّ الجهة والاستئناس بها حسب عدد ساعات الليل، مخصّصا الفصل الأخير من المخطوط لمعرفة القبلة وتحديد جهة الكعبة، وتأتي أهمّية هذا التأليف في أنّه يمثّل عيّنة لما توصّل إليه العالم الإسلامي في بلاد شنقيط من معارف في القرن الحادي عشر الهجري عن الفلك وجغرافيا الأرض؛ انظر قسم المخطوطات، دار الثقافة، أنواكشوط، مخطوط رقم 3371، علم الفلك.

المصادر والمراجع

● الشنقيطي، أحمد بن الأمين، مكتبة الخانجي، القاهرة ط4، 1989، ص578؛ ● النحوي، الخليل، بلاد شنقيط المنارة والرباط، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس 1987، ص 527؛ ● ابن حامد، المختار، مقدّمة ابن حامد، جزء ادوعل، مخطوط بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي، ص 27؛ ● ابن رازكة، ترجمة ابن الأعمش، مخطوط مكتبة أباه بن عبد الله بالنباغيّة؛ ● البرتلي، الطالب محمد بن أبي بكر الصديق، فتح الشكور في أعيان علماء التكرور، لم يترجم له ولكنّه أشار إليه في أكثر من موضع.

د. محمد الأمين ولد مولاي إبراهيم
جامعة نواكشوط

الأعمى التطيلي أبو جعفر، أحمد بن عبد الله

(... هـ / ... م - 525 هـ / 1129 م)

هو الشاعر الوشاح أحمد بن عبد الله بن هريرة يعرف بأكثر من نسبة وكنية ولقب، ففي النسبة يقال له القيسيّ والعتبيّ والاشبيليّ والتطيليّ، ويكنّى بأبي جعفر وأبي العباس، ويلقب بالأعمى والأعيمى لأنه كان ضريرا. وتطلق عليه بعض التراجم اسم التطيلي الأكبر تمييزا له عن شاعر تطيلي آخر هو أبو إسحاق إبراهيم هو التطيلي الأصغر.

المعلومات المتاحة حول ترجمة هذا الشاعر هي إمّا قليلة وإمّا غير دقيقة على الرغم من أنّ من ذكروه من القدامى عدّوه من أبرز شعراء الأندلس ومن كبار وشّاحيها. وترجح كتب التراجم بناء على نسبه في الغالب أنّ ولادته كانت بتطيلة. ولكنها تسكت عن تاريخ ميلاده. ويرجح إحسان عباس محقق ديوانه وناشره أنّ ولادته كانت إمّا عام 485 هـ/ 1092 م وإمّا بعدها وهو يبني ظنه هذا على معطيين: أولهما ما ذكره الصفدي [نكت، 110] من أن وفاته كانت عام 525هـ/ 1129م. وثانيهما إشارة أغلب المصادر إلى أنه «اعتبط أي مات شابا» [مقدمة الديوان، ص 5].

غير أن مقارنة هذا بما ورد في بعض مضامين الديوان تجعلنا نضع هذا الترجيح موضع شك. ففي بعض القصائد يذكر أحداثا وقعت في الثغر الأعلى حيث مسقط رأسه تمتد من آخر عهد بني هود إلى حين قدوم المرابطين عام 503 هـ/ 110 م. وهو يذكر هذه الأحداث ذكر شاهد معاين. ففي النونية التي مدح بها الأمير المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين [الديوان، ق 63، ص 200-208] يصف ما دار من مناوشات بين ألفونس السادس ملك قشتالة المعروف بـ «الأذفونش» والمستعين أحمد بن المؤتمن أمير سرقسطة (تولى الإمارة سنة 478 هـ/ 1085 م) قبل معركة الزلاقة بين المسلمين والمسيحيين وما تلاها من أحداث في الثغور الشمالية إلى قدوم المرابطين عام 503 هـ/ 110م. كما يصف في موضع آخر من القصيدة نفسها أحداثا وقعت حول «وشقة» عام 489 هـ/ 1094م. فشهاداته تدل على أنه كان واعيا بما يصف. ونرجح بناء على ذلك أن ميلاده كان في سبعينات القرن الهجري الخامس أي في آخر فترة من فترات حكم بني هود سرقسطة. ولا تناقض بين هذا المزعم وبين قول بعض المترجمين من أنه مات معتبطا إذ تعني هذه العبارة كذلك نقيض الموت على الهرم [اللسان، 7/ 347] من شباب أو اكتهال.

استقر التطيلي باشبيلية (حمص الأندلس) ولا ندري أقدِم إليها من تطيلة أم من طليطلة التي يكثر في الديوان من ذكرها. وفي إشبيلية مدح كثيرا من أعيانها كبني زهر، وبني الحضرمي، وبني اليناقي. وكانت له فيها صِلات ومجالس مع معاصريها من الشعراء كأبي القاسم بن أبي طالب الحضرمي المنيشي الذي لقب لصحبته

التطيلي بـ «عصا الأعمى» والوشاح الشهير ابن بقي (ت 540 هـ/ 1145 م). ويبدو التطيلي كالمتزعم للشعراء في إشبيلية وهذا ما نفهمه على الأقل من الخبر الذي تذكره بعض كتب التراجم من أن التطيلي كان في جماعة من الوشاحين في إشبيلية ومنهم ابن بقي فلما افتتح التطيلي بموشحته التي طالعها [الديوان، 253]:

ضَاحِكٌ عن جُمانْ
سَافِرٌ عن بَدْرِ
ضاق عنه الزَّمانْ
وحَوَاهُ صَدْرِي

مزق ابن بقي موشحته وتبعه الباقون.

لكن مكانته الشعرية لم يكن لها من أثر فيما كان يصبو إليه من مكانة اجتماعية على نحو ما كان يحظى به أمثاله من شعراء الأندلس في عصر قريب هو عصر ملوك الطوائف. والتطيلي كان على بينة من أنّ المرابطين قد أزاحوا الشعر عن عرشه ونصبوا الفقه محلّه يقول [ق 33، ص 91]:

فَيَا دولَةَ الضَّيْمِ أَجْمِلِي او تَجَامَلِي
فقدْ أصبحتْ تلكَ العُرى والعَرَائكُ

ويَا «قام زيد» أعرِضِي أو تَعَارَضِي
فقد حَالَ من دونِ المُنَى: «قال مَالِكُ»

غادر التطيليّ اشبيلية لفترة قضاها في قرطبة يمدح بها القاضي ابن حمدين. ولقد أكد الوليد محمد بن مالك الكاتب وجود التّطيلي في قرطبة حين ذكر أنه أنشده لنفسه شعرا وهو بها [معجم السلفي، 3].

وفيما عدا هذا الخبر لا نكاد نعرف عن تنقلات التطيلي خارج إشبيلية شيئا يذكر خصوصا أنه كان يرسل بمدحياته إلى أصحابها في أماكن متفرقة من الأندلس والمغرب قانعا بغنمه الضئيل منها ساخطا على حظه من دولة قاوم فيها الأدباء الخصاصة. عرف عن التطيلي أنه صاحب حجة في الكلام وردود مفحمة فقد نقل عنه أنه قيل له: كم تقع في الناس؟ فقال: أنا أعمى وهم لا يبرحون حفرا فما عذري في وقوعي فيهم؟

توفي التطيلي عام 525هـ/ 1129م وفق رواية للصفدي تناقلتها كتب التراجم من بعده.

قال التطيلي القصيد والموشح لكنه كان بهذا أشهر بين القدامى والمعاصرين فقد قال عنه ابن الخطيب أن توشيحه «صار... مثلا في سائر الناس» [جيش، 16]، وقال بعض المستشرقين إنّ الأعمى التطيلي كان ممّن منحوا الموشح حياة جديدة بما وهبوه له من «ألق فريد» [621/ 121 :EI].

موشحات التطيلي فيها بحث عما ينفصل به هذا الضرب من الشعر عن القصيد من ذلك الزيادات التي تخرج الأقفال خصوصا عن الأوزان المألوفة، والتكثيف من القوافي الداخلية. الخرجة ما تزال عنده إلى الفصيح أقرب وإن كانت في بعض الأحيان عامية وفي بعضها الآخر يختلط فيها الأعجمي بالفصيح. أما مضامين الموشحات فيغلب عليها الغزل الإباحي والخمرة وقد يتخللهما المدح لكنه يذوب غالبا فيهما.

والمدح في قصائد التطيلي رأس الأغراض ويمتاز بطول نفسه وبثراء صوره وتنوع معانيه ولا يعكره في بعض الأحيان إلا إقحام الذات المادحة من غير ما وجه وكثر ذلك خصوصا

في مدح الوزير ابن زهر وقد يكون في الأمر تأثر بالمتنبي الذي يبدو حضور ظله كثيفا في الديوان.

ورغم هذا التأثر فان شعر التطيلي ينخرط في مرحلة أصبح فيها الشعر الأندلسي يرى نفسه ندا يمكن أن ينافس الشعر المشرقي ويغلبه بالموشحات خصوصا وكان الأعمى من أبرز أمرائها.

■ آثاره

التطيلي ناثر وشاعر بدليل قول ابن بسام: «له... نظم كالسحر الحلال ونثر كالماء الزلال» [الذخيرة، ق 2، مج. 2، ص 728]. واختار له مقتطفات من رسائل إخوانية كانت فيما يبدو مقدمات قصائده المدحية التي أرسلها إلى بعض ممدوحيه. لكن نثره قد ضاع ولم تحتفظ كتب المختارات بما يمكن أن يقدم صورة عن طبيعته.

أما شعره فإنه وان لم يصلنا كاملا وخصوصا موشحاته، فانه كان وافرا يمكن اعتماده في رسم صورة عن إبداعه. وضم ديوانه الذي حققه إحسان عباس (1963) 76 قصيدة وملحقا به 12 قصيدة وقطعة لم ترد في نسختي دار الكتب المصرية والمتحف البريطاني المعتمدتين. إضافة إلى 22 موشحة جمع أغلبها من جيش التوشيح لابن الخطيب. ذكر الزركلي أن له فضلا عن ديوان الشعر المطبوع قصيدة مطبوعة على سمت مرثية ابن عبدون في بني الأفطس [الأعلام، 1/ 158]. لكن إحسان عباس أشار في مقدمة الديوان إلى هذه القصيدة وقال: إنّها النونية التي طالعها:

خذا حدثاني عن فُلٍ وفلان
لعلي أرى باقٍ على الحدثان

ووردت القصيدة في الديوان [ق 72، ص 224 231] ولم يشر المحقق إلى طبعها في غير هذا الديوان.

■ المصادر والمراجع

● السلفي، تراجم وأخبار أندلسية، ط. بيروت. 1963، ص 16؛ ● ابن خاقان، قلائد العقيان، ط. تونس 1966، ص315؛ ● ابن بسام، الذخيرة، تح. إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس 1981، ق 2/ مج 2، ص728-753؛ ● الضبي، بغية الملتمس في تاريخ أهل الأندلس، ط. مدريد 1885، ص429؛ ● العماد الأصفهاني، خريدة القصر وجريدة العصر، تح. آ. آذرنوش تنقيح المطوي (..) الدار التونسية للنشر ط. 2، 1986، 3/ 511-523؛ ● ابن سناء الملك، دار الطراز، تح. جودة الركابي دمشق بيروت 1949؛ ● ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، القاهرة 1964، 2/ 451؛ ● الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ط. القاهرة 1939؛ ● الصفدي، نكت الهميان في نكت العميان، ط. مصر 1329، ص110؛ ● الوافي بالوفيات، ط. بيروت 1970، 7/ 84، 126؛ ● توشيع التوشيح، تح. أ. مطلق، ط 2، بيروت 1966؛ ● ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات تح. ا. عباس القاهرة 1/ 126؛ ● ابن الخطيب، جيش التوشيح، تح. هلال ناجي مط. المنار تونس 1967،

ص 16-45، وينظر كذلك ملحق تراجم الوشاحين (وضعه المحقق)، ص 231-233؛ ● الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت 1992، 1/ 158؛ ● البستاني، ب، مقدمة ديوان التطيلي، ط. مكتبة صادر، بيروت 1953 ص5-13؛ ● عباس، إ، مقدمة ديوان التطيلي، تح.، ط. دار الثقافة بيروت لبنان 1963، ص أ - غ.

● Encyclopédie de L'Islam (n.e);

Art. Arabiyya 3/621.

د. توفيق قريرة

جامعة تونس

الأفراني، أبو عبد الله محمد الصغير

(1080 هـ / 1669 م - 1156 هـ / 1744 م)

هو أبو عبد الله محمد الملقب بالصّغير بن محمد بن عبد الله الأفراني نجارا، المراكشي دارا.

ولد بمراكش في حدود سنة 1080هـ/ 1669م كما جاء في أغلب الكتب التي عرفت به.

وقد اختلف المؤرخون في ضبط نسبه، فمنهم من جعله الأفراني بالألف واللام نسبة إلى أفران قبيلة بسوس، قال ابن الموقت المراكشي: «وقد رأيت بخط المترجم له الأفراني هكذا بالألف واللام، ورب البيت أدرى بالذي فيه» [السعادة الأبدية، 1/ 114]. وهي النسبة الواردة في كتاب [سوس العالمة، ص 156] قال: «وأفران في الجنوب يسمى وادي الأدباء».

وسموه كذلك اليفرني واليفراني نسبة إلى بني يفرن أو ليفرن، كجعفر وهي قبيلة مشهورة بالمغرب [الأعلام، 50/ 6]. ويرجع هذا الاختلاف إلى اجتهاد المؤرخين في النسبة إلى قبيلتين مختلفتين.

كان الأفراني فقيها محدثا حافظا نحويا بيانيا أديبا بليغا مشاركا في علوم شتى، مشتغلا بالتقييد، مستغرق الأوقات في ذلك [السعادة الأبدية، 1/ 112 . 113]. وكان دمث الأخلاق، خفيف الروح، ينتسب إلى بيت علم وصلاح [الأعلام، 6/ 58].

وكانت لأسرته مدرسة بتنكرت، استمرت الدراسة فيها زمنا طويلا، وخرّجت العدد الكبير من العلماء والأدباء [سوس العالمة، 156].

درس ببلاده على جماعة من الأعيان كالشيخ أحمد بن علي المداسي السوسي الذي لازمه طويلا وانتفع به غاية الانتفاع. ورحل إلى فاس لاستكمال دراسته سنة 1118هـ/ 1706م، وكان يسكن بالمدرسة الرشيدية، وأخذ هناك عن: محمد بن عبد الرحمن الفاسي وهو عمدته في الحديث، ومحمد بن أحمد المسناوي، والعربي بن أحمد بردلة

قاضي القضاة بفاس، وسعيد بن أبي القاسم العميري قاضي مكناس، وأبي علي الحسن بن رحال المعداني، والعربي بن أبي القاسم الأفراني، وأحمد بن عبد الحي الحلبي. ذكر بعض هؤلاء الشيوخ في كتابه [درر الحجال] . وأنهى دراسته بفاس سنة 1130 هـ/ 1717م حيث رجع إلى مراكش للتعليم والتأليف، وكان وقتذاك قد بدأ في تأليف بعض كتبه.

وكانت له علاقات علمية وأدبية مع بعض معاصريه من مدن مختلفة، من أمثال: مسعود ابن محمد جموع، ومحمد بن حمدون بناني، ومحمد بن مبارك اللمطي، وأحمد بن عبد الوهاب الوزير الغساني .

وله مطارحات شعرية مع محمد بن الطيب العلمي، ومحمد الطيب بن مسعود المريني، وأبي عبد الله بن عبد السلام جسوس [المسلك السهل، 199-171]. وله مراسلات مع الشيخ المتصوف محمد الصالح الشرقي.

ويرى جاك بيرك (Jaques Berque) أن عصر اليوسي والأفراني قد عرف مدرستين:

الأولى: مدرسة الجنوب بمراكش وتارودانت وباديتهما، وتهتم بالأدب واللغة والتصوف قطبها الأساس هو اليوسي وتلامذته.

الثانية: مدرسة الشمال بفاس، وتتميز باتجاهها الفقهي المحافظ، وقطبها هو عبد القادر الفاسي [اليوسي، مسائل الثقافة المغربية في القرن السابع عشر].

وسيكون للمدرستين الأثر الكبير في مسيرة الثقافة الإسلامية في هذا العصر وما بعده، ذلك أنه بقدر ما كان علماء مدرسة مراكش إلى جانب اليوسي والأفراني أمثال المسناوي، وسعيد بن أبي القاسم العميري، والحسن بن رحال المعداني، ومحمد بن الحسن المجاصي، وأحمد بن سعيد المجلدي، ومن صار على نهجهم يجمعون بين الأصالة والتفتح في أمور الدين والتيسير، وتغليب الجانب الروحي، والسعي إلى إحقاق الحق والتعبير بشجاعة عن الموقف، كان شيوخ مدرسة فاس يميلون إلى المحافظة الضيقة التي لا تسمح بأي تجديد أو مراعاة للمحيط العلمي وغيره من المعطيات التي يجب أن تؤخذ بالاعتبار. لقد كانوا يقتصرون على دراسة فروع الفقه في إطار المذهب المالكي: مختصرات، وشروح، ومنظومات، بينما ألف رواد مدرسة اليوسي مؤلفات في التاريخ، والأدب، والبلاغة، وغيرها من العلوم. وقد أدى ذلك إلى حدوث اصطدامات بين علماء المدرستين نمثل له بحدثين شهيرين:

1 - الخصومة بين اليوسي وعلماء فاس.

2 - الخصومة بين الأفراني وبعض المحافظين من علماء مراكش.

وقد شهد عصر الأفراني كذلك تيارا صوفيا قويا غذّته الزوايا العديدة المنتشرة في أطراف البلاد، إلا أن المجال عرف خلطا كبيرا في الممارسة والممارسين ما بين تصوف سلفي سنّي يمارسه العلماء والأدباء والزهاد يراعون فيه مقاصد الشريعة، ودعاة منحرفين من مجاذيب وبهاليل ومحتالين ندد بهم الأفراني في كتبه وخاصة في (درر الحجال) الذي تم تحقيقه ونشره [الفصل السادس، الفرق بين المسالك والمجذوب والملامتي، وما يتعلق بذلك].

وبعدما أنهى الأفراني دراسته بفاس سنة 1130 هـ/ 1717 م، عاد إلى موطنه مراكش،

وتصدّر للتدريس بها. وكان يدرس العلوم الإسلامية عموما من تفسير، وحديث، وفقه.

وكان له منهج في التدريس، إذ كان إذا افتتح القراءة أملى عليه السارد جميع النصاب فيشرع في تفسيره حرفا من أوله إلى آخره، وبقي على ذلك عاما كاملا وشاع خبره في البلدان فصار الناس يكتبون له الأسئلة من أقصى السوس [الأعلام، 6/ 53] . ومن أشهر تلامذته عبد الله بن عبد السلام حسوس.

وأهم ما يسجل في هذه المرحلة من حياة الأفراني، قيام الطلبة ضده واتهامهم له بالزندقة والجهل، ورفعوا أمره إلى قاضي المدينة، وقالوا إن التفسير إذا قرئ بمراكش حلّ بها الجوع. وقد طلب منه الحاكم أن يترك تدريس التفسير ويقتصر على الحديث والفقه، فأخذ يدرس صحيح البخاري [الأعلام، 6/ 52 - 53].

وتدخل هذه الخصومة في إطار ما أشرنا إليه من وجود اتجاهين علميين: أحدهما محافظ متزمت يمثله القائمون ضد الأفراني، والثاني متفتح يمثله اليوسي وتلامذته. ورد الأفراني سبب الحملة عليه، بالإضافة إلى ذلك، إلى حسد علماء المدينة له لسعة علمه وفقهه، وقد عبر عن ذلك في قصيدة طويلة هاجمهم فيها [الأعلام، 6/ 52].

وقد مر الأفراني في هذه الفترة بأزمة قلبية حادة، واكبتها ضائقة مالية جعلت دائنيه لا يتورّعون عن بيع مكتبته الخاصة لاستخلاص مستحقاتهم، وقد عبر عن تلك المشاعر المؤلمة في الرسائل التي وجهها إلى شيخ الزاوية الشرقاوية محمد الصالح بن محمد المعطي الشرقي [مؤرخو الشرفاء]. ونعل معاناته للأزمة جعلته ينطوي على نفسه وينكب على التأليف.

وقد وقع اختلاف كبير بين المؤرخين حول تاريخ وفاة الأفراني بالضبط، وقد بلغ الفرق بينهم حدا غير مسبوق في مثل هذه الأحوال. ولعل التاريخ الأنسب لوفاته وهو سنة 1156هـ/ 1743 و1744م، وهو التاريخ الذي ذكره الأستاذ العمري [الأفراني، 102] للأسباب التالية: أ - أن كتابه (الوشي العبقري) ألفه سنة 1156هـ/ 1743م؛ ب - أنه أقر بممارسته لبعض الأنشطة خلال سنة 1156هـ/ 1743م؛ ج - أن بعض أفراد أسرته قد أعاد إلى مكتبة ابن يوسف كتبا كان قد أعارها منها بعد توزيع تركته سنة 1157هـ/ 1744م؛ وقد دفن رحمه الله بمحل الجنائز على يسار الداخل إليه ببيت هناك من المسجد اليوسفي، ويلصق قبره نخلة صغيرة موجودة إلى الآن [السعادة الأبدية، 1/ 114].

■ آثاره

عرف الأفراني بثقافته الواسعة والمتنوعة إذ كان أحد كبار مدرسي التفسير والحديث والفقه، وله مؤلفات في فنون علمية مختلفة، أهمها التاريخ، والتراجم، والمناقب، والأدب، والبلاغة، والكتابة الفنية والشعر وهي:

1 - المسلك السهل في توشيح ابن سهل، ألفه سنة 1128هـ/ 1715م، حققه محمد العمري ونال به دبلوم الدراسات العليا من كلية الآداب بالرباط، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية سنة 1997م؛

2 - طلعة المشتري في ثبوت توبة الزمخشري، ألفه بين 1128-1137هـ/

1715- 1724 م وهو تقييد مقتطف من أزهار الرياض؛ 3 المغرب في أخبار المغرب، ألفه بين سنتي 1128- 1137 هـ/ 1715- 1724 م ذكره صاحب دليل مؤرخ المغرب الأقصى 1/ 146، ومن بعده من مترجمي المؤلف؛ 4 - ياقوتة البيان، شرح فيه أرجوزة في البلاغة، ألفه سنة 1130 هـ/ 1717 م؛ 5 - روضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل ابن الشريف، أو الظل الوريف في مفاخر مولانا اسماعيل بن الشريف، ألفه سنة 1133هـ/ 1720م، عرف فيه السلطان العلوي مولاي إسماعيل، ط. بالمطبعة الملكية سنة 1960؛ 6 - فتح المغيث بحكم اللحن في الحديث، ألفه سنة 1134هـ/ 1721م، مخ. الخزانة العامة بالرباط رقم 88 ج؛ 7 - درر الحجال في مناقب سبعة رجال، عرف فيه بسبعة رجال مراكش، لكنه لم يكمله، ألفه بين سنتي 1134هـ-1137/ 1712-1724م، حققه وعلق عليه وقدم له حسن جلاب، طبع بالمطبعة والوراقة الوطنية بمراكش سنة 2000؛ 8 - صفوة ما انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، ط. على الحجر بفاس. وهو تراجم علماء وصلحاء المغرب في القرن المذكور، أكمل به كتاب دوحة الناشر بمشايخ القرن العاشر لابن عسكر؛ 9 - نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، وهو أشهر كتبه وأهمها. عرف فيه بالدولة السعدية وأخبار ملوكها وبداية الدولة العلوية. ألفه حوالي سنة 1139هـ/ 1726م ط. على الحجر بفاس (د.ت.)، وأعيد طبعه على الحروف سنة 1306هـ/ 1888 م؛ 10 الإفادات والإشادات، قال عنه أبو سليمان الحوات: «وهو تأليف لا كفاءة له في الحسن» [الأعلام، 6/ 51؛ ومؤرخو الشرفاء، 90]؛ 11 - أجوبة وفتاوي فقهية؛ 12 - رسائل وأشعار مختلفة [الدرر المرصعة، 96-91 أ]؛ 13 - تقريظ رسالة لمحمد بن عبد المؤمن سماها تنقية النفس، ألفها سنة 1156هـ/ 1742م [الأعلام 6/ 54]؛ 14 - الوشي العبقري في ضبط لفظ المقّري، عرف فيه بمؤلف نفح الطيب، ألفه سنة 1156هـ/ 1742م حسب فهرس الفهارس 2/ 15، ودليل مؤرخ المغرب الأقصى 1/ 242؛ 15 - خطبة كتاب واسطة العقدين لخّص فيه كناشتي المولى إسماعيل واسطة العقدين، 3-2؛ ودليل مؤرخ المغرب الأقصى، 2/ 478 .

المصادر والمراجع

● محمد الصغير الأفراني، المسلك السهل في توشيح ابن سهل، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية 1997؛ ● م.ن، درر الحجال في مناقب سبعة رجال، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش 2000؛ ● العباس بن إبراهيم المراكشي، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، ط. الملكية 1974-1983؛ ● محمد بن محمد المؤقت المراكشي، ت 1369هـ/ 1950م، تعطير الأنفاس في التعريف بالشيخ أبي العباس، ط. حجرية 1336؛ ● م.ن، السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية؛ ● عبد السلام بنسودة، دليل مؤرخ المغرب الأقصى، طبعة دار الكتاب 1959؛ ● محمد المختار السوسي ت 1383هـ/ 1963م،

سوس العالمة، ط. فضالة 1960؛ ● محمد حجي، الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، المطبعة الوطنية بالرباط 1964؛ ● محمد العُمري، الأفراني وقضايا الثقافة والأدب في مغرب القرنين 17 و18، ط. الدار البيضاء 1992؛ ● حسن جلاب، الحركة الصوفية بمراكش وأثرها في الأدب، المطبعة والوراقة الوطنية 1994؛ ● ليفي بروفنصال، مؤرخو الشرفاء، ترجمة عبد القادر الخلادي، ط. دار المغرب 1976؛ ● خير الدين الزركلي، الأعلام، ط. 14، بيروت 1999، دار العلم للملايين، 7/ 67.

- J. Berque. AL Youssi: Problèmes de la culture marocaine au 17e siècle, Paris 1958.

د. حسن جلاب
كلية اللغة العربية ـ مراكش

الأفغاني، محمد جمال الدين بن صفدر

(1255هـ / 1839 م - 1315 هـ/ 1897م)

ظهر محمد جمال الدين بن صفدر الأفغاني في النصف الثاني من القرن 19، قرن التحولات الكبرى والمد الاستعماري الذي بدأ يزحف على الأوطان العربية والإسلامية ووصلت فيه أوروبا إلى قمة قوتها، «بينما كانت أغلب أوطان الإسلام في حالة تخلّف وتمزّق»، وكان هذا التحدّي يحتاج إلى مواهب غير عادية، ذات بصيرة نافذة لعبور هذه الهوة السحيقة التي قسمت شعوب العالم [السيد يوسف، جمال الدين الأفغاني والثورة الشاملة، 1999، ص 14].

ولد الأفغاني عام 1839م في قرية أسعد أباد - قرب كابول، ودرس العلوم الشرعية والعقلية، ثم سافر إلى الهند ومنها إلى الحجاز لأداء فريضة الحج، حيث وصل مكة سنة 1857 م، وأخذ ينشر بها فكرة الجامعة الإسلامية، وأسس جمعية أم القرى التي ضمّت أعضاء من البلاد العربية وأنشأ مجلة «أم القرى» ثم رجع إلى إفغانستان حيث عاد إلى كابول، ليتولى عدة مناصب في حكومة دوست محمد خان، اهتم خلالها بقضية التعليم، وتوحيد الولايات الأفغانية ضد الإنجليز، والعمل على نشر العدل الاجتماعي في ولاية محمد خان؛ إلا أن الخوف من شعبية الأفغاني لدى العامة، أدى في نهاية الأمر إلى إخراج الأفغاني من كابول إلى الهند.

وفي الهند يتحول جمال الدين إلى داعية نشط يبث الحماس في الهنود ضد الإنجليز «إلى أن ضاق الإنجليز به ذرعا، فأخرجوه من الهند، وعند خروجه وجّه نداءه الشهير إلى الهنود: لو كنتم ذبابا لطننتم آذان بريطانيا»

[حسن حنفي، جمال الدين الأفغاني، 1999، ص 22].
وينتقل جمال الدين إلى الآستانة حيث يلتقي الصدر الأعظم علي باشا الذي يعجب به، ويقرر تعيينه عضوا بمجلس المعارف... وينشط الأفغاني في هذه المحطة من محطات حياته فيهتم بقضية الجمود الديني، ويواجه دون إرادته رجال الدين المحافظين وعلى رأسهم شيخ الإسلام، والذي يتهم جمال الدين بأنه أنكر ما علم من الدين بالضرورة، وكان ذلك كفيلا بخروج الأفغاني من الآستانة بأمر سلطاني خوفا من حدوث الفتنة.
ويرحل الأفغاني إلى مصر في 1871م ليقضي فيها ثماني سنوات كاملة، وإلى القاهرة تسبقه أسباب خروجه من الآستانة. ويصف الشيخ محمد عبده لحظة قدومه القاهرة فيقول: «وحرصت على حضور مجالسه ودروسه، ولكن مشايخ الأزهر وجمهرة طلابه، أخذوا يتقولون عليه وعلينا الأقاويل... ولم أهتم بتلك الأقاويل، وكنت ألازم «السيد» ملازمة ظله» [محمد عبده، الثائر الإسلامي جمال الدين الأفغاني، 1999، ص 13].
وينشط الأفغاني في هذه المرحلة مهتما بقضية الإصلاح الديني والإصلاح السياسي حتى التف حوله العلماء والمثقفون: ومع تزايد نشاطه مع المطالبين بالحرية السياسية يتدخل الإنجليز لدى الخديوي توفيق، ليأمر بإخراجه عام 1879م إلى الهند. ومنها ذهب إلى فرنسا حيث قضى بها ثلاث سنوات انخرط خلالها في المجتمع الفرنسي وأصبح أحد أعلام المسلمين هناك، ويلتقي بالعديد من كبار المفكرين والمستشرقين الفرنسيين. ثم ينتقل إلى إيران بدعوة من الشاه ناصر الدين، ليتولى إصلاح أحوال الدولة الداخلية، فيبدأ بإحداث تغييرات ثورية، فيخشى ناصر الدين على شعبيته، فيأمر بطرده؛ ثم يعود فيستخدمه؛ ثم يخشى منه على سلطانه مرة ثانية فيطرده إلى البصرة بصورة مُهينة، ثم إلى الآستانة فتكون محطته الأخيرة (1892-1897)، ويظل هناك مقيد الحركة من قبل السلطان العثماني، إلى أن توفي مريضًا بالسرطان عام 1897م.
والمتأمل في سيرة الأفغاني، يكتشف أن الأفغاني شأنه شأن رواد حركة الإصلاح في البلدان الشرقية، كان يمتلك وعيا بالمشكلات الاجتماعية والسياسية والثقافية لمجتمعاتهم، فقد كان مشغولا طوال حياته، وبشكل عملي، بقضية التخلّف الاجتماعي الشامل، وقضية الاستبداد السياسي للحكام: بمعنى آخر فإن الأفغاني، كما تدل سيرته، كان يصارع في كل محطة من محطات حياته الرئيسية، واحدًا أو أكثر من ثلاثة فاعلين، هم: المستعمر الإنجليزي، وعلماء الدين المحافظين، والحاكم المستبد. وهو صراع كما يبدو ينطوي على قدر كبير من المخاطرة، ويستلزم قدرا كبيرا من الشجاعة والسياسة في نفس الوقت. وهذا ما جعل المستشرق الألماني براون يقول: «إن تاريخ جمال الدين هو تاريخ المسألة الشرقية كلها في الأزمان الحديثة» [خفاجي، السيد الجميلي، من أعلام الإسلام، 1999، ص 140].
وفي مصر (1871-1879) التي كانت تتولى ريادة المجتمعات الإسلامية نحو النهضة والتقدم، وذلك منذ تولي محمد علي الحكم حيث بدأ احتكاك فعلي بالحضارة الغربية، نجم عنه اختمار ثقافي أفضى إلى ظهور ثلاثة تيارات بارزة هي: التيار الإسلامي، والتيار

الليبيرالي، والتيار القومي. وكان انخراط الأفغاني في المجتمع المصري سريعا، ليصبح في مقدمة المواجهين للإنجليز، بصورة غير مباشرة، ورجال الدين المحافظين والحاكم بصورة مباشرة.

وهكذا استطاع أن يجمع حوله خليطا متنوعا من رجال الدين، والمفكرين والأدباء والسياسيين، مما جعل مصر تشهد خلال مدة إقامته حركة ثقافية وسياسية نشطة، أشار إليها سعد زغلول ذات مرة وهو في أوج نشاطه في قوله: «لست خالق هذه النهضة كما قال بعض خطبائكم، لا أقول ذلك ولا أدعيه، بل لا أتصوره. إنما نهضتكم قديمة من عهد محمد علي وعرابي، وللسيد جمال الدين الأفغاني وأتباعه وتلامذته أثر كبير فيها» [قدري قلعجي، ثلاثة من أعلام الحرية، 1994، ص50].

لقد كان قدوم الأفغاني إلى مصر سببا في إشعال الحركة الفكرية والسياسية معا. «وأدرك المثقفون المصريون، تحت تأثير الأفغاني حقيقة أن سيادة الشعب ومصيره رهن يديه، وهي حقيقة لم تكن سهلة المنال في ذلك الوقت» [محمود كسبر، التاريخ بين السياسة والاجتماع، 1987، ص 289].

ويكفي الإشارة إلى أن الشيخ محمد عبده، وسعد زغلول، ومحمود سامي البارودي، وأديب إسحاق، وعبد الله النديم، وغيرهم من الأعلام كانوا من المتأثرين بالأفغاني، وهم من رواد العمل السياسي والديني والثقافي.

ومما يروى عنه أنه انضمّ إلى المحفل الماسوني، الذي كان قبلة المثقفين في ذلك الوقت. وفيه قدم أفكاره في الحرية وآراءه السياسية التي تتلخص في ضرورة وجود ملكية شورية، لكنه اختلف مع أعضاء هذا المحفل، فخرج عليه، فقد «أدرك الأفغاني أنه لا يستطيع العمل مع أعضاء هذا المحفل لترددهم وانصرافهم عن الأهداف التي يسعى إليها، فأنشأ محفلا وطنيا ثانيا بلغ أعضاؤه 300 عضو في فترة وجيزة، وقام بتأليف حزب سياسي هو الحزب الوطني في أوائل سنة 1879م» [قلعجي، ص 56]، وكان ذلك إيذانا بميلاد الحركة الحزبية السياسية في مصر. وبسبب هذا النشاط السياسي لجمال الدين، بدأت المطالبة بتحقيق الحرية السياسية. وطالبه السياسيون الأحرار، بوضع خطة لتأسيس المجلس النيابي المصري، وهو الأمر الذي كان سببا في خروجه من مصر بإيعاز من الإنجليز.

إلى جانب هذا الدور السياسي «أخذ السيد جمال الدين في حمل من يحضر مجلسه من أهل العلم وأرباب الأقلام على التحرير، وإنشاء الفصول الأدبية والعلمية في مواضيع مختلفة لا تخرج عن إصلاح الأفكار، وتهذيب العقول: وأخذت الحرية الفكرية تظهر في الجرائد إلى درجة يظن الناظر فيها أنه في عالم خيال» [الطناحي، مذكرات الإمام محمد عبده، القاهرة، 1961، ص51]، كما كان الأفغاني يؤمن بنشر المعرفة والعلم الحديث بالتربية والتعليم والتثقيف والتهذيب.

في الطور الثاني من حياته (1299هـ - 1882م/ 1310هـ -1892م) واصل جمال الدين الأفغاني جهوده الفكرية والوطنية التي عرفتها المرحلة المشرقية السابقة وإن كان تألقه في هذا الطور الأوروبي أكثر. أقام أولا

في لندن ثم انتقل منها إلى باريس وتحول بعد ذلك في روسيا وألمانيا مع زيارة إلى فارس بدعوة من الشاه ناصر الدين. مكّنته الأجواء الفكرية والسياسية الأوروبية ومعرفته باللغات الفرنسية والإنجليزية والروسية من الاطلاع على جوانب هامة من الحياة السياسية والفكرية في أوروبا في وقت كانت الحملة الاستعمارية الأوروبية على عدة بلدان عربية وإسلامية قد بلغت أوجها.

كانت له مقابلات ومناظرات سياسية وفكرية وأدبية مع أصحاب الرأي والقرار من أمثال «هربرت سبنسر» (Herbert Spencer) و«ويلفريد بلونت» الأنجليزيان، و«إرنست رينان» (Ernest Renan) وفيكتور هيجو (Victor Hugo) الفرنسيان . و تمكن من خلال مساهماته المختلفة من بلورة التوجه التحرري الذي التزم به كما عبر عن مخالفته للتوجهات السياسية الأوروبية المتعلقة بالعالم الإسلامي وعن تهافت الخلفية الفكرية التي تقوم عليها تلك التوجهات فنشر مساهمات هامة في «البشير» و «لاجوستيس» (La Justice) وفي الأنترنزيجان (L'Intransigeant). ولعل من أهم ما يمكن أن نسجله في هذا المضمار رده في شهر ماي 1883 على محاضرة المستشرق «رينان» التي ألقاها في جامعة «السربون» بعنوان «الإسلام والعلم». نشر الأفغاني رده على ما ورد من طعون المستشرق في الإسلام في «لو جورنال دي ديبا» (Le journal des débats). أنشأ بعد ذلك سنة 1301هـ/ 1884م جريدة «العروة الوثقى» بمعية الشيخ «محمد عبده» الذي التحق به إلى باريس إثر الاضطرابات السياسية الكبرى التي شهدتها مصر في سنتي 1298هـ و1299هـ/ 1881 و1882م كما ساعدهما إبراهيم المويلحي، ولقيت الجريدة صدى واسعا في الأوساط العربية التي كانت تصلها إليها رغم ما تثيره من سخط السلطة الاستعمارية ومقاومتها، ولم تعمر الجريدة أكثر من ثمانية أشهر فقد واجهت مضايقات إدارية وسياسية ومصاعب مالية ومع ذلك فقد تمكّنت من إصدار ثمانية عشر عددا.

بعد خلافه مع تلميذه وصديقه «محمد عبده» الذي رحل إلى بيروت سنة 1302هـ/ 1885م ليسلك طريقه الخاص، واصل الأفغاني مسيرته في هذا الطور الأوروبي الثري بالأحداث والتحولات، فزار بلاد فارس مرة أولى سنة 1303هـ/ 1886م بدعوة من الشاه لكن مقامه لم يطل فيها.

ثمّ أقام في روسيا بعد ذلك أكثر من سنتين حيث حرص على تحسين وضع المسلمين بها وغادرها إلى باريس سنة 1306هـ/ 1889م لحضور «المعرض الدولي»، وأثناء ذلك التقى، في مونيخ بألمانيا، بشاه إيران ناصر الدين الذي دعاه ثانية إلى إيران. فسافر فعلا، لكن العلاقة سرعان ما ساءت بينه وبين الشاه بسبب أفكاره ومواقفه، فغادر إيران عائدا إلى أوروبا بعد إقامة قصيرة في البصرة بالعراق خصص جانبا منها للتحريض على الشاه وحكمه الاستبدادي، وفي لندن واصل نشر مقالاته ضدّ الاستبداد السياسي وضد حكم الشاه في مجلة «ضياء الخافقين» التي كان يشرف على إصدارها.

غادر أوروبا سنة 1310هـ/ 1892م ملبّيا دعوة السلطان عبد الحميد الثاني لزيارة الأستانة التي أقام بها مرغما ومحاطا بمراقبة شديدة لنشاطه واتصالاته، فانتهى بذلك كل ذلك

التدفق الحركي والفكري الذي تميزت به المرحلتان السابقتان، يؤكد عديد من الباحثين أن وفاته في عاصمة السلطنة العثمانية سنة 1315هـ/ 1897م كانت نتيجة تدهور صحّي مفاجيء لا يستبعد البعض أنه كان مفتعلا قصد التخلص منه نهائيا. ومهما يكن من الأمر فإن هذه المرحلة الثالثة والأخيرة من حياة جمال الدين كانت بائسة على المستوى الشخصي ومجدبة على الصعيد الفكري والحركي. وقد دفن في إحدى مقابر «اسطنبول» ثم نقلت رفاته سنة 1364هـ/ 1945م إلى أفغانستان لتدفن قرب العاصمة «كابل».

كانت حياة جمال الدين الأفغاني لافتة للنظر في أكثر من مستوى، ففي الجانب الشخصي كانت متميزة بالحيوية والحركة مع عزوف عن كل ما يمكن أن يعطل هذا السعي الدؤوب، لذلك اختار أن يظل أعزب طول حياته، يعيش على الكفاف ويعرض عن الاستقرار في مكان واحد لفترة طويلة.

وفي المستوى العلمي كان صاحب معارف واسعة بالفلسفة الإسلامية والمنطق والمذاهب الفقهية والكلامية، كما كانت له عناية بالتاريخ والآداب والعلوم مثل الرياضيات والفلك. هذا مع حرص الأفغاني الشديد على ربط الصلات الوثيقة مع النخب المتعلمة في جهات مختلفة من العالم العربي والإسلامي. مع ذلك فإنه لم يكن مكثرا من التأليف رغم ما كان يشهد له به مَنْ تابع دروسه ومحاضراته ومقالاته من الاتساع والعمق في الدائرة العلمية.

من جهة ثالثة فإن جمال الدين الأفغاني في علاقاته مع رجال السلطة في البلاد الإسلامية خاصة (أفغانستان ومصر ثم فارس والدولة العثمانية) لم يعبّر عن معارضته المبدئية والجذرية. كان يوحي في كل هذه الحالات بأنه ينطلق من توسّم للخير في النخب الحاكمة، لكنه كان ينتهي دائما في علاقته بها إما إلى قطيعة وإما إلى عداء. وإذا كان البعض يرى في هذا السلوك ما يدل على أنه صاحب شخصية قلقة ومتمردة فإن البعض الآخر يرى فيها ما ينمّ على رؤية سياسية إصلاحية تجعل من أولى أولوياتها مقاومة الهيمنة الاستعمارية بكل الوسائل. من ثمّ يصبح اختيار دعم الأنظمة السياسية في البلاد الإسلامية أمرا يفرضه الحرص على تماسك داخلي أدنى لمواجهة التوسع الأجنبي المدمّر.

إذا أردنا أن نحدد الخط المميز لأبرز ما ميّز حياة الأفغاني وشخصيته فلعلنا نجدها موجزة في عبارته التي حدّد فيها رسالته قائلا: «... الشرق الشرق! خصصت جهاز دماغي لتشخيص دائه وتحرّي دوائه فوجدت أقتل أدوائه انقسام أهله وتشتت آرائهم واختلافهم على الاتحاد واتحادهم على الاختلاف فعملت على توحيد كلمتهم وتنبيههم للخطر الغربي المحدق بهم».

ألف جمال الدين الأفغاني بعد خروجه من مصر مبعدًا وأثناء إقامته الهندية سنة 1296هـ/ 1879م كتابه في «الرد على الدهريين» بالفارسية، وقد نقله إلى العربية تلميذه «محمد عبده» بعد فترة وجيزة من صدوره مع تعريف بالمؤلف. ركّز الأفغاني في كتابه على موضوع رئيسي هو ضرورة إثبات الذات وذلك باعتبار أن التمدن الحقيقي مكافىء للدين الذي هو «قوام الأمم فبه فلاحها وعليه مدارها» وأن تلمس السعادة الحقيقية للإنسان لا تكون إلاّ في الدين الخالص الذي يمثل «عماد هيأتها

الاجتماعية والأساس المحكم لمدنيتها». لذلك كانت رسالة «الرد على الدهريين» رسالة ذات طابع جدلي ترى في الإسلام توفر كل شروط نيل السعادة، ذلك أنه يحقق للفرد والجماعة التميز الإيماني والخلقي والتوازن العقلي والتربوي مع توفير للتضامن الاجتماعي والفاعلية الحضارية. لهذا ركّز المؤلف على إظهار تهافت المذهب المادي الدهري مبيّنا جذوره التاريخية ومناهضته للتمدن وما يفضي إليه من نتائج مدمرة أكّدتها الأحداث قديما وحديثا.

تواصل هذا التوجه المنطلق من اعتراف بتخلّف العالم الإسلامي المتمثّل - حسب الأفغاني - في عدم الوعي بالخصوصية الدينية والحضارية للإسلام فيما نشره بعد ذلك في مقالاته بـ«مصر»، ثم بـ «باريس» على صفحات «العروة الوثقى»، ثم بـ «لندن» بعد ذلك في «ضياء الخافقين».

يتضح نفس هذا الغرض في كتابه عن تاريخ أفغانستان وكذلك فيما جمعه له «محمد المخزومي» من «خاطرات». هو عين ما نقف عليه فيما كان ينشره الأفغاني من ردود ضمن مقالاته في أوروبا للردّ على السياسات الاستعمارية وما ترتكز عليه من تأكيد على قيمة «التقدم» في ألمانيا الغربية، ومن إنكار لكل خاصية ذاتية للإسلام. لقد كان في مجمل كتاباته يعتبر أن إزالة الجوانب الخرافية التي شوّهت حياة المسلمين وفكرهم في العصور الأخيرة كفيلة باستعادة الإسلام فاعليته الملائمة لمقتضيات العصر. لذلك فقد أدان المذهب الجبري الذي تبناه العديد من المسلمين تعبيرا منهم عن سوء فهم للإيمان بالقضاء والقدر معيدا الاعتبار للحرية الإنسانية وللفعل البشري. هذا الاختيار تمثل لدى الأفغاني في العمل على الدعوة إلى النظم الدستورية الساعية إلى تحقيق العدل، لكن الأهم من ذلك أن هذا التوجه كان يتنزل في سياق أزمة للفكر الإسلامي سعى الأفغاني إلى تجاوزها بالدعوة إلى حركة دينية تشابه حركة لوثر البروتستنتية. غير أن مثل هذه الدعوة لم تبلور لنفسها منهجا له أدوات التحليل الواقعي والمنطق العلمي الضروريين لتحديد تجاوز حقيقي ومتكامل للمعضلة. لكن ذلك لم يمنعه من أن يكون رجل المواقف الفكرية الإصلاحية التي فتحت مجالات للبحث والنظر تولتها تيارات لاحقة حرصت على امتلاك العدة المعرفية العصرية قصد انخراط فعلي في البناء الحضاري.

وقد أخذت فكرة الجامعة حظا كبيرا في حياة الأفغاني. فمثلما ذكرنا أنها كانت قضية ملحة عليه، وكان يرى أنها السبيل لمواجهة الاستعمار في كل بلاد الشرق، فإن المؤرخين يختلفون حول أصل هذه الفكرة، هل هي دعوة السلطان عبد الحميد، أو أنها مشروع الأفغاني وأعلنه السلطان عبد الحميد. وأيا كان الأمر، فإن «فكرة الجامعة الإسلامية لم تقف عند الشأن الداخلي، بل كانت مضمونا معاديا للاستعمار» [فاروق أبو زيد، الفكر الليبرالي في الصحافة المصرية 1997، ص73].

ولكن الأفغاني لم يستطع أن يبين العلاقة بين القومية العربية، وفكرة الجامعة الإسلامية، فكانت فكرته مثار انتقاد وهجوم من التيار القومي، لأن مفهوم الوحدة الإسلامية عند الأفغاني كما يرى محمد عمارة « ينبع من رابطة الملة والدين. فإذا هي «التضامن» تضامن الملة الإسلامية والتساند ضد أعدائها»

[محمد عمارة، ندوة القومية العربية والإسلامية 1981، ص 152].

إنّ الأفغاني قد التزم في كل مراحل حياته بأربعة مبادىء: «العودة إلى ينابيع الإسلام، ومقاومة الاستبداد الذي يصدر عن الحاكم والحكومات، ومقاومة الاستعمار الأوروبي، ونشر العلم والثقافة» [عبد العزيز البسام، ندوة مكانة العقل في الفكر العربي، 1996، ص 168].

وينبغي علينا هنا أن نضع بعض الافتراضات القابلة للدراسة للرد على الكتابات الاختزالية، دون اتخاذ موقف احتفالي من هذه الشخصية، منها:

- أن الأفغاني قد تأصلت في داخله فكرة الوحدة الإسلامية منذ سيرته الأولى في كابول وقد كانت أحد أسباب طرده منها.

- أن عضوية الأفغاني للمحفل الماسوني ليست دليلا على إلحاده أو يهوديته كما ذهب البعض، وإلا حكمنا نفس الحكم على محمد عبده وسعد زغلول مثلا فقد كانا أعضاء في نفس المحفل.

- أن الأفغاني ظل ينادي جهرا بفكرة تقدمية. وهي قيام الدولة الملكية الشورية، وكانت تلك الدعوة سببا في طرده من إيران، ومن مصر أيضا.

- أما بالنسبة إلى تأثره بالأفكار الغربية السائدة في ذلك الوقت والتي وردت في رسالة الرد على الدهريين، فإنها محل انتقاد سببه قلة إلمام الرحل بهذه الأفكار، فقد حاول تفسير المادية والداروينية والاستشراق بأنها إلحاد وانحلال ولم يقدم تفنيدا علميا لدحض هذه الأفكار، باستثناء رده على رينان المستشرق الفرنسي في مزاعمه عن الإسلام.

وعلى أية حال، فإن الأفغاني يظل علامة من علامات التنوير الإسلامي والعربي في العصر الحديث، سواء في ذاته أو في أثره في الأجيال اللاحقة بعده.

آثاره

الثابت أن تراث الأفغاني المكتوب موزع في عدة بلدان، ومعظمه بصفة خاصة في مصر وفرنسا وإيران. ومع ذلك يمكن القول: إن هذا التراث لا يتلاءم مع حجم النشاط الذي مارسه في الحياة الاجتماعية، ويرجع السبب في ذلك إلى أنّ الأفغاني كان مهتما بالعمل على تغيير الأوضاع السائدة. ففي المجتمعات التي كان ينتقل إليها - طوعا أو جبرا - والمشاركة الفعلية الإيجابية في رصد مشكلاتها، وتعميق الفهم بتلك المشكلات، والكشف عن جذورها، ثم ممارسة الدعوة للتخلص منها.

كان جمال الدين الأفغاني يجاهر على المستوى النظري بالدعوة إلى إعادة النظر في أمور الدين والسياسة، ولكنه كان على المستوى العملي يتولى تكوين الجمعيات السرية المناهضة للرجعيين ودعاة الحكم المطلق، وكان يتحرك بين صفوف المثقفين يدعو إلى حتمية النضال ضدّ المستعمر وضدّ تخلّف المسلمين، وتشير المراجع إلى أن تراثه المكتوب يشتمل على:

1 - رسالة واحدة خصصها «للرد على الدهريين»؛ 2 - كتاب «تتمة البيان» وهي مختصر في تاريخ الأفغان؛ 3 - «الخاطرات» وهي مجموعة أقوال وآراء الأفغاني في الفترة من 1892 1897 جمعها محمد المخزومي الذي صاحبه في رحلته الأخيرة، إلى جانب

المقالات والمحاورات التي قام بها في الصحافة العربية أو الإسلامية أو الفرنسية. وتعتبر جريدة «العروة الوثقى» من أهمّ ما قدمه للصحافة الوليدة، فاستطاعت أن تقدم مفاهيم جديدة في الفكر الديني والسياسي لم يعهدها المثقفون من قبل، على الرغم من أنها قد منعت من الصدور بعد العدد الثامن عشر؛ 4 - الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني، مع دراسة عن حياته وآثاره، ط. المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة 1964، 548 صفحة.

المصادر والمراجع

● طاهر الطناحي، مذكرات الإمام محمد عبده، القاهرة، كتاب الهلال، 1961؛ ● محمد عمارة، ندوة القومية العربية والإسلام، بيروت 1981، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى؛ ● م.ن.، جمال الدين الأفغاني المفترى عليه، القاهرة 1984، دار الشروق؛ ● م. ن.، الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده، تح. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ج 1-11، بيروت 1972؛ ● م.ن، جمال الدين الأفغاني، موقظ الشرق وفيلسوف الإسلام، بيروت 19884، دار الوحدة؛ ● كمبر محمود، التاريخ بين السياسة والاجتماع، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 197؛ ● قلعجي، قدري، ثلاثة من أعلام الحرية، بيروت 1994، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، الطبعة الثانية؛ ● محمد الحداد، الأفغاني، صفحات مجهولة من حياته، بيروت 1997، دار النبوغ للطباعة والنشر والتوزيع؛ ● البسام، عبد العزيز، ندوة مكانة العقل في الفكر العربي، بيروت 1996، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت، ط 1؛ ● حنفي، حسن، جمال الدين الأفغاني، القاهرة 1999، الهيئة المصرية العامة للكتاب؛ ● الشيخ محمد عبده، الثائر الإسلامي جمال الدين الأفغاني، القاهرة 1999، دار الهلال؛ ● خفاجي، محمد عبد المنعم، السيد الجميلي، من أعلام الإسلام، القاهرة 1999، دار الأمين؛ ● السيد يوسف، جمال الدين الأفغاني والثورة الشاملة، القاهرة 1999، الهيئة المصرية العامة للكتاب؛ ● الزركلي، الأعلام، ط14، دار العلم للملايين، بيروت 1999، مج 6، ص 168-169؛ ● مجموعة باحثين، ملف التنوير، عالم الفكر، الكويت، مج 24، عدد 3/ 2001؛ ● أبو رية محمود، جمال الدين، تاريخه ورسالته ومبادئه، القاهرة منشورات المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 1376هـ؛ ● أرسلان الأمير شكيب، حاضر العالم الإسلامي، ط حلبي، ج2، ص ص 289-303؛ ● أمين، أحمد، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، القاهرة 1948، ص59-120؛ ● رشيد رضا، تاريخ الاستاذ الإمام، القاهرة 1931، ج 1، ص 27-102؛ ● محمود قاسم، جمال الدين الأفغاني حياته وفلسفته، القاهرة د.ت، مخيمر؛ ● المغربي، عبد القادر، جمال الدين الأفغاني، ذكريات وأحاديث،

القاهرة 1948، دار المعارف.
• L. Asfahar et A. Mahdawi, Documents indédits, Université de Teheran No 841, 1963. • O. Carré, Djamal al-Din al-Afgani a t-il lu la Muquadima d'Ibn Khaldun?, dans Middeo, V.X, 1970 pp 301-316; • Pages peu connues de Djamal al-Din al-Afghani, dans Orient No 6,2 Trim. 1958, pp 123-128. • E.I., L. Goldziher/ J. Jomier, art. Djamal al-Din al-Afghani, N.E., pp 427-430. • E. Kedourie, Nouvelles lumières sur Afghani et Abdou, dans Orient No 30,2 Trim., 1964. • L. Massignon, De Djamal al-Din al-Afghani à Zawahi, dans RMM No 12, 12/1910 pp 561-570. • H. Pekdaman, Notes sur le séjour d'Afghani en France, dans Orient No 35,3 Trim. 1965 pp 203-212.

د. مصطفى مرتضى علي محمود
جامعة القاهرة
د. احميدة النيفر
جامعة الزيتونة

الأفغاني، سعيد بن محمد خان

(ت 1417 هـ/ 1997م)

هو سعيد بن محمد خان الأفغاني الدمشقيّ، من أساتيذ النحو واللغة والأدب والتاريخ. ولد بدمشق، وكان أبوه قد هاجر إليها من كشمير، ودعاه الناس بالأفغاني، وهو الكشميريّ أصلا. وتعلّم ابنه سعيد في دمشق، دراسته العالية، ثم عمل معلما ابتدائيا في قرية منين شرقيّ دمشق، ثم مدرّسا جامعيّا في جامعة دمشق.

وقد تجوّل في معاهد العلم العربيّة، فكان مدرّسا في الجامعة اللبنانية، وفي الجامعة الأردنيّة، وجامعة بيروت العربية، والجامعة الليبيّة، وجامعة الملك سعود.

وتولّى رئاسة قسم اللّغة العربية في جامعة دمشق طوال ربع قرن، وتولّى كذلك عمادة كليّة الآداب فيها. وتوفّي بمكة المكرمة، ودفن فيها. انتخب عضوا مراسلا في مجمع القاهرة، وعضوا في المجمع العلمي العراقي، ولم يكن عضوا في مجمع دمشق.

وقد عرف من أخلاقه وصفاته أنّه تامّ المروءة، مدافع عن الحق يقول ما يراه ويعتقده، لا يبالي أرضي آخرون أم لم يرضوا.

آثاره

1- أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، ط. دمشق سنة 1937 م؛ 2 - في أصول النحو ط. دمشق سنة 1951 م؛ 3- حاضر أصول النحو ط. دمشق سنة 1951 م؛ 4 - حاضر اللغة العربية في بلاد الشام، ط. القاهرة

1962 م؛ 5 - الموجز في قواعد اللغة العربية، ط. دمشق؛ 6- تعاليق على شواهد الموجز، ط. دمشق سنة 1971؛ 7- الإسلام والمرأة، ط. دمشق.

وفي التحقيق له الكتب الآتية:

8- الإغراب في جدل الإعراب، ولمع الأدلّة في مجلّد واحد، ط. الجامعة السورية والكتابان لأبي البركات ابن الأنباري؛ 9 - كتاب الإفصاح في شرح أبيات مشكلة الإعراب للفارقي، ط. جامعة بنغازي 1974م؛ 10- تاريخ داريّا للخولاني، ط. المجمع العلمي العربي بدمشق سنة 1950م؛ 11- توجيه إعراب أبيات ملغزة للرّماني، ط. الجامعة السورية سنة 1958م؛ 12- حجة القرّاء لابن زنجلة، ط. دمشق سنة 1941م؛ 13 - رسالة في المفاضلة بين الصحابة وابن حزم طبع مع كتاب له «ابن حزم» في دمشق؛ 14- عائشة والسياسة، ط. القاهرة سنة 1947م؛ 15- وقد أشار الزركلي في الأعلام إلى مخطوط للأستاذ سعيد الأفغاني ورسمه بـ «مفكرة الأفغاني» وقد أفاد الزركلي منه ونقل عنه فوائد تتّصل بالمخطوطات.

المصادر والمراجع

● معجم المؤلفين السوريين 1937 - 1938؛ ● الشيخ زهير الشويش، بحث في صحيفة اللواء، 19 شوّال 1418هـ؛ ● مجلّة الفيصل 246، 1998-1999، بحث محمود حبر البرباوي؛ ● مجلة الفتح، العدد 855 سنة 1368هـ ص8، بحث لمحب الدين الخطيب؛ ● مجلّة اللغة العربية بالقاهرة، بحث للدكتور شوقي ضيف.

د. إبراهيم السامرّائي
جامعة بغداد ـ العراق

ابن أفلح الإشبيلي، أبو محمد جابر

(ت حوالي 540 هـ / 1145 م)

أبو محمد جابر بن أفلح الإشبيلي، هو جابر Geber اللاتينيين لا جابر الكيميائيين (ابن حيان)، وكثيرا ما تمّ الخلط بينهما منذ القرون الوسطى من قبل الكتّاب الغربيين. كما أنه لئن قال بعضهم إنّ «إمام المدوّنين في الكيميا جابر بن حيّان حتى إنهم يخصّونها به فيسمّونها علم جابر» زعم آخرون، خطأ، أنّ جابر بن أفلح هو واضع علم الجبر، فسمّي باسمه.

وهذا الأخير عالم إشبيلي صنّف مؤلفات في الفلك وساهم في تطوير علم المثلّثات. فترجم مصنّفه في الفلك إلى اللاتينية، ونشر بنورمبرغ - ألمانيا سنة 1534 م.

وانتقد أبو محمد جابر المجسطي في كتابه المعروف بكتاب «إصلاح المجسطي». ودعّم انتقاده عالم آخر أندلسي، هو نور الدين، أبو

إسحاق، البطروجي في «كتاب الهيئة» الذي يشتمل على مذهب حركات الفلك الجديد؛ ويقول سارطن، مؤرّخ العلوم الشهير، إنّه «على الرّغم من نقص هذه المذاهب الجديدة، كانت مفيدة جدّا ومهمّة جدّا، لأنها سهّلت الطريق للنهضة الفلكية الكبرى التي لم يكمل نموّها قبل القرن العاشر الهجري، وأدّت بحوثهما الفلكية لكبلير أن يكشف أوّل قوانينه الثلاثة الشهيرة المثبت لفلك الكواكب السيّارة في شكل قطع مخروطي ناقص».

ويوجد بالاسكوريال نسختان مخطوطتان من كتاب الهيئة لجابر بن أفلح، الملخّص النقدي لكتاب المجسطي. ويشتمل الكتاب على تسع مقالات حلّلها Ahlwardt عند وصفه لمخطوطة برلين رقم 5653.

والنسخة رقم 910 بالاسكوريال تتفرّع كما يلي:

المقالة 1 (ورقة 4 و)، 2 (الورقة 16 ظ)، 3 (32 ظ)، 4 (39 ظ)، 5 (51 ظ)، 6 (68 ظ)، 7 (78 ظ)، 8 (100و)، 9 (107و).

ومجموع الأوراق 120، في كل ورقة 27 سطرا، مقاس 0،145× 0،215، والخط مغربي. وتشتمل النسخة على عدة رسوم هندسية، والنسخة الثانية رقمها 930 وعنوانها: «النسخة الكبرى» أوراقها 150، 21 س، مقاس 0،185 × 0،250. مقالاتها: 1 (4 و)، 2 (18 و)، 3 (36ظ)، 4 (43 و)، 5 (59 و)، 6 (82 ظ)، 7(96و)، 8 (118 ظ)، 9 (121 و) مسفّرة تسفيرا يحمل العلامة البابوية. أحصاها Casiri في فهرسه تحت رقم 925.

آثاره

1 ـ إصلاح المجسطي؛ 2 ـ كتاب الهيئة.

المصادر والمراجع

• ابن خلدون، المقدمة، ط. مصر، ص488، 504؛ • ابن النديم، الفهرست، ص 354-358؛ • طوقان، قدري حافظ، العلوم عند العرب، بيروت، 1983، ص 67-97.

• J. Holmyard, The identity of Geber (Nature, III, 1923. pp. 191-193). • E.J. Holmayard, The Works of Jabir Ibn Hayyàn, Paris Geuthner 1928. • O. Houdas. Publié et traduit 6 traités de Jabir. • D. Lemrabet, Introduction à l'histoire des Maths Maghrebines, Rabat 1994, p. 31, No 114. • F. Sezgin dans G.H.S., 4, pp. 230. • J. Vernet, ce que la culture doit aux arabes d'Espagne, Sindbad, Pairs, 1989, Notes No 19-20-21-22, p. 406. • M. Plessner. Geber and Jaabir b.Hayyàn; an authentic sixteenth century quotation from Jabir, Ambiz, 3,1969 pp. 113-118. • M. Plessner et Kraus. E. I. 2, 2, pp. 367-369.

د. محمد سويسي
الجامعة التونسية

الإفليلي، أبو القاسم ابراهيم بن محمد

(352 هـ/ 963 م - 441 هـ/ 1049 م)

أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن زكريا الزهري القرطبي المعروف بالإفليلي أو ابن الإفليلي، من ذرية الصحابي المعروف سعد بن أبي وقاص، رضي الله عنه، وزير من أئمّة اللغة والأدب في الأندلس. والنسبة التي اشتهر بها إلى قرية من قرى الشام كان يقول إنّ أسلافه كانوا يقيمون بها. ولد في قرطبة في شوال 352هـ/ نوفمبر 963م، ولا نكاد نعرف شيئا عن صباه وشبابه، ولكن المؤكّد أنه لم يرحل إلى المشرق في طلب العلم كما كانت عادة الأندلسيين في العصور السابقة، إذ كانت الأندلس خلال النصف الثاني من القرن الرابع الهجري قد بلغت مستوى عاليًا من الرقي الثقافي والعلمي بفضل الخليفة العالم الحكم المستنصر والحاجب المنصور بن أبي عامر وابنه المظفر (حكموا بين سنتي 350 و399 هـ/ 962 و1008 م)، وكانت الأندلس قد بلغت في ظل هؤلاء أوج عظمتها السياسية والاقتصادية، كما كانوا من أكثر حكام المسلمين تشجيعا للحركة الثقافية وإغداقا على العلماء في كل مجالات المعرفة، حتّى لم يعد الأندلسيون بحاجة لطلب العلم خارج حدود بلادهم. ونعرف عن الإفليلي أنه تلقى العلم عن جماعة من كبار المحدثين واللغويين في طليعتهم أبوه، والفقيه المحدّث يحيى بن عبد الله الليثي (ت367هـ)، ويحيى بن مالك بن عائذ (ت375هـ) الذي كان قد جمع في رحلته المشرقية من الكتب ما لم يجتمع لأحد، وكان مجلسه في قرطبة من أحفل مجالس العلم، والقاضي عبد الله بن محمد قاسم الثغري (ت 383هـ)، وأبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي (ت 379هـ)، وأحمد بن أبان ابن سيد (ت 382هـ)، والحسين بن الوليد بن العريف (ت 390هـ) وأحمد بن عبد العزيز ابن أبي الحباب (ت 400هـ)، وهؤلاء الأربعة الأخيرون كانوا أبرز تلاميذ أبي علي القالي البغدادي (ت 356هـ/ 966م) الوافد على الأندلس والذي أوجد في هذه البلاد نهضة بعلوم اللغة والنحو والأدب لم يسبق لها مثيل من قبل. وتصدّر ابن الإفليلي للتدريس منذ أوائل القرن الخامس الهجري. ويقول عنه المؤرّخ أبو مروان بن حيان في وصف مكانته العلمية إنه «بذّ أهل زمانه بقرطبة في علم اللسان العربي والضبط لغريب اللغة في ألفاظ الأشعار الجاهلية والإسلامية والمشاركة في بعض معانيها»، على أنّ ابن حيان لا يُخله من نقد، إذ يقول على أثر ثنائه عليه: «وكان غيورًا على ما يحمل من ذلك الفن، كثير الحسد فيه، راكبًا رأسه في الخطأ البيّن إذا تقلّده أو نشب فيه، يجادل عليه، ولا يصرفه صارف عنه، وعدم علم العروض ومعرفته مع احتياجه إليه، وإكمال صناعته به؛ فلم يكن له شروع فيه».

وعلى الرغم من نشوب الفتنة المعروفة بالبربرية والحروب الأهلية المبيرة التي اجتاحت قرطبة وانتهت إلى إلغاء الخلافة الأموية على مدى نحو ربع قرن (من سنة 399هـ إلى 422هـ/ 1008 - 1031م) فإن الإفليلي لم يغادر قرطبة طلبًا للأمان كما فعل كثيرون غيره، بل كانت له بعض المشاركة في الأحداث السياسية الدائرة في حاضرة الأندلس، فقد تقرّب إلى خلفاء دولة الحموديين العلويين الذين حكموا الأندلس عدّة سنوات (بين 407 و 414هـ/ 1016-1023م)، فنوهوا به ورفعوا من شأنه، وولاه يحيى بن علي بن حمود الكتابة واتخذه من خاصيته. ولما دالت دولة الحموديين وولي الخلافة محمد بن عبد الرحمن المستكفي بالله (بين 414 و416هـ/ 1023و1025م) عهد إليه هذا بديوان الكتابة وقلده الوزارة. غير أنه لم يوفّق في هذا العمل. يقول عنه ابن حيّان: «فوقع كلامه جانبًا من البلاغة، لأنّه كان على طريقة المعلّمين المتكلّفين، فلم يجر في أساليب الكتاب المطبوعين، فزهد فيه»، وهو حكم صحيح، إذ لم يحتفظ أي مصدر أندلسي بشيء من رسائله.ومن هنا كان أيضًا هدفًا لسخرية لاذعة من جانب أبي عامر بن شهيد الذي يكرر حكم ابن حيان إذ يقول: «ومن العجب أيضًا في أمره أن كل كاتب كتب للسلاطين عندنا وكل شاعر مدحهم رويت أشعاره ورسائله غير أبي القاسم وحده. على أنه إنّما جلس للتعليم على هذا المعنى وربّما عَرَّض بأن يؤخذ منه شيء من أشعاره ورسائله ولا يجيبه تلميذ، والمحروم محروم!». وبالغ ابن شهيد في رسالته «التوابع والزوابع» في تهكّمه من الإفليلي، فتخيّل تابعه «جِنّيًا أشمط رَبْعَةً وارم الأنف يتظالع (أي يصطنع العَرَج) في مشيته، كاسرًا لطرفه وزاويًا لأنفه» (مُعَرِّضًا بكبر أنفه وبخُيَلائه)، ولهذا فقد جعل اسم هذا التابع «أنف الناقة». ومع ذلك فإن ابن شهيد على الرغم من هذه السخرية لم يُخلِ غريمه من حكم منصف، إذ يُوردُ في إحدى رسائله وهو يتحدّث عن تلميذ له قرطبي كان يعلمه صناعة الشعر: «ورآني أستعمل وحشي الكلام في مواضعه ولم يشعر بحسن الوضع، فاستعمل شيئا منه وعرضه عليّ فقلت: استره. فقال: تبخل عليَّ به؟ وعرضه على الإفليلي، فقال له: تَنَكَّبْ هذا الكلام. فقال له: إن أبا عامر يستعمله. فقال: يضعه في موضعه، وهو أدرب منك في استعماله». وهكذا نرى أن الخصومة بين الرجلين لم تمنع أبا القاسم من إنصاف ابن شهيد.

ويشير ابن حيان إلى حدث آخر وقع للإفليلي في عهد الحاجب عبد الملك المظفّر بن المنصور بن أبي عامر (بين سنتي 392 و399هـ/ 1002-1008م)، إذ يقول إنه «لحقته تهمة في دينه.. في جملة مَنْ تُتُبِّعَ من الأطباء في وقته كابن عاصم البباسي والحمار (سعيد بن فتحون السرقسطي) وغيرهما، وطُلِبَ ابن الإفليلي وسُجِنَ بالمطبق ثم أطلق». وبهذه المناسبة هجاه الشاعر موسى بن الطائف بأبيات اتّهمه فيها بالزيغ والتعطيل والتطاول على القرآن الكريم، وحرض الحاجب المظفر على التنكيل به، ولم تفدنا المصادر بما يعين على حقيقة هذه التهمة، غير أن إقحامه في زمرة الأطباء والمشتغلين بعلوم الأوائل يدل على

أنه ربّما كان له عناية بالمنطق والفلسفة وما إليها من علوم كانت مثارًا للريبة.

ومنذ أن عاد الهدوء والسلام إلى قرطبة بعد أن استقرّ الحكم فيها لبني جهور في سنة 422هـ/ 1031م ظلّ الإفليلي مشتغلا بالتدريس حتّى وفاته في يوم السبت 13 من ذي القعدة سنة 441هـ/ أبريل 1049م وهو مرموق المكانة، فقد صلّى عليه حاكم قرطبة محمد بن جهور، وكانت جنازته حافلة. ويدلّ على ما خلفه الرجل من طيب الذكر ما وصفه به ابن باشكوال في ترجمته له، إذ يقول: «كان حافظًا للأشعار واللغة، عظيم السلطان على شعر حبيب الطائي (أبي تمام) والمتنبي كثير العناية بهما.. ذاكرا لأخبار الناس. وكان عنده من أشعار أهل بلده قطعة صالحة. وكان أشد الناس انتقاء للكلام ومعرفة بدائعه.. صادق اللهجة، حسن الغيب، صافي الضمير، حسن المحاضرة، مكرمًا لجليسه».

كما يدل على منزلته العلمية ذلك العدد الكبير من تلاميذه الذين أصبحوا من أعظم علماء الأندلس، وفي مقدّمتهم أبو مروان الطبني (ت 457 هـ/ 1065 م)، والأعلم الشنتمري (ت 476 هـ/ 1083 م)، والعز بن محمد بن بقِنّةْ (ت 488 هـ/ 1095 م)، وعبد الملك ابن سراج (ت 489 هـ/ 1096 م)، والراوية أبو الخطاب بن حزم الذي أكثر من الثناء عليه وأبو بكر الخطيب البغدادي.

والذي يلفت النظر في حياة الإفليلي أنّ أكثر اشتغاله كان بالتدريس، على حين كان مقلا في التأليف، فابن حيان يقول: «وما بلغني أنه ألف في شيء من فنون المعرفة إلاّ كتابه في شعر المتنبي لا غير». وهو يعني شرحه لديوان أبي الطيب الذي أجمع من عرفوه على أنه من أفضل شروح هذا الديوان، وتكفينا في ذلك شهادة الإمام أبي محمد ابن حزم الظاهري الذي وصفه بأنه «حسن جدا». ويقال إن الأعلم الشنتمري تلميذ أبي القاسم هو الذي أعان أستاذه في هذا الشرح. وعلى الرغم من ثناء ابن حزم على الكتاب كما رأينا فإنه لم يخله من نقد كما ينص على ذلك أبو الحسن النباهي المالقي (توفي في أواخر القرن الثامن الهجري) الذي يضيف أنّ أحد أسلافه وهو عبد الله بن أحمد بن الحسن النباهي تلميذ الإفليلي وقاضي الجزيرة الخضراء ألف ردًا على ابن حزم فيما انتقده على الإفليلي في شرحه لشعر المتنبي، غير أنّ ما كتبه ابن حزم ورد النباهي عليه لم يصل إلينا.

والذي وصل إلينا هو ذلك الشرح في عدد من المخطوطات أحصاها بروكلمان في كتابه، وهي في برلين، وخزانة القرويين في فاس، والمتحف البريطاني، والخزانة العامة في الرباط. ومن المؤسف أن هذا الشرح الجليل لم يحقق بعد.

وأهم ما قام به الإفليلي من نشاط هو روايته لعدد كبير من كتب اللغة ومن دواوين الشعر القديم ممّا قدم به إلى الأندلس أبو علي القالي. نذكر من ذلك ديواني أبي الطيب وأبي تمام وكتب الشعر والأخبار التي عددها ابن خير الإشبيلي مما قدم به القالي وشرح غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام، وكتاب الأمثال له أيضًا، وهو الذي سيقوم بشرحه أبو عبيد البكري، ومن كتب ابن قتيبة شرح غريب الحديث، وإصلاح الغلط الواقع في غريب

الحديث لابن سلام، وأدب الكتاب (الذي يدعى في المشرق أدب الكاتب).

المصادر والمراجع

● الحميدي، جذوة المقتبس، القاهرة 1966م، ترجمة 298، ص151؛ ● الشنتريني، ابن بسام، بيروت 1979م، القسم الأول، ص 235، 241-243، 273-278، 281-283، 483؛ ● ابن بشكوال، الصلة، القاهرة 1955، ترجمة 206، ص 94؛ ● الإشبيلي، ابن خير، فهرسته، سرقسطة 1893، ص186-189، 329، 334، 339؛ ● الضبي، بغية الملتمس، القاهرة 1967، ص213؛ ● الحموي، ياقوت، معجم الأدباء، بإشراف أحمد فريد الرفاعي، 2/ 4-9؛ ● القفطي، إنباه الرواة، 1/ 183؛ ● ابن خلكان، وفيات الأعيان، بيروت 1968-1972، 1/ 51، 124، 7/ 81؛ ● ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، قسم عصر الطوائف، 3/ 132؛ ● صلاح الدين الصفدي، الوافي بالوفيات، 6/ 114-116؛ ● أبو الحسن علي بن عبد الله بن الحسن النباهي، المرقبة العليا، القاهرة 1948، ص19-20؛ ● ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، 3/ 266؛ ● السيوطي، بغية الوعاة، 1/ 426؛ ● المقري، نفح الطيب، بيروت 1968، 2/ 630، 3/ 173؛ ● الزركلي، الأعلام، بيروت 1979، 1/ 61؛ ● بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، الترجمة العربية لعبد الحليم النجار، 2/ 89؛ ● ألبير مطلق، الحركة اللغوية في الأندلس، بيروت 1967، ص303-307، ● ميخائيل عواد وكوركيس عواد، رائد الدراسة عن المتنبي، بغداد 1979، ص54-55.

د. محمود علي مكي

مجمع اللغة العربية - القاهرة

أفوقاي، أحمد بن القاسم الحجري الأندلسي

(977 هـ / 1570 م - بعد 1051 هـ / 1641 م)

أحمد بن القاسم بن الفقيه قاسم بن الشيخ الحجري الأندلسي لقب بالشهاب وعرف بأفوقاي. ولد بمحلّة الحجر الأحمر قرب غرناطة 977 هـ/ 1570 م، وعاش تحت سلطة الإسبان الذين استولوا على مملكة غرناطة منذ 898 هـ/ 1492م، وحرص على تعلّم العربية وأحكام الشريعة الإسلامية من أسرته، وأتقن اللغة القشتالية (الإسبانية) وتعرّف على آدابها. وهذا ما سمح له بترجمة النصوص من القشتالية وإليها، بعد أن أخفى إسلامه وتظاهر باعتناق المسيحية باسم بخارانو (Bejerano)، الأمر الذي

ساعده على الحصول على رخصة مترجم ومكنه من حضور مجالس الترجمة تحت إشراف أسقف غرناطة دي سالفا تييرا (Salpa tierra) والأسقف بدرو كاسترو (D. Pedro Castro) زاعما أنه تعلّم العربية بمدريد على يد طبيب من بلنسية توفي منذ سنوات حتى يبعد كل شبهة عنه في تلك المجالس قد تعرضه إلى المساءلة والتحقق من عقيدته.

حرص أحمد الحجري أفوقاي على مغادرة الأندلس بعد أن اشتدّت مراقبة الاسبان للموريسكيين وملاحقتهم وتعرضهم إلى الحرق بمقتضى تعليمات محاكم التفتيش. فقد رأى في هجرته من اسبانيا خلاصا له وسلامة لمعتقده. وهذا ما عبر عنه بقوله: «ولقد جعل الله في قلبي محبة الخروج من الأندلس مهاجرا إلى الله تعالى ورسوله...».

تمكن أحمد الحجري أفوقاي من مغادرة الأندلس عن طريق ميناء سانتاماريا (Santa Maria) متنكرا على ظهر سفينة كانت تحمل القمح للحامية البرتغالية بالبريجة (الجديدة) على ساحل المغرب الأقصى في ربيع عام (1007هـ/ 1598م) ومنها هرب مع أحد المرافقين له إلى مدينة أزمور القريبة من البريجة واتصل بحاكمها السعدي وأطلعه على حقيقة أمره، ثمّ توجه معه لتهنئة السلطان أحمد المنصور الذهبي في مراكش. فأعجب به السلطان وأكبر فيه حماسه الديني وقدر فيه معرفته اللغتين القشتالية والبرتغالية فألحقه بقلم الترجمة بديوانه، وبعد وفاة أحمد المنصور احتفظ أحمد الحجري بوظيفة الترجمة والكتابة باللسان الأعجمي لدى ولدي السلطان زيدان عبد الملك (ت 1040هـ) والوليد (ت 1045هـ). وأثناء ذلك توثقت صلته بجمهور الأندلسيين وبجماعة العلماء بمراكش وفي مقدمتهم أحمد بابا التنبكتي، وأحمد التواتي، ومحمد الرجراجي.

كلف السلطان زيدان أحمد الحجري (أفوقاي) بسفارة إلى فرنسا بشأن استرداد ما أخذه ربابنة السفن الفرنسية من جماعة الأندلسيين أثناء نقلهم إلى سواحل المغرب، فسافر رفقة جماعة الأندلس حاملا رسائل توصية إلى ملك فرنسا وولاتها سنة 1611م فاتجه إلى ميناء لهافر ومنه انتقل إلى روان ثمّ إلى باريس التي بهره عمرانها وطريقة الحياة بها، ثمّ انتقل إلى بوردو التي مكث بها سنة كاملة، بعد ذلك تحوّل نحو الشمال تجنبا لمخاطر السفر، فأتيحت له الفرصة لإجراء مناظرات مع بعض رجال الدين من اليهود والنصارى. وأثناء ذلك تعرف بمدينة لاهاي على المستشرقين الهولنديين: كوليوس (Golius) وايربنيوس اللذين شغلا كرسي اللغة العربية بجامعة ليدن، واطلع على المطبعة التي أحدثها ايربنيوس (Erpenius) والتي كانت البداية الأولى لمطبعة بريل الشهيرة، ولعلّه قدم يد المساعدة لايربنيوس في وضع كتابه في النحو العربي (1613 م) الذي اعتمد في تدريس العربية بهولندا لمدة قرنين.

عاد أحمد الحجري أفوقاي من رحلة دامت ثلاث سنوات استرجع أثناءها جزءا مما فقده الأندلسيون، فحلّ بمراكش سنة 1022 هـ/ 1613 م، ولم تطل به الإقامة حتى توجه إلى الحجاز لأداء فريضة الحج 1045 هـ/ 1635م، وفي طريق عودته توقف بمصر، وكانت له لقاءات مع بعض علمائها وفي مقدمتهم الشيخ علي بن محمد المدعو زين بن

الشيخ عبد الرحمن الأجهوري المالكي الذي أعجب بمواقف أحمد الحجري، وقدر فيه شجاعته، وألحّ عليه مع بعض أصدقائه أن يسجل رحلته، فلم يكن له بد من النزول عند رغبة هذا العالم الجليل تقديرا واحتراما له. فسجلها وهو بمصر 1047هـ/ 1637م، بعنوان «الشهاب إلى لقاء الأحباب» بعد ذلك عاد إلى تونس التي أعجب بحاكمها أسطه مراد، ووطد فيها علاقته بجماعة الموريسكيين، قبل أن تنقطع أخباره ولم يعد يعرف شيء عن نشاطه بعد سنة 1051هـ/ 1641م.

صنف أحمد الحجري العديد من الكتب ضاع أغلبها ضمن متاع سرق منه وهو في طريقه إلى الحج (1045هـ) ولم يبق منها إلا بعض المصنفات منها: رحلته التي سبقت الإشارة إليها وترجمة بالقشتالية من كتاب إبراهيم بن أحمد غانم الكباش الأندلسي (1040-1042هـ) بعنوان: «العز والرفعة والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بالمدافع» انتهى منه عام 1048هـ، وتعريب «رسالة الزكوطية» في علم تعديل الكواكب لليهودي ابراهيم زكوط السلمنتي، ومختصر في الجغرافية بعنوان: «كتاب القبطان عن أعظم جبال الدنيا» وترجمة إلى القشتالية لكتاب ألفه أحد المسلمين بعنوان: «كشف غش اليهود»، ورسائل الردّ على اليهود والنصارى.

على أنّ أهمّ ما اشتهر به أحمد الحجري هو رحلته «الشهاب الى لقاء الأحباب» التي وصلنا نصها المختصر الذي كتبه بمصر مع الرحلة ووضع له عنوان «ناصر الدين على القوم الكافرين» وهو يتألف من ثلاثة عشر بابا، الأول في ذكر ما جرى له بغرناطة والثاني في قدومه إلى بلاد المسلمين، والثالث في بلوغه مراكش ومكوثه بها، والرابع في ركوبه البحر إلى بلاد الفرنجة وما حصل له بها، والخامس في قدومه باريس (بريش)، والسادس في قدومه إلى مدينة بوردو (برضيوش)، والسابع في رجوعه إلى بوردو ومناظرته علماء النصارى، والثامن في قدومه إلى ألونه، والتاسع في تحوله مرة أخرى إلى بوردو ومناظراته للقسس والرهبان، والعاشر في مناظرة اليهود بفرنسا وهولندا، والحادي عشر في قدومه إلى هولندا (فلنطش)، والثاني عشر في مناقشته لأحد الرهبان العلماء بمصر، والثالث عشر في ذكر ما أنعم الله به عليه في بلاد الأندلس وغيرها.

وجاءت هذه الأبواب كلها بأسلوب خطابي يتماشى والبناء اللغوي الملائم للمناظرات والخطاب الجدلي، بجمله المتقطعة السريعة النفس، وبعباراته الواضحة التي لا تخلو من تأثره باللغة القشتالية في بعض المفردات والتراكيب.

قدم أحمد الحجري من خلال ما سجله في مختصر رحلته صورة صادقة للشخصية الموريسكية المتشبثة رغم وضعها المأسوي بهويتها العربية الإسلامية والحريصة على التعبير عن ذاتها الجريحة عن طريق المناظرة والمحاورة المعتمدة على الإقناع وإبطال آراء الخصوم بالحجج والبراهين.

وفي الكتاب العديد من الفوائد. ففيه نلاحظ ابتداء دخول المعلومات الجغرافية إلى العالم العربي. فالمؤلف كان مترجما لبلاط سلطان المغرب، ولكنه بالإضافة إلى ذلك قام بتعريب العديد من الكتب العلمية. ومنها كتاب كبير الحجم في الجغرافيا. فيذكر في كتابه أن

السلطان زيدان أمره بترجمة كتاب عجمي كبير اسمه «دراني»، سمي باسم أكبر جبال العالم. ولم ير الحجري في كتاب الجغرافيات مثله. وكان مؤلف الكتاب فونجيا (أي فرنسيا) اسمه القبطان. ونقل عنه آن منابع الأنهار واحد. وفي الكتاب يحدثنا الحجري أنّه قرأ كتابا عن رحلة حول العالم قام بها الرحالة بدرو طشاير Pedro Teixeira، وقد طبع كتابه سنة 1610م. وفي رسالة طويلة كتبها إلى الموريسكيين في إستنبول يقتبس شيئا من كتاب مارمول الإسباني حول أفريقيا. وهو كتاب طبع لأول مرة في غرناطة سنة 1573م. وتمّ تعريبه في عصرنا [انظر المراجع]. ولهذا نجد معلومات الحجري حديثة بالنسبة إلى غيره من المؤلفين العرب المعاصرين له.

كما نجد في الكتاب فوائد عن تاريخ الدراسات الاستشراقية المبكرة في أوروبا على عهد المؤلف. فقد التقى الحجري في المغرب وفي فرنسا وهولندا بمستشرقين، نجد أسماء بعضهم في الكتاب الذي بين أيدينا، وآخرين لم يسمّهم في الكتاب، ولكننا نعرفهم من خلال رسائله المذكورة في قائمة مؤلفاته التي نذكرها في آخر هذه الترجمة. فمنهم المستشرق الفرنسي أبير Hubert، والهولنديان إربنيُوس Erpenius وخوليُس Golius، فذكر كتبهم العربية واهتماماتهم ومناظراته الدينية معهم.

وفي الكتاب معلومات عن صلة المؤلف بالعلماء العرب في زمانه، الأمر الذي يلقي الضوء على تراجمهم وعلى الحياة العلمية في ذلك العصر. فقد مرّ بنا أن الكتاب تمّ تأليفه بطلب من الفقيه علي بن محمد الأجهوري المالكي بمصر. وقد قام بمراجعته الفقيه الحنفي السابق ذكره. وكان هذا الفقيه قد راجع تعريب كتاب المدافع الذي ترجمه الحجري. ومن أصدقائه في مراكش الفقيه أحمد بابا السوداني (أي من السودان الغربي، أو غرب أفريقيا حاليا) التنبكتي (ت 1036هـ). ومن أصدقائه بالمغرب القاضي المفتي أبو عبد الله محمد بن عبد الله الرجراجي (ت 1022هـ) الذي اشتهر بعلمه في مراكش وفاس. ومنهم الفقيه المقرىء محمد بن يوسف الترغي (ت1009هـ) الذي كانت تشد إليه الرحال لأخذ القراءة المجودة عنه. ومنهم الفقيه القاضي عيسى بن عبد الرحمن السكتاني (1062هـ) الذي جمع الانشغال بمنصب قاضي الجماعة إلى التدريس والإفتاء بفتاوى جديدة ذات اجتهادات فريدة. وتتلمذ في التنجيم وخط الرمل والجداول العددية والحرفية على الفقيه الفلكي أحمد بن قاسم المعيوب الفاسي الأندلسي نسبا (ت1022هـ). وفي تونس كان من أقرب أصدقائه الموريسكي الإمام محمد بن عبد الرفيع (ت1052هـ).

ونجد في الكتاب النص العربي المعاصر الوحيد حول الكتب الرصاصية. وهي ألواح من الرصاص اكتشفت عام 1595 في كهوف جبال بالباريزو Valparaiso الذي سمي فيما بعد «الجبل المقدس» (ساكرو مونتي Sacro Monte). وهو جبل قريب من تلة الحمراء. وكانت كتبا مبهمة مكونة من ألواح رصاصية منقوشة بحروف عربية، تحتوي على كتابات دينية تحاول التقريب بين المسيحية والإسلام. وسرعان ما شكك القساوسة في كونها أصلية. ولكن الجدل حول أصالتها استمر حتى عام 1682 حين أعلن البابا أنها مزيفة. نذكر من ضمن الجهود التي بذلت لدراستها أنّ

المستشرق إربنيوس صديق الحجري دعي في عام 1623 للسفر إلى إشبيلية لقراءتها، ولكنه لم يلبّ الدعوة. وقد أخذت هذه الكتب الرصاصية إلى الفاتيكان، وظلّت هناك إلى الشهر السادس من عام 2000م حين أعيدت إلى غرناطة وعرضت على الجمهور، بعد أربعمائة عام قضتها في الفاتيكان. علما بأن محتواها تمت دراسته من قبل باحثين إسبان وغيرهم قبل عودتها إلى مكانها الأصلي. يذكر الحجري كيف تم العثور على تلك الألواح، ثمّ يقدّم اقتباسات طويلة من محتوياتها.

ونجد في الكتاب المعلومات المستفيضة عن تاريخ الموركسيين، وعن أنواع الخوف والمهانة التي كانوا يتعرّضون لها، وعن الطرد الكبير بين سنتي 1609 و 1610م وأسبابه ومآسيه.

والكتاب يظهر لنا بوضوح اطلاع المؤلف العميق على الديانة المسيحية، مع معرفته بأصول الدين الإسلامي. فالكتاب ألّف كما ذكرنا من أجل بيان مناظرات المؤلف مع المسيحيين، مع ذكر مناظرات جرت مع يهود. ومن أجل مناظرة الأخيرين لازم قراءة التوراة بالإسبانية [ص 7-103 من طبعة المغرب]. ونجد في الكتاب اهتماما له بقراءة كتب الطب، فمن ذلك قوله [ص 164] «قال بقراط وجالينوس وابن سينا - وجميع الأطباء متفقون معهم - أن لحفظ الصحة ينبغي أن يأكل الإنسان في نصف النهار أكثر مما يأكل في الليل». وذكر من جملة العلوم التي تعلمها التنجيم الذي يقول عنه [ص 103] «علم الأحكام»، أي علم أحكام النجوم. قرأ هذا العلم على الفقيه أحمد المعيوب الفاسي الأندلسي نسبا كما سبق ذكره. والتقى في مصر مع أحد رهبان الأقباط الذين كانت لديه مكتبة فيها معجم عربي إسباني. وذلك من أجل الاطلاع على الموعد حسب علم المبقات، إذ «لا يضر النظر في ذلك» [ص 118]. وقد ترجم كما ذكرنا «الرسالة الزكوطية» في الفلك والتنجيم بأمر من السلطان زيدان بمراكش.

اعتنى الأستاذ محمد مرزوق بتحقيق ونشر مختصر رحلة أحمد الحجري بعنوان: «ناصر الدين على القوم الكافرين» اعتمادا على نسخة دار الكتب بالقاهرة رقم 1634. بينما بقي النص الأصلي للرحلة، «الشهاب إلى لقاء الأحباب» مفقودا، أما باقي مصنفات أحمد الحجري فلم ينشر بعد رغم أهميتها ومكانتها في التراث العلمي المغربي، وفي التقارب الثقافي بين الحضارتين المغربية الإسلامية والإسبانية الأوروبية.

آثاره

1 - رحلة الشهاب إلى لقاء الأحباب، لم تبق منه إلاّ فقرات صغيرة، اقتبسها محمد العياشي في كتابه «زهر البستان». ومن هذا الكتاب نسخة ضمن مجموع رقمه 2152د في الخزانة العامة بالرباط؛ 2 - ناصر الدين على قوم الكافرين، مختصر الكتاب السابق، وقد نتعرض لذكر طبعتيه في قائمة المراجع؛ 3 - تعريب كتاب الريس إبراهيم الرباش السابق ذكره، بعنوان «العز والرفعة والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بالمدافع». من هذا الكتاب نسخ مخطوطة في مصر، وليبيا، وتونس، والمغرب، منها النسخة الأم

بالرباط؛ 4 - تعريب كتاب «الرسالة الزكوطية». وهي رسالة في الفلك والتنجيم، ألّفها اليهودي الأندلسي إبراهيم بن السموأل ابن زكوطية السلمنقي (هاجر إلى تركيا العثمانية بعد سقوط غرناطة، وتوفي بها بعد سنة 1510م). وقد ترجمت رسالته من العبرية إلى اللاتينية في إسبانيا نفسها، ثمّ عرّبها الحجري بمساعدة راهب أسير عند الملك زيدان بمراكش. منها نسخة في المكتبة الحسينية أو المكتبة الملكية بالرباط ضمن المجموع رقم 1433، ونسخة أخرى في دار الكتب المصرية بالقاهرة برقم 1081 ميقات؛ 5 - كتاب في الجغرافيا اسمه «دراني»، ذكر في كتاب «ناصر الدين» أنه عرّبه بناء على طلب الملك زيدان، وهو مفقود لم يصل إلينا؛ 6 - عبارات تذكارية بالعربية والإسبانية، على أوتكَراف (كراس توقيعات autograph) لفتى هولندي، مؤرخة في 11/ 9/ 1613م. فيها نصائح بتقوى الله والابتعاد عن المحرمات. وهي محفوظة في جامعة ليدن؛ 7 - رسالة بالعربية إلى المستشرق الهولندي إربنيوس، كتبها في أمستردام سنة 1022هـ/ 1613م. وكان قد تعرّف عليه في باريس. وهي محفوظة في مكتبة جامعة ليدن، برقم Code. Or. 122, nr. 114؛ 8 - رسالة بالعربية إلى المستشرق الهولندي خوليّس Golius الذي كان مقيما يومها في ميناء أسفي (صافي) بالمغرب، يرد فيها على رسالة من المذكور. وفيها نجد أن الحجري أهدى المستشرق كتابين: أحدهما «مروج الذهب» للمسعودي. إلا أنّ هذا الكتاب سلبه الأعراب في الطريق بين مراكش وأسفي. والآخر المستعيني في الطب السابق ذكره. والرسالة مؤرخة في 10/ 5/ 1033هـ (2/ 3/ 1624م). وهي محفوظة في مكتبة جامعة ليدن برقم nr. 32 a Cod. Or 122, بالإسبانية؛ 9 - ترجم رسالة من الملك زيدان إلى الحاكم العام بهولندا، وهي مؤرخة في 13-12-1028هـ/ 21-11-1619م، محفوظة في مكتب السجلات العمومية بلاهاي؛ 10 - عند زيارته لمدينة سلا ألقى أحد الموريسكيين بها قصيدة ترحيب له بالإسبانية. فألّف الحجري قصيدة مدح لذلك الشاعر بنفس اللغة. والقصيدتان محفوظتان ضمن مجموع في مكتبة جامعة بولونيا بإيطاليا في المجموع رقم Ms 565 الأوراق 117ظ-118ظ؛ 11 - ترجمة عدة فصول من كتاب «الشفاء» للقاضي عياض اليحصبي، ضمن المجموع السابق ذكره في بولونيا (الأوراق 120 و - 146و). وهذا أحد كتب كثيرة كتبها الحجري وغيره بالإسبانية، ليقرأها المهاجرون الموريسكيون الذين كانوا لا يجيدون العربية؛ 12 - رسالة طويلة كتبها من باريس إلى أصدقائه الموريسكيين في مدينة إستانبول. يذكر فيها أخباره ومشاهداته منذ خروجه من الأندلس. وفيها ما يبكي القلب ويدمي الأعين مما حصل لهم في إستانبول، أخذها الشيخ محمد بن عبد الرفيع السابق ذكره إلى تونس. وفي تونس نسخ المؤلف منها نسخة، أي بعد عودته من الحج سنة 1047هـ/ 1637م. ولكن أحد الموريسكيين المثقفين ممن كانوا لا يجيدون العربية طلب منه ترجمتها إلى الإسبانية. فنستنتج أن الرسالة كانت أصلا بالعربية. وتوجد نسخة منها حاليا ضمن المجموع السابق ذكره في بولونيا (الزوراق 146و-167و). وقد نشرت مترجمة إلى

الإنكليزية في كتاب فيخرز Wiegers المذكور في المراجع؛ 13 - ترجمة إسبانية لخطبة ألقاها المؤلف في عيد الفطر بعد عودته من الحج. والترجمة من عمل المؤلف. وهي أيضا ضمن المجموع السابق ذكره في بولونيا [الزوراق 168و-200و]؛ 14 - قام بترميم مخطوطة «المستعيني في الطب» للطبيب اليهودي الأندلسي يونس بن إسحاق بن بكلارش. وكانت بعض أوراقه مهترئة فأعاد كتابتها. وضمّ الأوراق الجديدة إلى القديمة. والصفحات التي كتبها بخط يده عليها تعليقات مفيدة بالإسبانية. والكتاب نفسه بالعربية، ولكنّه يحتوي على ثروة من الألفاظ الرومنصية أي الإسبانية القديمة، وخاصة في مجال الأعشاب والأدوية. وكان مصدرا هاما لمؤلفي المعاجم من المستشرقين. وقد أهدى الحجري هذه النسخة إلى صديقه المستشرق الهولندي خوليُس Golius وهي محفوظة الآن في مكتبة جامعة ليدن، برقم Or. 15.

المصادر والمراجع

● الحجري، أحمد بن القاسم، ناصر الدين على القوم الكافرين، مختصر رحلة الشهاب إلى لقاء الأحباب، تح. محمد رزوق، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء 1987؛ ● ابن منصور عبد الوهاب، أحمد بن القاسم أفوقاي الحجري آخر موريسكي يؤلف بالعربية ويدافع جهرة عن الإسلام، مجلة الأكاديمية، الرباط، عدد 12/ 1995، ص ص 15-36؛ ● القدوري، عبد المجيد سفراء مغاربة في أوروبا 1610/ 1922 (في الوعي بالتفاوت) منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، (بحوث ودراسات) رقم 13/ 1995، ص ص 11-21؛ ● المنوني محمد، ظاهرة تعريبية في المغرب السعدي، مجلة دعوة الحق، السنة العاشرة، عدد 3/ 1967، ص 77؛ ● الفاسي محمد، الرحالة المغاربة، مجلة دعوة الحق السنة الثانية العدد 3/ 1958، ص ص 21-22؛ ● سعيدوني، ناصر الدين، من التراث التاريخي للغرب الإسلامي، تراجم ورحالة وجغرافيين، بيروت؛ ● الحمروني، أحمد، «الموريسكيون الأندلسيون في تونس، دراسة وبيبليوغرافيا، تونس، ميدياكوم، 1998؛ ● اللوة، أمينة، صور من تطوان الغرناطية، مجلة «الأكاديمية»، الرباط، العدد 15، 1998، ص 199-240؛ ● زبيس، سليمان مصطفى، بحوث عن الأندلسيين في تونس، تونس 1983، المعهد القومي للآثار والفنون؛ ● الزركلي، خير الدين، الأعلام، بيروت 1999، دار العلم للملايين، ط 14، مادة «أحمد بن قاسم»، ج 1/ 198؛ ● زكار، سهيل، المدفعية عند العرب، دمشق 1983، دار الفكر؛ ● التركي عبد المجيد، وثائق عن الهجرة الأندلسية الأخيرة إلى تونس، حوليات الجامعة التونسية، العدد الرابع، 1967، ص 23-82، ثم نشر في كتابه «قضايا ثقافية من تاريخ المغرب العربي»، بيروت 1988، دار الغرب الإسلامي، ص 81-168؛ ● خاغرتي، ميغال، بحث عن الكتب الرصاصية، قدم في «المؤتمر

السادس عن الأندلس»، تنظيم معهد ثربانتس بدمشق والوكالة الإسبانية للتعاون الدولي بمدريد، دمشق، 26-28 أبريل/ نيسان 2000م. نشر ملخص البحث في صحيفة «الحياة»، العدد 13577، (14/ 5/ 2000م)؛ ● مارمول، كربخال، أفريقيا، تعريب محمد حجي وآخرين، الرباط، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر ومكتبة المعارف، 1984؛ ● قاري، لطف الله، ثقافة الموريسكيين العلمية من خلال كتاب الحجري، مجلة «الفيصل»، العدد 296، صفر 1422هـ/ أبريل مايو 2001، ص 100-112؛ ● حجي، محمد، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، الرباط، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، 1978، ج1 ص 27 و 163، وج2 ص 403؛ ● عنان، محمد عبد الله، «من تراث الأدب الأندلسي الموريسكي»، مجلة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، المجلد 16، 1971، ص 11-20؛ ● المنوني محمد، «ظاهرة تعريبية في المغرب السعدي»، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد (فيما بعد: مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد)، المجلدان 12 و11، 1963-1964، ص 329-358، نشرة أخرى مزيدة في مجلة دعوة الحق، السنة 10، العدد 3 (يناير 1967)، ص 74-91؛ ● م.ن، «المصادر الدفينة في تاريخ المغرب»، بحث نشر في مجلة «البحث العلمي»، العدد 10 سنة 1967، ثم في كتاب «قبس من عطاء المخطوط المغربي»، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1999، ص 777؛ ● ديفد أ. كنج (كنكَ King)، فهرس المخطوطات العلمية بدار الكتب المصرية، القاهرة 1986، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج 2؛

- Ahmed ibn Qasim al-Hajari, Kitab Nasir al-Din alä l-Qawm al-Käfirïn (The supporter of religion Against infidel), edited ans translated by P.S. van Koningsveld, Q. al-Samarrai and G.A. Wiegers, Madrid: Consejo Superior de Investigaciones Cientificas and Agencia Espanola de Cooporacion Internacional, 1997.

النص العربي في هذه الطبعة خال من الشروح والتعليقات. ولكن الترجمة الإنكليزية والدراسة التمهيدية حافلتان بالمباحث والمعلومات القيمة. وهنا يعتمد المحققون على نسختج مخطوطة ناقصة في باريس بالإضافة إلى النسخة الكاملة.

- Wiegers, G.A., «A learned Muslim Acquaintance of Erpenius and Golius, Ahmed b. Kasim and Arabic Studies in the Netherlands», Leiden: Documentatiebureu Islam-Christendom, 1988.

المهندس لطف الله قاري
ينبع ـ المملكة العربية السعودية
د. ناصر الدين سعيدوني
جامعة الكويت

الأفيوني، عبد الله بن عمر بن محمد

(... هـ/ ... م - 1154 هـ/ 1741 م)

عبد الله بن عمر بن محمد الحنفي الطرابلسي، المعروف بالأفيوني، من الأدباء الشعراء في عصره، كان والده عمر بن محمد من الفقهاء الأفاضل.

وُلد عبد الله في طرابلس لبنان، وكانت تسمّى «طرابلس الشام»، وفيها نشأ. ارتحل مع والده إلى مصر ودرس في الأزهر الشريف، ثم قدم إلى دمشق واستقرّ فيها مدّة سنتين «مستوطنا» المدرسة الباذرائية. في عام 1148هـ ارتحل إلى حلب حيث أقام سنتين ونصف السنة، عاد بعد ذلك، إلى دمشق «مستوطنا» مدرسة الوزير إسماعيل باشا العظم. وقام برحلة إلى القدس هادفًا إلى زيارة الأستاذ الربّاني الشيخ مصطفى الصديقيّ، وبقي هناك عدّة أشهر، عاد بعدها إلى دمشق، وبقي فيها حتّى وفاته عام 1154 هـ.

يصفه المرادي في «سلك الدرر» بأنه « أحد الأفاضل المجيدين، الماهرين، البارعين».

وكان، فضلاًعن الأدب والشعر، مشاركًا في بعض العلوم. ويفيد ثبت مؤلفاته أنه ذو باع في علوم القرآن والحديث والفقه. عُرفت له في الكتابة سُرعة تحرير إلى خطّ جميل باهر، بحيث كان عديم المثيل في سرعته وبداهته.

نقل المرادي في «سلك الدرر» وصف الشيخ سعيد السمان للأفيوني بأنه «شاعر، قريحته جيّدة ومعانيه رصينة مشيدة.. وافى الشام واستوطنها وجنى أمانيها واستبطنها.. ففاح شذاه وعَرْفُه، وخلُص نقدُه وصرفُه.. أقبل على الدواة والأقلام ولم يلوِ على من فند عليهما ولأم.. فأرانا الأزهار في الروابي المكللة، وتنمنم العذار في العوارض المصقولة، وله البداهة التي لا تلاحق بل تَلحقُ المعاذاة من شائبة البطالة،والشعر الذي أطاعه فيه القلم وما استنكف، ودعاه لمرامه فجرى ركضًا وما انتكف».

تناول الأفيوني في شعره موضوعات متنوّعة، أبرزها الغزل، فمنه معظم المقطوعات المختارة. وغزله يمثّل شعر الذي أعجب بالمعاني والصور القديمة فراح يستعيرها ويجهد في إضفاء الرونق عليها من خلال حسن اختيار الألفاظ والأوزان، والإغراب في التشبيهات، وإن بقيت المرتكزات هي هي، من ورد الخدود إلى سهام اللحظ، إلى السُّكر بالرضاب، فالقد الشبيه بالغصن والحاجب الشبيه بالقوس والثغر الذي ينكشف عن الدرّ والخد يعلوه نون الشعر، مع التفنّن في إبراز اللواعج والشكوى من الفراق، ومع ذرف الدموع ومقاساة السهاد.

من أشهر مقطوعاته: [مجزوء الكامل]

بجمالكَ الباهي المَهيبْ
وبقدّكَ الغضّ الرطيبْ

وبدُرِ مبسَمِكَ الشهيْ
وصارمِ اللحظِ الغضوبْ

وبقوس حاجبكَ البهيّ
وسهمهِ البادي المصيبْ

وبعنبر الخال البهيـ
ـجِ ومَن به كلُّ الخطوبْ

وبنونِ عارضكَ الذي
من دونه شقُّ الجيوبْ

وبجيدِكَ اليقق الشنيـ
ـيِ وورد خديكَ العجيبْ

إرفِقْ بصَبٍّ هائمٍ
في الحُبِّ ذي دمعٍ صبيبْ

ومن ذلك قوله: [البسيط]

أمّا وشَهْدُ رضابٍ زانَه الضَّرَبُ
وطلعةٌ من سناها الشمسُ تحتجِبُ

وعارضٍ كبنان الآسِ طُرِّزَ في
وردٍ من الخد كم في حسنِهِ عَجَبُ

ونقْطِ مِسْكٍ على صحْنِ الخدودِ زها
ودُرِّ ثغرٍ نظيمٍ زانه الشَّنَبُ

وله في وصف العَذَل وتباريح العشق والصبابة: [الطويل]

فيا لائمي المذمومَ في شرعة الهوى
إليكَ، فإنّ اللوم في الحبّ لا يُجدي

ودعني ومن أهوى فإن مسامعي
عن العُذَّلِ اللاحين، كالحجر الصَّلْدِ

هو الحُبّ مهما شاء يفعلْ بالهَنَا
وها أنا، في طوع الغرام، كما العبْدِ

وإنّي، على حكمِ الهوى، نائبُ الجوى
مُعذَّبُ قلبٍ بالصبابةِ والوجدِ

أطارِحُ ورقاءَ الغصونِ من الأسى
وما عندها من لوعةٍ بعضُ ما عندي

ومنه في وصف لحظات الوصال المتمناة: [الطويل]

رعى الله ليلاتٍ مضتْ بوصالِهِ
بفرطِ سرورٍ جَلّ في الوصفِ عن حدِّ

أبثُّ له شكوى التباريح عندما
أعانقُ ما بين الوشاح إلى الخدِّ

وأقطف وردَ الخدِّ لثْمًا بلا عَنَا
وأرشف من ذاك اللَّما أعذبَ الورْدِ

في الوصف: تناول مرابع دمشق ووداع الأحباب لدى توجّهه إلى بيت المقدس: [الطويل]

هلُمّوا بنا، فالحانُ راقتْ مشاربُهْ
وجَنْحُ الدجى للغرب أهوتْ كواكبُهْ

وجودوا بطيب الأنس قبل وداعنا
فقد أزمع الحادي وسارت نجائبُهْ

ألا فقفا نبكي معاهد جِلَّقٍ
سقاها الحيا صوْبًا تدومُ سحائبُهْ

لدى «المرجة» الغنّاء يا سعْدُ، قف عسى
لكَ الشرَفُ الأعلى تضيء جوانبُهْ

ولا تنسَ سفْحَ «القاسيون» وظلَّه
فقد أشرقتْ، من كلّ فجٍّ، كواكبه

سلامٌ على تلك المعاهد والرُّبى
سلام محبٍّ أنحلتهُ مصائبُهْ

وهو، كمعظم شعراء العربية يشحن قصائده بمعانٍ وصور حكمية، خُلُقيّة. من ذلك قوله في الإباء: [الوافر]

لَـضَـرْبُ الـسَّـيـفِ أو خوضُ المنايـا
وطـعـنُ السَّـمْـهـريِّ عـلى الصـمـيـمِ
وأكـلُ الـسُّـمِّ مـن كـبـدِ الأفـاعـي
وقـبـضُ الـجـمـر فـي يـومِ سَـمـومِ
وأيـمُ الـلـه ذاك يـهـونُ عـنـدي
ولا أحـتـاجُ يـومـا لـلَّـئـيـمِ

ولا يختلف الرثاء عنده عن الرثاء عند معظم شعراء العربية، فهو مديح للميت بما فيه وأكثر. فمن رثائه لخطيب السليمية صالح بن إبراهيم الشهير بالمزور الحنفي الدمشقي: [الطويل]

على صـالـحٍ، يا قـومُ، تبكي المنـابرُ
فقـد هَمَعَتْ بالحُزن منَّا المحـاجِرُ
بـه أفـلَتَ شمسُ الكمـال فـأرعـدتْ
مـصـيـبـتُـنـا، والحـزنُ بالـغـمِّ مـاطـرُ
لِتَـبْـكِ الـمـعـالي، بـعـد فـقـدك، حُـرَّةً
كمـا لـبـسـتْ ثوبَ الـحداد الـمـفـاخـرُ
لقد كُنتَ بحْرًا في الفضائل والذُّكا
خـطـيـبـًا، لبـيـبًـا، نـورُ عليـاك ظـاهـرُ
عـلـيـك مـن الـرحـمـن ألـفُ تـحـيَّـةٍ
ورضـوانُـه مـا نـاح فـي الـروض طـائـرُ

آثاره

تنوّعت مؤلّفات الأفيوني بين مطبوع ومخطوط، موجود ومفقود، منها:

1 - الفيوضات المحمّدية على الكواكب الدرّية، شرح على البردة؛ 2 - العقود الدرية في رحلة الديار المصريّة؛ 3 - الزهر البسّام في فضائل أهل الشام؛ 4 - لوائح القبول والمنحة والإعزاز لزيارة السيدة زينب وسيدي مدرك والشيخ عمر الخبّاز؛ 5 - الزهرة النديّة؛ 6 - العبقة النديّة؛ 7 - مختصر الإشاعة في أشراط الساعة، وهو تلخيص لكتاب البرزنجي في الحديث، مخطوط بالظاهرية؛ 8 - رنّة المثاني في حكم الاقتباس القراني؛ 9 - فيض السر المداوي في بهجة الشيخ أحمد النحلاوي، وهو يعرض لإثبات كرامات الأولياء وجوازها عقلا ونقلا، مخطوط بالظاهرية؛ 10 - المنحة القدسيّة في الرحلة القدسيّة، لعلّها المقدسيّة؛ 11 - ديوان شعري ذكره المرادي (ت 1206 هـ)، وأثبت منه قصائد ومقطوعات، لا ندري شيئا عن مصيره.

المصادر والمراجع

● البغدادي، اسماعيل باشا، هديّة العارفين أسماء المؤلّفين وآثار المصنّفين، استانبول، 1952، ج 1، ص 480-481؛ ● تدمري، د. عبد السلام، موسوعة علماء المسلمين في تاريخ لبنان الإسلامي، المركز الإسلامي للأعلام والإنماء، قسم 3، ج 3، ص 210-226؛ ● الزركلي، خير الدين، الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ط 6، 1984 م، ج 4، ص 111؛ ● الزين، سميح وجيه، تاريخ طرابلس قديمًا وحديثًا منذ أقدم الأزمنة حتّى عصرنا الحاضر، دار الأندلس، بيروت، ط1، 1969، ص576؛ ● كحالة، محمد رضا، معجم

المؤلفين تراجم مصنّفي الكتب العربية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج6، ص97؛ • المرادي أبو الفضل محمد خليل بن علي، سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، دار البشائر الإسلامية ودار ابن حزم، ج1، ص200، ج2، ص 101، 207 ـ 208، 299، ج3، ص93، 104، ج4، ص139 ـ 140.

د. سعدي عبد اللطيف ضناوي

الجامعة اللبنانية - طرابلس - لبنان

أق شمس الدين، محمد بن حمزة

(792هـ/1390م ـ 863هـ/1459م)

اسمه الأصلي هو شمس الدين محمد ابن حمزة، غير أنه اشتهر باسم «أق شمس الدين» أو «أق شيخ». ولد في عام 792هـ/ 1390م في الشام. وهو ابن الشيخ حمزة، أحد أحفاد الشيخ شهاب الدين السهروردي (ت 632هـ/ 1234م)، صاحب كتاب «عوارف المعارف». ويمتد نسبه من جهة أبيه إلى سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه. وقد جاء إلى الأناضول برفقة والده وهو في السابعة من عمره واستقرا في كاواك التي كانت تابعة لأماسيا في تلك الفترة (799هـ/ 1396-1397م)، وحفظ القرآن الكريم، وبعد أن تلقى تعليما دينيا متميزا أصبح مدرسا في مدرسة عثمان جلك. ويفهم أنه في هذه الأثناء تلقى تحصيلا جيدا في الطب.

يذكر أنيس صاحب مؤلف «مناقب نامه» ـ وهو أكثر مصدر أعطى معلومات واسعة وصحيحة عن أق شمس الدين ـ أنه ذهب وهو في الخامسة والعشرين من عمره إلى بلاد فارس وما وراء النهر بحثا عن مرشد له حتى لا ينسى لذة علم الباطن. غير أنه لم يوفق في طلبه هذا فعاد إلى بلاده. وفكر في الانتساب إلى حاجي بيرام ولي، غير أنه صرف النظر عن ذلك لاحقا، وذهب إلى حلب من أجل الانتساب إلى زين الدين الحافي الذي عمت شهرته الآفاق حتى بلغت الأناضول، غير أنه رأى رؤية في إحدى الليالي مفادها أن رقبته مربوطة بسلسلة، وهذه السلسلة في يد حاجي بيرام فعاد على الفور إلى أنقرة.

يمكن القول بأن أ. إحسان يورد هو أكثر من قام بدراسات حول أق شمس الدين حتى اليوم، فقد بين أن أق شمس الدين في كتابه «دفع المتائن» قد عرض بزين الدين الحافي ونقده ولذلك فليس من الممكن أن يكون قد انتسب إليه، وأثبت أنه كان مرتبطا ارتباطا مباشرا بحاجي بيرام، بيد أنه لا يعرف تاريخ انتسابه، وبعد رياضة ومجاهدة مكثفة حظي

أق شمس الدين بتقدير شيخه ونال الخلافة في زمن قصير. وتوجد الحجرة التي دخل فيها أق شمس الدين اليوم في قبو جامع حاجي بيرام بأنقره، وتعرف باسم «الشيخ» [أنظر: آي وردي، IV / 893-894]. ثم انفصل أق شمس الدين بعد ذلك عن شيخه وذهب إلى بي بازار. وهناك أنشأ مسجدا وطاحونة. غير أنه ذهب إلى قرية أولك بجوار كوسه داغي في قضاء إسكلب التابعة اليوم إلى چوروم وذلك بسبب تجمع عدد كبير حوله. وبعد فترة من الزمن ترك هذه القرية واستقر في قوينك، وأنشأ هناك كذلك مسجدا وطاحونة. واشتغل بتربية وتعليم أبنائه من جهة وكذلك بتربية وتعليم دراويشه من جهة أخرى. وفي هذه الأثناء ذهب إلى الحج. وبعد وفاة شيخه حاجي بيرام ولي أصبح مسؤولا بدلا عنه عن الإرشاد (833هـ/ 1429-1430م).

كان أق شمس الدين دائما بجانب شيخه حاجي بيرام في علاقته مع السلطان مراد الثاني، وبسبب هذا تعرف على محمد الفاتح ابن مراد الثاني. وبعد أن اعتلى الفاتح العرش استمرت علاقته معه. وذهب أق شمس الدين إلى الفاتح مرتين في آدرنه قبل فتح استانبول، غير أنه لا يعرف تاريخ هاتين الزيارتين. وكان سبب الزيارة الأولى هو علاج سليمان چلبي چاندرلي أوغلي، قاضي عسكر مراد الثاني. أما سبب الزيارة الثانية فهو علاج إحدى بنات الفاتح، وبعد أن شفيت قامت بمنحه مزارع الأرز الخاصة بها والموجودة في بي بازار. وفي فصل الربيع من عام 1453م غادر أدرنه كل من أق شمس الدين، وأق بييك سلطان وغيرهما من علماء تلك الفترة المشهورين مع المئات من مريديهم من أجل الالتحاق بجيش الفاتح الذي تحرك بهدف محاصرة استانبول.

لعب أق شمس الدين دورا كبيرا في رفع الروح المعنوية لكل من السلطان والجيش في الساعات الحرجة من المحاصرة. ويوضح الباحثون أن أق شمس الدين بشر بالفتح في هذه اللحظات الحرجة، وبيَّن في رسائل كتبها إلى السلطان محمد الفاتح ضرورة الصبر والمجاهدة، وذكر أن الفتح سوف يتم في وقت قصير، فأحدث هذا الأمر تأثيرا كبيرا [أنظر: إنالجيك/ 131] .وبعد فتح استانبول قرأ أق شمس الدين خطبة أول صلاة جمعة أقيمت في آياصوفيا. وهو الشخص الذي اكتشف قبر الصحابي الجليل أبي أيوب الأنصاري الذي استشهد في إحدى محاولات محاصرة استانبول التي تمت من قبل. ويفهم من خلال كتابة توجد فوق النافذة الموجودة في الجدار الجنوبي من جامع زيريك الذي تم تحويله من كنيسة، من قبل الفاتح والذي استعمل كمدرسة، أن أق شمس الدين خلال وجوده في استانبول كان يقيم في هذا المكان ويعطي الدروس إلى أن تم إنشاء مدارس الفاتح [أنظر: آي وردي، 537/III].

وبعد الفتح ترك السلطان تاجه وعرشه وذكر أن كل هذا مرتبط بالشيخ، وأراد أن يتعلم منه أحكام الطريقة، غير أن أق شمس الدين حاول إعاقة طلب الفاتح هذا. وعندما توصل إلى أنه سوف لن ينجح في ذلك عاد إلى قوينك ماراً بغليبولي. وأعاد الهدايا التي أرسلها السلطان من بعده من أجل أن يرضيه، كما لم يقبل بإنشاء جامع وتكة في قوينك ووافق فقط على إنشاء چشمه.

يعتقد أن أق شمس الدين قضى سنواته الأخيرة في قوينك، ووفقا لـ «مناقب نامه» فإنه توفي في أواخر ربيع الآخر من عام 863 الموافق لـ فبراير من عام 1459 وتم دفنه هناك، ولا يزال قبره حتى الآن ضريحا يزار. وبناء على بيت يوجد في مقدمة «وحدت نامه» لعبد الرحيم قره حصاري (865هـ/ 1460-1461م) -وهو أحد خلفاء أق شمس الدين، وقد كتب هذا المؤلف بعد محمود باشا- يفهم أن أق شمس الدين توفي قبل هذا التاريخ، وهذا يؤكد تاريخ وفاته الموجود في «مناقب نامه». وبالإضافة إلى ذلك فإن كتابة الإنشاء التي توجد اليوم أعلى باب مقبرة أق شمس الدين وهي مؤرخة بربيع الأول عام 863هـ تؤكد من جانبها المعلومات التي وردت في المناقب. ويقول أ. حفي آي وردي أن القبول بكون كلمة «ربيعين» الموجودة في الكتابة باعتبارها «ربيع الأول» مستبعد جدا. وقد أعد قبره بعد وفاته بخمسة أعوام، أما الكتابة التي توجد على التابوت الحجري فتعود إلى أحد أبنائه وهو محمد سعد الله. ويوجد في هذه المقبرة أيضا ابناه محمد سعد لله، ونور الله.

تذكر المصادر أن آق شمس الدين كان في الوقت نفسه طبيب أبدان، ونال شهرة كبيرة لكونه طبيبا ماهرا في فترته، وله عدد من المؤلفات في الطب، وهو أول من تناول مسألة الجراثيم في الطب، وبيَّن آراءه في الأمراض التي يمكن أن تحدث بسبب الجراثيم. وتم اعتباره أول طبيب يتناول هذا الموضوع، وذلك قبل مائة عام على الأقل من المعلومات المؤكدة التي ذكرها الطبيب الإيطالي فراكاستور في هذا الموضوع. ويذكر بعض المؤلفين مثل عدنان أدفار أن الدكتور عثمان شوقي ألوداغ كان مترددا في هذا الموضوع، غير أن بديع ن. شيخ سوار أوغلي كان مقتنعا اقتناعا تاما بهذا السَّبق.

يبلغ عدد أبناء أق شمس الدين سبعة، وهم بالترتيب: سعد الله وفضل الله ونور الله وأمر الله ونصر الله ونور الهدى وحمد الله حمدي. وكان أصغر أبنائه وهو حمد الله حمدي (ت 909هـ/ 1503م) صاحب معلومات جيدة في علم البيئة والنجوم والموسيقى، وكان في الوقت نفسه من كبار شعراء تلك الفترة.

قام أق شمس الدين بتأسيس فرع «الشمسية» من الطريقة البيرامية، وقد تولى الأمر من بعده في هذا الفرع كل من ابنه فضل الله في قوينك، وإبراهيم طنوري في قيصري، ومصلح الدين عطار أوغلي في إسكب، وحمزة الشامي في أنقره وما جاورها.

آثاره

يدور قسم كبير من مؤلفات أق شمس الدين حول التصوف، وأهم أثاره وهي على النحو التالي:

1 - الرسالة النورية: ويعرف هذا المؤلف الذي كتب باللغة العربية باسم «النورية» فقط، وكتبت هذه الرسالة بهدف الدفاع عن حاجي بيرام ولي الذي بلغت شهرته الآفاق في تلك الفترة وكذلك دراويشه. وبسبب هذه الشهرة دارت حوله بعض الإشاعات لذا كان هذا المؤلف ردا عليها. وأطلق أق شمس الدين في مؤلفه هذا اسم «الطائفة النورية» على الصوفية، ودافع عنهم وبيَّن خصائصهم وأخلاق التصوف وآدابه. وبالنظر إلى التواريخ الماضية يمكن القول إن هذا المؤلف كتب بين

الأعوام 838-841هـ/ 1434-1438م، وقام علي إحسان يورد بنشر النص العربي للرسالة النورية مرفوقا بترجمته التركية التي كتبها حاجي علي، أخو أق شمس الدين، (استانبول 1972). وتوجد له ترجمة منقوصة في مكتبة السليمانية [حاجي محمود أفندي، رقم 2863] 2 - دفع متائن الصوفية: ويختصر باسم «دفع متائن»، وتورده بعض المصادر باسم «حل المشكلات». وألف هذا الكتاب في عام 856هـ/ 1452م، وهو باللغة العربية. وهو يمثل ردا على اتهام محيي الدين ابن عربي وبعض كبار المتصوفة بالإلحاد والكفر. ويبين أنه ليس هناك أي فرق بين كلام هؤلاء وكلام القشيري والغزالي وجنيد البغدادي ونجم الدين الكبري وغيرهم من العلماء والمشايخ. وأوضح هذا الأمر من خلال نقل شواهد من كلام هؤلاء العلماء، كما أثبت أنهم جميعا في الطريق نفسه، وبذلك رد الإتهامات الموجهة إليهم. وتذكر المصادر أن هناك تلخيصا لمؤلفه بعنوان «تلخيص دفع المتائن»، غير أن هذا المؤلف لم يتم العثور عليه؛ 3 - مقامات الأولياء: مؤلف باللغة التركية تناول فيه الكاتب مواضيع في التصوف مثل: «من هو المرشد، مامعنى مقام الولاية، وماهي درجاته». وقام أ. إحسان يورد بنشره بعد أن قارنه بخمس نسخ (استانبول 1972).

أما رسائله التي تسمى «رسالة ذكر الله»، و«رسالة شرح أقوال حاجي بيرام ولي»، و«رسالة في دوران الصوفية» فلم تصلنا إلى يومنا. أما المؤلفات التي توجد في أدلة المكتبات فهي عبارة عن أقسام متفرقة من «دفع المتائن» و«الرسالة النورية» [قارن، رسالة الانتصار، مكتبة السليمانية، جار الله، رقم 279/ 2].

والمعروف أيضا أن أق شمس الدين كتب رسالتين إلى السلطان الفاتح. وقام خليل إنالجيك بنشر إحدى الرسالتين بينما نشر الأخرى محمد طاهر البورصوي. وتنسب إليه كذلك رسالة منظومة متكونة من 45 بيتا باللغة التركية وهي بعنوان «نصيحت نامه أق شمس الدين»، ونشرها كذلك أ. إحسان يورد بالاعتماد على النسخة الموجودة في مكتبة السليمانية [مهر شاه سلطان، رقم 443/ 3] وذلك في استانبول عام 1972. وقام كمال أرسلان بنشر قصائد شعرية لأق شمس الدين عثر عليها في إحدى المجلات (المجموعات) وأرفقها بشرحها وخصائص الإملاء فيها. وهناك مؤلف آخر اختلف الباحثون في نسبته إليه وهو «مادة الحياة» أو «مائدة الحياة». غير أن أكثرهم يذهب إلى أنه من تأليفه هو. وهذا المؤلف تم استنساخه في وقت متأخر، وتوجد منه نسخ كثيرة. وأقدم نسخة منه تعود إلى عام 1096هـ/ 1685م، أما بالنسبة إلى النسخ الأخرى أنظر: [دليل مخطوطات الطب الإسلامي بمكتبات تركيا، ص. 139].

المصادر والمراجع

- اللامعي، ترجمة النفحات، ص. 685 ؛
- فريدون أحمد بك، منشآت السلاطين، استانبول 1274-1275، I، 28 ؛
- طاش كوبري زاده، الشقائق، نشر أحمد صبحي فرات، استانبول 1405/ 1985، ص. 226-232؛ ● مجدي،

ترجمة الشقائق، ص. 240-246 ؛ ● خوجه، سعد الدين، تاج التواريخ، استانبول 1279-1280، I، 420-423، 534؛ ● حسين حسام الدين، تاريخ أماسيا، استانبول 1328-1330، I، 210؛ ● المؤلفون العثمانيون، I، 13؛ III، 191؛

● Abdülbâki Gölpinarli, Melâmîlik ve Melâmîler, Istanbul 1931, p. 240-242; Ergun, Türk Sairleri, I, 400 vd.; ● Adivar, Osmanli Türklerinde Ilim, p. 35; ● Orhan F. Köprülü, Tarihî Kaynak Olarak XIV. ve XV. Asirlardaki Bazi Türk Menakibnâmeleri (doktora tezi, 1951), Istanbul Üniversitesi Edebiyat Fakültesi, Tarih Seminer Kitapliği, nr. 512, p. 83-105; ● A.mlf., "Aksemseddin", Küçük Türk-Islâm Ansiklopedisi, Istanbul 1974, I, 75-76; ● Halil Inalcik, Fatih Devri Üzerinde Tetkikler ve Vesikalar, Ankara 1954, p. 131, 217-219; ● Ismail E. Erünsal, Abdurrahim Karahisarî Hayati ve Vahdet nâmesi (lisans tezi, 1970), Istanbul Üniversitesi Edebiyat Fakültesi; ● Ali Ihsan Yurd, Fâtih Sultan Mehmed Hân'in Hocasi Seyh Aksemseddin: Hayati ve Eserleri, Istanbul 1972 (metinde ayni müellif tarafindan nesredildiği ifade edilen Aksemseddin'in eserleri bu inceleme içinde yer almaktadir); ● Banarli, Resimli Türk Edebiyati Tarihi, I, 507 vd.; ● Ayverdi, Osmanli Mi'mârîsi III, p. 279-280, 537, a.e. IV, p. 893-894; ●Türkiye Kütüphaneleri Islâmî Tip Yazmalari Kataloğu, Istanbul 1984, p.139-140; ● Bedi N. Sehsuvaroğlu v.dğr., Türk Tip Tarihi, Bursa 1984, p. 47, 62; ● H. J. Kissling, "Aq Såems ed-Din Ein türkischer Heiliger aus der Endzeit von Byzanz", Byzantinische Zeitschrift, XLIV (1951), p. 322 vd.; ● Bedi N. Sehsuvaroğlu and Others, "Ak shams al-din", The Encyclopaedia of Islam (new edition), Leiden 1954, I, 312-313; ● Hüseyin Sidki Köker, "Tefsirî Mevlâna Mustafa ve Vakiflari", Vakiflar Dergisi, III (1956), p.227-228, 258, resim 1/7; ● Kemal Eraslan, "Aksemseddin'in Dinî-Tasavvufî Siirleri", Türk Dili., sy. 394 (1984), p. 411-417; ● A.mlf., "Aksemseddin'in Dinî-Tasavvufî Siirleri", Türk Dili Arasturmalari Yilliği Belleten 1984, Ankara 1987, p. 11-85; ● Cafer Siar, "Aksemseddin Muhammed b. Hamza", Dairetü'l-Maarif-i Büzürg-i Islâmî, I, 498.

د. مصطفى أزون
استنبول - تركيا
ترجمة : أنعم محمد عثمان الكباشي
السودان

الأقا، أحمد الوحيد بن محمد باقر البهبهاني

(1191 هـ / 1777 م - 1243 هـ / 1826 م)

هو الأقا أحمد بن محمد باقر بن محمد أكمل البهبهاني الحائري الكرمانشاهي، المعروف بالوحيد الفقيه، المؤرّخ المفسّر.

ولد الشيخ أحمد الوحيد بكرمانشاه في بيت والده الأقا محمد علي، الذي صرف همّته إلى تربيته والإشراف على تعليمه، فدفعه إلى الكتّاب للتأديب وتعلّم اللغة وأوليات العلوم الشّرعيّة، ثمّ قرأ على والده، فكان معلّمه الأول الذي درس عليه وتخرّج به، ونال قسطا وافرا من العلوم الأساسيّة على يده، وقد أثمرت هذه الدّراسة التي حرص عليها الوالد، والعناية التي بذلها في تعليم ولده، أن شرع الشيخ أحمد في حفظ القرآن الكريم وهو في السّادسة من عمره، كما حفظ عددا من الكتب الفارسيّة في هذا العمر، وقرأ كثيرا من كتب النّحو، والمنطق، والبيان، وعلم الكلام قراءة مستفيد، فأحكمها وأتقنها وأجاد في حفظ متونها والاستشهاد بها في مدّة سنتين.

وإن تعجب فاعجَبْ أنّ الشّيخ أحمد الوحيد شرع في تأليف كتبه وهو في الخامسة عشرة من عمره، وهو أمر لا يتيسّر للكثير من أقرانه وأبناء عصره، وهذا يدلّ على قوّة ذكائه، فقد كان من جملة الأذكياء جمع بين كثرة الحفظ وقوّة الفهم، يحفظ الصّفحات الكثيرة من سماع، ويفهم الصّعب الذي لا تكاد تستقلّ به الطّباع. ولا غرابة في ذلك فإنّ الشيخ أحمد الوحيد حفيد الأقا محمد باقر البهبهاني (ت1206هـ/ 1791م) العالم المشهور، صاحب «التعليقة» و«حواشي المدارك» الذي ذاعت شهرته في الآفاق، وفاق علماء عصره إذ كان من أذكياء العالم، يحفظ الكثير من العلوم في الزّمن اليسير.

ولمّا أتقن الشيخ أحمد الوحيد علوم بلده كرمانشاه بما وصل إليه من العلوم والمعارف، رغب في الرّحلة إلى العراق لزيارة العتبات المقدّسة، وللسّماع على شيوخ العراق والأخذ عنهم، فشدّ الرّحال في سنة عشر ومائتين وألف من الهجرة (1795م) وهو في التاسعة عشرة من عمره، قاصدا النّجف الأشرف التي كانت ملتقى العلماء والفقهاء والطّلبة من بلدان العالم الإسلامي، تزدحم بالشيوخ العارفين، والفقهاء البارعين، والعلماء المتميّزين الذين أجادوا البحث والتّدريس والتّصنيف في شتّى فنون العلم والمعرفة. فانخرط في تلك المجالس يسمع من شيوخها ويأخذ عنهم الفقه، والأصول، والحديث، والعلوم العقليّة وغيرها من العلوم، فحضر مجلس العالم الجليل والعلاّمة الكبير السّيّد محمد مهدي بن مرتضى بن محمد الطّباطبائي النّجفي الشّهير ببحر العلوم (ت 1212هـ/ 1797م) علاّمة دهره وزمانه في المعقول والمنقول والمحقّق لفنون الفروع والأصول، درس عليه الفقه والأصول والعلوم العقليّة.

والعالم الجليل السّيّد محسن بن حسن بن

مرتضى الأعرجيّ الكاظميّ (ت 1227هـ/ 1812م) الفقيه الأصوليّ، المؤرّخ، الشاعر. والشيّخ الأكبر جعفر بن خضر بن يحيى الجناجيّ النّجفيّ (ت 1228هـ/ 1813م) مؤلف كتاب «كشف الغطاء» شيخ الطّائفة، وأستاذ الفقه والأصول والكلام. والعالم الفاضل السّيد علي بن محمد علي بن أبي المعالي الطّباطبائيّ الكاظميّ الحائريّ (ت نحو 1231هـ/ 1816م) الفقيه المشهور، والمجتهد المعروف، المشتهر بالسّيّد عليّ صاحب الرّياض، نسبة لكتابه «رياض المسائل في تحقيق الأحكام بالدّلائل».

واستطاع الشيخ أحمد أن يحصل على إجازات بعض العلماء الذين رغب في الحصول على الإجازة منهم، فهو يروي بالإجازة عن العالم السّيّد محمد بن عليّ بن محمد عليّ الطّباطبائيّ الكربلائيّ المعروف بالمجاهد (ت 1242هـ/ 1826م) الفقيه الأصوليّ، المتكلّم، صاحب المصنّفات الكثيرة المفيدة.

ويروي أيضا بالإجازة عن المولى حمزة بن سلطان محمد القابنيّ الطّبسيّ، عن السّيّد ميرزا مهدي بن هداية الله الحسينيّ الموسويّ الأصبهانيّ المشهديّ، الشّهيد سنة (1218هـ/ 1803م).

وبعد هذه الرّحلة الطويلة في طلب العلم، والتّعرّف إلى العلماء والمذاكرة معهم، والحصول على ما كان به حاجة إليه من العلوم والمعارف المختلفة، عاد الشيخ أحمد إلى موطنه كرمانشاه، وتصدّر للتّدريس والتّأليف، ثمّ سافر إلى الهند، ودخل مدنها المختلفة وأقام علاقات طيّبة مع الكثير من علمائها وأرباب السّلطة فيها، كما يظهر ذلك واضحا من قائمة مؤلّفاته التي ألّفها في عدد من مدن الهند، ووسم بعضها بأسماء الأمراء والسّلاطين، فقد كان كثير التّرحال، محبّا للأسفار.

دخل العراق في سنة (1210هـ/ 1795م) وأخذ عن شيوخها وأساطين العلم فيها، وفي سنة 1220هـ/ 1805م أو قبلها دخل الهند وتجوّل في مدنها، وكان في هذه السّنة بمدينة حيدر أباد الدّكن، حيث ألّف فيها كتابه الفقهي: «عقد الجواهر الحسان» وفي سنة 1222هـ/ 1807م دخل مدينة فيض آباد، وألّف فيها كتابه «الرّسالة الفيضيّة» نسبة إلى هذه المدينة، وقد ألّف كتبا أخرى بهذه المدينة، ولم يذكر تاريخ تأليفها منها: تاريخ الجيّد والرّديء عن الأيّام المعروف بـ«تاريخ نيك وبد» و«تحفة المحبّين». وفي سنة 1224هـ/ 1809م أقام بمدينة عظيم آباد، وألّف فيها كتابه «كشف الرّيب والمين»، ومكث بمدينة مرشد آباد الهنديّة وألّف فيها رسالته «رسالة سؤال وجواب». وقد تنبّه المؤلّف إلى هذه الرّحلة الممتعة في بلاد الهند وما شاهد فيها من عجائب الدّنيا والطّبيعة الخلاّبة، فوصف هذه الرّحلة بكتابه «مرآة البلدان في شرح سفر هندوستان» وما جمع فيها من فوائد وفرائد علميّة وآثاريّة.

ومن الغريب الملفت للنّظر أنّ الشّيخ أحمد الوحيد زار العراق ثانية وربّما ثالثة ودخل سامراء سنة 1233هـ/ 1808م وألّف فيها كتابه «مناهج الفقه في القضاء والشّهادات» في هذه السّنة، ولم تذكر ذلك مراجع ترجمته، وربّما أغفلت الكثير عن شخصيته وسيرته الذّاتيّة.

وكان الشّيخ أحمد الوحيد من الفقهاء الصّالحين، نبه في الفقه حتّى كاد يستحضر

أمّهات كتبه، وتنبّه في العربيّه والأصول والحديث والتّفسير، وشارك مشاركة حسنة في العلوم العقليّة، فكان بحقّ علاّمة العلماء الأعلام، وراوية فنون الجاهليّة وعلوم الإسلام، له اليد الطّولى في استنباط المسائل، والأجوبة الشّافية لكلّ سائل واستحقّ الوصف: «بالعالم الألمعيّ الفاضل» أثنى عليه العلاّمة السّيّد محمد المجاهد، وهو من شيوخه، فقال: «أمّا بعد فإنّ ابن خالي، صانه اللّه تعالى من شرّ الأيّام واللّيالي، وهو الأعلم الأفضل الأكمل، الذي بلغ في التّحقيق غايته وفي التّدقيق نهايته، الأمجد الأرشد، المدعو بأقا أحمد، الجامع لجميع الكمالات الحسنة، والصّفات المستحسنة من العلوم العقليّة والنّقليّة والفقه والأصول والحديث والتّقوى والورع، وترويج الدّين، والانقياد إلى المعصومين (عليهم السلام) قد أمرني بمطالعة شطر من تصانيفه الشّريفة، وجملة من تآليفه الجميلة، فبادرت إليه امتثالا للأمر الشّريف، فوجدت ذلك في غاية الحسن والجودة؛ لاشتماله على تحقيقات فائقة، وتدقيقات جيّدة، بعبارات موجزة عذبة، فتحققت أنّه من أهل الاجتهاد والملكة والاستعداد. وقد استجازني مع أنّني لست من أهلها، ولا ممّن يحوم حولها، فأجزت له - وفّقه اللّه تعالى - بمقرّراتي ومسموعاتي ومؤلّفاتي من الأصول والفقه والحديث وغير ذلك».

توفّي الشّيخ أحمد الوحيد في كرمانشاه سنة ثلاث وأربعين ومائتين وألف من الهجرة النّبويّة الشّريفة، ودفن في مقبرة والده الآقا محمد علي البهبهانيّ (رحمهما اللّه تعالى).

آثاره

خلّف الشّيخ أحمد الوحيد مجموعة طيبة من نفائس الكتب والآثار العلميّة النّافعة، في العلوم والمعارف التي أتقنها وأجاد التأليف فيها: من الفقه والأصول والتّفسير والحديث الشريف والتاريخ والرّجال فضلا عن العلوم العقليّة، وعُرفت بجودة التأليف، وحسن الترتيب وقد أثبتنا آنفا طرفا من ثناء العلماء على جودتها، وقد رتّبنها على وفق ترتيب المعجم العربيّ، وهي:

1 - تاريخ الجيّد والرّديء من الأيّام بالفارسيّة، كتبه في فيض آباد، بالهند بالتماس بهو بيكم أمّ آصف الدّولة؛ 2 - تحفة الإخوان في تواريخ مشاهير الأنبياء والخلفاء والأئمّة الأطهار وغزوات أمير المؤمنين (عليه السلام)؛ 3 - تحفة المحبّين في فضائل سادات الدّين وإمامة الأئمّة الطّاهرين، كتبها في فيض آباد من بلاد الهند؛ 4 - تفسير القرآن؛ 5 - تنبيه الغافلين في حال الإخباريين، لعله الذي سيأتي برقم (9)؛ 6 - ربيع الأزهار، في مسائل متفرقة من أصول الفقه؛ 7 - رسالة سؤال وجواب، كتبها في مرشد آباد من بلاد بنكالة في الهند؛ 8 - رسالة في آداب الصّلاة والصّوم بالفارسيّة؛ 9 - رسالة في ردّ الإخباريّة، ووجوب كون المكلّف مجتهدا أو مقلّدا. ولعلّها المسمّاة: تنبيه الغافلين في حال الإخباريّين ومن اتُّهم بالصّوفيّة كالبهائيّ وغيره. فرغ منها سنة 1222هـ؛ 10 - رسالة في الرّدّ على من حرّم المتعة، ألفها بطلب من السّيّد كاظم خان بن فخر الدّولة السّيد نقي خان ظفر جنك، ولعلّها المسمّاة: كشف

الشّبهة عن حكم المتعة؛ 11 - الرّسالة الفيضيّة في التّاريخ، كتبها في فيض آباد من بلاد الهند سنة 1222هـ، وهي في توليد الثلج والمطر والغمام والبرد وكوكب الذنب والنيازك؛ 12 - شرح المختصر النافع للعلاّمة الحليّ؛ 13 - عقد الجواهر الحسان في الفقه، كتبه في حيدر آباد الدكن سنة 1220هـ؛ 14 - قوت من لا يموت؛ 15 - كتاب في تاريخ المعصومين الأربعة عشر (عليهم السّلام) ألفه سنة 1223هـ، ولعله المذكور باسم مناقب الأئمّة بالفارسيّة مختصر الآتي ذكره؛ 16 - كتاب في مناقب الأئمّة (عليهم السّلام) وإثبات عصمتهم وإمامتهم. لعله المتقدم برقم (15)؛ 17 - كشف الرّيب والمين عن حكم صلاة الجمعة والعيدين، ألفها بطلب أمير الدولة عبّاسقلي خان بهادر نصرة جنك سنة 1224هـ، في بلدة عظيم آباد من بلاد الهند؛ 18 - كشف الشّبهة عن حكم المتعة، لعله المتقدّم برقم (10)؛ 19 - المحموديّة في شرح الصّمديّة للبهائيّ، ألفها باسم أخيه أقا محمود بن محمد علي البهبهائيّ؛ 20 - مرآة الأحوال في معرفة الرّجال؛ 21 - مرآة البلدان في شرح هندوستان، وما رآه في ضمن هذا السّفر؛ 22 - مناهج الفقه في القضاء والشّهادات، كتبه سنة 1222هـ في سامراء حين الشّروع في بناء سور سامراء.

المصادر والمراجع

● العاملي، أعيان الشيعة، محسن بن عبد الكريم الأمين (ت 1372هـ) بيروت، دار التعارف للمطبوعات، 1406هـ؛ ● الطّهراني، آغا بزرك، الذّريعة إلى تصانيف الشيعة، محمد محسن بن علي الشهير (ت 1970م) بيروت، دار الأضواء، 1403هـ؛ ● الطهراني، آغا بزرك، طبقات أعلام الشيعة، محمد محسن بن علي الشهير (ت 1970م) بيروت، دار الكتاب العربي، 1972م؛ ● بحر العلوم، الفوائد الرجالية، (ت1212هـ) تحقيق السيد محمد صادق بحر العلوم، طهران، 1363هـ؛ ● كحالة، معجم المؤلفين، تراجم مصنّفي الكتب العربي، (ت 1970هـ) دمشق، 1957م.

د. صالح مهدي عباس
مركز إحياء التراث العلمي العربي
بغداد - العراق

إقبال، محمد

(1294هـ / 1877 م - 1356 هـ/ 57/1938م)

هو محمد إقبال. مفكر وشاعر عاش في شبه القارة الهندية قبل تقسيمها وتأسيس جمهورية باكستان. ولد في 3 ذي القعدة 1294هـ/ التاسع من نوفمبر عام 1877م بمدينة سيالكوت وهو ينتمي إلى أسرة برهمية اعتنق زعيمها، بابا لول الحاج، الإسلام خلال القرن الخامس عشر الميلادي، وذلك قبل مائة عام من إنشاء الامبراطورية المغولية في الهند على يد الملك المغولي ظهير الدين بابر. وقد هاجر جد إقبال شيخ محمد رفيق من كشمير فاستوطن مدينة سيالكوت. وكان أجداد إقبال بطبيعتهم يميلون إلى العبادة، وكان أبوه شيخ نور محمد وأمه السيدة أمام بي بي معروفين بالصلاح والتقوى.

وبدأ إقبال دراسته في الكتاب حيث تعلم اللغتين العربية والفارسية وترسخت قدمه في هاتين اللغتين بفضل الشيخ سيد مير حسن الذي حاز لقب «شمس العلماء»، الذي كان من أصدقاء السير سيد أحمد خان. فقد كان الشيخ رجلا متحمسا للدين، وأثر في نفس إقبال تأثيرا بالغا للغاية، دام مدى الحياة باعتراف إقبال نفسه.

وبعد أن نجح في امتحان الثانوية التمهيدية بمدينة سيالكوت في 1895 م تحول إقبال إلى لاهور ليلتحق بكلية لاهور الحكومية، وتخرج منها في 1897 م بشهادة الماجستير في 1899م، ثم سافر إلى انجلترا في 1905 م حيث تخرج من كمبردج في 1907 م بشهادة الحقوق عام 1908 م. وبين عامي 1905 و1907م سافر إقبال إلى ألمانيا للحصول على الدكتوراه في الفلسفة، وقدم إقبال أطروحة الدكتوراه بجامعة ميونخ بألمانيا وكان عنوانها: «تطور ما بعد الطبيعيات في إيران» في نوفمبر 1907 م.

أمضى إقبال بضع سنوات من حياته أستاذا للفلسفة والدراسات الشرقية بكلية لاهور الحكومية، وكلية العلوم الشرقية لجامعة البنجاب بلاهور. ثم اشتغل بمهنة المحاماة في قضاء لاهور العالي طوال حياته، وحتى قبيل وفاته بأربع سنوات. وقد كانت الجلسات المسائية في بيته من بين ملامح حياته العامة، فقد كان متواضعا يقصده الكبير والصغير، والغني والفقير.

ورغم شواغله الكثيرة المتنوعة وارتباطاته السياسية والاجتماعية فقد كان إقبال يجد وقتا للشعر الرصين الذي جعل من الفلسفة أغاني عذبة. ففي ذلك يقول ألف. ك. بروهي: «إن إقبال شاعر فيلسوف إسلامي معروف بدون شك، ولا ريب أن كتاباته كلها تتضمن ينبوعا خالدا متدفقا من الاستيحاء والمتعة والروعة والجمال، ولندرك أعماق الشريعة الإسلامية العطرة قدّم مساهمة نادرة فريدة، فقام بتقديم النموذج الرائع الفريد، ألا وهو حياة نبي الإسلام ﷺ، يقدمها للعالم بأجمعه مثالا للكمال الإنساني، وبأسلوب غاية في البيان

والروعة. إن هذه الكتابات تزودنا بأجود الأطر وأحسنها من حياتنا الأرضية، تلك التي تقودنا نحو حياة أفضل في دنيانا هذه».

وقد اتضحت هذه الآراء والأفكار اتضاحا جليا في اجتماع الرابطة الإسلامية الهندية بمدينة «الله آباد» في ديسمبر 1930م حيث قدم إقبال فكرة إنشاء دولة إسلامية في الهند في كلمته الرئاسية المعروفة، فقال: «وأحب أن أرى دولة موحدة مكونة من البنجاب وأقاليم الحدود الشمالية الغربية والسند وبلوخستان، حكومة ذاتية محلية في داخل الإمبراطورية البريطانية أو خارج الإمبراطورية البريطانية».

وهكذا كانت البداية فأخذت الفكرة تتطور وتتقدم، وسرعان ما اتخذت شكل دولة إسلامية أو أكثر في مناطق الأغلبية الإسلامية في الشرق والغرب كما يتضح مما يلي من السطور التي كتبها إقبال في رسالته إلى القائد الأعظم في الواحد والعشرين من يونيو سنة 1937 م، وذلك قبل عشرة شهور من وفاته: «إن فيدرالية مستقلة من الأقاليم الإسلامية والتي يتم تكوينها على أساس الخطوط التي أقترحها في أعلاه هو الطريق الوحيد الذي يمكن أن يتحقق به وجود الهند الآمنة الهادئة، ونستطيع أن ننقذ المسلمين من تغلب غير المسلمين وهيمنتهم. فلماذا لا نعتبر مسلمي الهند الشمالية الشرقية والبنغال كأمم تستحق أن تقرر مصيرها كما يحق للشعوب الأخرى داخل الهند وفي خارج الهند أيضا أن تقرر مصيرها؟».

ويوجد عدد من نقاد العلامة إقبال يزعمون أن إقبال بعد إلقاء الخطبة عدل عن فكرة إنشاء دولة إسلامية. وهذا رأي يبعد عن الصدق والحق، فقد ظلت هذه الفكرة تحتل مكانتها في ذهن إقبال وتشغل باله كفكرة قوية حيوية. ومن الطبيعي أن تأخذ هذه الفكرة قدرا من الوقت حتى تنضج، فقد كان إقبال على يقين بأن مسلمي شبه القارة سوف يحققون تحررهم وينتصرون في إنشاء وطن إسلامي مستقل يضمن كيانهم. وفي 21 مارس 1932م ألقى العلامة محمد إقبال كلمته الرئاسية في الاجتماع السنوي للمؤتمر الإسلامي الهندي بمدينة لاهور. وفي تلك الكلمة أيضا ألح إقبال على فكرته عن القومية الإسلامية في الهند، وعلق على الأوضاع الراهنة التي كان المسلمون يعيشونها في الظروف المضطربة في شبه القارة كلها، وبعد أن حضر مؤتمر المائدة المستديرة الثاني في سبتمبر 1931م بمدينة لندن كان قد اتضح له اتضاحا جليا ما كان يغمر الهنادكة والسيخ من التعصب والازدراء بالمسلمين وموقفهم القاسي المتشدد الذي لم يكن يسمح بالتعايش السلمي والتفاهم والتعاون، كما أنه لاحظ ما كان يشغل بال الحكومة البريطانية. ومن ثم اقترح خطوات تضمن كيان الشعب المسلم الهندي ومستقبله الآمن المضمون به فقال: «أما عن مبادئنا السياسية إذن فإنني لا أجد شيئا جديدا أقدمه أو أقترحه. فقد سبق أن أوضحت آراء وأفكارا عن هذه المبادئ السياسية في كلمتي التي ألقيتها في اجتماع الرابطة الإسلامية الهندية. أما في كلمتي هذه فأقترح أشياء تساعدكم، ففي الدرجة الأولى التبصر بنظرة ثاقبة صحيحة لما نمت عليه الأوضاع التي ظهرت من الموقف المتردد الذي اتخذه وفدنا في المراحل النهائية من مؤتمر المائدة المستديرة. وفي الدرجة الثانية سوف أحاول طبقا لما

أملكه من المعلومات والآراء أن أوضح مدى الإمكانات المطلوبة في بناء سياسة جديدة، وخاصة بعد ما أعلنه رئيس الوزراء في نهاية مؤتمر لندن، فذلك مما يحتم علينا أن ندرس الأوضاع الراهنة كلها دراسة حذرة دقيقة شاملة».

ومما يجب أن نتذكر دائما هو أن الشيخ «محمد علي جوهر» قد توفي في يناير 1931م. وأما القائد الأعظم فقد تخلف في لندن ولم يعد إلى الهند، ومن ثم لم يكن أحد يستطيع أن يتحمل مسؤولية الزعامة والقيادة للشعب المسلم الهندي غير إقبال، فكان لا بد له أن يقوم بدوره كوصي حريص وقائد مرشد لشعبه إلى أن عاد القائد الأعظم إلى شبه القارة في 1935م: «إن الرابطة الإسلامية والمؤتمر الإسلامي كانا قد أصبحا لعبة في أيدي الأقزام من الزعماء الذين لم يكونوا بعيدين عن منصب القيادة ولا يستقيلون عنه حتى بعد أن فقدوا الثقة فيهم بالتصويت ضدهم. والواقع أن هؤلاء الزعماء لم يكونوا يتزعمون التنظيم في الأقاليم كما أنهم لم يكونوا يملكون شيئا من الصلات بعامة الشعب أو الثقة والتأثير في نفوسهم».

وخلال المؤتمر الثالث للمائدة المستديرة تلقى إقبال دعوة موجهة من رابطة لندن الوطنية حيث ألقى كلمة في جمع كان يشمل رجال السلك الدبلوماسي وأعضاء مجلس النواب البريطاني وأعضاء مجلس اللوردات والأعيان وأعضاء المسلمين في وفد مؤتمر المائدة المستديرة بالإضافة إلى غيرهم من كبار الشخصيات. وفي هذا الجمع أسهب إقبال القول في الأوضاع التي كان يعيشها الشعب الهندي المسلم. وأوضح موقفه على وجه التفصيل مما جعله يطالب بالتفاهم الطائفي قبل الإصلاحات الدستورية، وألح إقبال على ضرورة السلطة الإقليمية وذلك لأنها كانت تمنح قوة ودعما لأقاليم الأغلبية الإسلامية للدفاع عن حقوقها والاحتفاظ بتقاليدها الثقافية وعقيدتها الدينية. فقد كان من الواضح والمعلوم أن المسلمين تحت سلطة الحكومة المركزية لا بد أن يفقدوا شخصيتهم الثقافية والدينية على أيدي الأغلبية الهندوكية الساحقة.

وخلال حديثه مع الدكتور «امبيدكار» عبّر العلامة إقبال عن رغبته في أن تكون الأقاليم الهندية وحدات مستقلة تحت حكم السلطة المباشرة للحكومة البريطانية وبدون أية حكومة هندية مركزية. وهكذا تصور إقبال الأقاليم الإسلامية السائدة في الهند. أما إذا كانت تحت سيادة الاتحاد الهندي الوحيد فقد كان إقبال يخشى على المسلمين أن يواجهوا الصعوبات الكثيرة وخاصة بالنسبة إلى وجودهم المستقل وكيانهم الشخصي المنفصل كمسلمين. وأما تصريح العلامة إقبال الذي يوضح موقف أعضاء وفد المسلمين في مؤتمر المائدة المستديرة والذي أصدره في ديسمبر 1933 م فإنه كان ردا على ما صرح به الباانديت «جواهر لال نهرو». فقد اتهم نهرو أعضاء الوفد المسلمين ونقد موقفهم الذي كان في رأيه موقف الرجعية، وقد أنهى إقبال رده هذا بقوله: «وفي نهاية حديثي هذا يجب أن أوجه سؤالا إلى الباانديت جواهر لال نهرو: كيف يمكن له أن يحل مشكلة الهند إذا لم يوافق طائفة الأغلبية بأقل الضمان لحقوق الأقلية الدستورية البالغ عددها إلى ثمانين مليون نسمة، أو إذا لم يوافقوا بما يقضي به

مجلس الحكام المحايد؟ إن استمراره في حديثه عن قسم الأمة لا ينفع ولا يفيد أحدا غيره لا يسمح إلا بأحد أمرين: إما أن يوافق طائفة الأغلبية الهندية بالوضع الدائم لنفسه والمكانة المستقلة له كعميل للإمبريالية البريطانية في الشرق، أو تنقسم البلاد من جديد على أساس المبادئ الدينية والصلات التاريخية والثقافية لكي يقضي على مشكلة الدوائر الانتخابية والمشكلة الطائفية في شكلها الحاضر».

وقد تحقق ما كان يخشاه إقبال من اضطهاد الأقلية الإسلامية على أيدي الأغلبية الهندوكية الساحقة، وذلك حين أنشأت المجالس الوزارية للحزب الهندوكي الكونجرس في أقاليم الأغلبية الهندوكية تحت مشروع الدستور لسنة 1935م. فقد لاقى الشعب المسلم الهندي الكثير من الذل والهوان والخسة على أيدي الهنادكة في أقاليمهم ومقاطعاتهم. وهذه الظاهرة المؤسفة قد أضافت إلى ما كان يخشاه العلامة إقبال ويسيء الظن بمستقبل الشعب المسلم الهندي غير الآمن إذا بقيت الهند دولة موحدة. ففي رسائله التي بعث بها إلى القائد الأعظم في سنة 1936م و1937م أشار إلى دولة إسلامية مستقلة تضم مناطق الأغلبية الإسلامية في غرب الهند وشرقها، وبهذه المناسبة لم تكن الإشارة إلى المناطق الشمالية الغربية وحدها التي ذكرها إقبال في كلمته التاريخية التي ألقاها بمدينة الله آباد في سنة 1930.

وبعض الناس في داخل باكستان وخارجها يصرون على القول بأن العلامة إقبال لم يفكر قط في إقامة دولة إسلامية مستقلة، وإنما أراد إقبال دولة إسلامية داخل إطار الاتحاد الهندي، أي دولة في داخل الاتحاد. وهذا خطأ فادح لأن الذي أراده إقبال قد فهمه وأدركه إخوانه المواطنون المسلمون فهما واضحا جيدا، كما فهمه المواطنون غير المسلمين.

آثاره

1 - الآثار الشعرية بالفارسية:

1- ديوان «أسرار خودي»، أي «أسرار الذاتية»، ط. لاهور 1915، يفسر فيه الشاعر فلسفته الذاتية، ويبرهن بشتى الوسائل والطرق على أنّ الإبداع في الكون نتاج للإرادة الذاتية. ويرفض إقبال فكرة دمار الذاتية وإبادتها، فهو يرى أنّ الحياة تهدف إلى تحقيق الذاتية والاعتراف بها والمعرفة بالنفس وإدراكها وهو يحدد المدارج أو المنازل التي تمر بها الذاتية الإنسانية قبل أن تدرك قمة كمالها وذروة تحقيقها، وبذلك يتمكن من يدرك ذاتيته أن ينال منصب خليفة الله على الأرض؛ 2- ديوان «رموز بـ خودي»، أي رموز اللاذاتية، ط. لاهور 1917، وفيه يثبت الشاعر أن طريقة الحياة الإسلامية هي خير مناهج السلوك وأحسنها في بناء أمة وصلاحها، وأنه لا بد للفرد أن يحافظ على خصائصه الفردية دون أن يمسها أي ضرر، ولكنه يجب عليه في الوقت نفسه أن يضحي بطموحاته الشخصية وأهدافه الذاتية في سبيل أمته. إن الإنسان ليس بإمكانه أن يستوفي ذاتيته ويهمل المجتمع؛ 3- ديوان «بيام مشرق» أي رسالة المشرق، ط. لاهور 1923، وهو رد على الديوان الغربي الشرقي للشاعر الألماني «جوته» الذي راعه انغماس

أوروبا وغرقها في دنس المادية؛ وقد مضى على ذلك الديوان مائة عام حين جاء إقبال فذكّر العالم الغربي بمكانة الأخلاق والدين والقيم المدنية، وذلك بالاهتمام بغرس المشاعر والحماسة والنشاط والجد في نفوس المجتمع. وقد شرح رأيه بأن الحياة لا يمكن أن تتطلع إلى الأبعاد السامية والقيم الحالية إلا إذا تعلمت الحياة الروحية وأدركت حقيقتها؛ 4 ديوان «زبور العجم»، ط. لاهور 1927، وهو يضم منظومة «روضة الأسرار الجديدة»، ومنظومة «بندكي نامه» أي رسالة العبودية. وقد تتبع إقبال في «روضة الأسرار الجديدة» الشاعر الفارسي المعروف «السيد محمود شبستري» صاحب المنظومة المعروفة «روضة الأسرار». وفي هذا الديوان يثير إقبال أسئلة على منوال الشاعر «شبستري»: ثم يرد على هذه الأسئلة ويستفيد من ذلك بالحكم القديمة والجديدة، ويوضح تأثيرها وصلتها بمجالات العمل. وأما «بندكي نامه»، أي رسالة العبودية، فهي هجوم عنيف على العبودية والاستعباد. وهنا يفسر الخلفية التي تجعل المجتمعات المستعبدة تهتم بالفنون الجميلة. وفي هذا الديوان «زبور العجم» يبلغ إقبال الذروة في الغزل الفارسي؛ 5- جاويد نامه، أي رسالة الخلود، ط. لاهور 1932، وفيه يتتبع إقبال ابن العربي والمعري ودانتي الإيطالي، ويرسم نفسه ممثلا في شخصية «زنده رود» (أي النهر الخالد وهو نهر مفعم بالقوة والحياة)، ويقوده الشيخ الرومي المرشد في رحلته المسرحية هذه إلى لقاء شخصيات روحية حيث يتم النقاش بينه وبينها حول مشاكل الحياة المختلفة والأجوبة عنها والحلول لها. إنها دراسة مثيرة حيوية للغاية ومن خلال هذه الدراسات للمشاكل يأخذ إقبال برقاب الخونة الغادرين بالأمة الإسلامية من أمثال «مير جعفر» في البنغال الذي غدر بالأمير سراج الدولة حاكم البنغال و«مير صادق» من أهل دكن الذي غدر بالسلطان «تيبو» الشهيد حاكم «ميسور» في الهند، وكل ذلك من أجل الاستعمار البريطاني الغاشم. فهذان الخائنان الغادران كانا قد سلما البلاد إلى العدو ودفعاها إلى براثن العبودية وأغلالها، وفي نهاية هذا الديوان يخاطب ابنه جاويد، وبذلك يتحدث إلى الشباب المسلم عامة، ويزود «الجيل الناشئ» بالهداية والإرشاد؛ 6- «ما ينبغي أن نعمل به يا أمم الشرق!»، ط. لاهور 1936، وهو منظومة تضم قصيدة المسافر أيضا وأن مرشد إقبال (الشيخ الرومي) يبشره قائلا: «إن الشرق قد أخذ يصحو ويستيقظ من نومه الطويل!» ويضم الديوان تعليقا مثيرا مفصلا حول الفقر المدقع والإنسان الحر، ثم يتبع الشرح الوافي لأسرار الشريعة الإسلامية. ويندب إقبال التمزق والخلاف الذي ران على قلب الشعب المسلم الهندي خاصة، والأمة الإسلامية عامة. وأما قصيدة المسافر فهي تصور لنا رحلة الشاعر إلى أفغانستان. وفي نهاية القصيدة ينتهز إقبال فرصة الكلمة فيخاطب شعب إقليم سرحد (أو البتان) فيحثهم على التعمق في دراسة الشريعة الإسلامية وأسرارها لكي يتمكنوا من بناء الذاتية والسيرة الحسنة في نفوسهم؛ 7 ديوان «أرمغان حجاز»، أي هدية الحجاز، ويحتوي على قسمين: القسم الأول يشتمل على الرباعيات الفارسية، والقسم الثاني يضم بعض القصائد والمعلومات القصيرة باللغة الأوردية. إن الرباعيات الفارسية في هذا الديوان تعطي انطباعا كأن الشاعر قد قام برحلة فكرية يمر من

خلالها بأودية الحجاز ورمالها، كذلك إن قسم الأوردية من الديوان يشتمل على النقد الصريح للحركات الفكرية والاجتماعية والثورات السياسية المعاصرة المناهضة للإسلام.

2 ـ الآثار الشعرية بالأردية:

8- ديوان «بانك دار» أي صوت الجرس، ط. لاهور 1924، وهو يحوي المختار من شعره الذي يرجع إلى المراحل الثلاث الأولى أو المبتدئة من حياة إقبال الشعرية؛ 9- «باك جبريل» أي جناح جبريل، ط. لاهور 1935، يمثل هذا الديوان قمة البيان في شعر إقبال الأوردي، وهو يضم القصائد الغزلية والمنظومات والرباعيات والمقطوعات؛ 10- «ضرب كليم»، ط. لاهور 1936، وقد علق عليه الشاعر نفسه، وعرّف به قائلا: «إنه ضربة كليمية وحرب سافرة ضد العصر الحاضر». وأما موضوعات هذا الديوان فأهمها: الإسلام والمسلمون، والتعليم، والتربية، والمرأة، والآداب، والفنون الجميلة، بالإضافة إلى النزعات والتيارات السياسية المعاصرة في الشرق والغرب.

3 ـ الآثار النثرية بالإنكليزية:

11- علم الاقتصاد، ط. 1903، وهو أول ما ألف؛ 12- «تطور ما بعد الطبيعيات في إيران»، في هذا الكتاب يفسر إقبال القول عن تسلسل الفكر الإيراني ويناقش النزعات الصوفية في إيران، ويرى أن التصوف الإسلامي الحقيقي هو بعث الروح المعنوية النائمة في النفوس، فيقودها إلى فكرة الحياة السامية؛ 13- «إعادة بناء الفكر الديني في الإسلام»، أو تجديد الفكر الديني في الإسلام، وهو مجموعة من محاضرات إقبال الست التي ألقاها في مدراس وحيدر آباد وعليكره. وقد ظهرت طبعتها الأولى بلاهور في عام 1930م، ثم نشرتها مطبعة جامعة اكسفورد في عام 1947م، ومن بين موضوعات المحاضرات: «العلم والتجربة الدينية»، و«فكرة الله ومعنى العبادة»، و«الذاتية البشرية»، و«الجبر والقدر»، و«روح الثقافة الإسلامية»، و«الاجتهاد كمبدأ الحركة في الإسلام». فهذه هي المشاكل التي تناولها إقبال وناقشها نقاشا عميقا غزيرا بأسلوب فكري مثير في ضوء التعاليم الإسلامية والحياة المعاصرة، وقد قام بترجمة هذه المحاضرات إلى الأوردية «سيد نذير نيازي» من أتباع إقبال المخلصين وقريب أستاذه الفاضل سيد مير حسن، وإلى العربية عباس محمود، وراجعه عبد العزيز المراغي ومهدي علام، القاهرة 1955؛ 14- رسائل وتصريحات، كتب إقبال المئات من الرسائل باللغتين الأوردية والإنجليزية وقد نشرت رسائله الأوردية في عشرة أبواب مختلفة، كما أن إقبال قد أدلى بتصريحات عن الموضوعات المعاصرة الهامة عن الجوانب المختلفة من مشاكل الهند الاجتماعية والدينية والثقافية والسياسية بالإضافة إلى مشاكل الحضارة الأوروبية والعالم الإسلامي.

المصادر والمراجع

● سمير عبد الحميد إبراهيم، الأدب الأردي الإسلامي، الرياض، 550-573؛ ● عبد الوهاب عزام، محمد إقبال، مطبوعات باكستان، 1373هـ/1954م؛ ● الندوي، محمد إسماعيل،

نظرات جديدة في شعر إقبال، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1969م؛ ● قاسمي، أحمد نديم، العلامة محمد إقبال، راونبدي، باكستان، 1977م؛ ● ظهور أحمد أظهر، إقبال العرب على دراسات إقبال، المكتبة العلمية، لاهور، 1977م؛ ● الندوي، أبو الحسن علي الحسني، روائع إقبال، لكهنو، الهند، 1991م؛ ● منور محمد، حياة إقبال، أكاديمية إقبال الباكستانية، لاهور، 1997م.

د. جلال السعيد الحفناوي
جامعة القاهرة ـ مصر

الأقسرائي، جمال الدين، محمد بن محمد

(... هـ ـ ... م ـ 779 هـ / 1377 م)

هو جمال الدين - ويقال كمال الدين - محمد بن محمد بن محمد الأقسرائي نسبة إلى بلدة آق سراي - القصر الأبيض - في بلاد الروم (تركية) المعروف بابن الإخوة. يرقى بنسبه إلى الإمام فخر الدين الرازي (ت 606هـ/ 1205م)، ومن أحفاده [الفوائد البهية في تراجم الحنفية، ص 181]. وهو عربي المحتد والأصل من سلالة أبي بكر الصّديق [عروبة العلماء، ج. 3، ص 47 - 47].

عالم بالطب والعربية وفقهها وعلوم الدين من تفسير وحديث وفقه. صنّف في جميعها ممّا أهّله للتدريس في مدرسة ولاية قرمان من بلاد الروم تدعى «مدرسة السلسلة»، إذ كان يُشترط من بناها أن لا يُدرّس فيها إلاّ من حفظ صحاح الجوهري (ت. 393 هـ / 1003 م)، وتحقق ذلك فقد كان من حفظة الصّحاح.
يذكر أنّه كان يرتّب طلاب علمه ثلاث فرق: الفرقة الأولى أو الفرقة الأدنى وأطلق عليهم «المشائين» يتلقون علمه وهم في ركابه عندما يحضر إلى المدرسة حافّين براحلته. الفرقة الثانية أو الفرقة الأوسط من طلبته يسمّيهم «الرواقيين» الذين يسكنون في رواق المدرسة، وكان يدرسهم فيه بعد نزوله عن راحلته. والفرقة الثالثة أو الفرقة الأعلى وهم الذين يسكنون في داخل المدرسة، وكانوا آخر من يدرسهم من الطلبة. وقد تمتّع الأقسرائي بمكانة مرموقة في مجتمعه احتراما لعلمه ولما صنّفه من كتب ورسائل في علوم الدين والدنيا.

آثاره

1 - رسالة حل الموجز أو شرح على موجز القانون لابن النفيس علي بن أبي الحزم، مرتب في أربعة فنون كما عند ابن النفيس (ت 687 هـ / 1288م) وهي: - في علم الطب وعمله وقواعد أجزاء الطب العملية، - في الأدوية

والأغذية المفردة والمركبة، - في الأمراض المختصة بعضو دون عضو وأسبابها، - في الأمراض التي لا تختص بعضو وأسبابها: جاء في فاتحته «بسم الله الحي الأولي...أما بعد فإن الطب علم شريف لشرف موضوعه ووثائقه ودلائله وشدة الحاجة إليه، وفي الاشتغال به من الثواب الجزيل ما لا يوصف لتضمنه إظهار (...؟...) على عباده والتوسل به إلى إراحة نفوسهم من الأسقام»...ثم يقول: و«صرفت بعض زمان تحصيلي إليه وقرأت المختصرات المشهورة فيه على والدي وطالعت أكثر ما بلغني من المطولات، وما اكتفيت بما اكتفى به المعاصرون من الأطباء...بل حققت على وجه يوافق الأصول الحكمية...وكان من جملة ما قرأته موجز القانون لابن النفيس، فأردت أن أشرحه لما فيه من المشكلات...». طبعت هذه الرسالة في إيران على الحجر عام (1294هـ/ 1877م)، وكذلك في لكناو، وفي دلهي عام (1870 م).

ولهذه الرسالة نسخ خطية في عديد المكتبات في العالم.

2- كتاب إيضاح الإيضاح، انتهى من تأليفه في (17 شعبان عام 779هـ) نسخته الخطية في خزانة داماد إبراهيم في إستانبول برقم (1020) - انظر صورة الورقة الأخيرة من المخطوطة؛ 3- شرح الإيضاح، في المعاني والبيان؛ 4- شرح الأنموذج؛ 5- كتاب اعتراضات على الكشاف للزمخشري (ت 135هـ/ 1119م)، في اللغة والنحو ...

المصادر والمراجع

● اللكنوي، محمد عبد الحي الهندي، الفوائد البهية في تراجم الحنفية، ص 191، منشورات دار السعادة، مصر سنة 1324هـ؛ ● الزركلي، خير الدين، الأعلام، ج. 7 ص 40؛ ● معروف، ناجي، عروبة العلماء المنسوبين في بلاد الروم والجزيرة وشهرزور وأذربيجان إلى البلدان الأعجمية، الجزء الثالث، ص 45 - 47، منشورات وزارة الثقافة في العراق؛ ● حميدان، زهير، أعلام الحضارة العربية الإسلامية في العلوم الأساسية والتطبيقية، ج. 4، ص366- 369، منشورات وزراة الثقافة بدمشق، عام 1996م؛ ● حمارنة، سامي خلف، فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية، الطب والصيدلة، منشورات دار الكتب الظاهرية الوطنية، دمشق، 1389هـ/ 1969م؛ ● عواد كوركيس، جولة في دور الكتب الأمريكية، ص 87؛ ● فهرس مخطوطات الطب الإسلامي باللغات العربية والتركية والفارسية في مكتبات تركية، صادر عن مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية بإستانبول عام 1404 هـ / 1984 م، بإشراف أكمل الدين أوغلي.

● A. Z. Iskandar: A Descreptive List of Arabic Manuscripts on medecine and science at California-Los angeles p.44; ● A. J.Arbrry: The chester beauty library, a handelist of the Arabic manuscripts-Dublin. p.92.

زهير حميدان

هيئة الموسوعة العربية - دمشق

الأقشهري، أبو عبد الله محمد بن أحمد أمين

(666 هـ / 1267 م - 739 هـ / 1338 م)

محمد بن أحمد بن أمين بن معاذ بن سعاد بن إبراهيم بن عبد الله، جلال الدين أبو عبد الله وأبو طيبة. هكذا ورد اسمه ونسبه في أكثر المصادر التي ترجمت له، وذكره ابن حجر بدون (سعاد)، وقال السخاوي: «وعندي توقّف في الجمع بينها وبين معاذ، بل أظنّ أنّ الصواب أحدهما فقط»، محدث وراوية، وله إلمام بالأدب.

ولد بأقشهر من بلاد قونية في حادي عشر جمادى الأولى سنة 666 هـ على اختلاف المؤرّخين في ذلك، وبها نشأ وتعلّم، ورحل في بداية شبابه إلى مصر ومنها خرج إلى المغرب والأندلس، وتجرّد لالتماس العلم وطلبه، فأدرك في هذه البلاد رجالاً من أعيان العلم، فسمع بالاندلس من أبي جعفر أحمد ابن الزبير الغرناطي، وأبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن الحكم الرندي، وبالمغرب من عالم بجايه ناصر الدين منصور بن أحمد المشذالي، وبفاس من أبي بكر محمد بن محمد بن عيسى بن معنصر المومناني، وأبي القاسم محمد بن إبراهيم السلمي، وكلاهما حدثاه عن ابن الصلاح، وسمع من شيخ الصوفية بالمغرب أبي زيد عبد الرحمن بن عبد الله الأغماتي، ومحمد بن علي بن عبد الرزاق الجزولي، وأبي عبد الله محمد بن أحمد بن حيان لقيه بمدينة تونس.

وطالت إقامته في بلاد المغرب حتّى كان الذي يجتمع به لا يشك أنه مغربي الاصل لملابسته إياهم. وعاد إلى بلاد المشرق فدخل الحجاز وتردّد بين مكة والمدينة سعيا وراء العلماء المتصدّرين للتدريس والرواية، ففي المدينة سمع من جماعة منهم: أبو حفص عمر بن أحمد الخزرجي، وأبو الحسن علي بن أيوب المقدسي تلميذ الإمام النووي، ومن شيخ الصوفية الحسن بن علي بن الحسن العراقي، وأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري المدني، وحضر دروس الشهاب أحمد الصنعاني اليماني الشافعي نائب قاضي المدينة فسمع منه كتاب المصابيح وغيره. وسمع بمكة من الصفي الطبري، والفخر بن محمد القسطلاني والرضي إبراهيم بن أبي بكر الطبري، وعبد الله بن عبد الحق المخزومي، وكتب عن الخطيب البهاء محمد بن عبد الله ابن أحمد الطبري الكثير من نظمه وله سماع ورواية عن مشاهير علماء العصر في علم الحديث من أمثال: أبي العباس أحمد بن أبي طالب الحجار، وأبي الفداء إسماعيل بن محمد القرشي الحنفي، وأبي عبد الله محمد ابن محمد الغزنوي، والنجم سليمان بن عبد القوي الحنبلي، والعز أحمد بن عمر الفاروقي، والمجد محمد بن عمر، وعبد الرحمن بن مخلوف الربعي لقيه بالاسكندرية، وأجاز له من بغداد: محمد بن عبد المحسن الدواليبي.

كان الاقشهري من علماء العصر والأئمّة الكبار في العلم والعمل، ومعرفة الحديث والرجال، اعتنى بتدوين الحديث ورجاله عناية كبيرة، وخرج لشيوخه، وجمع مجاميع كثيرة، وكان حاضر الجواب لا يسأل عن شيء من علم الحديث ورجاله إلاّ وجد عنده منه طرفًا جيّدا، وحفظًا حسنًا. ومع ذلك كانت له تعاليق كثيرة اشتملت على أوهام منكرة، وأخرى لم تقع الموقع الحسن لدى علماء العصر ومن ترجم له، حتّى قال تقي الدين الفاسي [العقد الثمين، 1/ 287] «.. وله عناية كبيرة بهذا الشأن إلاّ أنه لم يكن فيه نجيبًا، لأنّ له تعاليق مشتملة على أوهام فاحشة».

وللأقشهري إلمام بالأدب ونظم حسن، ومن ذلك نظمه لما بلغه قول الصرصري يحيى بن يوسف الحنبلي (ت 656 هـ / 1258 م) في حريق المدينة:

اتينا إلى أرض الحجازِ عشيةً
وإذا الزخارفُ فيه نار تحرقُ

شهدت بأنّ الله لا ربَّ غيره
وأن الذي قال الرسولُ مصدَّقُ

روينا صحيحًا أنه قال بعده
بزخرف بيتِ الله ثم يزوقُ

وأن بيوت الله ترفع أرضها
إلى جنة المأوى وفيها تخلقُ

وأن الذي حقًّا يدومُ بقاؤهُ
فليس الذي بالنار حقًّا سيحرقُ

ومنه تخميس «يا خير من دفنت بالقاع أعظمه» فقال في سنة 713 هـ / 1313 م وهو بمكة:

يا خير من تفرج الزوارَ أعظمُهُ
وخير من سرَّ عرش الرب مقدَمُهُ

ناديته بمقول وهو أقومُه
يا خير من دفنت بالقاع أعظمُهُ

وطاب من طيبهن القاع والاكم
طوبى لجاركُمْ طابت مساكنُهُ

جار بجار وجار الربع آمنه
قول اذا قلت تشفيني محاسنُهُ

نفسي الفداء لقبر أنتَ ساكنه
فيه العتاق وفيه الجود والكرم

جلس الاقشهري للتدريس والرواية بمكة والمدينة، وحدث بسنن أبي داوْد، وسنن ابن ماجه واختص بهما، وقلّما نجد نسخة من نسخ سنن ابن ماجه في الحجاز في زمانه لا نجد عليها خطه [ذيل التقييد، 2/ 364]، وحدث بمؤلفات مغربية وأندلسية نالت شهرة ومكانة مرموقة في الاوساط العلمية في عموم المدن العربية والاسلامية حملها ما بين قراءة وسماع عن شيوخه الذين لقيهم في رحلته المغربية، ومن ذلك: «كتاب التيسير في القراءات السبع»، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت 444 هـ / 1052 م)، وكتاب «الاكتفاء في مغازي المصطفى والثلاثة الخلفاء»، لأبي الربيع سليمان بن موسى الكلاعي (ت 634 هـ / 1236 م)، وكتاب «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» لأبي الفضل القاضي عياض بن موسى السبتي (ت544هـ/ 1149م) وهو كتاب قال فيه ابن فرحون [الديباج، 2/ 49]: «أبدع فيه كل الابداع، وسلم له أكفاؤه كفايته فيه، ولم ينازعه أحد في الانفراد به، ولا أنكروا حزيه السبق إليه...

وحمله الناس عنه وطارت نسخه شرقًا وغربًا». حدث به الاقشهري في مكة والمدينة عن ناصر الدين المشذالي بسماعه من شرف الدين المرسي، بسماعه من الحجري بسماعه من المؤلّف. وحدث به أيضًا عن أبي عبد الله محمد بن أحمد بن حيان - سمعه منه بتونس في شهر شعبان من سنة 711هـ/ 1311م - بسماعه من أبي إسحاق إبراهيم بن عبد الرحمن التجيبي المراكشي بسنده عن علي بن أحمد الشقوري الغافقي عن مؤلّفه القاضي عياض [ذيل التقييد. 1/ 40].

سمع منه وروى عنه جماعة من أهل الحجاز والوافدين اليها من طلبة العلم منهم على سبيل المثال: عبد الله بن أحمد محمد الطبري المكي سمع منه سنن أبي داود، وكتاب الاكتفاء، والتيسير في القراءات، ومحمد بن أحمد بن إبراهيم محب الدين البري سمع منه سنن أبي داؤد بفوت من باب التختم في اليسار إلى آخر السنن. ومحمد بن محمد بن محمد بن علي بن حريث القرشي السبتي سمع منه كتاب الشفا، وحدث به بمكة والمدينة عنه بسنده المذكور آنفا. ونور الدين أبو الحسن علي بن أحمد النويري المالكي سمع منه كتاب التيسير، والقطب الحلبي عبد الكريم بن عبد النور وحمل عنه كتابه الموسوم بـ«الروضة» مناولة وأبو الفضل النويري محمد بن أحمد بن عبد العزيز قاضي مكة وخطيبها، ومحمد بن محمود بن نون الخوارزمي المعروف بالمعيد. وروى عنه بالإجازة، أبو الطيب محمد بن عمار السحولي المكي وغيره.

ظل الأقشهري يتردد بين مكة والمدينة، ثم أقام في المدينة آخر مدته، وتزوّج من أهلها امرأة رزق منها بابنتين سماهما طيبة وطابة، وسر بهما في آخر عمره، واسترغد بهما المبشر واستطابه، ثم أنهما توفيتا، فحزن حزنًا شديدًا حتّى كاد يفنى لموتهما.

توفّي الاقشهري بالمدينة المنوّرة في ربيع الأوّل سنة 739 هـ / 1338 م عن أربع وسبعين سنة. وقال ابن حجر في سنة 731 هـ / 1330 م، وبهذه السنة أخذ كحالة والزركلي. والأوّل أصح.

آثاره

ألف الاقشهري مؤلفات كثيرة، واختصر مطولات، وخرج لبعض شيوخه والمذكور من مؤلفاته:

1 - كتاب الروضة الفردوسية والحضيرة القدسية، هكذا سماه في التحفة اللطيفة، وسماه في الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ بـ«الروضة»، وكذا ذكره ابن حجر في الدرر، وذكره حاجي خليفة والبغدادي وكحالة باسم: «روضة الفردوس» فيه تسمية من دفن بالبقيع من المدينة وما حولها من السابقين الأوّلين، والشهداء والصالحين، رتبه على أبواب خمسة: الباب الأوّل: في حكم الزيارة، وكيفيتها، ومعناها، وتتفرغ منه ثلاثة فصول: الفصل الأوّل، في زيارة قبر الرسول محمد، والثاني، في كيفية الصلاة والسلام عليه، والثالث، في زيارة أهل بيته، وأولاده، وأقربائه، والشهداء من الصحابة؛ والباب الثاني: في ذكره، وأبنائه، وبناته، وجداته، وآبائه، وأزواجه، ومواليه، وأقربائه، مع الخلفاء الراشدين؛ والباب الثالث، في ذكر الوقائع، كأحد والاحزاب، وموقعة الحرة

التي كانت سببا لوفاة الفضلاء بالمدينة من الصحابة ونحوهم؛ والباب الرابع، في ذكر الصحابة المشهورين؛ والباب الخامس والأخير، في ذكر من عرفت وفاته بالمدينة من غير الصحابة من العلماء والصلحاء. وانتهى من تأليفه في سنة 71 هـ / 1218 م وحدث به في المدينة المنوّرة، ثم قرأه بلفظه على الناس في مكة سنة 733 هـ / 1332 م والتحفة اللطيفة، 2/ 411؛ 2 كتاب منسك القاصد الزائر، ذكره حاجي خليفة، والبغدادي، وكحالة؛ 3 - كتاب الرحلة، وجمع رحلته إلى المشرق والمغرب في عدة أسفار، ضمنها شيوخه الذين لقيهم في المشرق والمغرب والأندلس وما حمله عنهم من المؤلّفات والمرويات والفوائد، ذكرها ابن حجر، والسخاوي، وكحالة، والزركلي. ومنها مقتبسات في [الدرر الكامنة، 3/ 122 و5/ 510؛ ولسان الميزان، 2/ 97] ولا زالت مؤلفاته في عداد المفقودات ولم نعثر لها على أثر.

المصادر والمراجع

● العسقلاني، ابن حجر، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تح. محمد عبد المعيد خان، حيدر آباد، الهند، 1972، 5/ 36؛ لسان الميزان، بيروت، 1986، 2/ 97؛ ذيل الدرر الكامنة، تح. عدنان درويش، القاهرة، 1992، ص 215؛ ● الفاسي، تقي الدين، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، القاهرة، 1959، 21/ 286 ـ 287؛ ● ذيل التقييد، تح. كمال يوسف الحوت، بيروت، 1410هـ، 1/ 40، 1/ 37، 99، 256، 2/ 26؛ ● السخاوي، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993م، 2/ 409-412؛ ● الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، تح. روزنثال، ترجم المقدمة والتعليقات، صالح أحمد العلي، بغداد، 1963، ص275؛ ● المقري، نفح الطيب، تح. إحسان عباس، بيروت، 7/ 489 ـ 490؛ ● حاجي خليفة، كشف الظنون، منشورات مكتبة المثنى، بغداد، ص 928 و1860؛ ● البغدادي، هدية العارفين، استانبول، 1951، 2/ 150؛ ● كحالة، معجم المؤلفين، دمشق، 1959 م، 8/ 235؛ ● الزركلي، الأعلام، ط 3، 6/ 220 و221.

د. ناطق صالح مطلوب
جامعة الموصل - كلية الآداب - العراق

الأقفهسي، أبو الصفاء صلاح الدين خليل بن محمد

(763 هـ / 1362م – 820 هـ / 1417 م)

صلاح الدين خليل بن محمد بن محمد ابن عبد الرحيم بن عبد الرحمن الأقفهسي المصري، ثم المكي الشافعي، أبو الصفا وأبو الحرم وأبو سعيد ويعرف بالأشقر والأقفهسي. ولد سنة ثالث وستين وسبعمائة هجريا تقريبا، وهو أهل الطبقة الرابعة والعشرين كما ذكر السيوطي [الضوء الامع، 2/ 202؛ طبقات الحفاظ، 547؛ معجم المؤلفين، 4/ 127].

ابتدأ صلاح الدين مسيرته العلمية بحفظ القرآن الكريم ثم اشتغل قليلا بالفقه والفرائض والحساب والأدب ثم أحب علم الحديث رواية ودراية فتوجه الى طلبه فسمع بنفسه من عزيز الدين المليجي وصلاح الدين البلبيسي والصلاح الزفتاوي وتقي الدين بن حاتم والشهاب المنفر وأبي الفرج بن الشيخة والتاج الصردي والشمس المطرز ومريم الأذرعية وغيرهم.

وفي سنة خمس وتسعين وسبعمائة شد الرحال لأداء المناسك فسمع بمكة المكرمة من شيوخها كابن صديق وابن سكر، كما سمع بالمدينة المنورة من جماعة. ثم قدم دمشق سنة سبع وتسعين وسبعمائة فأدرك ابن الشهاب أحمد بن العز وأبا هريرة بن الذهبي فأكثر عنهما وعن غيرهما، كما سمع الكثير من حديث السلفي بالسماع المتصل وبالإجازة الواحدة. ثم قدم القاهرة سنة ثمان وتسعين وسبعمائة فسمع بها الكثير، ثم عاد ثانية سنة ثمانمائة الى مكة المكرّمة بصحبة ابن حجر فجاور بها، ومنها انتقلا الى دمشق سنة اثنتين وثمانمائة ثم عادا الى القاهرة، ثم عاد ثالثة الى البقاع المقدسة سنة أربع وثمانمائة فأقام بمكة المكرمة كما دخل المدينة المنورة وغيرها، ثم توجه في ركب الى العراق ومنها ركب البحر الى كنباية من الهند، ثم رجع الى هرمز، ثم جال في بلاد المشرق فدخل هراة وسمرقند وغيرها [شذرات الذهب، 7/ 150؛ الضوء اللامع، 2/ 202].

قال ابن حجر في باب الإشادة بخصاله «المحدث المفيد الحافظ، وله تعاليق وفوائد ومازال منذ الطلب في ازدياد، وهو أمثل في رفقتنا مطلقا، وقد انتفعت بثبته وأجزائه، وسمعت من لفظه جزءا من حديث الاسواري عن حكايات الصقلي بسماعه له على أحمد بن أيوب بن المنفر» [الضوء اللامع، 2/ 204].
وقال التقي الفاسي « كان ماهرا في معرفة المتأخرين و المرويات والعوالي مع بصارة في المتقدمين ومشاركة في الفقه والعربية ومعرفة حسنة بالفرائض والحساب والشعر... وكان حسن القراءة والكتابة والأخلاق ذا مروءة كبيرة وديانة، وقد تبصر في الحديث كثيرا بالزين العراقي وبولده الولي وبالحافظ الهيثمي وبمذاكرة الحذاق من الطلبة والنظر في التعاليق والكتب حتى صار مشهور الفضل،

وسمعته يذكر أنه سمع حديث السلفي متصلا بالسماع على عشرة أنفس، وحديث الحجاز على أزيد من أربعين نفرا من أصحابه ولم يتفق لنا مثل ذلك، وسمعت عليه بقراءة صاحبنا الحافظ ابن حجر شيئا يرويه من حديث السلفي متصلا مما قرأه الحافظ على مريم بإجازته العامة للموجودين بدمشق من ابن أميلة، وسمعت منه أشياء من الشعر لا تحضرني الآن، وقرأ علي بعض تواليفي في تاريخ مكة» [الضوء اللامع، 2/ 203؛ شذرات الذهب، 7/ 150].

توفي أبو الصفاء فجأة إثر خروجه من الحمام وهو بمدينة يزد في آخر سنة عشرين وثمانمائة هجرية على الأرجح.

■ آثاره

كان صلاح الدين كما ذكر ابن حجر من المعروفين بحسن الخلق والعبادة والمداومة على فعل الخير وخدمة الأصحاب إلى جانب الإقبال على التخريج والإفادة حيث خرج وهو بمكة المكرمة للحافظ الجمال بن ظهيرة معجما كما خرج وهو بالقاهرة للمجد إسماعيل الحنفي مشيخة، ومن أعماله الجليلة أيضا: 1 - المتباينات التي بلغت زهاء مائة حديث؛ 2 - أحاديث الفقهاء الشافعية؛ 3 - شعار الأبرار وهو في أربعين حديثا من مسموعه في الأدعية والأذكار.

هذا الى جانب ما أثر عنه من أشعار جيدة في الغربة فضلا عن مطارحاته الشعرية لقرينه ابن حجر.

■ المصادر والمراجع

● خليفة حاجي، 1067هـ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الفكر، 1402هـ/ 1982م؛ ● السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمان، 902هـ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت، د.ت؛ ● السيوطي جلال الدين، 911هـ، طبقات الحفاظ، مراجعة و ضبط لجنة من العلماء، نشر دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى، 1403هـ/ 1983م؛ ● ابن العماد عبد الحي، 1089هـ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح. لجنة إحياء التراث العربي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت د.ت؛ ● كحالة عمر رضا، معجم المؤلفين، منشورات دار إحياء التراث العربي، بيروت د.ت.

د. الصادق كرشيد
جامعة الزيتونة - تونس

الأقفهسي، أبو العباس أحمد بن عماد

(... هـ / ... م - 808 هـ / 1405 م)

يعرف بالعماد، ويكنى بـ «شهاب الدين، أبو العباس»، وهو ينتسب من حيث المكان إلى أقفهس من عمل البهنسا بمصر وإلى مدينة القاهرة في مصر، ومن حيث المذهب إلى المذهب الشافعي، فيقال عنه: الأقفهسي القاهري الشافعي.

ولا تقدم لنا المصادر معلومات دقيقة عن تاريخ ولادته ونشأته، إلا أن ابن العماد الحنبلي يذكر أنه ولد قبل الخمسين وسبعمائة، وتولي المصادر عناية خاصة لنشأته العلمية فتذكر أنه درس الفقه على المذهب الشافعي على كل من جمال الدين عبد الرحيم الإسنوي، المتوفى سنة 772 هـ/ 1370 م، وكان يحضر مجلس السراج البلقيني، والجمال الباجي، وغيرهم. كما سمع صحيح البخاري ومسلم وابن حبان وسنن البيهقي في مجال الحديث النبوي على يد عدد من علماء عصره فضلاً عن عنايته بدراسة العربية.

وقد ساعدته هذه الدراسات على الإحاطة بالعلوم الشرعية، وبخاصة في مجال الفقه على المذهب الشافعي.

آثاره

ألف العديد من الكتب المفيدة في الفقه وعلم الكلام، والسيرة النبوية، واللغة، منها: 1 - التعليق على المهمات، وهو كتاب في الفقه علق فيه على كتاب المهمات على الروضة في الفروع للشيخ جمال عبد الرحيم الإسنوي أكثر فيه من تخطئته، ونسبه إلى سوء الفهم وفساد التصور مع قوله إنه قرأ الأصل على مصنفه حينما كان يدرس على يديه؛ 2 - منهاج الطالبين في مختصر المحرر في فروع (الفقه) الشافعية للإمام النووي، وقد قام بوضع عدة شروح لهذا الكتاب كان أكبرها ثلاثة مجلدات سماها «البحر العجاج في شرح المنهاج»؛ 3 - كشف الأسرار عمّا خفي عن فهم الأفكار، وقد وصفه المؤلف بقوله: «هذا كتاب أذكر فيه أجوبة عن مسائل مشكلة وخفيات عن إدراك خواص قلوب مقفلة، تحير فيها أفكار العلماء»؛ 4 - توقيف الحكام على غوامض الأحكام؛ 5 - آداب الطعام؛ 6 - إكرام من يعيش بتحريم الخمر والحشيش؛ 7 - تسهيل المقاصد لزوار المساجد؛ 8 - البيان فيمن يحل ويحرم من الحيوان؛ 9 - الدرة الضوئية في الهجرة النبوية، وهي منظومة شعرية؛ 10 - الاقتصاد في كفاية الاعتقاد، وهي منظومة شعرية تزيد على خمسمائة بيت؛ 11 - الشرح النبيل الحاوي لكلام المصنف وابن عقيل، وهو شروح المؤلف لألفية ابن مالك في علم النحو؛ ويلاحظ أن المؤلف قد حاول صياغة كتبه نثرًا وشعرًا كما اعتمد أسلوب الجدل والنقد والتعقيب على آراء الآخرين، وكان يشتدّ في نقده لبعضهم بحيث يصل الى حد

التجريح كما فعل في تعليقه على كتاب المهمات لشيخه الإسنوي. وقد أرجع بعض العلماء سبب ذلك إلى رغبة الأقفهسي في اجتذاب أذهان الناس إلى آرائه واقتناعهم بها؛ وقد وصف ابن حجر العسقلاني أبا العماد الأقفهسي وكان قد عاصره وسمع منه العلم بقوله: «أحد أئمة الشافعية في هذا العصر، وكان كثير الفوائد، كثير الاطلاع والتصانيف، دمث الأخلاق، وفي لسانه حبسة» [الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، ج1، ص93]؛ ولم تسعفنا المصادر بذكر أسماء العلماء الذين تتلمذوا على يدي الأقفهسي إلا بصورة عرضية. ويظهر منها أنّه كان ممن اتصل به وسمع منه ابن حجر العسقلاني، والشيخ الرشيدي، وبرهان الدين الحلبي الذي مدحه بهذين البيتين من الشعر:

إمام محبّ ناشيء متصدّق
مصلّ وباك خائف سطوة الباس
يظلّهم الرحمن في ظل عرشه
إذا كان يوم الحشر لا ظل للناس

مات أحمد بن عماد الأقفهسي في جمادى الأولى أو الثانية من سنة 808 هـ/ 1405 م عن عمر ناهز الـ 58 عامًا هجرية.

المصادر والمراجع

● السخاوي، محمد بن عبد الرحمن، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، بيروت، دار مكتبة الحياة، د. ت، ج2، ص 47-49؛ ● السيوطي، جلال الدين، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، القاهرة 1967، ج1، ص 439؛ ● الحنبلي، عبد الحي بن عماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، بيروت 1979، ج7، ص73؛ ● الشوكاني، محمد بن علي، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، بيروت، دار المعرفة، د. ت، ج1، ص 93-94؛ ● خليفة، حاجي، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، بغداد، مكتبة المثنى، د.ت، ج1، ص3، 63، 135، 264، 407، 508، 740، 742، ج 2/ 1485 - 1486، 1874، 1915؛ ● البغدادي، إسماعيل بن محمد، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، ج 1/ 3، 35، 115، 119، 206، 333، 557، ج2/ 26؛ ● كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، دمشق 1957، ج 2/ 26؛ ● الزركلي، الأعلام، ط14، بيروت 1999، دار العلم للملايين، 1/ 184.

أ. د. هاشم يحيى الملاح
المجمع العلمي العراقي

الأقفهسي، جمال الدين عبد الله بن مقداد

(745 هـ / 1344 م - 823 هـ / 1420 م)

عبد الله بن مقداد بن إسماعيل، جمال الدين الأقفهسي، ثم القاهري، ويقال له الأقفاصي.

فقيه مالكي، انتهت إليه رئاسة المذهب والفتوى بمصر. ولي القضاء وحمدت سيرته إلى آخر حياته [الزركلي، الأعلام، ج4، ص140؛ مخلوف، شجرة النور الزكية، ص240].

كان موصوفا بقلة الكلام في المجالس، وبزيادة تقشفه وتواضعه وطرحه للتكلف، وبتحرّيه في القضاء [السخاوي، الضوء اللامع، المجلّد 3، ص 71].

قال عنه المقريزي: كان فقيها بارعا عرف بالصيانة والدين والصرامة. وقال عنه البرماوي: هو من أهل العلم له معرفة جيدة بالفقه والنحو [السخاوي، الضوء اللامع، مج3، ص 71].

توفي وهو على القضاء في شهر رمضان المبارك، وقيل في شهر جمادى الأولى سنة 823 للهجرة الشريفة. وقد قارب الثمانين.

كان من شيوخه البارزين الشيخ المالكي الشهير خليل [لزركلي، الأعلام، ج4، ص 140؛ مخلوف، شجرة النور الزكية، ص 240] كما أخذ العلم عن غيره من العلماء [السخاوي، الضوء اللامع، مج 3، ص 71]. ومن تلامذته: البساطي، جمال الدين أبو الحسن يوسف بن خالد، وعبادة، وعبد الرحمن البكري، وغيرهم [مخلوف، شجرة النور الزكية، ص 240]

آثاره

1 - شرح المختصر خليل، يقع في ثلاثة مجلدات؛ 2 - المقالة في شرح الرسالة لابن أبي زيد القيرواني، المجلد الثاني منه مخطوط، وتعد هذه الرسالة أوضح عرض لفقه المالكية؛ 3 - كتاب في التفسير، وهو في ثلاثة مجلدات، [الزركلي، الأعلام، ج4، ص140].

المصادر والمراجع

● السخاوي، عبد الرحمن، الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان؛ ● مخلوف، محمد بن محمد، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الفكر؛ ● الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، طبعة عاشرة سنة سبتمبر 1992، 4/ 240.

د. نور الدين مختار الخادمي
جامعة الزيتونة - تونس

الإقليدسي، أبو الحسن أحمد بن إبراهيم

(حوالي 310هـ / 920 م - 370 هـ/ 980م)

أبو الحسن أحمد بن إبراهيم الملقب بالإقليدسي، رياضي، ولد على الأرجح بدمشق. وقد ذكر السمعاني أن الإقليدسي لقب كان يطلق على جماعة كانت ترتزق بنسخ وبيع كتاب إقليدس [الأنساب، ص 333]، ومن الجائز أن أبا الحسن أحمد بن إبراهيم ألصق به هذا اللقب لانتسابه إلى هذه الجماعة، ويكاد محقق كتابه «الفصول في الحساب الهندي» المؤرخ أحمد سليم سعيدان يكون هو الوحيد الذي يرجح أن الاقليدسي كان من مدرسي كتاب إقليدس. لا يعرف المؤرخون أكثر من ذلك عن حياة هذا العالم؛ وينبغي ألاّ يختلط علينا اسم أبي إسحاق إبراهيم بن صالح بن الأقليدسي الذي تتحدث عنه كتب التراجم مع الإقليدسي الذي نتحدث عنه هنا، فتاريخ وفاة أبي إسحاق يبيّن أن الأمر يتعلّق بشخصين مختلفين [م.س، ص27].

ولئن كانت حياة الاقليدسي مجهولة فقد وصلنا كتابه «الفصول في الحساب الهندي»، وبفضل هذا الكتاب اتّضح للمؤرخين أن الحساب الهندي العربي مصدره مدرسة هندية غير معروفة تحمل آثارا فارسية، ولا غرابة في ذلك إذا ما علمنا أن بعض مناطق الشمال الغربي للهند خضعت للحكم الفارسي خلال فترة غير وجيزة. كما كشف كتاب الإقليدسي أن الحساب الهندي يجري على الرمل ويعتمد على المحو، وهو ما لم يكن معروفا لدى المؤرخين. وقد اهتمّ الإقليدسي في كتابه بالعمليات الحسابية ويعتبر أوّل مبتكر في العالم الإسلامي للكسور العشرية.

يقول سعيدان في تصدير تحقيقه لهذا الكتاب: «إذا قلت إن الكتاب الذي أقدمه اليوم إلى المكتبة العربية أهمّ كتاب عربي في الحساب لأنه يقيم الدليل على أن الإقليدسي الدمشقي وضع سنة 953م الكسور العشرية - إذا قلت ذلك فلا أظنني واجدا من يستنكر» [م.س، 3]. ثم يوضح سعيدان أن هذا الكتاب يستحقّ النشر لأكثر من سبب.. فهو مثلا «أقدم كتاب وصل إلينا عن الحساب الهندي، وهو يعلّمنا ما لم نكن نعلم عن هذا الحساب، كيف كان عندما وصل إلى العرب، ثم هو ينطوي على أفكار وطرق لا نجدها في كتاب غيره» [م.س]. غير أنّ المؤرخين رشدي راشد وأندريه آلار لا يتفقان مع هذا الرأي - على الرغم من تقديرهما لمكانة الأقليدسي- حيث يفضلان «نسب اختراع الكسور العشرية لمدرسة الكرجي، وبصورة خاصة للسموأل» [آلار أندريه، تأثير الرياضيات العربية في الغرب في القرون الوسطى، موسوعة تاريخ العلوم العربية، إشراف رشدي راشد، ج2، مركز دراسات الوحدة العربية مؤسسة عبد الحميد شومان، 1997، ص 698].

ولا بد من الإشارة في هذا السياق إلى أن مختلف المراجع تذكر أن محمد بن موسى

الخوارزمي (القرن 9م) هو أوّل من كتب عن الحساب الهندي، حيث ألّف كتاب «الحساب الهندي» الذي يعتبر أوّل عمل أدخل الأرقام الهندية إلى العالم الإسلامي. لكن نسخته العربية لم تصل فيما يبدو إلى المؤرخين بل وصلت ترجمة لاتينية نشرها مصوّرة فوجل Vogel عام 1963 في 16 صفحة.

أما المؤلف الثاني للخوارزمي في هذا المجال فعنوانه «الجمع والتفريق» الذي تداولته المراجع العربية. ويشير بعض المؤرخين أن العرب والمسلمين استفادوا من علم الفلك الهندي بدليل أنّهم ذكروا في كتاباتهم علماء فلكيين هنودا واستخدموا ألفاظًا سنسكريتية. أما في حقل الرياضيات فلم نجد إشارة من هذا القبيل على الرغم من أن العرب أخذوا عنهم الحساب الهندي. والواقع أن المؤرخين لم يكونوا على دراية قبل الاطلاع على مؤلف الإقليدسي بأن الحساب الهندي يجري على الرمل ويعتمد على المحو.

والملاحظ أن هناك فرقًا بين الحساب الهندي كما عرفه العرب والحساب الهندي كما جاء في المؤلفات السنسكريتية. يقول سعيدان بتحفّظ: «.. إن الحساب الهندي نشأ في الهند بين عامة الناس واستعملوه في حياتهم التجارية.. ومع التجارة انتشر هذا الحساب مع أرقامه في الشرق الأدنى وحوض المتوسّط، واستعمله العامّة، واستعملوا معه التخت والرمل، ولكن العلماء لم يعيروه التفاتا أول الأمر» [الإقليدسي، م.س، ص 26]. ويضيف أن الأذهان تنبهت إلى قيمة هذا الحساب على يدي الخوارزمي.

لقد استفاد مؤرخو العلوم كثيرًا من هذا الكتاب إذ قدم لهم ثروة من المعلومات لا نجدها في المؤلفات العربيّة الأخرى بخصوص حساب التخت في العالم العربي، بل وفي الهند أيضًا.

يبرّر الإقليدسي وضعه لهذا الكتاب أنه عمل فيه ما لم يعمله من «تقدم» من العلماء بحساب الهند ويقول: «إني لمّا نظرت في كتب من تقدّم من العلماء بحساب الهند، من الحسّاب، ولقيت الحذّاق منهم، المذكورين في عصرنا، ممن عمل فيه كتابًا ونسب إليه حسن المعرفة به، وكان كلّ واحد منهم قد أجهد نفسه واستفرغ وُسْعه في أن يذكر فيما عمله، جميع ما عنده فيه، لم أر واحدا منهم عمل ما عملته منه، إذ كان كل واحد منهم، قد أتى ببعض ما ذكره من كان قبله، وزاد عليه ما سنح له فكره وما قدّمته له قريحته وما زاد في ذلك على من كان قبله» [م.س، ص47]. ويسترسل الإقليدسي واصفا مكانة وأهمّية عمله فيقول: «بقراءتي كتبهم ووقوفي على ما عمله كل واحد منهم، إذ كنت لم أدَعْ كتابا مما وقع إليّ من كتبهم إلاّ قرأته وعلمته ووقفت عليه فاستخرجت من ذلك ما لعله لو قرأه من مضى من العلماء بهذا الشأن لاستحسنه، وعلم أنّه أفضل منهم عملاً، وأبين وأشرح وأكثر اقتناء». ويؤكد الإقليدسي بعد ذلك أنّه اطلع عليه بعض من عاصروه وذكروا له ذلك.

يتألف كتاب الإقليدسي من أربعة فصول يتكوّن كل منها من عدّة أبواب أعجب المؤرخون بمنهج تقديمها، وقد استعرض في الفصل الأول مواضيع حسابيه مختلفة مثل التضعيف، والتنصيف، والضرب، والقسمة،

وضرب الكسور واستخراج الكسور.. وفي الفصل الثاني تعمّق في بعض المواضيع سيما طرق الضرب التي يستخدمها المهرة في حساب اليد وحساب الغبار.. أما في الفصل الثالث فأتى المؤلف بالعلل والحجج التي يسأل عنها الذين يمارسون هذا النوع من الحساب فتعرّض إلى مواضيع مختلفة ذات الصلة بالتضعيف والتنصيف والزيادة والنقصان والضرب والقسمة..

وخصص الكاتب الفصل الرابع لما يعمل «بالهندي بغير تخت ولا محو بل بدواة وقرطاس». ويبرّر المؤلف ذلك بأن كثيرًا من الناس يكره إظهار التخت بين يديه عند حاجته إلى استعمال هذه الطريقة الحسابية لما في ذلك من سوء تأويل من يحضره أو يراه بين يديه. وقد عنون الباب الثامن والعشرين من هذا الفصل بـ«فيما يحسب به الأعمى والبصير». تطرّق الإقليدسي هنا إلى الحالة التي يضطرّ فيها الإنسان إلى القيام بحساب ويتعذّر فيه الحصول على تخت وغيره من الأدوات. وقدّم الكيفيّة التي ينبغي اتّباعها إن كان في حوزتنا مثلا مكعب ذو ستة وجوه، وشرح بإسهاب ما يجب كتابته من أرقام وأحرف على سطوح المكعّب حتّى نجري به الحسابات التي نريدها.

ويعرض المؤلف آلة أخرى «يحسب بها الضرير الذي لا يبصر شيئا. وقد يسدّ البصير عينيه فيحسب بهذه الآلة: وذلك بأن نتخذ قطعة خشب متساوية الطول والعرض فنحفر فيها مائة بيت، عشرة في عشرة، ويكون كل بيت منها مربعاً، ونتخذ بنادق من شمع بقدر الحمص ونجعل أحد زوايا المربّع مما يلي يمينه للواحد، والزاوية الأخرى مما يلي يساره للثلاثة والزاوية المقابلة له مما يلي يساره للخمسة، والزاوية الباقية مما يلي اليمين للسبعة..» [م.س، ص 392]، ويواصل المؤلف وصف آلته على ذلك المنوال.

ومما يلفت الانتباه في هذا الكتاب ورود إشارة ترمز إلى الفاصلة العشرية. وبذلك يعتبر كتاب الفصول في الحساب الهندي أقدم مرجع، عرفه المؤرخون، ظهرت فيه هذه الإشارة للفاصلة العشرية. والملاحظ في هذا السياق أن الاعتقاد الذي كان سائدا لدى المؤرخين قبل اكتشاف عمل الأقليدسي هو أن أولى البحوث في الأعداد العشرية ترجع إلى غياث الدين جمشيد بن مسعود بن محمود الكاشي (القرن 9هـ/ 15م).

وعلى كل حال فقد أصبح الآن معروفا أن الإقليدسي هو الذي أرسى قواعد الكسور العشرية، ثم تطوّرت هذه القواعد ببطء حتّى استقرّت على يد غياث الدين الكاشي في كتابه «مفتاح الحساب» وسمّاها الأعشارية. وكان الأوروبيون ينسبون إلى سيمون ستيفن Simon Stevin (1548-1620) ابتكار الأعداد العشرية، إذ عرضها في كتاب ألفه سنة 1585م. والملاحظ أن طريقة ستيفن «إنما تتطابق في كتابتها وعرضها مع طريقة الكاشي المشرقي» [أحمد سليم سعيدان، الرياضيات بين المشرق والمغرب الإسلاميين، ص 10].

وقد عني الإقليدسي بالميزان بعد إجراء العمليّات الحسابية والمقصود هنا بالميزان تحقيق صحّة الجواب وذلك بطرح التسعات المعروفة، وهو يعلّل ذلك بقوله: إننا إذ نكتب العشرة كواحد في المنزلة الثانية فكأنّا أسقطنا

منها تسعة.. وكثيرًا ما عوّل على تحقيق العمليّة بعمليّة معاكسة، فحقق صحة الجمع بالطرح وصحّة القسمة بالضرب، وهكذا..

ويذكر الإقليدسي أنّه لم يجد كتابًا استوفى استخراج الجذر التكعيبي ولا حاسبًا عرف عنه ما يرضيه، لذلك يسهب عالمنا في شرح التكعيب والجذر التكعيبي شعورًا منه بأنه أول من يوفي هذا الموضوع حقه. وهو يقدم تقريبًا مبتكرًا مقبولاً لجذر العدد الأصم كما يلي:

لنفرض ع عدداً أصم

$$\text{ع} = \text{ن}^2 + \text{م}$$

حيث: ن^2: أقرب المجذورات إلى ع

$$\text{م} = \text{ع} - \text{ن}^2$$

فيكون: $\sqrt{\text{ع}} = \sqrt{\text{ن}^2 + \text{م}}$

$$\text{ع} \# \text{ن} + \frac{\text{م}}{2\text{ن}}$$

وهي قاعدة استعمنها البابليون وهي تعطينا قيمة تزيد عن القيمة الحقيقية

$$\sqrt{\text{ع}} \# \text{ن} + \frac{\text{م}}{2\text{ن} + 1}$$

وهي قاعدة استعملها محمد بن موسى الخوارزمي (ت نحو 232هـ/ 847م) وكذلك بهاء الدين العاملي (ت 1031هـ/ 1622م) وهي تعطينا قيمة تنقص عن القيمة الحقيقية. وجاء عالمنا الاقليدسي فاستخدم القاعدة التالية:

$$\sqrt{\text{ع}} \# \text{ن} + \frac{1}{2}\left[\frac{\text{م}}{2\text{ن}} + \frac{\text{م}}{2\text{ن} + 1}\right]$$

وهي قاعدة تعطينا قيمة أصح من القيمتين السابقتين وأقرب إلى الحقيقة باستخدام الوسط الحسابي للتقريبين.

مثال:

$\sqrt{11}$ حيث 11 عدد أصم

$$\sqrt{11} \# 3 + \frac{2}{3 \times 2} \# 3.33$$

وهي قيمة أكبر من القيمة الحقيقية

$$\sqrt{11} \# 3 + \frac{2}{6 + 1} \# 3.28$$

وهي قيمة تنقص عن القيمة الحقيقية

$$\sqrt{11} \# 3 + \frac{1}{2}\left[\frac{2}{6} + \frac{2}{7}\right] \# 3.31$$

وهي قيمة أقرب إلى القيمة الحقيقية

$\sqrt{11} \# 3.3166247$ القيمة الحقيقية

وأخيرا لابد من الإشارة إلى أن اللّغة العربية التي كان الإقليدسي يستعملها في كتابه، قد أثبتت قدرتها على التعبير العلمي الرياضي الدقيق منذ أكثر من ألف عام ومازالت المصطلحات الواردة في كتاب الإقليدسي قيد الاستعمال حتى يومنا هذا.

إشارة

1 - الفصول في الحساب الهندي، حققه أحمد سليم سعيدان ونقله إلى الإنكليزية؛

2 - في الحساب الحجري، ذكر سعيدان أنه علم بوجود مخطوطة من هذا الكتاب في إحدى مكتبات تركيا.

المصادر والمراجع

● الإقليدسي، أحمد بن إبراهيم، الفصول في الحساب الهندي، تح. أحمد سليم سعيدان، معهد التراث العلمي العربي، حلب، ط1، 1973، ط2، 1984؛ ● سعيدان، أحمد سليم، الرياضيات بين المشرق والمغرب الإسلاميين، وقائع الملتقى المغاربي الثاني حول تاريخ الرياضيات العربيّة، 1-3 ديسمبر 1988، تونس، نشر جامعة تونس 1 والمعهد العالي للتربية والتكوين المستمر والجمعية التونسية للعلوم الرياضية؛ ● سعيدان أحمد سليم، تاريخ علم الجبر في العالم العربي، ج1، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1986؛ ● راشد، رشدي، موسوعة تاريخ العلوم العربية، ج2، مركز دراسات الوحدة العربية مؤسسة عبد الحميد شومان، 1977؛

● Biography in Dictionary of Scientific Biography, New York, 1970 1990; ● D.Lamrabet: Introduction à l'histoire des mathématiques maghrébines, Imp. Al-Maarif Al-Jadida, Rabat, 1994; ● J.J. O'Connor. and E.F. Robertson: Abu'l Hasan Ahmad ibn Ibrahim Al-Uqlidisi In http://www-history.mcs.st-andrews. ac.uk/history References/Al- Uqlidisi.html; ● A.S Saidan: The arithmetic of al-Uqlidisi. The story of Hindu-Arabic arithmetic as told in «Kitab al-fusul Fidal-hisab al-Hindi» Damascus, A.D3/952, Dordrecht-Bosten, Mass, 1978; ● A.S. Saidan. The earliest extant Arabic arithmetic, Isis, No 57, 1966, pp. 475-490; ● J. Sesiano: Al-Uqlidisi, In Encyclopedia of the history of science, technology and medecine in non-western cultures, ed.Selin H., Kluwer Academic Publishers, 1993, pp. 477-478; ● K Vogel: Mohammed Ibn Musa Alchwarizmi's algorismus: Das Früheste Lehrbuch zum rechnen mit indischen ziern, Aalen: Otto Zeller Verlagsbuchhandlung, 1963.

د. زهير الكتبي
دمشق - سوريا
د. أبو بكر خالد سعد الله
المدرسة العليا ـ الجزائر

الأقْليشي، أبو العباس التجيبي أحمد بن معدّ

(485 هـ / 1092م – 550 هـ / 1155 م)

أحمد بن معد بن عيسى بن وكيل أبو العباس التجيبي المعروف بالأقليشي، محدث، ونحوي، ولغوي، وشاعر متصوّف.

أصل أبيه من أقليش (بضم الهمزة) وهي بلدة من أعمال مدينة طنيطلة بالأندلس. وسكن دانية، وبها ولد أبو العباس في حدود سنة 485هـ/ 1092م واعتنى أبوه أبو بكر بتعليمه، فكان أوّل من سمع سنه العلم، ومن ثمّ تتلمذ بعده على أبي العباس أحمد بن طاهر بن عيسى الداني (ت 532هـ/ 1137م) فلازمه مدّة وحمل عنه الكثير من مروياته. وسمع الحديث من أبي علي حسين بن أحمد الغساني (ت 498هـ/ 1104م)، وأبي علي الحسين بن محمد. الصدفي (ت 514هـ/ 1120م)، وأبي محمد عبد الله بن عيسى ابن محمد القلني (ت 530هـ/ 1135م)، وأبي بكر محمد بن عبد الله بن العربي (ت 543هـ/ 1148) وعباد بن سرحان المعافري (ت 543هـ/ 1148م)، وأبي الوليد يوسف بن عبد العزيز بن الدباغ (ت 546هـ/ 1151م)، ومن صهره أبي الحسن طارق بن موسى بن يعيش الخزرجي (ت 549هـ/ 1154م)، وأبي الوليد محمد ابن خيرة القرطبي (ت 551هـ/ 1156م)، وكان أبو الوليد المذكور يحدث بالموطأ عن أبي بحر سفيان بن العاصي (ت 520هـ/ 1126م). وقرأ بالقراءات على أبي عبد الله محمد بن الحسن المعروف بابن غلام الفرس (ت 547هـ/ 1152م).

وسافر إلى بلنسيه، فدرس علوم العربيّة وآدابها علي أبي محمد عبد الله بن محمد السيد البطليوسي (ت 521هـ/ 1127م)، ولقي بالمرية أبا القاسم أحمد بن محمد المعروف بابن ورد (ت 540هـ/ 1145م) فدرس عليه الفقه والأصول والتفسير، وأبا محمد عبد الحق بن غالب بن عطيه الغرناطي (ت 542هـ/ 1147م) فسمع منه التفسير، وأبا العباس أحمد بن محمد العريف (ت 536هـ/ 1141م) وعنه أخذ طريق التصوف، وآداب المريدين، وللأقليشي رواية عن أبي بكر محمد بن الوليد الطرطوشي (ت 520هـ/ 1126م)، وأبي الحسن طاهر بن عبد الرحمن ابن سبيطة الداني (ت 540هـ/ 1145م) وللمذكور كتاب في البروج والمنازل قرأه عليه طلبة العلم.

عاش أبو العباس الأقليشي عصر الدولة المرابطيّة في الأندلس (483هـ/ 1090م – 542هـ/ 1147م)، وكان شاهد عيان لكثير من الأحداث الداخليّة والخارجية، وقد امتاز عصر المرابطين بالروح الجهاديّة العالية ضدّ الممالك الإسبانيّة الشماليّة، قشتالة، وأركون، ومملكة البرتغال، فمنذ واقعة أقليش سنة 501هـ/ 1107م حتّى موقعة إفراغة سنة

528هـ/ 1133م، سجل المرابطون صفحات مشرفة من الجهاد في سبيل الله دفاعا عن الدين والوطن، منحت الأندلس ميزة التفوق على الأعداء لسنوات طويلة.

وأمّا الحركة العلميّة والأدبيّة، فقد ظلت تحتفظ بكثير من الخصائص والأساليب التي كانت عليها أيّام حكام الطوائف، وإن النصف الأوّل من القرن السادس الهجري، وهو الذي يستغرق عصر المرابطين يحفل بجمهرة كبيرة من رجال العلم والأدب، احتفى بهم سلاطين الدولة المرابطيّة، وبذلوا لهم رعاية خاصة وقدّموا أماثلهم لمناصب الوزارة والكتابة والخدمة في بلاط دولتهم في المغرب والأندلس. وأبو العباس الأقليشي واحد من تلك الجمهرة الذين برزوا في ميدان العلم، وأخذ مكانه بينهم، فكان كما يقول السلفي [أخبار وتراجم أندلسيّة ص 24 و25]: «من أهل المعرفة باللغات والأنحاء والعلوم الشرعيّة، محمود الطريقة، فصيحا، ومن أهل الأدب والورع والمعرفة بعلوم شتّى... وله شعر جيد ومؤلّفات حسنة»، وقال ابن الآبار: [التكملة، 1/ 61]: «كان عالما عاملا، متصوفا، شاعرا مجودا، مع التقدم في الصلاح والزهد والعزوف عن الدنيا وأهلها، والإقبال على العلم والعبادة». وقد وصف غير واحد إمامته، وورعه، وزهده.

جلس للتدريس بدانية وغيرها من مدن الأندلس، وكانت تقرأ عليه كتب الحديث والتصوف وغيرها. وغالبا ما كان يعقد مجالسه العلميّة في بيته، وكان الطلبة يدخلون عليه والكتب عن يمينه وشماله، وكثيرا ما كان يضع يده على وجهه إذا قرأ القارئ حديث رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم، أو كتب الزهد والرقائق، فيبكي حتّى يعجب الناس من بكائه [ابن الآبار، 1/ 61].

رحل إلى المشرق على كبر في سنة 542هـ/ 1147م مرافقا لصهره أبي الحسن طارق بن يعيش، فأدّى الفريضة وجاور بمكة سنين، ورحل سنة 546هـ/ 1151م إلى مصر، فدخل الإسكندريّة، ولقي بها أبا الطاهر أحمد بن محمد السلفي (ت 576هـ/ 1180م) وقرأ عليه كثيرا، وكتب عنه فوائد [أخبار وتراجم أندلسيّة ص 25]، وعاد إلى مكّة سنة 547هـ/ 1152م فسمع بها من أبي الفتح عبد الملك بن عبد اللّه الكروخي (ت 548هـ/ 1152م) جامع الترمذي برباط أم الخليفة العباسي.

ولأبي العباس شعر كثير جيد روي عنه، ومن ذلك قوله [ابن الآبار، 1/ 61 ـ 62]:

أسير الخطايا عند بابك واقفٌ
له عن طريق الحق قلب مخالفُ
قديما عصى عمدا وجهلا وغرّة
ولم ينهه قلب من اللّه خائفُ
تزيد سنوه وهو يزداد ضلّة
فها هو في ليل الضلالة عاكفُ
تطلع صبح الشيب، والقلب مظلم،
فما طاف منه من سنى الحق طائفُ

وقال السلفي [أخبار وتراجم، 25] أنشدني أبو العباس لنفسه، وكتب بخطه:

كان حقّي ألا أنكّر غيري
إنّما ما كفيت شرّي وضيري

غـيـر أنّـي بـرحـمـة الـلّـه ربّـي
ارتـجـي ان يـفـيـدنـي كـلّ خـيـرِ

وقوله:

تـتـحـدّر الـعـبـرات مـن أحـداقـه
فـتـرى لـهـا فـي خـده آثـارا
ولـربّـمـا امـتـزجـت دمـا مـن قـلـبـه
حـتّـى كـأن الـدمـع يـطـلـب ثـارا

حدث أبو العباس الأقليشي في الأندلس والمشرق وسمع منه وروى عنه الكثير من أهل العلم، غير أنّ كتب التراجم لم تذكر منهم سوى: يوسف بن عبد اللّه بن عياد (ت 575هـ/ 1179م)، وبيبش بن محمد العبدري الشاطبي (ت 582هـ/ 1186م)، وعلي بن أحمد بن كوثر (ت 589هـ/ 1193م)، وعتيق بن علي بن عبد اللّه التجيبي. وكلهم من أهل الأندلس. وقال ابن فرحون: «كتب عنه السلفي» [الديباج، 1/ 246].

واختلفت كتب التراجم في تاريخ وفاته، وفي محلها، فقيل بمكة وقيل بقوص وذلك في سنوات 549هـ و 550هـ والراجح أنه توفي في طريق صدوره عن المشرق بمدينة قوص من صعيد مصر سنة 550هـ، وقد نيف على الستين، ودفن عند الجميزة التي في المقبرة التالية لسوق العرب.

آثاره

1 ـ لأبي العباس مؤلفات كثيرة نعرف منها:

1 - كتاب «الأنباء في شرح الصفات والأسماء» وهو كتاب في شرح الأسماء الحسنى. ذكره السيوطي في [البغية، 1/ 392] وسماه شرح الأسماء الحسنى، وحاجي خليفة في [كشف الظنون، 1/ 186و 2/ 1032] والبغدادي في [هدية العارفين، 1/ 85] وسماه: «كتاب الأنباء في حقائق الصفات والأسماء» وبهذه التسمية ذكره [بروكلمن، 6/ 276-الترجمة العربيّة] والكتاب مخطوط ومنه نسخة في دار الكتب المصريّة، القاهرة (ثان، 1/ 258 و 344) وفي مكتبة ولي الدين: (64)؛ 2 - كتاب «أنوار الآثار في فضل الصلاة على النبي المختار»، رتبه على أربعين حديثا شريفا. ذكره حاجي خليفة في [كشف الظنون، 1/ 186]، والبغدادي في هدية العارفين، وكحالة في [معجم المؤلفين 2/ 181]، منه نسخة مخطوطة في مكتبة شهيد علي في تركيا برقم (2/ 509)، ترقى إلى القرن العاشر الهجري، ونسخة أخرى في مكتبة لاله لي بإسطنبول، كتبت سنة 825هـ، برقم (2/ 497)، واسم الكتاب في النسختين: «أنوار الآثار المختصّة بفضل الصلاة على النبي المختار» ومنه نسخة ثالثة محفوظة في المتحف البريطاني (ثان، 1: 157)؛ 3 كتاب «الدر المنظوم فيما يزيل الغموم والهموم»، مختار من كلام الرسول ﷺ وأتبعه كلام الصحابة (رض) ورتبه على عشرة فصول. ذكره البغدادي في هدية العارفين، وبروكلمن، وكحالة في معجم المؤلفين، منه نسخ مخطوطة في دار الكتب المصريّة، القاهرة (أول 7/ 467، وثان: 1/ 294)؛ 4 كتاب «الحقائق الواضحات في شرح الباقيات الصالحات» قال في مقدمته: «سميته الحقائق الواضحات في شرح الباقيات الصالحات» التي ذكرها اللّه تعالى

مجملة ومفصلة، ووصف نبيه ﷺ جملا من فضلا». ذكره الزركلي [الأعلام 16/ 259]، والسيوطي [بغية الوعاء 1/ 392] بعنوان «شرح الباقيات الصالحات». وحاجي خليفة في [كشف الظنون، 1/ 218] والبغدادي في هدية العارفين، بعنوان «الباقيات الصالحات في بروز الأمهات». منه نسخة مخطوطة في مجلد لطيف مكتوبة بخط مغربي في خزانة الرباط (316 أوقاف)؛ 5 - كتاب «سر العلوم والمعاني المستودعة في السبع المثاني»، ذكره حاجي خليفة في [كشف الظنون، 2/ 988] ووصفه بقوله: «وهو كتاب جليل القدر جدًا» والبغدادي في هدية العارفين. منه نسخة مخطوطة في الخزانة الأزهريّة بالقاهرة (1/ 238)؛ 6 - كتاب «الغرر من كلام سيد البشر» في الحديث، ذكره ابن الأبار [التكملة، 1/ 61] وابن فرحون [الديباج، 1/ 247]، والفاسي، [العقد الثمين، 1/ 243]، والمقري [نفح الطيب، 2/ 599] والبغدادي [إيضاح المكنون، 2/ 316] وهدية العارفين، والزركلي [الأعلام، 1/ 243] ومخلوف [شجرة النور، 1/ 143] منه نسخة مخطوطة في الخزانة الأزهريّة بالقاهرة (1/ 238)؛ 7 - كتاب «النجم من كلام سيد العرب والعجم» ضمنه من الأحاديث والحكم والآداب مما ليس في كتاب «الشهاب في المواعظ والآداب من حديث رسول الله ﷺ » للقضاعي محمد بن سلامة (ت 454هـ/ 1062م). ذكره ابن الآبار، والفاسي، والمقري، وحاجي خليفة [كشف الظنون، 2/ 1930]، والبغدادي في هدية العارفين، وبروكلمن، والزركلي وكحالة، ومخلوف، وذكره ابن فرحون [1/ 247] وسماه: «النجم» دون بقية الاسم، والسيوطي [1/ 392] وسماه: «المنجم».

ومن الكتاب نسخ مخطوطة في: مكتبة جور ليلي علي باشا بإسطنبول برقم: (443) كتبت سنة 888هـ، وفي دار الكتب المصريّة، القاهرة: (أول: 1/ 442 و7/ 270، وثان: 1/ 157) وفي رامبور (1/ 104) وطبع بالقاهرة، وصدر عن مطبعة الأعلام سنة 1302هـ/ 1884م. ولأبي سعيد محمد بن مسعود الكازروني (ت 758هـ/ 1356م) شرح على الكتاب المذكور؛ 8 - كتاب «الكوكب الدري المستخرج من كلام النبي العربي ﷺ» أوّله: الحمد لله الذي له الحمد في الأولى والآخرة، وذكر فيه أنّه لما وضع كتاب النجم من كلام سيد العرب والعجم، وضمنه من الأحاديث والآداب مما ليس في كتاب «الشهاب» للقضاعي، رأى الإرداف بكتاب يضاهيه في أغراضه، فأخرجه من عشرة كتب مشهورة من كتب الأحاديث وختمه بكلمات مبرورة، ورتبه على حروف المعجم، ذكره حاجي خليفة في [كشف الظنون، 2/ 1523]، والبغدادي في هدية العارفين، وبروكلمن، وسماه ابن الآبار، وابن فرحون، والفاسي بكتاب «الكوكب»، وفي أعلام الزركلي «الكوكب الدري». توجد نسخة منه في مكتبة شهيد علي بتركيا رقم (1188/ 2) كتبت سنة 719هـ. ومنه نسخ مخطوطة أخرى في: القاهرة (أول: 1/ 392 وثان: 1/ 141) ومكتبة البلديّة بالإسكندريّة (143: 1 فنون) وبرلين (1298) وليدن (373)، والمتحف البريطاني (ثان: 142)، ومكتبة لاله لي

بإسطنبول (779) وآصفيه بحيدر آباد (1/ 662: 392) ورامبور (أول، 106: 310)؛ 9 - كتاب «محاسن المجالس» عن قواعد التصوف، ذكره بروكلمن [6/ 277- الترجمة العربيّة]، ولعلها معشراته في الزهد. قال ابن الأبار [1/ 61]: «وحملت عنه معشراته في الزهد وكتبها الناس وأخبرنا بها أبو الربيع بن سالم، عن أبي المطرف بن جزي وأبي الحسن بن فزارة، ونا غيره، عن أبي أحمد بن سفيان ثلاثتهم عنه». وعنه نقل الفاسي والمقري ومخلوف. ومن الكتاب نسخة مخطوطة في لمكتبة الأهليّة، باريس: أول (6614: 51).

2 ـ ومن مؤلّفاته المفقودة:

10 - كتاب «البحر المزيد في الموضوعات»، تفرد بذكره البغدادي في هدية [العارفين 1/ 85]؛ 11 - كتاب «شفاء الظمآن في فضل القرآن». ذكره حاجي خليفة في [كشف الظنون، 2/ 1050]، والبغدادي في هدية العارفين؛ 12 - كتاب «ضياء الأولياء» في عدّة أسفار، ذكره ابن الأبار، وابن فرحون، والفاسي، والمقري، والزركلي، وكحالة وفيه (ملي الأولياء).

المصادر والمراجع

● السلفي، أخبار وتراجم أندلسية، تح. إحسان عباس، بيروت 1963م (ص 24 ـ 25)؛ ● القفطي، أنباه الرواة على أنباه النحاة، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، 1950 (1/ 136-137)؛ ● ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، طبعة العطار، القاهرة، 1956، (1/ 60-62)؛ ● الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، (1/ 237-مادّة أقليش)؛ ● الصفدي، الوافي بالوفيات، باعتناء محمد يوسف نجم، بيروت، 1971م (8/ 183 ـ 184)؛ ● الذهبي، العبر في خبر من غبر، تح. صلاح الدين المنجد، الكويت، 1962 (4/ 139)؛ ● ابن فرحون، الديباج المذهب، تح. محمد الأحمدي أبو النور، القاهرة 1972 (1/ 246 ـ 247)؛ ● اليافعي، مرآة الجنان، ببيروت 1970 (3/ 296)؛ ● الفاسي، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تح. فؤاد سيد، القاهرة، 1964 (3/ 182-185)؛ ● ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، طبعة دار الكتب المصريّة، القاهرة، (5/ 321)؛ ● السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح. محمد أبو الفضل ابراهيم، القاهرة، 1964 (1/ 391)؛ ● ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، بيروت، 1979 (4/ 154 ـ 155)؛ ● المقري، نفح الطيب، تح. إحسان عباس، بيروت، 1968 (2/ 514 و598 - 200)؛ ● حاجي خليفة، كشف الظنون، منشورات مكتبة المثنى، بغداد (1/ 171 و186 و218 و2/ 988 و1032 و1050 و1523 و1930)؛ ● البغدادي، هدية العارفين، إسطنبول 1955م (1/ 85)؛ ● م.ن، إيضاح المكنون، منشورات مكتبة المثنى، بغداد (2/ 316)؛ ● بروكلمن، تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبد الحليم النجار، القاهرة، 1977، (6/ 276 ـ

277)؛ ● الزركلي، الأعلام، ط. 14، بيروت 1999، دار العلم للملايين، 1/ 259؛ ● كحالة، معجم المؤلفين، دمشق، 1957، (1/ 181)؛ ● مخلوف، شجرة النور الزكيّة، منشورات دار الكتاب العربي، بيروت (1/ 142 ـ 143)؛ ● عبد الجبار عبد الرحمن، ذخائر التراث العربي الإسلامي، مطبعة جامعة البصرة، 1981، (1/ 409).

د. ناطق صالح مطلوب
جامعة الموصل

أقيت، أحمد بابا بن الحاج أحمد

(963 هـ / 1556 م - 1036 هـ / 1627 م)

يعتبر أحمد بابا بن الحاج أحمد بن الحاج أحمد بن عمر بن محمّد أقيت، [أحمد مهدي رزق الله، حركة التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي في غربي إفريقيا...، ص 343]، شخصية علمية محورية في تاريخ التفاعل الحضاري بين العالم العربي وعالم السودان الغربي من ضمن تاريخ الحضارة العربية الإسلاميّة على العموم وخلال القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين على وجه التخصيص.

وهو شيخ فقيه، ومؤرخ، ولغويّ، وعلامة. ولد يوم 26 من شهر أكتوبر سنة 1556 م بمنطقة «أروان» الواقعة شمالي مدينة تمبوكتو [كي - زربو، تاريخ إفريقيا السوداء، ص 150] الواقعة هي الأخرى في أقصى شمال جمهورية مالي الحديثة، وهو ابن عائلة صنهاجيّة بربرية اشتهرت بالعلم [محمد الغربي، بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، ص 539]. فقد كان جدّه أحمد (1456-1536) من أكبر العلماء في زمانه، وهو الذي خلّف مكتبة ضخمة ضمت حوالي سبعمائة مصنف. كما كان والده عالما فقيها كوّن مكتبة من الكتب النفيسة النادرة [عبد الجليل التميمي، مساهمة أحمد بابا التمبكتي في الحضارة العربية الإسلامية، ص 230].

وإذن فقد ساهمت بيئته العائلية والاجتماعية في فتح قنوات المعرفة الإسلامية لتكوينه، فأخذ بتمبكتو العلوم الإسلامية عن أهله الأقيتيين [أحمد مهدي، م. س، ص 344]. ثم اتصل بشيخه محمد بغيوغو Baghyogho فلزمه حوالي عشر سنوات، قرأ عليه خلالها سلسلة من أمهات المصادر الفقهية واللغوية والنحوية والتفسيرية وغيرها [كي - زربو، م. س، ص 150]. وجاء عند التميمي أنه لازم غير هذا الشيخ من العلماء والفقهاء اللامعين في عصره، فعملوا على تكوينه وتوجيهه، كما وفروا له ما ملكوا من الكتب النفيسة [التميمي، م. س، ص 230].

وهكذا اجتهد أحمد بابا في طفولته وشبابه لتحصيل العلم وخدمته حتى شهد له شيوخه بالنبوغ والتفوّق فنال إجازة التدريس وشرع في ممارسة التأليف، فأنجز أعمالا استفاد منها شيخه بغيوغو نفسه في دروسه [أحمد مهدي، م. س، ص 343؛ ركي - زربو، م. س].

ولم تكن الظروف السياسية أقلّ دعما لتكوين أحمد بابا، فقد كانت نشأته في ظل مملكة سونغاي الإسلامية عموما وفي عهد السلاطين الأسكيين بتمبكتو على وجه الخصوص [التميمي، م. س، ص 229 - 230]، وهو عهد امتاز برعاية ملوكه للعلماء وتشجيعهم إياهم برواتب هامّة كانت تيسّر عليهم اقتناء الكتب من سوقها النافقة بتمبكتو، فكان أن عرفت المدينة شأوا كبيرا من الإشعاع العلمي، فأضحت قبلة الطلاب السودان والمغاربة، ومورد العلماء المسلمين مغاربة ومشارقة [م. س].

وبموجب هذه الظروف المساعدة، اعتنى أحمد بابا، على غرار والده وجدّه وفقهاء زمانه، بجمع الكتب حتى بلغت مكتبته 1600 كتاب. ورغم ذلك، فإنه كان يرى أنّ مكتبته ليست أثرى المكتبات الشخصية في تمبكتو [أحمد مهدي، م. س، ص 344؛ وكي زربو، م. س]. ولئن سلمنا أنّ في هذا التقدير ضربا من المبالغة، فما من شك في أن فيه دليلا على حرص العلماء عصرئذ على سعة الاطلاع والتعمق في الدراسة والاستعداد الفكري الناضج للاضطلاع بمهمة التدريس [م. س].

ولما قاد المغاربة حملتهم على مملكة سونغاي فغزوا مدينة تمبكتو كان عمر أحمد بابا قد نيّف على سنّ السادسة والثلاثين، فكان ممّن تصدّى للحملة، وممّن ابتُلي إثرها بمحنة الاعتقال فالأسر بمراكش التي حمل إليها سنة 1592 م. ثم أطلق سراحه عام 1596 م. لكنه ظلّ بها طيلة عشر سنوات يمارس النشاط العلمي قبل أن يعتزم العودة إلى مسقط رأسه سنة 1606 م [الغربي، م. س، ص 539].

وقد تردد الرّجل أثناء إقامته بمراكش على مكتباتها [التميمي، م. س، ص 231]. وعمل أستاذا مبرزا في جامع الشرفاء، فتتلمذ عليه طلبة مغاربة وعلماء وقضاة. ومنهم العالم الركراكي مفتي فاس، والقاضي أبو القاسم بن أبي نعيم الغساني، وأبو العباس أحمد بن القاضي صاحب جذوة الاقتباس [دياب، علماء بلاد السودان الغربي في القرنين 16 و17 وآثارهم العلمية، ص 153؛ والغربي، م. س، ص 540].وكانت دروسه متنوعة منها ما هو من النحو ومنها ما هو من مسائل السيرة والحديث والفقه وغيرها [دياب، م.س].

وبمراكش أيضا أتم أحمد بابا كتابه «نيل الابتهاج» الذي شرع في تأليفه بتمبكتو قبل الحملة [التميمي، م. س. ص 231]. كما اتصل في الغرب بالمقريّ صاحب نفح الطيب [دياب، م. س، ص 153].

وبعد عودته من المغرب، واصل نشاط التدريس في جوامع تمبكتو فشملت دروسه إلى جانب علوم اللغة والدين، مباحث المنطق والحساب، ولكن عنايته كانت خاصّة بالتأليف الغربي، [م. س، ص 540 - 541]. والذي عليه جلّ الدارسين أن مؤلفاته بلغت ما يزيد على الأربعين وهو دليل على طول باعه في

التأليف، وسعة ثقافته وعمق تفكيره [كي - زربو، م. س؛ وأحمد مهدي، م. س، ص 344 - 345؛ والتميمي، م. س، ص 230].

وإنّ الحملة المغربية وغيرها من الظروف التاريخية التي تعاقبت على المنطقة فانتهت إلى حركة الاستعمار الفرنسي، ربما كانت من أسباب إتلاف جلّ تلك المؤلفات. إذ لم يعثر إلا على اثني عشر كتابا.

وقد جاء عند الغربي أنّ أحمد بابا كان في كتبه الثلاثة الأولى الآتي ذكرها، وهي الخاصة بالتراجم، قد توخّى فنّ كتابة التراجم كما كان معروفا في عصره. فهو يذكر المترجم حسب الأحرف مع نسبه إلى نهاية معرفته به، ثم يذكر الأصل ومسقط الرأس وتاريخ الولادة، والدراسة الأولى، والأشياخ والمشارب العلمية، وما يتعلق بالمترجم أو ينسب إليه من أعمال ونوازل وقضايا فكرية [الغربي، م. س، ص 542]. فهذه الثلاثة عبارة عن معاجم أو موسوعات للأعلام [قاسم، الأصول التاريخية، م. س، ص 162]. وقد امتازت حسب الغربي بعمق النظرة وغزارة المادة وقدرة كبيرة على الترتيب مع تجنّب الإسفاف أو الاستطراد [الغربي، م. س، ص، 542].

وقديما اعترف المقّري بعلم أحمد بابا ونصّ أنه استفاد منه الكثير [التميمي، م. س، ص 236]. وكانت أعماله مرجعا هامّا لمعاصريْه كعتو صاحب الفتاش، والسعدي صاحب تاريخ السودان؛ كما كانت نبعا فيّاضا استقى منه جلّ الكتّاب الذين عالجوا جوانب من القضايا التاريخية لمنطقة السودان الغربي [أحمد مهدي، م. س، ص 343].

وبهذا يتأكد أن أحمد بابا التمبكتي من أشهر العلماء في هذه المنطقة من القارة خلال القرنين المذكورين، إن لم يكن أبرزهم جميعا، فهو مصدر هامّ لكلّ من يدرّس تاريخ المغرب وإفريقيا الغربية، وخصوصا أنه مثل همزة وصل حيّة بين العالمين العربي والسّوداني، كما مثل رمزا لتفاعل الثقافتين. وإضافة إلى ذلك كان له في الثقافة العربية الإسلامية إسهام كبير وتأثير جمع بين التأليف والإرشاد والتدريس.

وعلى قدر ما كان له على غيره ممّن عاصروه فضل الرسوخ في العلم كان أوفر منهم حظا ونصيبا من عناية الدارسين المحدثين. ولعلّ من أهمّها مقال التميمي المفرد له ولنشاطه العلمي. ويمكن الاستفادة من كتب الغربي ودباب وكي - زربو وكذلك كتاب أحمد مهدي رزق الله. فقد عقدت كلّها لهذا العَلَم ونشاطه الفكري مساحة هامّة ومادّة مفيدة. وإلى ذلك، يساعد المرجعان الأخيران على الإلمام والتدقيق في الإطار التاريخي العامّ لحياة أحمد بابا، وذلك لما فيهما من نظرة شاملة لمختلف الأطوار التي مرّت بها قارة إفريقيا في مسيرتها الحضارية، وخصوصا منهما كتاب كي- زربو.

آثاره

لأحمد بابا مصنفات تبلغ حوالي الأربعين ومن أهمها أربعة: 1 - نيل الابتهاج بتطريز الديباج، وهو هامش على كتاب "الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب" لبرهان الدين إبراهيم بن فرحون. وكان الغرض من وضعه ذكر علماء المذهب

المالكي من السودان الذين يتناولهم ابن فرحون، علاوة على تصحيح بعض الهفوات وإتمام النقائص القائمة في الديباج [الغربي، م.س، ص 540 - 541]؛ 2 - تكملة الديباج؛ 3 - كفاية المحتاج لمعرفة من ليس بالديباج، وهو الذي يسمى أيضا «ذيل الابتهاج بالذيل على الديباج»؛ 4 - الكشف والبيان لأصناف مجلوب السودان، وهو كتاب يتناول فيه مسألة الرق [دياب، م. س، ص 154].

المصادر والمراجع

● البغدادي، إسماعيل باشا، هدية العارفين، بيروت 1978، دار إحياء التراث العربي، 5/ 155؛ ● الكتاني، عبد الحي، فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات المسلسلات، 1346 هـ، 1/ 76؛ ● جورجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ط. 2، بيروت 1978، منشورات دار مكتبة الحياة، 2/ 337 ـ 338؛ ● مخلوف، محمد، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الفكر (د. ت.)، 298؛ ● رزق الله، أحمد مهدي، حركة التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي في غربي إفريقية قبل الاستعمار وآثارها الحضارية، الرياض 1998 م، مركزالملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية؛ ● الغربي، محمد، بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، إشراف نقولا زيادة، بغداد 1982م، وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر؛ ● التميمي، عبد الجليل، مساهمة أحمد بابا التمبكتي في الحضارة العربية الإسلامية من خلال كتابه «نيل الابتهاج بتطريز الديباج»، ضمن أعمال الندوة العالمية المنعقدة بتمبكتو حول الثقافة الإسلامية بإفريقيا جنوب الصحراء، غرب إفريقيا نموذجا، زغوان - تونس، أوت 1997م، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات؛ ● دياب، أحمد إبراهيم، علماء بلاد السودان الغربي في القرنين السادس عشر والسابع عشر وأثارهم العلمية، ضمن أعمال ندوة العلماء الأفارقة ومساهمتهم في الحضارة العربية الإسلامية المنعقدة بالخرطوم 28 - 30 يوليو - تموز 1938 م، الكويت (د.ت)، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر؛ ● قاسم جمال زكريا، الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية، القاهرة (د.ت)، مكتبة الجيلاوي، 162؛ ● الزركلي، خيرالدين، الأعلام، ط.14، بيروت 1986، دار العلم للملايين، 1/ 102-103.... إلخ.

● J. Ki-Zerbo, Histoire de l'Afrique noire, Hatier, Paris, 1978.

د. وليلاي كندو
جمهورية بوركينا فاسو

أقيت، أحمد بن عمر بن محمد

(859 هـ / 1455 م – 942 هـ/ 1535م)

أحمد بن عمر بن علي بن يحيى التكروري التنبكتي [التنبكتي أحمد بابا، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ص 11].

وفي رواية أخرى هو أحمد بن عمر بن محمد أقيت بن عمر بن علي بن يحيى التكروري التنبكتي [ميغا، عبد الرحمن، الحركة العلمية في مدينة تنبكت خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين؛ مجلة دار الحديث العدد 14 سنة 1417هـ/ 1997م، ص382].

نلاحظ أنّ الفرق بين الروايتين هو إسقاط اسم «محمد أقيت بن علي» في رواية أحمد بابا. وبهذا يمكن اعتبار السلسة التي أوردها ميغا أكمل رغم حداثتها.

هو جدّ أحمد بابا من جهة والده، عُرِف بالحاج أحمد، كان أكبر الإخوة الثلاثة (محمود، وعبد الله) الذين اشتهروا بالعلم والدين في تمبكتو في تلك الفترة [البرتلي، أبو عبد الله، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، ص 27]. وهو من أهل تمبكتو ومواليدها، إلاّ أنّ المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها لم تشر إلى تاريخ ولادته، لكن إذا قمنا بعملية حسابية آخذين بتاريخ وفاته، ليلة الجمعة من ربيع الثاني عام اثنين وأربعين وتسعمائة (942هـ/ 1535م) عن نحو ثمانين سنة المذكور لدى كل من حفيده أحمد بابا، والسعدي، وأحمد مهدي رزق الله، بخلاف تاريخ 943هـ/ 1536م الذي ذكره ذياب أحمد إبراهيم، والغربي محمد؛ ويبدو أنّهما أخذاه بدورهما عن البرتلي (أبو عبد الله)، – حسب هذا التاريخ فإنه يمكننا القول: «إنّ ولادته كانت سنة 1455م بالتقريب».

وقد نشأ أحمد في أسرة تدين بالإسلام، مشهورة بالعلم، وهي «أسرة أقيت» التي يعتبر أحمد بابا صاحب «نيل الابتهاج..» في تراجم العلماء أحد أفرادها.

تلقّى تعلّمه على علماء تنبكت. ومن أشهرهم جدّه لأمّه أندغ محمد، وخاله المختار الملقّب «بالنحوي» لتبحّره في ذلك العلم.

كما تحوّل بعد ذلك إلى مدينة «ولاتة» التي كانت تقع شمال غربي مدينة تنبكت، وتتلمذ على علمائها، ثمّ ارتحل إلى المشرق (مصر والحجاز) للحجّ عام 890هـ/ 1485م، حيث التقى ببعض أعلام الفكر الإسلامي وعلى رأسهم: جلال الدين السيوطي، والشيخ خالد الوقاد الأزهري (إمام النحاة)، واللقاني شمس الدين بن حسن المتوفى سنة 905 هـ، وغيرهم؛ وأخذ عنهم واستفاد منهم [ميغا أبو بكر، إسماعيل، الحركة العلمية والثقافية والإسلامية في السودان الغربي، ص27]، سيّما وأنّ السيوطي نفسه زار منطقة غرب إفريقيا في تلك الفترة وأقام بها مدّة للتدريس.

ثم عاد إلى مسقط رأسه زمن فتنة سني علي بير (ملك سونغاي) بمدينة تنبكت، وقد قيل إنّه حرق المدينة وخربها وقتل فيها الكثير من أهلها وخاصة العلماء منهم، وفرّ أكثرهم إلى ولاتة السالفة الذكر.

[Ahmed Baba le Toubouctien; La littérature arabe au Soudan]

وهو على حدّ تعبير أحمد مهدي من العلماء الذين عمّ نفعهم في غربي إفريقيا، لأنه دخل «كانو» من مدن شمال نيجيريا وغيرها من مراكز الثقافة الإسلامية في المنطقة، وذلك بعد عودته من المشرق، وقام بمهمّة التدريس في معاهدها وتخرّج على يديه في تنبكت، جماعة من مشاهير العلماء منهم أخوه الفقيه القاضي محمود بن عمر الذي درس عليه المدونة الكبرى في الفقه المالكي وغيره [أحمد مهدي رزق الله، ص 336].

كان الرجل أستاذا في الفقه واللغة والنحو وكذلك في العروض. ولم ينقطع عن الأخذ بل جمع بين الأخذ والعطاء. يقول حفيده أحمد بابا: «ولم يزل دؤوبا مجتهدا في تعليم العلم وتحصيله حتّى توفي» [التنبكتي، م.س، 12].

وأشارت الدراسات إلى أنّه طُلب للإمامة فأبى فضلا عن غيرها من المناصب ذات الصبغة السياسية، هذا إذا استثنينا رواية دياب التي تنفرد بالقول بأنّه تولى القضاء بتنبكت وولاتا [دياب، أحمد إبراهيم، ص49].

وبما أنّ الرجل كان من أهل العلم فقد وصف بعدّة صفات تليق بمكانته العلمية. ومن تلك الصفات أنّه كان خيِّرا فاضلا صالحا متورعا محافظا على السنة والمروءة والصيانة والتحرّي محبّا للنبيّ ﷺ وصحبه ملازما لقراءة قصائد مدحه، ولقراءة كتاب «الشفاء» للقاضي عياض المالكي على الدوام باعتناء زائد [التنبكتي، م.س، ص11-12].

ومن كراماته المشهورة أنّه لما زار القبر الشريف بالمدينة طلب الدخول في الغرفة المحيطة به فمنعه الحراس أو القيمون، فجلس على الباب يمدحه، فانفتح الباب وحده بلا سبب فتبادر الحاضرون إلى تقبيل يده.

وقد عقب أحمد بابا على هذه القصّة التي تبدو غريبة بقوله: «.. هكذا سمعت الحكاية من والدي رحمه الله وغيره وهي مشهورة عند الناس، وحدثني والدي رحمه الله أنّه سأله عنها فسكت ولم يجبه» [التنبكتي، م. س، ص 12]. وفي الحقيقة فإن أمثال هذه الكرامات هي محلّ جدل ونقاش بين المسلمين، وإنها في نظرنا مسألة اعتقادية بحت يصعب الحكم عليها بالمنطق العقلي.

آثاره

حسب الدراسات التي اعتمدنا عليها فإن أحمد بن محمد آقيت كان من العلماء الذين اهتموا بالدراسات الإسلامية واللغوية. وكتب بخطه عدّة دواوين وجمع كثيرا من الفوائد والتعاليق. كما ترك ما يقارب سبعمائة مجلد في مكتبته .

[Cuoq joseph, Histoire de l'Islamisation de l'Afrique de l'Ouest, p.209]

ويقول أحمد مهدي رزق الله: «.. وأكبر دليل على مكانته العلمية ومقدرته أنه كتب بخطه وترك مكتبة فيها نحو سبعمائة مجلد، وتعد من أكبر المكتبات إذا قيست بتطور المكتبات منذ النصف الأول من القرن 10هـ/ 16م حتى اليوم» [أحمد مهدي. م.س ص 336].

ولكن التقصير الشديد هو أنّ كلّ الدراسات لم تذكر ولو حاشية واحدة للرجل حتّى حفيده أحمد بابا صاحب «نيل الابتهاج».

ويُعَدّ هذا - حسب رأينا - من العيوب التي نجدها في كتب التراجم القديمة، فإنها أهملت جوانب هامّة من الحياة العلمية للمترجمين لهم، واهتمت بالجوانب الشخصية (الذاتية)، وربّما السياسية أيضًا.

لقد كان أحمد هذا من بين علماء تنبكت الذين نفوا إلى مراكش أثناء النكبة التي أصابت المدينة عن طريق محمود زرقون حاكم المغرب الأقصى آنذاك، حيث توفي في السنة المذكورة أعلاه.

المصادر والمراجع

• البرتلي، أبو عبد الله، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، بيروت 1981؛ • التنبكتي، أحمد بابا، نيل الابتهاج بتطريزالدّيباج، بهامش كتاب الديباج المذهب لبرهان الدين بن فرحون، القاهرة 1911، ط 1؛ • رزق الله، أحمد مهدي، حركة التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي في غربي إفريقية قبل الاستعمار وآثارها الحضارية، الرياض 1998، ط1؛ • ميغا، أبو بكر إسماعيل، الحركة العلمية والثقافية والإسلامية في السودان الغربي، 1997م، ط 1؛ • ميغا، عبد الرحمان، الحركة العلمية في مدينة تنبكت خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين، مجلّة دار الحديث الحسينية العدد 14 سنة 1417هـ/ 1997م؛

• Cherbonneau, August, Essai sur la littérature arabe au Soudan d'après le Tekmilet-ed-dibage d'Ahmed Baba le tombouctien, Coustatine, Imprimerie arabe, s.d.; • Cuoq joseph, Histoire de l'islamisation de l'Afrique de l'ouest des origines à la fin du XV siècle, Paris, 1984.

سعيد زنغو
جمهورية بوركينا فاسو

أقيت، عبد الله بن عمر

(... هـ / ... م - 928 هـ / 1522 م)

هو النحوي الفقيه عبد الله بن عمر بن محمد أقيت بن عمر بن يحيى الصنهاجيّ المسوفي [أحمد بابا التمبكتي، نيل الابتهاج، ص 161]. ولد سنة 867هـ ـ 868 هـ/ 1463 م بمدينة تمبوكتو الواقعة في المنطقة الشمالية من جمهورية مالي الحديثة.

وكما يظهر من سلسلة نسبه فهو ينتمي إلى أسرة أقيت المشهورة بالعلم في مدينة تمبوكتو.

وقد استقر بها جدّه محمد منذ سنة 1400 م بعد أن غادر مسقط رأسه ماسينا Macina الواقعة اليوم بالقسم الأوسط من دولة مالي.

وقد استفاد عبد الله من محيطه العائلي، فتعلّم في طفولته على يد كلّ من جدّه محمد أقيت وأبيه عمر. وذلك قبل أن ينتقل مع أسرته إلى مدينة ولاتة هروبا من اضطهاد السلطان سوني علي بير الذي استولى على مدينة تمبوكتو سنة 1468 م، وضمها إلى مملكته، أي مملكة سونغاي الإسلامية [محمد الغربي، بداية الحكم المغربي في السودان، ص 511].

وفي ولاتة تولّى أحد أقربائه المشهور بالمختار النحوي إتمام تكوينه في قواعد النحو العربي وأصوله العامّة. ثم وجّهه مع أخويه أحمد ومحمود إلى تعلّم العلوم الشرعيّة. ولا تذكر المصادر التاريخية أيّهم شيوخه في هذا المجال [عبد الرحمان السعدي، تاريخ السودان، ص 65].

وظلّ عبد الله في ولاتة بعيدا عن الحياة الاجتماعية والسياسية المتأزمة في تمبوكتو. ولم تستقرّ الأوضاع إلاّ مع انقلاب الأسكيين على السلطان سوني علي بير، واستيلائهم على السلطة عام 1493 م. وقد بادر السلطان محمد أسكيا إثر توليه السلطة بسنّ تنظيمات ساهمت في تحسين الأوضاع التي كانت متردية. ومن ذلك أنه أحاط بعنايته العلماء والفقهاء، فقرّبهم إليه، وسدّد لهم رواتب حسنة [محمد الغربي: م. س]. وشجع بعضهم على التنقل في طلب العلم. وبذلك تيسّر للعلماء اقتناء الكتب والمخطوطات النفيسة [التميمي، مساهمة أحمد بابا في الحضارة العربية، ص 299]، وعاد كثير من العلماء الذين هربوا من قبل لمواكبة هذه الحركة التي ازدهرت بمدينة تمبوكتو [التميمي، الروابط الثقافية المتبادلة بين تونس وليبيا...، ص 19].

على أنّ عبد الله أبى أن يغادر ولاتة حيث كان يدرّس الفقه، حتى توفي بها سنة 1522م [محمود زوبار، أحمد بابا التمبوكتي، ص 18]. وكانت ذريعته في الاعتراض على أخيه أحمد عندما طلب منه الالتحاق به في تمبوكتو، أنّ أهل سنكرى قاطعون للأرحام نمّامون، وأنه لا يسكن مكانا به ذريّة سوني علي بير [عبد الرحمان السعدي، م. س، ص 69].

ولا يعني بقاء عبد الله في ولاتة، عدم مواكبته للحياة الفكريّة التي كانت في عصره، إذ تجاوز الإشعاع العلمي والحضاري الذي شهدته مملكة سونغاي، مدينة تمبوكتو إلى غيرها من المدن المجاورة، وشمل منطقة السودان الغربي على وجه العموم [التميمي، مساهمة أحمد بابا، ص 229].

آثاره

كان عبد الله بن أقيت يشتغل في ولاتة، إلى جانب تدريس الفقه وغيره من العلوم الإسلامية، بالتصنيف في مباحث اللّغة العربيّة. من ذلك أنه وضع شرحا لمختصر الخليل، وهو كتاب مفقود، قد يكون من الكتب التي ضاعت إثر الحملة المغربيّة على مملكة الأسكيين في أواخر القرن السادس عشر. وقد ورد عند السعدي صاحب تاريخ السودان ما يؤكد نسبة ذلك الشرح إلى عبد الله بن عمر أقيت. وغاب منه ما يطلعنا على شيء من مضمونه [التميمي، م. س].

ولعلّ ميل الرجل إلى الزهد ممّا قصّر نَفَسه في التأليف، فلم يخلّف سوى أثر واحد، كما أنّ بقاءه في ولاتة منعزلا عن تمبوكتو التي كانت مركز الحياة الثقافية عصرئذ، جعله أقل حظا من غيره في الشهرة.

وعلى هذا، فإذا استقرّ أن عبد الله من علماء السودان الغربي الذين ساهموا في إثراء الحركة الثقافية العربية الإسلامية خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين، فإن أهميّة إسهامه وصيغتها المخصوصة تظل محجوبة ما لم يُعثر على نسخة من كتابه المفقود من ناحية، وما لم نجد مراجع إضافيّة تعين على التّوسع أكثر في ترجمة حياته وتقديم ما يزيد على النسبة التي بين شرحه ومختصر الخليل، من ناحية ثانية.

المصادر والمراجع

• التمبوكتي، أحمد بابا، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، القاهرة (د ت)، مطبعة السعادة؛ • محمد الغربي، بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، بغداد 1982م، دار الرشيد للنشر؛ • السعدي، عبد الرحمن، تاريخ السودان، تح. هوداس ميزونوف، باريس 1964م؛ • التميمي، عبد الجليل، مساهمة أحمد بابا التمبكتي في الحضارة العربية الإسلامية من خلال كتابه نيل الابتهاج بتطريز الديباج، بغداد 1985، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم؛ • م. ن، الروابط الثقافية المتبادلة بين تونس وليبيا ووسط وغرب إفريقيا خلال العصر الحديث، المجلة التاريخية المغربية، عدد 7، تونس 1981؛

• Mahmoud Zouhbar, Ahmed Baba de Tombouctou (1556-1627). Sa vie et son Oeuvre, ed. Maisonneuve et Larose, Paris 1973; • J. Cuoq. La famille Aqit de Tombouctou, Revue IBLA, No 141 1978, Tunis.

د. وليلاي كندو

جمهورية بوركينا فاسو

أقيت، عبد اللــه بن محمود

(... هـ / ... م - 1006 هـ/ 1597م)

الفقيه عبد الله بن محمود بن عمر بن محمد آقيت. رابع أبناء محمود ابن عمر أقيت وأقلّهم شهرة. وهم محمد وعمر والعاقب، ولا تذكر المصادر إلاّ أنّه ولد في مدينة تمبكتو الواقعة في القسم الشمالي من جمهورية مالي وأنه ترعرع فيها وأخذ العلم عن علمائها وفي مقدمتهم والده محمود بن عمر.

ذكر أحمد بابا في «نيل الابتهاج» أنّه امتحن كإخوانه بالنفي إلى مراكش مع ثلّة من

العلماء، وأنّه توفّي بها عام 1006هـ بالطاعون فكان إذن شهيدا [نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ص161].

ونلاحظ أنّه على الرغم من كونه توفّي بمرض الطاعون فقد اعتبره هذا المؤرخ شهيدا. ذلك أنّ علماء السودان في ذلك العصر قد اتّخذوا موقفا سلبيّا من الغزو المغربي لبلادهم عام 1591م. فقد كان عندهم بمثابة نكبة كبيرة عصفت بمدينتهم وبأهمّ ما فيها من العلماء والمكتبات الثريّة التي كانت مفخرة لها.

غير أنّ الغزو المغربي كان يرمي لفكّ الحصار الذي تسعى إليه البرتغال وغيرها من القوى الأوروبية لفرضه على المغرب. وذلك بغية تحويل التجارة الصحراوية التي كانت مزدهرة عصرئذ إلى المحيط الأطلسيّ. وما إن هُزم جيش أسكيا داود حتّى تقطّعت أوصال الدولة تحت ضربات القبائل والعشائر فدمّرت مدينة تمبكتو منارة العلم والمعرفة في المنطقة، واستحال الجيش المغربيّ إلى مجموعات غير منضبطة. فكان العلماء خاصة عائلة أقيت هم الذين دفعوا الثّمن الأكبر. إذ كانت عائلة أقيت عبارة عن سلطة مضادّة لسطوة السلطة السياسيّة منذ عهد أسكيا محمد توري (1493 - 1528م)، وهو ما كان يحقّق نوعا من التوازن في المجتمع السوداني. فإذا بتلك النكبة تفضي إلى تجريدها من سلطتها الدينيّة [ن. هنويك، جون ت.، الدين والدولة في امبراطوريّة سونغاي 1464-1591م؛ الإسلام في إفريقيا الاستوائية، ص 296-317، طبعة إ.م. لويس، منشورات جامعة أكسفورد، 1969م].

آثاره

كان عبد الله من العلماء المعتقلين الذين وصلوا إلى مرّاكش ولم يلقوا حتفهم في طريقهم، غير أنّه وصل إليها منهكا. ثمّ وافته المنيّة بعد ذلك بخمس سنين (1597م). فبكى عليه العلاّمة أحمد بابا التمبوكتي واعتبره من الشهداء لأنّه كان فقيها وحافظا وله شرح على الخليل [نيل الابتهاج، ص 161].
إذن فلا شكّ أنّ عبد الله كان من العلماء الذين مارسوا في تمبكتو إلي جانب وظيفة التدريس نشاط التأليف والإنتاج الفكريّ. ولعلّ شرحه المشار إليه ضمن الكتب التي ضاعت من مكتبات المدينة من جرّاء الغزو المغربيّ.

المصادر والمراجع

- التمبوكتي، أحمد بابا، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، مطبعة سعادة، القاهرة 1932م؛ • السعدي، عبد الرحمن، تاريخ السودان، ترجمة أ.هوداس ميزونيف (Maisonneuve)، باريس 1964م
- Hunwick, (H.O), Religion and state in the songhay empire, 1464-1591, in: Islam in Tropical Africa, ed. I.M. Lewis, Oxford University, Press 1969.

هذا المقال هامّ للغاية لأنّ صاحبه من أكبر المتخصّصين في الدراسات الإسلاميّة في غرب إفريقيا. وهو يجيد إلى جانب اللّغة العربية عددا من اللغات الإفريقية، وكان مديرا لقسم المخطوطات العربيّة بجامعة إبادان (نيجيريا) قبل الاستقلال وبعده. كما ساهم في تأسيس مراكز للبحوث الإسلامية تجمع المخطوطات العربيّة في كلّ من

شمال نيجيريا وتمبوكتو - بجمهورية مالي. كما أنّ الكتاب كان ثمرة ندوة علميّة حول الإسلام في إفريقيا ما وراء الصحراء انعقدت في مدينة زاريا بشمال نيجيريا التقى فيها ثلّة من المتخصّصين في الإسلام وتاريخه في القارة، فكانت إسهاماتهم عميقة وناضجة؛

- SAAD, (E.N), History of Timbuktu: the role of Muslim scholars and notables; 1400-1900, Cambridge University Press, 1983.

حسن سعيد جالو

جمهورية غامبيا

أقيت، أبو حفص عمر بن محمود

(... هـ / ... م - 1003 هـ/ 1594م)

الفقيه القاضي أبو حفص عمر بن سيدي محمود بن عمر بن محمد أقيت. وعلى الرغم من كونه منتسبا إلى عائلة أقيت المشهورة فإننا لا نجد فيما يتّصل بمولده سوى أنّه ولد في مدينة تمبكتو الواقعة في المنطقة الوسطى من دولة مالي، وأنّه زاول فيها تعلّمه وتكوينه في العربيّة وعلومها. فأخذ العلم من بعض شيوخها وفي مقدمتهم والده محمود بن عمر آقيت.

عاصر الغزو المرّاكشي لمدينة تمبكتو في أواخر القرن السادس عشر الميلادي. وكان من بين العلماء الذين أسروا ونُفوا إلى مدينة مرّاكش. وبها توفّي ليلة الجمعة من شهر محرّم سنة 1003هـ/ 1594م. فدفن بجوار القاضي أبي الفضل عياض.

آثاره

يعتبر أبو حفص من العلماء الذين برعوا في علم الحديث والسير والتاريخ وأيّام الناس. بلغ الغاية القصوى في الفقه. لكن لا تذكر المصادر ما يدلّ على أنّه صنّف في هذا العلم ولا في غيره من العلوم التي ثبت نبوغه فيها. وأكثر ما اشتهر به هو أنه تولّى القضاء في مدينة تمبكتو سنة 993 من الهجرة، بعد امتناع شديد. إذ يروى أنّه إن لم يقبل خطّة القضاء فإنّ الحاكم. فكلّ ما سيحكم به هذا الجاهل سواء أكان عدلا أم ظلما فإنّ المسؤول عنه يوم الحساب لا يكون الجاهل، بل يكون أبا حفص نفسه [ن. البرتلي، أبو عبد الله، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور].

شهد بعض العلماء المعاصرين له فقال: «إنّه لو كان موجودا في زمان ابن عبد السلام بتونس لاستحق أن يكون مفتيا فيها» [السعدي، عبد الرحمن، تاريخ السودان، ص34]. وقد وجد بعضهم في هذه العبارة دليلا على مكانة هذا الرجل العلميّة من ناحية، وعلى أنّ علماء

إفريقيا لم يكونوا من حيث المستوى الفكريّ دون العلماء المغاربة من ناحية ثانية [حركة التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي في غربيّ أفريقية قبل الاستعمار وآثارها الحضاريّة، ص 342-343].

نخلص من هذا إلى أنّ أبا حفص كان من كبار العلماء في العالم الإسلامي خلال القرن السادس عشر الميلادي. ولعلّ تولّيه القضاء وما عانى منه إثر الغزو المغربيّ منعه من التصنيف في مختلف العلوم التي برع فيها. وعلى ذلك يمكن تحديد النشاط الفكريّ الذي مارسه في حياته بأنّه التشريع والدعوة.

المصادر والمراجع

● التمبوكتي، أحمد بابا، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، مطبعة سعدة، القاهرة 1932، ويتضمّن هذا المصدر معلومات هامة عن أعلام المذهب المالكي من السودان وغيرهم من المغاربة والأندلسيين. فهو مصدر لرجال المالكيّة الأواسط والمتأخرين؛ ● البرتلي، أبو عبد الله، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، تح. محمد إبراهيم الكتاني ومحمد حجّي، بيروت 1981م، دار الغرب الإسلامي، ويعد هذا الكتاب مصدرا متفرّدا ضمن كتب التراجم والأعلام في العالم الإسلاميّ، فقد ركّز صاحبه على الترجمة لأعلام هذا الجزء من البلاد الإسلامية المغمورين؛ ● السعدي، عبد الرحمن، تاريخ السودان، ترجمة أ. هوداس ميزونيف (Maisonneuve)، باريس 1964م؛ ● أحمد، مهدي رزق الله، حركة التجارة والإسلام قبل الاستعمار وآثارها الحضارية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلاميّة، الرياض 1998م.

حسن سعيد جالو
جمهورية غامبيا

أقيت، محمد بن محمود

(909 هـ / 1503 م - 973 هـ / 1565 م)

هو القاضي محمد بن محمود بن عمر بن محمد أقيت بن عمر بن عليّ بن يحيى الصنهاجي [ميغا عبد الرحمان، الحركة العلمية في مدينة تنبكت خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين، مجلة دار الحديث الحسينية، العدد 14 سنة 1417 هـ/ 1997 م].

هذه السلسلة من شجرة النّسب تبدو أكمل مقارنة بما ورد في الدراسات الأخرى التي رجعنا إليها، حيث سقط اسم محمد آقيت بن عمر الذي يعتبر جدّ المترجم له في جلّها. ففي رواية أحمد بابا التنبكتي مثلا نقرأ ما يلي: «...هو القاضي محمد بن محمود بن عمر بن

عليّ الصّنهاجي قاضي تنبكت» [التنبكتي أحمد بابا، نيل الابتهاج في تطريز الدّيباج، ص43]، رغم أنّه يقرّ بأنّ محمد آقيت هو الجدّ الأكبر لهذه الأسرة نعني بها أسرة آقيت المشهورة بالعلم والمعرفة، فقد هاجر هذا الجدّ الأخير من موطنه الأصلي (فوتاما الواقعة حاليا في جمهورية مالي)، خوفا من أن يتناسل أولاده مع الفلاة أو الفلانين، إلى تنبكت حيث واجه في البداية مشكلة خلافية قديمة مع حاكمها (آكل) الذي استولى عليها واستقل بها عن مملكة مالي عندما ضعفت هذه الأخيرة، ولكن جرت وساطة نجحت في التوفيق بينهما، فدخل المدينة وذلك في منتصف القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي تقريبا [ميغا، أبو بكر إسماعيل الحركة العلمية والثقافية والإسلامية في السودان الغربي، ص 185].

وما تجدر الإشارة إليه هو أنّ الدارسين لم يختلفوا فيما يتعلق بشخصية هذا القاضي محمد بن محمود. ولعلّ ما وقع من الإسقاط في سلسلة شجرة نسبه ليس إلا رغبة في الاختصار، إذ الغاية عند بعضهم ما هي إلا ذكر حياته الشخصية أو العلمية دون الاهتمام بنسبه.

والظاهر أنه وُلد سنة 909 هـ/ 1503 م، يقول أحمد بابا: مولده سنة تسع وتسعمائة [التنبكتي، م. س، ص 43] إلاّ أن جلّ الدراسات غفلت عن ذكر مكان ولادته. ومن المحتمل أن يكون من مواليد مدينة تنبكت، لأنّ والده محمود حسب المصادر والمراجع لم يغادرها إلاّ في سنة 915 هـ/ 1509 م إلى المشرق وذلك لأداء فريضة الحج والتعليم حيث لقي جماعة من مشاهير العلماء آنذاك، أمثال: إبراهيم المقدسي، والشيخ زكرياء، والقلقشندي [أحمد مهدي رزق الله، حركة التجارة في الإسلام والتعليم الإسلامي في غربي إفريقية، ص 338].

فهذا السفر كما نلاحظ وقع بعد ولادة ابنه محمد هذا بستّ سنوات تقريبا. فلا يمكن القول إذن بأنّه ولد خلاله، خاصة أنّ العلماء لم يكونوا يصاحبون زوجاتهم في مثل هذه الرّحلات العلمية والتعبدية (إن صحّ هذا التعبير).

وكانت وفاته عن عمر يناهز سبعين عاما سنة 973 هـ/ 1565 م.

إن هذه الفترة الزمنية التي عاش فيها الرّجل تمثل فترة ازدهار الثقافة الإسلامية في منطقة غرب إفريقيا، فلا غرابة إذن أن يتشبع بشتّى العلوم اللغوية والإسلامية لدى علماء المنطقة ومن علماء المشرق والمغرب العربيّين الذين كانوا يفدون إلى مراكز الثقافة الإسلامية في المنطقة.

نشأ محمد آقيت الحفيد، وهو أوّل مولود ذكر لأبيه في أسرة إسلامية عُرفت بالعلم، وكان لها نفوذ كبير لدى الملوك والشّعب، منها كان يتخرج قضاة تنبكت، [السّعدي، عبد الرحمن، تاريخ السودان، ص 34].

والملاحظ أنّ المصادر والمراجع لم تذكر مراحل تكوينه العلمي ولا الأساتذة الذين تتلمذ عليهم بخلاف العلماء الذين تتلمذوا عليه. ومن المحتمل أنّه تلقى تكوينه الأساسي، الذي كان يركز أساسا على حفظ القرآن كاملا وتعليم بعض المبادئ الإسلامية،

علي والده ومن بعض أفراد أسرته، لأنّ التعليم حينئذ غالبا ما يكون حكرا على أبناء العلماء وأقاربهم فقط دون عامة الشّعب.
أمّا فيما يتعلق بتكوينه في المرحلة الموالية التي ينكب فيها الطالب على دراسة الكتب اللغوية والدينية، فيبدو انّه تعلم فيها على والده وعلى علماء تنبكت، وربما بعض علماء المغرب والمشرق الذين كانوا يفدون على المنطقة بطوع إرادتهم أو طلبا من الملوك، وخاصة ملوك سونغاي أمثال أسكيا الحاج محمد وابنه داود الذين أعطوا للعلماء منزلة مرموقة وأغدقوا عليهم الهدايا والعطايا.
ثم تتلمذ عليه علماء كثيرون من كافة أنحاء غرب إفريقيا وقتئذ، نذكر، على سبيل المثال لا الحصر، والد أحمد بابا، يقول أحمد بابا: «أخذ عنه والدي، البيان والمنطق» [التنبكتي م. س.، ص 43]. وهذا لا يعني أنّه اكتفى بتدريس علمي البيان والمنطق دون غيرهما من العلوم اللغوية والإسلامية الأخرى. فقد تضلع في العلوم اللغوية والإسلامية على حدّ السواء؛ يقول ميغا عبد الرحمان: «وكان ذا جاه وفهم عميق ونظر ثاقب في العلوم الإسلامية...» [ميغا، عبد الرحمن، م. س، 384].
هذا إضافة إلى ما وصفه به كل من أحمد بابا والسعدي. فقد فقال عنه أحمد بابا «...كان رحمه الله على ما أخبرني به والدي ذا فهم ثاقب، وذهن صاف وقّاد، فهّاما درّاكا، من دهاة النّاس وعقلائهم» [التنبكتي، م. س.، ص 43]. وقال السعدي: «...أما القاضي محمد فكان عالما جليلا فهاما ذكيا، وليس له نظير في عمره في الفهم والدهاء والعقل» [السعدي، م. س، ص 34].

تولى منصب القضاء في تنبكت بعد وفاة والده سنة 1548 م فأسعفه الحظ أن يكون من أهل الجاه والمال، يقول أحمد بابا: «...تولى القضاء بعد أبيه، فساعدته السعادة، فنال ما شاء من دولة ورياسة تفيّأ منها ظلا ظليلا، واكتسب من الدّنيا عرضا وطولا» [التنبكتي، م. س، 43].
فعائلة محمد عائلة مشهورة بالعلم والثروة، وإضافة إليه وإلى والده فقد تولى اثنان من إخوته القضاء في مدينة تنبكت هما: العاقب وعمر.
ولئن ركزت الدّراسات على بعض جوانب من حياة هذا العلم، فإنّها أهملت جوانب أخرى هامة - في نظرنا- من حياته العلمية والفكرية، فلم تذكر الدراسات مراحل تعليمه كما أسلفناها بالذكر.
أما الجانب الثاني الذي أهملته الدراسات فهو إنتاجه الفكري. وعلى كل حال فأديبنا من علماء القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي المشهورين في غرب إفريقيا، وبالتحديد مدينة تنبكت التي وصفها السّعدي بأنها: «منذ نشأتها ما دنستها عبادة الأوثان ولا سجد على أديمها لغير الرحمان، مأوى العلماء والصالحين» [السعدي، م. س، 21-22].
فمثل هذه المراكز الإسلامية وعلمائها بحاجة إلى الاهتمام باعتبارها جزءاً من التراث الإسلامي.

آثاره

لم تشر المصادر والمراجع إلى أعمال فكرية لهذا الأديب إلا حاشية واحدة، وهي عبارة عن تعليق قام به على رجز عبد الكريم المغيلي (ت 909 هـ/ 1503 م) في علم

المنطق [أحمد مهدي، م. س، 338]، فلا يتصوّر أنّ هذا العالم الذي وصف بأنّه كان عالما جليلا لا نظير له في عصره، وهو قاضي تنبكت، أن لا تكون له أعمال فكرية تذكر إلاّ هذه الحاشية.

المصادر والمراجع

● التنبكتي، أحمد بابا، نيل الابتهاج بتطريز الدّيباج، بهامش كتاب الديباج المذهب لبرهان الدين بن فرحون، ط.1 القاهرة 1911؛ ● السّعدي، عبد الرحمان، تاريخ السودان، تح. هوداس، باريس 1964 م؛ ● أحمد، مهدي رزق الله، حركة التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي في غربي إفريقية قبل الاستعمار وآثارها الحضارية، ط.1 الرياض 1998؛ ● ميغا، عبد الرحمان، الحركة العلمية في مدينة تنبكت خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين، مجلة دار الحديث الحسينية، العدد 14، سنة 1417 هـ / 1997 م.

سعيد زونغو
جمهورية بوركينا فاسو

أقيت، محمود بن عمر بن محمد

(868 هـ/ 1463م - 955 هـ/ 1548م)

ولد محمود بن عمر بن محمد أقيت بن عمر بن علي بن يحيى الصنهاجي بتمبكتو سنة 868هـ/ 1463م- 955هـ/ 1548م، ويرجع بعض الدارسين نسبه إلى صنهاجة [أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، 1932، ص 338]. بينما يرجعه الآخرون إلى شعب (ماندنغ Manding) وعشيرة سراكولي وعائلة جاخانكي [باتريك ريان Rayan Patrick، 1978، ص 7 - 39].

كان أبوه عمر صالح جوارا رجلا صالحا من ماندي حسب لقبه «جوارا» الذي تجده في كامل المنطقة إلى اليوم، لكن منطقة غرب إفريقيا شهدت تداخلا ثقافيا وإثنيا من الصعب أن نقتفي فيها أصول الأشخاص وأنسابهم. فهناك اليوم بعض الشعوب في المنطقة مثل التوارق والفلانيين حيرت علماء الأجناس: إذ يضعونهم في أحد جزئي الصحراء حينا، ثم يضعونهم في الجزء الآخر أحيانا أخرى مع استحالة رسم الخريطة العرقية والثقافية في المنطقة.

ومهما يكن من أمر وأيّا كانت أصوله، فإنّ محمود أقيت ولد وعاش بالمنطقة كأي فرد من أفرادها، وكان يتميّز بالدين وحسن الخلق اللذين جلبا له التقدير والاحترام حتى اصطحبه أسكيا سنغاي محمد توري معه إلى الحجّ؛ وأثناء عبورهم البحر الأحمر نفد ما

مع الحجيج من الماء، فشارفوا على الهلاك؛ وعندها توجه إليه الملك والناس أجمعين طالبين منه أن يدعو الله تعالى لإنقاذهم، فرفع الشيخ يديه نحو السماء ولم يبرح مكانه حتى أنزل الله على السفينة غيثا نافعا بلا ريح ولا رعد، فشرب الجميع ماء باردا نقيا، ونجوا من الموت المحقق [م. س، 1978، ص37]. وبقدر ما كان الشيخ محمود ليّن الجانب مع الذين عاشروه خاصة الفقراء منهم، فإنه كان شديدا على نفسه وعلى الملوك والوجهاء، لا يخاف في الله لومة لائم، يهابه السلاطين فمن دونهم، ويزورونه في بيته، فلا يقوم لهم ولا يلتفت، ويهادونه بالهدايا والتحف. تولى القضاء في تومبكتو بعد وفاة الشيخ أحمد بن سعيد عام 904هـ/1498م «فسدّد في الأمور وسدّد» [أحمد بابا، نيل الابتهاج، 1932، ص 323].

وقد قيل إنّ خلافا شجر بينه وبين أسكيا محمد توري، فكان ردّه قويا، ولم يتردّد أن يوبّخه أمام الناس ويذكره بيوم جاءه فيه في بيته طالبا منه أن يدعو الله له لينقذه من عذاب النّار، فقبل منه الملك هذا التصرف بلطف وتواضع وطلب منه الصفح [م.س].

ومن الملاحظ أنّ هذا الدّور وهذه المكانة لم يكونا جديدين على علماء المنطقة، بل يمكن اقتفاء أثرهما منذ بداية دولة مالي حين قبلت عشيرة جاخانكي السوننكيّة بدورها الديني، وتترك الملك للعشائر الأخرى مقابل منحهم الأمن والأمان هم وذريهم وكل من ينزل ضيفا عليهم ولو كان مطلوبا من قبل الملك، ومازالت هذه العائلة تقوم بدورها الديني نفسه إلى اليوم، ويعرفون بشيوخ «ماندنغ Moori Manding»؛ وتجدهم كما قلنا حيث تجد هؤلاء وتنسب بعض الأقوام غير المسلمة في إفريقيا القرآن الكريم إليهم، قائلين: «كتاب ماندنغ Book Manding». ومن شيوخ محمود أقيت: أحمد بن سعيد ووالده عمر صالح جوارا. وتوفي بتومبكتو ودفن فيها.

■ آثاره

له مؤلفات عديدة في الفقه والعقيدة، أهمها: شرح مختصر الخليل؛ والتعليق على رجز المغيلي.

■ المصادر والمراجع

● التمبكتي، أبو البركات أحمد بابا، نيل الابتهاج في تطريز الديباج، القاهرة مطبعة السعادة 1932، هذا المصدر هام جدّا، ليس فقط في ما يتعلق بأعلام السودان، وإنّما بأعلام المنطقة بصفة عامة، ابتداء من الأندلس إلى شمال إفريقيا في هذه الفترة. وهذا المرجع هو أيضا هامّ جدّا، إذ عاش صاحبه في المنطقة ما يقارب 40 عاما، زيادة على إلمامه الواسع بالثقافة العربية، وقد شهد له بذلك صاحب هذه السطور أثناء لقائه به في الجامعة البابوية غريغوريانة بروما حيث كان يدرس؛ وهذا المرجع هام للغاية باعتبار أن الكاتب ينتمي إلى العائلة نفسها بحيث جمع بعض النصوص من العائلة قد لا تكون متوافرة خارجها ● أحمد مهدي رزق الله، حركة التجارة والتعليم الإسلامي في غربي إفريقية قبل الاستعمار وآثارها الحضارية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض 1998؛ ● السعدي،

عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران، تاريخ السودان ترجمه ونشره (أو هوداس O. Houdas)، باريس 14- 1913. هذا المصدر هام جدًا لقربة من تلك الأحداث التي هزّت بلاد السودان في نهاية القرن 16م، كما شهد انتقال المركز العلمي من مدينة تومبكتو في الشمال إلى مدينة جنّي في الجنوب، إضافة إلى جمعه التاريخ الشفهي في المنطقة الذي كان إلى حدّ ما مهملا لدى من سبقه من المؤرخين.

- Patrick Rayan, Imale yourba participation in the Muslims Traditions, New York, Harvard 1978; • Lamin Sanneh, the Jakhanke Muslims clerics. A Religions and Historical Study of Islam in Senegambia, Lanhan Md. University press of America 1989.

حسن سعيد جالّو
جمهورية غامبيا ـ افريقيا

الأكبر آبادي، أبو الفيض فيضي

(954هـ / 1545 م – 1004 هـ/ 1595م)

هو أبو الفيض بن مبارك فيضي الملقب بملك الشعراء. كانت له اليد الطولى في أكثر العلوم والفنون التي يمتاز بها العصر المغولي في شبه القارة الهندية. ولد في سنة أربع وخمسين وتسعمائة من الهجرة بمدينة «آجرا» التي كانت حينذاك مقرا لحكومة أباطرة المغول الأوائل، ونشأ، في أسرة علمية متديّنة فكان أبوه وهو الشيخ مبارك بن الشيخ خضر الناغوري (ت 1001هـ/ 1593م) عالما متبحرا، فقد ألف عديدا من كتب العلوم الدينية، ومن أشهر هذه الكتب تفسيره «منبع عيون المعاني» من أربعة مجلدات والذي يدل على براعته وقدرته على أساليب اللغة العربية و آدابها.

تلقى أبو الفيض دروسه الابتدائية على يد أبيه، وبعد ذلك التحق بحلقة الشيخ حسين المروزي العلمية وتعلّم منه بوجه خاص علوم الحكمة والمنطق والفلسفة إلى جانب الأدب العربي وفنونه المختلفة، وأكمل مراحله التعليمية ولم يناهز عمره أربعة عشر عاما، وسرعان ما طار صيته في أكثر أقاليم البلاد وعندما وصل نبأ نبوغه في العلوم والآداب إلى الإمبراطور المغولي «جلال الدين أكبر» أمره بالانخراط في بلاطه الملكي؛ وهكذا سنحت له الفرصة للتقرّب من الملك المذكور الذي لم يكن مثقفا، إلا أنه كان يقدر ويحترم أولي العلم والأدب والمعرفة. ولهذا السبب اجتمع حوله عدد كبير من العلماء والأدباء والفقهاء. وبين هؤلاء جميعًا كان أبو الفيض يحظى بمكانة رفيعة إذ كان الملك متأثرا للغاية بتوقّد ذكائه وقريحته وقوة حفظه ورشاقة أسلوبه في الشعر والنثر.

وهكذا أينعت مواهبه العلمية والأدبية تحت ظلال البلاط الملكي، وسرعان ما فاق أترابه بعلمه ومهارته في مختلف فروع البيان والتعبير. تميّز في معرفة ثلاث لغات هي العربية والفارسية والسنسكريتية، وقد ترجم آثارها العلمية والأدبية بمنتهى القدرة والجدارة، فعلى سبيل المثال نقل الكتاب المسمى «ليلاوتي» وهو في الحساب والمساحة من السنسكريتية إلى الفارسية، وكذلك كتاب «نل ومن» من الفارسية الى السنسكريتية. وماعدا هذه التراجم ترك لنا أبو الفيض آثارا أدبية رائعة، ومنها ديوانه الفارسي باسم «تباشير الصبح» الذي يشتمل على أكثر من خمسة عشر ألف بيت، وكل بيت لهذا الديوان يشهد على براعته وتفوقه في الأدب الفارسي.

وكان قد كتب عن نفسه شعرا معناه: بحوزتي كافة الفنون التي يمتلكها أصحاب الفنون وكافة أنوار قناديل الزعماء والقواد، جسدي من تراب الهند ولكن في كل شعري ألف يونان.

لا يجوز لنا أن نحمل هذا القول على المبالغة إذ كان صاحبه بلا مراء ذا ثقافة واسعة، ولم يكن له نظير في عصره في الشعر والأدب واللغة والتاريخ والإنشاء والطب، وأكبر دليل على هذا الرأي كتاباه القيمان وهما «سواطع الإلهام» و«موارد الكلم وسلك درر الحكم» وفيما يتعلّق بالكتاب الأول فهو تفسير لمعاني القرآن الكريم وهو فريد من نوعه في «صنعة الإهمال» وجميع كلماته وتراكيبه بدون نقاط، ولا شك في أنه عمل شاق ومتكلّف ولا يستطيع أحد أن يأتي بمثله بدون القدرة الفائقة على الذخائر اللفظية للغة العربية. فكل من يلقي نظرة عابرة على هذا التفسير لا يلبث أن يثني عليه وينوّه بهذا العمل الجليل، فمثلا يقول حسان الهند العلامة غلام علي آزاد البلكرامي في مدح صاحب هذا التفسير: إنه أول من ألف خلال ألف سنة الماضية مثل هذا التفسير؛ وكذلك يكتب صاحب كشف الظنون حاجي خليفة عن هذا التفسير فيقول: إنه كتاب منفرد بين التفاسير، وقد أثنى عليه عديد من العلماء الذين عاصروا «أبو الفيض» ومنهم الشيخ يعقوب الكشميري والمؤرخ الكبير شاه نواز خان. ومن الجدير بالذكر أن هذا التفسير لا يزال موضع الاهتمام والتقدير لدى أصحاب العلم والأدب مع أن عامة الناس لم يقدروه حقّ قدره وذلك بسبب اعتناء المؤلف الشديد بصنعة الإهمال التي قد جعلت هذا العمل الرائع في أكثر الأماكن يستعصى عن الفهم، فيقول المؤرخ الكبير العلامة شبلي النعماني عن هذا الضعف والنقص: «إن هذا التفسير عمل صناعي متكلف جمع فيه المؤلف كلمات غير منقوطة عويصة فلا يترك أسلوب هذا التفسير أي أثر حسَن على المرء».

ولا شك في أن عبارة هذا التفسير في أكثر الأماكن معقدة وخالية من جمال التعبير ونصاعة الأسلوب وحسن الديباجة، فالإنسان العادي لا يستطيع فهم معانيه بالسهولة. ومما يبدو فإن المؤلف لم يقصد بهذا التفسير توضيح الآيات وتفسيرها بل حاول بذلك إظهار قدرته على انتقاء الكلمات المهملة والتراكيب المستعصية غير المنقوطة؛ ومن الملاحظ أن «أبو الفيض» لم يأخذ وقتا طويلا

لإنجاز هذا العمل فقد أكمله خلال سنتين متتاليتين. طبع هذا التفسير لأول مرة بمدينة لكناؤ في 1206هـ/ 1889م.

لم تكن موهبة أبو الفيض تنحصر في كتابة النثر فحسب بل كان له قصب السبق في قرض الشعر بنفس الأسلوب. وفي هذا المضمار فاق أقرانه وأترابه في استخدام الكلمات المهملة لسكب أفكاره في القالب الشعري، وقد اعترف منتقدوه بعلوّ كعبه في هذا المجال.

واستخدم أبو الفيض صنعة الإهمال هذه في كتاب آخر، وهو «موارد الكلم وسلك درر الحكم». ويتضمّن هذا الكتاب المباحث العقائدية والكلامية والأخلاقية إلى جانب بعض الملامح للسيرة النبوية، وكل هذه المباحث سميت بـ«الموارد» التي هي خمسون عددا وتمتدّ على 120 ورقة توجد مخطوطاتها في مختلف المكتبات الهندية وغير الهندية. وقد رأى هذا الكتاب النور بمدينة كلكتا (الهند) في سنة 1341.

المصادر والمراجع

● آزاد البلكرامي، غلام، سبحة المرجان في آثار هندوستان، تح. محمد فضل الرحمن الندوي، ج1، ص117؛ ● الحسني، عبد الحي، نزهة الخواطر، ج5، ص320؛ ● الندوي، رضوان علي، اللغة العربية وآدابها في شبه القارة الهندية، ص224؛ ● آزاد البلكرامي، علي، مآثر الكرام للعلامة غلام، ص 275 .

محمد أسلم الإصلاحي
مركز الدراسات العربية والإفريقية
جامعة نيودلهي - الهند

ابن الأكفاني، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم

(... هـ/ ... م - 749 هـ/ 1348م)

أبو عبد الله شمس الدين محمد بن إبراهيم ابن صاعد الأنصاري السنجاري بن الأكفاني، من مدينة سنجر التي تقع غرب الموصل، أخذ لقب جده واشتهر بابن صاعد السنجاري غير أننا لا نعرف شيئا عن نشأته في سنجار وعلاقاته. ومن المعروف أنه قضى جزءا مهمّا من حياته في القاهرة بيد أننا لا نملك معلومات عن تاريخ قدومه إليها. وفي القاهرة واظب على حضور دروس سيد الناس وتعرّف على الصفدي تلميذ هذا الرجل في مجالسه العلمية.

وتذكر المصادر أن ابن الأكفاني كان ضليعا في علوم شتّى مثل الطب والصيدلة والفلسفة، وعلم الفلك، والجبر، والعروض، والأخبار، وعلم التاريخ، وكان عالما لا يجارى في تاريخ المغول. كما كانت لديه معرفة جيدة بالمعادن

وصناعة الآلات وفنّ الخط. ويذكر أنّه كان يعدّ بعض الأدوية ويستعملها في شؤونه الخاصة ولا يطلع أحدا على كيفية إعدادها.

وبعد أن شغل منصب مدير المستشفى المنصوري بالقاهرة ترك حياة الأبهة وأخلص بقية حياته للاهتمام بصحته إلى أن توفي في 23 شوال عام 749 نتيجة إصابته بوباء.

آثاره

1 - علوم الطب:

أ - كشف الرين في أحوال (أمراض) العين، مؤلّف يتكوّن من ثلاثة أبواب، تناول الباب الأول تشريح العين وكيفية المحافظة على سلامتها، واعتمد في معلوماته في هذا الباب على كتاب القانون في الطب لابن سينا. واحتوى الباب الثاني على ذكر أكثر من أربعين مرضا متعلّقا بالعين وأسبابها وكيفية تشخيصها ومعالجتها. أما في الباب الثالث فتناول الأدوية البسيطة والمركبة المستعملة في أمراض العين، وقد رتبت ترتيبا ألفبائيا وذكر أدوية أكثر من تلك التي ذكرها علي بن عيسى الكحال [مكتبة السليمانية، رقم6/ 2900؛ مكتبة متحف سراي طوب قابي، قسم أحمد الثالث، رقم 1968؛ مكتبة الإلمالي الشعبية بأنطاليا، رقم 290، ورق 74أ-99ب]. وقد اختصر ابن الأكفاني كتابه هذا بعنوان «التجريد من كشف الرين في أحوال العين» [مكتبة نور عثمانية، رقم 3576، ورق 2ب-43ب]. وقد كتب أبو همام نور الدين علي المناوي شرحا لهذا المختصر أسماه «وقاية العين بشرح تجريد كشف الرين» [مكتبة الفاتيكان، قسم سباث، رقم 16، ورق 5ب-199أ]. وقام محمد ظافر الوفائي ومحمد رواس القلعجي بنشر «كشف الرين» متضمّنا دراسة نقدية [الرياض، 1414/ 1993].

وهذا الكتاب من أهمّ كتب طب العيون العربية التي ظهرت متأخرة، ولعله أحد أوضحها تبويبا. نقل عنه يحيى بن أبي الرجاء صلاح الدين بن يوسف في كتابه «نور العيون وجامع الفنون» واختصره مؤلفه بطلب من بعض أصدقائه في كتيّب أصغر حجما سمّاه «تجريد كشف الرين».

ويتكوّن الكتاب من **ثلاث مقالات**:

- المقالة الأولى: «في كليات أحوال العين». وتشتمل على بابين: أولهما في «الأمور النظرية»؛ وفيها «حدّ العين» و «خواص عين الإنسان» وأحوالها في حالتي الصحة والمرض، وأسباب هذه الأحوال. ويتألف هذا الباب من أربعة فصول. أما الباب الثاني ففي «الأمور العملية»؛ ويتألف من فصلين: أولهما في «حفظ صحّة العين»، والثاني في «معالجات العين الكلية».

- المقالة الثانية: في ذكر «أمراض العين وأسبابها وعلاماتها ومعالجاتها».

ويأتي تسلسل الأمراض في هذه المقالة حسب أسلوب علي بن عيسى الذي يتّبع التسلسل التشريحي لأجزاء العين اتّباعًا صارمًا. فهي تبدأ بذكر أمراض الجفن، وبعض أمراض الملتحمة، ثمّ أمراض القرنية، فالعينية. ثمّ تنتقل إلى ذكر أمراض أجزاء العين التي لا تظهر للطبيب الفاحص: «البيضية»، «العنكبوتية»، «الجليدية»، «الزجاجية»، «الشبكية»، فالمشيمية.

وبعد ذلك يأتي المؤلف على ذكر أمراض الطبقة الصلبة، فالعصب البصري، ثمّ أمراض «الروح الباصر». وبعدها ينتقل إلى أمراض «عضل المقلة»، ثمّ أمراض «المؤق».

وفي نهاية المقالة يعرض المؤلف اثني عشر مرضًا لا تختصّ بأحد أجزاء العين التشريحية: كضعف البصر، ورؤية الخيالات، والخفش، والجهر، والعشا، والقمور... الخ.

-المقالة الثالثة: مخصصة لأدوية العين، وهي مركبة من قسمين (جملتين): القسم الأول (الجملة الأولى) عرض لأنواع الأدوية وأشكال تأثيراتها، وآلية ذلك. ويأتي تسلسل أسماء الأدوية على حروف المعجم. والقسم الثاني (الجملة الثانية) خاص بالأدوية العينية المركب وهي بابان: في الباب الأول: الشافيات، وفي الباب الثاني: الأكحال.

وكما يظهر جليا من تصنيف هذا الكتاب يحاول المؤلف أن يكون مستقلا وأن لا يتبع - اتباعا حرفيًا - أحدًا من المؤلفين الذين سبقوه، ومع ذلك فهو يحافظ على القواعد التي استنّها علي بن يحيى في التأليف.

ويبلغ عدد أمراض الجفن في هذا الكتاب أربعة وأربعين مرضًا مما يشير إلى تطوّر فهم المؤلف لعلم التصنيف وإتقانه علمَ التشخيص التفريقي واطلاعه على المؤلفات المدرسية الأخرى في طب العين اطّلاعا واسعًا وعميقًا. ويؤكد ذلك أن عدد أمراض القرنية - مثلاً - يبلغ عنده أربعة عشر مرضًا.

2 - تجريد كشف الرين، ذكره حاجي خليفة [كشف، 2/ 1490]، والبغدادي [هدية، 6=2/ 155]، وذكر بروكلمان مخطوطتين من هذا الكتاب واحدة في القاهرة وأخرى في لندن [الملحق، 2/ 169]، وثمة نسخة أخرى في استانبول [مكتبة نور عثمانية رقم 1/ 3576، انظر ششن، 16].

وقد اقترح ابن الأمشاطي على زميله نور الدين علي المناوي أن يشرح هذا الكتاب فشرحه [نقشبندي، في مخطوطات المتحف العراقي ببغداد]، وسمى الشرح «وقاية العين في شرح تجريد كشف الرين» [هيرشبرغ، تاريخ، 82-84؛ بروكلمان، الذيل 2/ 169؛ ديترش، رزن، 167؛ أولمان، 213]؛
3 - غنية اللبيب في غيبة الطبيب، أتت المصادر العربية على ذكر هذا الكتاب [الصفدي، ابن قاضي شهبة، ابن حجر العسقلاني، حاجي خليفة، الشوكاني، البغدادي..].

ووصلنا منه عدد من المخطوطات في القاهرة [بروكلمان، ط1، 2/ 137]؛ والجامعة الأمريكية ببيروت [منجد. مصادر...، 251]. وبغداد [نقشبندي. مخطوطات الطب...، 229-230]، وإستانبول [ششن مخطوطات الطب الإسلامي، 16]، كما وصل مختصر له محفوظ في غوتا برقم 3/ 2034 [بروكلمان].

وموضوع هذا الكتاب يتلخص في إرشاد الناس إلى كيفية معالجة الأمراض الطارئة في حال عدم وجود الطبيب، كما يدلّهم على بعض الإرشادات الصحية، ويقوم بدور التوعية في حقل حفظ الصحة العامة، واختيار الطعام والشراب والمسكن واللباس، ويدلّ على العادات الصحية التي يجمل بالمرء أن يتبعها، وينبّه إلى العادات السيئة كالإفراط في الطعام أو الشراب، أو اختيار المسكن

الرديء التهوئة، أو الذي لا يستوفي الشروط الصحية.

وهذا النوع من الكتب مألوف في التراث العربي. ولعل أحد أقدم المؤلفات العربية فيه هو كتاب الرازي: «من لا يحضره الطبيب».

وينقسم الكتاب إلى أربعة أقسام، الأول في حفظ الصحّة .الثاني في تدبير المرض حيث لا يوجد طبيب .الثالث في وصايا نافعة لهذين الغرضين .الرابع في خواصّ مختبرة. وقد حققه صالح مهدي عبّاس ونشره في بغداد عام 1989؛ 4 - نهاية القصد في صناعة الفصد، لم تذكره المصادر، لكن حاجي خليفة وجد له مخطوطة في الآستانة [كشف الظنون، 2/ 1990]، ولعلها مخطوطة مكتبة نور عثمانية، رقم 3618، ورق 70 أ ـ 80 ب. وذكر بروكلمان مخطوطة أخرى له في القاهرة [تاريخ، ط1، 2/ 137]، وتعرف اليوم منه مخطوطات أخرى [ششن، مخطوطات الطب، 16]. ويشتمل الكتاب على قسمين: في «علم الفصد وعمله»، أي الأمور النظرية اللازمة للطبيب الذي يقوم بالفصد، والأمور العملية، أي تفصيلات إجراء هذا التدخل الجراحي. في الباب الأول، «علم الفصد»، يذكر دواعي إجراء الفصد واستطباباته وشروطه، والأوقات المناسبة للقيام به، وإمكانية تكراره...الخ؛ 5 - روضة الألباء في أخبار الأطباء، مختارات من كتاب «عيون الأنباء في طبقات لأطباء» لابن أبي أصيبعة (ت 668هـ/ 1270م). ويقول المؤلف في خطبة الكتاب «..وبعد، فهذا المهمّ من كتاب عيون الأنباء في طبقات الأطباء...» مرتّب على ترتيبه وسميته بروضة الألباء في أخبار الأطباء». توجد منه نسخة وحيدة في المكتبة الظاهرية بدمشق برقم 10156 وصفها خالد الريان (1973)، ثمّ صلاح محمد الخيمي (1981) [الريان، 289-290؛ خيمي، 133-134]. وقد تبيّن لزعيم اندراوس أن هذا المخطوط المبتور الذي لم يبق منه إلا 9 أوراق يوجد جزؤه الآخر في مخطوط مجهول الاسم ومجهول المؤلف محفوظ كذلك في المكتبة الظاهرية تحت رقم آخر (6176)، وفيه 63 ورقة. وصفه كذلك المؤلفان اللذان وصفا الجزء الأول [الريان، 335-336؛ خيمي، 92-93]، وتقتصر اختيارات ابن الأكفاني من ابن أبي أصيبعة على نماذج مهمّة اختصرها اختصارًا كبيرًا من الأبواب الأولى من الكتاب. ففي المخطوط الأول (رقم 10156) تراجم مختارة ومختصرة من الأبواب الأربعة الأولى من كتاب ابن أبي أصيبعة تنتهي بترجمة ابن دقلس [خيمي 134؛ الريان، 390]. وفي المخطوط الثاني تبدأ التراجم بترجمة فيثاغوراس من الباب الرابع من كتاب ابن أبي أصيبعة، تليها تراجم من الأبواب 5-8، وآخرها ترجمة حنين بن إسحق [الريان، 335؛ خيمي، 92]. ومن التراجم التي اختصرها ابن الأكفاني، أبقراط، سقراط، أفلاطون، أرسطوطاليس، ثاوفرسطش، الاسكندر الافروديسي، جالينوس، الحارث بن كلدة، النضر بن الحارث، ابن أبي رمثة التميمي، وابن أبجر الكناني؛ 6 - بغية السائل في اختصار المسائل، وهو مختصر لكتاب حنين بن إسحق «مسائل في الطب للمتعلمين» [دار الكتب المصرية، قسم تيمور، الطب، رقم 20].

2 - العلوم الصحيحة:

7 - نخب الذخائر في أحوال الجواهر: هذا الكتاب ذكرته بعض المصادر [الصفدي، ابن قاضي شهبة، ابن حجر العسقلاني، حاجي خليفة..]. ووصلتنا منه مخطوطات محفوظة في باريس، وبيروت، والقاهرة [بروكلمان].

وغرض المؤلف منه تلخيص كلام الأقدمين والمتأخرين... في ذكر الجواهر النفيسة بأصنافها وصفاتها ومعادنها المعروفة، وقيمتها... وخواصها ومنافعها [الكرملي، شيخو]. وقد أتى في هذا الكتاب على ذكر 14 جوهرا ودرسها دراسة وافية. ومن مصادر هذا الكتاب: الكندي، والبيروني، والتيفاشي، وابن زهر، والغافقي، وغيرهم [الكرملي، شيخو]. وقد عرّف فيدمان [بروكلمان، وسارتون] بهذا الكتاب، ونشره الأب لويس شيخو [مجلة المشرق 1908، السنة 11، ص 751-765]. وحققه الأب أنستاس ماري الكرملي [بغداد 1939، مع تعليقات هامّة كتبها، عباس العزاوي، وروكس العزيزي]. ولعلّ هذا الكتاب هو ما قصده البغدادي تحت اسم «رسالة في الجوهر المعدني والحيواني، وأجناسه وأنواعه» [هدية العارفين، 5=2/ 155]؛ 8 - اللباب في الحساب: ذكره الصفدي وابن قاضي شهبة، وابن حجر، كما ذكر حاجي خليفة مخطوطة له في الآستانة [كشف الظنون، 2/ 1542]، وذكره بعد ذلك البغدادي. ووصف أسامة نقشبندي مخطوطة له في المتحف العراقي برقم 3435 [نقشبندي، مخطوطات الحساب والهندسة والجبر في مكتبة المتحف العراقي ببغداد، ص 125-126]. وهذا الكتاب لم يدرس بعد؛ 9 - الدرّ النظيم في أحوال العلوم والتعليم، انفرد حاجي خليفة بذكر هذا الكتاب وأشار إلى أنّه ينسب إلى ابن سينا [كشف الظنون، 1/ 736]، لكن البغدادي لم يذكره في إيضاح المكنون. وقد أكد بروكلمان نسبة الكتاب إلى ابن الأكفاني بدليل وجود مخطوطتين منه. وعلى ذلك فقد أورد الزركلي [الأعلام، ط4، 6/ 189] اسم هذا الكتاب باعتباره من مؤلفات ابن الأكفاني. وقد عرّف قوتهايل Gottheil بجزء من هذا الكتاب (عام 1932) [بروكلمان ط2، (1949)، 2/ 171 (137)].

وقد درس صالح مهدي عباس هذا الكتاب فتبيّن له أنّه من تأليف ابن الأكفاني، وعرض عناوين الكتب التي جاء ذكرها في هذا الكتاب على لسان ابن الأكفاني على أنّها من تأليفه، ويبلغ عددها سبعة عشر (17) كتابا في شتّى العلوم. منها في الطب «النكت على الأدوية المفردة لابن البيطار»، و«النورية في الكحل»، وفي الفلاحة «ثمرة الفلاحة»، وفي الكيمياء «رسالة في تصحيح أمر الكيمياء وما يجب أن يعتقد فيها»، وفي علم العدد «مختصر (شرح الأنطاكي على كتاب نيقوماخوس) في علم العدد».

ويذكر ابن الأكفاني أنه اختصر كتابين لأثير الدين الأبهري «تهذيب النكت» و«كشف الحقائق»، ولخص ثلاثة كتب في الطب: «قانون ابن سينا»، و «أدوية ابن البيطار»، و«تذكرة ابن السويدي»، وشرح «فصول أبقراط» في الطبّ، وكتب رسالة في طبّ العيون «النورية في الكحل»، كما لخّص أعمالا لأسامة بن منقذ «البديع»، والجزري

«جامع الأصول». والمراكشي «جامع المبادىء والغايات».

3 - العلوم الإنسانية:

11 - إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد، موسوعة تاريخية في العلوم الإسلامية، وهي من أهمّ المصادر في هذا المجال، ومن حيث المحتوى يعتبر مواصلة «للفهرست» لابن النديم. ويذكر فيه حوالي ستين علما وببلوغرافيا للمواضيع الأساسية. وإلى جانب احتوائه على تاريخ العلوم وتصنيفها فإنه تناول كذلك العلوم التي انتشرت حتّى ذلك العهد في بلاد الرافدين ومصر واليونان والعالم الإسلامي. ومن حيث المنهج فقد اتبع طريقة الفارابي في كتابه «إحصاء العلوم»، وابن سينا في «كتاب الحدود»؛ واتبع الغزالي وابن سينا في ما يتعلّق بالمصطلحات الفلسفية. بدأ ابن الأكفاني كتابه بمقدمة ومدخلين، وذكر في المقدمة الآداب التي ينبغي على طالب العلم أن يتحلّى بها، وذكر في المدخل الأول أهمّية العلم وقيمة العالم، وفي المدخل الثاني بيّن القواعد المنهجية في التعليم. بعد ذلك قام بتصنيف العلوم إلى علوم نظرية وأخرى عملية وقدّم تعريفا لكل علم، ثمّ أحصى العلوم ومجالات تطبيقها. وبعد التوسّع في كل فرع من فروعها يذكر العلماء الذين ساهموا في ذلك الفرع، وذكر أسماء ما يقرب من أربعمائة كتاب تناولت مستويات العلم (الأولى والمتوسط والمتقدم). وهذا الكتاب اكتسى طابعا ببليوغرافيا، وقد كان من أهمّ الكتب المتداولة خلال القرن الرابع عشر في القاهرة التي كانت تمثّل نقطة التقاء بين شرق العالم الإسلامي وغربه.

ومن أهمّ خصائص هذا الكتاب أنّه يبيّن الفروق الفلسفية والتقنية في العلوم الإسلامية في مختلف مراحلها. وهو مصدر مهم في مجال بيان تطور العلوم التطبيقية، ويعتبر «إرشاد القاصد» في هذا المجال مرجعا للأعمال التي كتبت في مراحل لاحقة. وظهر هذا الكتاب باسم كتاب «الدر النظيم في أحوال العلوم والتعليم» في أوساط اليهود العرب دون أن يذكر عليه اسمه. وقد اعتمد أحمد بن عمر بن هلال المالكي الربعي في تأليف كتابه الدر النظيم في بيان حصر العلوم على كتاب إرشاد القاصد. وقد أخذ منه القلقشندي في كتابه «صبح الأعشى» قسما كبيرا [ق، 467-481]. واحتوى كتاب طاش كبري زاده في ما يتعلّق بتصنيف العلوم والمسمّى «مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم» في مجلده الأول بترجمته التركية والمسمى «موضوعات العلوم» على قسم كبير من إرشاد القاصد. وقد اعتمد كتاب جلبي في كتابة كشف الظنون وطاش كبري زاده في مختصر مفتاح السعادة والمسمّى «كواكب السماء» اعتمادا كبيرا على هذا الكتاب، وقد استفاد صديق حسن خان في كتابه «أبجد العلوم» من كتاب «إرشاد القاصد» لابن الأكفاني شأنه في ذلك شأن كاتب جلبي وطاش كبري زاده. وفي الفترة المعاصرة يلاحظ أن ويدمان في أعماله المتعلّقة بتاريخ العلوم الإسلامية اعتمد اعتمادا كبيرا على هذا الكتاب:

- Aufsatze zur arabischen Wissenchaftsgeschichte ed. W.Fisher, Hildesheim, 1970, s. 589-595.

ويبلغ عدد نسخ الكتاب حوالي أربعين نسخة

مخطوطة يوجد أغلبها في مكتبات استنبول. وقد نشر الكتاب مع ترجمته الإنجليزية من قبل أليوس اسبرنجر (كلكوتا 1849)، ومحمود أبو النصر (القاهرة 1318هـ/ 1900م)، وم. سليم الآمدي البخاري (بيروت 1904)، وعبد الله اللطيف محمد العبد (القاهرة 1878)، وعبد المؤمن محمد عمر (القاهرة 1990) ومحمد عوامة (جدة 1414هـ/ 1994م). وقد ترجم أ. شلواح القسم المتعلّق بالموسيقى إلى اللغة الفرنسية [يوفال، ق، 1968، ص 221-248]، ونشره جانوريوس جوسطوس ويدكامده مع دراسة نقدية مترجما إلى اللغة الدنماركية

- Die Egyptische Arts Ibn al-Akfânî, gest. 749/1348, En zijn Indeling van de wetenschappen, Leiden, 1989.

12 - رسالة في آداب صحبة الملك: ويتحدث هذا الكتاب عن أهميّة مجالسة الحكام وآدابها في إطار أدب الإسلام السياسي مع الأعراف الإيرانية واليونانية والهندية [مكتبة السليمانية، قسم آيا صوفيا، رقم 2828، ورق 1 (أ)- 14 (أ)].

13 - النظر والتحقيق في تقليب الرقيق: لم تذكر المصادر هذا الكتاب في جملة مؤلفات ابن الأكفاني، لكن إحدى مخطوطات الكتاب عثر عليها في باريس برقم 3/ 2234 [بروكلمان، 2/ 82؛ الملحق، 2/ 169؛ وريتر Ritter، في مجلة "الإسلام" Islam (1917)، مج 7، ص 24]، لفتت الأنظار إلى هذا التأليف، ثمّ تعرّف العلماء على كتاب آخر لمحمود بن أحمد الأمشاطي (ت 903هـ/ 1492م) كتبه عام 883هـ/ 1478م بعنوان "القول السديد في اختيار الإماء والعبيد" [منه مخطوط في غوتا Gotha برقم 1237؛ بروكلمان، الملحق، 2/ 169؛ وأولمان Ullmann، ص 193؛ ومخطوط آخر في كامبريدج Cambridge برقم 2/ 31؛ راجع أولمان وآربري Arbery]. ما هو في حقيقة الأمر إلا إخراج جديد لكتاب ابن الأكفاني. وكان الصفدي - تلميذه - قد نوّه بمقدرة أستاذه في هذا الحقل [الوافي ...، 2/ 27]. ومن المعروف أن الكتابة في هذا الموضوع تقليد قديم عند الأطباء العرب (مثلا ابن بطلان في شرى الرقيق).

14 - إكمال السياسة في علم الفراسة: مؤلف يتكوّن من ديباجة ومقدمة وثمانية عشر فصلا وخاتمة، ومن المصادر التي استخدمها في مؤلفه هذا كتب أرسطو، وهبوقراط، ومحمد ابن زكريا الرازي، وفخر الدين الرازي، والإمام الشافعي، ومحيي الدين بن عربي. وحسب ابن الأكفاني فإن لكل قوم مزاجا خاصا بهم وأخلاقهم تتطور وفق هذا المزاج، ومن هذه الأمم ما تكون حضرية مثل شعوب الهند والصين والفرس والروم، ومنها ما تكون بمثابة الرحل مثل الأتراك والعرب، ولا يختلف الأمر عند كليهما [مكتبة السليمانية، قسم آياصوفيا، رقم 3782، ورق 1ب- 33ب].

ومن مؤلفات ابن الأكفاني الأخرى كتيب "اللباب في الحساب" [بغداد، المتحف العراقي، رقم 3435]، وقد اختصر كتاب النوفوي "كتاب الأذكار" تحت عنوان "لوامع الأنوار في تلخيص الأذكار" [مكتبة كوبريلي،

قسم فاضل أحمد باشا، رقم 46، ورق 130-150]. كما أن له كتابا في الكيمياء وآخر في الشعر [إرشاد القاصد، مقدمة الناشر، ص 50-108].

المصادر والمراجع

● ابن الأكفاني، إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد (نشر ج.ج. ويدكام)، ليدن 1989، مقدمة الناشر، ص 11- 170؛ ● الصفدي، الوافي، ويسبدن 1381/ 1962، II/ 25-27؛ ● القلقشندي، صبح الأعشى، القاهرة 1910 - 1920، I/ 467-481؛ ● المقريزي، كتاب السلوك، نشر محمد مصطفى زيادة وسعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة، 1957-1973، III/ 2، 797؛ ● المؤلف نفسه، المقفى الكبير، نشر محمد اليعلاوي، بيروت 1411/ 1991، V/ 71-73؛ ● ابن حجر، الدرر الكامنة، حيدر آباد، 1350-1348، III/ 279 ـ 280؛ ● أحمد عيسى، معجم الأطباء، بيروت 1361/ 1942، ص 254-257؛ ● فهرس المخطوطات الطبية الإسلامية في مكتبات تركيا، إستانبول 1404/ 1984، ص 10-15.

● Brockelmann, Geschichte der Arabischen Litteratur, Leiden, 1943-1949, II, 100, 171; Supplement Band, II, 93, 169.; ● George Sarton, Introduction to the History of Science, London 1961, III, 899-901; ● Malfred Ulmann, Die Medizin im Islam, Leiden, 1970, s. 179; ● Ramazan Sesen-Cemil Akpinar-Cevad Izgi; U.Resbstok, Rechnen im islamischen Orient, Darmstadt 1992, s.36-37; ● j.j Witkam, «Ibn al akfâni (d.749/ 1348) and his Bibliography of the Sciences», Manuscripts of the Middle East, II, Leiden. 1987, s. 37-41; ● J.J. Wistkam «Ibn al-Akfani», Encyclopedia of Islam (Supplement), s.381; ● Ihsan Fazlioglu, «Ibnü l-Ekfânî», Türkiye Diyanet vakfi Islam Ansiklopedisi, Istambul, 2000, XXI, 22-24.

د. أحمد أوزال
جامعة استنبول - تركيا
د. نشأت حمارنة
طبيب كحال - دمشق

ابن الأكفاني، أبو محمد هبة الله بن أحمد

(444 هـ / 1052 م - 524 هـ / 1129 م)

الشيخ الإمام الحافظ مفيد الشام أبو محمد هبة الله بن أحمد الدمشقي الشافعي المعدل المعروف بابن الأكفاني نسبة إلى بيع الأكفان؛ محدث حافظ، وفقيه مؤرخ. ولد بمدينة دمشق سنة 444 هـ. بدأ بطلب العلم وهو ابن تسع سنين، وكان والده من أوائل من تتلمذ عليهم، وسرعان ما أخذ العلم عن أكابر أساتذة زمانه مثل أبي القاسم الحنائي، وأبي الحسين محمد بن مكي، وعبد الدائم بن الحسن الهلالي، وأبي بكر بن الخطيب، وعبد العزيز الكتاني، الذي لازمه مدة طويلة وأخذ عنه الكثير من الروايات التاريخية خاصة، إضافة إلى أبي نصر بن طلاب، وأبي الحسن بن أبي الحديد، وطاهر بن أحمد القايني، وعبد الجبار بن برزة الواعظ، وأبي القاسم بن أبي العلاء [الذهبي، سير الأعلام، 19/ 577]، وأبي منصور بن زريق، وأبي الفتح بن تميم، وأبي منصور بن خيرون، وعبد العزيز البرزي القارىء، وعلي ابن الحسين بن أحمد بن صصرى. كما تفقه على يدي القاضي المروزي مدة [ابن عساكر، تاريخ دمشق، 6/ 43، 51، 289، 331]. وهكذا نجد أن ابن الأكفاني كان طالبًا مثابرًا في الأخذ عن الشيوخ المشهود لهم بالرسوخ في العلم، فضلاً عن قيامه بالرحلة إليهم، ولولا هذه الرحلة لما وصل إلى ما وصل إليه من شهرة وثقة في بلاد الشام وخارجها إلى ما يجاورها من بلاد دار الإسلام.

أما أبرز من أخذ عنه فكانوا كما يشير الذهبي: غيث الأرمنازي، وعالم الأندلس أبا بكر بن العربي، وأبا طاهر السلفي الحافظ المشهور وعالم الإسكندرية في زمانه، ومحدث الشام وعالمه ومؤرخه ابن عساكر صاحب تاريخ دمشق، وأخاه الصائن، وعبد الرزاق النجار وإسماعيل بن الجنزوي، وأبا طاهر الخشوعي. ويشير ابن خلكان إلى أن الخشوعي كان آخر من انفرد بالسماع والإجازة عنه [ابن خلكان، وفيات الأعيان، 1/ 269].

وإذا ما رجعنا إلى روايات ابن الأكفاني التي أخذها عنه ابن عساكر في تاريخه الكبير عن دمشق فإننا نجد نقولات كثيرة تلفت الانتباه، ويسمّيه شيخنا وينقل عنه بصورة مباشرة سماعًا تارة ونقلاً عن كتابه تارة أخرى، والذي سيرد الحديث عنه لاحقًا. أما طبيعة المادة التاريخية فتتعلّق تارة بتاريخ بني أميّة وخلفائهم، وتارة برجال الحديث والفقه في مدينة دمشق. وتمتاز رواياته عن بني أميّة بإسنادها الجيد وهي روايات معتدلة ومنصفة وواقعيّة، تفند روايات بعض الإخباريين الذين أساؤوا إلى تلك الحقبة المهمّة جدًا من تاريخنا، وهي تتناول مواضيع مختلفة على صعيد السياسة والاجتماع والاقتصاد والأدب.

وإذا كان ابن الأكفاني قد برع في ميدان الحديث والتاريخ فيبدو أنه لم يرزق التوفيق نفسه في الفقه [الأسنوي، طبقات الشافعية، 1/ 102-103]، ولا يقدح ذلك في علمه ومنزلته.

أما عن مصادر الرزق التي اعتمدها في حياته فقد أشار الذهبي إلى أنّه كان ينظر في الأوقاف إضافة إلى كونه أحد العدول في الجهاز القضائي، والعدل كما هو معروف يزكي الشهود. وكان منصب ناظر الأوقاف الذي يشرف إداريًا على أملاك الوقف، يوفر لصاحبه ميراثًا طيّبًا. ومن الجدير ذكره أنّ المصادر لم تشر إلى أي علاقة كانت تربط ابن الأكفاني بحكام عصره، لاسيما حكام دمشق في العصر السلجوقي، وخاصة أتابكة دمشق من آل طغتكين، في زمن كانت فيه دمشق تمثل عاصمة خط الجبهة الأمامية باتجاه أكبر ممالك الصليبيين في الأرض المقدسة، وهي مملكة بيت المقدس. وقد توفي ابن الأكفاني في سادس محرم الحرام سنة 524 هـ/ 1129 م عن عمر بلغ ثمانين سنة.

آثاره

1 - جامع الوفيات، وهو ذيل على ذيل الوفيات الذي وضعه شيخه الكتاني، وقد وصل به إلى سنة 485 هـ/ 1092م؛ 2 - تتمة تاريخ داريا وتسمية من حدث من أهلها، وقد أخذ ابن عساكر في تاريخه عن هذه التتمة، وتوجد نسخة منه في المتحف البريطاني، إضافة إلى نسخة مكتبة جامع الزيتونة بتونس. وقد نشر التتمة سعيد الأفغاني بعنوان «الزيادة على تاريخ داريا»، والكتاب كما هو معروف لعبد الجبار الخولاني؛ 3 - كتاب آخر في التاريخ مفقود [المنجّد، المؤرخون الدمشقيون وآثارهم، ص19].

المصادر والمراجع

● ابن عساكر، تاريخ دمشق، تح. سكينة الشهابي، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية، 1414 هـ/ 1993م، 43/ 5-6، 51، 54، 168 ـ 169، 256، 258، 266، 289، 331؛ ● ابن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب، بغداد د.ت، مكتبة المثنى، 1/ 81؛ ● ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح. إحسان عباس، بيروت 1398 هـ/ 1978م، دار صادر، 1/ 269، 5/ 164؛ ● الذهبي، سير أعلام النبلاء، تح. شعيب الأرنؤوط ونعيم العرقسوسي، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1406هـ/ 1986م، 20/ 555؛ ● م.ن، العبر في خبر من غبر، تح. صلاح الدين المنجد، الكويت، وزارة الإرشاد، 1963، 4/ 63؛ ● الأسنوي، طبقات الشافعية، تح. عبد الله الجبوري، بغداد، مطبعة الإرشاد، 1390 هـ/ 1970م: 1/ 102-103؛ ● ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د. ت، 4/ 73؛ ● حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، طهران، المكتبة الإسلامية، 1387 هـ/ 1947م، 2/ 2019؛ ● كحالة، معجم المؤلفين، دمشق، مطبعة

الترقي، 1376 هـ/ 1957م، 13/ 134؛
● الزركلي، الأعلام، ط 14، بيروت 1969، دار العلم للملايين، 8/ 70-71؛
● المنجد، المؤرخون الدمشقيون وآثارهم المخطوطة من القرن الثالث الهجري إلى نهاية القرن العاشر، القاهرة 1956، مطبعة مصر، ص 19.

د. رعد محمود البرهاوي

دار المعلمات الموصل - العراق

أكنسوس، محمد بن أحمد

(1211هـ / 1776 م - 1294 هـ/ 1877م)

هو أكنسوس محمد بن أحمد، عرف بأكنسوس، وبكنسوس، وبالكنسوسي، وبالكنسوس، وتعني هذه الكلمة أنّه من "إذاوكنسوس" إحدى قبائل سوس العريقة، ولد بقبيلة "تنمرت" ونشأ فيها على عفاف وصيانة، تيتّم من أبيه وهو صغير، وما إن أدرك وميّز حتّى غادر مسقط رأسه إلى الزّاوية النّاصريّة حيث أخواله، فحفظ القرآن الكريم، واستظهر أمّهات الكتب، ثمّ شدّ الرّحلة إلى مدينة فاس عام 1229هـ / 1913م، وانكبّ على التّحصيل والاستفادة، يتنقّل بين حلقات الدّروس، حتّى صارت له المشاركة الواسعة في مختلف العلوم والفنون.

فلم تمض عليه زهاء ثماني سنوات حتّى أشير إليه بالأصابع، وعدّ من ذوي الفهم والتّحصيل، والمميّزين بالإدراك. ومن شيوخه نذكر: العلاّمة محمد بن عبد السّلام النّاصري؛ والعلاّمة حمدون بن الحاج؛ والعلاّمة محمد بن عمرو الزروالي؛ ومحمد ابن عامر التادلي؛ والعلاّمة محمد بن المعطي السرغيني.

وفي هذه الأثناء تعرّف بالوزير ابن إدريس العمراوي، وكان شابا مثله يمرح في أرجاء القرويّين مقتبسا مشكاة مشائخها الأعلام، واشتركا في الطّلب، وجرت بينهما مساجلات أدبيّة. ونبغ أكنسوس في عدّة علوم: كالنّحو، واللّغة، والأدب، والتّاريخ، والحساب، والتّوقيت. وكان له نظر في بعض العلوم الرّوحانيّة كسرّ الحرف والجدول، والتّصوّف. وهذه الأخيرة هي الّتي أكسبته تقدير الجمهور، واحترام العامّة. ثمّ كان له شدو في الطّبابة، كما كانت له معرفة بالكيمياء، وتخرّج عليه مجموعة من الطّلبة أصبحوا من ذوي العلم والجاه.

استكتب عند المولى سليمان، ثمّ استوزره في آخر عمره، والدّولة يومئذ تعيش أزمات بالغة الشدّة، فكان يعهد إليه بالمهمّات الصّعاب فيضطلع بها في أحسن حال، وكمال كفاية. ومع موت المولى سليمان ومجيء المولى عبد الرّحمن تنتهي مهمّة أكنسوس بسبب الوشاة والحسّاد؛ فينكبّ، وقد أشخص إلى مرّاكش وبقي مغضوبا عليه من طرف السّلطان، مدّة كان عائذا فيها بضريح الوليّ الصّالح مولاي

عبد الله الغزواني، وفي بعض زيارات السّلطان للوليّ المذكور رآه هناك، وتطارح هو عليه مستعطفا، فرقّ له وسامحه، وبقي بمرّاكش يحيى حياة النسّك والعبادة، سالكا سبل الحكماء والزّهّاد، معظّما من العموم والخصوص.

انتمى أكنسوس إلى الطّريقة التّجانيّة، وصار من أحسن الدّعاة إليها، ومن أقوى أنصارها، المنافحين عنها، وقد انتشرت في إقليم السوس بمساعيه الحميدة، وعمله الدّائب في الدّعوة إليها، والتّمهيد لها. ومن جدّه في ترسيخ الطّريقة التّجانيّة، وتثبيت أقدامها أن أسّس لها بحيّ المواسين من مرّاكش عام 1262هـ / 1849م زاوية كانت مجمّع الذّاكرين.

كما تميّز أكنسوس بمؤهّلات المؤرّخ الحاذق البصير، ونثره في التّاريخ كما في بعض رسائله الأخرى قويّ، متين السبك، ينمّ على ثروة لغويّة طائلة، ومحفوظ عظيم من أمثال العرب وأشعارهم.

أمّا أكنسوس الشّاعر فقد بدأ يقرض الشّعر في مطلع شبابه، ولمّا تتجاوز سنّه الثّامنة عشرة؛ ثمّ تمادى ينظمه طوال ستّين سنة أو تزيد، كان طبقة عصره غير مزاحم، وقد طغى على شعره المدح، والتّهنئة والرّثاء، والوصف، والأمداح النّبويّة وذكر الأماكن المقدّسة، وبعض الأشعار الصوفيّة الّتي أشاد فيها بفضائل الطّريقة التّجانيّة.

وعلى العموم فأسلوبه يمتاز بتركيب قويّ، مع الوضوح، وثروة لغويّة نادرة، وأمثال واستطراد أبيات من أشهر القصائد الشّعريّة.

توفّي بمرّاكش وأقبر بضريح الإمام عبد الرّحمن السهيلي خارج باب الرُّبّ.

آثاره

1 - الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي، كتبه بإشارة من السّلطان المولى محمد بن عبد الرحمن، وبتأكيد من وزيره محمد الطيب بن اليماني، وقد رتّبه ترتيبا غريبا، ونسّقه نسقا عجيبا، فجعله على نظام الخميس، وهو الجيش المركّب من خمسة أقسام؛ مقدّمة، وساقة، وجناحان، وقلب. ولهذا سمّاه الاسم الّذي ربّما كان متأثرا فيه بالقاضي حسين بن محمد الدّيار بكري المتوفى في سنة 1860 صاحب كتاب «الخميس» المعروف في التّاريخ [أنظر هذا التاريخ في كشف الظنون، 1/ 725].

فالمقدّمة في الأوّليات وحقيقة الإمامة العظمى، وفضلها وحكمها شرعا، والفرق بينها وبين الخلافة وبين الملك.

الجناح الأيمن، في دول المشرق يشتمل على ذكر النّبي ﷺ والخلفاء الرّاشدين، وبني أميّة، والعبّاسيّين، والفاطميّين، والأتراك العثمانيّين.

الجناح الأيسر، في دول المغرب يشتمل على الأدارسة، والأمويّين بالأندلس، والمرابطين، والموحّدين، والحفصيّين بإفريقيا، والمرينيّين، والسعديّين، ولكن بتلميح وإشارة فقط كالسّابق.

القلب، في الدّولة العلويّة الّتي هي المقصود بالذّات.

والسّاقة، في سياسة الملك، وتدبيره وأعوان الملك من وزراء وكتّاب وغيرهم، وما يتعلّق بذلك، وقد ضمّنها تراجم بعض وزراء السّلطان ورجال القصر في عصره.

ثمّ إنّ هذه الأقسام ما عدا المقدّمة والسّاقة تشتمل على ألوية كبار، وتحت كلّ لواء رايات صغار، فيقصد باللّواء الدّولة، والرّاية الملك، وكلّ منها ملوّن بلون يلائم حالة من نسب إليه، ودُلّ به عليه.
طبع طبعة حجريّة عام 1336 هـ/ 1919م، في جزأين، ثمّ بالمطبعة والوراقة الوطنيّة، مـرّاكـش، عـام 1421 هــ/ 2000 م؛
2 الجواب المسكت: كتبه دفاعا عن الطّريقة التّجانيّة، وردّا على الشّيخ أحمد بن محمد بن المختار البكاري فيما قاله بشأنها، وشأن شيخها. طبع بالمطبعة التّونسيّة الرّسميّة، عام 1307هـ، ثمّ بالجزائر، سنة 1331 هـ/ 1913م؛ 3 - الحلل الزنجفوريّة في أجوبة الأسئلة الطيفوريّة: طبع بالمطبعة التّونسيّة الرّسميّة، عام 1312هـ - 1894 م؛ 4 - المقامة الكنسوسيّة: وهي طويلة النّفس. قمت بتحقيقها ونشرها في مجلّة البحث العلمي الصّادرة عن المعهد الجامعي للبحث العلمي، عدد 39، ص 165، سنة 1989 م؛ 5 - تصحيح الغيث الّذي انسجم في شرح لامية العجم؛ 6 - تحقيق القاموس المحيط، توجد نسخة مخطوطة بالخزانة الحسنيّة بالرّباط؛ 7 - حسام الانتصار في وزارة بني عشرين الأنصار: عرّف فيه بالوزير محمد الطيب بن اليمامي بوعشرين؛ 8 - خمائل الورد والنّسرين في بيت أبناء عشرين: ذكر فيه الأمداح الّتي قيلت في الوزير ابن عشرين؛ 9- الأجوبة التّونسيّة؛ 10- تأليف في علم الكيمياء؛ 11 - شرح قصيدة الزياني في مسألة قطع الفتوى بفاس ونواحيها، مخطوط؛ 12 - رسالة في موضوع الاغتسال بحمة مولاي يعقوب، وقضيّة الذّبائح والوعدات، مخطوط بالخزانة العامّة بالرّباط؛ 13 - ديوان شعر، مخطوط عند أحد حفدته.
إلى جانب رسائل وطرر على الكتب.

المصادر والمراجع

● النّاصري، أحمد بن خالد، الاستقصا، 6/ 65، تح. جعفر النّاصري ومحمد النّاصري، دار الكتاب، الدّار البيضاء، 1956م؛ ● التعارجي، عباس بن إبراهيم، الإعلام بمن حلّ بمرّاكش وأغمات من الأعلام، 7/ 8، تح. عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكيّة، الرّباط، 1977م؛ ● السرغيني، محمد بن المعطي، حديقة الأزهار في ذكر معتمدي من الأخيار، مخطوط بالخزانة العامّة بالرّباط، وبمرّاكش نسخ عند بعض العائلات؛ ● الأخضر، محمد، الحياة الأدبيّة في المغرب على عهد الدّولة العلويّة، ص 431، دار الرّشاد الحديثة البيضاء، 1977م؛ ● كنون، عبد الله، ذكريات مشاهير المغرب، عدد 4، دار الكتاب اللّبناني، بيروت، 1961م؛ ● رفع النّقاب بعد كشف الحجاب عمّن تلاقى مع التّجاني من الأصحاب، الرّبع الثّاني، طبعة تطوان؛ ● أحمد الشنقيطي، روض شمائل أهل الحديقة في التّعريف بأكابر أهل الطّريقة، مخطوط؛ ● الموقت، محمد، السّعادة الأبديّة في التّعريف بمشاهير الحضرة المرّاكشيّة، 2/ 105، طبعة حجريّة، فاس، 1918م؛ ● غريط، محمد، فواصل الجمان، ص7، المطبعة الجديدة، فاس، 1346هـ؛ ● كحالة، عمر رضا، معجم المؤلّفين، 8/ 310،

مكتبة المثنّى، بيروت؛ ودار إحياء التراث العربي، بيروت، 1957م؛ ● ليفي بروفنسال، مؤرّخو الشرفاء، ص 136، تعريب عبد القادر الخلاّدي، دار المغرب للتأليف والترجمة والنّشر، الرّباط، 1977م؛ ● عبد العزيز بن عبد الله، الموسوعة المغربيّة للأعلام البشريّة والحضاريّة، 2/ 127، مطبعة فضالة، المحمّديّة، 1981م.

د. أحمد متفكر
جامعة القاضي عياض - المغرب

الأكوع، محمد بن علي بن حسين

(1321هـ / 1903 م - 1419 هـ/ 1998م)

محمد بن علي بن حسين بن أحمد بن عبد الله الأكوع: عالمٌ في الفقه والفرائض، مبرزٌ في علوم العربيّة، لغوي، كاتب مسترسل، له شعر قليل، ولكنّه لا يرقى إلى مستوى نثره، واسع المعرفة بتاريخ اليمن في العصر الإسلامي، مع اطّلاع بتاريخ الإسلام بعامّة، حاضر الذّهن، سريع الإجابة، يتمتّع بذاكرة نادرة تلبّي حاجة السّائل إلى معرفة ما سأل عنه من مسائل علمية أو تراجم أو نحو ذلك في مصادرها.

كما كان لا ينكر معرفة من سبق له به معرفة مهما تقادم عهدها فإنّه يذكره في الغالب حتّى بعد أن بلغ من عمره مرحلة من لا يعلم من بعد علم شيئًا، ذلك لأنّ رحمة الله تداركته فلم يُصب بهذه العاهة، وظلّ يتمتّع بذاكرته النّادرة حتّى يوم وفاته.مولده في ذمار يوم الثلاثاء 14 شهر رمضان سنة 1321هـ الموافق لـ 3/ 12/ 1903م، ووفاته في صنعاء بعد ظهيرة يوم السّبت 24 رجب 1419هـ الموافق لـ 13 نوفمبر 1998م.

رافق أباه حينما ذهب إلى مدينة إبّ سنة 1341هـ / 1923م بتكليف من الإمام يحيى ابن محمد حميد الدين ليتولّى التّدريس في «رباط الغيثي» الّذي بناه جلال الدين محمد ابن علي بن بشر بن مطرف الهَمْداني الملقّب بالغيثي من أعيان المائة الثّامنة للهجرة.

ولمّا لم تطب الإقامة لوالده في إبّ عاد من عامه هذا إلى ذمار، وأناب عنه في التّدريس ابنه الّذي لم يتجاوز عمره عشرين عامًا فنهض بهذا الأمر على الوجه المطلوب، وكان في الوقت نفسه يدرس لدى كبير العلماء القاضي يحيى بن محمد الأرياني الّذي ولاّه الإمام يحيى القضاء في إبّ، فانتفع به كثيرًا حتّى صار علمًا يشار إليه، ومرجعًا يعتمد عليه.

رحل إلى عدن المستعمرة البريطانيّة سابقا سنة 1356 هـ / 1937 م لزيارتها، فرأى فيها بعض مظاهر الحياة الحديثة من إنارتها بالكهرباء، ومدّ المياه إلى منازلها، وتعبيد طرقاتها وشوارعها، كما كان يوجد فيها مكتبات لبيع الكتب لا مثيل لها في مدن اليمن

الأخرى الّتي لم تظهر فيها مثل هذه المكتبات إلاّ في العهد الجمهوري، فاشترى منها بعض أمّهات كتب الحديث، وبعض دواوين الشّعراء المشهورين، كما اشترى كثيرا من كتب زعماء النّهضة الحديثة مثل جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، ومحمد رشيد رضا، وشكيب أرسلان، وعبد الرحمن الكواكبي، وغيرهم، واشترك في جريدة «الشّباب» الّتي كان يصدرها المجاهد الفلسطيني محمد علي الطاهر فتوسّعت معارفه وتنوّعت ثقافته فانعكس ذلك على طلاّبه، ولاسيّما المتفوّقين منهم الّذين جمعوا بين الثّقافتين الإسلاميّة التّقليديّة والعصريّة، فتكشف لهم حالُ اليمن وما تعانيه في ظلّ حكم الإمام يحيى حميد الدين والحكّام من أولاده من ظلم وجهل، وزادهم يقينا بظلم هؤلاء الحكّام تحويل الأمير الحسن بن الإمام يحيى حاكم لواء إبّ أوقاف هذا الرّباط عن مصارفها الّتي سُبّلت لأجلها فتعطّل الرّباط وشُلّت يدُ مدرّسه من مواصلة رسالته التّعليميّة، فكان هذا دافعا للمترجم له للتّفرّغ للعمل السّياسي، ولاسيّما بعد أن فشت المجاعة الّتي حدثت سنة 1362هـ/ 1943م في لواء إبّ، وبلاد مغارب صنعاء وحجّة والشّرفين فقضت على الآلاف من النّاس الّذين ماتوا جوعا، بينما كانت مخازن الدّولة تفهق بأنواع شتّى من الغلال الّتي جُمعت إليها باسم الزّكاة، مع أنّها لو أنفقت على ذوي الحاجة آنذاك لما اشتكى أحد من مخمصة الجوع والفاقة؛ لذلك فقد كوّن صاحب التّرجمة مع آخرين من كبار العلماء أمثال القاضي عبد الرحمن بن يحيى الأرياني رئيس المجلس الجمهوري السّابق، ورؤساء العشائر مثل الفيلسوف الشّيخ حسن ابن محمد الدعيس، وأعيان لواء إبّ (جمعيّة الإصلاح للأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر) وجعلت مدينة إبّ مقرّا لها، وقد اختير المترجم له رئيسًا للجمعيّة، كما اختار كل عضو لنفسه اسمًا حركيا ذا مدلول تاريخي على النّزعة القحطانيّة.

وبدأ اتّصال هذه الجمعيّة بالأحرار الّذين لجأوا إلى عدن، وعلى رأسهم أحمد محمد نعمان ومحمد محمود الزبيري فِرارًا من ظلم الإمام يحيى وأولاده، كما قويت صلة هذه الجمعيّة بالأحرار في صنعاء وذمار وغيرهما. وما هي إلاّ أشهر قلائل حتّى ظهر كُتيّبٌ بعنوان «برنامج الأحرار» طبع في عدن وصُدّر بالبيتين الشّهيرين لشاعر اليمن الزبيري:

إن الأنين الّذي كنا نردّده
سرّا غدا صيحةً تصغي لها الأممُ
والحقّ يبدأ في آهات مكتئبٍ
وينتهي بزئيرٍ ملؤه نقمُ

فانتشر في إبّ ويريم وذمار وصنعاء وبعض الأسواق العامّة في نواحي إبّ في أوقات متقاربة، ففزع الإمام يحيى وولداه الحسن حاكم لواء إبّ، وأحمد (وليّ العهد) حاكم لواء تعز، وأجمعوا أمرهم على اعتقال الأحرار في إبّ ونواحيها، وفي تعز ونواحيها وفي ذمار وبعض الأحرار في صنعاء، وتمّ ذلك في شوال سنة 1363هـ/ 1944م وسيق أحرار كلّ منطقة مصفّدين بالأغلال، وهم يمشون على أقدامهم إلى تعز، ومنها أرسلوا مكبّلين في القيود إلى سجون حجة، وبقي المترجم له في سجنها إلى أن أفرج عنه يوم 21 جمادى الأولى سنة 1366هـ / 1947م فاستأنف نشاطه

الوطني بحذر وكتمان، حتّى قُتل الإمام يحيى في صنعاء يوم الثّلاثاء 7 ربيع الآخر سنة 1367هـ الموافق لـ 17/ 02/ 1948م وقامت الحكومة الدّستوريّة بزعامة الإمام عبد اللّه بن أحمد الوزير، والّتي لم تدم سوى ثلاثة وعشرين يوما، ثمّ سقطت صنعاء تحت معاول جحافل القبائل الّتي أغريت بنهب صنعاء مقابل أن تقضي على الحكومة الدّستوريّة وتعتقل إمامها والأحرار جميعا، وحدث لبعض المدن الأخرى الشّيء نفسه.

وتمّ اعتقال المترجم له في إبّ بعد أن حاول الفرار من وجه الجنود المحيطين ببيته فوثب من السّطح إلى الأرض، وحصل في إحدى قدميه شطْر (شُرخ) في عظمها فحُمِل إلى (القاعدة) على حمار، ومنها بالسّيّارة مع زملائه إلى تعز، ثمّ أرسل مع المجموعة الّتي تمّ اعتقالها في إبّ مع من اعتقل في تعز وغيرهما إلى حجة فعانوا من تكبيلهم بالقيود الثّقيلة وحشرهم في غُرف مظلمة، وترويعهم يوميّا بقتلهم وبأشدّ العذاب، ولا سيّما في السّنوات الأولى من سجنهم، وذلك حينما كان الإمام أحمد يأمر جلاّده بقطع رقاب من يريد قتله منهم بغير حُكْم. فكان كل واحد من السّجناء ينتظر أن يأتي عليه الاختيار لقتله. ولم يقتصر هذا الإحساس على كبار السجناء الّذين كانت لهم مشاركة قويّة في قيام الثّورة الدّستوريّة فحسب، بل كان هذا الإحساس عامّا لدى جميع السّجناء حتّى الّذين حُبسوا خطأ فإنّهم كانوا يشعرون بالخوف. واستمرّت هذه الحال حتّى أشفى الإمامُ غيظه ممّن اعتبرهم خصومًا ألدّاء له.

ثمّ بدأ يلين شيئًا فشيئًا نحو السّجناء فسمح لهم باستقدام بعض الكتب للقراءة والتّدريس فتحوّل سجن قاعدة حجة بعد فترة إلى مدرسة تدار فيها المذاكرة العلميّة، والمطارحة الأدبيّة، فتعلّم بعض المسجونين الخطابة وقول الشّعر، وقام صاحب هذه التّرجمة بتدريس علوم اللّغة العربيّة للرّاغبين منهم، كما أنّه قام بتحقيق الجزء العاشر من الإكليل.

وظلّ على هذه الحال حتّى شعبان سنة 1374هـ/ 1955م، وذلك حينما تمّ الإفراج عنه وعن بقيّة المعتقلين بأمر من الأمير البدر محمد الّذي جاء إلى حجّة ومعه الأستاذ أحمد محمد نعمان لينجد أباه الإمام أحمد المحصور في قصره في تعز من قبل الجيش بقيادة المقدّم أحمد يحيى الثُلايي، وذلك ليتنازل عن المُلك لأخيه عبد اللّه بن الإمام يحيى؛ فنصح الأستاذ النعمان البدرَ بأن يطلق سراح المعتقلين ليقود بعضهم من مشايخ القبائل له القبائل الّتي استُدعيت إلى حجة للذّهاب إلى تعز لفكّ الحصار عن الإمام الّذي كان قد تمكّن من كسر طوق الحصار عليه، وخرج يصول ويجول، ويأمر جلاّده بقطع رؤوس من سعى لتنازله عن عرشه.

ولاّه الإمام أحمد القضاء في ناحية «ذي السفال» واستمرّ فيه إلى أن قامت الثّورة الجمهوريّة سنة 1382هـ / 1962م فعيّن نائبا لوزير العدل، ثمّ وزيرًا له، ثمّ وزيرًا للأوقاف، فوزيرًا للأعلام، ثمّ رئيسًا للجنة التّأليف والنّشر، وخلال تقلّده هذه المناصب كان يشيد بمحاسن النّظام الجمهوري، ويدافع عنه بالقلم واللّسان في الاجتماعات الّتي يعقدها قادة هذا النّظام في صنعاء وفي غيرها من المدن والمناطق المختلفة الّتي كانت تضمّ ممثّلي القبائل الموالية للجمهوريّة، كما

حضر مؤتمر حرض الّذي انعقد سنة 1966م والّذي دعا إلى انعقاده الرّئيس جمال عبد النّاصر والملك فيصل لحلّ مشكلة الحرب بين أنصار النّظام الجمهوري الذين كانوا يصرّون على التّمسّك به والنّظام الملكي الّذي كان يصرّ على التّمسّك به هو الآخر. فرأى ممثّل الملك فيصل لحلّ المشكلة أن تستبدل الدّولة الإسلاميّة اليمنيّة بالجمهوريّة العربيّة اليمنيّة، ووافق ممثّل عبد النّاصر على هذا الاقتراح، إلاّ أنّ رئيس الوفد الجمهوري القاضي عبد الرحمن الإرياني أصرّ على التّمسّك بكلمة الجمهوريّة حتّى لو تخلّى الرّئيس عبد النّاصر عن مساندة هذا النّظام، وهذا هو ما تمّ قبوله حتّى من المملكة العربيّة السّعوديّة الّتي اعترفت به في الآخر.

آثاره

انقطع للتّأليف والتّحقيق وحرص على الدقّة في عمله إذ كان يسعى للتّأكد من تحديد أسماء المواضع الواردة في النّصوص الّتي يقوم بتحقيقها إمّا بالزّيارة إليها إن تيسّر، وإمّا بالسّؤال من أصحاب المناطق الّتي تقع فيها تلك المواضع، فأثمر قلمه ما أثرى المكتبة العربيّة من نشر ذخائر المخطوطات التّاريخيّة اليمنيّة والمؤلّفات النّفيسة فقد ألّف:

1 - الجزء الأوّل والثّاني والثّالث من «صفحة من تاريخ اليمن الاجتماعي وقصّة حياتي»؛ 2 - عالم وأمير، جزءان؛ 3 - الوثائق السّياسيّة اليمانيّة؛ 4 - اليمن الخضراء مهد الحضارة، الجزء الأوّل.

كما حقّق كتبًا كثيرة أهمّها ما بقي موجودًا من مؤلّفات لسان اليمن الحسن بن أحمد الهمْداني وهي:

5 - الجزء الأوّل والثّاني والثّامن والعاشر من الإكليل لأبي محمد الحسن أحمد الهمداني؛ 6 - تفسير الدّامغة للهمداني؛ 7 - صفة جزيرة العرب للهمداني؛ 8 - المقالة العاشرة من «سرائر الحكمة»؛ 9 - التقصار في جيّد زمن علاّمة الأقاليم والأمصار، لمحمد بن حسن الشُّجْني؛ 10 - ديوان محمد بن حمير الوصابي؛ 11 - روضة الأخبار ونزهة الأسمار في حوادث اليمن الكبار والحصون والأمصار، تأليف عماد الدين إدريس بن الأنف القُرمطي؛ 12 - السّلوك في طبقات العلماء والملوك لبهاء الدين محمد بن يوسف الجنَدي، في مجلّدين؛ 13 - قرّة العيون في أخبار اليمن الميمون للحافظ عبد الرحمن بن علي الديبع؛ 14 - كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة لمحمد بن مالك الحمادي المعافري؛ 15 - مرآة المعتبر في فضل جبل صَبِر للمخلافي؛ 16 مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، الجزء الأول، لمحمد بن صالح بن الحسن العصامي الصنعاني؛ 17 - المفيد في أخبار صنعاء وزبيد لنجم الدين عمارة بن أبي الحسن علي الحكمي اليمني؛ 18 - نظام الغريب في اللّغة، لعيسى ابن إبراهيم الربعي؛

المصادر والمراجع

- الأكوع، محمد، صفحة من تاريخ اليمن الاجتماعي وقصّة حياتي؛
- الأكوع، إسماعيل بن علي، هجر العلم ومعاقله في اليمن، ج2، ص870.

القاضي إسماعيل بن علي الأكوع
صنعاء ـ اليمن

الألباني، محمد ناصر الدين نوح

(1333هـ / 1914 م - 1420 هـ/ 1999م)

محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن آدم نجاتي أبو عبد الرحمن الأرناؤوطي الألباني الأصل، السوري الجنسيّة.

محدث مشهور من صنف كبار الحفاظ في القرون الثلاثة الأولى، برّز خاصة في مجالي التصحيح والتضعيف وفقه الحديث، ولا يكاد يلحق به أحد في هذا المضمار من علماء القرن العاشر الهجري فما بعده، وهو محدث العالم في عصره.
أفضت جهوده في خدمة السنّة إلى:

- تنقية مكتبة الرواية وتقييم مصنفاتها الأصول منذ القرن الثالث ولا يستثنى من ذلك إلا الصحيحان والموطأ، وقد بين أحكام عشرات الآلاف من الروايات.

- إثراء فقه المحدثين تقعيدا واستنباطا وتأليفا وإحياء طريقتهم في الاستدلال.

- تجديد أسلوب نقد الحديث واعتماده الطريقة الشجرية في دراسة الأسانيد واستقلال نظرته في البحث وتركيزه في الناحية التطبيقية فيه.

- تقريب السنّة إلى الأمة بتنخيله لها ودعوته العملية للتمسك بها وتطبيقها وبيانه لفقهها وتيسيره.

وترك تراثا ضخما استوعب فيه جهود السابقين، واستدرك عليهم كثيرا نقدا وفقها وجمعا وتصنيفا. وله في كل ذلك اجتهادات غزيرة، ونظرات سديدة، وإضافات نوعية.

ولد سنة (1333 هـ) بشمال ألبانيا في مدينة أشقودرة عاصمة هذه الدولة وقتئذ. ينتمي إلى عائلة متواضعة ومحافظة يغلب عليها الاشتغال بالعلوم الشرعية. كان أبوه حنفي المذهب معدودا في كبار مشايخ بلده، وقد تخرج في العلوم الدينية من معاهد إسطنبول عاصمة الدولة العثمانية، وتولى إمامة الصلاة في بعض مساجد بلده.

اضطر الحاج نوح إلى الهجرة إلى الشام واستقر بدمشق سنة 1923، وكان له سابق معرفة بها، وذلك بعد أن اجتاحت ألبانيا في عهد الملك أحمد زوغو موجة تغريب عنيفة افتتن فيها الرجال والنساء على السواء، فأجبر الألبانيات على نزع الحجاب وألزم الرجال بلبس القبعة.

وفي دمشق كان والد الألباني يعتبر مرجعا في الفقه الحنفي لأبناء جاليته الأرناؤوط. ولما استقرت العائلة بهذه المدينة، بدأ الألباني - وهو ابن تسعة (9) أعوام في دراسة اللغة العربية في مدرسة جمعية الإسعاف الخيرية التي قضى بها معظم سني المرحلة الابتدائية.

ولما احترقت هذه المدرسة في أحداث الثورة السورية انتقل المترجم إلى مدرسة أخرى وقد حصل على الشهادة الابتدائية. ثم لم يلبث أن

انقطع هو وإخوته عن الدراسة النظامية لسوء ظن والده في المدارس النموذجية وقتئذ من الناحية الدينية.

واصل الألباني بعد ذلك القراءة والمطالعة الحرة التي لم يخرج فيها في البداية عن إطار القصص الشعبي وقصص الأطفال التي كان يقتنيها من باعة الكتب.

وموازاة لذلك أخضعه والده لبرنامج دراسي مركز في اللّغة والعلوم الشرعيّة، فكان يعلمه بنفسه علم الصرف والفقه الحنفي، ودفعه إلى مطالعة كتب هذا المذهب، وختم على يدي والده القراءة تجويدا برواية حفص.

كما حضر دروس الشيخ سعيد برهاني في كتاب «مراقي الفلاح» في الفقه الحنفي وبعض كتب اللغة والبلاغة.

ولما بلغ السابعة عشرة من عمره اتضح له نهائيا اتجاهه العلمي ومجاله الدراسي المفضل وهو الحديث الذي شغف به وانقطع لدراسته طوال عمره. دفعه إلى هذا الطريق وقوفه عند بائع الكتب على عدد من مجلة «المنار» تضمن دراسة نقدية لكتاب إحياء علوم الدين بقلم الشيخ رشيد رضا مؤسّس المجلة ذكر فيه أن الزين العراقي خرّج أحاديث الإحياء في كتابه «المغني عن حمل الأسفار» فسعى الألباني إلى الحصول على هذا التخريج ونسخه بيده في (2011) صفحة، واهتم بدراسته. ومن ثم انطلقت علاقته بدراسة الحديث رغم معارضة والده له في هذا التوجه، وكان الألباني يذكر دائما في كتبه فضل الشيخ رشيد عليه لأثره في توجّهه هذه الوجهة.

وكانت صلته بالمكتبة الظاهرية مرحلة أساسية في تاريخ تكوينه العلمي، إذ وفت له بحاجته من القراءة والبحث في الحديث بعد أن اقتصر على العمل في مهنة إصلاح الساعات - التي مهر فيها على يد والده يومين فقط في الأسبوع لمدة ثلاث ساعات في كل منهما لتوفير الضروري من القوت لزوجه وأولاده، وصرف بقية وقته في المطالعة بهذه المكتبة العتيدة، وخصّصوا له فيها غرفة صغيرة وسلّموه مفتاحها تخفيفا للعبء على أعوان المكتبة التي كان يمكث فيها اثنتي عشرة ساعة يوميا من الثامنة والنصف صباحا إلى التاسعة ليلا للدرس والتنقيب والتتلمذ على كتب أفذاذ العلماء.

وعوضته عصاميته وشغفه بهذه المكتبة ودأبه على المطالعة عن قلة الشيوخ الذين تلقى عنهم مباشرة. وأعانه على الوصول إلى ما وصل إليه علما وقدرا ما اشتهر به من جلد وصبر وطاقة تحمّل كبيرة لمشقة البحث والمطالعة، إذ كان يجلس يوميا لمدة ثماني عشرة ساعة أمام مكتبه، والغالب عليه الاقتصار على أربع ساعات للنوم، وكان حريصا على إتقان عمله ومواظبا على تنقيحه وتجويده، حتى إن كتبه تتأخر في الطبع لتدقيقه في المراجعة، إذ لا يستثني من ذلك حتى علامات الترقيم ويباشر ذلك بنفسه.

وإضافة إلى المكتبة الحديثيّة التي ألفها كانت للألباني نشاطات علميّة عديدة موازية منها:

- تدريس مادة الحديث بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة سنوات (1381-1383هـ)، وقد أوقف عليها مكتبته الخاصة بعد وفاته.

- انتدبته كلية الشريعة بجامعة دمشق لتخريج أحاديث البيوع الخاصة بموسوعة الفقه الإسلامي التي عزمت الجامعة على إصدارها عام 1955.

- واختير عضوا في لجنة الحديث للإشراف على تحقيق كتب السنة ونشرها أيام الوحدة بين مصر وسوريا.

- اختير عضوا بالمجلس الأعلى للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة أعوام 1395 - 1398هـ.

- قام برحلات إلى قطر والإمارات والكويت ومصر والمغرب وبريطانيا وإسبانيا والنمسا لإلقاء المحاضرات العلمية والتعريف بالسنة النبوية والدعوة إلى الاعتصام بالكتاب والسنة واتباع منهج السلف.

وقد اشتهر نشاطه المكثف في سوريا من قبلُ لإحياء الطريقة السلفية ممارسة ودعوة وتأليفا حتى صار من أعلام هذه المدرسة ومجدديها في الوقت الحاضر، وتخرج على يديه فيها أجيال من الدعاة الذهبيين. وقد امتحن بالسجن مرتين في سوريا في سبيل دعوته وكثر مناوؤوه بسببها، وكان لدرسته المبكرة للسنة أثره القوي في توجّهه السلفي.

- طلب للإشراف على قسم الدراسات العليا في جامعة مكة، وتولى مشيخة الحديث بالجامعة السلفية في بنارس بالهند وحالت الظروف دون ذلك.

- وتقديرا لجهوده القيمة في خدمة الحديث منح جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية عام 1999م/ 1419هـ. وموضوعها: الجهود العلمية التي عنيت بالحديث النبوي تحقيقا وتخريجا ودراسة.

وأخذ عنه خلق عظيم لأنّه كان من أفذاذ العلماء المعمّرين. ومن المشاهير الذين تخرجوا به وساروا على طريقته في التّخريج والدراسة والاعتقاد: - الشيخ حمدي عبد المجيد السلفي الذي اشتهر بتحقيق مخطوطات الحديث كالمعجم الكبير للطبراني وجامع التحصيل في أحكام المراسيل للعلائي. وله عدة مؤلفات متخصصة؛ - محمد عبد عباسي، ومن كتبه: الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام، وبدعة التعصب المذهبي؛ - علي بن الحسن الحلبي الأثري؛ من تحقيقاته: المصابيح في صلاة التراويح للسيوطي، والحطة للقنوجي، ومن مؤلفاته التعليقات الأثرية على المنظومة البيقونية، وعلم أصول البدع؛ - الشيخ حسن العوايشة الأردني، ومن كتبه الموسوعة الفقهيّة الميسّرة؛ - سليم الهلالي، من كتبه البدعة وأثرها السيّء على الأمّة، وموسوعة المناهي الشرعية.

عاش الألباني حياة علمية مثمرة استفادت منها مكتبة الحديث أيما استفادة ولقي وجه ربه يوم السبت 22 جمادى الآخرة سنة 1420هـ/ 3 أكتوبر 1999م قبيل الغروب ودفن بعد العشاء بمقبرة قديمة مغلقة قرب منزله في جبل النصر بحي همذان في الجنوب الشرقي لعمان الأردن التي استقر بها آخر حياته.

آثاره

يفوق عددها (250) عنوانا إذا اعتبرنا من ضمنها التحقيقات والمراجعات، ويقع بعضها في مجلدات ضخمة وبعضها الآخر في

ورقات وفيها رسائل صغيرة كثيرة، ومنها ما كمل تحريره في حياته ومنها ما لم يتمه إلى أن مات.

وأهم مصنفاته وأكبرها طبعت عدة طبعات للحاجة الماسّة إليها وترجم كثير منها إلى لغات مختلفة، ويغلب على مكتبة الألباني التخصص في الحديث بكل فنونه، وعامة ما كتبه يقع في دائرة التّخريج والفهرسة والمصطلح والتّصحيح والتّضعيف والرّدود والفتاوى والفقه على طريقة المحدثين، والتعاليق والمراجعات والشروح وتحقيق المخطوطات والرواية والتصنيف الحديثي.
وفي ما يلي قائمة بأهمّ آثاره:

1- آداب الزفاف في السنة المطهرة، المكتب الإسلامي، بيروت، ط؛ 2- أحاديث الإسراء والمعراج، ط؛ 3- أحاديث البيوع وآثارها (خاص بموسوعة الفقه الإسلامي بكلية الشريعة بدمشق، خ؛ 4 الأمثال النبوية، مخ؛ 5- الآيات والأحاديث في ذم البدعة، خ؛ 6- تلخيص حجاب المرأة، ط؛ 7- التمهيد لفرض رمضان، مخطوط؛ 8 تهذيب صحيح الجامع الصغير وزيادته والاستدراك عليه، خ؛ 9- التوسل أنواعه وأحكامه، ط؛ 10- الثمر المستطاب في فقه السنة والكتاب، في 3 مجلدات، خ؛ 11- جلباب المرأة المسلمة (المعروف بحجاب المرأة المسلمة في الكتاب والسنة سابقا)، ط؛ 12- الدعوة السلفيّة: أهدافها، وموقفها من المخالفين لها، خ؛ 13- دفع الأضرار في ترتيب مشكل الآثار، للإمام الطحاوي، خ؛ 14- الروض النضير في ترتيب وتخريج معجم الطبراني الصغير، في مجلدين، خ؛ 15- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، مكتبة المعارف، الرياض، ط. 1، جديدة 1415، ط.، (19 ج)؛ 16- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، مكتبة المعارف، الرياض، ط. 1، جديدة 1415؛ 17- صحيح أبي داود، المكتب الإسلامي، بيروت 1408هـ، خ؛ 18- صحيح الأدب المفرد للبخاري، في مجلدين، السعودية، الجبيل، دار الصديق 1414هـ، ط؛ 19- صحيح الترغيب والترهيب للمنذري، في 6 مجلدات، الرياض، المعارف 1409، ط. 3؛ 20 صحيح الجامع الصغير وزياداته للسيوطي، 4 مجلدات، مطبوع؛ 21- صحيح سنن أبي داود في ثلاثة مجلدات، المكتب الإسلامي، بيروت، 1408هـ، ط. 1، مطبوع؛ 22- صحيح سنن ابن ماجه في ثلاثة مجلدات، المكتب الإسلامي بيروت، 1408هـ، ط.1، ط؛ 23- صحيح سنن الترمذي في 3 مجلدات، المكتب الإسلامي بيروت 1408هـ، ط. 1، ط؛ 24- عودة إلى السنة، سلسلة مقالات نشرت في مجلة «المسلمون»، مطبوع؛ 25- الفهرس الشامل لأحاديث وآثار كتاب الكامل، لابن عدي؛ 26- فهرس المخطوطات الحديثية في مكتبة الأوقاف الحلبية، مخطوط؛ 27- فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (المنتخب من مخطوطات الحديث)؛ 28- الفهرس المنتخب من مكتبة خزانة ابن يوسف، مراكش، خ؛ 29- مختصر صحيح البخاري، 4 مجلدات، مطبوع؛ 30- مختصر صحيح مسلم للمنذري، (4 مجلدات)، ط؛ 31- مذكرات الرحلة إلى مصر، خ؛

32- المستدرك على المعجم المفهرس لألفاظ الحديث، خ؛ 33- معجم الحديث النبوي، «40 مجلدا، ولتأليفه قصة طريفة تعرف بالورقة الضائعة»، خ؛ 34- منتخبات من فهرس المكتبة البريطانية، مخطوط؛ 35- منزلة السنة في الإسلام، وبيان أنه لا يستغنى عنها بالقرآن، ط؛ 36- وصف الرحلة الأولى للحجاز و لرياض مرشدا للجيش السعودي بعد عام 1948، مخطوط؛ 37- تحقيق أصول السنة والاعتقاد لابن أبي حاتم؛ 38- تحقيق رياض الصالحين للإمام النووي، (ط) المكتب الإسلامي 1412هـ، مطبوع؛ 39- تحقيق لفتة الكبد في تربية الولد لابن الجوزي؛ 40 - تخريج الأحاديث المختارة للضياء المقدسي، (ط)؛ 41 - تخريج مساجلة علمية بين العز بن عبد السلام وابن الصلاح حول صلاة الرغائب؛ 42 - تخريج أحاديث فقه السيرة لمحمد الغزالي، (ط) القاهرة؛ 43 - التعليق الرغيب على الترهيب والترغيب للمنذري؛ 44 - دراسة حول مسند ابن أبي شيبة؛ 45 ـ الدّرر في مسائل المصطلح والأثر؛ 46 ـ الذب الأحمد عن مسند الإمام أحمد (ط) عالج فيه أساسا دعوى الطعن في نسبة المسند إلى الإمام أحمد والزعم بأن القطيعي، راويه، زاد فيه أحاديث كثيرة موضوعة حتى صار ضعفيه، وانتهى إلى أنه لا زوائد للقطيعي في المسند أو عليه، وهو أهم كتاب ظهر حول تاريخ المسند وقيمته؛ 47 - الردّ على عز الدين بليق في «منهج السنة» نشرت منه مقالات أربع في جريدة «الرأي» الأردنية؛ 48 - الرد على ابن حزم في إباحة آلات اللهو والطرب؛ 49 - زهرة الرياض في رد ما شنعه القاضي عياض على من أوجب الصلاة على البشير النذير؛ 50- صفة الفتوى والمفتي والمستفتي؛ 51- فتاوى الألباني، وتقع في 30 مجلدا بناها على فقه السنة وعقيدة السلف و المنهج المقارن؛ 52- مناظرة بين الشيخ الألباني والشيخ الزمزمي؛ 53- وللشيخ الألباني أيضا إنتاج علمي كثير مسموع موثق في خمسة آلاف شريط صوتي تضم مجالسه العلمية ومحاضراته ودروسه، وفيها الكثير مما يتعلق بالمصطلح والرواية والجرح والتعديل وفقه الحديث.

المصادر والمراجع

● ثلاثة مواقع على الصحيفة الرقمية للشبكة الحاسوبية (الانترنت):

- WWW.SAHAB.Net.
- WWW.RADDADI.COM.
- WWW.AL SALAFYOON. COM.

● المنجد، محمد صالح؛ أحداث مثيرة في حياة الشيخ العلامة الألباني، دار الإيمان الإسكندرية، مصر، ط. 1، 2000؛ ● الشيباني، محمد إبراهيم؛ حياة الألباني وآثاره وثناء العلماء عليه، الدار السلفية، حولي الكويت 07/ 1987؛ ● البلوشي، أبو المعالي خليل بن إبراهيم، محمد ناصر الدين الألباني: ضرغام السنة في القرن العشرين، نداء الإسلام سنة 1999.

د. محمد الناصر الزعايري
جامعة الزيتونة - تونس

ألفا ديّوبو، محمّان (محمد) بن أبي بكر

(ق 12 هـ / 18 م)

المتصوف الداعية محمّان (محمد) ابن أبي بكر بن صالحة.

كان يلقب بألفا (الفقيه) ويكنّى بديّوبو (نسبة إلى كهف كان يختلف إليه للقيام بأوراده الليليّة). وينتسب إلى عائلة فلانيّة تعرف بغورغابي (Gorgabi). ويروى أنّ جدّه كان عالما متبحّرا في علم الأصول وأنّه هاجر صحبة ابنه أبي بكر صالحة خلال القرن العاشر الهجري الموافق للقرن السادس عشر الميلادي من منطقة العربيّة السعوديّة قاصدا إفريقيا الغربيّة. وقد مرّ في هجرته بالمغرب العربيّ حتّى وصل إلى مدينة ماسينا (Macina) التي تقع اليوم في الشمال الغربي من باماكو (Bamako) عاصمة جمهورية مالي.

لا تحدّد لنا المصادر تاريخ ولادة محمّان. إنّما تكتفي بتقديره بأواخر القرن الثاني عشر الهجري الموافق للقرن الثامن عشر الميلادي. أمّا مكانها فقد اختلف فيه الروّاة. إذ يذهب بعضهم إلى أنّ مولد محمّان كان بـ«بامبا» (Bamba). بينما يرى آخرون أنّه كان في كورو غونغو (Kooro-Goungou). وهي جزيرة في نهر النيجر قريبة من مدينة غاو (Gao) المالية، وخلافا لهذين المذهبين جاء في رواية ثالثة أنّ مدينة جنّي (Djenni) مولد محمّان. على أنّ المتّفق بين هذه الآراء الثلاثة أنّها تجعل الرجل ماليّ المولد. بل يذهب أروفي (Urvoy) إلى كون ديوبّو من أصل ماسيني.

ويبدو أنّه بدأ تكوينه في الثقافة الإسلاميّة على يد والده. فقرأ عليه القرآن حتّى أتمّ حفظه وتلقّى منه دروسا في بعض علوم الدين. ومن الشيوخ الذين اتصل بهم في هذه المرحلة من حياته الفقيه ألفا بنجاغوري. ولا نعلم عن هذا الشيخ سوى أنّه من مواليد منطقة تيرغا (Tirga). وقد انتقل محمّان بعدئذ من قريته إلى مدينة غاو لمواصلة تكوينه. وكانت هذه المدينة من أهمّ مراكز الثقافة الإسلاميّة بالسودان الغربيّ. لا سيّما أنّها كانت عاصمة مملكة سونغاي الشهيرة. كما يروى أنّ أختا له كانت مقيمة في هذه الحاضرة.

ولئن لم تذكر لنا المصادر نوع العلوم التي اهتمّ محمّان بتحصيلها بعد حفظ القرآن فالراجح أنّه كان يميل إلى الفكر الصوفي. إذ جاء في الروايات الشفويّة أنّه لمّا بلغ مقام الولاية تلقّى وحيا وهو في كهف يدعى ديوبّو، وكان يتردّد إليه للعبادة. ويقال إنّ الله قد أمره في ذلك الوحي بتبليغ رسالة إلى بلاد الزرما. وفي هذا موازنة وحمل لحياة الرجل على سيرة الرسول محمد وأصحابه. إذن فقوام هذه الرواية رؤية أسطورية لسيرة ديّوبو. لا سيّما أنّها لا تحدّد لنا مضمون الرسالة التي بعث بها؛ أهو الدّعوة إلى نشر عقيدة أم مذهب من مذاهب الإسلام؟ أم هو شيء آخر؟

لقد حافظت بعض الروايات المكتوبة على أنّ محمّان قد كلّف برسالة. لكنّها تضيف أنّه غادر مدينة غاو سنة 1231هـ/ 1815م متوجّها نحو المشرق لأداء فريضة الحجّ. لكن لمّا وصل إلى دارفور قفل راجعا إلى شرقي مملكة سونغاي. وذلك لينشر بين السكان الزرما أفكاره الدينيّة. غير أنّه لا أحد من أبنائه ولا من أحفاده من يدعم خبر ذهابه إلى دارفور ولا خروجه في رحلة إلى مكّة. وقد بيّن أروفوي أنّه كان يعتنق العقيدة القادريّة. وفي هذا ما يؤكد أنّ دعوته إسلامية وأنّ خبر الوحي الوارد في الروايات الشفوية هو تعبير عن معاني الحلول والاتحاد والانكشاف وغيرها من المصطلحات المتواترة عند أعلام الصوفيّة والبسطامي.

وتروي المصادر الشفويّة أنّ ديّوبو قد شرع في تنفيذ دعوته في دغنا (Dagna)، وهو موضع يقع قريبا من مدينة غاو. ومن هناك تنقّل إلى أن وصل إلى غرول (Goruol) وداراغول. ثمّ استقرّ بقرية تغرا زهاء خمس سنوات قبل أن يمضي منها إلى لاربا بنّو. ولا نعرف شيئا عن خصائص دعوته في هذه المرحلة. ولعلّه اقتصر فيها على إرساء دعائمها ومبادئها. ثمّ واصل ديّوبو مسيرته إلى جزيرة نيوني (Neony) غنغو القريبة من نيامي عاصمة النيجر. فأقام بها مدّة نيّفت على عشر سنوات. وقد تعرّف في هذه الجزيرة على أعلام بارزين في الثقافة الإسلاميّة منهم ألفا صوري المعروف بـ «بلدو-هوري». وهو شيخ أفاده في مبادىء القادريّة وكان له فيه تأثير كبير. ومنهم أبو بكر (بوبكر) لودوزي (ت 1242هـ/ 1826م) وهو ملك فلاني في غاوري (Gaour). ومنهم أيضًا ألفا آدم.

ولمّا ساءت علاقة محمّان وأتباعه بأهل نيوني أمر أصحابه بالرجوع إلى غودال (Goudel). في حين عبر هو نهر النيجر قاصدا لاموردي (Laamordi) حتّى يدعو أهلها. ويروى أنّه بعد مغادرته نيوني بأسبوعين تقبّل دعاءه فجاء محاربون طوارق من مدينة غاو عابرين نهر النيجر، فهاجموا قرية لاموردي وخرّبوها ونهبوها.

في هذه المرحلة من حياته تزوّج ديّوبو من ابنة حاكم غودال. وكانت تدعى غومني (Gomni). وقد أنجبت له خمسة أولاد. اثنان منهم بنتان. وهما رحمة الله ورقيّة الله. والآخرون هم عبد الوهاب ومحمود وعبد الوحيد. ومن غودال تحوّل ديّوبو مع أتباعه سنة 1242هـ/ 1825م إلى جزيرة ساي. وقد تولّى فيها منصب إمام الأئمّة. وتقدّر حياته في هذا المقرّ الجديد بمدّة تتراوح بين ثمانية أعوام وتسعة على إثرها توفّي فدفن في مقبرة صارت محلاً يحجّ إليه الناس.

إذن فقد تفرّغ محمّان بعد التحصيل لمهمّة الدعوة إلى الإسلام. ومن الراجح أنّه كان يخصّ من الإسلام الطريقة القادريّة. ولعلّ هذا الالتزام هو الذي منعه من التوسّع في ممارسة الكتابة والتأليف. إذ جلّ ما تركه أناشيد دينيّة كتبها باللغة الفلانيّة. ومنها ترجمت إلى اللغة الجرما.

وكون هذه الأناشيد دينيّة دليل آخر على أنّ دعوة الرجل كانت إلى التصوّف الطرقيّ على وجه العموم وإلى العقيدة القادريّة على وجه التحديد. وهي مهمّة قادته من مولده بالمنطقة

الوسطى من جمهورية مالي حتّى وصلت به إلى النيجر.

المصادر والمراجع

- MOULAYE (H), La transmission du savoir religieux en Afrique subsaharienne: exemple du commentaire coranique à Saayi (NIGER), thèse de doctorat, Université de Paris IV, Sorbonne 1995.

د. وليلاي كندو
جامعة بوركينا فاسو

اللألكائي، هبة الله بن الحسن بن منصور

(.... هـ / .... م - 418 هـ / 1027 م)

هو هبة الله بن الحسن بن منصور الرازي الطبري اللالكائي، ويكنى بأبي القاسم. اختلف المؤرخون حول أصل كنيته - اللألكائي. فقد ورد في تاريخ بغداد والكامل وشذرات الذهب وتاج العروس (اللألكائي). قال الزبيدي: اللالكائي منسوب إلى بيع اللوالك التي تلبس في الأرجل على خلاف القياس [تاج العروس، ج.7، ص 174-175؛ والبغدادي، تاريخ بغداد، ج. 16، ص 108-109]. وبهذا قال الذهبي [سير أعلام النبلاء، ج. 17، ص 402-419]. وذكر ابن الجوزي الألكائي بحذف اللام [المنتظم، ج. 8 ص 34]. والظاهر صحة الاستعمالين. وذكر أنه طبري الأصل نسبة إلى طبرستان. وأما نسبة الرازي فهي نسبة إلى مدينة الري التي قصدها في طلب العلم، كما قصد بغداد واستوطن بها وقضى فيها آخر حياته؛ ومنها ذهب إلى مدينة الدينور قرب همذان. حيث توفي بها. وذكر أنه مات كهلا. ولم تذكر المصادر عن أبنائه إلا محمد الملقب بأبي بكر.

وذكرت المصادر موطنين لتلقي هبة الله العلم: الأول مدينة الري، والثاني بغداد. قال الخطيب البغدادي: وكان سمع بالري من جعفر بن عبد الله الفناكي الرازي، وعلي بن محمد بن عمران القصار. ثم قال: قدم بغداد فاستوطنها ودرس فقه الشافعي على أبي حامد الاسفراييني، وسمع عيسى بن علي [تاريخ بغداد، ج. 16، ص 108]. ومن أشهر شيوخه:

أبو حامد أحمد بن محمد بن أحمد الاسفراييني إمام الفقه الشافعي في عصره، كانت وفاته سنة 406 هـ [السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج. 4، ص 61-74]؛ - إبراهيم بن محمد بن عبيد أبو مسعود الدمشقي المحدث الحافظ المتوفى سنة 401 هـ؛ - الحسن بن عثمان أحد علماء الحديث ببغداد، ذكر البغدادي أنه كان ثقة تقيا، توفي سنة 405 هـ [تاريخ بغداد، ج. 7، ص 362]؛ - عيسى بن علي بن عيسى الوزير، روى عنه الحديث. كان حافظا

ثبتا، وكان عارفا بالمنطق توفي سنة 391هـ؛ - عبد الله بن محمد بن أحمد الفرضي، كان أحد علماء بغداد المشهورين في عصره، توفي سنة 406 هـ؛ - محمد بن الحسن الفارسي، أحد أئمة الشافعية في عصره، توفي سنة 396هـ وقيل سنة 397 هـ؛ - عبد الله بن مسلم بن يحيى، كان من المحدثين الثقات، توفي سنة 397 هـ؛ [البغدادي، م. س، ج. 16 ص 108-109؛ الذهبي، السير، ج. 17، ص 402 -419].

ومن أشهر تلاميذه الذين أخذوا عنه:

- أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، صاحب الموسوعة التاريخية المعروفة بتاريخ بغداد، وهو من أهل العلم والفضل، توفي سنة 463 هـ؛ - أبو الحسن علي بن الحسين العكبري، المعروف بابن جدا. كان من الصالحين، وكان لسنا في المحافل، توفي سنة 468 هـ؛ - ابنه أبو بكر محمد بن هبة الله بن الحسن الطبري اللالكائي، روى عن أبيه، وكان متصفا بالصدق والأمانة؛ - أحمد ابن علي بن زكريا الطريثيثي، شيخ الصوفية بخراسان، تتلمذ عن اللالكائي صغيرا توفي سنة 497 هـ [البغدادي، م. س، ج. 16، ص 108- 109؛ والذهبي، السير، ج. 17، ص 402-419].

ورغم قصر عمر اللالكائي وعدم تركيز كتب التراجم على حياته العلمية نجد شذرات موزعة تدل على منزلته العلمية المرموقة خاصة في علم الرواية، وشهد له العلماء بالحفظ والإتقان وحسن الفهم والإفادة.

قال تلميذه البغدادي: كتبنا عنه، وكان يفهم ويحفظ، ويصنف كتابا في معرفة أسماء من في الصحيحين، وكتابا في شرح السنة [تاريخ بغداد، ج. 16، ص108]. وقال الذهبي: كان مفيد بغداد في وقته [سير أعلام النبلاء، ج. 17، ص419]. وقال ابن كثير: كان يفهم ويحفظ وعني بالحديث [البداية والنهاية، ج. 12، ص 24].

وعن حرصه في أخذ العلم ذكر البغدادي عن البرقاني قوله: جاءني هبة الله الطبري يوما نصف النهار فقال لي: ذكر أبو مسعود الدمشقي في تعليقه أن مسلما أخرج في الصحيح حديث أبي هريرة، عن النبي ﷺ «آية المنافق ثلاثة» عن طريق إسماعيل بن جعفر عن سهيل عن أبيه عن هريرة، فأريد أن تخرجه لي من كتابك. قال البرقاني: فنظرت في صحيحي فرأيت مكان الحديث مبيضا، فقلت له: ليس الحديث عندي. قال هبة الله: قد غلط أبو مسعود في ترجمته وإنما هذا الحديث عن إسماعيل بن جعفر عن أبي سهيل عن أبيه عن أبي هريرة، وأبو سهل هو نافع بن مالك. قال البرقاني: فنظرت فإذا الأمر على ما قال [تاريخ بغداد، ج. 16، ص 108 - 109].

أما عن مذهبه العقدي فهو سلفي المذهب على طريقة أهل الحديث، وإلى جانب مذهبه السني وعنايته بالحديث والفقه كان هبة الله اللالكائي شاعرا. قال الخطيب البغدادي: هبة الله بن الحسن المعروف بالحاجب كان من أهل الفضل والأدب متدينا مواظبا على الجماعة، و كان شاعرا مليح الشعر [تاريخ بغداد، ج. 16، ص 108].

ومات هبة الله بالدينور، وكان قد خرج إليها

لحاجة له، فتوفى يوم الثلاثاء لست خلون من شهر رمضان سنة ثماني عشرة وأربعمائة (418 هـ) [تاريخ بغداد، ج. 16، ص 109].

آثاره

اشتهر اللالكائي بعلم الحديث حتى عرف بالحافظ، كما درس الفقه بعد انتقاله إلى بغداد. وكانت مؤلفاته تدل واسع علمه وعميق معرفته. وضبطت تآليفه فيما يلي:

1 - كرامات أولياء الله، وهو رسالة قصيرة قدرت بـ 42 صفحة توجد بمكتبة ليبزيغ الألمانية. ذكرها سيزكين والمؤلف يعود إلى سنة 588 هـ [تاريخ الأدب العربي، ج. 3، ص 306]؛ 2- أسماء رجال الصحيحين، ذكر البغدادي عن اللألكائي قال: وصنف كتابا في معرفة أسماء من في الصحيحين [تاريخ بغداد، ج. 16، ص108]. وذكر الذهبي في الميزان: قال في ترجمة عبد الله ابن صالح العجلي. روى البخاري في تفسير سورة الفتح في ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا﴾ [الفتح: 8]. قال: حدثنا عبد الله حدثنا عبد العزيز بن أبي سلمة فقال الوليد بن بكر والكالباذي واللألكائي عبد الله بن صالح العجلي [ميزان الاعتدال، ج. 2، ص 445-446]. وقال ابن حجر في ترجمته لأحمد بن جعفر المقري: وقال اللألكائي ويكنّى أبا أحمد: «وهذا من رجال الصحيحين» [تهذيب التهذيب، ج. 1، ص 239-240 و311، ج. 2، ص 201]؛ 3- فوائد في اختيار أبي القاسم، ذكر سيزكين أيضا أنه ورد في الظاهرية 3 مجمع 10 من 164أ إلى 173ب، وأنه يعود إلى القرن السادس الهجري [التراث العربي، ج. 1، ص 556، ج. 2، ص 194]؛ 4 - مجالس ذكره، ذكر سيزكين أيضا، أنه ورد في الظاهرية مجموع 63 قسم 2 من ص120أ إلى 124أ، و النسخة تعود إلى القرن السابع [التراث العربي، ج. 2، ص 194]؛ 5- السنن، ذكره الخطيب البغدادي قال: كتابان للحافظ اللألكائي هما، السنن وشرح السنة [تاريخ بغداد، ج. 16، ص 108]. رتبه مؤلفه على أبواب الفقه؛ 6- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، ذكرت المصادر عدة أسماء لهذا الكتاب منها السنة كما ذكره [ابن تيمية في الفتاوى ج. 5، ص 24؛ وابن كثير في البداية والنهاية ج. 12، ص 24؛ وابن حجر في فتح الباري ج. 1 ص47]؛ وعرف بشرح السنة، كما ذكره [الخطيب البغدادي في تاريخه، ج. 16، ص211؛ الزركلي في الأعلام، ج. 8، ص71].

وهذا الأخير هو العنوان الموجود على غلاف المخطوطتين الظاهرية الموجودة بالمكتبة الظاهرية بدمشق رقم 125/ 16 من 258أ إلى 297 ب، والمخطوطة تعود إلى سنة 465 هـ، ذكرها فهرس المكتبة الظاهرية برقم 325 (ق 1 - 204)، والنسخة الهندية بمكتبة رضا برامبور برقم 1531 وعدد صفحاتها 356 صفحة.

أما عن مضمون الكتاب فذكر المؤلف في مقدمته أنه ألفه بطلب من أهل العلم لضبط عقائد أهل السنة والحديث بسبب انصراف أهل زمانه عن عقيدة مذهب السنة، ويرجح الدارسون أنه آخر مؤلفاته.

وقد اشتمل الجزء الأول على ذكر أسماء

علماء أهل السنة و الجماعة، وحث فيه على التمسك بالسنة وترك البدعة وعرض فيه مسألة التوحيد والصفات وآراء أهل السنة في القرآن، ونهى فيه عن التفكير في ذات الله، وتحدث فيه عن القدر والنبوة والإيمان.

وفي الجزء الثاني تابع مسألة الإيمان، وتحدث عن المرجئة، والمعصية، والتوبة، ومسألة القبر، والقيامة، والسمعيات.

المصادر والمراجع

● البغدادي، أبو بكر أحمد، تاريخ بغداد، تح. بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، ط. 1، 1422هـ/ 2001م، مج. 16، ص 1058-109؛ ● الذهبي، شمس الدين محمد، سير أعلام النبلاء، تح. شعيب الأرنؤوط مؤسسة الرسالة، ط. 4، 1406هـ/ 1986م؛ ج. 17، ص 419-420؛ ● السبكي، تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب، طبقات الشافعية، تح. عبد الفتاح محمد الحلو، مطبعة عيسى الحلبي ط. 1، 1388هـ/ 1964م، ج. 4، ص 61-74؛ ● ابن حجر العسقلاني أبو الفضل أحمد، تهذيب التهذيب، دار الكتاب الإسلامي لإحياء التراث، ج. 1، ص 239-240؛ ● الزبيدي، أبو الفيض محمد تاج العروس، المطبعة الخيرية مصر1306هـ ج 7 ص 174 ـ 175 و239 - 240؛ ● الزركلي، خير الدين، الأعلام، ط. 14، دار العلم للملايين، بيروت 1999، مج. 8، ص 71.

د. حراث بو علاقي
مركز الدراسات الإسلامية - القيروان

إلكيا الهراسي، أبو الحسن علي بن محمد

(450 هـ - 1058 م / 504 هـ - 1110 م) ■ ■ ■

أبو الحسن علي بن محمد بن علي الطبرستاني، المعروف بإلْكِيَا الهَرَّاسي أحد الأيمة الكبار من رؤوس الشافعية، فقهاً وأصولاً وجدلاً وحفظًا لمتون أحاديث الأحكام [السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج 7، ص 231].

وإلكيا، بكسر الكاف وفتح الياء وبعدها ألف، معناه في اللغة العجمية الكبير القدر، المقدم بين الناس، وقد ظهر من فضل أبي الحسن ما يجعل هذا التلقيب سائغًا [محمود مصطفى، إعجام الأعلام، ص174]. أما الهَرَّاسي، براء مشددة وسين مهملة، فقد قال أبو بكر الحسيني معناه الخائف [طبقات الشافعية، ص191].

ولد بطبرستان سنة خمسين وأربعمائة للهجرة، تفقه أوّلاً ببلده ثم رحل إلى نيسابور قاصدًا

إمام الحرمين وعمره ثماني عشرة سنة، ولازمه حتّى برع في الفقه والأصول والخلاف، وطار اسمه في الآفاق، وكان هو والغزالي والخوّافي أكبر تلامذته ومعيدي درسه؛ ثم خرج إلى بيهق ودَرَّسَ بها عظيم الجاه، رفيع المحل، إلى أن توفي بها سنة أربع وخمسمائة للهجرة وعمره أربع وخمسون سنة [الأسنوي، طبقات الشافعية، ج 2، ص293].

حدث عن أبي علي الحسن بن محمد الصفار، وزيد بن صالح الأملي، وجماعة، وروى عنه سعد الخير، وعبد اللّه بن محمد ابن غالب وأبو طاهر السِّلفي [الذهبي، سِيَرُ أعلام النبلاء، ج 19، ص 350].

وتعتبر الفترة التي قضاها بنيسابور ملازما لإمام الحرمين الجويني مواظبًا على الإفادة والاشتغال من أهم المراحل العلمية في حياته. قال إلكيا متحدثًا عن نفسه: «كانت في مدرسة سَرْهَنْك بنيسابور قناة لها سبعون درجة، وكنت إذا حفظت الدرس، أنزل القناة وأعيد الدرس في كل درجة، مرةً، في الصعود والنزول، قال: وكذا كنت أفعل في كل درس حفظته» وكان يحفظ الحديث ويناظر فيه، وهو القائل إذا جالت فرسان الأحاديث في ميادين الكفاح طارت رؤوس المقاييس في مهاب الرياح» [السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج 7، ص 232].

وكان الجويني يقول في تلامذته إذا ناظروا: التحقيق للخوافي والجريان للغزالي والبيان لإلكيا الهرّاسي [الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 19، ص 350].

حدث الحافظ أبو طاهر السلفي قال: «استفتيت شيخنا إلكيا الهراسي: ما يقول الإمام وفقه اللّه تعالى في رجل أوصى بثلث ماله للعلماء والفقهاء، أيدخل كتبه تحت هذه الوصية أم لا؟ فكتب الشيخ تحت السؤال: نعم! كيف لا وقد قال النبي ﷺ: «من حفظ على أمتي أربعين حديثًا من أمر دينها بعثه اللّه يوم القيامة فقيهًا عالمًا». وسئل إلكيا أيضًا عن يزيد بن معاوية، فقال إنه لم يكن من الصحابة لأنه ولد في أيام عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه. وأما قول السلف ففيه لأحمد قولان تلويح وتصريح، ولمالك فيه قولان تلويح وتصريح، ولأبي حنيفة قولان تلويح وتصريح، ولنا قول واحد تصريح دون التلويح. وكيف لا يكون كذلك وهو اللاعب بالنرد، والمتصيّد بالفهود، ومُدْمِن الخمر، وشعره في الخمر معلوم؟ ومنه قوله:

أقول لصحبٍ ضمت الكاسُ شملهم
وداعي صبابات الهوى يترنَّمُ

خذوا بنصيب من نعيم ولذة
وكلٌ وإن طال المَدى يتصرَّمُ

وكتب فصلاً طويلا ثم قلب الورقة وكتب: «لو مددت ببياض لمددت العنان في مخازي هذا الرجل». وقد أفتى الغزالي بخلاف جواب إلكيا، وتضمن جوابه أنه وإن غلب الظن بقرائن حاله أنه رضي قتل الحسين أو أمر به، فلا يجوز لعنه ويُجْعَلُ كمَنْ فعل كبيرة [ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج 4، ص 8].

ومن غريب ما اتفق له أنه أشيع أن إلكيا باطني يرى رأي الإسماعيلية، فَنَمَتْ له فتنة هائلة، ونزع منه التدريس وأراد السلطان

محمد شاه بن مَلِكْشَاهْ السَلجوقي قَتله فمنعه الخليفة المستظهر بالله العباسي، وكان قد شهد جماعة من العلماء ببراءته من ذلك، منهم ابن عقيل الحنبلي، فأُطلقَ سراحه وأُعيدَ له التدريس [ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص173؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة؛ ج 4، ص 202].

ولما توفي، دفن في تربة الشيخ أبي إسحاق الشيرازي، وكان ممن حضر جنازته الشريف أبو طالب الزينبي، وقاضي القضاة أبو الحسن ابن الدامغاني مقدما أصحاب أبي حنيفة، وكانت بينه وبينهما منافسة، فوقف أحدهما عند رأس قبره والآخر عند رجليه، وأنشد ابن الدامغاني:

وما تغني النوادب والبواكي
وقد أصبحت مثل حديث أمس

آثاره

1 - أحكام القرآن، وهو في مجلدين (4 أجزاء)، طبع دار الكتب العلمية، بيروت ط2، 1405 هـ/ 1985 م، تح. ونشر لجنة من العلماء. وهو كتاب في تفسير الآيات التي تتضمن أحكامًا فقهية، وهذا النوع من التصانيف ظهر متأخرًا بالنسبة إلى تدوين المذاهب الفقهية، وكان أول كتاب عرف في هذا الشأن «أحكام القرآن» للشافعي جمعه البيهقي صاحب السنن، ولكنه لا يستوعب آيات الأحكام بكاملها، ولذلك كان كتاب «أحكام القرآن» للهراسي من أهم المؤلفات في التفسير الفقهي عند الشافعية، وأول ما وصل إلينا مطبوعًا في مذهبهم. ومن خلال منهجه في التفسير يظهر تأثره الجلي بأسلوب شيخه إمام الحرمين الذي عرف بتعصبه للشافعية وحمله عن مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان، وكذلك فعل الهرّاسي، حيث التزم في تفسيره الدفاع على مذهب الإمام الشافعي، أصولا وفروعًا وتخريجًا، وربما أدّى به ذلك إلى التعسف في التأويل، ويتجلّى ذلك واضحًا في مقدمة تفسيره حيث يقول: «إن مذهب الشافعي رضي الله عنه أسَدُّ المذاهب وأقومُها وأرشدُها وأحكمُها، وإن نظر الشافعي في أكثر آرائه ومعظم أبحاثه يترقّى عن حد الظن والتخمين إلى درجة الحق واليقين، والسبب في ذلك أنه بنى مذهبه على كتاب الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وأنه أتيح له درك غوامض معانيه والغوص على تيار بحره لاستخراج ما فيه.

ولما رأيت الأمر ذلك أردت أن أصنف في أحكام القرآن كتابًا أشرح فيه ما انتزعه الشافعي رضي الله عنه من أخذ الدلائل في غوامض المسائل، وضممت إليه ما نَسَجْتُه على منواله واحتذَيْتُ فيه على مثاله، على قدر طاقتي وجهدي ومبلغ سَعْيِي وجدّي، ولن يعرف قدر هذا الكتاب إلا من وَفَرَ حظُّه من علوم المعقول والمنقول وتبحَّرَ في الفروع والأصول، ثم أكب على مطالعة هذه الفصول بمسكة صحيحة وقريحة نقية»، ثم قال: «ولما رأيت أقاويل المفسرين في أحكام القرآن متجاوزة حد البيان، آخذة بطرفي الزيادة والنقصان، جررت في سرحها هذه الفصول المتضمنة من اللفظ والمعنى شفاء كل عليل، مع انتخابي فيها قصد السبيل وتوقي التعليل والتطويل [أحكام القرآن، ج1، ص3]؛

2 - «شفاء المسترشدين في مباحث المجتهدين» وهو من أجود كتب الخلاف؛ 3 - في الرد على مفردات الإمام أحمد، أي نقض ما انفرد به الإمام أحمد من المسائل الاجتهادية عن الأيمّة الثلاثة. ولعل تأليفه لهذا الكتاب قد أوْغر صدور الحنابلة في بغداد فاتهموه بالزندقة ووقع له ما وقع من الفتنة والبلاء حتّى رجم وكاد يقتل. وقد نظم هذه المفردات العلامة محمد بن علي المقدسي الحنبلي (ت 820 هـ) واسمه «النظم المفيد الأحمد في مفردات الإمام أحمد» وهو مطبوع مع شرحه [هامش سير أعلام النبلاء، ج 19، ص 350]؛ 4 - لوامع الأدلة في زوايا المسائل [حاجي خليفة، كشف الظنون، ج 5، ص694]؛ 5 - التعليق في أصول الفقه [م. ن، ج 1، ص 422].

المصادر والمراجع

● إلكيا الهراسي، أبو الحسن (ت 504هـ) أحكام القرآن في مجلّدين (4أجزاء)، ط 2، 1405هـ/ 1985 م، دار الكتب العلمية، بيروت؛ ● الذهبي، محمد بن أحمد (ت748هـ)، سير أعلام النبلاء (25 مجلد)، تح. الأرنؤوط، ط4، 1406هـ/ 1986 م، مؤسسة الرسالة، بيروت، (ج 19، ص 350-352)؛ ● السبكي، عبد الوهاب (ت 771 هـ)، طبقات الشافعية الكبرى، تح. محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلو، مطبعة عيسى البابلي الحلبي وشركاه، ط 1، 1974 م، (ج 7، ص 231-234)؛ ● الأسنوي، عبد الرحيم (ت 772 هـ)، طبقات الشافعية، (2 مجلدات) تح. عبد الله الجبوري، دار العلوم، الرياض، ثم طبع بدار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1407 هـ/ 1987 م (ج 2، ص 292-294)؛ ● ابن العماد الحنبلي، عبد الحي (تـ 1089 هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح. لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت (ج 4، ص8-10).

د. هشام قريسة
جامعة الزيتونة - تونس

ابن ألمّا، محمد سالم بن المختار

(1301 هـ/ 1883 م - 1383 هـ/ 1963 م)

محمد سالم بن المختار بن ألـمَّا اليدالي الشَّمْشَوِيُّ، لغوي وفقيه متصوّف ولد سنة 1301هـ/ 1883م قرب قرية التَّمْجَاط الواقعة على بعد حوالي مائة كلم إلى الجنوب الشرقي من مدينة نواكشوط.

نشأ وتربّى في أسرة ذات مكانة علمية واجتماعية، فقد أسس والده محظرة شهيرة بعد أن تخرّج من محظرة العلامة محنْض بَابَه

ابن اعْبَيد (ت 1277هـ/ 1860م)، كما تولى القضاء في قبيلته بأمر من أمير الترارزة عْلِي بن محمد الحبيب (ت 1303هـ/ 1886م). ولم يكد ابن ألمّا يبلغ السابعة من العمر حتّى اختطف الموت والده المختار (ت 1307هـ/ 1889م) ممّا أدّى إلى الانقطاع عن التدريس لمدة ثلاث عشرة سنة في المحظرة التي كان أبوه قد أقامها.

ويبدو أن فقدان الوالد وتعطّل التدريس في المحظرة لم يؤثرا في نمو الطفل العلمي، بل إنّ هنالك من يرى أنّ ذلك مثل حافزا له على إكمال دراسته المحظرية كي يعود إلى قومه مواصلا مسيرة أبيه باستلام زمام الأمور في محظرة الأسرة.

وقد بدت أمارات الذكاء على ابن ألمّا وهو ما يزال صبيا يافعا، فقد استرعت انتباه معلميه وأقرانه قدرته الفائقة على الحفظ والاستيعاب ممّا ساعد في اكتمال نموّه العلمي بسرعة.

بدأ ابن ألمّا مشواره الدراسي عند عمّه محمذن بن ألمّا (ت 1314هـ/ 1895م) الذي درس عليه ثلاثة أرباع القرآن الكريم وانتقل إلى العلامة المختار بن جَنْكِي (ت 1321هـ/ 1902م) فأكمل عليه القرآن حفظا وتجويدا ودرس عنده نظم الغزوات والآجرومية وابن عاشر ثم درس على العلامة محمد بن المحبوبي (1335هـ/ 1917م) ألفية ابن مالك بطرة واحمرار المختار بن بُونَه (ت1220هـ1804/ م) ويسيرا من مختصر خليل. وبعد ذلك ارتحل إلى العلامة يحظيه ابن عبد الودود (ت 1358هـ/ 1939م) فأعاد عليه دراسة الألفية مع طرة بن بونَه ثم قرأ عليه الفرائض من مختصر خليل وإضاءة الدجنة في معتقد أهل السنة. وواصل ابن ألما تنقلاته الدراسية ملتحقا بمحظرة أهل العاقل حيث درس على العلامة محمد فال بن محمذن بن أحمد بن العاقل (ت 1334هـ/ 1915م) جزءا من مختصر خليل وبعضا من علوم البلاغة.

وأخيرا عاد ابن ألما إلى مضارب قبيلته مواصلا السعي إلى جمع المعارف المتداولة في ذلك الوقت بالمحظرة ليلقي عصا الترحال عند أستاذه محمد بن المحبوبي (ت 1335 هـ/ 1916م) الذي أكمل عنده ما تبقى من مختصر خليل كما درس عليه سلم الأخضري، والطيبية، والكوكب الساطع في أصول الفقه، والكبرى والصغرى، للسنوسي والوسيلة لابن بونَه، وتحفة ابن عاصم، والجزء الأول من النوادر وبعض الشاطبية، وديوان الشعراء الستة الجاهليين.. إلى غير ذلك من متون الفقه والنحو والبلاغة والمنطق.

وقد عرف ابن ألما بالورع والتقوى والتواضع والدأب على التحصيل، فقد اشتهر عنه أنه بعد أن اشتغل بالتدريس وصار شيخ محظرة من أكبر المحاظر الموجودة في منطقة القبلة ذات الصيت العلمي الواسع، أخذ عن تلميذه محمد بن أجفغ عبد الله (ت 1335هـ/ 1916م) علم العروض.

وكان من ذكاء الرجل أن بلغ درجة من العلم مكنته من الجلوس للتدريس في المحظرة ولمّا يبلغ العشرين من العمر، فواصل السير على المنهاج الذي اختطه والده في التدريس والتأليف موليا عناية خاصة لاقتناء الكتب حتّى امتلك مكتبة غنية تزخر بمختلف العلوم والفنون ممّا ساعده على مواصلة الدراسة

والتدريس معا. وتخرّج على يده جماعة من العلماء والأساتذة.

ومن أهمّ من أخذوا العلم عن ابن ألمّا الشيخ المختار بن المحبوبي (ت 1391 هـ 1971م)؛ والإمام بُدّاهْ بن البصيري؛ والشيخ محمد الحسن بن أحمدو الخديم؛ والقاضي محمد المصطفى بن بَبّانه؛ وكثير غير هؤلاء من الأساتذة والعلماء والقضاة الذين درسوا على محمد سالم بن ألمّا ونهلوا من معين معارفه.

وقد تولّى ابن ألمّا القضاء في سنّ مبكّرة وذلك بأمر من أمير الترارزة أحمد سالم بن إبراهيم السالم (1347هـ/ 1930م). وامتازت طريقته في القضاء باعتماد أسلوب المصالحة بين الخصوم بدلا من فض نزاعاتهم بالفصل الشرعي فيها، إذ تقول الروايات المتداولة إنه رغم كثرة القضايا التي عرضت عليه لم يصدر إلا ثلاثة أحكام طيلة توليه القضاء، وذلك لشدة ورعه.

وكان الرجل متصوّفا شاذليا، انتهى إليه أمر الطريقة الشاذلية بالجنوب الغربي الموريتاني. ورغم أنه كان سني العقيدة أشعريها متمسّكا بمشهور المذهب المالكي السائد في المنطقة، فقد امتاز هذا الفقيه بسعة أفق وغزارة علم أهّلتاه لأن يكون من بين قلة من معاصريه استطاعوا التأليف في فقه المذاهب الأربعة.

وقد توفي زوال يوم الجمعة 21 شوال 1383هـ/ 1963م، وأرّخ لذلك تلميذه العلامة محمد الحسن بن أحمدو الخديم، بالبيتين التاليين معتمدا قيم الحروف في حساب الجمل:

بمطلع الشيخ الزَّمانُ «اشرقا»
إذ عاش «طائعا» ولله البقا

في «طيب» شوال لدى زوالِ
جمعةٍ سار لحفظِ الوالي

وقد عايش ابن ألمّا النهضة الثقافية التي عرفتها البلاد الموريتانية فتأثر بها وأثر فيها. وكانت محظرته مدرسة متميّزة في التربية والتعليم. يقول تلميذه وأستاذه في العروض محمد بن أجفغ عبد الله واصفا براعته في التدريس:

في النحو والفقه شيخي لا نظيرَ له
وكل قِرم إلى إقرائه قرمُ

فإن أتت طرةُ المختار يقرأها
حتّى يرى الحاضُرون النار تضطرمُ

وإن أتاه خليل يوم مسألة
يقول لا غائب مالي ولا حرمُ

أنا الذي قلت هذا البيت لابن أبي
سلمى وشيخي به المعنى لا هرمُ

ورغم الانشغال بالتدريس والعبادة فقد تمكّن الرجل من أن يساهم مساهمة مهمّة في حركة التأليف التي شهدتها البلاد الشنقيطية حينئذ مؤلفا وناظما وشارحا لمواضيع شتّى من الفنون المتداولة في ذلك الوقت.

ولعل من أهمّ إسهامات الرجل كتابه «الفرق بين الحقيقة والمجاز»، وهو نظم في علم البلاغة يقع في 194 بيتا من الرجز. ومع أنّ ابن ألمّا -على تفننه في علوم البلاغة- لم يخرج في هذا التأليف عما أورده البلاغيون القدماء إلا ما كان يعد طريفا من زيادة في

الشرح أو توسّع في الأمثلة، فإن كتاب الفرق بين الحقيقة والمجاز يعد طريفا في بابه إذ اختص بمسألة الحقيقة والمجاز دون غيرها من مباحث البلاغة، والشائع في التأليف البلاغي أن يمسح جميع مسائل البلاغة دون تمعّن في واحدة بعينها كما هو الحال في هذا النظم الذي حققه الأستاذ سيدي محمد بن أحمد بابه بالمدرسة العليا لتكوين الأساتذة والمفتّشين سنة 1984م. وإلى جانب اهتماماته النحوية والبلاغية كانت للرجل مواقفه الاجتماعية والخلقية. ففي نظمه «المجتبى في النهي عن الغيبة والربا» يتعرّض ابن ألمّا لما شاع لدى المحدّثين من استهانة بالتعدي على الأموال والأعراض ويقدّم جملة من التوجيهات والإرشادات التي يرى أنّ أبناء «هذا الزمان» غدوا بأمس الحاجة إليها.

■ آثاره

1 - في اللغة:

1 - كتاب الحقيقة والمجاز؛ 2- كتاب السرائر في حصر الضمائر؛ 3- كشف الحجاب عن صرة الإعراب؛ 4- طرة واحمرار على نظم الجموع لمحنّض بابه بن عبيد؛ 5- أسنى المسالك على خطبة ابن مالك.

2 - في الفقه:

6 - أشهى السماع في تبيين مواضع بينة السماع؛ 7 - وسيلة الجنان؛ 8- تحفة النبلاء في كيفية القضاء؛ 9 - رمق الحاجات على قفى النفقات؛ 10- مذاهب الأربعة فيما يخرج عن الملّة، 28 صفحة من الحجم المتوسط؛ 11- المجتبى في النهي عن الغيبة والربا، وهو نظم في التوجيه من 21 بيتا.

3 - في المنطق:

12- عكوس المواجهات

4 - في علوم القرآن:

13- شرح نظم الطالب عبد الله الجنكي (ت بعد 1250هـ/ 1835م) فيما يشدد من الواو والياء.

5 - في الحديث:

14- كشف الأغطية والأستار في الموضوعات من الأخبار.

6 - في التصوّف:

15- الندوة الشريفة في شرح الوظيفة.

7 - في الأصول:

16- شرح الكوكب الساطع للسيوطي ويقع في 232 صفحة من الحجم المتوسّط.

■ المصادر والمراجع

● ولد أبّاه، محمد المختار، تاريخ النحو في المشرق والمغرب، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، 1996، ص535-536؛ ● تاريخ القراءات في المشرق والمغرب، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، الرباط، المغرب، 2001 م، ص639 - 645؛ ● دراسات في تاريخ التشريع الإسلامي في موريتانيا، تونس 1981، ص126؛ ● ابن حامد، المختار، حياة موريتانيا، الحياة الثقافية، الجزء الثاني، الدار العربية للكتاب، تونس 1990، ص38، 40،

56 و340؛ ● النحوي، الخليل، بلاد شنقيط، المنارة..والرباط، تونس 1987، ص524، الترجمة و589-590، قائمة المؤلفات؛ ● ابن اماه، أبوبه، القبس الثاقب فيما لابن ألما من المناقب، مخطوطات تحت الرقم 3185، المعهد الموريتاني للبحث العلمي، نواكشوط؛ ● ابن أحمد بابه، سيدي محمد، تح. كتاب الحقيقة والمجاز، المدرسة العليا لتكوين الأساتذة والمفتّشين، نواكشوط 1984؛ ● ابن محمد يحظيه، أحمدو سالم، تح .نظم الفرق بين العلماء وشرحه للعلامة محمد سالم بن المختار بن ألما، المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، نواكشوط 1992؛ ● ابن عمر، محمد يحيى، دراسة لمختلف جوانب شخصية محمد سالم بن المختار ابن ألما، المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، نواكشوط 1984م؛ ● بنت أحمد، عائشة، تح. الجزء الأول من نظم الشمائل للشيخ ابن المحبوبي، المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، نواكشوط 1998، ص48؛ ● ابن محمدن، جمال، تح .نظم فرائد الدرر، المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، نواكشوط 1992م؛ ● ابن البراء، يحيى، ملكية الأرض في موريتانيا، معهد الدراسات الإفريقية بالرباط 1999، ص14؛ ● ابن الزايد، أحمد بن حبيب، نظم لسيرة محمد سالم بن المختار بن ألما، 9 صفحات، مخطوط بحوزتنا نسخة منه.

د. محمد بن محمذن

جامعة نواكشوط - موريتانيا

الألوري، آدم بن عبد الباقي بن حبيب

(1335 ـ 1336 هـ/ 1917 م . ... هـ/ ...م)

هو آدم بن عبد الباقي بن حبيب بن عبد الله الألوري، ولد في قرية «واسا» جنوب غرب نيجيريا سنة 1917، ونسب والده يمتدّ إلى قبيلة «اليوربا» بنيجيريا وهي واحدة من أكبر قبائل جمهوريّة نيجيريا، وأمّه يمتدّ نسبها إلى قبيلة «بربريّة» وتقع في بلاد «بنين».

تلقّى تعليمه العربي على يد والده وكان واعظاً وحافظاً للقرآن وقرأ عليه بعض الدواوين الشعريّة ثمّ أخذ عن «الشيخ صالح» في مدينة «إبادن» بنيجيريا، وأخذ عن بعض علماء «لاجوس» وأهمّهم الشيخ «آدم نماج الكنوي» حيث أخذ عنه الأدب، والبلاغة، والنقد والتحليل.

ولما قرأ «آدم الألوري» ما هو متاح من كتب علماء المسلمين القدامى والمعاصرين أبقى

في ذاكرته إعجابه الخاص بعلمين من علماء المسلمين هما «ابن خلدون»، و«حسن البنا».
يستمدّ «آدم الألوري» أهميّته بين علماء المسلمين المعاصرين من إسهاماته ونشاطاته ومؤلّفاته الخادمة للثقافة العربيّة والإسلامية في أرض إفريقيا، ويعدّ أشهر عالم بالثقافة الإسلاميّة والعربيّة في قبيلة «اليوربا» وهي ثالث أكبر قبائل نيجيريا وغرب إفريقيا، ولذلك كان تأثيره كبيراً في نشر الثقافة العربيّة والإسلاميّة في فترتي الاحتلال والاستقلال.
ومن أبرز إسهاماته التي تؤسّس وهميّنه بين علماء المسلمين تأسيسه المركز الإسلامي بأغيجي، وهو مركز امتدّ نشاطه من نيجيريا إلى بنين والداهومي في غرب إفريقيا. وقد أنشأ مطبعة الثقافة الإسلامية في نيجيريا في سنة 1968 وهو أمر حقق مردوداً علمياً لكلّ المهتمّين بالثقافة العربيّة وطبع كتبها بنيجيريا، وكان قد أسّس «المسجد الجامع المركزي».

وكان لرحلاته الخارجيّة آثارها في زيادة خبراته وثقافته الخاصة ولا سيما رحلاته إلى بعض الدول العربيّة مثل مصر، السودان، ليبيا، السعوديّة، القدس، الصومال... وقد مثّل نيجيريا في العديد من المؤتمرات الإسلاميّة العالميّة باعتباره من كبار علماء العربيّة والإسلام في نيجيريا وغرب إفريقيا.

آثاره

تأتي مؤلّفات آدم الألوري لتعكس الوجه الحقيقي لثقافته الموسوعيّة وأهميّته العلميّة في نيجيريا وغرب إفريقيا لا سيما وأنّ أكثر مؤلّفاته مطبوعة ممّا مكّن من انتشارها، وهو أمر لم يتوفّر لأقرانه من علماء غرب إفريقيا.

ولأنّ «آدم الألوري» هو ابن لثقافة إسلاميّة ملتزمة، فكان من الطبيعي أن تستأثر النزعة الإسلامية بمؤلفاته فكتب:
1 ـ أصول المذاهب الأربعة. 2 ـ مصطلح الحديث. 3 ـ نصوص التوحيد وأدلّة الاعتقاد. 4 ـ عون الإمام. 5 ـ ما يلام عليه علماء نيجيريا. 6 ـ الإسلام وتقاليد الجاهليّة. 7 ـ تاريخ الدعوة الإسلاميّة... 8 ـ الإسلام في نيجيريا. 9 ـ الشيخ عثمان بن فودي. 10 ـ الأسلوب الجديد في جوهرة التوحيد. 11 ـ دروس التوحيد والعقيدة. 12 ـ فلسفة النبوة. 13 ـ مبادئ الفلسفة الإسلاميّة. 14 ـ خلاصة السيرة النبويّة. 15 ـ الإسلام بين دعاته...

وله في مجال التعليم:

16 ـ نظام التعليم العربي في العالم الإسلام.
17 ـ مشاكل التعليم العربي في نيجيريا.

وفي مجال الأدب، والبلاغة العربيّة:

18 ـ مصباح الدراسات الأدبيّة في الديار النيجيريّة. 19 ـ لباب الأدب. 20 ـ المقطوعات الأدبيّة في المحفوظات الشعريّة. 21 ـ تعريف الشعر العربي. 22 ـ تقريب اللغة العربيّة. 23 ـ تقريب النحو...

بالإضافة إلى مجموعة أشعار ومنظومات خاصّة به، وله بعض المؤلّفات المتفرّقة في علم النفس، والتاريخ، والأنساب، والقراءات القرآنيّة، والفلك، والنجوم، والجغرافيا...

وقد بلغت مؤلّفاته نحو أربعين مؤلّفاً أكثرها مطبوع وهو من أواخر المؤلّفين الموسوعيّين

في نيجيريا، والتأليف الموسوعي اشتهر به علماء الدولة الفوديّة في القرن التاسع عشر وامتدّ حتى النصف الثاني من القرن العشرين، وكان «الألوري» من المقاومين لمحاولات الاستعمار المتنوّعة ضدّ العربيّة والثقافة الإسلاميّة، وقد نجح مع بعض رفاقه في تحجيم رغبة الاستعمار في محو الثقافة العربيّة من نيجيريا. ولذلك فهو جدير بالذكر بين علمائنا العرب المعاصرين.

■ المصادر والمراجع

● الحاج، شعيب أحمد، آدم الآلوري ومجهوداته العلمية والأدبية والدينية، مخطوط بمكتبة جامعة صكتو. ● التلاوي، محمد نجيب، الأدب العربي النيجيري، مخطوط بمكتبة كليّة الآداب بجامعة المنيا، جمهورية مصر العربيّة ومقابلة شخصيّة مع آدم الألوري في 28/ 7/ 1983. ● الألوري، آدم عبد اللّه، الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان فودي الفلاني، ط 2، الدار العربيّة، بيروت 1971. ● الألوري، آدم عبد اللّه، الإسلام وتقاليد الجاهليّة، ط 2، مطبعة المدني بالقاهرة 1977. ● الألوري، آدم عبد اللّه، الإمام المغيلي وآثاره في الحكومة الإسلاميّة في القرون الوسطى في نيجيريا، ط 1، مطبعة البابي الحلبي بمصر. ● الألوري، آدم عبد اللّه، تاريخ الدعوة الإسلاميّة إلى الله بين الأمس واليوم، ط 1، مكتبة الحياة ببيروت، ط 2، مكتبة وهبه بالقاهرة، د. ت. ● تعريف الشعر العربي، رسالة مخطوطة لآدم الألوري، مكتبة أغيغي الخاصّة، بنجيريا ● الألوري، آدم عبد اللّه، الفواكه الساقطة، مطبعة المشهد الحسيني بالقاهرة. ● الألوري، آدم، مصباح الدراسات الأدبيّة في الديار النيجيريّة، مطبعة أغيغي بنجيريا. ● الألوري، آدم عبد الله، موجز تاريخ نيجيريا، دار الكتب المصريّة، صدر أكتوبر 1962.

د. محمد نجيب التلاوي
جمهوريّة مصر العربيّة ـ المنيا

■ الألوسي، علاء الدين علي بن نعمان

(1277 هـ/1861م - 1340 هـ / 1922 م) ■ ■ ■

أنجبت مدينة آلوس في العراق كثيرا من العلماء، ومن أشهرهم أبو الثناء محمود شهاب الدين (1217- 1270هـ)، وعلاء الدين خير الدين (1252 - 1317هـ)، ومحمود شكري (1273 - 1342 هـ)، وعلاء الدين علي بن نعمان خير الدين الآلوسي المولود في السادس من شعبان سنة 1277هـ (1861 م) في أسرة عرفت بالعلم

والأدب. كان أبوه وابن عمه محمود شكري معلميه، واتصل بإسماعيل الموصلي وأخذ عنه، وأحب الأدب وأخذ منه الشيء الكثير حتى دبت في نفسه الشاعرية، فقال الشعر في صباه.

وكانت الآستانة حاضرة العالم الإسلامي يومذاك فشد الرحال إليها عدة مرات، وتعلم فيها اللغة التركية والفارسية، وحصل على شهادة مدرسة النواب (القضاة) التي أهلته لتولي القضاء في فلسطين وبعلبك، وفي العمارة والديوانية وبغداد.

وأجبرته سلطات الاحتلال البريطاني على تولّي قضاء بغداد فقبله على مضض، وقال:

إن القضاء هو البلاء فلا تكن
متعرضا فتصاب من سوء القضا

وإذا ابتليت به على كرم فخذ
نهج العدالة إنها سبب الرضا

والله عون الحق ينصر أهله
ويذل من هضم الحقوق وأعرضا

وفي سنة (1299هـ) أرسله أبوه إلى حسن صديق خان ملك بهوبال فقرأ عليه وعلى شيخه الشيخ حسين بن محسن اليماني والأنصاري وأجازه إجازة عامة. ولما توفي أبوه سنة (1317هـ) بالآستانة قام مقامه، وولي التدريس في مدرسة مرجان، والشيخ صندل. وكان من طلابه محمد بهجة الأثري، ومحمد الهاشمي، ومنير القاضي، وعباس العزاوي، ومحمد العسافي.

وبعد إعلان الدستور العثماني سنة (1908 م) انتخب نائبا وبقي مدة قليلة في الآستانة، ثم عاد إلى بغداد. وفي أوائل الحرب العالمية الأولى أرسلته الحكومة إلى الحجاز، ولما عاد انتخب عضوا في المجلس العمومي لولاية بغداد إلى أن احتلها الانكليز في الحرب العالمية الأولى.

وفي أواخر أعوامه سئم الحياة لسوء الأوضاع السياسية والاجتماعية، وودّ لو خلد إلى الراحة خارج بغداد ولكن الأجل كان يترصده، ففي ليلة عيد الفطر سنة (1338هـ) أصابه الفالج وظل يعاني الآلام حتى انتقل إلى جوار ربه ليلة السبت الثامن من جمادى الأولى سنة 1340هـ / 1922م) ودفن في مدرسة مرجان ببغداد.

آثاره

كان علاء الدين عالما جليلا، ولم يترك آثارا علمية كثيرة لانصرافه إلى القضاء والنيابة والتدريس. وقد ذكر له محققا كتابه «الدر المنتثر» المؤلفات التالية: 1- نظم الآجرومية في النحو، ط. بيروت سنة 1318هـ؛ 2- فوائد وتعليقات في النحو؛ 3- منظومة في الظاء والضاد؛ 4- منظومة في علاقات المجاز؛ 5- نظم سور القرآن الكريم، وهي أرجوزة في (43) بيتا نشرها محققا «الدر المنتثر» [59-61]؛ 6- ديوان شعر، جمعه تلميذه محمد بهجة الأثري؛ 7- الدر المنتثر في رجال القرن الثاني عشر، ترجم فيه لثمانية وعشرين من رجال القرنين الأخيرين، ذاكرا مؤلفاتهم وأشعارهم. ويعد هذا الكتاب مصدرا مهما في تراجم أعيان القرن الثاني عشر والثالث عشر الهجريين بعد أن حققه جمال الدين الآلوسي وعبد الله الجبوري وأصدراه

في بغداد سنة 1387هـ/ 1967م؛ ولم يقف علاء الدين عند التأليف وإنما نشر كتبا منها:
8- كتاب التوحيد للإمام جعفر الصادق؛
9- غاية السؤل في سيرة الرسول لعبد الباسط الحنفي؛ 10- نقد مقامات الحريري لابن الخشاب وانتصار ابن بري للحريري؛
11- الحباء في الإيصاء، لأبيه نعمان خير الدين [الدر المنتثر، 52].

ولعلاء الدين ـ إضافة إلى كتبه - شعر جمعه تلميذه محمد بهجة الأثري، وجمع جمال الدين الآلوسي وعبدالله الجبوري بعض شعره ونثره في تقديم «الدر المنتثر». فمن شعره قوله في تصاوير بعض أصدقائه:

هلم انظروا هذي التصاوير، إنها
بدور تبدت في سماء جمال

كساها شعاع الشمس بردا من السنى
فبادلها شكل عديم مثال

رسوم عليها للغرام علامة
ولم يبق منها الحب غير الخيال

وجاءت لها الايام بالوصل واللقا
لذلك تراها مثل عقد لآل

ستبقى جميعا بعد فرقة أهلها
منعّمة من دهرها بوصال

وقال في الحنين إلى العراق:

اومض البرق من ثنايا العراق
فاستفاضت له شؤون المآقي

وبدا لامعا فأجج نارا
تتلظى بين الحشا والتراقي

ليت شعري وللزمان شؤون
هل يضم الأحباب شمل التلاقي

وديـاري كما أحب ديـاري
ورفاقي كما أحب رفاقي

ويمثل هذا الشعر نزعة علاء الدين ومن اهتموا بالفقه وتدريسه، ويلقي ضوءاً على حالة الشعر في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين وإرهاصات التجديد التي ظهرت في العراق على أيدي الشعراء الكبار أمثال محمد جميل صدقي الزهاوي، ومعروف الرصافي، وغيرهما ممن دعا إلى التجديد.

هذه آثاره وهي قليلة على الرغم من علمه وفضله الكبير [معجم المؤلفين، 7/ 254]. وقد وصفه محمد بهجة الأثري فقال: «كان على جانب عظيم من العلم والأدب والذكاء وقوة العقل والنبل وأصالة الرأي والورع وعلوّ النفس وجمال السمت، وجمع بين الفقه واللغة والأدب والشعر والقضاء والسياسة، وكان ظاهر الشخصية فيها جميعا. ومثّل بفقهه وعدله وتمسّكه بالحق كبار قضاة السلف، وجرى في طريقة أبيه من التحرر والاجتهاد وبعث حركة الإصلاح الديني، ونشط رواد العلم والأدب، ووقف كتبه وأضافها إلى مكتبة مرجان، ونشر طائفة من كتب أبيه ورسائل بعض السلف»[محمود شكري الآلوسي، ص 45]

وقال محمد صالح السهروردي: «عالم جهبذ كريم، جامع لأعلى خلال التعظيم؛ ذو الرياسة التامة، والسيادة على الخاصة والعامة؛ الصادرة عن آرائه الأحكام، التي لا

يعارضها لاستقامتها الحكام؛ ذو الرئاسة الحصيفة، والخلال المنيفة؛ أدب جم، ونبل محترم؛ علم غزير، وفضل كثير. عقل راجح وفهم صائب فادح؛ علامة الآفاق، مجدد العصر باتفاق؛ شريف النسب، كريم الأرومة؛ هو العلامة السيد علاء الدين الآلوسي» [لب الألباب، 2/ 230]

المصادر والمراجع

● الآلوسي، علي علاء الدين، الدر المنتثر في رجال القرن الثاني عشر والثالث عشر، تح. جمال الدين الآلوسي وعبد الله الجبوري، بغداد 1387هـ/ 1967م؛ ● السهروردي، لب الألباب، بغداد 1351هـ/ 1933م؛ ● كحالة، معجم المؤلفين، دمشق 1376هـ/ 1957م؛ ● الأثري، محمد بهجة، محمود شكري الآلوسي وآراؤه اللغوية، القاهرة 1958م؛ ● الزركلي، الأعلام، ط. 5، بيروت 1980م.

د. أحمد مطلوب
المجمع العلمي العراقي - بغداد

الألوسي، محمود شكري بن عبد الله

(1273هـ / 1856 م - 1342 هـ/ 1924م)

محمود شكري بن عبد الله بهاء الدين ابن محمود شهاب الدين أبي الثناء الآلوسي المعروف بجمال الدين أبي المعالي الآلوسي.

ينتسب إلى أسرة بغدادية علوية حسينية، انتقل جدها الأعلى إلى بغداد من آلوس (أو ألوسة، وهي جزيرة صغيرة في أعلى الفرات بالعراق) في أواخر القرن الحادي عشر الهجري، وأنجبت كثيرا من الفقهاء والأدباء أبرزهم جدّه أبو الثناء الألوسي صاحب كتاب «روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع مثاني» الذي عُني محمود شكري بنشره وتصحيحه.

درس على أبيه حتّى بلغ السن الثامنة عشرة. وبعد وفاة والده درس على عمه الفقيه أبي البركات نعمان خير الدين الألوسي، ثم على الشيخ إسماعيل بن مصطفى الموصلي. وقرأ كذلك على الشيخ عبد السلام الشوّاف، والشيخ بهاء الحق الهندي، والسيد محمد أمين الخراساني الفارسي، وغيرهم.

تعلّم اللغتين التركية والفارسية، وترجم من الفارسية بعض الكتب في علم الهيئة والعقائد، وكان من أوائل الذين تخلّصوا من السجع في بعض كتاباته وأخذ ينشىء نثرا مرسلا لا تكلُّف فيه. تصدّر للتدريس وعُيّن مدرّسا في جامع الحيدرية ثم في جامع سلطان

علي. وبطلب من الوالي العثماني سرّي باشا، أنشأ محمود شكري سنة 1307هـ/ 1890م، القسم العربي لجريدة «الزوراء»، وهي أول جريدة صدرت في بغداد. وقد نشر بعض مقالاته فيها وفي عدد من الدوريات العربية، فيما بعد، مثل: سبيل الرشاد، والمقتبس، والمشرق، ومجلّة المجمع العلمي العربي، والمنار، وغيرها.

درس كتب ابن تيمية وابن قيم الجوزية وتأثر بها في تفكيره الديني، وتبنّى الدعوة السلفية للشيخ محمد عبد الوهاب، وراح يدعو إلى ترك التقليد، ومقاومة البدع والخرافات. ثم أخذ يناهض الطرق الصوفية التي كانت تشجعها الحكومة العثمانية، فأقدم والي بغداد عبد الوهاب باشا على نفيه مع فقيهين آخرين إلى بلاد الأناضول سنة 1323هـ/ 1905م. وعندما وصل إلى الموصل منعه أعيانها من مواصلة السفر، وكتبوا إلى السلطان عبد الحميد فسمح له بالعودة إلى بغداد.

وفي عهد الوالي جمال بك (المشهور بجمال السفاح بعد ذلك العهد)، أصبح محمود شكري عضوا في مجلس الإدارة في ولاية بغداد سنة 1330هـ/ 1912م.

وعندما اندلعت الحرب العالمية الأولى ابتعثته الحكومة العثمانية إلى نجد سنة 1333هـ/ 1914م لإقناع أميرها آنذاك عبد العزيز آل سعود بمناصرة الدولة العثمانية، بيد أنه لم يفلح في مهمّته، فقد اعتذر الأمير ولكنه وعد أن يبقى على الحياد.

كان نزيها متعفّفا، وفي ذلك يروي اللغوي العراقي الأب أنستاس ماري الكرملي أن الألوسي كان في ضائقة مالية في عهد الاحتلال البريطاني، فلما علم بذلك المعتمد السامي البريطاني «برسي كوكس» أهداه ثلاث مائة دينار ذهبا، وكلّف الكرملي بحملها إليه. فلمّا جاء بها إلى منزله رفض قبولها رفضا باتا. ثمّ عرض عليه الإنجليز منصب قاضي بغداد فرفض. ولم يلِ عملا رسميا بعد ذلك سوى عضوية مجلس المعارف في الحكومة العراقية، وعضوية المجمع العلمي العربي بدمشق.

وظل يعيش في كفاف وهو يؤلف ويلقي الدروس حتّى عام (1337هـ) حين ابتلي برمل في المثانة فلم يهتمّ به، ومضى عامان وهو يعاني المرض الذي اشتدّ، وأصيب في أول الثلث الأخير من رمضان (1342هـ) بذات الرئة؛ وما لبث أن لبّى نداء ربه بعد ثلاثة عشر يوما، وودع العالم ظهر يوم الرابع من شوال سنة 1342هـ/ 1924م، ودفن في مقبرة الشيخ الجنيد بكرخ بغداد، وأبّنه ورثاه كثير من الكتاب والشعراء [أعلام العراق، 165].

كان محمود علما من أعلام العراق، وقد قال عنه محمد صالح السهروردي: «إمام لا يدرك شأوه، ولا يسبق في العلوم خطوه، ولا في مضمار المفاخر والفضائل قوله، ولا يقاس مع القدرة صفحه وعفوه. كثير الفضائل عظيم السجايا لا يشق له غبار، كيف وهو خيار من خيار» [لب الألباب، 2/ 218].

وقال تلميذه محمد بهجة الأثري: «كان عظيم الهيئة رائعها، يستشرف النظر إلى تمليه، فخما في غير غلظ يكره في الأجسام، شديد الانفعال والتأثر، سريع الغضب، سليم دواعي القلب، مفرط الذكاء إفراطا يكاد

يستشف بالحدس اليقين، راجح العقل، حر الضمير، جريء الفؤاد، لا يهاب قوة في الأرض، وافر النشاط، ميالا إلى الجد، مستغرقا في العمل المتواصل لا يكل منه، كأنه يجد فيه راحة نفسه... وكان تكوينها عنده عوامل الوراثة وعوامل النشأة والتربية، وغذاها طول التماسه الأسوة في أخلاق القرآن وأدب النبوّة، «عمل على تزكية عقله وقلبه وترسمه شمائل أئمة سلف الأمة الهداة المهديين» [محمود شكري الآلوسي، 99].

آثاره

أولع محمود شكري الألوسي بالتدريس، فترك كثيرا من الكتب والرسائل، وقد قسمها تلميذه الأثري خمسة أقسام: كتب دينية، وكتب تاريخية، وكتب في العلوم الدخيلة والمسائل العامة، وكتب أدبية، وكتب لغوية [محمود شكري الالوسي، 110؛ الدر المنتثر، 44؛ كتاب النحت، وأعلام العراق، 140؛ معجم المؤلفين، 12/ 169].

1 - الكتب الدينية:

1 - كتاب ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة، ألفه سنة 1339هـ؛ 2 - منتهى العرفان والنقل المحض في ربط الآي ببعض، شرع في تأليفه في أوائل سنة 1341هـ ولم يكمله؛ 3 - الدلائل العقلية على ختم الرسالة المحمدية، كتبه سنة 1319هـ؛ 4 - كشف الحجاب عن الشهاب في الحكم والآداب؛ 5 - مختصر مسند الشهاب في الحكم؛ 6 - الروضة الغناء، شرح دعاء الثناء، كتبه سنة 1294هـ؛ 7 - كنز السعادة في شرح كلمتي الشهادة، ألفه سنة 1298هـ؛ 8 - عقد الدرر (شرح مختصر نخبة الفكر للشيخ عبد الوهاب بركات الشافعي) في مصطلح الحديث، فرغ من تسويده في 18 ربيع الأول سنة 1299هـ؛ 9 - فصل الخطاب في شرح مسائل الجاهلية للإمام محمد بن عبد الوهاب، ط. مرتين في القاهرة سنة 1347 وسنة 1376هـ؛ 10 - القول الأنفع في الردع عن زيارة المدفع، وقد ترجمت الرسالة إلى اللّغة التركية؛ 11 - فتح المنان، تتمة منهاج التأسيس رد صلح الإخوان، فرغ من تأليفه سنة 1306هـ، ط. الهند 1309هـ؛ 12 - غاية الأماني في الرد على النبهاني، وهو في مجلّدين، ط. القاهرة؛ 13 - الآية الكبرى على ضلال النبهاني في رائيته الصغرى؛ 14 - المنحة الإلهية، تلخيص ترجمة التحفة الاثنى عشرية، قدمه إلى السلطان عبد الحميد في سنة 1301هـ، الهند؛ 15 - السيوف المشرقة، مختصر الصواعق المحرقة، كتبه في سنة 1303هـ؛ 16 - صب العذاب، كتبه سنة 1304هـ؛ 17 - رجم الشياطين؛ 18 - سعادة الدارين في شرح حديث الثقلين؛

2 - الكتب التاريخية:

19 - بلوغ الأرب في أحوال العرب وهو الذي نال به جائزة الملك أسكار الثاني ملك السويد والنرويج سنة 1887م فاحتفلت به صحافة الشرق والغرب ومؤلفه ما زال في الحادية والثلاثين من عمره. ط.بغداد سنة 1314هـ وفي القاهرة سنة 1342 - 1343هـ في ثلاثة أجزاء موشحة بتعليقات تلميذه الأثري؛ 20 - كتاب عقوبات العرب في

جاهليتها وحدود المعاصي التي يرتكبها بعضهم؛ 21 - شرح منظومة عمود النسب في أنساب العرب، فرغ منه سنة 1336هـ؛ 22 الدر اليتيم في شمائل ذي الخلق العظيم، لم يتمه؛ 23 - كتاب أخبار بغداد وما جاورها من البلاد، وهو في ثلاثة أقسام: الأول، لا يزال في المسودة، وله نسخ عديدة، وفي المجمع العلمي ببغداد نسخة مصورة منه سنة 1953م - الثاني: سماه «المسك الأذفر في تراجم علماء القرن الثالث عشر»، نشرت قطعة منه في بغداد - الثالث: كتاب مساجد بغداد وآثارها، نشره تلميذه الأثري ببغداد سنة 1346هـ؛ 24 - تاريخ نجد، طبعه تلميذه الأثري مرتين في القاهرة سنة 1343هـ وسنة 1347هـ؛ 25 - أخبار الوالد؛

3 - كتب العلوم الدخيلة والمسائل العامة:

26 - ترجمة رسالة في الهيئة، باللغة الفارسية، لعلي بن محمد السمرقندي؛ 27 شرح الرسالة السعدية في استخراج العبارات القياسية، كتبه سنة 1300هـ؛ 28 - كتاب الأجوبة المرضية عن الأسئلة المنطقية؛ 29 ـ بنان البيان؛ 30 ـ المفروض من علم العروض، استقراه من لسان العرب سنة 1326هـ؛ 31 - شرح خطبة كتاب المطول في البلاغة؛ 32 - إزالة الظمأ بما ورد في الماء؛

4 - الكتب الأدبية:

33 - القول الظريف في تزييف دعوى ناصيف؛ 34 - الأسرار الإلهية: شرح القصيدة الرفاعية؛ 35 - شرح القصيدة الأحمدية؛ 36 - بدائع الإنشاء؛ 37 - رياض الناظرين في مراسلات المعاصرين؛ 38 - أمثال العوام في مدينة السلام؛ 39 - الؤلؤ المنثور وحلي العصور؛ 40 - لغة العرب، استقراه من لسان العرب سنة 1326هـ؛ 41 - المسفر عن الميسر؛ 42 - رسالة السواك، نشرت في مجلة الحرية، 1/ 67؛

5 - الكتب اللغوية:

43 - كتاب ما اشتملت عليه حروف المعجم من الدقائق والحقائق والحكم؛ 44 - الجواب على ما استبهم من الأسئلة المتعلّقة بحروف المعجم؛ 45 - الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر، وقد علق عليه ونشره تلميذه الأثري في القاهرة سنة 1340هـ؛ 46 - مختصر الضرائر؛ 47 - كتاب تصريف الأفعال؛ 48 - الجوهر الثمين في بيان حقيقة التضمين؛ 49 - كتاب النحت، طبعه المجمع العلمي في بغداد سنة 1409هـ/ 1988م بتحقيق تلميذه الأثري؛ 50 - إتحاف الأمجاد فيما يصح به الاستشهاد، حققه عدنان الدوري، ط.بغداد سنة 1982م؛ 51 - شرح أرجوزة تأكيد الألوان، نشر في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، 1/ 67 بعد انتخابه عضوا مراسلا فيه؛ 52 - شرح منظومة العطار؛ 53 - فتاوى لغوية ونحوية.

ولا يزال معظم هذه الكتب والرسائل مخطوطا، بعضها في خزانة محمد بهجة الأثري وبعضها الآخر في مكتبة المجمع العلمي بغداد.

ومحمود شكري الألوسي غني - إضافة إلى هذه الآثار والتصانيف - بإحياء تراث السلف، وقد ذكر تلميذه الأثري الكتب التي نشرها، ومنها ما أثبت فيه اسمه، ومنها ما أغفله، وهي تسعة كتب مما عرفه الأثري على سبيل الاتفاق لا التتبع والاستقراء. [محمود شكري الآلوسي، 125؛ النحت، 15].

المصادر والمراجع

● الأثري، محمود شكري الألوسي وآراؤه اللغوية، القاهرة، معهد الدراسات العربية العالية 1958؛ ● م.ن .أعلام العراق، القاهرة، المطبعة السلفية 1345هـ، ص 86-242؛ ● م.ن، مجلة «المنار»، عدد 25، 374-389؛ ● إسماعيل، الآثار الخطّية في المكتبة القادرية ببغداد، 2/ 447؛ ● البغدادي، إيضاح المكنون، بيروت، دار الفكر 1402هـ/ 1982م، 1/ 194؛ ● التنوخي، مجلة المجمع العلمي العربي، 36، 135 ـ 136؛ ● الحلّي، مجلّة المورد، ج4، عدد 1/ 107، 182، 186 ـ 187، 190، 193، 198، 202-204؛ ● داغر، مصادر الدراسات الأدبية، بيروت 1956، 2/ 46-41؛ ● الزركلي، الأعلام، بيروت، دار العلم للملايين 1986، 7/ 172 ـ 173؛ ● زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، القاهرة، 1913-1914، 4/ 285، ط. دار مكتبة الحياة، بيروت 1978، ط2.، 2/ 631؛ ● سركيس، معجم المطبوعات، القاهرة، مطبعة سركيس 1346هـ/ 1928م، ص7؛ ● السهروردي، لب الألباب، بغداد، 1351هـ/ 1933م، ص218-224؛ ● الشهراباني، تذكرة الشعراء، بغداد 1936، ص 88؛ ● أطلس، الكشاف، بغداد 1372هـ/ 1933م، ص 130، 278، 319؛ ● داود سلّوم، الأدب العراقي، بغداد 1959، ص55؛ ● الدروبي، البغداديون، بغداد 1958، ص28، 30؛ ● العزاوي، تاريخ العراق، بغداد 1956، ص150، 267؛ ● م.ن، عشائر العراق، بغداد 1937، 1/ 17؛ ● أبو علية، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 5/ 510 ـ 511؛ ● العمري، شخصيات عراقية، بغداد، دار المعرفة، ص9؛ ● عوّاد، المباحث، بغداد 1965، ص 20، 37، 59؛ ● م.ن، المخطوطات العربية في مكتبة المتحف العراقي ببغداد، القسم الثاني، 4/ 36، 39؛ ● فهرست المخطوطات المصورة في العراق، بغداد، مديرية الآثار العامة 1968، ص16؛ ● فهرس الخزانة التيمورية، القاهرة 1948، 4/ 6؛ ● فهرس دار الكتب المصرية، القاهرة 1938، 3/ 38، 94، 241، 5/ 61، 7/ 102، 8/ 882، 235؛ ● كحالة، معجم المؤلفين، بيروت، مؤسسة الرسالة 1414هـ/ 1993م، 3/ 310-311؛ ● كرد علي، المعاصرون، دمشق، دار أبو بكر 1980، ص427-433؛ ● مجاهد، الأعلام الشرقية، القاهرة، مكتبة مجاهد 1368هـ/ 1949م، 2/ 184-187؛

● مجلة سومر، عدد 13، ص71، مكتبة المتحف العراقي، 12؛ ● الملاح، لغة العرب، 5/ 503-507؛ ● المنجّد، معجم المخطوطات، 2/ 9؛ ● مير بصري، أعلام الأدب في العراق الحديث، لندن، دار الحكمة 1415-1420هـ/ 1994-1999م، 3/ 57-60؛
● Brockelmann, s, II, pp. 60, 787.

د. أحمد مطلوب
المجمع العلمي العراقي
د. علي القاسمي
منظمة الأسيسكو - المغرب

ألوف، ميخائيل بن موسى بن طنوس

(1286 هـ / 1869 م - 1366 هـ / 1946 م)

أبصر ميخائيل بن موسى بن طنوس بن سمعان بن حنا ألوف، النّور في مدينة بعلبك بتاريخ 30 كانون الأوّل من العام 1869م. ثم دخل مدرسة الطّائفة الملكيّة الكاثوليكيّة في الرّابعة من عمره، وفيها تلقّى مبادئ القراءة والخطّ على الشماس كيرللس كفوري. في الثّامنة من عمره التحق بمدرسة الأميركان في بعلبك وتعلّم فيها مبادئ اللّغة العربيّة، والحساب، وقراءة اللّغة الإنكليزيّة على المعلّم خليل حبيب الصغبيني. في تشرين الأوّل من العام 1880م انتقل إلى المدرسة الأسقفيّة في زحلة ودرس فيها الصّرف، والنّحو باللّغتين العربيّة والفرنسيّة، والرّياضيّات، والخطّ.

لم يتابع دراسته العليا بسبب الظّروف المادّية الصّعبة، وعاد إلى مسقط رأسه بعلبك.

بدأ حياته العلميّة بالكتابة في الدّوائر الحكوميّة مدّة ستّة أشهر، ومنحته المحكمة شهادة كفاءة في المعاملات، بيد أنّه لم تُغره الوظيفة في دوائر الحكومة، فاختار لمستقبله طريقًا آخر.

مال إلى التّاريخ، والجغرافيا واستهواه البحث، والتّنقيب عن تاريخ بعلبك، فبدأ يجمع أخبارها منذ سنة 1884م.

في العام 1886م عمل دليلاً للسيّاح الأجانب في مدينة بعلبك، وانكبّ على دراسة اللّغتين الفرنسيّة والإنكليزيّة. ولمّا أتقنهما ترك العمل نهائيًا في دوائر الحكومة العام 1892م، وانصرف كليًا إلى الدّلالة للسيّاح، وهي الوظيفة الّتي شكّلت عاملاً أساسيًا في دفعه إلى المزيد من البحث عن تاريخ بعلبك.

توسّعت مداركه التّاريخيّة وغدا خبيرًا بشؤون أحداث بعلبك الماضية والحاضرة، وتميّز بسعة اطّلاعه، وسلاسة عبارته وقوّة حجّته وبراعة أسلوبه في الدّلالة. وقد أثنى عليه زوّار قلعة بعلبك وقدّروا فيه طريقته المميّزة في الدّلالة السّياحيّة.

بين العامين 1890م و 1900م أصبح الدّليل الوحيد في آثار بعلبك، وأتيحت له الفرص لمرافقة الملوك والأمراء ورجال الدّولة التّركيّة في زياراتهم هياكل بعلبك، وكان من بينهم الأرشيدوق فرنسوا فرديناند النّمساوي الذي تسبّب مقتله عام 1914م في اندلاع الحرب العالميّة الأولى. كذلك رافق عددًا من الأدباء العالميّين أمثال: بول بورجيه، أناتول فرانس، بيير لوتي، جورج برناردشو، وغيرهم من الشّعراء ورجال السّياحة والعلماء وبعض الرّحالة العرب. وكان يقدّم لهم خدمات جليلة ويهديهم كتابه عن تاريخ بعلبك.

وفي العام 1897م التزم جباية الرّسوم في هياكل بعلبك مع صيانة الآثار من العبث بها.

وفي العام التّالي رافق الإمبراطور الألماني غليوم الثّاني في زيارته الهياكل. ثمّ لازم البعثة الألمانيّة الّتي قامت بالحفريّات في قلعة بعلبك بين 1900م و 1904م وأفاد كثيرًا من معلوماتها ومكتشفاتها. وقدّر أعضاء البعثة الأثريّة جهوده في مساعدتهم على دراسة الآثار والتّحقّق من تاريخها، وذكروه في تقريرهم المستفيض إلى الإمبراطور غليوم الثّاني فمنحه وسام «تاج بروسيا» من الدّرجة الرّابعة.

عين مأمورًا فخريًا للآثار في العام 1903م، ثمّ موظفًا براتب ثابت في العام 1905م. وفي 22 آب من العام 1907م عين مأمورًا للآثار في قضاء بعلبك تابعًا لملاك المتاحف السّلطانيّة. وشغل وظيفته هذه مدّة أربع وثلاثين سنة تعهّد في خلالها الآثار بالصّيانة والعناية وحسن الدّعاية، وأسّس متحفًا جمع فيه الكثير من العاديات والكتابات القديمة والتماثيل المهمّة. وحثّ المسؤولين على الاهتمام بالقلعة، فاستجابوا لطلبه وعملوا على ترميم ما أشرف منها على الانهيار.

نال حظوة لدى الفرنسيّين فعيّنوه في العام 1921م رئيسًا لبلديّة بعلبك ومأمورًا للآثار في بعلبك والبقاع.

وعمل ألوف عضوًا مراسلاً لمصلحة الآثار والفنون الجميلة لدى المفوّضيّة العليا، وعضوًا مراسلاً للمعهد الفرنسي الأثري الإسلامي في دمشق، ونال الوسام المجيدي والنّسر الأحمر ووسام الأكاديميّة الفرنسيّة.

كما انتسب إلى محفل الشّمس الماسوني في بعلبك وشغل فيه منصب سكرتير المحفل. في 15 آب من العام 1934م استقال من مديريّة الآثار. وكانت وفاته في العام 1946م.

وأشهر كتب ميخائيل ألوف «تاريخ بعلبك» وكان سبب تأليفه طموحه إلى سدّ ثغرة في تاريخ مدينته المنسيّة متأثرًا بأستاذه عيسى إكسندر المعلوف الّذي وضع تاريخ زحلة، واسترشد بأمين الشّميل في كتابه «الوافي في التّاريخ».

قسّم ألوف كتابه إلى سبعة فصول تناول فيها وضعيّة المدينة، قديمًا وحاضرًا، والتّغيّرات الّتي طرأت على حدودها وأسوارها وأبوابها، ثمّ إعلانها محافظة في العام 1925م، وأهمّ صادراتها من الحبوب والفواكه.

وانطلاقًا من وظيفته أراد أن يخدم محبّي السّياحات ويرشدهم إلى أماكن النّزهة والآثار، ولذلك ضمّن الكتاب خمس خطط، تحدّث فيها عن القرى، والمسالك، والمواضع الأثريّة، وأماكن العبادة، والمياه،

والمحاصيل الزّراعيّة، وعدد السكّان، وأديانهم ومذاهبهم.

ويعالج الكتاب أيضًا تاريخ بعلبك ومعتقداتها القديمة وأصل اشتقاق اسمها، فكتب تاريخها البشري في العصرين الفينيقي والرّوماني معتمدًا طريقة التّحقّق العلمي ومقارنة آراء المؤرّخين الّتي ردّ عليها ناشدًا الحقيقة في عمله. ولكنّه مع ذلك لم يصل إلى نتيجة حاسمة حول نشأة المدينة. إلاّ أنّه أكّد النّشأة الفينيقيّة مخالفًا ما أثبتته الحفريّات الألمانيّة من أنّ النّشأة رومانيّة.

ثمّ يتكلّم على العصر الإسلامي ناقلاً حرفيًا أقوال بعض المؤرّخين العرب القدامى، فأتى البحث مشوّشًا مضطربًا، ويمرّ بسرعة على تاريخ المدينة الأموي، والعبّاسي، والأتابكي، والأيّوبي. وذكر عرضًا اسم المدرسة النّوريّة ولم يشر إطلاقًا إلى دورها العلمي. ويتحدّث عن تاريخ الأمراء بني الحرفوش ودورهم في تاريخ المدينة حتّى العام 1822م تاريخ وفاة الأمير سلمان حرفوش الّذي انتهى معه نفوذ أسرة الحرافشة.

وقد جمع أشتاته من تواريخ متفرّقة، وأخذ من الرّواة الثّقات. غير أنّه لا يذكر إلاّ سيّئات بني الحرفوش، ويحمّلهم مسؤوليّة انحطاط بعلبك وخرابها، ولم ينصفهم. وهناك حقب من تاريخ الأسرة لم يرد عنها شيء فكوّنت فجوات تعيب كتابه

ولا ينسى المؤلّف الحديث عن أساقفة بعلبك الكاثوليك ومن نبغ فيها من القدّيسين والرّجال المشهورين، فيترجم باقتضاب لأساقفة المدينة منذ 1619م حتّى 1922م، ولبعض النّابغين والمشاهير أمثال: قسطا بن لوقا، والأوزاعيّ، والبهائي، والتّاجي. لم يكشف جديدًا في هذا المجال، بل ظلّ هزيلاً بمعلوماته الّتي مسّت السّطح ولم تتعمّق إلى الجذور.

ويعالج في بحث أثري وصف الهياكل ونقوشها وعدد أقبيتها مبيّنًا هويّتها وذاكرًا المساحات والمسافات ونوعيّة الصّخور وأحجامها مساحة ووزنًا، وزوّده بالخرائط الّتي تصمّم الهيكل مثلما وصفه الرّومان.

ويتحدّث أخيرًا عمّا وجد في بعلبك من الكتابات القديمة والنّقوش داخل الهياكل وخارجها، فيثبت 44 كتابة بلغات مختلفة رومانيّة، وبيزنطيّة، وعربيّة، وهي كتابات تصعب قراءتها ويعسر حلّها، وقد همّشت عوادي الزّمن بعض حروفها، فأسدى بعمله خدمة كبيرة عندما لاحقها واستعان بعلماء آثار أجانب، وحلّل ما غمض من أسرارها، فأنقذ معلومات تكشف بعض الغوامض في تاريخ بعلبك.

آثاره

1 - مذكّرات أو صفحة من تاريخ بعلبك، مخطوط بيد المؤلّف؛ 2 - تاريخ بعلبك، طبع لأوّل مرّة العام 1889م؛ ثمّ في المطبعة الأدبيّة، بيروت، 1926م. والكتاب الأخير وضعه باللّغة العربيّة ثمّ ترجمه إلى الفرنسيّة في العام 1890م فالإنكيزيّة العام 1891م. لاقى هذا الكتاب رواجًا وطبع عدّة مرّات بلغاته الثّلاث.

كذلك ترك عددًا من المقالات، نشرها في المشرق، مجلّة الآثار، وجريدة بعلبك الّتي صدرت السّنة 1927م.

المصادر والمراجع

• ميخائيل ألوف البعلبكّي، تاريخ بعلبك، طبعة عربيّة رابعة منقّحة، المطبعة الأدبيّة، بيروت، 1926م؛ • خير الدين الزركلي، الأعلام، ط.14، 7/ 338، ب. ت؛ • حسن نصر الله، تاريخ بعلبك، ط. 1، 2/ 581 - 596، 817 - 818، مؤسّسة الوفاء، بيروت، 1984م؛ • عمر رضا كحالة، معجم المؤلّفين، تراجم مصنّفي الكتب العربيّة، 13/ 62، طبع بنفقة رفعت رضا كحالة، مطبعة الترقي، دمشق، 1380هـ - 1961م؛ • الأهرام، 12شباط 1946م.

د. جوزاف لبكي
الجامعة اللبنانية ـ بيروت ـ لبنان

الإمام، أبو عبد الرحمن محمد بن عمر الخطيب

(كان حيا 1130 هـ/ 1718 م)

محمد بن عمر الخطيب بن أحمد الخطيب بن محمد بن أحمد الخطيب، أبو عبد الرحمن، وصفه صاحب بشائر أهل الإيمان «بالإمام الخطيب»، السوسي بلدا، المالكي مذهبا، الأشعري اعتقادا. فقيه فرضيّ، عرف أهل بيته بالعلم والاستقامة، تداولوا مدّة طويلة على الإمامة والخطابة بالجامع الكبير بسوسة، حذو باب بحر، يفصل بين المدينة العتيقة والمدينة الحديثة، ولم يزل ببيتهم عقب بسوسة. ولد أبوه أبو حفص عمر الخطيب في سوسة وحفظ القران الكريم وتفقّه بعلمائها، اشتغل بإمامة الجامع الكبير بسوسة، وقلّده الأمير حسين بن علي الباي وظيفة الفتيا، وكان حيّا سنة 1137هـ/ 1724-1725م [خوجة، ذيل البشائر، ص137]. وأخوه أحمد، ولد أيضا بسوسة، وقرأ بها، روى الحديث الشريف احتسابا من غير وظيفة، كان حيّا سنة 1150هـ/ 1737-1738م، وهو تاريخ فراغه من نسخ أحد أجزاء الأجوبة العظّومية، مخطوطة بدار الكتب الوطنية بتونس مأخوذة من مكتبة حسن حسني عبد الوهاب رقم 18418، الأوراق 201، المقاس 22×16، المسطرة 26، بها نقص قليل من أوّلها [خوجة، ذيل البشائر، ص137].

امتازت هذه الفترة التي عاش فيها محمد الإمام بعناية الأمير حسين بن علي باي بالعلم والعلماء، من حسناته تجديد رسوم الزاوية التي بمدينة سوسة، صيّرها مدرسة ونسبها لعبد القادر الجيلاني سنة 1112هـ/ 1700-1701م، ووقّف عليها أوقافا، وعيّن من يقوم عليها من مدرّسين ومؤذّن وإمام وقيّم وغيرهم. وممّن درّس في تلك الفترة محمد

البوذري وأبي العباس أحمد بن محمد بن حمد بن إبراهيم العجمي المكني (ت 1122هـ/ 1711م) وقاسم المؤخّر، له معرفة تامّة بالفرائض، متقن لفنّ الحساب، كان يدرّس سنة 1117هـ/ 1705-1706م، [خوجة، ذيل البشائر، ص134]. ويحيى بن أحمد بن بدر الدين (ت 1139هـ/ 1727م) درّس في رباط القصر العتيق [خوجة، ذيل البشائر، ص136-137] وأحمد بوتورية الذي أخذ علم الفقه والتوحيد والفرائض عن الشيخ محمد المغربي وغيره [خوجة، ذيل البشائر، ص137-138].

لم يعرف عن الإمام التحاقه بجامع الزيتونة الأعظم، بل سافر إلى مصر وقرأ بالأزهر، وممّن كان يدرّس في تلك الفترة الشيخ عبد الباقي الزرقاني، والخرشي، والشبرخيتي وغيرهم [مخلوف، الشجرة، ص322، 324، 326].

اشتغل محمد الإمام بالفرائض، فنسخ بيده تآليف توجد ضمن مجموع بدار الكتب الوطنية بتونس رقم 4724 (183 ورقة، مقاس 20-15، مسطرة 25)، قال مراجعا كتاب العمر: يوجد به شرح المقدّمة الحوفيّة في الفرائض وبعض رسائل أخرى في الفرائض [عبد الوهاب، العمر، ج1، ص832]، وبتصفّح هذا المجموع وجدت أنّه يتكوّن من تأليفين فقط، كتب على الورقة الأولى ظهر «شرح المختصر على الحوفي، وهو مختصر من السطّي»، وتحتها كتب «مجموع به حاشية على متن الحوفي وتأليف آخر في الفرائض». وتنصّ مقدّمة المخطوطة الأولى على أنّها شرح مختصر للأعمال الحسابيّة، ولعلّ الإمام اختار أن ينسخ ما ألّفه السطّي من شرح للجانب العملي الحسابي للحوفيّة (1 وجه إلى 65 وجه). والمخطوطة الثانية (66 وجه إلى 183 ظهر) كتب على حاشيتها في الورقة 66 وجه، ضاع من النسخة التي نسخت منها الصفحة الأولى والورقة العاشرة. وقد كتب هذا المجموع بخطّ جميل، مشرقيّ وأحمر في عناوينه ومغربيّ وأسود فيما تبقّى. كما نجد في خاتمة المخطوطة الأولى قوله: «كمل بحمد الله وحسن عونه بعد زوال يوم الأربعاء حادي عشر شعبان عام 1129هـ عرّفنا الله خيرها وخير ما بعدها، وأبعد عنّا ضيرها وضير ما بعدها، على يد كاتبه لنفسه، ثمّ لمن شاء، الله من بعده، محمد بن عمر الخطيب ابن أحمد الخطيب بن محمد بن أحمد الخطيب بن عبد الرحمن الشريف، الحسيني نسبا، المالكي مذهبا، الأشعري اعتقادا». أمّا المخطوطة الثانية فقد أتمّ نسخها بنفسه أيضا عند زوال يوم السبت رابع ربيع الأوّل من سنة 1130هـ، ثمّ كتب اسمه كاملا كما كتبه في آخر المخطوطة الأولى.

آثاره

ألّف محمد الإمام -على ما يبدو- كتابا واحدا في الفرائض سمّاه الروضا في شرح الدرّة البيضاء، والدرّة البيضاء هي منظومة في علم الحساب وفقه علم الفرائض لصاحبها عبد الرحمن الأخضري، والروضا هي شرح مستوف، في ثلاثة أجزاء، في نحو 350 صحيفة، في الجزء الأوّل منها بسطة طويلة في علم الحساب من عمليّات أوّلية وكسور وجذور على طريقة الأقدمين، أوّله «الحمد لله ربّ العالمين.. وبعد لما رأيت التأليف

المسمّى بالدرّة البيضاء إلخ...» توجد نسخة فريدة منها على ملك الشيخ التوهامي عمّار، وهو من شيوخ الفرع الزيتوني بسوسة، ومدير المدرسة القرانية التريكية سنة 1364هـ/1945م [عبد الوهاب، العمر، ص 831-832].

لم أقف على تاريخ وفاته، إلاّ أنه كان حيّا أواخر القرن الثاني عشر أو أوائل القرن الثالث عشر هجري، والمعروف أنّه كان حيّا في رابع ربيع الأوّل من سنة 1130هـ حين أنهى نسخ المخطوطة الثانية الموجودة ضمن مجموع رقم 4724 [عبد الوهاب، العمر، ص 831-832].

المصادر والمراجع

● خوجة، حسين (ت 1145هـ)، ذيل بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان، تح. د.الطاهر المعموري، ط 1395هـ/1975م، الدار العربية للكتاب، ليبيا- تونس؛ ● مخلوف، محمد بن محمد (ت 1360هـ)، شجرة النور الزكيّة في طبقات المالكية، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان؛ ● عبد الوهاب، حسن حسني، كتاب العمر في المصنّفات والمؤلّفين التونسيين، جزءان، مراجعة وإكمال محمد العروسي المطوي وبشير البكّوش، بيت الحكمة، قرطاج، تونس، دار الكتب الوطنية، تونس، المخطوطة رقم 4724، المخطوطة رقم 18418.

د. منير بن المختار التليلي
جامعة الزيتونة والجامعة العربية للعلوم - تونس

الإمام المهدي، أحمد بن يحيى

(764 هـ / 1362 م - 840 هـ / 1437 م)

هو أحمد بن يحيى المرتضى بن أحمد بن مفضل، ينتهي نسبه إلى الحسين بن علي (ت 61 هـ) عليه السلام، ولد في بلاد «آنس» من أعمال ذمار عام (764هـ) نشأ في بيت علم ودين، وورع وتقوى؛ تشرب العلم منذ نعومة أظفاره، إذ تعهده أخوه الأكبر الهادي بن يحيى (ت 793 هـ) بعد موت والديه بمزيد اختصاص؛ فلقنه العلوم الدينيّة، وغرس في قلبه الشغف بها، وكان بمثابة أستاذه الأكبر لاسيما وهو متكلّم على مذهب أبي الحسين البصري المعتزلي (ت 436 هـ)، وكذلك أخته الشريفة الدهماء (ت 837 هـ) وكانت عالمة في الفقه والفرائض وعلم الكلام، وقد أولته عنايتها وقامت على تلقينه أصول العربيّة وآدابها والفقه وقضايا علم الكلام [البدر الطالع، ج 1، 248، ج 2، 321].

ومن أساتذته أيضا خاله الإمام المهدي علي ابن محمد علي (ت 773 هـ) وابنه الإمام

الناصر صلاح الدين بن محمد (ت 793 هـ). ثمّ توسّع في علم الكلام على القاضي يحيى ابن محمد المذحجي، وشرح الأصول الخمسة للسيد مانكديم (ت 420 هـ)، وقرأ عنده تذكرة ابن متويه (ت 469 هـ) في علم المنطق. درس المحيط والمعتمد لأبي الحسين البصري على القاضي بن أبي الخير (ت 793هـ) وكان من علماء الزيدية، ودرس علوم الحديث وكتاب صحيح البخاري، ومسلم، والترمذي على الشيخ سليمان بن إبراهيم العلوي (ت 825 هـ). وأخيرا قرأ الكشّاف للزمخشري (ت 538 هـ) على العلامة أحمد بن محمد النجري المعروف بابن النساخ.

ولـمّا كان الإمام من نسل الزيدية فقد كانت أسرته تُعدّه للإمامة التي كان من شروطها العلم والاجتهاد، والتقوى والورع. وقد واتته الفرصة بعد موت الإمام الناصر صلاح الدين (ت 793 هـ) فبايعته جماعة من علماء صنعاء بالإمامة الشرعيّة، ولما علم وزراء الدولة بمبايعة العلماء للإمام المرتضى سارعوا لمبايعة منافسه علي بن صلاح الدين ولقّبوه بالمنصور، وقد حكم اليمن من 793 هـ إلى 840 هـ؛ وكما هي العادة وقع الصراع بين الفريقين ودارت الحرب بينهما، وحسم السيف القضيّة، فانتصر المنصور على الإمام المرتضى وقبض عليه وسجنه في ذمار، ثم نقله إلى صنعاء، ليمكث في السجن سبع سنين (794 - 801 هـ) كانت خيرا وبركة على العلم إذ ألّف كتابه «الأزهار». وبعد أن أطلق سراحه في عام (801 هـ) توجّه إلى مدينة «ثلا» وفيها ألّف «البحر الزخار»، وبعد مدّة قصيرة انتقل إلى صعدة عاصمة الزيدية، ومنه إلى جبل مسور من بلاد «حجة» فاستقرّ هناك، وتزوّج للمرّة الثالثة، وعكف على التأليف، وأفرغ قلبه من طلب الرئاسة والإمامة، ووهب حياته للعلم والتأليف. وفي عام (838هـ) اتجه ابن المرتضى إلى حصن ظفير بحَجّة وظل عاكفا على الفتيا والعلم حتى أصيب بمرض الطاعون وتوفّي عام 840 هـ ودفن بالظفير، وقبره معروف فيها اليوم ويزار للتبرّك به.

وقد اشتهر ابن المرتضى بالذكاء وسعة الأفق، والنزعة العقليّة، وتزهّد في آخر حياته ومال إلى التصوّف [البدر الطالع، ج 1/ 122 - 126؛ الحبشي، مصادر الفكر، ص 583؛ زبارة، أئمة اليمن، ج 1/ 122].

آراؤه الكلاميّة:

- الله وصفاته:

يرى ابن المرتضى أنّ الله سبحانه واحد لا شريك له، ولا ثاني له، وكونه واحدا أنّه غير مشارك في صفاته أو في الألوهيّة ومن صفاته العلم والقدرة، والإرادة والحياة، وصحّة الفعل منه سبحانه دليل كونه قادرا، وصحّة الإحكام دليل كونه عالما، وهما دليل كونه حيّا، وتعلّق الفعل به دليل وجوده، وهو سميع بصير لم يزل، ومتكلّم بكلام، والقرآن كلامه وهو مخلوق.

والله سبحانه ليس بجسم لأنّ هذا يستلزم الحدوث، ولا يسمى صورة، ولا يجوز عليه البداء (أي ينكشف ما لم يكن علمه، وهو عالم بذاته) ولا الخوف خلافا لقول المجوسيّة، ولا يتحدّ بشيء خلافا لبعض

الصوفية والنصارى الذين قالوا اتحد بالمسيح، ولا تجوز رؤيته في الدنيا والآخرة لقوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: 103] [القلائد في تصحيح العقائد، ص54].

- خلق العالم:

المراد بالعالم عند ابن المرتضى، السموات والأرض وما بينهما من الحيوانات والجمادات، والحدوث يعني وجود العالم وقد تقدّمه عدم. ويرى أن المسلمين والموحّدين من سائر الملل اتفقوا على حدوث العالم، ويبرهن على ذلك بإيراد الأصول الأربعة لتي قررها العلآف (235 هـ) وهذه الأصول هي:

أ - إنّ في الجسم عرضا غيره، وهذه الأعراض تعد أمورا زائدة على الجسم.

ب - هذه الأعراض حادثة لأنها تظهر وتختفي مثل الحركة والسكون.

ج - الجسم لم يخل من العرض ولم يتقدّمه.

د - إن ملازمة العَرض للجسم يستلزم حدوثه، أي ما لم يتقدّم وجوده على وجود المحدث فهو محدث مثله. إذا فالأجسام حادثة ويترتّب على ذلك أن العالم حادث [القلائد، ص 52؛ الدرر الفرائد، ص 166].

- العدل الإلهي:

حقيقة العدل هو لذي لا يفعل القبيح، وأفعاله سبحانه كلها حسنة، وهو لا يفعل المقبحات، وقد أخطأت الجبريّة حينما أضافت كل ظلم موجود إليه تعالى اللّه عن ذلك، وهو سبحانه إنّما خلق الخلق لتفضّل عليهم، وينكر ابن المرتضى أن يكون سبحانه خلق الخلق لا لغرض، لأنّ هذا عبث واللّه منزه عن ذلك، ويتعيّن أنّ خلقهم لنفعهم من ثواب أو غيره.

والإنسان حر الإرادة، والفعل ينسب إليه، إذ يقع الفعل منه بحسب دواعيه إليه، وينتفي بحسب كراهيته له، وبذلك يعلم تأثير المؤثر، ولولا ذلك للزم سقوط المدح والذم. وينقد نظريّة الكسب التي قال بها الأشعري (ت 330 هـ) إذ من المحال أن يصدر الفعل من قادريْن الله والإنسان، لذلك ينسب الفعل إلى من صدر عنه، والدليل على ذلك التكليف. فالله لا يكلف العبد ما لا يطيق، وكذلك الثواب والعقاب.

والفعل المتولّد كالفعل المبتدأ، كلاهما فعل العبد وعليه أن يتحمّل نتائجه [القلائد، ص 61 ـ 62]. وبخصوص قضيّة الحُسْن والقبح، يساير ابن المرتضى المعتزلة فيرى أن الأفعال حسنة في ذاتها، قبيحة في ذاتها، والعقل يستطيع أن يدرك حسن الأفعال وقبحها، فالفعل يحمل خصائصه الذاتيّة في باطنه، وليس لأنّ الله أمرنا بذلك.

- النبوات:

بعثة النبي ﷺ حسنة وجائزة خلافا لقول البراهمة إنّ في العقل مندوحة من ذلك وأنكروا بعثة الأنبياء. والنبوّة لطف من الله للمبعوث والمبعوث إليه. وكل رسول مؤيّد بوحي، ومعجزة، وشريعة جديدة، أو يعمل على إحياء شريعة مندرسة. ولا فرق بين الرسول والنبيّ، ولا يقدر على الإتيان بالمعجزة إلا الله، ويتعذّر على البشر الإتيان بجنسها وهي تقع عقب إظهار الرسول دعوته،

ولا تظهر المعجزة لغير النّبي خلافا لقول الإماميّة إنّها تقع للأيمّة. والأنبياء معصومون ولا تجوز عليهم الكبائر قبل البعثة أو بعدها، ولا يجوز عليهم الكذب أو كتمان ما أوحي إليهم. وقد صحّت نبوّة سيدنا محمد ﷺ لمعجزات كثيرة أظهرها القرآن، علاوة على معجزاته الحسيّة؛ مثل انفجار الماء، وحنين الجذع [النبوّات، ص 73 ـ 75].

- الإمامة:

لمّا كان ابن المرتضى زيديّ المذهب، فهو يرى أنّ الإمامة بالنصّ والتعيين، وأنّ الرسول ﷺ نص على إمامة علي والمسلمين، ويستشهد بحديث الغدير، ومنه قوله: «من كنت مولاهُ فعَلِيّ مولاه، اللهم والِ من والاه...» وقوله: «الحسن والحسين إمامان إن قاما أو قعدا وأبوهما خير منهما». ويرى أنّ الصحابة لم ينكروا هذه الأحاديث، ولكنّهم اختلفوا في مدلولها. ويقرر أنّ من شروط الإمامة القرشيّة، والاجتهاد، وتجوز إمامة المفضول (أبو بكر) مع وجود الأفضل (علي)، ولا يخلو الزمان من قرشي صالح للإمامة.

ويجب الترضية على الصحابة لتقدّم القطع بإيمانهم. ويُخطّىء ابن المرتضى أصحاب الجمل إذ إنّ الإمام علي كان هو الإمام الحقّ، وقد صحت توبتهم، ويقف موقفا متشدّدا من معاوية، ويرى أنّه بغى بخروجه على الإمام علي، واستلحاقه زيادا، وبيعته ليزيد، وقتله جماعة من الفضلاء [الإمامة، ص 91].

- يعدّ ابن المرتضى علَما من أعلام الزيدية، وقد أعطى دفعة قويّة للمذهب الزيدي، وجدّد شبابه في مجال العقائد والفقه [صبحي، الزيديّة، ص 392].

وفضلا عن تراثه الضخم، المطبوع والمخطوط، خلف ابن المرتضى جمهرة من المريدين والمحبين وأشهر تلامذته: ابنته الشريفة فاطمة، وقد بلغت درجة الاجتهاد، وقد ماتت قبل أبيها؛ وعلي بن محمد النجري (ت 840 هـ) وله شرح على الأزهار؛ ويحيى بن أحمد بن مرغم (ت 865هـ) برع في اللّغة وله شرح على البحر الزخّار؛ والإمام المطهر بن محمد بن سليمان (ت 879 هـ) أحد أئمّة الزيدية، وله مؤلّفات كثيرة [البدر الطالع، ج 2/ 11 ـ 24].

■ آثاره

1 - البحر الزخار، ط 1، الخانجي القاهرة 1949 م، ط 2، مؤسّسة الرسالة، بيروت، 1975 م؛ 2 - المنية والأمل في شرح الملل والنحل، حقّق منه توما أرنولد ما يختص بطبقات المعتزلة، ط، حيدر أباد، 1316 هـ. وحقّقته سوسنة ديفيلد ونشر باسم «طبقات المعتزلة» بيروت، 1961م، وحققه النشار، الإسكندريّة، 1972م، ثمّ قام جواد شكور بطبع الكتاب كاملا مع مقدّمة عن حياة ابن المرتضى، دار الندى، بيروت، 1990 م؛ 3 - الأزهار في فقه الأئمّة الأطهار، اختصره من كتاب «الانتصار» للإمام يحيى بن حمزة (ت 750 هـ) وطبع بالقاهرة، 1357 هـ، ثمّ أعيد طبعه مع مقدّمة ليحيى بن عبد الكريم، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1972 م؛ وقام

الإمام أحمد بشرح هذا الكتاب باسم «الغيث المدرار لكمائم الأزهار» في مجلدين كبيرين ط1، بشركة التمدن بمصر، 1332 هـ، ط2، صنعاء، 1401 هـ؛ 4 - منهاج الوصول إلى معيار العقول، وهو شرح مطوّل لكتابه معيار العقول، في الفقه الزيدي، حققه أحمد مطهر المأخذي، وصدر بمقدّمة مستفيضة عن حياة ابن المرتضى (ص 17 ـ 149) ط، دار الحكمة اليمانيّة، 1992م؛ 5 - الدرر الفرائد في شرح كتاب القلائد، رقم (19) علم الكلام؛ 6 - نكت الفوائد في شرح كتاب نكت الفرائد، رقم (46) علم الكلام؛ 7 - غرر الفوائد في شرح نكت الفرائد، رقم (46) علم الكلام؛ 8 - دامغ الأوهام في شرح رياضة الأفهام، رقم (301) علم الكلام؛ 9 - تاج علوم الأدب وقانون العرب، رقم (138) نحو؛ 10 - تكملة الأحكام والتصفية من بواطن الآثام، رقم (76) تصوف؛ 11 - القمر النوار في الردّ على المرخصين في الملاهي والمزمار رقم (75).

المصادر والمراجع

● الجرافي، عبد الله، المقتطف من تاريخ اليمن، دار الكتاب الحديث، بيروت، 1984 م؛ ● الحبشي، عبد الله، مصادر الفكر الإسلامي في اليمن، مركز الدراسات، صنعاء، د. ت؛ ● عبد الرحمن الديبع (ت 944 هـ)، قرّة العيون بأخبار اليمن الميمون، تح، الأكوع، المكتبة اليمنيّة، صنعاء، 1988 م؛ ● محمد زبارة، أئمّة اليمن، ج 1، مطبعة النصر، تعزّ، 1952 م؛ ● الزركلي، الأعـــلام، ط. 14، ج 1، ص269، دار العلم للملايين، بيروت 1999 م؛ ● عمر رضا كحّالة، معجم المؤلفين، دمشق، 1376/ 1957، ج2، ص206؛ ● محمد الزيني، الفلسفة الطبيعيّة عند ابن المرتضى، بحث مخطوط، كلّية الآداب، جامعة القاهرة، 2001م؛ ● الشوكاني (ت 1250 هـ)، البدر الطالع، ج 1، ص 122، بيروت، د. ت. وهي مصوّرة عن الطبعة المصريّة، 1348 هـ؛ ● أحمد صبحي، الزيديّة، ط. الزهراء والقاهرة، 1984م؛ ● الكمالي، محمد، الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى، دار الحكمة اليمانيّة، صنعاء، 1991 م؛ ● البغدادي، إسماعيل باشا، هديّة العارفين، إسطنبول، 1951م، مج. 1/ 125؛

- Brockelmann; Gescgichte der Arabischen; Litteratur, Brill, 1944; II, 328; S. II, (1938); 244. Carl. Leiden.

د. محمد عبد الرحيم الزيني
جامعة عمان

أمان، لطفي جعفر

(1843 هـ / 1928 م - 1391 هـ / 1971 م)

لطفي جعفر أمان واحد من أبرز شعراء اليمن المعاصرين. ولد بمدينة عدن في 12/ 08/ 1928م وتوفّى بعد مرض عضال في 16 ديسمبر بالقاهرة ونقل جثمانه بالطائرة حيث ووري في ثرى عدن المدينة التي أحب ولم يبارحها إلاّ للدراسة.

نشأ لطفي في بيئة أدبية فنية وفي أسرة ميسورة الحال وتلقى دراسته الأولى في عدن ثم سافر في بعثة دراسية إلى السودان حيث حصل على دبلومًا في التربية وعاد بعدها ليعمل في مجال التعليم، كما سافر إلى بريطانيا للتدريب بمعهد التربية بجامعة لندن. وكان آخر عمل وظيفي شغله وكيلاً لوزارة التربية والتعليم بعد الاستقلال وتحرير البلاد من الاحتلال البريطاني.

كانت فترة دراسته في السودان (منتصف الاربعينات) قد وضعته في مهب التغييرات الأدبية للصلة الوثيقة - آنذاك - بين المبدعين في الخرطوم والقاهرة، وتابعت المدينتان في الثلاثينات والأربعينات ميلاد الأدب الجديد وكانت القاهرة في طليعة العواصم العربية التي شهدت ظهور الحركة الرومانسية ومن أبرز روادها في مصر علي محمود طه، ومحمود حسن إسماعيل، وإبراهيم ناجي كما لمع في الخرطوم نجم الشاعر السوداني التيجاني يوسف بشير. وقد كان هؤلاء بالإضافة إلى أبي القاسم الشابي هم أساتذة لطفي جعفر أمان في بداياته الشعرية كما تؤكد قصائده الأولى التي جمعها في ديوان «بقايا نغم».

كان لطفي إنسانا متعدّد المواهب فهو شاعر ورسام وعاشق للموسيقى يعزف ويلحّن على آلة العود، وقد ترك عشرات اللوحات المرسومة بريشته البارعة التي تثبت أنه كان رائداً من رواد الفن التشكيلي في اليمن. وفي مجال الموسيقى حاول أن يحرّر الأغنية اليمنية من تقليديتها سواء في ما كتبه من قصائد بالعامية أو بما شارك به من ألحان. وكان ذا صوت عذب جميل ولا ينافسه أحد في إلقاء الشعر، شعره بخاصة والشعر العربي بعامة.

كتب عددًا من المقالات التي تضمّنت رأيه في الشعر، وكان فيها منحازًا إلى ما كان يسمّى يومئذ بمدرسة الفن للفن كما دخل في خصومات عنيفة مع ناقديه ولم يتم جمعها على أهمّيتها في كتاب ربّما لأن مواقفه الأخيرة وقصائده المنحازة لقضايا المجتمع والأمة العربية قد جعلته يتناساها أو أنه أوصى بعدم نشرها في كتاب.

كانت الرومانسية ملمحًا تجديديًا لدى معظم الشعراء اليمنيين المعاصرين لكنّها عند لطفي أمان كانت الملمح الأعم والأبرز لاسيما في دواوينه الأولى «بقايا نغم» و«الدرب الأخضر» و«كانت لنا أيام» و«ليل إلى متى» وهذا ما حدا بعدد من النقاد إلى اعتباره ممثّلا ورائدًا لهذا الاتّجاه في حركة الشعر المعاصر في

اليمن، اعترافا بدوره الرائد ووصفه في مكانه الصحيح، ويتمثّل دوره الريادي هذا في أنه كان أول شاعر من اليمن استوعب الموجة الرومانسية في الشعر العربي الحديث، وأسهم في نشرها على النطاق المحلّي، متجاوزا بذلك النشر الحساسيات التقليدية وما كانت تثيره من ردود أفعال رافضة لكل ما هو جديد وغير مألوف، سواء في المضمون أو في الشكل أو فيهما معًا.

ونحن نعتقد أنّ لطفي جعفر أمان لم يكن مقلّدًا في نزعته الرومانسية - وإن كان قد تأثر في بداية رحلته الشعرية بأساليب البارزين من شعراء النزعة الرومانسية، ولم يكن شعره الرومانسي تعبيرًا عن نزعة فردية أو ناتجًا عن احباطات خاصّة، بل كان استجابة للواقع وتعبيرًا عن شعور جماعي وعن إحباطات عامة. فقد نما وعيه في مدينة عدن مسقط رأسه وهي أكبر الموانيء اليمنية. والعاصمة التاريخية الثانية لليمن وأسرع المدن فيها التقاطا للجديد والتبشيرية. وتلقى لطفي جعفر أمان تعليمه العام في هذه المدينة المتجددة، مستفيدًا من مظاهر التجديد النسبي الذي أدخلته إدارة الاحتلال على التعليم بقصد تدريب بعض الكفاءات الوطنية- في حدود معيّنة- للمشاركة في بعض الأعمال المكتبية التربوية. كما أكمل دراسته الجامعية في الخرطوم، ونال قسطًا من الدراسة العالية في لندن. وبذلك أتيحت له الفرصة - رغم أنّ دراسته كانت في مجال التربية - للاطّلاع والتعرّف - من خلال اللغة الإنجليزية على روائع الأدب الإنجليزي في أصوله وبلغته، وهي ميزة لم تتوفّر لكثير من الشعراء الرومانسيين العرب الذين قرأوا جزءًا من هذا الأدب مترجمًا إلى لغتهم بعد أن أفتقدته الترجمة قدرًا من جمالياته وروعة إيحائه.

وقد نهل لطفي من الرومانسيين في الشعر الإنجليزي، وقرأ مختارات من الأدب الإنجليزي القديم والحديث، وكان وثيق الصلة بالأدب العربي قديمه وحديثه، لكن إعجابه ظلّ مقصورًا على شعراء الموجة الرومانسية الحديثة، وقد ترك هذا الإعجاب على أشعار لطفي الأولى آثارا يصعب نكرانها، سواء من حيث المضامين أو من حيث الأسلوب الغنائي، والمعجم الشعري بمفرداته المنتقاة أو في عناوين قصائده ودواوينه.

لقد نجح ديوانه الأول «بقايا نغم» في تقديمه شاعرًا رومانسيا بامتياز. وكانت قصائده الأولى المعبّرة عن هذا الاتّجاه تثير إعجاب القارىء وتضعه في إطار تجربة لا سابق لها في الشعر السائد -محليا- يومذاك:

أنا سرٌّ في عالم الغيب مستعصٍ
عن الفهم جوهرًا وصفاتِ
أنا معنى مغلّق في ضمير الدهر
مستغلق لكل حصاة
أنا همسٌ ينوب في صخب الأيام
لو تسمع النهى كلماتي
أنا ناي السماء أنكره الفن
فاضحى معطّل الكلماتِ
أنا في مهجة الشقا جراحات
أفاقت مع الضنى داميات
أنا زهر يرف في الصخر ظمآن
وريُّ الزهور من عبراتي

أنا طهر يشيع في معبد الحب
ويحبو القلوب بالرحماتِ
قد تساميت في مدارج روحي
في ضياء الإله أفرغت ذاتي

لا يوجد شاعر في اليمن له مثل هذه اللغة الرومانسية العذبة ولا مثل هذه القدرة على الرحيل إلى أعماق النفس لانتزاع ذلك الإحساس الجميل بالفرادة والتسامي من خلال الرومانسية التي بقيت مؤثرة ومسيطرة على تجربته إلى أيامه الأخيرة:

يا إخوتي
يا كل ما أتركه بعد الرحيل
هذي حروفي.. لن تموت.. لن تموت
مستحيل..
لأنها أنتم.. تواكب الزمان.. لم تزل
توزع الغلال للأجيال جيلاً بعد جيل
وتفرش الطريق بالأمل
وتزرع النجوم في ليل السراة التائهين
وتصنع السطور جسرًا للحيارى المتعبين
لأنّ أيامي التي حرثتها
وما حصدت في مواسم السنين
لكُم.. لكُم يا إخوتي
على مناكب الشموس صاعدين

وحتّى بعد أن غادر لطفي ساحة الذات والطبيعة وانخرط بشعره في معترك النضال الوطني فقد ظلّ مشدودًا إلى بداياته وإلى ما يعتبره إنجازًا حقيقيًا في حركة الشعر المعاصر في اليمن:

على أرضنا.. بعْد طُول الكفاح
تجلى الصباح.. لأوّل مرة
وصار الفضاء طليقًا رحيبا
بأجنحة النور تنساب ثرّةْ
وقبلتِ الشمسُ سمر الجباه
وقد عقدوا النصر من بعد ثورة.

آثاره

1 - ديوان بقايا نغم، 1948م؛ 2 - ليالي، شعر، 1960؛ 3 - الدرب الأخضر، 1962 م؛ 4 - كانت لنا أيام، 1962؛ 5 - ليل إلى متى، 1964؛ 6 - موكب الثورة، 1969؛ 7 - إلى الفدائيين الفلسطينيين، 1969م؛ 8 - إليكم أخوتي، 1969 م.

د. عبد العزيز المقالح
معهد الدراسات والبحوث اليمني
صنعاء - اليمن

ابن أم قاسم المرادي، الحسن بن قاسم بن عبد الله

(... هـ/ ... م - 749 هـ/ 1348م)

الحسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي، بدر الدين، أبو محمد. عرف بابن أمّ قاسم، أمّ جدّته لأبيه، واسمها زهراء، وكانت قد جاءت من المغرب واستوطنت مصر، وعرفت بالشيخة. وقد تربّى الحسن في كنفها فعرف باسمها [الدرر الكامنة، 2/ 116].

وأخبر ابن حجر (ت 852هـ) أنها امرأة كانت من بيت السلطان تبنّته فعرف باسمها، ثم نقل عن العفيف المطري في «ذيل طبقات القراء» أنّها جدّته لأبيه، واسمها زهراء. . . واستبعد بعض الدارسين المحدثين حكاية التبنّي وكونها من بيت السلطان، ورجّح ما نقل عن المطري [محمد أمين الروابدة، 10].

وأصله من «أسفي» بفتح الهمزة والسين، وهي بلدة على ساحل الأطلسي من أعمال مراكش، لذا يلقّب أيضا بالأسفي وبالمراكشي.

والمرادي نسبة إلى قبيلة مراد بن مالك بن زيد ابن كهلان بن سبأ، وهي من قبائل اليمن. وكانت ولادته في مصر، ولم يذكر أحد تاريخ مولده، ويبدو أنّ أسرته قد أتاحت له فرصة للتعلّم والأخذ من مشايخ عصره. وقد ذكروا في شيوخه طائفة من أعلام عصرهم تلقّى عنهم علوم الدين والعربية، وفيهم: أبو حيان الأندلسي أثير الدين، محمد بن يوسف الغرناطي الجيّاني (ت 745هـ) النحوي، اللغوي، المفسّر والأديب، وعنه أخذ المرادي علوم العربية، وهو آخر شيوخه فيها، وأوضحهم أثرا فيه؛ والسراج الدمنهوري، عمر بن محمد بن علي (ت752هـ) شيخ الإقراء في مصر؛ ومجد الدين التستري، إسماعيل بن محمد بن عبد الله البناكتي (ت748هـ)وعليه أتقن المرادي العربية والقراءات؛ وأبو عبد الله الطنجي؛ وشرف الدين عيسى بن مخلوف بن عيسى المغيلي، وعنه أخذ المرادي الفقه؛ وشمس الدين محمد بن أحمد الدمشقي الشافعي، المعروف بابن اللّبان (ت 749هـ)، وعليه تعلّم المرادي أصول الفقه؛ وأبو زكريا الغماري، يحيى بن أبي بكر بن عبد الله التونسي الصوفي (ت 724هـ)، وعنه أخذ المرادي العربية.

لقد استفاد المرادي من هؤلاء الشيوخ، ونهل من علوم عصره، وأخذ يتابع الدرس والتحصيل حتى أصبح ذا أهلية للتدريس، والتصدير في حلقات العلم . فهو لم يكن حبيس فنّ واحد، فقد كان من كبار فقهاء المذهب المالكي، درس الفقه، وأتقنه ونبغ فيه حتى صار إليه الناس للفتيا.

كما نبغ في الأصول، فكان أصوليّا متينا، لا يضنّ بعلمه على أحد. كما نبغ في القراءات والتفسير، وتفنّن فيهما، وتبحّر وأجاد، وكان له مجلس يفد إليه الكثير من روّاد هذا الفن.

برع في النحو، والتفسير والفقه والأصول

والقراءات والعروض. وكان إماما في العربية. اشتهر بصلاحه وتقاه، وشغف بالتدوين والتصنيف.

تذكر كتب التراجم اثنين ممّن أخذوا عن المرادي، من طلبة العلم الذين كانوا يحضرون مجالسه، هما: إبراهيم بن أحمد بن عبد الواحد التنوخي البعلي الأصل، الدمشقي المنشأ، نزيل القاهرة. عني بالفقه والقراءات، وأخذ عن جماعة أجازوا له. والثاني: جلال الدين بن أحمد بن يوسف بن طوع رسلان التيزيني المعروف بالتبّاني، نسبة إلى التبّانة، محلّة بظاهر القاهرة، نزل فيها، وكانت وفاته في القاهرة سنة 793هـ عن بضع وستين سنة [الدرر الكامنة، 2/ 82].

آثاره

أدرج القدماء والمحدثون من مترجمي المرادي أسماء مصنّفاته التي شملت مختلف علوم الدين، والعربيّة، ويمكن إجمالها فيما يأتي:

1- الجنى الداني في حروف المعاني، وهو من أهمّ كتب المرادي، وهو مأخذ «المغني» لابن هشام [كشف الظنون 607]، وقد حقّق مرتين، ونشر مرّات عدّة في حلب وبيروت وبغداد؛ 2- شرح التسهيل، نشر في مصر بتحقيق أحمد عبد الله، وحقّق حسين تورال الجزء الأوّل منه؛ 3- توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفيّة ابن مالك، طبع محقّقا في ثلاثة مجلّدات في القاهرة عام 1979م، بعناية عبد الرحمن علي سليمان؛ 4- تفسير القرآن الكريم، في عشر مجلّدات، ذكره ابن الجزري وقال: أتى فيه بالفوائد الكثيرة؛

5- رسالة في الألف (الهمزة)، ذكرها المصنّف في «الجنى الداني» ص 180، وهي في وريقات؛ 6- رسالة في الجُمَل التي لا محلّ لها من الأعراب، في ثلاث عشرة صفحة، ذكرها بروكلمان، وذكر لها نسخا خطيّة. الأصل 2/ 72، الملحق 2/ 16؛ 7- رسالة في كلاّ وبلى، ذكرها المصنّف في «الجنى الداني» ص578؛ 8- رسالة في لو، ذكرها في «الجنى الداني» ص278؛ 9- أرجوزة في أصول قراءة أبي عمرو. أشار إليها المرادي في كتابه «المفيد» على «عمدة المجيد» لعلم الدجين السخاوي (ت 643 هـ)؛ 10- أرجوزة في مخارج الحروف وصفاتها. وأشار إليها المرادي في كتابه «المفيد» أيضا؛ 11- منظومة في معاني الحروف، جمع فيها معاني الحروف، ثم شرحها فيما بعد في كتاب؛ 12- منظومة في الظاء والضاد، لها نسخة في الخزانة العامة في الرباط؛ 13- منظومة في بيان الدال والذال، قصيدة عدّتها خمسة عشر بيتا، وله عليها شرح، ولها نسخ خطيّة في مكتبة السليمانيّة بإستنبول، وأخرى في الخزانة العامة في الرباط؛ 14- مقدمة في كلمات اتّفقت فيها الدال والذال خطأ واختلفت معنى؛ 15- المفيد في شرح «عمدة المجيد في النظم والتجويد» لعلم الدين السخاوي (ت 643 هـ)، وله نسخ خطيّة في مكتبة بايزيد في اسطنبول، ومكتبة جستربيتي؛ 16- إعراب القرآن الكريم، ذكره ابن الجزري والداودي؛ 17- إعراب البسملة، أشار إليها المرادي في «الجنى الداني» ص201؛ 18- تلخيص شرح أبي حيّان على التسهيل المسمّى «التذليل والتكميل»؛ 19- شرح

«أرجوزة مخارج الحروف» للمرادي نفسه، ذكرها في «المفيد»؛ 20- شرح الاستعاذة والبسملة، كرّاس، ذكره السيوطي في «البغية»، وملكه بخطّ المصنّف؛ 21- شرح «باب وقف حمزة وهشام على الهمز» من «الشاطبية» للقاسم بن فيّرة. ذكره ابن الجزري، وله نسخ خطيّة في كبوريلي برقم 15، وشهيد علي برقم 23، وفي مكتبة بورصة برقم 230، ودار الكتب المصريّة برقم 42؛ 22- شرح الجزولية، و«الجزولية» مقدّمة في النحو لأبي موسى الجزولي المتوفّى سنة 605 هـ؛ 23- شرح الشاطبيّة المسماة «حرز الأماني» في القراءات السبع، وهي أرجوزة في 1173 بيتا للشاطبي المتوفّى سنة 590 هـ؛ 24- شرح «الفصول الخمسون» في النحو لابن معطي (ت 628هـ)؛ 25- شرح «كافية ابن الحاجب» (ت 646 هـ)؛ 26- شرح «الكافية الشافية» لابن مالك (ت 671هـ)؛ 27 شرح «المفصّل» للزمخشري (ت 538)؛ 28- شرح «المقصد الجليل في علم الخليل»، وهي أرجوزة في العروض لابن الحاجب، ولهذا الشرح نسخ خطيّة في دار الكتب المصريّة، وجستربتي بإرلندا، وجامع الزيتونة بتونس، وفي الخزانة العامة بالرباط؛ 29- شرح «الواضحة في شرح الفاتحة» لبرهان الدين الجعبري، ولها نسخ خطيّة في جستربتي، والخزانة العامة بالرباط؛ 30- سرور النفس، ذكره بروكلمان، الملحق 2/ 16؛ 31- «جمل الإعراب» نسبَهُ إليه بروكلمان، ومنه نسخة خطيّة في ليدن تحت رقم 251.

المصادر والمراجع

● ابن حجر الدرر الكامنة، 2/ 116-206، دار الكتب الحديثة مصر، الطبعة الثانية 1966؛ ● السيوطي بغية الوعاة، 1/ 208-517، دار الفكر مصر، الطبعة الثانية 1979؛ ● السيوطي، حسن المحاضرة، 1/ 23، إحياء الكتب العربيّة، الحلبي، مصر 1967؛ ● إسماعيل باشا البغدادي هديّة العارفين، 1/ 286، منشورات مكتبة المثنى، بغداد بدون تاريخ؛ ● ابن الجزري، غاية النهاية، 1/ 227-228، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الثانية، 1980؛ ● ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب، 6/ 16، المكتب التجاري للطباعة، بيروت، بدون تاريخ؛ ● الخونساري، روضات الجنات، ص 225، طهران 1367هـ؛ ● الداودي، طبقات المفسّرين، ص 142، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1983؛ ● حاجي خليفة كشف الظنون، 1269 - 1774، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت الطبعة الثانية، 1971؛ ● الزركلي الأعلام، 2/ 212، دار العلم للملايين بيروت، الطبعة 14، ص 199؛ ● بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، 2/ 16، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، 1995.

د. صاحب جعفر أبو جناح
جامعة صنعاء ـ اليمن
د. أحمد متفكّر
جامعة القاضي عياض ـ مراكش ـ المغرب

ابن الأمشاطي، أبو الثناء محمود بن أحمد

(815 هـ / 1412 م - 902 هـ/ 1496م)

هو مظفّر الدين أبو الثناء محمود بن أحمد ابن الحسن بن إسماعيل بن يعقوب العينتابي الأصل، القاهري الحنفي، المعروف بابن الأمشاطي نسبة إلى جدّه لأمّه الذي كان يتاجر بالأمشاط. وهو والد كلّ من الشمس محمد ومحمود المعروف كلّ منهما بالأمشاطي [السخاوي، الضّوء اللامع في أعيان القرن التاسع، ص 273].

ورد ذكر ميلاده في بعض المصادر سنة 812 هـ / 1409 م [الزركلي، الأعلام، ج. 8، ص 39؛ أحمد عيسى بك، معجم الأطبّاء، ص 478].

تعلّم الفقه والنحو والطب في القاهرة على أساتذته ومنهم على بن الديري والشمني وابن حجر وغيرهم، ثم اشتغل بالطب والفقه وعلوم الدين والميقات والمساحة وصنعة النفط وذلك في عصر المماليك الجراكسة في مصر زمن الأشرف برسباي والأشرف قايتباي.

كان ابن الأمشاطي عالما بالطب وعلوم الدين والطبيعة وفنون القتال، وقد اعتنى بالسباحة ورمي النشاب والرمي بالمدافع ورابط في بعض الثغور الغربية وسافر للجهاد، وكانت له رحلات طويلة إلى بعض الأقطار العربيّة، حيث زار دمشق عدّة مرّات، كما سافر للحج وجاور في الإقامة هناك لفترة قصيرة، ثم عاد إلى مصر حيث استقرّ بها. وكان نشاطه وجهده موجّها للعمل الطبي علاجا وتدريسا وذلك في البيمارستان المنصوري بجانب تدريس الفقه وعلوم الدين في مسجد ابن طولون.

وكان ابن الأمشاطي رقيق الطباع، حسن المعشر، طيب الخصال؛ ولم يكن له خصوم أو مخالفون. وكان صديقا ورفيقا لشمس الدين محمد بن السخاوي الذي قال عنه: «صحبته سفرا وحضرا فما رأيت منه إلا خيرا، وبيننا ودّ شديد وإخاء أكيد» [الزركلي، الأعلام، ج. 8، ص 39].

واستمرّ ابن الأمشاطي في عمله بقيّة حياته، وكان الطبّ شاغله الأكبر في علاج المرضى والتدريس وتأليف الكتب. وفي سنواته الأخيرة اكتفى بالعمل والتدريس في المستشفى المنصوري، وظلّ كذلك حتّى توفّي، وهو دفين القاهرة.

آثاره

نذكر من أهمّ الكتب والرسائل التي أشارت إليها المصادر: 1 - تأسيس الصحة في شرح اللمحة لابن أبي السرور (مجلدان)؛ 2 - شرح النقاية في فروع الفقه الحنفي؛ 3 - القول السديد في اختيار الإماء والعبيد؛ 4 - المنجز في شرح الموجز لابن النفيس (مجلدان)؛ 5 - كرّاسة رسالة الإسفار في حكم الأسفار.

المصادر والمراجع

● البغدادي، هدية العارفين، مج. 2، وكالة المعارف الجليلة، إستانبول، سنة 1955، ص 411؛ ● الزركلي، الأعلام، ج. 8، المطبعة العربية بمصر، سنة 1927، ص 39؛ ● السخاوي، الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع، ج. 1، مكتبة القدسي، سنة 1353 هـ/ 1934م، ص 273؛ ● أحمد عيسى بك، معجم الأطباء، مطبعة فتح الله إلياس نوري، القاهرة سنة 1942، ص478؛ ● كحالة، معجم المؤلفين، ج. 12، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ص 145؛ ● السيوطي، تاريخ الخلفاء، تح. الشيخ قاسم الشماعي، مطبعة دار القلم، بيروت، لبنان سنة 1986، ص 553؛ ● م.ن، نظم العقيان في أعيان الأعيان، تراجم لمشاهير القرن التاسع الهجري، طبعة فيليب حتي، نيويورك سنة 1927، ص 174؛ ● حسين، محمد كامل، الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، ج. 1 و2، إصدار المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، جامعة الدول العربية 1978، ص 231؛ ● محفوظ، نجيب بك، تاريخ التعليم الطبي في مصر، ط. باللغة الإنجليزية، المطبعة الأميرية، بولاق، القاهرة سنة 1935، ص 12؛ ● الجبرتي، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج. 1، مطبعة دار الجيل، بيروت لبنان، ص 36؛ ● الشوكاني، البدر الطالع، ج. 2، مطبعة السعادة، القاهرة سنة 1348 هـ، ص 292؛ ● أكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا، تاريخ الحركة العلمية في مصر الحديثة/ قسم العلوم الطبية، مطابع الطوبجي التجارية، القاهرة 1995، ص 399.

د. مصطفى أحمد شحاتة
طبيب - الاسكندرية

ابن أمني، سيدي محمد بن بادي بن الشيخ محمد أحمدو

(1308 هـ / 1890 م - 1398 هـ / 1978 م)

هو الشيخ سيدي محمد بن الشيخ محمد أحمدو بن الشيخ محمدو بن الشيخ سيدي محمد بن أمني، وأمه خادجة بنت زين العابدين بن الشيخ أحمد محمود بن الشيخ سيدي محمد بن أمني، فأبواه إذن ينتهي نسبهما إلى الشيخ سيدي محمد بن أمني وهو القطب الشهير الذي ظهر في منطقة لبراكنه في القرن الحادي عشر الهجري، وأحد أبرز شيوخ الطريقة القادرية في عصره، وباسمه تسمت قبيلة أهل الشيخ بن أمني التي تمتد

مضاربها على مشارف ولايات تكانت، ولبراكنه، وغورغول.

ولد سيدي محمد بن بادي حوالي سنة 1308 هـ في بيئة علمية راسخة الجذور وفي أحضان أسرة تسلك سبيل المشيخة، من علم وصلاح وتربية صوفية؛ وتربى على يد والده الشيخ محمد أحمدو الذي اشتهر بالعلم والورع والاستقامة والزهد في الدنيا، وقد نهل ابنه سيدي محمد من معين علمه وترسم خطاه في أخلاقه وسلوكه وتأثر به تأثرا بالغا حتى قيل إنه كان يمثل نسخة طبق الأصل من أبيه.
عكف سيدي محمد على حفظ القرآن وهو في ريعان الصبا على المقرئ محمد عبد الرحمن بن الحابوس، ثم التحق بمحضرة أهل أبات بتكانت، وهي محضرة شهيرة طبق إشعاعها آفاق الإقليم وتميّزت بتعدّد الاختصاصات التي تدرس فيها، فانكب على دراسة العلوم الشرعية واللغوية آخذا الفقه عن العلامة محمد بن أحمد بن أبات، كما أخذ النحو وغيره من علوم اللغة عن العلامة محمد الحسن بن الشيخ عبد الرحمن بن أبات.
وقد استطاع سيدي محمد بن بادي أن يواكب مختلف الفروع المعرفية التي تدرس في هذه المحضرة العريقة، وأن يستوعب جملة من العلوم في آن معا، حتى نبغ فيها جميعا خلال فترة وجيزة، تساعده في ذلك همة عالية وبصيرة نافذة وذكاء ثاقب. وهكذا كان تضلعه من علوم الظاهر إلى جانب التربية الروحية التي أسداها إليه والده عاملا في تكوين شخصيته بشكل متوازن. وسنرى أثر ذلك في عطائه المعرفي الذي اتسم بتكامل علوم الحقيقة والشريعة.

على أن سيدي محمد لم يقتصر في مسيرته العلمية على مرحلة التحصيل في محضرة أهل أبات، وإنما استمر في بحثه الدؤوب عن مصادر أخرى للمعرفة، يحدوه ولع كبير للاطلاع على مكامن الثروة العلمية في منطقته وخارجها، فكانت له اتصالات واسعة بالعلماء المعاصرين له أخذا وعطاء، وعرف عنه شغفه بلقيا كل من يأنس فيه فضلا أو صلاحا، وكان لا يسمع لأحد منهم حل قريبا إلا زاره وأفاده واستفاد منه، وكثيرا ما تجشم عناء الرحلة ليصل إلى أحدهم رغم بعد الشقة، وقد حدثنا الفاضل ابنه محمد يحيي أنه كان حتى آخر عمره يقوم برحلة سنوية من تكانت إلى غورغول يتتبع فيها معاقل العلم ومزارات الصالحين توخيا للاستزادة من العلوم، عملا بالآية الكريمة: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: 114]، وتعرضا للنفحات الربانية، وبذلك نرى تواضعه الجم وحرصه على إحراز الخير حيثما وجد، طالبا العلم من المهد إلى اللحد، لا تصرفه عن ذلك ألقاب المشيخة التي يحملها.

ومن أشهر الفضلاء الذين شد إليهم الشيخ سيدي محمد الرحال، الشيخ أحمد بن آدبه، والجيلي بن أحمد امبوسيف، وهما من قبيلة كنته، والشيخ محمد الحسين بن باباه العلوي، وبدين بن عبد الرحمن الجكني، وسيدنا بن الإمام من قبيلة أهل آبات وغيره من أعيان محضرة أهل أبات، وفي منطقة لبراكنه النقى الشيخ عبد الرحمن بن بلال، والشيخ محمد الخليفة بن محمد بن أحمد، وغيرهم كثيرين.

وقد تمخضت هذه اللقاءات عن تلاقح

للأفكار وتقارب وجهات النظر في مسائل شائكة كالعلاقة بين الفقهاء والمتصوفة، والتعريف بدعوة الشيخ سيدي محمد بن بادي إلى التصوف السني النقي من الشوائب والبدع كما سنرى في استعراضنا لمؤلفاته.

بيد أنّ الرحلة التي كان لها الأثر الحاسم، وشكلت منعطفا في حياة الشيخ سيدي محمد كانت رحلته ومقامه مع الشيخ أحمد بن أبي المعالي التاقاطي، الذي أخذ عنه الطريقة القادرية، وارتبط به ارتباطا روحيا عميقا، وهو الذي انتدبه لبث التعاليم القادرية وكان أمين سره ومحل ثقته، حتى أثر عنه قوله: «من كان مع سيدي محمد فأنا منه وهو مني»، وبذلك انتشرت الطريقة في الأوساط التي كانت على احتكاك مباشر بالشيخ سيدي محمد سواء كانوا من أهله أو من غيرهم، وقد طغت النزعة الصوفية على هذا العالم الزاهدواستحوذت على القسط الأوفر من عطائه العلمي حتى غلبت عليه التربية الروحية، فكان الصادرون عنه يوصفون بمريدي الطريقة قبل أن تطلق عليهم التلمذة بمفهومها العادي. ومن الذين أخذوا عنه الطريقة القادرية أحمد محمود الناجي بن الخليفة رئيس قبيلة «أهل الشيخ ابن امني»، كما أخذ عنه من أعيان عشيرته، محمد بن محمدو بن زين العابدين، ومحمد بن أعل بن أحمد، وابن أخيه محمد المصطفى بن محمد ابن بادي.

أمّا من غير أهله، فمن أشهر الذين أخذوا عنه الطريقة محمد بن أحمد بن سيد امحمد رئيس أولاد سيدي حيبله لأكنتهلأ، ومحمد بن سيدنا أحد مشاهير قبيلة كنته كذلك.

وظل الشيخ سيدي محمد بن بادي ينافح عن المنهج الذي ارتضاه ويدعو من له به صلة إلى التحلي بالأخلاق الحميدة ومعرفة طريق الفضيلة، حتى لبى داعي ربه عام 1398هـ عن عمر ناهز تسعين سنة زاخرة بالعطاء العلمي والروحي، مخلفا آثارا علمية كثيرة نظما ونثرا ضاع جلها.

آثاره

1 - العسل الصافي، وهو نظم في التصوف وقد شرحه أخوه أحمد بن بادي؛ 2 - سلاح المريدين في الرد على الفرق المنكرين والمتصوفة المتزندقين، وفيه تتجلى سمة الوسطية لديه، فلا هو بالمغالي ولا المتعصب لأي من الفريقين، وإنما ينشد الحق وينصره، وهذا الكتاب صدى للمناظرات الحادة التي كانت تدور بين المتصوفة وخصومهم في عصر المؤلف؛ 3 - كشف الحجاب والظلم عن القلوب بمصابيح الحكم. وهو نظم لحكم ابن عطاء الله، عرضها فيه بأسلوب سلس، لكنه تصرف أحيانا في الحكم العطائية بالحذف والزيادة لمقتضيات النظم؛ 4 - منبه الكهول من نومة الغفلة والذهول. وهو نظم في الوعظ والتحذير من مغبة الانغماس في الدنيا ونسيان الدار الآخرة؛ 5 - تحفة اللبيب وبغية الأريب، وهو نظم في آداب الشاي وأحكامه، وتحذير من مجالس الشاي التي قد تصرف عن ذكر الله وعن الصلاة، ومعلوم أن الساحة الثقافية الموريتانية كانت قد شهدت جدلا محتدما بين المبيحين لشرب الشاي والمحرمين له، وحسم النقاش لصالح إباحته شريطة عدم تلبسه بالمناكر، وإلى ذلك مال الناظم؛ 6 - عصابة العروس في جمع

أشياخنا الشموس. وهو نظم في سلسلة أشياخ الطريقة القادرية بفرعيها الفاضلية والكنتية؛ 7 - كاشف الأستار عن نسب الشيخ سيد المختار، وهو نظم في نسب هذا الشيخ الجليل الذي ينتمي إلى الفرع الكنتي من الطريقة القادرية؛ 8 - مجموعة قصائد في مواضيع مختلفة. وجميع هذه المؤلفات بحوزة نجل المؤلف السيد محمد يحيى بن الشيخ سيدي محمد بن بادي، وكان جل اعتمادي على روايته لأحداث سيرة والده، وذلك خلال سلسلة من اللقاءات أجريتها معه في الفترة ما بين 5 إلى 28 أبريل 2002.

سيدي محمد بن محمد عبد الله
جامعة نواكشوط ـ موريتانيا

الأموي، الأمير خالد بن يزيد بن معاوية

(... هـ / ... م ـ 90 هـ / 708 م)

يعد الأمير خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان أول من تكلم في صنعة الكيمياء من المسلمين. لقد لجأ خالد إلى الصنعة بعد أن نحيت عنه الخلافة بحكم أنه لم يبلغ الحلم بعد أن كان من المتوقع أن تؤول إليه بعد وفاة أبيه يزيد بن معاوية بن أبي سفيان عام 64 هـ / 683 م. فآلت الخلافة إلى مروان بن الحكم زوج أمه، على أن يخلفه خالد من بعده. إلا أنّ مروان نكث العهد، وجعل خلافته محصورة في ولده عبد الملك. فما كان من خالد، وهو ممن عرف برجاحة العقل والفضل، والحرص على وحدة الصف، إلا أن انصرف إلى العلم، إذ كان مولعا بالعلم والأدب. واشتغل بعلوم الحكمة كذلك، طمعا منه أن يهتدي إلى الإكسير، الذي طالما أشار الصنعويون إليه، على أنه يحول المعادن الخسيسة إلى ذهب. وقد كان خالد جوادا محبا للخير، وكان يطمع أن يغني من يلوذ به عن السؤال. فقد ذكر ابن النديم (ت 438 هـ / 1047 م) في كتابه الفهرست، وهذا الكتاب يعدّ كما يؤكد الزركلي في الأعلام من أقدم كتب التراجم وأفضلها، أنّه قيل لخالد: لقد جعلت أكثر شغلك في طلب الصنعة، فقال خالد: ما أطلب بذاك إلا أن أغني أصحابي وإخواني. إني طمعت في الخلافة، فاختزلت دوني، فلم أجد منها عوضا إلا أن أبلغ هذه الصناعة، فلا أحوج أحدا عرفني يوما أو عرفته إلى أن يقف بباب سلطان، رغبة أو رهبة.

هذا ويذكر ابن النديم كذلك أنّ: «خالد بن يزيد بن معاوية كان يسمى حكيم آل مروان، وكان خطيبا وشاعرا فصيحا، وحازما ذا رأي، وكان فاضلا في نفسه، وله همة ومحبة للعلوم. خطر بباله الصنعة فأمر بإحضار جماعة من اليونانيين ممن كان ينزل مدينة مصر، وقد تفصّح بالعربية وأمرهم بنقل الكتب في الصنعة من اللسان اليوناني والقبطي إلى العربي. وهذا

أوّل نقل كان في الإسلام. وفي معرض جملة المترجمين ذكر ابن النديم؛ اصطفن القديم: ربما كان اصطفن هذا هو نفسه الذي ذكره ابن النديم مع الصنعويين، وكان معلما من معلمي خالد، سماه في رسالة من رسائله: اصطفن الراهب.

وبديهي أن يلجأ الأمير خالد، إلى مدرسة الإسكندرية، وقد انتقلت صناعة الكيمياء إلى الاسكندرية، بعد أفول نجم العلم في اليونان، إلا أنّه سرعان ما امتزجت صناعة الكيمياء، في الاسكندرية بالسحر والشعوذة، لكنّ ظهور الإسلام وفتح مصر وبلاد الشام وبلاد فارس، غيّر كما يقول هولميارد من الموقف، إذ: «نفض المسلمون الأولون عن أنفسهم كثيرا من الألغاز الصبيانية التي كانت مدرسة الإسكندرية قد أدخلتها على العلم، وقاموا بتنقية الجو العقلي، لفترة من الزمن، فكانوا باحثين عن المعرفة يشتعلون حماسة وجدّا،... فترجمت كتب، لا عدد لها، من اليونانية، وخصوصا في حكم هارون الرشيد (786-809 م) والمأمون (813-833 م)، وظهرت الكيمياء بنصيبها من العناية في غمرة هذه الحماسة الشاملة للعلوم،...» وكان الأمير الأموي خالد بن يزيد بن معاوية أول من أشاع علم الكيمياء بين المسلمين، غير أن شهرته قد خسفتها شهرة تلميذه جابر - أبو موسى جابر ابن حيان - الذي هو جدير لأسباب كثيرة بأن يعدّ أول من يستحق لقب الكيمياوي. ولقد كان في الإسكندرية من الرهبان من تعلّم العربية، فاستعان بهم الأمير خالد.. في ترجمة بعض الكتب.

ومن القرائن التي تشير إلى اهتمام الأمير خالد بالعلوم الكونية الأخرى -وكانت تسمى في صدر الإسلام، علوم الحكمة -وبخاصة علم الفلك، ما أورده القفطي في تأريخه: من أنّه وجد في سنة خمس وثلاثين وأربعمائة بخزانة الكتب بالقاهرة كرة نحاس من عمل بطلميوس كتب عليها: حملت هذه الكرة من الأمير خالد بن يزيد بن معاوية.

ولم يكن صاحب الفهرست أول من أشار إلى أن الأمير خالد هو أول من دعا إلى ترجمة كتب هذه العلوم، بل سبقه إلى ذلك الجاحظ (ت 255 هـ / 869 م)، الذي ذكر في كتابه «البيان والتبيين»: «كان خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان خطيبا شاعرا، وفصيحا جامعا، وجيّد الرأي، كثير الأدب، وكان أول من ترجم كتب النجوم والطب والكيمياء».

وأكّد ذلك ابن خلّكان (ت 681 هـ / 1282 م) مشيرا، في الوقت نفسه، إلى ما جرى بين الأمير خالد وبين مريانس، الذي تعلم منه الصنعة والرموز حينما يقول: «كان من أعلم قريش بفنون العلم، وله كلام في صناعة الكيمياء والطب، وكان بصيرا بهذين العلمين، متقنا لهما، وله رسائل دالّة على معرفته وبراعته. وأخذ الصنعة عن رجل من الرهبان، يقال له مريانس الرومي، وله فيها ثلاث رسائل تضمنت إحداهن ما جرى له مع مريانس الراهب المذكور، وصورة تعلمه منه، والرموز التي أشار إليها، وله فيها أشعار كثيرة مطولات ومقاطع دالة على حسن تصرفه وسعة علم».

هذا وتذكر بعض المصادر أنّ الأمير خالد بن يزيد خلّف رسائل وكتبا، رأى ابن النديم منها: كتاب الحرارات [يورده أولمان، كتاب

الخرزات] وكتاب الصحيفة الكبير، وكتاب الصحيفة الصغير، وكتاب وصيته إلى ابنه في الصنعة.

ولقد نحا خالد منحى من سبقه من متأخري العصور القديمة في مدرسة الإسكندرية، فصنّف على وتيرتهم رسائل عدّة على شكل منظومات شعرية، لا تخلو من الرمز والتعمية، وما يكتنفها من السرية والغموض. وقد ذكر حاجي خليفة أنّ لخالد منظومة عنوانها: فردوس الحكمة في علم الكيمياء، أشار إلى أنّها منظومة في قواف مختلفة وعدد أبياتها ألفان وثلثمائة وخمسة عشر بيتا مطلعها:

الحمدُ لله العليّ الفرد
الواحد القهار ربِّ الحمد

ومن أبياتها كذلك الأبيات الآتية:

هو زيبقُ الشرق الذي هتفوا به
في كتبهم من جملة الأشياء

سمُّوهُ زهْرا في خفي رموزهم
والخرشقلا أغمض الأسماء

ودعوه باسم النار كيما يصدفوا
عن صنعة بخلا عن البعداء

فإذا أردتَ مثاله فاعمَدْ إلى
جسمِ النحاس ونارهِ الصفراء

فامزجهما مزَج امرئ ذي حكمة
واحكم مزاوجة الهوا بالماء

واسحقْ مركبَك الذي أزوجته
بالجد من صبح إلى الإمْساء

سحقًا يفتته وينهكُ جسمه
حتى تراه كزبدة بيضاء

واجمعه واتقِنْه ودعْه بصرفه
حتى الصباح وغطُّه بغطاء

هذا أبار نُحاسهم فافطن له
هذا مذلّ ذوِي اللُحي النُّجباء

وعن الإكسير يقول الأمير خالد:

هذا هو الإكسيرُ فاعرف قدرَه
هذا حياة جماعةِ الأحياءِ

من ناله أضحىَ عظيما في الورى
وعلا على النظراء والخلطاء

أما المسعودي فقد أورد في كتابه «مروج الذهب ثلاثة أبيات من الشعر ترجع إلى الأمير خالد وتتعلّق بالكيمياء وهي:

خذِ الطلقَ مع الأشق
وما يوجد في الطرق

وَشْيًا يشبه البرق
فقدّره بلاَ خَرق

فإن أحببت مولاك
فقد سوّدت في الخلق

هذا وتجمع مصادر التراجم العربية الموثوقة على أنّ الأمير خالد بن يزيد كان حكيم قريش وعالمها في عصره، وأنّه كان هو وأخواه من صالحي القوم. فقد وصفه الذهبي في «سير أعلام النبلاء» بالإمام البارع، أبو هاشم القرشيّ الأمويّ الدمشقيّ، أخو الخليفة معاوية، والفقيه عبد الرحمن. وقال عنه الزبير ابن بكار: كان موصوفا بالعلم، وقول الشعر. وذكر ابن عساكر في تاريخه: كان رجلا لبيبا

لسِنًا ذا رأي. وقيل عن خالد إنه أحاط بعلم العرب والعجم. وجاء في طبقات الأمم: كان خالد بن زيد بن معاوية بن أبي سفيان، بصيرا بالطب والكيمياء، وله في الكيمياء رسائل وأشعار بارعة دالة على معرفته وبراعته فيها. ويقول عنه ياقوت الحموي: كان من رجالات قريش المتميزين بالفصاحة والسماحة وقوة العارضة، علاّمة وخبيرا بالطب والكيمياء، وشاعرا.

وإذ تؤكد المصادر العربية الموثوقة والقريبة العهد بعصر الأمير خالد بن يزيد، اشتغاله بالعلوم الحكمية بعامة والكمياء بخاصة، ينكر ابن خلدون عليه ذلك حين يقول في مقدمته: وربما نسبوا بعض المذاهب والأقوال فيها (أي في الكيمياء) لخالد بن زيد بن معاوية ربيب مروان بن الحكم. ومن المعلوم البيّن أنّ خالدا من الجيل العربي، والبداوة إليه أقرب، فهو بعيد عن العلوم والصنائع بالجملة، فكيف له بصناعة غريبة المنحى مبنية على معرفة طبائع المركبات وأمزجتها؟ وكتب الناظرين في ذلك من الطبيعيات والطب لم تظهر بعد ولم تترجم. اللّهم إلا أن يكون خالد بن يزيد آخر من أهل المدارك الصناعية، تشبّه باسمه فممكن.

واستبعد ابن الأثير وهو على حق في هذا الشأن تمكّن الأمير خالد من تحويل المعادن الخسيسة إلى ذهب.

وذهب بعض المستشرقين إلى إنكار علم الأمير خالد بالصنعة، ومن هؤلاء ألدوميلي، الذي يعدّ تعلّم خالد الصنعة من الراهب ميريانس أسطورة محضة، وعلى الأخص ما ذكر عن تبحره في علم الصنعة. كذلك يشكك روسكا Ruska اشتغال الأمير خالد بالصنعة، ويدعي أن أغلب الكتب التي تنسب إلى خالد أو من جاء بعده بمدة قصيرة، كتبها غيرهم بعد وفاتهم بمدة «لا تستند على أدلة تاريخية صحيحة، ولا مبنية على العمق في التحقيق والتجرد في الحكم».

هذا ويشير هولميارد في الرد على المنكرين اشتغال الأمير خالد بالكيمياء إلى ما كتبه روبرت التشيستري Robert of Chester في مقدمة الكتاب الذي قام بنقله من العربية إلى اللاتينية عام 539 هـ / 1144 م، بعنوان: «تركيب الكيمياء»، وقد كان أول كتاب كيميائي يظهر في أوروبا اللاتينية، يشير إلى قول روبرت: «بما أن العالم اللاتينبي لا يعرف بعد ما هي الكيمياء فسوف أشرح ذلك في هذا الكتاب. ومع أنّ فكرنا لا يزال ساذجا وغير محيط بالموضوع ولساننا اللاتيني لا يزال قاصرا فإننا أخذنا على عاتقنا ترجمة هذا العمل العظيم من اللسان العربي إلى اللاتيني ...إلخ». ويشير هوليارد كذلك إلى قصة خالد مع مريانوس التي وردت في الكتاب، باعتبار الأمير أول شخصية تطالعنا في تاريخ الكيمياء الإسلامية.

هذا وقد ذكر خالد بن يزيد على لسان جابر ابن حيان في كتاب الراهب من مختار رسائل جابر بن حيان، التي جمعها كراوس: «واعلم أنّ هذا الراهب كان قد بلغني أمره زمانا بعد صحبتي لأستاذي حربي قدّس الله روحه فكنت مشتاقا إلى رؤيته، وذلك أنّه بلغني عنه أنه أخذ العلم عن مريانس الذي كان خالد بن اليزيد أنفذ في طلبه ووضع عليه العيون والأرصاد حتى أخذه من طريق بيت المقدس.

وكان يهدي في كل سنة ذهبا كثيرا، وإنما لما مات خلفه هذا الراهب».

وأخيرا فإن سنة ولادة الأمير خالد لم تعرف إلى حد الآن، وتضاربت الآراء في سنة وفاته؛ فبعضهم يرجح 85 هـ / 703 م، أو بعدها؛ بينما يحددها ابن عساكر سنة 90 هـ / 708 م، في حين يرجح ستابلتون، بناء على دراسته لبعض المخطوطات، أنّ وفاة الأمير خالد كانت عام 102 هـ / 720 م أو بعدها مباشرة.

آثاره

1 - ديوان النجوم وفردوس الحكمة؛ 2 - مجموع أشعار الحكمة ورسائل خالد، جمعها متأخر؛ 3 - رسالة في الصنعة الشريفة وخواصها؛ 4 - وصية لولده؛ 5 - منظومة في الكيمياء؛ 6 - القصيدة الكيميائية.

المصادر والمراجع

● الجاحظ، عمرو بن بحر، كتاب الحيوان، تح. عبد السلام هارون، الناشر دار الكتاب العربي بيروت، لبنان م.1، ص 76؛ ● م.ن، البيان والتبيين، تح. حسن السندوبي، دار إحياء العلوم، بيروت م 1، ص 310؛ ● القفطي، تاريخ الحكماء، تح. أوغست ملر، إخراج يوليوس ليبرت، لايبتسغ 1903 م، طبعة مكتبة المثنى ببغداد على الأوفست؛ ● ابن عساكر، تهذيب تاريخ دمشق الكبير، هذبه ورتبه عبد القادر بدران، دار المسيرة بيروت ج. 5، ص 119؛ ● الذهبي محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، ج. 4 حققه مأمون الصاغري، مؤسسة الرسالة بيروت عام 1402 هـ / 1982 م، ص 382؛ ● الحموي، ياقوت، معجم الأدباء، (المعروف بإرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) ج. 11، ص 35؛ ● خليفة حاجي، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، م. 2، ص 1254-1255، دار الفكر 1402هـ/ 1982م؛ ● الزركلي، الأعلام، مج. 2، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة السادسة 1984 م؛ ● ابن خلدون، المقدمة، تح. علي عبد الواحد وافي، ج. 4، ص 1306، لجنة البيان العربي 1388 هـ / 1968 م؛ ● سزكين، فؤاد، تاريخ التراث العربي، ترجمة عبد الله حجازي، مطبوعات جامعة الملك سعود 1406 هـ / 1986 م؛ ● الديوه جي، سعيد، الأمير خالد بن يزيد، المطبعة الهاشمية بدمشق (1372 هـ / 1953 م)؛ ● الطائي، فاضل أحمد، علماء العرب واكتشافاتهم، ط. 4 1989م، دار المعارف بمصر؛ ● عبد الغني، مصطفى لبيب، علم الكيمياء في الحضارة الإسلامية، الناشر دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة.

● Holmyard, E. J. Chemistry to the Time of Dalton, printed in England at the Oxford University press, 1925; ● Holmyard, E. J., Makers of chemistry, Oxford at the Clarendon press, reprinted 1946; ● Die Natur-und Geheimwissenschaften in Islam, von M. Ullmann. Leiden, E. J. Brill, 1972; ● Arabische

Alchemisten, I. Chalid Ibn Jazid Ibn Muawija, von Julius Ruska, Heidelberg 1924; • Geschichte de Arabischen Arzte und Naturforscher, von Ferdinand Wüstenfeld, Hildesheim 1963; • Aufsätze zur Arabischen Wissenschaftsgeschichte, von Eilhard Wiedemann, I, 52, II, 546, Hildesheim 1970.

د. عبد الله حجازي
جامعة الملك سعود - الرياض

الأموي، أبو عثمان سعيد بن يحيى

(...هـ/ ... م - 249 هـ / 863 م)

سعيد بن يحيى بن سعيد بن أبان، أبو عثمان الأموي. محدث وفقيه.

أصله من الكوفة، سكن هو ووالده بغداد. عاش في كنف أُسرة تميّزت بالعلم ورواية الحديث. فإضافة إلى والده يحيى بن سعيد، أخذ سعيد الحديث عن أعمامه، وروى عنهم لاسيما عميّه محمد بن سعيد، وعنبسة بن سعيد. وكذلك أخذ اللغة عن عمه الآخر عبد اللّه بن سعيد، الذي كان نحويًا عالمًا باللغة، وكان الجميع من الثقات. وسمع الحديث أيضًا من عبد اللّه بن المبارك، وعيسى بن يونس، وأبي القاسم بن أبي الزناد، وأبي بكر ابن عياش، وعبد الرحيم بن سليمان، ومروان ابن معاوية، وشجاع ابن الوليد، ومسلم بن خالد الزنجي، وعبد اللّه بن إدريس وغيرهم. وروى عنه محمد بن إسماعيل البخاري، ومسلم بن الحجاج، والنسائي، وأبو حاتم الرازي، ويعقوب بن سفيان، وإبراهيم الحربي، وصالح جزرة، وعبد اللّه بن أحمد ابن حنبل، وعلي بن بيان المطرز، وعبد اللّه ابن محمد بن ناجية، ومحمد بن محمد الباغندي، وأبو القاسم البغوي، ويحيى بن صاعد. وآخر من روى عنه هو القاضي أبو عبد اللّه الحسين بن إسماعيل المحاملي [الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، 9/ 10].

ليس لدينا تاريخ محدد لولادة سعيد بن يحيى، ولكن من مقارنة تاريخ ولادة والده ووفاته (114-194هـ/ 732-809 م)، يُعتقد انه ولد في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة، وعاصر عهد الخليفة هارون الرشيد، الذي حكم ابتداء من سنة 170 هـ/ 786 م، والخلفاء الذين حكموا بعده، إلى بداية عهد المستعين باللّه سنة 248هـ/ 862 م. وهكذا يكون قد عاصر نحو ثمانية من الخلفاء العباسيين. ولكن لا تتوافر معلومات عن تولّيه أية مواقع رسمية في الدولة، أو أعمال لها علاقة بالسياسة العامة؛ وكذلك أُسرته وأعمامه، باستثناء عمه عنبسة بن سعيد، الذي تولى القضاء بالري. وبعكس ذلك تشير

المعلومات المتوفرة عن سعيد بن يحيى، إلى أنه كان منشغلاً بحلقات العلم منذ كان غلامًا صغيرًا، فكان يقصد حلقة أبي بكر بن عياش، وحلقة سليمان الأعمش، الذي روى عنه والده يحيى أيضًا. وهكذا سار الابن على خطى أبيه في دراسة الحديث، وتلقي العلوم؛ وكان أبوه ثقةً صدوقًا، لكنه، وعلى حد قول أحمد بن حنبل، لم تكن به حركة في الحديث، ولكن ليس به بأس. وعلى الرغم من هذا وثقه الكثير من معاصريه، مثل الدارقطني ويحيى بن معين [الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، 14/ 134]. أما سعيد الابن، فقد امتُدح كثيرًا، بل إن هناك من قال إنه أثبت من أبيه، وإنه صدوق وثقة، إلاّ انه كان يغلط أحيانًا [ابن حجر، تهذيب التهذيب، 4/ 98].

أكثر سعيد بن يحيى من رواية الحديث عن والده، واشتهر أيضًا بروايته لكتاب المغازي، الذي يُنسب إلى والده. وكان مصدر والده هو محمد بن إسحاق بن يسار المتوفى سنة 150 أو 151 هـ/ 767 أو 768 م، مؤلف السيرة والمغازي المعروف. وكان يحيى بن سعيد وأخوه محمد بن سعيد قد سمعا هذه المغازي سماعًا عن أبي إسحاق. وقد حدّث بها يحيى ابنه سعيدًا، الذي رواها عنه [الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، 14/ 133]. ويبدو أن سعيدًا قد أضاف إلى المعلومات التي أخذها عن والده، لأننا نجد هناك من ينسب المغازي مباشرة إليه، وليس إلى والده، مثل ابن كثير، الذي يشير في بعض نصوصه إلى مغازي سعيد بن يحيى الأموي، بإسناد يختلف عن إسناد أبيه [البداية والنهاية، 1/ 192، 2/ 348، 352]. كذلك يشير ابن العديم، إلى انه قرأ في مغازي سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي [بغية الطلب، 1/ 573، 10/ 4649]. وهذا يدل على أن سعيدًا قد انتفع تمامًا من هذه المغازي، ودوّنها، وأنها أصبحت معروفة في عصره.

دليل ذلك ما رواه الخطيب البغدادي عن أبي القاسم ابن بنت منيع، الذي سأل جده أحمد ابن منيع أن يأخذه إلى سعيد بن يحيى الأموي، ليعطيه الجزء الأول من المغازي عن أبيه عن ابن إسحاق، «ليورقه عليه». فأخذه، وطاف به على علماء عصره، مثل أبي عبد اللّه بن المغلس وغيره، مخبرًا إياهم أنه ينوي قراءة المغازي على سعيد الأموي، وأخذ من كل واحد منهم مبلغا يتراوح بين عشرة إلى عشرين دينارًا، ليكتب لهم نسخة من هذه المغازي، إلى أن حصل له من ذلك نحو مئتي دينار في يوم واحد، فكتب النسخ لأصحابها [تاريخ بغداد، 10/ 114؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، 14/ 450]. ويفهم من هذه الرواية أن المغازي كانت تتألف من أكثر من جزء واحد وأن الطلب عليها كان كبيرًا جدًا. وقد وصلنا منها قطع كثيرة، استفاد منها أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في تاريخه، ومحمد بن إسماعيل البخاري في صحيحه، لاسيما في الباب الخاص بالمغازي. واستفاد منها أيضًا ابن حجر العسقلاني في الإصابة، وابن كُثير في البداية والنهاية. وكان الخطيب البغدادي ممن حصلوا على إجازة لرواية كتاب المغازي الذي كان أيضًا، فيما يُروى، أحد مصادر كتاب الاكتفاء للكلاعي المتوفى سنة 634 هـ/ 1237 [سزكين، تاريخ التراث العربي، م 1، ج 2، ص 98].

روى سعيد بن يحيى هذا الكتاب بطرق متعددة، كان الغالب فيها هو إسناده عن والده عن محمد بن إسحاق، وكذلك عن عمه محمد بن سعيد عن ابن إسحاق، أو عن زياد البكائي. ومع هذا فهناك بعض سلاسل الإسناد الأخرى التي لا تبدأ بوالده، أو تنتهي بابن إسحاق. مثال ذلك السلسلة التي تبدأ بعمه محمد بن سعيد عن محمد بن المنكدر عن ابن عباس، أو عن شيخ من قريش عن عبد الملك ابن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر، أو «عن المعتمر بن سليمان الرقي عن عبد الله بن بشر الزهري». أما سلاسل إسناده عن والده والتي لا تتصل بابن إسحاق، فأهمها عن أبيه عن ابن جُريْج عن عبد الملك بن عبد الرحمن عن أمه عن أم حميد بنت عبد الرحمن عن عائشة، وعن أبيه عن سليمان الأعمش، وعن أبيه عن مجالد عن الشعبي عن جابر بن عبد الله، وعن محمد بن السائب الكلبي عن ابن صالح عن ابن عباس.

ويبدو أن موضوع كتاب المغازي، لاينتهي بعصر الرسول عليه الصلاة والسلام، بل يتضمن مادة تتعلّق بالعهدين الراشدي والأموي. وسنحاول أن نشير إلى نماذج من هذه الموارد تتعلق بهذين العهدين: فقد أورد سعيد بن يحيى عن أبيه عن ابن إسحاق رواية تتعلق بسلمى بنت عرته أم أبي جهل بن هشام في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكانت تزاول بيع الطيب لنساء الأنصار [الشيباني، الآحاد والمثاني، 5/ 474]. كذلك يشير ابن العديم [بغية الطلب، 10/ 4649] إلى قراءته في مغازي سعيد بن يحيى الأموي، وأنه أورد عن أبيه عن ابن إسحاق، أنباء عن غزوات معاوية بن أبي سفيان وعمير ابن سعيد الأنصاري في مناطق فلسطين والأردن ودمشق والبثينية وحوران وقنسرين في بلاد الشام، وذلك في حدود سنة 21هـ/ 640 م. كما أشار أيضًا إلى حملات عياض ابن غنم الفهري إلى قنسرين والجزيرة. وينقل سعيد بن يحيى عن عمه عبد الله بن زياد البكائي عن المجالد بن سعيد عن الشعبي عن زهر بن قيس الجعفي، قيام الأخير بقيادة رابطة تنزل المدائن في عهد الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه [بغية الطلب، 1/ 573، 14/ 3783].

وجاء في المغازي برواية سعيد بن يحيى عن عمه عبد الله بن سعيد عن زياد بن عبد الله عن ابن إسحاق، إشارة إلى تاريخ بيعة الخليفة معاوية بن أبي سفيان بالخلافة في شهر ربيع الأول سنة 41 هـ/ 661 م [الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، 1/ 210]. وأخيرا هناك إشارة إلى حركة عبد الله بن الزبير، وردت برواية سعيد بن يحيى عن أبيه عن سليمان الأعمش تنتهي بالقاضي شريح بن حارث الكندي، الذي يبين رأيه في «الفتنة». إن هذا التنوع في المعلومات التاريخية، اللاحقة لعصر الرسول، يؤيد اتساع حجم كتاب المغازي، وأنه كان يتضمن أجزاء أخرى، إضافة إلى الجزء الأول الخاص بمغازي رسول الله ﷺ.

المصادر والمراجع

● البخاري، صحيح البخاري، بيروت، بغداد، دار الفكر، 1986، ج 3، (الباب الخاص بالمغازي)، 1-85؛ ● الشيباني،

الآحاد والمثاني، تح. باسم فيصل أحمد الجوابرة، الرياض، دار الراية 1991، 2/ 75، 5/ 381، 400، 474؛ ● الطبري، تاريخ الرسل والملوك، نشر دي غوية، ليدن، 1879-1903، 1/ 369، 970، 1222، 1598، 1652، 1768، 1808، 3/ 2533؛ ● أبو نعيم، حلية الأولياء، بيروت 1988، دار الكتب العلمية، 4/ 184؛ ● الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، بيروت، دار الكتب العلمية، 1/ 210، 2/ 290، 4/ 279، 5/ 116، 303، 10/ 114، 12/ 284؛ ● ابن الجوزي، المنتظم حتى سنة 257هـ، تح. محمد ومصطفى عبد القادر عطا، بيروت 1992، دار الكتب العلمية، 12/ 31؛ ● ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، تح. سهيل زكار، بيروت 1988، دار الفكر، 1/ 573، 10/ 4649، 2013، 14/ 3783، 3968؛ ● الذهبي، المعين في طبقات المحدثين، تح. همام عبد الرحيم سعيد، عمان، دار الفرقان، ص 85؛ ● م.ن، سير أعلام النبلاء، ط9، تح. شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، بيروت 1413 هـ، مؤسسة الرسالة، 14/ 450؛ ● ابن كثير، البداية والنهاية، بيروت، مكتبة المعارف، 1/ 192، 2/ 200، 302، 348، 352، 3/ 141؛ ● ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، تح. علي محمد البجاوي، بيروت 1992، دار الجيل، (عن كتاب المغازي)، 1/ 146، 488، 493، 2/ 59، 3/ 248، 412)؛ ● ابن حجر، تهذيب التهذيب، بيروت 1325هـ، دار صادر عن طبعة حيدر آباد الدكن، 4/ 97-98؛ ● سزكين، تاريخ التراث العربي، نقله إلى العربية، محمود فهمي، السعودية 1983، م 1، ج2، 97-98 (ترجمة والده يحيى بن سعيد).

د. عبد الواحد ذنون طه
جامعة الموصل - العراق

الأموي، أبو محمد طلحة بن محمد بن طلحة

(601 هـ / 1204 م - 643 هـ / 1245 م)

طلحة بن محمد بن طلحة بن حزم الأموي أبو محمد نحوي مقرئ عروضي؛ له حسب المصادر «حظ وافر من الأدب وقرض الشعر ومعرفة بطرق الرّواية وتواريخ الرّجال» [الذيل والتكملة، السفر الرّابع ص 165؛ بغية، ج. 2 - ص 19]، ولئن خصّص له ابن عبد الملك ترجمة طويلة نسبياً فإنّها تكاد لا تحتوي على أكثر من سرد من أخذ عنهم أو أجازوه؛ أبوه هو أبو بكر محمد بن طلحة (545هـ/ 1150م-618هـ/

1221م) نحوي ينعته ابن عبد الملك بالأستاذ الكبير؛ وقد روى عنه ابنه أبو محمد كما روى عن عشرات الأساتذة من أشهرهم علي بن جابر الدباج (ت 646هـ/ 1248م)، وابن بقي (532هـ/ 1137م-625هـ/ 1227م)، وعلي ابن الفخار الشريشي (ت 642هـ/ 1244م) وأبو علي الشلوبيني (562هـ/ 1166م-645هـ/ 1248م)، ومنهم أيضا القاسم بن الطيلسان (575هـ/ 1279م 642هـ/ 1244م)، وإبراهيم بن قاسم البطليوسي المعروف بالأعلم (ت 642هـ/ 1341م)، بالإضافة إلى من أخذ عنهم مباشرة وأجاز له بعضهم، أجاز له عدد من الأندلسيّين ممن قد لا يكون التقى بهم؛ منهم عبد الرّحمن بن دحمان (ت 617هـ/ 1220م)، وثابت الكلاعي (ت 628هـ/ 1230م)، وسهل بن مالك (559هـ/ 1162م-639هـ/ 1241م)، ويشير ابن عبد الملك إلى أنه «أخذ بالإجازة عن جماعة كبيرة من أهل المشرق، وقد ذكر منهم أكثر من ستّين عالما من أشهرهم أبو البقاء العكبري» (538هـ/ 1143م-616هـ/ 1219م)، والمعروفون ممن أخذ عنهم سماعا أو بالإجازة هم من القرّاء والنحويّين والمحدثين؛ ويذكر ابن عبد الملك أنّه تلا القرآن على أبيه برواية ابن كثير كما قرأ عليه فصيح ثعلب وبعض لحن العامّة وجملة من أشعاره، كلّ ذلك وهو لم يتجاوز الثّامنة عشرة؛ والواقع أنّ عددا ممن يذكر أنّه أخذ عنهم توفّوا قبل سنة 620هـ كأبيه وابن دحمان، بل إنّ أبا البقاء العكبري الذي يقال إنّه أجاز له توفي سنة 616هـ؛ وقد يفسّر نبوغه بما أشار إليه ابن عبد الملك من « أنّ الله تعالى قد منّ عليه بعافية الصّحة فأخذ نفسه بالجدّ والاجتهاد في طلب العلم، فلم يمرّ عليه إلاّ عامان (أي بعد موت أبيه) أو نحوهما حتى بذّ أقرانه وكثيرا من أشياخه» [م.س، 166]؛ ومما يؤيّد ما ذكر صاحب الذيل والتكملة ما حظي به من إجازات مكّنه منها أعلام لم يلتق بهم من الأندلسيّين والمشارقة.

وقد انتصب للإقراء وتدريس العربيّة قبل أن يتوفّى جلّ شيوخه، فأخذ عنه وطلبت إجازته وهو ابن عشرين سنة حسب ابن عبد الملك؛ واضطلع بالتّدريس إلى آخر حياته القصيرة لا يشغله عنها أي شاغل رغم «شدّة الفقر وقلّة ذات اليد»؛ على أنّه لم يذكر له إلاّ عدد قليل من التّلاميذ، ومنهم ابن عمريل، وابن مفضل، وابن عمر بن مسرّة، وابن محمد الجعبدي، وابن حسين الأخرش، وابن مكنون.

آثاره

ما نسب إلى محمّد بن طلحة من المصنّفات هو من نوع كتب التّراجم وفهارس الشّيوخ، وقد ذكر ابن عبد الملك المصنّفات التّالية [م.س، ص. 166]: 1 - ملحة الرّاوي وختام عيبة الحاوي: وهو معجم شيوخه جمعه قرب سنة 620 وقد وقف عليه صاحب الذيل والتكملة بخطّ مؤلفه؛ 2 - معجم شيوخ القاضي أبي الوليد الباجي وقد وقف عليه أيضا ابن عبد الملك؛ 3 - نغبة الوارد ونخبة مستفاد الوافد، وهو حسب ابن عبد الملك «برنامج حفيل استوعب فيه ذكر شيوخه إلى عام 635». وقد اشتمل على مئات من الرّجال وعدد من النّساء.

ويضيف ابن عبد الملك أنّه وضع فهارس لمجموعة من أشياخه كأبي أمية، وابن الحاج متسمة بجودة الاختيار وحسن الترتيب، كما أنّ له تقييدات «وصل» بها كتاب الصلة لابن بشكوال ولكنه لم يتمكّن قبل وفاته من إخراجها من مسوداتها؛ وله شعر وخطب.

المصادر والمراجع

● ابن الأبّار، التكملة لكتاب الصّلة، نشر وتصحيح السيد عزّ الدّين العطار الحسيني، مكتبة الخانجي بمصر والمثنى ببغداد، 1375/ 1956 ج. 1 338؛ ● ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، تح. إحسان عباس، بقية السفر الرّابع، ص 161-170؛ ● السّيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللّغويّين والنحاة، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، 1384/ 1965، 2/ 19، ش 20؛ ● الزركلي، الأعلام، 3/ 332، الطبعة 3.

عبد القادر المهيري

الجامعة التونسية

الأموي، أبو صفوان عبد الله بن سعيد

(... هـ / .... م - 190 هـ / 805 م)

هو أبو صفوان عبد الله بن سعيد بن عبد الملك بن مروان الأموي الدمشقي. لا تتفق المصادر على سنة مولده، لكن من أشار إلى فترة صباه يشير إلى «أنه كان يتيما عند عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج بمكة عشر سنين».

قتل أبوه بنهر أبي فطرس (موضع قرب الرملة من أرض فلسطين) عند زوال ملك بني أمية، وكان عبد الله طفلا ففرت به أمه أمّ جميل بنت عمرو بن عبد الله بن صفوان بن أمية إلى مكة. وذلك سنة 132 هـ / 749 م. فهو ينحدر من أسرة عربية تولت تسيير دواليب الحكم لفترة دامت 91 سنة و9 أشهر، وكان له أربعة عمومة خلفاء هم: الوليد، وسليمان، وهشام، ويزيد أبناء عبد الملك بن مروان.

طلب العلم في حدود 150 هـ / 767 م، وواظب على مجالسة الشيوخ والأخذ عنهم، منهم: والده سعيد بن عبد الملك، ويونس بن يزيد الأيلي، وموسى بن يسار صاحب مكحول، وعبد الملك بن عبد العزيز بن جريج المكي، وثور بن يزيد، ومجالد بن سعيد، ومالك بن أنس.

ولما بلغ أربه من العلوم، والتثقيف جلس للتدريس، ونشر بضاعته الحديثية والفقهية. فمن تلامذته: محمد بن إدريس الشافعي، وأحمد بن حنبل، وعلي بن المديني، ونعيم

ابن حماد، وعبد الله بن الزبير الحميدي، وأبو خيثمة زهير بن حرب، وأبو يعلى محمد بن الصلت، وغيرهم. وقد أثنى عليه العلماء، فقال فيه علي بن المديني: «كان أفقه قرشي رأيته». وقال فيه أبو زكريا وابن معين: «عبد الله بن سعيد ثقة»: وقال أبو زرعة: «لا بأس به صدوق».

وقف عبد الله بن سعيد الأموي على قبر عبيد ابن سريج فعقر ناقته واندفع يندبه بصوت شجي كبلبل حسن، ويقول:

وقفنا على قبر بدسم فهاجنا
ونكّرنا بالعيش إذ هو مُصحبُ

فجالت بأرجاء الجفون سوافح
من الدمع تستبكي الذي يتعيّبُ

إذا أبطأت عن ساحة الخد ساقها
دم بعد دمع إثره يتصبّبُ

فإن تسعدوا نندب عبيدا بعولة
وقلّ له منا البكا والتنحّبُ

وكان معه صاحب له فنزل عن ناقته وعقرها، فقال له القرشي: خذ في صوت أبي يحيى فاندفع يتغنّى:

أسعداني بدمعة أسراب
من دموع كثيرة التسكابِ

إنّ أهل الحصاب قد تركوني
مولعًا مولها بأهل الحصابِ

أهل بيت تتابعوا للمنايا
وعلى الموت بعدهم من عتابِ

فارقوني وقد علمت يقينا
ما لمن ذاق ميتة من إيابِ

كم بذاك الحجون من أهل صدق
وكهول أعفّةٍ وشبابِ

سكنوا الجزْع جزْع بيت أبي مو
سى إلى النخل من صُفي السبابِ

فلي الويل بعدهم وعليهم
صرت فردا وملّني أصحابي.

والأموي محدث فقيه ثقة من الطبقة التاسعة من المحدثين، ذكره مسلم في كتابه «الصحيح».

آثاره

1 - كتاب رحل البيت؛ 2 - كتاب النوادر.

المصادر والمراجع

● الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث 181-190، بيروت ط. 2 سنة 1998، دار الكتاب العربي بيروت؛ ● ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، 29/ 58، ط.1995، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع؛ ● ابن حجر، تهذيب التهذيب، 5/ 238، ط. حيدر أباد، ط. 1، 1326 هـ / 1908 م، نشر دار صادر بيروت؛ ● يوسف المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تح. بشار عواد معروف، 15/ 35، بيروت ط. 2 سنة 1992، مؤسسة الرسالة؛ ● ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص 104، بيروت 1983، دار الكتب العلمية؛ ● الرازي، كتاب الجرح والتعديل، 5/ 72، سنة 1953، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية؛ ● الذهبي، ميزان الاعتدال،

تح. علي البجاوي، 2 / 429، ط. 1963، دار إحياء الكتب العربية عيسى الحلبي؛ ● إسماعيل البغدادي، هدية العارفين، 1/ 438، بغداد 1951، مكتبة المثنى؛ ● كحالة، معجم المؤلفين، 6/ 49، بيروت 1957، مكتبة المثنى، دار إحياء التراث؛ ● صلاح الدين المنجد، معجم بني أمية، ص 81، بيروت 1970، دار الكتاب الجديد.

د. أحمد متفكر
جامعة القاضي عياض - المغرب

الأموي الإشبيلي، أبو بكر محمد بن طلحة

(545 هـ/1150م - 618هـ/1221م)

محمد بن طلحة بن عبد الملك الأموي الإشبيلي أبو بكر، نحوي عارف بعلم الكلام، ولد بيابرة وانتقل مع أبيه طلحة ابن طلحة إلى إشبيلية فأقام بها؛ أخذ العربيّة عن أبي إسحاق بن ملكون (ت 584/ 1188) وهو «نحوي جليل» حسب عبارة السيوطي نقلا عن ابن الزبير [بغية، 1/ 431]، وأستاذ نحاة أندلسيّين مشهورين كالشلوبين وابن خروف، وقرأ كتاب سيبويه على جابر بن محمد بن نام الحضرمي (ت 596/ 1199)، وهو مقرئ متقن لكتاب سيبويه وأستاذ الشلوبين أيضا؛ وسمع هذا الكتاب أيضا على الحافظ أبي بكر بن الجد (ت 586/ 1190)، ولقي السهيلي (ت 581/ 1155) لكنّه لم يأخذ عنه النحو وإنّما سمع منه بعض كتابه في السيرة «الروض الأنف» [ابن الأبّار، التكملة لكتاب الصلة 2/ 605]؛ وأجاز له أبو بكر بن صاف وأبو بكر بن مالك الشريشي وغيرهما.

وكان ابن طلحة يعتبر «من أهل التيقظ والفهم» حسب عبارة ابن الأبّار، «موصوفا بالعقل والذكاء» حسب السيوطي؛ ولم تكن له عناية بالرواية بل قصر همّه على العربيّة وتعليمها، وقد اضطلع بالتّدريس ويبدو أنّه بدأ ذلك في حدود سنّ العشرين إذ يشير السيوطي أنّه درّس أكثر من خمسين سنة، وكان يعتبر «أستاذ حاضرة إشبيلية غير مدافع»، عبارته سهلة وإلقاؤه جيّد وأداؤه حسن؛ وكان يميل في النحو إلى مذهب ابن الطراوة (ت 528/ 1133)، وقد عرف هذا خاصّة بمآخذه على كتاب سيبويه ونقده اللاّذع لأبي علي الفارسي وابن جنّي، ويذكر ابن الأبّار نقلا عن أبي الحسن الرعيني أنّ هذا الميل غلب عليه «فشرد عن الجمهور».

ورغم طول مدّة اضطلاعه بالتّدريس فليس لنا معلومات كافية حول من تتلمذوا عليه، نعرف أنّه قرأ عليه ابنه طلحة وأبو مروان الباجي القاضي وابن عبد النّور والسقطي، ويشير ابن الأبّار أنّه لقيه بإشبيلية لكنّه لم يسمع «منه

سوى ما كان يقرئ»، ويذكر ابن سعيد أنّ أباه اجتمع به [المغرب 1/ 253].

المصادر والمراجع

● ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، تح. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة 1953، 1/ 253؛ ● ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، نشر وتصحيح السيد عزت العطار الحسيني، مطبعة الخانجي والمثنى، 1375/ 1965، 2/ 605؛ ● ابن الجزري، غاية النّهاية في طبقات القرّاء، نشر ج. برجستراسر، دار الكتاب اللبناني، عن طبعة الخانجي بمصر، 1352/ 1933، 2/ 157؛ ● السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللّغويّين والنحاة، تح. محمد أبي الفضل إبراهيم، القاهرة، 1384/ 1964؛ 1/ 121؛ ● الفيروز أبادي، البلغة في تاريخ أئمة اللّغة، تح. محمد المصري، دمشق 1392/ 1972، ص. 225.

عبد القادر المهيري
الجامعة التونسية

الأموي الأندلسي، أبو عبد الله يعيش بن إبراهيم بن يوسف

(... هـ / ... م - بعد سنة 774 هـ / 1773 م)

هو أبو عبد الله يعيش بن إبراهيم بن يوسف الأموي الأندلسي. ولا يعرف المؤرخون شيئا كثيرا عن حياة هذا الرياضي، عدا ما كتبه حاجي خليفة في كشف الظنون وبروكلمان (نقلا عن كشف الظنون) والزركلي، وحديث أحمد سليم سعيدان في تحقيقه لكتاب «مراسم الانتساب في معالم الحساب». وقد سماه ناسخ هذا الكتاب «يعيش بن إبراهيم يوسف بن سماك الأموي» مضيفا إلى ذلك ألقابا مختلفة كالشيخ والعالم الجليل الأوحد والحيسوب. ويذكر صاحب كشف الظنون أن الأموي قد أجاز تلميذه بخط يده سنة 774 هـ / 1373 م. ومن ثم نستنتج أنه من رياضيي القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر ميلادي، وقيل إنه ولد حوالي سنة 1400 م بالأندلس وتوفي عام 1489 م بدمشق.

وقد اعتمد المرحوم سعيدان في تحقيقه لكتاب مراسم الانتساب على مخطوطتين. تحوي المخطوطة الأولى وهي برقم 1.1509 جار الله، على 18 ورقة، بمعدل 25 سطرا للصفحة. أما ناسخها فهو من تلاميذ الأموي إذ نجد في الصفحة التاسعة من هذه المخطوطة سطرين على الهامش بخط المؤلف، كتبهما في 17 ذي الحجة 774، يجيز رواية كتابه ورواية كل مقولاته ومنقولاته لتلميذين له هما شرف الدين عبد القادر بن

شمس الدين محمد بن عبد القادر الحنبلي المقدسي، وزميل له باسم علاء. وبما أن المؤلف كتب بخط يده على هذه المخطوطة، التي تم نسخها بتاريخ «8 ذي الحجة 774 بدار الهنا الأشرفية بسفح قاسيون في دمشق» [الأموي، مراسم الانتساب، 77]، فإن المؤرخين يعتبرونها ذات قيمة خاصة. وإذا ما نظرنا إلى المخطوطة الثانية، وهي مخطوطة المكتبة البريطانية رقم Stow or 10 ذات الرمز OMPB 7554، فإننا نجدها تتضمن 22 صفحة، بمعدل 25 سطرا للصفحة الواحدة، وناسخها لا يذكر اسمه لكنه يقول إنه نقلها عن خط «المصنف رحمه الله تعالى بثغر محروسة دمياط في أواسط صفر الخير سنة 991» [م. س، 77]، أي بعد المخطوطة الأولى بحوالي قرنين.

يبدأ الأموي كتابه مراسم الانتساب بالقول: «أما بعد، الحمد لواهب العقل باسط النعمة... فالغرض من هذا الكتاب... ضبط قواعد الأعمال المنقولة عن أعلام العلماء المتقدمين وربط قوانينها بحدودها المعقولة على حكم الحكماء المحققين» [م. س، 23]. وقد تقيد الأموي بذلك فقدّم قواعد الحساب موجزة لمن كان قد اطلع عليها وألمّ بها من ذي قبل. وللأموي أيضا تأليف آخر سماه رسالة رفع الإشكال في مساحة الأشكال، حققه سعيدان من خلال مخطوطة تقع في خمس صفحات نجدها ضمن مخطوطة مراسم الانتساب بالمكتبة البريطانية المشار إليها آنفا. ويذكر بروكلمان أنها موجودة ببرلين تحت رقم 5949. وقد رأى سعيدان نسخة أخرى من هذه الرسالة في مكتبة الإسكندرية [م. س، 8].

ومن بين مؤلفات الأموي الأخرى كتاب علم الوفق بعنوان «المواهب الربانية في الأسرار الروحانية». يقول حاجي خليفة إن «للشيخ أبي عبد الله يعيش الأموي رسالة في الوفق، أولها الحمد الله كما يليق بكماله... ذكر فيها التدبير والتركيب وترتيب المثلث ووضع جدولين لهما». وهناك كتاب «لوامع التعريف في مطالع التصريف» الذي يشير إليه صاحب كشف الظنون قائلا «ذكره البوني لأبي عبد الله يعيش بن إبراهيم الأموي». لكنه يبدو أن المؤرخين لا يعرفون عن هذا الكتاب سوى اسمه. ومن جهة أخرى يشير بروكلمان إلى رسالة في علم القبان - ألفها الأموي - مشيرا إلى أن لها مخطوطة تحمل رقم 218-5 في دار الكتب المصرية.

ولعل للأموي مؤلفات أخرى لم تصل إلينا. فناسخ المخطوطة التي تحمل خط المؤلف يذكر أن للمؤلف كتابا باسم «معالم الإرشاد في كسور الأعداد»، وأنه ألحق به مسائل وأتبعه بكتاب «رفع الإشكال في مساحة الأشكال». ومما جاء على لسان هذا الناسخ (وهو من تلاميذ الأموي): «قال شيخنا... يعيش المقدم ذكره في أول الكتاب؛ وبعد تقرّر القول في موضوع هذه الصناعة على أصولها العلمية وفروعها العملية واستقلال مسطور مراسمها الشرطية ومعالمها الوصفية، فلنأخذ في معالم الإرشاد الممهّدة في شرح المقدمة المتقدمة في كسور الأعداد ونلحق بها إيراد المسائل، ونتبعها برفع الإشكال في مساحة الأشكال ونختم بالتمهيد والتفسير» [م. س، ص 77].

ويعتبر كتاب «مراسم الانتساب» تلخيصا

لمادة الحساب والجبر حيث يقدم النتائج دون براهين ولا شروحات، على الرغم من أننا نجد المخطوطة التي نسخها تلميذ الأموي تعطي أحيانا أمثلة توضيحية. ويعرف الأموي الجبر والمقابلة في هذا الكتاب على أنهما «الإصلاح والمقاومة وفائدتهما معادلة ما يفرض في المسائل من الألقاب المستعملة فيها، إلى أن يتخصص كل منها في محلّه على ما يقتضيه العمل به» [م. س، ص 74]. ويرى الأموي كالعديد ممن سبقوه أن الواحد ليس عددا لأن كل عدد طبيعي يساوي نصف مجموع حاشيتيه (مثل 6 يساوي نصف مجموع 5 و7). وهذه القاعدة لا يمكن تطبيقها على (1) باعتبار أن ليس له حاشية سفلى (الصفر).

لم يجد المحقق سعيدان [م. س، ص 20] جديدا في ما كتبه الأموي في فرع الجبر ضمن «مراسم الانتساب» سوى بعض ما جاء بخصوص موضوع حساب الخطأين الذي يسميه العمل بالكفتين، ويسبقه بالعمل بالكفة الواحدة. بينما يرى آخرون O'Connor et Robertson أن هناك بعض النتائج الحسابية لدى الأموي يبدو أنها غير واردة في أعمال علماء العرب والمسلمين السابقين. ومن تلك النتائج الشروط التي قدمها الأموي للتمثيل العشري لكي يكون عدد مربعا كاملا ينبغي على هذا العدد أن ينتهي بـ 00 أو 1 أو 4 أو 5 أو 6 أو 9. وإن انتهى بـ 6 فإن رقم العشرات فردي، وهو زوجي في جميع الحالات الأخرى. وإن انتهى العدد بـ 5 فإن رقم العشرات يجب أن يساوي 2.

وفي موضوع باقي القسمة لعدد يؤكد الأموي أنه إذا قسم العدد الذي له مربع كامل على 7 فباقي القسمة يجب أن يساوي 0 أو 1 أو 2 أو 4. أما قسمته على 8 فلا بد أن تعطي باقيا مساويا لـ 0 أو 1 أو 4. وباقي قسمة العدد المربع الكامل على 9 يساوي 0 أو 1 أو 4 أو 7. ويواصل الأموي تقديم خواص مشابهة لكي يكون عدد مكعبا كاملا، فيلاحظ أن باقي قسمة عدد (مكعب كامل) على 7 يساوي 0 أو 1 أو 6. كما أن باقي قسمته على 8 يساوي 0 أو 1 أو 3 أو 5 أو7. وأما باقي القسمة على 9 فيعطي 0 أو 1 أو 8.

وهناك نتيجة أخرى طريفة، تقول إذا كان لدينا عدد مربع كامل وكان رقم آحاده يساوي 1 فإن رقم المئات ونصف رقم العشرات زوجيان في آن واحد أو فرديان في آن واحد. والملاحظ أن هذه الخواص سهلة البرهان في أيامنا هذه بعد ما توصلت إليه الرياضيات من تقديم في مجال الحساب وأنظمة العد، سيما النظام العشري. وبطبيعة الحال فالأمر لم يكن كذلك أيام يعيش بن إبراهيم الأموي.

وقد تطرق الأموي أيضا في كتاب مراسم الانتساب إلى ما يعرف اليوم بالمتواليات (المتتاليات) الحسابية والهندسية، فتبيّن أنه يحسن التعامل معها، ويتقن قواعد حسابها. وفيما يخص الأعداد المتحابة كان ثابت بن قرة (835 م - 900 م) قد وضع قاعدة لإيجادها وقام الأموي، كما فعل غيره، بإعادة سرد هذه القاعدة.

وأما رسالة «رفع الإشكال في مساحة الأشكال» فيستهلها الأموي بتعريف المساحة قائلا: «المساحة تجزئة الشيء المجهول بشيء معلوم، والتكسير ضرب طول المساحة في

عرضه» [الأموي، م. س، ص 105]. وبخصوص حساب محيط الدائرة يقول الأموي: «والذي يقطع الدائرة عليها بقسمين متساويين يسمى القطر. متى ضرب في ثلاثة وسبع واحد خرج المحيط لأن محيط الدائرة مثل ثلاثة أمثال قطرها وسبع واحد بالتقريب» [م. س، ص 106]. وهذا يعني أن الأموي يعتبر العدد 11 الممثل لنسبة محيط الدائرة على القطر مساويا لـ 22/ 7.

ولم يكتف المؤلف في رسالته بحساب المساحات بل تطرّق أيضا إلى الحجوم، منها حجم المخروط والكرة وكذا مساحتها. وأوجز في هذه الرسالة أهم العلاقات الخاصة بالمثلث والأشكال الرباعية والدائرة، واستعرض القواعد التي تعطي مساحات هذه الأشكال. والملاحظ أن العلاقات والقواعد التي قدّمها الأموي في هذه الرسالة صحيحة عدا علاقة تتعلق بطول القطعة الدائرة.

والملفت للانتباه أيضا أن الأموي يستعمل في مؤلفاته مصطلحات خاصة في غير معانيها أحيانا، فهو يستعمل كلمة أس ويجمعها على أسوس، ولا يعني بها ما يعنيه الرياضيون اليوم: فمرتبة الآحاد أسها واحد، ومرتبة العشرات أسها اثنان عند الأموي. ويستعمل الأموي لفظ تحليل للدلالة على الكثير من الأشياء، مثل الطرح والقسمة واستخراج الجذور. والتضليع يعني استخراج الجذر سواء كان تربيعيا أو تكعيبيا. والجذر قد يدل على الجذر التربيعي أو الجذر التكعيبي. وأما العدد المجذور فهو ما نسميه المربع الكامل مثل 4 و9 و 16. ويتحدث الأموي عن الجمع عندما يتعلّق الأمر بجمع عددين. أما إذا زادت الأعداد التي نريد جمعها عن اثنين فهو يفضل الحديث عن الجموع. والصرف عند الأموي يعني تحويل وحدة قياس إلى وحدة أخرى. كما يستخدم في وصف الأعداد الطبيعية لفظي الشفعية والوترية للدلالة على الزوجية والفردية.

■ آثاره

1 - كتاب مراسم الانتساب في علم الحساب، حققه سعيدان؛ 2 - رسالة رفع الإشكال في مساحة الأشكال، حققه سعيدان؛ 3 - كتاب المواهب الربانية في الأسرار الروحانية؛ 4 - كتاب لوامع التعريف في مطالع التصريف؛ 5 - رسالة في علم القبان؛ 6- معالم الإرشاد في كسور الأعداد، ذكره في نهاية مخطوطة «مراسم الانتساب في علم الحساب»، لكننا لا ندري هل أتم تأليفه فعلا أم لا ؟

■ المصادر والمراجع

● يعيش بن إبراهيم الأموي، مراسم الانتساب في معالم الحساب، تح. أحمد سليم سعيدان، معهد التراث العلمي العربي، حلب، 1981؛ ● حاجي خليفة، كشف الظنون في أسامي الكتب والفنون، إسطنبول، 1310هـ؛ ● إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت. 6/ 548؛ ● الزركلي، الأعلام، ط. 14، دار العلم للملايين، بيروت 1999، 8/ 205-206.

● Biography in Dictionary of

Scientific Biography, New York, 1970-1990; • O'Connor J.J. and Robertson E. F, Abu Abdallah Yaish Ibrahim Al-Umawi, In http://WWW-history.mcs.st-andrews.ac.uk/history/Mathematicians/Al-Umawi.html.

د. أبو بكر خالد سعد الله
المدرسة العليا للأساتذة ـ الجزائر

الأمير أمين، علي بن يوسف بن ناصر

(1293 هـ / 1876 م - 1373 هـ / 1953م) ■ ■ ■

الأمير أمين علي بن يوسف بن ناصر الدين (1876-1953م) شاعر مميّز أصيل، لغويّ مدقّق، وصحافي بارز. كان يمجد العراقة في النسب والنبل في الخلق، والحفاظ على العادات والتقاليد فضلا عن العزّة والرصانة والعقل مع ميل إلى الظرف وإطلاق النكتة.

ولد في كفرمتى (قرية في محافظة جبل لبنان)، ووافته المنيّة في مسقط رأسه. يعود نسبه إلى الأمراء التنوخيين الذين حكموا قسما كبيرا من لبنان، من القرن العاشر إلى القرن السادس عشر للميلاد. ويعود نسب الأمير تنوخ إلى الملوك المناذرة اللخميين المنحدرين من قحطان الأول، جدّ العرب العاربة [راجع أمين ناصر الدين، الأمراء آل تنوخ، بيوتاتهم، فروعهم مواطنهم، أخبار رجالهم، مخطوط، ص37].

والده، علي بن يوسف بن ناصر الدين (1840هـ-1922م)، أسس جريدة «الصفاء»، ومجلّة «الإصلاح»، وتولّى إدارة مدرسة الداوديّة، وأنشأ مدرسة المعارف. تأثّر شاعرنا به وبعلمه، فكمّل عمله وسار على هداه.

أكبّ الوالد، المثقف ثقافة عالية، على تنمية ملكة ابنه أمين الأدبيّة ومحبّة اللغة العربيّة وعلى نظم الشعر منذ حداثته، فحفّظه عيون القصائد العربيّة والآيات القرآنية. ويقال إنّ أمين نظم الشعر وهو في العاشرة من عمره، فخلَتْ أوزانه من الخلل.

التحق سنة 1883 بمدرسة القرية، وهي إحدى المدارس التي كان يديرها المرسل الأميركي «وليم برد».

في العاشرة من عمره انتقل إلى مدرسة «عبيه»، وهي قرية مجاورة لكفرمتّى، تعلّم فيها اللغة الإنكليزية على المعلّم رشيد مراد الخوري.

وفي سنة 1892، التحق بالمدرسة الداوديّة في عبيه؛ حيث تعمّق باللغة العربيّة وآدابها، وعلّم مبادىء اللغة العربيّة، ونشر مقالاته الأدبية والاجتماعية وشعره في صحيفة والده.

سنة 1897، أعاد إصدار «جريدة الصفاء»

التي أنشأها والده وأصدرها بين 1886 و 1890، فحوّلها أمين من مجلّة علميّة أدبيّة إلى جريدة سياسيّة. أضاف إلى أبوابها بابًا لغويًا يبحث فيه اللغة الفصحى السليمة ليعمّمها بين الجيل الجديد. أصدر سنة 1901، نشرة كاملة من «الصفاء» شعرا.

سنة 1906، تابع تدريس قواعد العربيّة وآدابها في مدرسة المعارف العالية التي أنشأها والده. وعاد سنة 1910 ودرّس في المدرسة الداوديّة، وفي سنة 1917 استلم إدارتها.

تنقّل الشاعر، بحكم عمله في الصحافة، في البلدان العربية، فاختبر ظروفها الاجتماعية والسياسية، وقد آلمه ما وجد فيها من فساد وانحطاط وانغماس في مدنيّة الغرب وتنكّر للتقاليد العربيّة، فانطوى تدريجيًا على ذاته، ولزم بدءًا من سنة 1926 منزله في كفرمتّى. أقيم له في مايو سنة 1933 حفلة تكريميّة في المسرح الكبير في بيروت. لكنّه ترك الصحافة سنة 1934 وانعزل انعزالا كلّيا عن العالم، واكتفى باستقبال نخبة قليلة جدا من الأصدقاء، وحافظ على هذا النمط من العيش حتّى وافاه الأجل في السادس من تشرين الأوّل 1953م.

ترك أمين ناصر الدين أربعة دواوين شعريّة هي: «ثمرات الأفكار»، 1900، و«صدى الخاطر»، 1913، و«الإلهام»، 1931 حفلت بالقصائد الاجتماعية والانتقادية والأخلاقية والوطنيّة والحكميّة، أمّا الديوان الرابع «ديوان الفلك»، [منشورات المجلس الدرزي للبحوث والإنماء، بيروت 1983] فقد جمع الشاعر فيه آخر نتاجه الشعري، وضمّنه المرحلة الرابعة والأخيرة من نظمه، أي مرحلة النضج الشعري.

تناول الشاعر في هذا الديوان موضوعات شتّى: وطنية وخلقية وحكمية وتاريخية فضلا عن قصائد الوصف، والمدح، والهجاء، والرثاء، والحماسة، والفخر، والغزل، والتهكّم، والفكاهة، والإخوانيات. وقد سمّاه «ديوان الفلك» إذ أطلق على كل قصيدة من قصائده اسم كوكب من الكواكب، كالجوزاء، والسهى، والهلال، والعقرب، والدبّ الأكبر، والثريا والشهاب.. الخ. هدفه تورية ما ورد في القصائد من موضوعات. وقسّم الديوان إلى جزأين، ضمّن الجزء الأوّل سبعة أبواب هي: القلائد، الحكمة والنصيحة، الوصف، الاختيار، اللغة والأدب، ذوات السوار، ولبنان البائس. بلغ عدد قصائد هذا الجزء تسعين. أما الجزء الثاني فيتألّف من أربعة عشر بابا، هي: مولد الهاديين، إذا لم تستح، مصارع الملوك، الأموات الأحياء، ذكر الجميل، المراسلة، الحقبة الدمويّة، الاقتراح، الاستقلال، الصهاينة وفلسطين، ما يؤرّخ، ما يضحك، وحي الغدوات، السوانح، تواريخ، الأغاني، ومقطّعات مرتجلة، وقد بلغ عدد القصائد مائتين وخمسا.

يعدّ أمين آل ناصر الدين شاعرا مخضرما من مدرسة البارودي، وشوقي، وحافظ التي تثقّفت الثقافة العربيّة القديمة ونهجت نهج شعراء العرب القدامى من جاهليين وأمويين وعبّاسيين، ودأبت على محاكاتهم والاقتداء بشعرهم، لا سيّما العباسيين الذين اتّخذتهم هداية لها.

هكذا حمل شاعرنا في النصف الأوّل من القرن العشرين في لبنان لواء الأصولية في شعره، وقد تميّز بأصالة اللغة، ومتانة

السبك، والمحافظة على الأسلوب الأدبي العربي القديم، والمبالغة في الكمال اللفظي، فضلا عن المحافظة على الأخلاق العربية والإصرار على بعث محامد العرب ومآثرهم وتقاليدهم الأصيلة. لكنّه مع أصوليّته تجاوز أحيانا تقليد القدامى من الشعراء، إذ احتوى شعره بعض العناصر الرومنتيكية، فبالغ في مثاليّته، على حدّ قول الدكتور سامي مكارم، ممّا جعله يغترب عن عصره ويعتزل الناس، ويتنكّر للحاضر وما فيه من مفاسد ومثالب. ويغرق في حنين إلى الماضي. لكنّه على خلاف الرومنتيكيين ظلّت اللغة عنده نصرا أساسيا في الجمال الشعري، ومثاليّته نابعة من عقله لا من عاطفته، ودعوته إلى الماضي تردّ إلى إيمانه بتراثه وحضارته وتاريخه. وقد تخطّى الأصولية التقليدية وتجاوزها إلى أصالة في الذات، إذ عبّر عن مشاعره وحسّه الخاص وعن واقعه الاجتماعي المرير ونقمته عليه. دعاه بعض النقاد رائد المدرسة الأصولية الجديدة في عصر النهضة.

يدعو الشاعر في شعره ونثره إلى الاهتمام بالماضي الأصيل والعودة إلى الأصول، إلى الجذور، وإلى نبذ مدنيّة الغرب والتنكّر لها. ويوجّه نقدا لاذعا إلى المواطنين الذين ضيّعوا مناقبهم فأدّى بهم هذا إلى التخلّف والانحطاط.

كثر في شعره التحسّر على الماضي. وقد آلمه ما آلت إليه البلاد في ظلّ الانتداب الفرنسي، وما رآه من تعسّف الحكّام وانتشار العادات الغربية المنافية في نظره للأخلاق والتقاليد الشرقية.

ويرى أنّ العرب لن ينهضوا ويتفوّقوا ويتميّزوا إلاّ إذا تنكّروا للغرب وعادوا إلى رفيع الأخلاق وتمثّلوا بأجدادهم، غير أنّ العرب لا يتخلّون عن محاكاة الغرب ويرفضرن التمثّل بماضيهم المجيد. ويمدح الشاعر النساء المتّصفات بالخفر، والمتمسّكات بالفضيلة، بالعفاف والطهارة، اللواتي يلزمن بيوتهنّ، معتنيات بأزواجهنّ وأولادهنّ. فلهؤلاء النساء أثر كبير في صلاح المجتمع. فرغبة الشاعر في إصلاح المجتمع العربي عامة واللبناني خاصّة وفي بناء وطن رصين، ثابت، وأصيل، دفعته إلى النقمة والنقد اللاذع والثورة على كلّ ما هو مناف للأخلاق السامية والروح اللبنانية الأصيلة فشعره، في الواقع، فعل إيمان بتراثه العربي الأصيل لغة ومضمونا.

أما نثره فاطلعنا عليه فيما نشره في مجلّة «الصفاء» من مقالات اجتماعية، وسياسية، ونقديّة، ولغويّة، وفيما أحلّه في مقدّمة الدواوين والكتب.

يحتوي كتاب «البيّنات» على مقالات في اللغة والشعر، وأدب الملوك، وهفوات الناس، ووضع الكلمات في غير موضعها وأوهام بعض الكتّاب. أمّا كتاب «دقائق العربية»، كتاب في قواعد اللغة وبلاغتها، فقد قسّمه الكاتب إلى أبواب وهي: اللغة وخصائصها، وتناسب المعاني والألفاظ، ودلالة الحروف على المعاني، الاشتقاق والنحت، والفصيح والمبتذل، في أفعل التفضيل وشتّى استعمالاته، في شتّى الدقائق اللغوية، في الدقائق البيانية، في الدقائق البديعية، في الدقائق العروضية، في أخطاء الترجمة، في أوزان الشعر والقافية.وختم الكتاب بأشهر أئمّة العرب.

آثاره

1 - المطبوعة:

1- ديوان ثمرات الأفكار، مطبعة الصفاء، عبيه 1900؛ 2- ديوان صدى الخاطر، مطبعة الصفاء، عبيه 1913؛ 3- ديوان الإلهام، مطبعة الصفاء، كفرمتّى 1931؛ 4- ديوان الفلك، منشورات المجلس الدرزي للبحوث والإنماء، الطبعة الأولى، بيروت 1983؛ 5- البيّنات في النقد الأدبي واللغوي، الجزء الأوّل، مطبعة الصفاء، كفرمتّى 1927؛ 6- مجموعة مقالات في اللغة والأدب والنقد، 120ص؛ 7- معجم دقائق العربيّة، الطبعة الأولى، مطبعة الاتّحاد، بيروت 1958؛ 8- معجم دقائق العربيّة، الطبعة الثانية، مكتبة لبنان، بيروت 1968؛ 9- معجم الرافد، الطبعة الأولى، مكتبة لبنان، بيروت 1971، ينطوي على الأسماء العربيّة الفصيحة لأعضاء الإنسان وما يتعلّق بها، وأسماء الأمراض والعوارض وما يستعمله الإنسان من أدوات وآنيات لأعضاء الإنسان، الطبعة الثانية، مكتبة لبنان، بيروت 1982؛ 10- رواية العاقبة الحسنة، مطبعة الصفاء، عبيه 1898؛ 11- رواية حسرات المحبّين، مطبعة الصفاء، عبيه 1899؛ 12- رواية جزاء الخيانة، مطبعة الصفاء، عاليه 1908؛ 13- رواية الجاهل، مطبعة الصفاء، عاليه 1908؛ 14- رواية الفتاة المغربية، مطبعة الصفاء، عاليه 1909؛ 15- رواية الجاسوس العاشق، مطبعة الصفاء، عاليه 1909؛ 16- رواية غادة البصري، مطبعة الصفاء، عاليه 1910؛ 17- رواية الأمير الكناني، د.ت.

2 - المخطوطة:

18- ديوان مجلى القريحة؛ 19- نثر الجومان، مختارات ممّا كتبه في جميع الموضوعات؛ 20 نجوى اليراع؛ 21- الثمر اليانع في الصرف والنحو؛ 22- عين الثلاثي في اللغة؛ 23- البيّنات في النقد الأدبي اللغوي، الجزء الثاني؛ 24- الأمراء آل تنوخ في التاريخ؛ 25- لمحات في النقد الاجتماعي؛ 26- رواية غرائب الظلم، مسرحيّة شعرية؛ 27- رواية مصرع الحسود، مسرحية شعرية ونثرية؛ 28- يوم ذي قار، تمثيلية شعرية؛ 29- الوصيّ، تمثيلية شعرية؛ 30- الحكومة الظالمة، تمثيلية شعرية؛ 31- أوفى من عرفت، في التراجم؛ 32- هداية المنشىء، معجم يشتمل على كل ما في السماء وعلى الأرض وعلى الحيوان وأنواعه وعلم الطير والحشرات.

المصادر والمراجع

● داغر، يوسف أسعد، مصادر الدراسات الأدبية، مكتبة بيروت، لبنان، 2000، ص47-49؛ ● المقدسي، أنيس، الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، الطبعة الثانية المنقّحة، بيروت 1960، صفحات متفرّقة، أثبتت في فهرس الأعلام، ص487؛ ● مكارم، سامي نسيب، مقدّمة ديوان الفلك، منشورات المجلس الدرزي للبحوث والإنماء، الطبعة الأولى، بيروت 1983، ص5-31؛ ● ن.م، الشعر العربي بين الحربين العالميّتين، رسالة ماجستير في

الآداب العربية، الجامعة الأميركية في بيروت، لبنان 1957؛ ● مسعد، عمون يوسف، فهارس البرق، في جزأين رسالة أعدّت لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، بإشراف الدكتور سليم القهوجي، جامعة القدّيس يوسف، كلّية العلوم الإنسانية، فرع الآداب العربيّة، بيروت 1982؛ ● موسى، منيف، الشعر العربي الحديث في لبنان، بحث في شعراء لبنان الجدد، بين الحربين العالميّتين، دار العودة، بيروت 1982؛ ● آل ناصر الدين نديم، الأمير نديم، ديوان الفلك، تصدير، منشورات المجلس الدرزي للبحوث والإنماء، سنة 1983، ص31-42؛ ● الصفاء، لصاحبها علي وابنه أمين آل ناصر الدين، نسخة مصوّرة على ميكروفيلم، تمّ التصوير في مكتبة يافت التذكارية، سلبي وإيجابي، صدرت في بيروت من سنة 1886-1850؛ ● جريدة البرق، لصاحبها الشاعر بشارة الخوري، الأخطل الصغير، نشرت له عدّة قصائد ومقالات اجتماعية وأدبيّة ولغويّة [فهرس البرق، المجلّد الثاني، ص189]؛ ● مجلّة الورود، سنة 7، جزء6، شباط 1954، نشرت الخطب التي ألقاها جرجي نقولا والأمير عادل إرسلان والمطران بولس الخوري والشيخ سليمان الضاهر، وجورج عقل وسواهم في تأبينه؛ ● المقتطف، الأمانة والوفاء، قصيدة، ج31، 1906، ص60؛ ● المقتطف، اللغة والشعر بين ناصر وخاذل، ج70، 1927، ص266.

د. سهام أبو جودة
الجامعة الأميركية - بيروت

الأمير، صديق حسن خان

(1248 هـ/ 1832م - 1307 هـ/ 1890م)

هو الأمير صديق حسن خان ابن العالم التقي الشيخ حسن مريد الشهيد سيد أحمد بريلوي. لغوي ومفكر ورجل دولة هندي. ولد ببلدة «بانس بريلي» بولاية «أتربرديش» بالهند في بيت جده لأمه في 19 جمادى الأولى عام 1248هـ، ومات والده عام 1253هـ بمدينة «قنوج» التي كان يقيم بها؛ وكان عمر الأمير صديق حسن خان إذ ذاك خمسة أعوام فقط، فتولت والدته تربيته وتعليمه، وكانت سيدة صالحة تقية عملت على زرع الالتزام الديني لدى ولدها منذ الصغر، يقول عنها: «كنت في السابعة من عمري، وكان المسجد قريباً من بيتي، وحينما يؤذن لصلاة الفجر وأنا في سبات عميق هادئ، كانت أمي رحمها الله توقظني وتوضئني وتبعثني إلى المسجد، ولا تتركني أصلي في البيت، وإن لم أقم من نومي ترش الماء على وجهي».

ثم ألحقته والدته أول الأمر بأحد الكتاتيب حيث درس بعض الكتب الدينية على يد شقيقه الأكبر الشيخ «أحمد حسن». وبعد أن شبّ قليلاً جال في مدن الهند المختلفة طلباً للعلم والدراسة، فانتقل إلى مدينة «فرّخ آباد» ومدينة «كانبوز» حيث درس على يد علمائها المعروفين، ثم انتقل إلى «دهلي»، ودرس على يد المفتي «صدر الدين خان بهادر صدر الأفاضل» مفتي الهند إذ ذاك؛ كما تتلمذ في علوم الحديث على يد الشيخ «زين العابدين ابن محسن اليماني» (م 1295 هـ / 1878م)، والشيخ «عبد الحق بنارسي» المحدث تلميذ الإمام «الشوكاني»، كما كانت له علاقات علمية مع رجال بيت الإمام «وليّ الله الدهلوي».

أقام الأمير صديق حسن خان مدة عامين في دهلي كان خلالهما مثالاً للطالب المجد المجتهد، ثم استأذن أستاذه المفتي «صدر الدين» في العودة إلى وطنه «قنوج»، وهناك واجه مشاكل مادية صعبة، وخاصة بعد أن ترك أخوه الأكبر الشيخ «أحمد حسن» البيت عندما عجز عن الوفاء باحتياجات البيت المادية. وأمام ضغط الحاجة اضطر الأمير صديق حسن خان إلى السفر بحثاً عن الرزق، فتوجه إلى إمارة بهوبال في شهر رجب من عام 1271 هـ / 1854 م، واستطاع الالتحاق بالعمل لدى الإمارة بواسطة رئيس وزرائها الشيخ «جمال الدين» الذي كان تلميذاً لـ «الشاه عبد العزيز الدهلوي» المحدث. وتم تكليفه بكتابة تاريخ « بهوبال» في عهد الأميرة «سكندر جهان بيكم»، لكن الاختلافات الفقهية بينه وبين بعض علماء الإمارة اضطرته إلى الرحيل عنها والتوجه إلى إمارة «تونك»، إلا أنه لم يستطع الاستقرار بها نظراً إلى قسوة مناخها، فعاد إلى وطنه «قنوج». وبعد فترة استدعته أميرة «بهوبال» ورئيس وزرائها ثانية، فعاد إلى «بهوبال»، وهناك ظل يرتقي في المناصب الوظيفية التي بذل فيها جهداً بالغاً انعكس في كثير من مظاهر التطور والرقي في مختلف ميادين الحياة بالإمارة.

تزوج الأمير صديق حسن خان بـ «زكية بيكم» ابنة الشيخ «جمال الدين» رئيس وزراء إمارة «بهوبال»، وكانت سيدة تقية ورعة عاش معها الأمير حياة طيبة أنجب منها خلالها بنتاً وولدين هما «السيد نور الحسن» و«السيد علي جسن»، ولم ينس الأمير صديق حسن خان أهل بيته في «قنوج» فاستدعاهم للحياة معه في «بهوبال»، وبذا توفر للأمير كثير من الراحة النفسية، فأقبل عندها على الاطلاع والقراءة والكتابة والتأليف، وساعده على ذلك المكتبة الضخمة التي ورثها عن والده، والتي حرص على زيادة مقتنياتها بالتأليف والشراء.

وفي عام 1285هـ سافر إلى الأراضي الحجازية لأداء فريضة الحج، وهناك تيسر له لقاء كبار العلماء في عصرهم، كما تمكن من شراء مزيد من الكتب التي لم تكن تتوفر في الهند وقتها، فاشترى كتاب «اقتضاء الصراط المستقيم» لشيخ الإسلام ابن تيمية، وكتاب «إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق في الأصول» وكتاب «نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار»، وكتاب «فتح القدير» للإمام الشوكاني. هذا وقد أقام الأمير صديق حسن خان في الأراضي الحجازية ثمانية أشهر كان لها أكبر الأثر في توجيه حياته العملية بعد عودته إلى

بلاده، فأقبل على التأليف والترجمة باللغات الثلاث: العربية والفارسية والأردية، كما حرص على طبع الكتب قديمها وحديثها، ولم تمنعه اهتماماته العلمية هذه من أن يبذل المزيد من الجهد في وظيفته في إمارة «بهوبال»، مما رفع من شأنه فيها فعين رئيساً للديوان الأميري إلى أن اقترنت به الأميرة شاه جهان بيكم بعد توليها العرش، وكانت أرملة مات عنها زوجها النواب باقي محمد خان، وتم الزواج عام 1287هـ/ 1817م، ونصبته معتمداً للمهام عام 1288هـ، كما منحته إقطاعاً من الأرض كانت تدر عليه خمسين ألف روبية كل عام، ومضى في تنفيذ خطة إصلاحية بالبلاد.

هذا وقد منحت الحكومة الإنجليزية الأمير صديق حسن خان العديد من الأوسمة تقديراً لخدماته في إمارة «بهوبال»، ولكنها ما لبثت أن سحبت منه هذه الألقاب والأوسمة عندما وشى به الوشاة لدى الحكام الإنجليز، ولدى الأميرة «سلطان جهان بيكم» ولية العهد، ثم أعادت الحكومة إليه ألقابه وأوسمته بعدما ثبتت لديها براءته مما نسب إليه، وكان ذلك بعد أن توفاه الله إليه عام 1307هـ/ 1890م بعد معاناة شديدة مع مرض الاستسقاء.

آوشارة

بلغت مؤلفات الأمير صديق حسن خان في رأي بعض كتاب السير والتراجم مائتين وخمسين كتابا، منها ست وخمسون كتاباً باللغة العربية في مجالات مختلفة منها التفسير والحديث والفقه واللغة والأدب، وهذه أهم مؤلفاته: 1 - لف القماط على تصحيح بعض ما استعملته العامة من المعرب والدخيل والمولد والأغلاط، وهو كتاب باللغة العربية يضم مائتين وثمان وستين صفحة جمع فيها المؤلف الكلمات والألفاظ والتعبيرات والمحاورات التي يظن العامة أنها فصيحة في العربية وهي ليست كذلك، وعمل المؤلف على تصحيح هذه الأخطاء وضبطها مستشهداً بالمصادر العربية الموثوق بها، وبأقوال العرب وأدبائها الكبار أمثال عبد الحميد بن يحيى الكاتب وابن قتيبة والأصمعي والجاحظ وسيبويه والخليل بن أحمد والميداني وغيرهم؛ 2- نشوة السكران من صهباء تذكار الغزلان، وهو كتاب بالعربية يضم 112 صفحة، وطبع بالقسطنطينية عام 1296هـ. يقول المؤلف عن الكتاب: «فهذا بيان العشق والعشاق والمعشوقات من النسوان وما يتصل بذلك من تطورات الصبوة والهيمان الذي أفصح به أصحاب ديوان الصبوة وتزيين الأسواق وسبحة المرجان، لخصته حلية للآذان، وأتيت فيه بأشياء مما يزري بأريج الريحان، وسميته «نشوة السكران من صهباء تذكار الغزلان»، ورتبته على مقدمة وفصول وخاتمة.

وقد ضمن الأمير هذا الكتاب بعض قصائده التي قالها في شبابه.

3 - البلغة في أصول اللغة، وهو كتاب قيم باللغة العربية جمع فيه بعض الطرائف الأدبية وكذلك بعض المبادئ والأصول اللغوية؛ 4- أبجد العلوم، طبع في المطبعة الصديقية ببهوبال، عام 1295هـ؛ 5 - إبقاء المنن بإلقاء المحن، طبع في المطبعة الشاهجهانية ببهوبال، عام 1305هـ؛ 6 - الروض

الخضيب، طبع في أكره 1298هـ؛ 7- رحلة الصديق إلى البيت العتيق، طبع في المطبعة العلوية بلكهنو عام 1289هـ.

المصادر والمراجع

● الحسني، العلامة عبد الحي، نزهة الخواطر في بهجة المسامع والنواظر، حيدر آباد الهند 1390هـ؛ ● سليم فارس، قرة الأعيان ومسرة الأذهان، قسطنطينية، 1298هـ؛ ● الأمير علي حسن خان، مآثر صديقي، لكهنو، الهند 1942م.

د. أحمد محمد أحمد عبد الرحمان
جامعة الأزهر - العراق

الأميري، عمر بهاء الدين

(1335 هـ / 1916 م - 1392 هـ / 1992 م)

ولد الشاعر عمر بهاء الدين الأميري في أسرة من كرائم الأسر الحلبية، فقد كان والده محمد بهاء الدين الأميري نائب حلب في (مجلس المبعوثات العثماني)، وأنجبته والدته سامية الجندليّة، ابنة حسن رضا رئيس محكمة الاستئناف في حلب.

أتمّ الشاعر دراسته الثانوية في حلب، ثم درس الأدب وفقه اللغة في جامعة السوربون بباريس، ودرس الحقوق في الجامعة السورية بدمشق.

عمل في المحاماة ردحاً من الزمن بيد أن نزعة الاهتمام بقضايا الثقافة الإسلامية وقضايا الإسلام والمسلمين، التي ظهرت في الشاعر منذ نشأته قد حملته على تفضيل التدريس ونشر العلم على المحاماة.

فدرّس علوم الاجتماع والنفس والحضارة والأخلاق والتاريخ في حلب ودمشق، وتولّى إدارة المعهد العربي الإسلامي بدمشق، وشارك الشاعر في العديد من المؤتمرات الإسلامية، واتصل بكبار علمائها ورجالاتها ومؤسساتها، وألّف عدداً من الكتب في هذا الميدان، منها: الفقه الحضاري، المجتمع الإسلامي والتيارات المعاصرة، عروبة وإسلام.

عمل الشاعر الأميري مع جماعة الإخوان المسلمين فترة من الزمن، فقد كان عضواً في الهيئة التأسيسية للإخوان المسلمين في وادي النيل منذ عام 1945، وذهب مع كتائبهم التي قاتلت في حرب 1948 في فلسطين بقيادة الشيخ مصطفى السباعي، بيد أنه انقطع عنها مع مطلع الخمسينات عندما عُين وزيراً مفوضاً لسورية في باكستان عام 1950، وقد أهله لذلك مزاياه وأخلاقه وعلمه وإتقانه للغات

ثلاث هي: الفرنسية، والأوردية، والتركية.

عمل بعد ذلك وزيراً مفوضاً في السعودية عام 1954، بعدها عمل مدرّساً للحضارة الإسلامية في كلية الآداب بجامعة محمد الخامس في مدينة فاس، كما عمل أستاذ كرسي الدراسات الإسلامية والتيارات المعاصرة في دار الحديث السنيّة في الرباط، إضافة إلى قسم الدراسات الإسلامية العليا والدكتوراه في جامعة القرويين.

سافر أستاذاً زائراً إلى كثير من جامعات البلاد العربية والإسلامية، وكان عضو شرف في رابطة الأدب الإسلامي، وينصح العاملين في هذه الرابطة أن يبذلوا ما يناسب أهدافها النبيلة من الجد والجهد المتواصل الدؤوب.

كان الأميري عضواً من أعضاء المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية بالأردن، والمجمع العلمي العراقي.

تفتحت أكمام الشاعرية في نفس الشاعر في وقت مبكر شديد التبكير، إذ راح ينظم الشعر في التاسعة من عمره، ثم تدفقت شاعريته الخصبة فكان عطاؤها ثراً، نذكر من دواوينه: «مع الله» و«ألوان طيف» و«أب» و«من وحي فلسطين» و«ملحمة الجهاد» و«أبوة وبنوة» و«أمي» و«إشراق» و «رياحين الجنة»، عدا مؤلفاته الفكرية الغزيرة التي يعالج فيها قضايا الحياة المعاصرة من خلال رؤية إسلامية.

قيل: إنه تأثر عند ما كان في باكستان بمحمد إقبال، لكنه عندما سُئل عمن تأثر به في بداية حياته الأدبية قال: «تأثرت ـ ومن فضل الله ـ بمدرسة القرآن الكريم، وتأثرت بإشعاع الرسول الأمين ﷺ، وتأثرت بعظماء أفذاذ أمتنا عبر التاريخ الطويل».

وأذكر من طلائع شعري قولي:

نام كل الناس إلاّي أنا
مقلتي لم تستطع غير السّهر
فجميع الكون في رقدته
وأنا في وحدتي أرعى القمر
وإذا ما رمت سلواً عاقني
انني ما لي من الذكرى مفر
اه، لو أن الهوى لم يأتني
أو أتاني وفؤادي من حجر

وقصيدته «أب» أعجب بها عباس محمود العقاد على قلة ما يعجبه من شعر المعاصرين وعدّها من عيون الشعر الإنساني. ولا غرابة أن يجعلها الأميري عنواناً لديوانه الذي ضمَّ قصائده في أبنائه.

وقد تعددت معه اللقاءات، وكثرت فيه الكتابات، فقد جمع بين الأصالة والمعاصرة، وطرق موضوعات إسلامية في جوانب عميقة، ونفذ بعاطفته الجياشة، في شعره ونثره، إلى أعماق النفس البشرية.

لقد ضمّن الشاعر الأميري ديوانه وسوسات مشاعره الأبوية، فأسمعنا ألحان قلبه المفعم بحب أولاده، وآهات روحه المتعبة من همّهم وانشغال الفكر عليهم، فعبّر بذلك عن مشاعر كل أب نحو أكباده ومربع قلبه. ولا جدال في أن مشاعر الأبوة من أنبل المشاعر الإنسانية وأكرمها.

ففي القصيدة الأولى «براء»، وهو اسم أكبر أولاده، تطالعك العاطفة الإنسانية في أنقى وأصدق أشكالها، عاطفة الأب المحبّ الحاني، ينظر إلى مولوده الأول، فيرى في

عينيه الصافيتين وثغره الزاهي الرقيق سعادة تجعل العذاب حلواً، وهناءة تجلو عن النفس العناء والهمّ:

لصفاء عينيك العذاب
يحلو العذابُ فلا عذاب
ولثغرك الزّاهي الرّقيق،
وقد تفتّح عن حباب
تتهنّأ النفسُ العَنا
ويلذُّها خوضُ الصّعاب

ويمضي الشاعر في عزف ألحان الأبوة، فيخاطب وليده بأرقّ الكلمات وأحلاها وقعاً على الآذان:

يا بسمةً بفم الزّمان
ودُرّةً من غير عاب
يا زهرةً قدسية التـ
ـكوين عابقة الملاب
أبراءُ، يا بردأ لرو
حي لاحَ في نعماته آب

ونقف مع الشاعر في قصيدته الخالدة «أب»، وهي من عيون الشعر الإنساني، نرصد فيها شعوره المتدفق الزاخر نحو أولاده، فإذا نحن أمام قلب أب يتكلم، فلا تسمع منه إلا الحب والرحمة والرضا والسماحة والحنان.

إنه يصور مشهد أولاده الصاخب الضاجّ بالحركة والحياة والانطلاق والمرح في مَصيف «قرنايل» بلبنان، ثم يصور رحيلهم ووقع هذا الرحيل في نفسه:

أين الضجيجُ العَذبُ والشّغبُ
أين التدارسُ شابهُ اللّعبُ
أين الطفولةُ في توقّدها
أين الدُّمى في الأرض والكتبُ
أين التشاكسُ دونما غرضٍ
أين التشاكي ما لهُ سببُ

وهكذا ترافقنا ظلال الرحمة والحنان والحب في هذا الديوان، فلا نكاد نقع على قصيدة إلا وقد ظلّلها الأب الشاعر بهذه الظلال النفسية الشفيفة الرائعة، وقد صبغها بصبغه العاطفي.

إنّ الدارس المتأمل لديوان «أمي» يقرأ فيه أجمل معاني البنوّة البارّة، ويقف على أروع مواقف الإيمان والتسليم والرضا بقضاء الله وقدره، ويرصد أسمى العواطف وأجلَها وأصدقها، ويطالع ضروباً من الأفكار الإنسانية الخالدة، ويستمتع بأصالة فنية ثرّة في التعبير عن هذه المواقف والعواطف والأفكار.

لقد كان ديوان «أمي» في مجموعه إيقاعاً واضحاً للبنوة البارّة، لا تكاد تخلو منه قصيدة من القصائد، ذلك أنه شعور الحب والوفاء بالجميل والتنويه بفضل الوالدين كان يملأ نفس الشاعر الأميري، ويزحم أقطار حسّه، ويملك عليه تفكيره، منذ تفتحت شخصيته للحياة.

يقول في قصيدته «موئلي ومناري» التي نظمها في أول سفرة له بعيداً عن والديه، وهو في السابعة عشرة من عمره، إذ استشعر بعمق وصدق مكانة والديه في نفسه:

أبتي وأمّي موئلي ومناري
بكما اعتزازي في الورى وفخاري

يا شُعلتين مُنيرتين أضاءتا
قلبي الفتيّ بأبهج الأنوار

يا مُقلتينِ من الكرى قد رُيِّتا
سهراً عليّ مخافة الأكدار

ما كنتُ احسبُ قبل ترك حماكُما
أني احبُّكما بذا المقدار

إنها أبيات تنبض بعاطفة البنوّة البارّة المحبة الوفية التي ترى في الأبوين الحب الأسمى، والموئل الآمن، والمنار المشعّ المضيء.

ثم يناجي الشاعر والده مستعرضاً دوره الكبير في تقويمه وتوجيهه في أبيات ثمانية، يلتفت بعدها إلى مناجاة أمه التي كان لها الفضل الأكبر في تربيته، فيستعرض دورها الأمومي المقدّس منذ حَمْلها به حتى نشأته شاباً يخوض غمار الحياة، فيعرض على أسماعنا أجمل ألحان الأمومة المحبّة المضحّية، معزوفة على قيثارة البنوّة الوفية البارّة:

أنت التي غذيتني وحضنتني
لولاك ما ابصرتُ ضوء نهاري

أنت التي داريتني فغفوتُ في
أحضان عطفك خالي الأكدار

أنت التي أنشدتني لحن الوفا
وسهرته من أجلي إلى الأسحار

أنت التي قبّلتني وبسمتِ لي
وضممتني وأنا الصغيرُ العاري

أرشدتني ونصحتني ومنعتني
وعدلت بي عن منهج الأشرار

ويعود بعد ذلك لمناجاة والديه معاً، فيسبغ عليهما ما يستحقان من أردية المدح والفضل والثناء، ويعلن أنه لن يستطيع أن يوفّيهما عشر حقهما.

ويختم قصيدته بما بدأ به مطلعها من عبارات الحب والوفاء والصدق والبر:

ابتي وامي يا نهاية بُغيتي
يا ثروتي، يا موئلي ومناري

آثاره

1 - رياحين الجنة (شعر) 2 - أشواق وإشراق (شعر) 3 - أمي (شعر) 4- قلب وربّ (شعر) 5 - إشراق (شعر) 6 - عروبة وإسلام 7 المجتمع الإسلامي والتيارات 8 - في رحاب القرآن.

المصادر والمراجع

● الهاشمي، محمد عادل، شعراء وأدباء على منهج الأدب الإسلامي، دار الثقافة، الدوحة، ط1، 1988؛ ● عبد. أ. علي مهنّا، وعلي نعيم فريس، مشاهير الشعراء والأدباء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1990؛ ● من هم في العالم العربي، مكتب الدراسات السورية والعربية، دمشق، ج1، ط1، 1957 (ص54)؛ ● الهاشمي، محمد علي عمر، بهاء الدين الأميري، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط1، 1986؛ ● يوسف محمد خير رمضان، تتمة الأعلام، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1998، (ج1 ص394)؛ ● العلاونة، أحمد، ذيل الأعلام، دار المنامة، جدة،

ط1، 1998، (ص143)؛ • نزار أباظة، ومحمد رياض المالح، إتمام الأعلام، دار صادر، بيروت، ط1، 1999، (ص193)؛ • عمر بهاء الدين الأميري، ديوان مع الله، دار الفتح، بيروت، ط1، 1971.

د. محمد عيسى
جامعة البعث ـ حمص ـ سوريا

ابن أمَيْل، محمد بن أميل بن عبد الله

(... هـ / ... م - 300 هـ / 912 م)

محمد بن أُمَيْل بن عبد الله بن أميل التميمي، يُكنى بأبي عبد الله، عالم بالكيمياء عاش في مصر. ولا تكاد مصادرنا تذكر شيئًا عن حياته. وقد اختُلف في العصر الذي عاش فيه، وتاريخ وفاته اختلافًا كبيرًا. ففي حين يشير صاحب كشف الظنون إلى أنه توفي سنة 170 هـ/ 786 م أو سنة 180 هـ / 796 م، يذكر بروكلمان أنه نبغ في النصف الثاني من القرن الرابع للهجرة/ العاشر الميلادي. ويشير باحث آخر إلى أنه يرجع إلى القرن الخامس للهجرة/ الحادي عشر الميلادي [قنواتي، 3/ 1112]. ويناقش سزكين كلاً من ستابلتون H. E. STAPLETON و م. هدايت حسين، وتراب علي، الذين نشروا مقالات عن ابن أميل ومؤلّفاته، وتوصّلوا إلى أنه عاش ما بين عامي 289-349 هـ/ 900-960م. فيرى أن قرائنهم التي استندوا إليها في ذلك لا يمكن التسليم بها دون تحفظ، وأن هناك الكثير من الأسباب التي تدلّ على أنّ ابن أميل صنّف كتابه «الماء الورقي»، قبيل عام 300 هـ/ 912 م أو قريبًا من هذا العام. ولهذا فهو لم يذكر كتب أبي بكر محمد بن زكريا الرازي (توفي سنة 313 هـ/ 925م) لأنه لم يعرفها.

إن تحديد زمن حياة ابن أُميْل، أو بالأحرى تحديد زمن تأليف كتابه «الماء الورقي»، على درجة كبيرة من الأهمية. لاسيما أنه عرف كتبًا كثيرة من كتب جابر بن حيان (توفي سنة 200هـ/ 815م) معرفة دقيقة. وأشار إلى العديد من الكتب المزيّفة. ولكن نظام تفكيره يختلف عن نظام تفكير جابر، الذي كان تفكيرًا واقعيًا قائمًا على التجربة والملاحظة، وهو بالذات أساس المنهج التجريبي الذي قام عليه صرح الكيمياء الحديثة. إن ابن أميْل يُعد ممثلا حقيقيًا للكيمياء الرمزية التي تدور في حلقة مفرغة بعيدة عن العلوم الطبيعية الحقيقية، وتعتمد على المراجع القديمة أو المزعوم قدمها، أمثال مؤلفات هرمس وديمقريطس وأفلاطون وغيرهم. ولهذا فإن ابن أميْل يمكن أن يُعد من أتباع كيمائيي ما قبل الإسلام، وهو لم يدرك أهمية ما بلغه التطور في القرون الأخيرة التي سبقته [سزكين، تاريخ التراث، 421].

آثاره

ولقد عُوضنا عن نقص المعلومات عن حياة ابن أميْل، بحفظ أحد مؤلفاته، وهو: كتاب الماء الورقي والأرض النجمية، الذي هو شرح لقصيدته الغنائية الكيميائية «رسالة الشمس إلى الهلال». وقد ترجم هذان العملان إلى اللاتينية في القرون الوسطى. ويُعد الكتاب الأول على درجة كبيرة من الأهمية بالنسبة إلى تاريخ الكيمياء بسبب ما ورد فيه من استشهادات عديدة بمؤلفين قدامى، وهو يشير إلى مدى انتشار الأفكار الهرمسية في الكيمياء العربية. ولقد كتب ابن أُميل في مقدمته للكتاب الأول يصف بشكل استعارة رمزية العمليات المختلفة التي تقود إلى الحصول على حجر الفلاسفة. فروى كيف ذهب مرتين إلى معبد في بوصير بمصر، كان يُعتقد أنه سجن يوسف، وتحدث عن كائنات مجنحة كانت مرسومة على سقف وجدران ذلك المعبد، وأوصاف أخرى، تشبه رؤيا ليلية في حلم، يفترض بها أن ترمز إلى العمليات المختلفة (تثبيت الألوان، التصعيد، التخثر... الخ)، وتمثل بعض العناصر مختلف المواد الكيميائية المستخدمة كنقطة انطلاق. وبعد هذه المقدمة تأتي قصيدة تتضمن 448 شطرًا يفترض بها أن تشرح الرسم الذي تم وصفه أعلاه، وهي بعنوان رسالة الشمس إلى الهلال، ويعقبها شرح منثور طويل، يشرح مختلف أجزاء القصيدة، وهو الذي يشكل بالضبط الماء الورقي. الذي أشرنا إلى أهميته في تاريخ الكيمياء العربية؛ ويوجد العديد من المخطوطات لهذا الكتاب [سزكين، تاريخ التراث، 3/ 423؛ بروكلمان، تاريخ الأدب، 4/ 317]. كما نُشر الماء الورقي والأرض النجمية، من قبل H. E. Stapleton ومحمد تراب علي وم.هدايت حسين في: MASB 12/ 1933/ 1-213. وقام أيدمر بن علي الجلدكي (توفي سنة 743 هـ/ 1342 م) بنظم الكتاب على هيئة المُخمَّس، مع شرح بعنوان: لوامع الأفكار المضيئة في شرح الماء الورقي والأرض النجمية.

ولابن أُميل آثار أخرى ما تزال مخطوطة، أشار إليها وإلى أماكن وجودها، كل من بروكلمان وسزكين، منها: 1 - القصيدة النونية، عن حجر الحكماء؛ 2 - شرح الصور والأشكال؛ 3 - كتاب الماء النقي والأرض النجمية؛ 4 - كتاب المباقل السبعة؛ 5 - السيرة النقية؛ 6 - كتاب المفتاح في التدبير؛ 7 - كتاب المغنيسيا؛ 8 - كتاب مفتاح الحكمة العظمى؛ 9 خمس رسائل في حجر الحكماء؛ 10 -مفتاح الكنوز وحل أشكال الرموز؛ 11 - مفاتيح الحكمة في الصنعة؛ 12 - مجموعة كبيرة من الرسائل، والقصائد.

المصادر والمراجع

● حاجي خليفة، كشف الظنون، إستانبول، 1941، 2/ 1576، 1755؛
● البغدادي، إيضاح المكنون، إستانبول، 1947، 2/ 34، 423، 520؛
● البغدادي، هدية العارفين، استانبول 1955، 2/ 8؛ ● بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ترجمة السيد يعقوب بكر ورمضان عبد التواب، ط 2، القاهرة

1977، دار المعارف، 4/ 317-319؛ ● كحالة، معجم المؤلفين، دمشق، مطبعة الترقي 1955، 9/ 68؛ ● سزكين، تاريخ التراث العربي، ترجمة محمود فهمي حجازي، السعودية 1983، 4/ 418-428 ومصادره التي تتضمن: (يوليوس روسكا، كتاب محمد بن أميل التميمي: الماء الورقي والأرض النجمية في OLZ 37/ 1934/ SP 593-596، وله أيضًا: دراسات في كتاب الماء الورقي والأرض النجمية لمحمد بن أميل التميمي في Isis 24/ 1935-1936/ 310-342؛ H. E. Stapleton و G.L. Lewis و F.S. Taylor أقوال هرمس المذكور في الماء الورقي لابن أميل في: Ambix 3/ 1949/ 69-90؛ ● قنواتي، جورج، الخيماء العربية، في موسوعة تاريخ العلوم العربية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 1997، مركز داراسات الوحدة العربية ومؤسسة عبد الحميد شومان، 3/ 1112-1114، 1142 هامش (73).

أ.د.عبد الواحد ذنون طه
جامعة الموصل

أمين، أحمد إبراهيم الطباخ

(1304 هـ / 1886 هـ - 1373 م / 1954 م)

أحمد أمين إبراهيم الطباخ، كاتب ومحقق وباحث رائد في تاريخ الحضارة العربية والإسلامية وقاض، وأستاذ جامعي بارز، وأحد أعلام الصحافة الأدبية في القرن العشرين.

ولد أحمد أمين (وهذا هو اسمه الأول) في أول أكتوبر 1886 بالقاهرة لشيخ من علماء الأزهر، هو الشيخ إبراهيم الطباخ الذي كان يشتغل بالتدريس إلى جانب عمله بالمطبعة الأميرية، ممّا مكّنه من أن يحوّل بيته إلى مكتبة صغيرة تضمّ أشهر ما طبع من كتب التراث اللغوي والأدبي والتاريخي والديني، وأن يعوّد ابنه منذ صباه المبكر على ألفة هذه الكتب وحفظ متونها لكي يكون مؤهلاً للدراسة الأزهرية التي كان يُعده والده لها، وفي سبيل ذلك، دفع به إلى «كُتاب» الحي لحفظ القرآن، ثم إلى مدرسة ابتدائية تلقى بها بعض مبادىء العلوم الحديثة. وما لبث أن تحول به إلى أروقة الجامع الأزهر، ووضع على رأسه العمامة التي قُدّر لها أن تلازمه أكثر من ربع قرن، رغم تعرّج طريقه التعليمي والوظيفي خلال هذه المدة، بين الأزهر والتدريس والقضاء الشرعي والجامعة.

قضى أحمد أمين أربع سنوات في الأزهر،

وقد ساعدته الدروس التقليدية التي كان قد تلقاها على يد أبيه، في تحمّل صعوبة المواد التي تطرح على الطلاب ولكنّه مع ذلك لم يسعد كثيرًا بنظام الدروس ولا بحياته في الأزهر فيما عدا درسين سمعهما للإمام الشيخ محمد عبده يقول عنهما: «سمعت صوتا جميلاً، ورأيت منه منظرًا جليلاً، وفهمت منه ما لم أفهم من شيوخي الأزهريين، وندمت على ما فاتني من التلمذة عليه، واعتزمت أن أتابع دروسه، ولكن كان هذان الدرسان (هما) آخر دروسه رحمه اللّه» [حياتي، 70].

وبعد هذه السنوات الأربع، التي حاول أحمد أمين خلالها الالتحاق بدار العلوم دون أن ينجح في اجتياز الاختبار الطبي لضعف بصره، والهرب إلى التدريس في طنطا دون أن يستقر بها إلاّ قليلاً، استقر رأيه على أن يترك الأزهر والقاهرة بعد أن اجتاز مسابقة تمكن بعدها من أن يعيّن مدرّسا في الإسكندرية، حيث قدّر له أن يلتقي بعبد الحكيم بن محمد المدرس الدرعمي الذي قاده إلى آفاق جديدة في الثقافة والحياة. كما يقول أحمد أمين: «اتصلت به فأعجبني من أول نظرة، واتخذني أخا صغيرا، واتخذته أخا كبيرا.. وكان واسع الأفق حر التفكير.. يؤكد الشيخ محمد عبده في دعوته إلى الإصلاح، وكان مكمّلا لنقصي موسعا لنفسي، مفتحا لأفقي.. كنت لا أعلم إلاّ الكتاب فعلمني الدنيا التي ليست في كتاب. ولئن كان أبي هو المعلم الأول لي فقد كان هذا الأستاذ هو المعلم الثاني [حياتي، 81].

لقد اتسع تفكير أحمد أمين في الإسكندرية؛ لينتقل من استيعاب الكتب واستظهارها إلى التأمل في الواقع حوله، ومحاولة التعلّم منه والمشاركة فيه، وجاءت 1906 وهو في الإسكندرية لكي تقع أحداث «دنشواي» فتشده من مجرد الاهتمام بوقائع التاريخ إلى مجريات الحاضر، ويعود إلى القاهرة في العام التالي، مدرسا في المدرسة التي كان تلميذا بها أول عهده بالتعليم، ولعل ذلك فتح شهيته لمواصلة الدراسة التي اضطربت مسيرتها لديه من قبل، وسنحت الفرصة عندما أعلنت مدرسة القضاء الشرعي 1907 عن إجراء مسابقة لاختيار مجموعة من الطلاب يلتحقون بها من نابغي أبناء الأزهر بعد امتحان عسير [البيومي، 10]. وتقدم الفتى للامتحان فكان من أوائل من اجتازوه والتحق بالمدرسة التي قدر له أن ينتسب إليها خمسة عشر عاما، طالبا نابها أو معيدا مجتهدا، أو محاضرا ناجحا، أو مؤلفا واعدا، وكانت طبيعة الدراسة متنوعة بين العلوم الشرعية والقانونية والفلسفية والحديثة فتفوق الطالب في كل الفروع، وكان من أوائل من رشحهم ناظر المدرسة عاطف بركات، لكي يلقي محاضرة عامة على زملائه الطلاب لاقت النجاح والرضا [حسين أحمد أمين، في بيت أحمد أمين، 11].

ثم كان أن اختير عقب تخرجه متفوّقا في المدرسة، معيدا بها، يعمل تحت إشراف عاطف بركات - الشخصية المحورية في حياته - في إعداد دروس علم الأخلاق، وهو الإعداد الذي جعله يطيل الجلوس إلى الأستاذ ويخالطه في عمله وبيته ويتأثر به تأثرا كبيرا، يقول عنه أحمد أمين: «كنا نتناقش في الدروس قبل إلقائها وأحيانا يجرنا الحديث

عن موضوع الدرس إلى موضوع آخر اجتماعي أو ديني أو سياسي فيعرض آراءه ويستمع إلى محاولتي، وقد أثر فيّ تأثيرا كبيرا من ناحية تحكيم العقل في الدين، فقد كنت إلى ذلك العهد أحكّم العواطف لا العقل.. وهو يأبى إلاّ تحكيم العقل، والبحث عما لا نفهم حتّى نفهم» [حياتي، 128].

غير أن الانشغال بهذا اللون من التفكير والمعرفة، جعل أحمد أمين يحس أنه بحاجة، إلى جانب ثقافته العربية الإسلامية الراسخة، للتعرف على الثقافة الأجنبية من خلال تعلّم إحدى لغاتها الأصيلة، وكان قد درس شيئا من الفرنسية في المدرسة الابتدائية، لكن حرص والده على متابعته في «الواجبات» الكثيرة لفروع العربية التي ألزمه بها، لم يدع لعقل الصبي، فرصة لاستيعاب لغة أخرى؛ ولقد حاول أن يتدارك الأمر، بعد تخرجه من القضاء الشرعي وخاض في سبيل تحقيق ذلك، تجربة جديرة بالإشادة والتقدير، كان قد أحسّ وهو يؤدي دروس «الأخلاق» أنه في حاجة إلى التوسع في القراءة حول مذكرات أستاذه عاطف بركات، ومصادرها كلها إنجليزية، فقرر أن يخوض تجربة تعلّم اللغة بجهد ذاتي، على الرغم، من تنبيه الشيخ الخضري له، بأن كثيرين في مثل ظروفه، تحمسوا للتجربة ولم يصلوا إلى نتيجة، ودلّه صديقه وسَميُّه «أحمد بك أمين» على كتاب المستشرق ماكدونالد عن الإسلام وأنه سهل العبارة، فقرر أن يتعلم الإنجليزية من خلال قراءته بمساعدة مدرسة متخصصة، وتابع المحاولة مع كتاب «الإسلام» للسيد أمير علي، وخلال التنقل من مدرسة إلى أخرى، أتيح أن يتأثر بسيّدتين إنجليزيتين، تحدث عنهما في سيرته، ساعدته إحداهما (وهي مس بور) إلى جانب اللغة في تنمية إحساسه بالذوق الراقي والجمال وكانت رسامة فنانة وكانت تعامله، كما يقول «معاملة الأم القوية لابن فيه عيوب من تربية عتيقة»، أما الثانية التي كانت شابة جميلة تقيم مع زوجها في مصر، فقد لخص أثرها فيه بقوله: «كنت أترقب موعد درسها بشوق ولهفة، وكانت هذه السيدة، تغذي عواطفي برقتها وجمالها وكمالها، كما كانت مس بور تغذي عقلي بثقافتها واطلاعها وتجاربها» [حياتي، 129]. وقد تجسدت استفادته من تعلّم الإنجليزية في هذه الفترة، في الكتاب الذي ألّفه بعنوان «الأخلاق» والكتاب الذي ترجمه عن «رابو بورت» بعنوان «مبادىء الفلسفة».

وفي موقف مواز لهذا الرافد الثقافي الهام، الذي استطاع أحمد أمين أن يشيده بدأبه وصبره، وأن يفيد منه إلى مدى بعيد، تشكل لديه رافد آخر، ساعده كثيرًا في تطوير شخصيته وتوسيع آفاقه.

وقد تمثل هذا الرافد الأخير، في جماعة من صفوة المثقفين المصريين من خريجي مدرسة المعلمين العليا، ممن أهّلهم تفوقهم لأن يرشحوا للإيفاد في بعثات دراسية إلى الخارج، ولكن قيام الحرب العالمية الأولى 1914، أوقف إيفادهم، ودفعتهم ظروفهم الموحدة إلى الالتقاء والحوار في مقهى ثقافي بالقاهرة وهم ينتمون إلى تخصصات مختلفة كالتاريخ والأدب الإنجليزي والكيمياء والرياضة والفيزياء، وانضم إليهم أحمد أمين، في لقاءات انتظمت مواعيدها، ونقاشات

عملت على تبادل المعرفة والرؤى والمناهج بينهم، ثمّ زاد حماسهم للإصلاح والإسهام فيه، فتشكّلت من بينهم لجان مختلفة للدرس والاقتراح والتأليف، وكان أشهرها «لجنة التأليف والترجمة والنشر» التي اختير أحمد أمين رئيسًا لها، وظلّ كذلك أكثر من أربعين عامًا، وضمّت اللجنة في فترات لاحقة أسماء كبار المفكرين في القرن العشرين من أمثال طه حسين، ومحمد فريد أبو حديد، وأحمد حسن الزيات، وأحمد زكي، وعبد الحميد العبادي، وزكي نجيب محمود، وعبد الوهاب عزام، وقدمت نفائس المؤلفات وذخائر التراث العربي [البيومي، 13].

ولم يتوقف تأثير هذه الجماعة في أحمد أمين عند ثقافته العقلية، بل تعدى ذلك إلى ثقافته البدنية، واقترابه من الحياة، فبفضل هذه الجماعة، عرف الرياضة البدنية وأنديتها والرحلات ومشاقها وبدا بعمامته وجبته يتدرج من حياة الشيوخ التي ألفها إلى حياة الشباب التي اكتشفها.

وإذا كانت الثقافة الغالبة على أعضاء هذه الجماعة، هي الثقافة الإنجليزية فقد انضم أحمد أمين في فترة موازية إلى فريق آخر من الأصدقاء، غلبت عليهم الثقافة الفرنسية، وكان هذا الفريق يلتقي في منزل الشيخ مصطفى عبد الرّازق، واتسم هذا الفريق بالنزعة العملية والرغبة في الإصلاح والمشاركة في نهضة الأمة، وقادهم النقاش إلى أن الصحافة هي أيسر السبل لمشاركة المثقفين في تحقيق مثل هذه الأهداف النبيلة. ومن هنا كانت فكرة تحرير مجلة «السفور» الأسبوعية، التي نجح أحمد أمين أن يحشد لها أصدقاءه من الفريقين، وكان ذلك بداية اشتغاله بالصحافة الأدبية التي كان له فيها أثر بارز على امتداد ما بقي من النصف الأول من القرن العشرين، فقد كان علمًا بارزًا في تحرير مجلّة «الرسالة» التي صدرت 1933 والتي كان يصدرها أحمد حسن الزيات وحظيت بدعم كبير من أعضاء لجنة التأليف والترجمة والنشر، ثم كانت رئاسته لتحرير مجلة «الثقافة» التي صدرت عن اللجنة 1939 واعتبرت واحدة من أهم المجلات الثقافية للعصر وظلّت مستمرة في الصدور نحو خمسة عشر عامًا.

وقد فتح هذا النشاط الصحفي المجال واسعًا أمام أحمد أمين لإنتاج لون من المقال الأدبي أو الفكري أو الاجتماعي، تراكمت وحداته على امتداد السنين، حتى شكلت كتابا ضخمًا من عشرة مجلدات هو «فيض الخاطر» والذي ضمّ نحو تسعمائة مقالة، أثارت كثيرًا من القضايا الفكرية والاجتماعية والأدبية، وسجلت كثيرًا من لحظات خلوّ الكاتب إلى نفسه وتأملاته فيما حوله، وأحدثت ردود فعل كثيرة لدى كتّاب عصره، وفتحت له أبوابا من الشهرة كما جرت عليه ألوانًا من الهجوم. وهي من خلال هذا كله أسهمت إسهامًا فعالاً في بناء الحركة الأدبية والفكرية في عصرها.

وإذا كان المقال يمثل لونا من ألوان مشاركة أحمد أمين في قضايا عصره الفكرية والأدبية، فإنه لم يكن من كتّاب المقال السياسي أو الحزبي على النحو الذي عرف به بعض كبار كتّاب المقال من أدباء عصره مثل العقاد أو طه حسين، ولهذا لم يرتبط اسم أحمد أمين بالصحافة الحزبية لدى الوفد أو الإخوان

المسلمين أو السعديين أو غيرهم، بل إنه رفض رئاسة تحرير صحف عرضت عليه في هذا الإطار؛ ولكنه في المقابل، كان في شبابه لا يتردد في المشاركة في العمل السياسي الوطني العام. ولقد كانت مشاركته في نشاط ثورة 1919 سببا في عزله من مدرسة القضاء الشرعي التي كان يعمل مدرسا فيها، وإحالته إلى سلك القضاء، حيث ظلّ أربع سنوات يتجول في أرجاء مصر قاضيا في محاكمها بين الواحات وقويسنا وطوخ والأزبكية، وهي فترة كان لها تأثير كبير في اهتماماته وطريقته في تشكيل الرأي وإصدار الحكم. ولقد فكّر خلال تلك الفترة أن يعد دراسة علمية عن «الأسرة المصرية» من خلال ما يقع بين يديه من وقائع وإحصاءات بحكم عمله، ولكن انتقاله إلى العمل في الجامعة صرفه إلى اهتمامات علمية أخرى، ومع ذلك فقد ظلت الفكرة كامنة لديه حتّى حرر جانبا منها في صورة كتابه «قاموس العادات والتقاليد المصرية»، والذي كان يرى أحمد أمين أنه موضوع لم يسبقه أحد بالكتابة فيه، مع أن كتابات أحمد تيمور عن الأمثال العامية، وكتاب إدوار وليام لين «المصريون المحدثون»، عاداتهم وشمائلهم كانت تمهيدًا لما قام به.

وانتقل أحمد أمين للتدريس في الجامعة 1926، بطلب من طه حسين، فانفتح أمامه مجال جديد ظل يترقى فيه حتّى اختير عميدًا لكلية الآداب بجامعة القاهرة، دون أن يشغله بريق المناصب عن متعة البحث العلمي وهو ما عبّر عنه عندما استقال من العمادة قائلاً: «أنا أكبر من عميد وأقل من أستاذ». وكانت فترة العمادة تلك سببًا في جفوة بينه وبين طه حسين الذي كان وزيرًا للمعارف، وحاول من خلال موقعه وأياديه على أحمد أمين أن يؤثر عليه في بعض قراراته غير أن مناخ العمل في الجامعة، هو الذي هيّأ لأحمد أمين مناخ إنجاز أكبر مشروع علمي حققه، فقد اتفق مع زميليه، في كلية الآداب، طه حسين وعبد الحميد العبادي على دراسة تطور الحضارة الإسلامية في العصور المختلفة من ثلاث زوايا: الأدبية ويختص بها طه حسين، والتاريخية ويهتم بها العبادي، والعقلية ويدرسها أحمد أمين، وكان هذا الاتفاق بداية لموسوعته الكبرى عن «فجر الإسلام» و«ضحى الإسلام» و «ظهر الإسلام» و«يوم الإسلام» في تسعة مجلدات كبيرة، استحوذت على إعجاب الباحثين والقراء في مجال الحضارة الإسلامية منذ 1928 تاريخ إصدار المجلد الأول منها «فجر الإسلام» حتّى اليوم، مع أن زميليه لم ينجزا شيئًا يكاد يذكر من نصيبهما في الاتفاق.

والواقع أن أحمد أمين، الذي كان على مشارف الأربعين حين بدأ في تحرير هذه الموسوعة، قد استطاع أن يوظّف مجمل خبراته الثقافية التراثية والحديثة في لمّ شتات مئات القضايا العقلية والفلسفية والتاريخية والمذهبية والفقهية والأدبية التي كانت متناثرة في كتب المصادر، أو خاضعة لمعالجات جزئية في كتب بعض الدارسين من المستشرقين الذين قرأ لهم وتأثر بمناهجهم في التصنيف والتبويب والمعالجة، ووجهت إليه في بعض الأحيان شبهة التأثر ببعض أحكامهم دون أن يمنع ذلك من شهادة جمهرة المثقفين

له بموضوعية التناول وجدية المنهج وشمول النظرة.

ولم تتوقف جهود أحمد أمين عند دراسة الحركة العقلية في الحضارة الإسلامية، وإنما امتدت من خلال عمله في الجامعة ورئاسته للجنة التأليف والترجمة والنشر إلى التأليف أو المشاركة في إعداد كتب يمكن أن تعد «مداخل» لبعض فروع «المعرفة الحديثة» والتي لم يكن قد كثر التأليف في مجالاتها، وفي هذا المجال يأتي كتابه «النقد الأدبي» في جزأين، والذي كانت نواته مذكرات وضعها عندما أسند إليه تدريس هذه المادة في الجامعة 1926، وإن كان الكتاب لم يطبع إلاّ بعد ربع قرن 1951 وفي هذا الإطار أيضًا يأتي ما ألّفه مع زميله الدكتور زكي نجيب محمود حول «قصة الأدب في العالم» في أربعة أجزاء، و«قصة الفلسفة» في جزأين، ويضاف إلى ذلك ثلاثة كتب تعد تعريفات وتفصيلات لبعض ما ورد خلال حديثه عن مسيرة الحضارة العربية والإسلامية، وهي: «هارون الرشيد» و«المهدي والمهدوية» و«الصعلكة والفتوة في الإسلام» إلى جانب سيرته الذاتية التي دونها في كتاب «حياتي».

وفي مجال تحقيق التراث وشرحه ارتبط اسم أحمد أمين ببعض أمهات الكتب مثل «العقد الفريد» لابن عبد ربه، و«الإمتاع والمؤانسة» و«الهوامل والشوامل» و «البصائر والذخائر» وهي لأبي حيان التوحيدي «أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء» وصاحب الجهد الموزع بين الأدب والفكر، على النحو الذي وجد أحمد أمين نفسه يسير في طريق قريب منه، إضافة إلى تحقيق كتاب «حي بن يقظان» وشرح «ديوان الحماسة» للمرزوقي، وديوان «حافظ إبراهيم». كان عضوا بمجمع اللغة العربية بالقاهرة والمجمع العلمي بدمشق والمجمع العلمي ببغداد.

لقد اتسمت حياة أحمد أمين الفكرية والحوارية بالهدوء النسبي، على الرغم من أنّه كان يعيش عصر «المعارك الأدبية»، ولا يستثنى من هذا الهدوء إلاّ عاصفة المقالات النقدية التي وجهها إليه زكي مبارك بعنوان: «جناية أحمد أمين على الأدب»، وكان مجمل إنتاجه الثقافي والفكري قد هيّأ له مكانًا بارزًا في طائفة من يسمّون بالمحافظين الجدد، وهم الذين تلقوا ثقافتهم الأولى في علوم التراث ثم أتيح لهم الاطلاع على الثقافة الغربية فأخذوا منها بنصيب وإليهم يُرد الفضل الأكبر في أسس النهضة الأدبية والثقافية والفكرية في القرنين التاسع عشر والعشرين. وكان في مقدمة هؤلاء رفاعة الطهطاوي، وحسن العدل، وطه حسين، وكان من أبرزهم أحمد أمين، وهم في مجملهم ينطبق عليهم وصف العقاد لهيئاتهم في الملبس، بأنهم «المعَمّمون الذين تطربشوا»، وإن كان جوهر التغيير عندهم يذهب إلى أبعد من ذلك بكثير.

د. أحمد درويش
جامعة القاهرة

أمين، عثمان

(1323هـ/1905م - 1399 هـ/1978م)

أحد أبرز الأساتذة الأوائل الذين تخرجوا في جامعة القاهرة وتولوا الأستاذية فيها. عالم، وكاتب ومؤلف ومترجم وعضو في مجمع اللغة العربية وذو مكانة دولية.

تميز بالإضافة إلى إلمامه العميق بالعلوم الفلسفية بالتبصر، والتعمق في العلوم الإسلامية، وظهرت آثار هذا كله في إنتاجه المتميز والخصب.

ولد الدكتور عثمان محمد أمين في سنة 1908 بقرية مزغونة (التابعة في ذلك الوقت لمركز العياط والتابعة الآن لمركز البدرشين) بمحافظة الجيزة، وتلقى تعليمه الأولي بكتَّاب القرية، ثم بالمدرسة الثانوية. التحق بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول وتخرج في ثاني دفعات هذه الكلية سنة 1930. وابتعث إلى باريس حيث حصل على ليسانس في الفلسفة سنة 1924 وعدة شهادات أخرى كان آخرها الدكتوراه سنة 1939 من السوربون، وبعد عودته من البعثة انتظم في سلك التدريس حتى صار أستاذًا للفلسفة الحديثة سنة 1954 ورئيسًا لقسم الفلسفة سنة 1957 وظل يشغل هذا المنصب حتى أحيل إلى التقاعد.

أسهم عثمان أمين بجهد وافر في النشاط العلمي، وشارك كذلك في جمعية فرنسية لأصدقاء ديكارت، واختير سكرتيرًا عامًا للجمعية الفلسفية المصرية سنة 1945، كما رأس جمعية أحياء الفلسفة منذ سنة 1946.

ومن خلال هذه المواقع أسس مكتبة نفائس الفلسفة العربية سنة 1949، وانتخب سنة 1973، عضوًا بالمجمع العلمي المصري، و1974 عضوًا بمجمع اللغة العربية. وقد شغل في هذا المجمع كرسي الشاعر عزيز أباظة، واستقبله عند انتخابه عضوًا أمين المجمع الأستاذ عبد الحميد حسن وأبّنه فيه عند وفاته الدكتور سليمان حزين، أما خلفه في كرسيه فكان الأستاذ محمد زكي عبدالقادر.

نال عثمان أمين كثيرًا من التقدير العلمي وقد انتخب عضو شرف بالجمعية الديكارتية الفرنسية وخصص جناح في مكتبة المؤلفات والبحوث العالمية عن ديكارت لإنتاج عثمان أمين تحت اسم «مصر»، وحصل على الجائزة الأولى في الأدب الفرنسي من جمعية مصر فرنسا سنة 1952، كما نال جائزة الدولة التقديرية في العلوم الاجتماعية سنة 1970.

كانت لعثمان أمين إسهاماته البارزة في عدد كبير من المؤتمرات والندوات، وحلقات البحث العلمي في الخارج. وفي جاكرتا بأندونيسيا نشرت بحوثه مترجمة إلى اللغة الإندونيسية في أوسع المجلات المتخصصة، وفي فينيسيا نشرت أعمال المؤتمر العالمي للفلسفة سنة 1958 أبحاثه في مجلد خاص تقديرًا له. وقد مثل بلاده في عدد من المؤتمرات الدولية والعربية. ومنها المؤتمر العالمي للمستشرقين المنعقد في كمبردج

بإنجلترا سنة 1954، وفي مؤتمرات أخرى في هارفارد سنة 1955، وجاكاتا (1956) ولاهور (1957) وفينسيا (1958) ودمشق (1961) ومؤتمر الفكر الإسلامي في قسنطينة ووهران بالجزائر (1970 ـ 1971).

تزوج الدكتور أمين مرتين: الأولى من سيدة فرنسية، والثانية من إنجليزية. أهدى مكتبته لجامعة القاهرة قبل وفاته. وقد حظيت كتاباته بتقدير العلماء المستشرقين في أوربا، وأمريكا، وفي البلاد العربية، والهند، وباكستان.

عمل أستاذًا زائرًا في الجامعات العربية في ليبيا، والسودان، والجامعة الباكستانية، والجامعة الأمريكية بالقاهرة، وحاضر في جامعات الأزهر، والإسكندرية، وعين شمس، ومعهد الدراسات العربية، ومعهد الدراسات الإسلامية، وتخرج على يديه كثير من طلاب العلم وأساتذة الجامعات.

ونالت بحوثه تقدير كثير من أساتذة الفلسفة العالميين ومنهم المفكر الفرنسي لوي جارديه الذي وصفه بأنه واحد من أحسن المتخصصين العرب في الفلسفة الغربية الحديثة، وريتشارد فراي الأستاذ بجامعة هارفارد.

كان عثمان أمين يقدم فلسفته الجوانية على أنها عقيدة مفتوحة تأبى الركون إلى مذهب. وهي بعبارة أخرى من عباراته في وصفها «طريقة للتفلسف ومنهج للحياة» والفلسفة في رأيه هي ممارسة للحياة وموقف يحياه الإنسان، وهي تتأكد من خلال ذلك الموقف، فهي بذلك فلسفة هادفة عاملة نشيطة، تدفعنا إلى العمل، وتقود عملنا وتهدي سلوكنا، ونسعى من خلالها إلى تحقيق ذاتيتنا.

وتقوم الجوانية على ثنائية المادة والروح، وأن لكل شيء ظاهرًا وباطنًا، وشكلا ومضمونًا، وهي تعمل على إثراء الباطن وإعلاء الروح على المادة، والذات على الموضع، والفكر على الموجود، والإنسان على الأشياء، والرؤية على المعاينة، وتميز بين الداخل والخارج، وبين الكيف والكم، وبين بصر العقل وبصر العين، وبذلك كله يتم تزكية الوعي الإنساني، وإحداث تغيير جذري للنفس، وممارسة للحرية النفسية، وتعميق الفهم للمقاصد والمعاني والقيم. وهذا يعني في رأي عثمان أمين أن الفلسفة لا تكتفي بمعرفة الحقيقة من الخارج، ولا تقنع بأشكالها ورسومها، بل تنفذ إلى لب الحقيقة، وتعمل على أن تعيشها، وتمتلئ بها قلوبنا؛ فهي رؤية واعية، ورؤية روحية نفسية، ورؤية بعين البصيرة كما يقول الغزالي أو بعيون الروح كما كان يقول أفلاطون. والفلسفة مجالها الإنسان ولا تستطيع أن تقنع في هذا المجال بنتائج الدراسات العلمية البحتة، فهي تحاول أن تكشف عما هو جوهري وأصيل في الكائن الإنساني، فإذا كانت مهمة العلم هي الإحاطة بالمطلوب، فإن مهمة الفلسفية هي النفاذ إلى صميمه، وعلى هذا فإن الفلسفة لا تعادي العلم.

والفلسفة الجوانية تجعل للروح مكان الصدارة، وتؤمن بأن القوة الحقيقية هي قوة الروح والمثل الأعلى وأن التقدم الذي أحرزه الإنسان في عالم المادة قد أضله عن قوته الأصلية التي هي قوة الروح، وأن الأزمة

التي يعانيها إنسان اليوم سببها عدم الانسجام بين القلب والعقل، وبين المادة والروح. وإلى هذا الافتراق أو التنافر يرجع عثمان أمين الإحساس بالغربة والتمزق الداخلي ومعاناته النفسية. ولا منجاة من هذا إلا بأن يزداد الاهتمام بالروح، وأن يكون هناك توافق بين الجانب الروحي للحضارة وبين الجانب المادي منها.

ويشير عثمان أمين إلى آن التاريخ ينبئنا بأن الحضارات المزدهرة كانت تقوم على التوافق، وعلى تنمية عناصر الثقافة الشاملة المتكاملة في جوانبها المتعددة من علم، وفلسفة، وأدب، وفن على السواء.

وتعكس الجوانية الإيمان الديني العميق في أعماق وفكر عثمان أمين، وهو يعبر عن علاقة الجوانية بالدين بأنها تحاول النفاذ إلى جوهره، وإدراك معنى وحقيقة الشعائر والعبادات التي فرضها الدين، وتعيب على أولئك الذي لا يفهمون من الدين إلا أنه مجرد قيام وقعود، وأيام تصام، وأدعية تردد، وابتهالات تحفظ.. بحيث صور لهم الجهل أنهم بهذا أصحاب إيمان ودين. إن هذا يؤدي إلى أن تفقد تلك العبادات حقيقتها ومعناها، وتصبح آلية مبتذلة لا يستسيغها صاحب العقل السليم، فهؤلاء تتنفس الغيبة والنميمة بينهم، وأكل أموال الناس بالباطل، والكذب والرياء وإلحاق الضرر بالناس، وإيذاؤهم في أموالهم وأعراضهم، ولكن الدين الصحيح يقوم على حسن النية واستقامة الضمير، والفهم الواعي لحقيقة تلك العبادات حتى تحقق الغاية والهدف منها.

وكما تدعو الجوانية إلى استنارة العقل فإنها تنشد أيضًا استقامة الضمير، ولقد وجد «عثمان أمين» في الأخلاق الإسلامية طريقة تحقق تزكية الضمير. والأخلاق الإسلامية في نظره تقوم على العطاء والبذل والتضحية وتقديم الخدمة للآخرين، بل تجعل خدمة المجتمع في صميمها عبادة الله، وهي تعلي من شأن القيم الروحية، وتهدف إلى تحقيق التوازن بين مطالب الجسم ومطالب النفس، وترى أن الحياة الإنسانية لا تتحقق إلا إذا اتسمت بالسمة الأخلاقية الأصيلة، وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والعبادات الإسلامية من ثمراتها القيم الأخلاقية، فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، وكذلك القول في سائر العبادات.

كان عثمان أمين محبًا للعربية، ولعلومها، متقنا للكتابة بها ولفهمها، وكان على رأس من لفتوا النظر بطريقة فلسفية إلى عمق هذه اللغة وثرائها الروحي، وأنها تنحو نحوًا من المثالية لا نظير له في أي لغة أخرى. وقد نبه عثمان أمين إلى ما اكتشفه من قدرة اللغة العربية على التعرف على الفروق الدقيقة بين الفكرة والخاطر والمثال والتعبير عن هذه الفروق، كما بين عثمان أمين الجوانب الجوانية لهذه اللغة، وهي المثالية الأصلية، والحضور الجواني، وصدارة المعنى، والإعراب والإبانة، ورسم الظلال والألوان، والحرص على الإنجاز والتركيز مع دقة التعبير، بالدعوة إلى الحركة والاتجاه إلى القوة والوعي.

آرؤه

يعد عثمان أمين بمثابة التلميذ الروحي للإمام محمد عبده في الجيل الذي لم يعاصر الأستاذ

الإمام، ومن الطريف أنه ولد في العام الذي توفي فيه الأستاذ الإمام، وقد أسس جماعة أصدقاء محمد عبده سنة (1943). كما كتب في مجلة الثقافة مجموعة من المقالات غير المتعاقبة عن الإمام محمد عبده وآرائه وسيرته، وله بالإضافة إلى رسالته للدكتوراه التي كانت عن محمد عبده أكثر من كتاب منشور عن الأستاذ الإمام، من ذلك:

رائد الفكر المصري الإمام محمد عبده (1966) وفد عن دار الأنجلو، ومحمد عبده، عن دار عيسى البابي الحلبي، وله بالفرنسية: «محمد عبده وآراؤه الفلسفية والنظرية»، و«الفلسفة الإسلامية المعاصرة» و«رواد الوعي الإنساني في الشرق الإسلامي» وقد اعتبر كتابه عن محمد عبده واحدًا من الكتب المعلمة خلال نصف قرن.

وعن المعاصرين كتب عثمان أمين رسالة صغيرة عن العقاد، نشرت في سلسلة المكتبة الثقافية بعنوان: «نظرات في فكر العقاد».

كما كتب دراسات وفصولا ومقالات عن الأفغاني، ومصطفى عبدالرزاق والسهروري، وديكارت، وابن سيدة، ومحمد إقبال.

وفي الأوساط الثقافية اشتهر عثمان أمين بفلسفته المسماة بالجوانية، وهي على أقل ما توصف به: موقف فلسفي جاء حصيلة لدراسته وتأملاته، أو هي مذهب فكري وفلسفي وجمالي، وقد نشر كتابه عن الفلسفة الجوانية بعنوان «الفلسفة الجوانية: أصول عقيدة وفلسفة ثورة» (1964) ونشر بعده كتابًا آخر بعنوان «محاولات فلسفية».

وفي ميدان الفلسفة الغربية قدم: «لمحات من الفكر الفرنسي» وقد صدر عن دار النهضة، المصرية، وأصدر كتابًا مشهورًا عن ديكارت (1970) نشرته دار الأنجلو، كما ترجم لديكارت كتابه «التأملات في الفلسفة الأولى». كما أصدر كتابًا عن «رواد المثالية في الفلسفة الغربية»، وقد نشر هذا الكتاب ضمن سلسلة نفائس الفلسفة الغربية. كما نشر عن دار الأنجلو (1977)، وترجم عثمان أمين من أعمال كانط كتابه «مشروع للسلام الدائم» (الأنجلو 1967)، وترجم «فلسفة كانط» لاميل بوترو، وترجم «مستقبل الإنسانية» لكارل بابرز، وألف كتابًا عن شيللر: «الفلسفة الإنسانية عند شيللر» وتولى مراجعة ترجمة محمد إسماعيل لكتاب عن أفلاطون نشر في سلسلة مذاهب وشخصيات وكتب بالإنجليزية «أضواء على الفلسفة الإنجليزية المعاصرة».

كان للدكتور عثمان أمين نزعات تربوية إصلاحية مبكرة وقد نشر سنة 1952 رسالة في ثمانين صفحة بعنوان «نحو جامعات أفضل»، وفي هذا لميدان أيضًا فإنه ترجم كتاب البير جان «دفاع عن العلم» عن دار عيسى الحلبي. وفي مجال اللغة العربية نشر في سلسلة المكتبة الثقافية رسالة بعنوان: «فلسفة اللغة العربية».

وفي مجال الفلسفة الإسلامية نشر كتاب «الفلسفة عند العرب»، كما تولى تحقيق كتاب الفارابي «إحصاء العلوم» (1968)، و«تلخيص ما بعد الطبيعة» لابن رشد، وقد صدر عن دار الأنجلو، كما ترجم كتاب اميل بروينزو «فلسفة الجاحظ»، الهيئة العامة للكتاب، 1972.

ولعثمان أمين كتاب عن «الفلسفة الرواقية» صدرت طبعته الثانية سنة 1971 عن دار الأنجلو. ويعد من أفضل الكتب العالمية لا

العربية فحسب في هذا الموضوع. وله كتاب مدرسي عن «مبادئ الفلسفة» طبع أكثر من مرة: النهضة العربية، النهضة المصرية.

وأشرف على إصدار مجموعتين من الدراسات الفلسفية نشرتهما الهيئة المصرية العامة للكتاب في كتابين: الأول بعنوان «دراسات فلسفية» 1974، والثاني «نصوص فلسفية مهداة إلى الدكتور إبراهيم مدكور» 1976.

وظهرت في أعماله نزعة إنسانية من خلال كتابيه «مستقبل الإنسانية» و«رواد الوعي الإنساني».

المصادر والمراجع

لم يحظ الدكتور عثمان أمين بدراسات كثيرة حتى الآن، لكن كلمتيْ استقباله وتأبينه وكلمة خلفه في مجمع اللغة العربية حفظت جزءًا كبيرًا من التعريف به، كما كتب عنه كل من الدكتور إبراهيم مدكور في كتابه «مع الخالدين»، والدكتور عاطف العراقي.

د. محمد الجوادي

عضو مجمع اللغة العربية ـ القاهرة

أمين، قاسم بن محمّد

(1280 هـ / 1863 م – 1325 هـ / 1908 م)

هو قاسم بن محمّد أمين، أحد المصلحين البارزين في مدرسة التّنوير في مصر والمشرق العربي والإسلامي. ولد في 19 جمادى الثانية 1280 هـ / غرّة ديسمبر سنة 1863 م بطرّة بضواحي القاهرة. والده محمّد بك من أصل تركي عثماني كان قبل مجيئه إلى مصر واليا على إقليم كردستان إحدى ولايات الدّولة العثمانيّة. وما إن أعلن هذا الإقليم استقلاله وانفصاله عن الآستانة حتى منحته الدولة إقطاعات في مصر بإقليم البحيرة قرب مدينة دمنهور، وهناك تكوّنت صلاته بمصر، وقرّر بعدها الإقامة بها، وتزوّج إحدى بنات أسرة مصريّة من صعيد مصر، هي ابنة أحمد بك خطاب. وبعدها التحق محمد بك أمين بالجيش ليصبح قائدا لسلاح المرابطين، وفيه ارتقى حتى بلغ رتبة أميرالاي في عهد الخديوي إسماعيل حاكم مصر [محمد عمارة، الأعمال الكاملة لقاسم أمين، ص 20].

تابع قاسم أمين تعلّمه الابتدائي في مدرسة التين بالإسكندريّة فنال فيها الشهادة الابتدائيّة. أمّا تعلّمه الثانوي فلقد تابعه في المدرسة التجهيزيّة بالقاهرة. ليلتحق بعد ذلك بمدرسة الحقوق والإدارة بالقاهرة، فتحصّل فيها على شهادة الليسانس في الحقوق سنة 1881م. وكان أوّل الناجحين [سليم ناصر بركات، دراسات في الفكر العربي الحديث والمعاصر، ج 1، ص 279].

وخلال دراسة قاسم أمين للحقوق، كان قد اقترب من حلقة جمال الدين الأفغاني ومدرسته الفكريّة. وفي نفس السّنة التي تحصّل فيها على اللّيسانس التحق بالعمل في المحاماة.

وفي سنة 1881م سافر قاسم أمين في بعثة دراسيّة حكوميّة إلى فرنسا لمواصلة تعلّمه الجامعي، فانتظم بجامعة مونبيليه يدرس فيها القانون، وبعد أربع سنوات تحصّل بتفوّق سنة 1885م على شهادة الإجازة في الحقوق، وخلال إقامته بفرنسا عادت صلات قاسم أمين بجمال الدّين الأفغاني ومحمّد عبده اللّذين استقرّا بباريس منذ سنة 1883م، وهناك أصدرا مجلّة «العروة الوثقى» [محمّد عمارة، الأعمال الكاملة لقاسم أمين، ص 22].

ولمّا كان قاسم أمين طالبًا في جامعة مونبيليه بفرنسا نازعته موهبته الأدبيّة وثقافته الفرنسيّة، للوقوف على ينابيع الفكر، فاطّلع على آراء وأفكار نيتشة وداروين وماركس وغيرهم [سليم ناصر بركات، ج1، ص 280].

وفي صيف عام 1885 م عاد قاسم أمين إلى القاهرة، وفي شهر ديسمبر سنة 1885 م عيّن في القضاء في النيابة المختلطة، التي بقي يشتغل فيها، إلى أن تمّ نقله سنة 1887 م إلى قسم قضايا الحكومة، وبعدها تمّت ترقيته إلى منصب رئيس بنيابة بني سويف بصعيد مصر. ثمّ انتقل رئيسا لنيابة طنطا سنة 1891م. وفي سنة 1892 م عيّن نائب قاض في محكمة الاستئناف، ليرقّى بعدها إلى منصب مستشار سنة 1894 م [محمد عمارة، قاسم أمين، ص 22-24].

بدأ قاسم أمين حياته الفكريّة منافحًا عن الإسلام والمسلمين. فقد أثار اهتمامه كتاب الدوق داركور «مصر والمصريّون» الذي ذهب فيه إلى أنّ الإسلام هو السبب الرئيسي في انحطاط وتخلّف مصر والبلدان الإسلاميّة. وذلك أنّ هذا الدين في مذهب داركور يدعو إلى التواكل ويؤمن بعقيدة القضاء والقدر، وكلاهما يفضيان إلى الخمول، والكسل والعبوديّة. فتصدّى قاسم أمين لهذه الدعوى وضع للردّ عليها، بالفرنسيّة، كتابا بعنوان «المصريّون». وقد عبّر قاسم أمين في هذا الكتاب عن إيمانه بمبدإ التقدّم وبأنّ مصر ستتجاوز، كفرنسا، أحوال التخلّف. فليس صحيحا أنّ الإسلام قد وقف في وجه العلم بل الصحيح أنّ جهلاء المسلمين هم الذين فعلوا ذلك، وأنّ الأوروبيّين أنفسهم يضعون العقبات في طريق تقدّم المسلمين، إذ إنّ السيطرة السّياسيّة والعسكريّة على بلادهم قد حالت بينهم وبين التّرقّي في العمران وأحواله [جدعان، أسس التّقدّم، ص472]. غير أنّ الوقائع الاجتماعيّة التّي أصبح قاسم أمين أكثر وعيا بها بعد عودته من فرنسا وجّهته إلى الاعتقاد بأنّ الحالة الاجتماعيّة والأخلاقيّة السائدة في المجتمع المصري هي ممّا لا يمكن الرّضى عنه، وأنّ نهضة اجتماعيّة شاملة هي أمر ضروري.

ويذهب قاسم أمين إلى أنّ إصلاح المجتمع والأمّة لا يتمّ إلاّ بـ«إصلاح المرأة». فالمرأة في البلدان الإسلاميّة تعاني من الجهل ومن غياب التّربية الضّروريّة والحرّية والمكانة التي تؤهّلها لأداء دورها الإصلاحي في الأمّة. وليس الإسلام هو السبب في تخلّف أحوال المرأة، وإنّما هي التقاليد والعوائد وتخلّف أخلاق الأمم التي انتشر فيها الإسلام، فضلا عن الاستبداد السياسي الذي ثبت أركان الأخلاق المرذولة في عوالم الإسلام

الاجتماعيّة. ويرى قاسم أمين أنّ الاستبداد السياسي قد ترك آثاره العميقة في وجهين أساسيّين يتعلّق بهما انحطاط وضع المرأة: نقص تربية النساء، ورسوخ عادة الحجاب.

حول هذه المسألة يدور كتابه الرئيس الأوّل: "تحرير المرأة". فجوهر القضيّة الاجتماعيّة والإصلاح يرتدّ إلى هذه المسألة، مسألة المرأة. والتربية هي الأساس الراسخ الذي يتعيّن الاستناد إليه من أجل تحسين أحوال المرأة والمجتمع. وليس ينبغي أن يقتصر دور التربية هنا على "التدبير المنزلي" وإنّما ينبغي أن يتجاوز ذلك إلى تحصيل قدر من المعارف العقليّة والأدبيّة وأصول الحقائق العلميّة والتاريخيّة ومبادىء الفضائل الدينيّة والأخلاقيّة التي تهيّئها لأداء دور طيّب في الحياة الاجتماعيّة. والتعليم الذي ينبغي أن تحظى به المرأة سيسمح لها بأن تشتغل في العلوم، والآداب، والفنون الجميلة، والتجارة، والصناعة، بحيث تجاري مجتمع الأحياء في الأعمال الحيويّة وتستعمل قدراتها وقواها لتكون فعّالة منتجة حرّة العقل، والإرادة، والروح. ومن وجه آخر يتعيّن القول إنّ "الحجاب"، الذي يضيّق على المرأة ويحول دون مشاركتها الفعليّة، كان موجودا عند الأمم من قبلهم ووفد إليهم مع جملة ما وفد من عادات وتقاليد ما لبثت أن رسخت في حياتهم. ويشير قاسم أمين إلى أنّ عادة إخفاء الوجه بالخمار كانت عادة تأخذ بها نساء اليونان إذا خرجن من بيوتهنّ، وأنّ المسيحيّة قد أبقت عليها إلى وقت متأخر من القرن التاسع عشر. أمّا الإسلام نفسه فلا يوجب "الحجاب المعروف"، وما اتّفق عليه الفقهاء هو الترخيص لسفور الوجه واليدين على وجه الخصوص لتتمكّن المرأة من مزاولة وظائفها الاجتماعيّة، وأعمالها الاقتصاديّة، والتجاريّة، والزراعيّة، وغير ذلك ممّا يتطلّب كشف الوجه واليدين. أمّا القول إنّ "الحجاب موجب للعفّة وعدمه مجلبة للفساد" فقول لا دليل عليه.

وممّا يتعلّق بإصلاح حال المرأة إصلاح التّربية وذلك بإعادة النظر في ثلّة من الأمور التّي تمسّ حياة العائلة، وبخاصّة الزواج وتعدّد الزوجات والطلاق. وههنا لا يتردّد قاسم أمين في نقد "النزعة الفقهيّة" الشكلانية المادّية في اعتبار هذه المسائل. فهو يرى أنّ تعريف الفقهاء للزّواج بأنّه "عقد يملك به الرجل بضع المرأة" انحراف عن "المعنى" الرّوحي والإنساني الأصيل الذّي أسّس القرآن عليه معنى الزّواج. كما يرى أنّ تعدّد الزوجات ينبغي أن يربط بالحالات القهريّة القصوى كأن تكون الزّوجة عاقرًا أو تصاب بالجنون، لا يتعلّق التعدّد بمطلق الاستمتاع والحيازة أو التملّك والرغبة الجنسيّة. وكذلك أن يربط بمبدأ العدل الذي شكّك القرآن في توافره. أمّا الطّلاق فلا يجوز أن يقع بمجرّد "التلفّظ" بكلمة "طلاق"، وإنّما ينبغي أن يقوم على "النيّة والقصد المصرّح بهما أمام شهود، وأن تستصدر قوانين تضيّق حدوده وتضبطه بحيث يرتفع الظلم عن المرأة بأن تمنح حقّ الطلاق بشروط تضعها متى شاءت في حدود تلك الشروط، وذلك بالأخذ بمذهب غير المذهب الحنفي" [نفسه، ص 170].

أثار كتاب "تحرير المرأة" عند ظهوره سنة 1899 وحتى عام 1912 عاصفة من الانتقادات خاصّة من قبل رجال الأزهر مثل محمد فريد وجدي وطلعت حرب ومحمد رشيد رضا... على أنّ مؤلّفه قد لقي مساندة

من قبل سعد زغلول ومحمد عبده وحافظ ابراهيم ولطفي السيّد والمازني [مصطفى ماضي، تقديم كتاب قاسم أمين تحرير المرأة، ص21].

وسارع قاسم أمين بعد عام واحد إلى صدّ الهجوم فأصدر كتابا آخر هو كتاب «المرأة الجديدة» نحا فيه نحوًا مباينًا فكان راديكاليًا تجديديًّا بمعنى الكلمة بعد أن كان في «تحرير المرأة» أقرب إلى الاعتدال والمحافظة. ولم تعد مسألة «تربية المرأة» وما يتعلّق بها من مسائل تعدّد الزوجات أو الطلاق هي مطلق القضيّة، وإنّما أصبحت المسألة القصوى والجوهريّة هي مسألة «التمدّن البشري» بإطلاق. وكذلك لم تعد نصوص القرآن والشريعة هي منطلق أحكامه «التمدّنية»، وإنّما بات المنطلق هو الفكر الاجتماعي الغربي والعلوم الأوروبيّة وقيم التنوير التي كانت منتشرة في أوروبا في القرن التاسع عشر: الحرّية، التقدّم، المدنيّة، العقل، العلم...[ألبرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة، ص205]. وهكذا يصرّح قاسم أمين في «المرأة الجديدة» بأنّه «من المستحيل أن يقع إصلاح ما في أحوالنا إذا لم يكن مؤسّسا على العلوم العصريّة الحديثة، مهما اختلفت وسواء أكانت مادّية أم أدبية خاضعة لسلطة العلم، وأنّ نتيجة التمدّن هي سوق الإنسانيّة في طريق واحدة، وأنّ التباين الذي يشاهد بين الأمم المتوحّشة أو التي لم تصل إلى درجة معلومة من التمدّن منشؤه أنّ الأمم لم تهتد إلى وضع حالتها الاجتماعيّة على أصول علميّة» [المرأة الجديدة، ص 185-186]. في ضوء القيم التمدّنية الحديثة يعيد قاسم أمين النظر في مسألة المرأة والتمدّن الإسلامي، فلم يعد يكفي، عنده، مجرّد تربية المرأة وتعليمها وتهذيبها وإنّما أصبح المقصود أن تكون حرّة، والحرّيّة استقلال في التفكير والإرادة والفعل في حدود القانون والمبادىء الخلقيّة. وحرّيّة المرأة أساس جميع الحرّيات الأخرى، فحين تكون المرأة حرّة يكون المواطن حرّا، وقد آن الأوان لأن تتحرّر المرأة من رقّ الرّجل واستعباده ولأن تنال حقوقها الشخصيّة وتحظى بما يحظى به الرجل من مكانة واعتبار وتقدير، مثلما هو حالها في المدنيّة الغربيّة والبلدان الأوروبيّة.

وفارق قاسم أمين الحياة فجأة بعد أسبوع من إلقاء خطاب عن الجامعة والتعليم الجامعي المرجو لمصر والمصريين، في ليلة 21 ربيع الأول 1326 هـ / 23 أفريل سنة 1908 [محمد عمارة، الأعمال الكاملة لقاسم أمين، ص 25].

آثاره

1 - تحرير المرأة، صدر سنة 1899 م، وهو أكثر كتب قاسم أمين شهرة وذيوعا، تناول فيه المساواة بين المرأة والرّجل، وقضيّة الحجاب، والطلاق وتعدّد الزوجات... ويرى محمّد عمارة أنّ للشيخ محمد عبده دورا في تأليفه خاصّة في رأي الشرع في تلك القضايا التي عالجها [محمد عمارة، قاسم أمين، ص 174]. وهذا ما عبّر عنه محمد محمد حسين حين قال «إنّ المؤلّف (قاسم أمين) ليس له إلمام بالعلوم الإسلاميّة، ولذلك شاع بين الناس وقتذاك أنّ مؤلّفه في الحقيقة هو الشيخ محمد عبده أستاذ قاسم أمين» [محمد محمد

حسين، الاتجاهات الوطنيّة في الأدب المعاصر، ص304]؛ 2 ـ المرأة الجديدة، أصدره سنة 1900 م وركّز فيه جهده للردّ على الاعتراضات التّي قدّمت ضدّ كتابه تحرير المرأة كما ضمّنه تطوّرا أكثر جرأة في عدد من القضايا التّي تناولها في تحرير المرأة؛ 3 ـ المصريّون، أصدره بالفرنسيّة سنة 1894 ردًا على الكاتب الفرنسي دوق داركور، الذي أصدر كتابا عن مصر والمصريين، وعقيدتهم الإسلاميّة، وأنّها سبب تخلّف المرأة المصريّة؛ 4 ـ كلمات، وهي الخواطر واللّمحات التّي كتبها قاسم أمين في مفكّرته الخاصّة، والتي كانت بمثابة مذكّرات ذاتيّة كتبها لنفسه وأودعها خلاصة مركّزة لمجموعة من أفكاره ونشرتها جريدة لطفي السيّد (الجريدة) سنة 1908 م بعد وفاته؛ 5 ـ أسباب ونتائج، وهي خمس عشرة مقالة نشرها قاسم أمين دون توقيع في صحيفة المؤيّد ما بين 1895-1898م عالج فيها عددا من القضايا الاقتصاديّة والاجتماعيّة والتّربويّة؛ 6 - أخلاق ومواعظ، وهي مثل أسباب ونتائج، خمس مقالات نشرها في المؤيّد ما بين 1895-1898م دون توقيع أيضا عالج فيها الموظّف والوظيفة والتوظيف؛ 7 - الجامعة والتعليم المرجو لمصر والمصريين، وهو خطاب ألقاه في 15 أفريل 1908 م بمنزل حسن زايد.

المصادر والمراجع

● قاسم أمين، تحرير المرأة والمرأة الجديدة، القاهرة، 1984م، المركز العربي للبحث والنشر؛ ● قاسم أمين، الأعمال الكاملة، ط. 2، دراسة وتحقيق محمد عمارة، القاهرة 1958 م، دار الشروق؛ ● جميل سلطان وزكي المحاسني، الأدب العربي في العصر الحديث، دمشق، 1958م، مطابع دار الفكر الإسلامي؛ ● بركات، سليم ناصر، دراسات في الفكر العربي الحديث والمعاصر، ج1، دمشق 1994 م، منشورات جامعة دمشق؛ ● المحافظة، علي، الاتجاهات الفكريّة عند العرب في عصر النهضة، ط 2، بيروت 1978م، الأهليّة للنشر والتّوزيع؛ ● عمارة، محمد، قاسم أمين (تحرير المرأة والتمدّن الإسلامي)، ط 2، دار الشروق، القاهرة، 1988م؛ ● ماضي، مصطفى، تقديم كتاب قاسم أمين تحرير المرأة، وحدة الرغاية، مطبعة المؤسّسة الوطنيّة للفنون المطبعيّة، الجزائر 1988م؛ ● حسين، محمد محمد، الإتّجاهات الوطنيّة في الأدب المعاصر، ط 3، بيروت 1972م، دار النهضة العربيّة للطّباعة والنّشر؛ ● سكاكيني، وداد، قاسم أمين، سلسلة نوابغ الفكر العربي، العدد 25، القاهرة 1965م، دار المعارف بمصر؛ ● جدعان، فهمي، أسس التقدّم عند مفكّري الإسلام في العالم العربي الحديث ط. 3، عمان 1988م، دار الشروق.

د.فهمي جدعان
الجامعة الأردنيـة

د. عبد الحفيظ عصام
جامعة الجزائر

الأمين، محسن بن عبد الكريم

(1284هـ / 1867 م – 1371 هـ/ 1952م)

هو محسن بن عبد الكريم بن علي بن محمد الأمين ولد بقرية شقرا (بلدة في جبل عامل، جنوب لبنان). تعلم بها، ثم في «عيتا الزط»، ثم في «بنت جبيل»، علومه الأولى والقرآن والنحو ومبادئ الفقه. ثم تابع علومه الجديدة واللغوية والفلسفية في النجف بالعراق (1308-1319 هـ)، وعاد الى سورية بدعوة من شيعة دمشق ليكون مرشدهم وإمامهم، فعمل في التدريس والوعظ والإفتاء وإصلاح ثلاثة أمور:

أولا: الأمية والجهل.

ثانيا: الانقسام إلى أحزاب.

ثالثا: البدع الملبسة بلباس الدين [السيرة، 107].

كان يتنقل بين دمشق وجبل عامل لأغراض التأليف والإفتاء وشؤون العائلة. وللأمين سلسلة من الرحلات منها الديني، ومنها العلمي. وقد خصها بكتاب سجل فيه مشاهداته وما حققه من معارف وما أداه من طقوس وشعائر وما اطلع عليه من المؤلفات والمخطوطات التي شكلت مصادر ومراجع مهمة لمؤلفاته، ولا سيما «أعيان الشيعة».

من أساتذة الأمين في المرحلة الأولى (في جبل عامل): السيد محمد حسين الأمين، والسيد جواد مرتضى، والسيد نجيب الدين فضل الله. ومن أساتذته في المرحلة الثانية (في النجف): السيد علي الأمين، والسيد أحمد الكربلائي، والشيخ محمد باقر النجم أبادي، والشيخ ملا فتح الله الأصفهاني، والشيخ ملا كاظم الخراساني، والشيخ محمد طه نجف.

انتخب الأمين عضوا بالمجمع العلمي العربي بدمشق. وتوفي ببيروت في الخامس من رجب، ودفن بقرية «الست زينب» قرب دمشق. أنجب ذرية، ومن أنجابه الأديب والمؤرخ حسن الأمين.

وهو فقيه مجتهد وإصلاحي متنور، ومؤرخ محقق، ولغوي مدقق، وأديب شريف الأغراض والمعاني.

انطلق بفكره من اقتناع أكيد أن القرآن معجزة يجب العمل بمضمونه مهما تقدم الزمن، وأن الإسلام، بشكل عام، هو دين جامع مانع، يحيط بجميع المشكلات الحياتية.

ورأى في الاجتهاد ضرورة مستديمة، فالاجتهاد بابه مفتوح وأنه ممكن وواقع لمن جمع شروطه (= العدالة ومعرفة القرآن والسنة والعربية وأصول العقائد والفقه وشرائط البرهان)، وأنه واجب على الكفاية كشف الارتياب، [103].

والاجتهاد عنده ذو مجالين:

أولا: معرفة مرامي النصوص الشرعية وأهدافها.

ثانيا: استنباط الأحكام التي تتعلق بالحوادث المستجدة التي لا نص فيها، بالاستناد والرجوع إلى النصوص الشرعية الموجودة.

واهتم بالتفسير، إرادة التوسع بفهم معاني القرآن، وبخاصة الآيات مثار الخلاف، وكذلك عُني بتفسير أحاديث السنة معتمدا بذلك على اللّغة والعقل.

وفي عميق فهمه للدين ووظائفه الاجتماعية أبى أن ينحدر بالدين إلى اتخاذه واسطة للتجارة والاستغلال وبناء النفوذ السياسي، ففصل في عمله وسلوكه بين الدين من حيث اعتباره ظاهرة روحية في المجتمع، والدولة من حيث اعتبارها مظهرا حقوقيا سياسيا شاملا للمجتمع ترتقي بارتقاء روح المجتمع.

لذا ارتضى الأمين لنزعته الإصلاحية سبيل الدين من حيث قدرته في الدعوة إلى تطوير حياة المجتمع نحو الأمثل، وسبيل الإنسان، في إطاره الاجتماعي، من حيث طاقته وقدرته التي مكنها الخالق في خلقه البشري: استطاعةً وحرية وعقلا وعلما.

وقد اندرجت إصلاحاته في عناوين كبيرة أبرزها:

أولا: حربه الضروس على التعصب، ولاسيما الطائفي؛ فكان أن رفض الوجود الفرنسي في سوريا ولبنان لأنه يعمل على التفريق بين الشيعة والسنة، ودعا إلى التضامن، وله في ذلك مآثر محمودة.

ثانيا: دعوته إلى تنقية الدين والعقيدة من البدع والشوائب والخرافات والأباطيل، والتدليس في الأحاديث واختلاقها، وتحريم الضرب بالسيوف والسلاسل في يوم عاشوراء.

ثالثا: إرساء العمل المؤسسي المتمثل في إنشاء مدارس عدة ناجحة للجنسين في دمشق.

رابعا: إطلاق حركة التأليف والطباعة ليتسنى لطلبة العلم الحصول على كتب حديثة.

وقد واكب فكره التقدمي المستنير بلاؤه في معركة التحرّر من الاستعمار الفرنسي، فقد جاز أقرانه من الإفتاء بالجهاد كلاما إلى الانخراط العلمي في النضال، حتى أصبح بيته في دمشق محجة لقادة الوطن بها، ومنبرا تطلق منه دعوات التحريض والمقاطعة والثورة في وجه المحتلين.

وبدافع من وعيه القومي انشغل بالقضايا العربية لا سيما فلسطين، فقد ظفرت باهتمامه وتعضيده،؛ ومن مآثره في هذا الشأن نداؤه المشهور في "يوم فلسطين" لجمع التبرعات وتعضيد أصحاب الحق، وبيان خطر الوجود الصهيوني على الأمة جمعاء.

ومن أبرز مؤلفاته وأشهرها:

موسوعة "أعيان الشيعة". وهو كتاب كبير في عشرة مجلدات يقتصر على تراجم الشيعة الإمامية الاثني عشرية، من الصدر الأول في الإسلام إلى عصر المؤلف على اختلاف مناقبهم ومراتبهم وعلومهم وبلدانهم. ولم يستثن المؤلف ذكر أحد ممن له نباهة وذكر، حتى أنه ذكر كثيرا من ملوكهم ووزرائهم وأمرائهم، و "إن كان بعض هؤلاء داخلا في عداد الظلمة.." [خطبة الكتاب، ص 14-15].

ويُثني المؤلف على فائدة علم التراجم، "فالعلم به نصف علم الحديث، فإنه سند ومتن". ومن خلاله يُصار إلى "الاطلاع على

أخبار الماضين وأحوال السالفين، من الأعيان والأماثل. وفي ذلك فائدة الاقتداء بهم والسلوك على طريقتهم، وتجنّب ما لا يستحسن من حالاتهم وصفاتهم وأقوالهم وأفعالهم [خطبة الكتاب، ص 13].

ويعرض المؤلف لقائمة مصادره ومراجعه من زاويتين اثنتين: ما أهمله المؤلفون الشيعة قصدا «من غير الرواة»، وما فاتهم عفوا «لاشتغالهم بالعلوم المتوقف عليها تحصيل ملكة الاجتهاد لا سيما أصول الفقه والبحث عن أحوال الرواة» [1/ 13]. لذا يقول الأمين: «كانت مؤلفاتهم في شكل التراجم على كثرتها ما طبع منها وما لم يطبع لا يوجد بينها كتاب واف بالمرام مُنقع للأوام، وجمعها غير سالم من (ليت) و(لو)».

أما طريقة المؤلف في الكتاب فهي: (1) قصر الكتاب على تراجم الشيعة الإمامية الإثني عشرية وهو لا يذكر غيرهم إلا نادرا، أو «مع جهل الحال». (2) لا يترجم أحدًا من معاصريه الأحياء. (3) كان يتحرى الحقيقة ما أمكن، ويتجنب «ما لا يلائم ذوق المطالعين». (4) يذكر الاسم سياقا مجردا عن الالقاب والأوصاف. (5) يذكر الأسماء مرتبة على حروف المعجم بحسب الحرف الأول والثاني، وبحسب أسماء الآباء والأجداد... فـ «آدم بن إسحق» مقدم على آدم ابن الحسين. (6) يذكر أولا تاريخ الولادة، ثم الوفاة، ثم أقوال العلماء في المترجم له، ثم سيرته وأحواله، ثم ما يدل على تشيعه إن كان غير معروف التشيع، ثم مؤلفاته، ثم شعره ونثره. هذا في التراجم المطولة. (7) يميز المؤلف بين الاسم المشهور ومن نبه ذكره من الاسم المغمور، ضعيف الأثر، فأطال في ترجمة الأئمة والأشراف والنقباء والشعراء وذوي الشأن. ففي ترجمة الحسين ابن علي يقدم المؤلف للقارئ إحدى وخمسين صفحة من القطع الكبير، وبالمقابل أوجز في ترجمة غير النابهين. فهناك من خصص له صفحة واحدة، وهناك عشرة أسماء جاءت في صفحة واحدة.

وقد شاء الأمين أن يجعل فاتحة المجلد الأول فرَشًا للحديث، بما يزيد على ثلاثمائة صفحة عن معنى لفظ الشيعة، ومبدأ ظهورهم وانتشارهم وأخبارهم وعقائدهم والأقوال فيهم، وعن علمائهم الأوائل في علوم القرآن والحديث وسائر العلوم. ثم يعرض لسيرة النبي ﷺ منذ بلّغ الرسالة إلى وفاته، غير غافل عن ذكر مواعظه وحكمه وأدعيته.

وقد أسهمت هذه المقدمة ببيان صفحات مطبوعة، غير معروفة عن الشيعة، ولاسيما عقائدهم، مما أضاف فائدة إلى ما قدمته الموسوعة من معارف غنية عن المترجم لهم من الرجال والنساء، وهو عمل رصين يعزز موسوعات التراجم في المكتبة الإسلامية.

أمّا «معادن الجواهر ونزهة الخواطر» فيعكس بأجزائه الثلاثة (عدده الرابع الخاص بالسيرة) ثقافة المؤلف الواسعة وتضلعه من علوم الدين والعربية وذوقه في اللغة والأدب. ويعكس الكتاب طريقة الأمين في التصنيف والتبويب. فنحن أمام أشتات الفوائد من جميع العلوم يلتقط ما يراه مفيدا للقارئ وما فيه غذاء للروح والفكر معا. لذا جاء الكتاب في صورة «أمالي المرتضى» في تفسير آيات قرآنية وبيان بعض أوجه الإعراب وبث العديد من بعض مسائل الفقه والكلام، وجاء في ما اختاره من شعر

ونثر قصائد وخطب شبيها بالعقد الفريد لابن عبد ربه، وضارع «الأمالي» لأبي علي القالي في ما أثبته من قواعد لغوية دقيقة، وواكب «الموشح» للمرزباني في بيان أحوال الشعر وصناعته، وماثل «عيون الأخبار» لابن قتيبة في ذكر أخبار العلماء والظرفاء، ثم بدا مؤرخا في ما أثبته من فصول مهمة في تاريخ الخلفاء والدولة العثمانية وملوك إيران. وهو في كل ما كتب يبقى ديدنه ومحور عمله العقيدة الإمامية بأصولها وطقوسها وأخبارها وعلومها وأدبياتها.

وينطبق هذا التداخل بين الموضوعات الدينية والكلامية من جهة، والموضوعات الإصلاحية في الاجتماع والسياسة من جهة ثانية على معظم نتاج الأمين. ففي مؤلفاته: خطط جبل عامل، والحصون المنيعة، وتجديد كشف الارتياب، وأعيان الشيعة، نجد الكثير من المسائل الدينية التي تبحث في الذات الإلهية وأصول العقيدة، فنجد على سبيل المثال مسألة الله وصفاته، ومسألة الوجود وعلته، وقضية الاجتهاد والأفعال الإنسانية مبحوثة بصيغ مختلفة في كتاب الدر الثمين، ومعادن الجواهر، وأعيان الشيعة، وتجديد كشف الارتياب، والرحلات.

وإننا نجد العديد من مواقفه الإصلاحية والنظرية الاجتهادية مبثوثة في كتاب: التنزيه، والمجالس السنية، ومفتاح الجنّات، والرحلات، والحصون المنيعة، والسيرة، ولواعج الأشجان.

وفي أي من مؤلفاته يبقى له ذلك الأسلوب المميز المتسم بالموضوعية، وصحة النقد، ودقة النظر بعيدا عن الانفعال أو الشطط على اختلاف الموضوعات التي طرقها.

وهو في مجمل ما كتب من دفاع عن الشيعة، وما قدمه من ردود ودفوع، وما خاضه من نقاشات، يبقى ذلك العالم الرصين الذي يُظهر آراءه بالحجة والبرهان.

وقد تجلى أسلوبه الاستقرائي في مباحث الفقه والكلام، فهو يقدم الدليل بوجهيه الاجتهادي (وهو مصدر الحكم الواقعي)، والفقهي (وهو مصدر الحكم الظاهري)، وسيلة أساسية في البحث. وهو في ما يسوقه من أدلة كالعلماء المتكلمين الأوائل، يحتكم إلى القرآن والسنة أولاً، وإلى العقل ثانيا.

ويلتذ قارئ الأمين برائق عباراته، وجيد سبكه، وانسجام تراكيبه، واطراد سياقه.

آثاره

1 - أعيان الشيعة، له طبعات عدة. منها طبعة: مطبعة ابن زيدون دمشق 1363هـ/ 1944م، وطبعة دار المعارف (ط. 4) بيروت 1380هـ / 1960م، وطبعة 1382هـ/ 1962م، وطبعة 1406هـ/ 1986م (وهي في 10 مجلدات، حجم كبير، وفهرس عام، وملحق بخمسة أجزاء بعنوان «المستدركات» أضافها ابن المترجم له السيد حسن الأمين)؛ 2 - معادن الجواهر ونزهة الخواطر في علوم الأوائل والأواخر، (4 أجزاء) طبع الجزء الأول في مطبعة العرفان صيدا (ط. 1) 1347 هـ. ثم طبع الجزء الثاني في مطبعة ابن زيدون دمشق (ط. 1) 1349 هـ. ثم طبع الكتاب بأربعة أجزاء أكثر من مرة، منها: طبعة دار الزهراء بيروت 1401هـ/ 1981م. وقد جاء الجزء الرابع ملحقا بهذا الكتاب فهو يتضمن ما كان قد

نشر سابقا بعنوان: السيد محسن الأمين - سيرته بقلمه وأقلام آخرين؛ 3 - الحصون المنيعة في ردّ ما أورده صاحب المنار في حق الشيعة، فيه دفاع عن المذهب الشيعي ورد على محمد رشيد رضا منشئ مجلة «المنار» الذي كان قد تعرض بالنقد والذم للشيعة في الجزء الأول من المجلد الحادي عشر الصادر في أوائل صفر، سنة 1326هـ في الصفحة 45 تحت عنوان «كلمات عن العراق وأهله». مطبعة الإصلاح دمشق (ط1) 1328 هـ. (120 ص)، ثم طبعات عدة منها: طبعة دار الزهراء بيروت 1405/ 1985 (152 ص)؛ 4 الشيعة بين الحقائق والأوهام (نقض الوشيعة)، يدافع فيه المؤلف عن عقائد الشيعة ردا على تهم موسى جار الله في كتابه: «الوشيعة في نقد عقائد الشيعة»، طبعة الأعلمي، بيروت 1397/ 1977؛ 5 - تجديد كشف الارتياب، يتضمن نشأة الوهابية في الجزيرة وأفكارها، ومقالات للأمين في محاربة البدع ودفاع عن الاجتهاد، حققه وعني به ابن المترجم له، السيد حسن الأمين، ط. في بيروت سنة 1382/ 1962؛ 6 - مفتاح الجنات، يتضمن مجموعة من الأدعية النبوية الأمامية وفيه آراء نقدية للمؤلف في البدع والأوهام، وأسباب فرقة المسلمين، صدر تباعا في ثلاثة أجزاء، طبعة الأعلمي بيروت 1352؛ 7 - المجالس السنية، يتضمن مقالات في إصلاح المنابر الحسينية وقراءة سيرة الإمام الحسين بن علي، وفيه فصول عن سيرة النبي والأئمة جميعهم، ويطلق فيه المؤلف مواقف إصلاحية في السياسة والمجتمع؛ له طبعات عدة منها: طبعة دار التعارف، بيروت 1398هـ/ 1978م؛ 8 - الدر النضيد في مراثي السبط الشهيد، جمع فيه المؤلف المختار من قصائد مشاهير الشعراء القدامى والمحدثين، الخاصة برثاء الإمام الحسين بن علي. له طبعات عدة منها: طبعة مؤسسة النعمان، بيروت 1412/ 1992، 360 ص؛ 9 - رحلات السيد محسن الأمين، يتضمن مشاهدات ويوميات المؤلف في أسفاره، في لبنان والعراق ومصر والحجاز وإيران. ويبث المؤلف في سياق كلامه العديد من المواقف الإصلاحية والمسائل الكلامية. له طبعات عدة منها: طبعة دار الزهراء، بيروت (ط. 2) 1405/ 1985، 276 ص؛ 10 خُطط جبل عامل، يتضمن الكثير من المعلومات والوقائع التاريخية المتعلقة بمنطقة جبل عامل (= جنوب لبنان). وفيه عناية بجمع وتصنيف الأمثال السائرة في هذه المنطقة. حققه وعني بنشره ابن المترجم له السيد حسين الأمين، مطبعة الإنصاف بيروت (ط. 1) 1961؛ 11 تحفة الأحباب في آداب الطعام والشراب؛ يعرض فيه المؤلف الآداب المستحبة من الوجه الفقهي، في طعام المسلم وشرابه، مطبعة كتاب مفتاح الكرامة بمصر (د. ت.) (94 ص)؛ 12 - السيرة، سيرة السيد محسن الأمين بقلمه، ثم أضيف إليها ما كتبه آخرون عن سيرته ومؤلفاته وتأبينه، وصدرت في كتاب واحد بعنوان «السيد محسن الأمين: سيرته بقلمه وأقلام آخرين»، طبعت سنة 1403هـ/ 1983م، (لا ذكر للناشر، ولا لمكان النشر)، (400 ص). وقد ألحقت صفحات هذا الكتاب بموسوعة «أعيان الشيعة»: المجلد العاشر الجزء 52 (ص 323-449)؛ 13 - وللسيد محسن الأمين عدا ما وثقناه مؤلفات أخرى

مطبوعة تزيد على الثلاثين بين رسالة وكتاب وحواش وتعليقات، تندرج في قضايا مختلفة من أبرزها الإصلاح الديني، والاجتماعي، والفقه الجعفري؛ والمسائل الإلهية، وعلم الحديث، والردود على من انتقد المذهب الشيعي، والأدعية والمواعظ والشعر، وتحقيق الدواوين الشعرية، وطقوس الحج، والدروس الدينية لطلبة المدارس، وسواها.

ومازال في حوزة نجله السيد حسن الأمين مخطوطات عدة من أبرزها: «البحر الزخار في شرح أحاديث الأئمة الأطهار». وهو مؤلف ضخم في علم الرواية والأسانيد والحديث يقع في ثلاثة مجلدات.

المصادر والمراجع

● كتاب: السيد محسن الأمين سيرته بقلمه وأقلام آخرين (ذكر في المؤلفات) وهو مكرر في الجزء الرابع من كتاب: معادن الجواهر ونزهة الخواطر؛ ● الزركلي، الأعلام، (ط. 14)، 5/ 287؛ ● كحالة، معجم المؤلفين، 8/ 183-185؛ ● سركيس، معجم المطبوعات العربية والمعربة، 2/ 1622؛ ● محمد صالح الكاظمي، أحسن الأثر، 31-36؛ ● مجلة العرفان: 3/ 497-500، 16/ 29-34، 23/ 605-606، 26/ 379-381، 28/ 433-435، 39/ 670، 672-685، 794-806، 42/ 1107-1112، 44 / 857-864، 969 976، 45/ 57-64، 177-184، 273-280؛ ● مجلة المجمع العلمي بدمشق، بقلم عبد القادر المغربي، 17/ 528-534، و27/ 442-458، و617-623؛ ● أحمد أبو سعد، معجم أسماء الأسر والأشخاص، ص 101؛ ● هادي السيد علي فضل الله، محسن الأمين مناحيه الفكرية ومواقفه الإصلاحية، أطروحة دكتوراه، حلقة ثالثة في الفلسفة، جامعة القديس يوسف، بيروت 1981 (217 ص) (مخ.).

د. رياض زكي قاسم
الجامعة اللبنانية

الأمين، محمود حسين

(1338-1339 هـ / 1920 م - 1399-1400 هـ / 1980 م)

ولد محمود حسين الأمين في مدينة الموصل عام 1920م من أبوين عراقيّين عربيّين متوسّطي الحال. أكمل دراسته الابتدائيّة، والمتوسّطة، والثّانويّة في مدينته الّتي عرفت بتاريخها العريق حيث تقع في منطقة جغرافيّة لعبت دورًا مؤثرًا في حضارات العراق القديم (الإمبراطوريّة الآشوريّة وعواصمها، أشور، ونينوى، ونمرود، ودور شروكين خرساباد).

ومن المرجّح جدًا أنّ هذه المنطقة الغنيّة

بآثارها الشّاخصة وما جرى فيها من تنقيبات منذ النّصف الثّاني من القرن التّاسع عشر والّتي أسفرت عن اكتشاف عدد من الكنوز الثّمينة أثّرت في توجّهاته الفكريّة وتطلّعاته المستقبليّة فأقبل على دراسة التّاريخ بعد حصوله على شهادة الدّراسة الإعداديّة ملتحقًا بدار المعلّمين العالية (كليّة التّربية حاليًا) للتخصّص في هذا العلم الإنساني، ويمارس التّدريس بعد حصوله على الشّهادة الجامعيّة ويواصل البحث والتّحرّي عن الكنوز المطمورة الّتي تحكي في معانيها صورًا للحياة السّياسيّة، والفكريّة، والاجتماعيّة، والاقتصاديّة لسكّان بلاد وادي الرافدين... حصل على بعثة دراسيّة للتّخصّص في الآثار والفنون فالتحق بجامعة برلين وحصل على شهادة الدّكتوراه عام 1943م في علم الآثار، والتّاريخ القديم، وتاريخ الحضارات. عمل معيدًا لمدّة ثلاث سنوات في ذات الجامعة. عاد إلى العراق وعيّن عام 1946 م مدرّسا في دار المعلّمين العالية... وفي سنة 1947 م نقل خدماته إلى مديريّة الآثار العامّة مع بقائه محاضرا في قسم التّاريخ وذلك ليزاول اختصاصه من خلال مساهماته بالبعثات التّنقيبيّة الّتي تجريها مديريّة الآثار العامّة. دعي للتّدريس في جامعة شيكاغو وبنسلفانيا في الولايات المتّحدة الأمريكيّة عامي 1949 - 1951م.

وفي 30/ 9/ 1954م عاد إلى جامعة بغداد حيث عيّن مدرّسا في فرع الآثار في كليّة الآداب جامعة بغداد. تمّ رقّي إلى مرتبة أستاذ مساعد في 28/ 3/ 1955م، وحصل على مرتبة الأستاذيّة في 24/ 6/ 1963م، لكنه فصل من الوظيفة لأسباب سياسيّة مدّة خمس سنوات من 1958-1963م. وفي عام 1957م قام بزيارة لعدد من الدّول الآسيويّة والأفريقيّة بصحبة وليّ العهد فيصل الثّاني.

وتقلّد الدّكتور الأمين مناصب علميّة وإداريّة متعدّدة منها:

- مدير متحف الآثار الآشوريّة، 1951م.
- رئاسة قسم التّاريخ بكليّة الآداب، 1963م.
- مديرًا لمؤسّسة فرانكلين للطّباعة والنّشر، 1965 - 1968م.

شارك في العديد من النّدوات والمؤتمرات العلميّة وأوفد إلى جامعات فيلادلفيا في الولايات المتّحدة، وزوريخ، وبازل في ألمانيا. أعيرت خدماته للتّدريس في جامعة الرّياض لمدّة من 1968-1971 م. في بداية العام الدّراسي 1971م أحيل على التّقاعد وعمل بعد تقاعده في جامعة قسنطينة في الجزائر لغاية عام 1978 م، فعاد إلى العراق وفي أواخر أيّامه أصيب بمرض السكر الّذي أودى بحياته عام 1/ 10/ 1980م.

عرف الدّكتور الأمين بنشاطه العلمي، وإنتاجه الثّريّ، وحبّه للبحث والتّنقيب، وقوّة الملاحظة، والدقّة في التّشخيص، والتّحليل، والاستنتاج، والتّرجمة الدّقيقة بسبب إتقانه للألمانيّة والإنكليزيّة فضلاً عن العربيّة لغته الأم. ساهم في عدد من البعثات التّنقيبيّة الأجنبيّة في شمال العراق للمدّة من 1947م إلى 1958م، تمّ خلالها اكتشاف عدد من المنحوتات الاثاريّة الهامّة فضلاً عن القطع الاثاريّة واللقى ذات القيمة العلميّة العالية.

يقول عن الاستكشافات الآثاريّة الجديدة الثّريّة في شمال العراق «منطقة دهوك» صيف 1948 م: «كشف عن منحوت آشوري في صدر صخرة كبيرة قائمة في وسط ممرّ جبلي يدعى «كلي مله ميركي» أو «دركلي شيخ أحمد»... تمثّل شخصًا آشوريًا لعلّه أحد الملوك الآشوريّين وأمامه كتابة بالخطّ المسماري...، وقدّم وصفًا دقيقًا وجميلاً للمنحوتات الّتي عثرت عليها البعثة وهي منحوتة شبرو ملكثا، ومنحوتة مله ميركي، أو صورة يميور لنك، ومنحوتات كهف الكندك» [سومر، م. 4، ص 180-219، 1952 م] الّتي هي عبارة عن منحوتتين كبيرتين واحدة فوق الأخرى... المنحوتة العليا منظر صيّاد وقد طعن معزًا جبليًا كبيرًا بسهم كبير، المنحوتة السّفلى تشغل حقلاً مستطيلاً يحتلّ مشهد جماعة يحتفلون بتقريب الطّريدة... ويخلص أنّه لو قارن أوصاف هذه المنحوتات مع المنحوتات المستخرجة من آسيا الصّغرى ومن أعالي نهر الخابور ببعض الألواح المصريّة الّتي تصوّر الأجناس الغريبة عن سكّان وادي النيل لظهر بجلاء ووضوح أنّ أوصاف منحوتات كهف كندك ومميّزاتها الفنيّة لا تختلف عن مميّزات وأوصاف الحثيين مطلقًا.

وعن نتائج التّنقيبات الاستكشافيّة في منطقة مخمور، نيسان 1948 م، في مواقع «كولا كندال»، و«إبراهيم بايس»، و«تل الاكرح» فقد عثر في موقع كولا كندال على أسس لقصر آشوري واسع من العصر السرجوني، ومن المحتمل أن يعود إلى عصر سنحاريب نظرًا إلى وجود الملتصقات الفخّاريّة أثناء الحفر وإلى طراز هندسة البناء الّذي هو من خصائص هذا العصر. وكذلك كشف الجانب الشّمالي الشّرقي للقصر المذكور فعثر على مطابخ وحمّامات القصر وحدّدت البعثة أدوار هذا التلّ التّاريخيّة الّتي سبقت العصور الآشوريّة كالمستوطنات البشريّة الّتي تعود إلى حضارات ما قبل التّاريخ ولا سيّما حضارتي حلف والعبيد الشّمالي [سومر، م.4، ص 297-298، 1948م].

وأظهرت التّنقيبات في موقع إبراهيم بايس (مخمور القديمة) في موقعين رئيسيّين من المدينة آثارا لحضارتين مختلفتين. ففي السّفح الجنوبي الشّرقي من التلّ المخروطي النّاقص الّذي يتوسّط مدينة إبراهيم بايس كشف عن بضعة غرف لبناء لعلّه معبد يعود إلى حضارة العبيد الشّماليّة. كما عثر بين الملتقطات الفخّاريّة على كسر فخاريّة تعود إلى حضارتي حسونة وحلف...

وكان تلّ الكرح الّذي يقع قبالة مدينة آشور تقريبًا قد تمّ الكشف فيه عن غرف وجدران لبناء ضخم من المحتمل أنّه يشير إلى معبد آشوري مهمّ من نوع الزقورات الآشوريّة... وكشف تحت أرضيّة إحدى الغرف على قبور لعائلة مكوّنة من ستّة أنفار دفنت في جِرار كبير مع حليّ من قلائد الخرز والودع ومخايط عظيمة وأواني فخّاريّة صغيرة رفيقة... وتحيط بهذا التلّ أرض أثريّة واسعة تبيّن من ملتقطاتها الفخّاريّة أنّها تعود إلى الألف الثّاني قبل الميلاد.

آثاره

برز الدّكتور الأمين بشكل واضح في حقل التّرجمة والتّأليف ومراجعاته لكتب مترجمة كثيرة، ومن مؤلّفاته وترجماته:

1 - أكيتو، أو أعياد رأس السّنة البابليّة وعقيدة الخلود والبعث بعد الموت، بغداد، 1962 م؛ 2 - تاريخ العالم الحديث، تأليف روبرت ر. بالمر، ج 1، بغداد، 1964م، ترجمة عن الإنكليزيّة؛ 3 - رحلة نيبور إلى العراق في القرن الثّامن عشر، بغداد، 1965م، ترجمة عن الألمانيّة، مع مقدّمة وتعليقات للأستاذ سالم الالوسي؛ 4 - رحلة نيبور في العراق في القرن الثّامن عشر من بغداد إلى الموصل، بغداد، 1953 م، ترجمة عن الألمانيّة؛ سومر، م. 9، 1953م؛ 5 - الذرّة العظيمة، تأليف جون ليوليف، بغداد، 1959م، ترجمة؛ 6 - رسائل الآباء إلى الأولاد من الأدبين العربي والغربي، تأليف إيفان جونس، بغداد، 1962م، ترجمة بالمشاركة. احتوى الكتاب على نماذج من الأدب البابلي القديم والتّاريخ العربي الإسلامي عبر العصور إلى الوقت الحاضر ونماذج من الأدب الغربي كذلك... وبهذا المجهود الأدبي الجليل إضافت التّرجمة إلى الأدب العربي كتابًا جامعًا بين طرافة الموضوع والفوائد النّادرة ومعارض الأخلاق...؛ 7 - حول الكتابة المسمارية، بغداد، 1965م؛ 8 - ثلوج الأمس آفاق المعرفة، ترجمة؛ 9 - كتبوا على الطّين رقم الطّين البابليّة تتحدّث اليوم، تأليف إدوار كييرا، بغداد، 1963، ترجمة. يقول المؤلّف عن أهميّة النّصوص المدوّنة على الطّين: «لأنّ هذه الآثار والنّصوص المدوّنة على الطّين والحجر والرّقوق بعضها متمّم لبعضها الآخر إلى درجة أنّ الواحدة منها تفسّر الأخرى وتكون ناقصة المعلومات وحدها. ومع ذلك تؤلّف فخامة هذه الآثار الواضحة جزءًا من هذه المعلومات الواسعة الّتي مازالت غير معروفة عن تاريخ الماضي والّتي تحتوي عليها السجلّات الأثريّة...».

وللدّكتور الأمين عدد من **البحوث العلميّة القيّمة والتّرجمات الدّقيقة نشرت في مجلّتي** سومر، القسم العربي، م. 4، 1948م إلى م. 13، 1957م؛ ومجلّة كليّة الآداب، جامعة بغداد؛ وبحث باللّغة الألمانيّة؛ وآخر باللّغة الإنكليزيّة، 1961 - 1963م **من أبرزها:**

1 - قوانين حمورابي والقوانين البابليّة الأخيرة، مجلّة كليّة الآداب، ع. 3، 1961م. حيث وصفه «أنه أعظم عمل قام به حمورابي هو تشريعه للقوانين وتبويبها وتثبيتها على الحجر والطّين وتوزيعها على المدن البابليّة لكي يقرأها النّاس ويتدبّروا أحكامها ويسير على موادّها الحكّام والقضاة لتطبيق العدل بين النّاس...»؛ 2 - شعار سومر، رمز الحياة الخالدة والحكمة والوفاء (سومر، م. 8، 1952م)؛ 3 - مسلتا «طوبزاوه» و«كيلة شين» (سومر، م. 8، 1952م)؛ 4 - الكاشيون، 1530-1160 قبل الميلاد (مجلّة كليّة الآداب، م. 6، 1963م)؛ 5 - ادايا اريدو البروفيسور الدّكتور إيكارد ادنكر، ترجمة (سومر، م. 9، 1953م)؛ 6 - تعليقات تاريخيّة عن حملة سرجون الثّامنة (سومر، م.5، 1949م)؛ 7 - ترتيلة اريدو، ترجمة (سومر، م. 7، 1951م).

■ المصادر والمراجع

- الملفّ الشّخصي للدّكتورمحمود حسين الأمين، كليّة الآداب، جامعة بغداد؛
- مؤلّفات وبحوث وتنقيبات للدّكتور محمود حسين الأمين؛ ● البكري، حازم،

الدّكتور محمود الأمين، مجلّة المؤرّخ العربي، العدد 56، لسنة 1418 هـ - 1998 م؛ ● المطبعي، حميد، موسوعة أعلام العراق في القرن العشرين، ج 2، ص 215، دار الشؤون الثقافيّة العامّة، بغداد، 1996 م.

د. بهجت كامل عبد اللطيف
جامعة بغداد - العراق

الأنباري، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن

(513 هـ/ 1119 م - 577 هـ / 1181 م)

هو أبو البركات عبد الرحمن بن أبي الوفاء محمد بن عبيد الله بن أبي سعيد الأنباري، الملقّب كمال الدين، والأنباري نسبة إلى الأنبار، وهي بلدةٌ قديمة كانت معروفة على نهر الفرات، على بعد عشرة فراسخ من بغداد [ابن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب، 1/ 86؛ وابن خلّكان، وفيات الأعيان، 3/ 140].

يقول ابن خلّكان، «إنها سميت بهذا الاسم لأن كسرى كان يتخذ فيها أنابير الطعام»، «والأنابير: جمع الأنبار، التي هي جمع نِبْر، والنِّبْر: الهُرْي الذي تُجعل فيه الغلّة» [ابن خلكان، وفيات الأعيان، 3/ 140]؛ فالأنبار مخازن الغلال والحبوب.

وأبو البركات هو أحد المشهورين الذين ينتسبون إلى الأنبار، بل هو من أشهرهم.

ولد أبو البركات في الأنبار وقدم بغداد وهو صبيّ، وفيها سكن وأقام من صباه إلى وفاته في الخاتونية برباط له شرقي بغداد، وتعلّم في المدرسة النظامية المشهورة، وتفقّه فيها على المذهب الشافعي، وبرع في مختلف العلوم؛ وصار معيدًا مدرّسًا في النظامية، وتصدّر لإقراء النحو فيها [ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، 1/ 11]؛ وكان يعقد مجالس الوعظ، ولازم العلماء والشيوخ، حتى من المشار إليهم في علمه، وتخرّج به جماعة [الكتبي، فوات الوفيات، 26/ 293]. وتوفّي ببغداد.

تتلمذ الأنباري على شيوخ عصره في علوم الفقه والعربية والأدب والحديث، وقد بدأ بالسماع والتعلّم منذ صغره، فسمع من أبيه في الأنبار، ومن خليفة بن محفوظ المؤدّب أيضًا [الصفدي، الوافي بالوفيات، 18/ 247].

ومن العلماء الأئمة الذين تتلمذ عليهم: الإمام أبو منصور، سعيد بن محمد المعروف بابن الرزّاز (ت 539هـ/ 1144 م)، فقد أخذ عنه الفقه الشافعي في المدرسة النظامية، وأخذ اللغة والأدب على الإمام أبي منصور الجواليقي (540 هـ/ 1145 م)، وقرأ النحو على النقيب الإمام أبي السعادات هبة الله بن علي بن محمد بن الشجري (542 هـ /

1147 م) وعلى غيره، ولم يكن ينتمي في النحو إلّا إليه [القفطي، إنباه الرواة 2/ 170]. وسمع الحديث من أبي منصور محمد بن عبد الملك بن خيرون، وعن أبي البركات عبد الوهاب بن المبارك الأنماطي، ومحمد بن عبد الله حبيب العامري وغيرهم كثير، حتى ذكر له بعض من ترجم له نحو سبعة عشر شيخاً [حاتم الضامن، مقدمة كتاب منثور الفوائد، 5-7].

أما عن تلامذته فهم كثر أيضًا، إذ انتفع به خلق كثير وقد درّس طويلاً بالمدرسة النظامية، وكان يعقد مجالس العلم في داره، وقد أحصى حاتم الضامن من تلامذته ما يزيد على عشرين شخصًا، ومنهم ابن العبريّ، والعتابي النحوي، والمبارك بن الدهّان [مقدمة كتاب منثور الفوائد، 7-9]. ولا شك أن كثرة شيوخه وتلامذته تدل على سعة علمه وفضله، وعظيم أثره في العلم والعلماء.

كان الأنباري متنوّع المعارف والفنون، وبرع في النحو بشكل بيّن، وقد درسه ثم درّسه في المدرسة النظامية؛ وتعلّم الفقه واللغة حتى صار شيخ العراق؛ وقد برع وحصّل طرفًا صالحًا من الخلاف الفقهي بين الشافعية والحنفية، وكتب في معرفة المذاهب [السيوطي، بغية الوعاة 2/ 86؛ وإبراهيم السامرائي، مقدمة تحقيق نزهة الألبّاء، 5 - حاشية 4]؛ وقد حدّث بالسير، وتبحّر في علوم الأدب، وصنّف كتبًا كثيرة، وكان هو نفسه مباركًا، ما قرأ عليه أحد إلاّ تميّز وأصبح عالمًا؛ وانقطع أبو البركات في آخر عمره في بيته مشتغلاً بالعلم والعبادة.

وكان إمامًا ثقة صدوقًا، فقيهًا مناظرًا، غزير العلم، ورعًا ناسكًا، زاهدًا عابدًا، تقيًا عفيفًا، لا يقبل من أحد شيئًا، وظلّ بابه مفتوحًا لطالبي العلم يعلّمهم لوجه الله تعالى [أبو شامة، كتاب فوات الوفيات، 2 / 295].

وكان له شعر في الحثّ على طلب العلم والزهد في الدنيا [الصفدي، الوافي بالوفيات، 18/ 250؛ الكتبي، فوات الوفيات، 2 / 295].

■ آثاره

1 ـ الآثار المطبوعة:

1 ـ أسرار العربية، تح. سيبولد، ليدن، 1886؛ ومحمد بهجة البيطار، دمشق 1957؛ 2 ـ الإغراب في جدل الأعراب ولمع الأدلة، تح. سعيد الأفغاني، دمشق، 1957؛ 3 ـ لمع الأدلة في أصول النحو، تح. عطية عامر، ابسالا، 1963؛ 4 - الإنصاف في مسائل الخلاف، تح. فايل مع تعليقات وشروح بالألمانية، ليدن 1913، ومحمد محيي الدين عبد الحميد، 1953؛ 5 - البلغة في الفرق بين المذكّر والمؤنّث، تح. رمضان عبد التواب، القاهرة، 1970؛ 6 - البيان في غريب القرآن، تح. طه عبد الحميد طه، القاهرة، 1969-1970؛ 7 - حلية العقود في الفرق بين المقصور والممدود، تح. عطية عامر، استكهولم، 1966؛ 8 ـ زينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والظاء، تح. رمضان عبد التوّاب، بيروت 1971؛ 9 ـ شرح بانت سعاد، تح. رشيد العبيدي، مجلة كلية الآداب، بغداد، عدد 18 سنة 1974؛ 10 ـ فوائد الفوائد، تح. حاتم الضامن، مجلة البلاغ، عدد 15،

1979؛ 11 ـ اللمعة في صنعة الشعر، تح. عبد الهادي هاشم، مجلة مجمع دمشق، مج. 30؛ 12 ـ الموجز في القوافي، تح. عبد الهادي هاشم، مجلة مجمع دمشق، مج. 31؛ 13 ـ نزهة الألبّاء في طبقات الأدباء، طبعة حجرية القاهرة 1294هـ، تح. إبراهيم السامرائي، بغداد 1959؛ وتح. عطية عامر، أستوكهولم 1962؛ وتح. أبو الفضل إبراهيم، القاهرة 1967؛ 14 ـ منثور الفوائد، تح. حاتم الضامن، بيروت 1983؛

2 ـ الآثار المخطوطة:

1 ـ شرح السبع الطوال، مكتبة الحرم المكّي الشريف؛ 2 ـ عمدة الأدباء في معرفة ما يكتب بالألف والياء، مكتبة أحمد الثالث بإستانبول، مجموع رقم 2729؛ نسخة بليدن؛ 3 ـ الكلام على عصى ومغزو، مكتبة كوبرلي بإستنبول؛ 4 ـ الوجيز في التصريف، مكتبة الثالث بإستانبول، مجموع رقم 2729.

3 ـ وله مصنفات أخرى تعتبر مفقودة ومنها:

1 - اشتقاق الفعل من المصدر؛ 2 ـ الأضداد؛ 3 ـ الألف واللام؛ 4 ـ ألفات القطع والوصل؛ 5 ـ الإيضاح في النحو؛ 6 ـ الزهرة في اللغة؛ 7 ـ شرح الحماسة؛ 8 ـ شرح ديوان المتنبي...

المصادر والمراجع

● القفطي، إنباه الرواة، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي بالقاهرة ومؤسسة الكتب الثقافية بيروت، 2/ 169 - 171؛ ● ابن خلّكان، وفيات الأعيان، تح. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 3 139-140؛ ● الذهبي، سير الأعلام النبلاء، حقق بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت ط. 1، 1981م، 2/ 86-88؛ ● الصفدي، الوافي بالوفيات، نشر باعتناء أيمن فؤاد سيّد، دار النشر فرانزشتايز فيسبادن، بشتوتغارت، 1408هـ/ 1988م، 18/ 247 - 250؛ ● الكتبي، فوات الوفيات، تح. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 2/ 115- 116؛ ● اليافعي، مرآة الجنان، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 3/ 309؛ ● ابن قاضي شهبة الدمشقي، طبقات الشافعية، تصحيح وتعليق الحافظ عبد العليم خان، ط.1، 1407هـ/ 1987م، عالم الكتب - بيروت، 18/ 247-250؛ ● ابن تغري بردي الأتابكي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية والترجمة والطباعة، 6/ 90؛ ● أبو شامة المقدسي، كتاب الروضتين، تح. إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت ط. 1، 1418هـ/ 1997م، 3/ 100؛ ● السيوطي، بغية الوعاة، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي بالقاهرة، 1964م، 2/ 86 - 88؛ ● ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، مكتبة القدسي بمصر، 4 - 258؛ ● إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين، إستانبول، سنة 1951 منشورات مكتبة المثنى - بغداد، 1/ 519-520؛ ● الزركلي، الأعلام، بيروت، 1969، ط. 3، 4/ 104؛

● كحالة، معجم المؤلفين، مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان، ط. 1، 1414هـ/ 1993م، 2/ 115 - 116؛ ● بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج. 5، تر. رمضان عبد التواب، دار المعارف بمصر، ط. 3؛ دائرة المعارف الإسلامية، ط. جديدة، ج. 1؛ ● جميل علوش، ابن الأنباري وجهوده في النحو، الدار العربية للكتاب، تونس، ليبيا 1981؛ ● دائرة المعارف الإسلامية الكبرى، طهران 1416هـ/ 1995م، 421/ 2.

د. علي توفيق الحمد
جامعة اليرموك - الأردن

ابن الأنباري، أبو بكر محمد بن أبي القاسم

(271 هـ / 884 م - 328 هـ/ 940 م)

هو محمد بن أبي القاسم بن بشار أبو بكر ابن الأنباري نسب إلى الأنبار، وهي بلدة قديمة كانت معروفة على نهر الفرات على بعد عشرة فراسخ من بغداد [ابن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب، 1/ 86]. وهو لغوي نحوي راوية للشعر، نشأ في بيت علم ودراية وكان أبوه القاسم بن محمد بن بشار (ت304هـ/ 916م) عالما اشتهر بمعرفته لعلم الحديث والأخبار واللّغة، أخذ أبو بكر عن أبيه هذه العلوم، وروى عنه القراءة وعن غيره من مشاهير القراء كإسماعيل بن إسحاق القاضي (ت 282 هـ/ 895م)، وأحمد بن الهيثم البزاز، وأحمد بن سهل الأشناني (ت 300 هـ/ 912 م)... وتتلمذ على ثعلب إمام المذهب الكوفي في عصره، وبصفة أعم فقد سمع من كبار علماء بغداد من رجال العقود الأخيرة من القرن الثالث...

وجلس ابن الأنباري للتدريس في سنّ مبكّرة فكان يدرس ويملي في حلقة من المسجد وأبوه في ناحية أخرى منه؛ ولم يعش سوى سبع وخمسين سنة قضاها في التعلم والتدريس والإملاء، واضطلع في السنوات الأخيرة منها بتأديب الأمير عبد الواحد بن المقتدر بتكليف من الخليفة الراضي باللّه.

عرف ابن الأنباري بتضلّعه في نحو الكوفيين وتنوّع معارفه وعنايته بالغريب والرواية، وتجمع المصادر على التنويه بقدرته على الحفظ وسعة ما حفظه من الأشعار وتفاسير القرآن بأسانيدها، فقد قيل إنّه كان يحفظ ثلاثمائة ألف بيت شاهد على القرآن الكريم ومائة وعشرين تفسيرا للقرآن، وكان يملي بدون الاستعانة بدفتر فأقبل الدارسون والرواد على حلقته ومجالسه العلميّة.

وقد تتلمذ عليه عدد كبير من الطلبة صار بعضهم أعلاما في النحو واللّغة والقراءات والأدب، وأشهرهم أبو القاسم الزجاجي وابن خالويه وأبو جعفر النحاس وأبو منصور

الأزهري وأبو علي القالي والمعافى بن زكريا وأبو الفرج الإصفهاني، وأبو عبيد الله المرزباني، وأبو الحسن الدارقطني...

وتشير المصادر إلى إعراضه عن اللهو وزهده وورعه. وقد كان على مذهب أحمد بن حنبل كما كان منقطعا إلى العلم، لا عيال له، ذا مال ويسار؛ ولكنه وصف بالشحّ [إنباه الرواة 3/ 207، الداودي، طبقات المفسرين، 2/ 230-231].

آثاره

صنّف ابن الأنباري عددا من الكتب في اللغة واستعمالاتها ومعاني القرآن وشرح الأشعار تجاوز عددها الأربعين حسب ما أحصاه حاتم الضامن في مقدّمته لكتاب الزاهر:

1 - الزاهر في معاني كلمات الناس، تح. حاتم الضامن، دار الرشيد للنشر، العراق، 1399/ 1979؛ 2 - الأضداد، تح. هوتسمان، ليدين 1882، القاهرة 1907، الكويت 1960؛ 3 - إيضاح الوقف والابتداء، تح. محيي الدين رمضان، دمشق 1971؛ 4 - شرح الألفاظ المبتدآت في الأسماء والأفعال، تح. محفوظ الكريم المعصومي، مجلة المجمع بدمشق، مج. 24، ج. 2 ـ 3؛ 5 - شرح خطبة عائشة أمّ المؤمنين في أبيها، تح. صلاح الدين المنجد، مجلة مجمع دمشق مج. 33، ج. 3؛ 6 - شرح ديوان عامر بن الطفيل، تح. لايل، ليدن 1913، صادر نسخة مصوّرة عن طبعة ليدن؛ 7 - شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، تح. عبد السلام هارون، القاهرة 1963، ط2 1969؛ 8 - مسألة في التعجّب، تح. محيي الدين توفيق، مجلة آداب الرافدين، 5/ 10؛ 9 - الهاءات في كتاب الله، تح. محمد حسن آل ياسين، مجلّة البلاغ، 4-5، بغداد 1976؛ 10 - المذكر والمؤنث، تح. طارق الجنابي، بغداد 1977؛ 11 - شرح غاية المقصود في المقصور والممدود لابن دريد، مخطوط في دار الكتب المصريّة في مجموع رقم 755 مجاميع؛ 12 - قصيدة مشكل اللغة وشرحها، نسختان في دار الكتب الظاهريّة، ونسخة في مكتبة البلدية بالاسكندريّة، وأخرى في جامعة ييل؛ 13 - الأمالي، ذكر الزركلي في الأعلام (7/ 227) أنّه اطّلع على قطعة منها كتبت في المدرسة النظاميّة؛ 14 - كتاب غريب الحديث، قيل إنّه أجلّ كتبه كما قيل إنّه خمس وأربعون ألف ورقة أملاه من حفظه [معجم الأدباء، 18/ 412]، وذكر ابن النّديم أنّه لم يتمّه [الفهرست، 82]؛ 15 - شرح غريب حديث أم زرع، وكان معروفا في الأندلس [تاريخ التراث العربي 8، 1/ 275]؛ 16 - كتاب خلق الفرس، والكتابان يغلب أن يكونا لأبيه ونسبا إليه اختلاطا [تاريخ التّراث العربي 8، 1/ 274]؛ 17- الواضح في النحو؛ 18. شرح شعر الأعشى؛ 19 - شرح شعر النّابغة؛ 20 - شرح شعر زهير؛ 21 - كتاب شعر الرّاعي.

المصادر والمراجع

● ابن النّديم، الفهرست، بعناية يوسف علي الطويل، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، ط. 1416هـ/ 1996م، 2/ 119-120؛ ● الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، دار الكتاب العربي، بيروت، 3/

181-186؛ ● الأنباري، أبو البركات، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تح. إبراهيم السامرائي، مكتبة الأندلس - بغداد، ط. 2، 1970م؛ ● ياقوت الحموي، معجم الأدباء، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، 17/ 306-313؛ ● القفطي، إنباه الرواة، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، مؤسسة الكتب الثقافيّة، بيروت، دار الفكر العربي القاهرة، 3/ 201-208؛ ● الصفدي، الوافي بالوفيات، نشر فرانز شتاتين، فيسابدن 1974م، 4/ 344-345؛ ● القاضي التنّوخي، تاريخ العلماء النحويين من البصريّين والكوفيّين وغيرهم، تح. عبد الفتاح محمد الحلو، طباعة ونشر إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميّة - الرياض، السعودية، 1401هـ/ 1981م، 178-1801؛ ● أبو الفداء، البداية والنهاية في التاريخ، مطبعة السعادة بمصر، 4/ 344-343؛ ● السيوطي، بغية الوعاة، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة السعادة بمصر، 1/ 166؛ ● الذهبي، تذكرة الحفاظ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 4/ 842-844؛ ● بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبد الحليل النجار، دار المعارف بمصر 1961، 1/ 214-216؛ ● دائرة المعارف الإسلاميّة، ط. ج. المجلد واحد، فصل، الأنباري أبو بكر؛ ● دائرة المعارف الإسلاميّة الكبرى، طهران 1416/ 1995، 2/ 417.

د. توفيق الحمد
جامعة اليرموك - الأردن
د. خالد ميلاد
جامعة تونس

الأنباوي، جعفر بن أحمد بن يحيى

(573 هـ/ 1211م - 573 هـ/ 1211م)

جعفر بن أحمد بن يحيي بن عبد السلام البهلولي الأنباوي (والبهلولي نسبة إلي قبيلة بني بهلول، والأنباوي نسبة إلى الأنباء - أنباء فارس). هو من أبناء فارس الذين خرجوا مع الملك سيف بن ذي يزن الحميري، كان مولده في إحدى قريتي الفرس أو الأنباء من السرسر، ولم تحدّد المصادر تاريخ مولده [السلوك، ج 1، حاشية1، ص297]. كان أبوه أحمد بن عبد السلام عالم الباطنيّة وحاكمها وخطيبها، نشأ القاضي جعفر على مذهب أبيه، ثمّ تحوّل إلى مذهب الزيدية المخترعة (التي تقول إنّ اللّه يخترع الأعراض في الأجسام)، بتأثير من الإمام أحمد بن سليمان الذي كان قد بدأ في شنّ حرب على المطرفية. ولما قدم زيد بن البيهقي من خراسان إلى اليمن - بتكليف من الشريف

علي بن عيسى بن حمزة السليماني رئيس العلماء في مكّة لصدّ أهل اليمن عن اعتناق مذهب المطرفيّة بعد أن انتشر فيهم ـ أخذ عنه الإمام أحمد بن سليمان والقاضي جعفر في هجرة «محنكة» من بلاد خولان بن عمرو [هجر العلم، ج2، ص 955-956].

ثم عزم القاضي جعفر على السفر مع البيهقي إلى العراق للاستزادة من العلم والمعرفة، ولكن البيهقي توفّي في تهامة، ولم تثن وفاته عزم القاضي جعفر عن مواصلة سفره، وقد أخذ في العراق عن القاضي أحمد بن أبي الحسن الكنّي تلميذ البيهقي، ووجد من بقي من الزيدية في العراق قد تحوّلوا إلى الاعتزال بعد أن انتشر في تلك الأصقاع [هجر العلم، ج 2، ص 656؛ السلوك، ج 1، حاشية 1، ص 297]، فتفقه بشيوخ هذا المذهب. أمّا سبب ذهاب القاضي جعفر إلى العراق فهو ما حدث في اليمن من الافتراق بين الزيدية الأوّلين الذين كانوا على مذهب زيد بن علي والهادوية المتأخرين، وهم الذين انقطعت صلتهم بمذهب زيد. وما حصل أيضًا بين الشافعية في اليمن الأسفل من الاختلاف بين عقائد الحنابلة والأشاعرة. ولما عاد القاضي جعفر من العراق سنة 554 هـ حمل معه كثيرًا من كتب المعتزلة، لذلك فإن الفضل يعود له في حفظ ذلك التراث العظيم في اليمن، ولم تعرف في اليمن قبل إخراجه لها [هجر العلم، ج 2، ص 956؛ السلوك، ج 1، ص 297؛ تاريخ اليمن، حاشية رقم 1، ص 258]. وكذا بعض كتب الأمالي، وأخذ يدرّس مذهب الاعتزال في سناع، فشقّ ذلك على المطرفيّة، فدعوه إلى المناظرة، فوافق على أن يكون ذلك بين يدي الإمام أحمد بن سليمان، فلم يقبلوا، وذهب إلى وقش، فقام في وجهه أبو العمر مسلّم بن محمد اللحجي من أهل شطب، والفقيه يحيى بن الحسين، فعاد إلى سناع، ثمّ أخذ في التدريس في جانب من المسجد وعلماء المطرفية يدرسون في الجانب الآخر، ووقع بينهم خصام ومهاترة، وذهب القاضي جعفر إلى اليمن الأسفل لنشر الاعتزال هنالك، وقد ناظره علي بن عبد الله الهرمي نيابة عن الإمام العمراني، وجرت المناظرة أمام الشيخ المسكيني. وقد اختلف مع الإمام العمراني، وكتب هذا الأخير كتابا للردّ عليه أسماه «الانتصار في الردّ على القدرية الأشرار»، وأجاب القاضي جعفر على الإمام العمراني بكتاب سمّاه «الدافع للباطل من مذهب الحنابل» [هجر العلم، ج 1، ص 956-957].

آثاره

للشيخ جعفر آثار عديدة منها الكتب ومنها الرسائل المختصرة، وهي على النحو التالي: 1 - إبانة المناهج في نصيحة الخوارج ضمن مجموع؛ 2 - أركان القواعد في الردّ على المطرفية؛ 3 - الأحياء على شهادة الإجماع؛ 4 - الإبدار والإيراد؛ 5 - إنارة السراج؛ 6 - إيضاح المنهاج؛ 7 التابعة في الأدلّة القاطعة؛ 8 - تحكيم الإنصاف؛ 9 - تعديل شهادة الإجماع؛ 10 - تقويم المائل وتعليم الجاهل في الردّ على المطرفيّة؛ 11 - التنبيه على مسائل الرشاد؛ 12 - تيسير المطالب إلى أمالي أبي طالب؛ 13 - خلاصة الفوائد؛ 14 - الدافع للباطل من مذهب الحنابل؛

15 - الرافعة بالتنبيه بشبهات التمويه؛ 16 - الدلائل الباهرة في المسائل الظاهرة؛ 17 - شهادة الإجماع؛ 18 - الصراط المستقيم في تمييز الصحيح من السقيم. ويمكن أن تذكر من الرسائل؛ 19 - الرسالة الناصحة؛ 20 - الرسالة الفاتحة؛ 21 - الرسالة القاهرة؛ 22 - الرسالة المطبعة، وغيرها، وهي كثيرة تعدّ بالعشرات. وله كذلك عديد التآليف في نكت العبادات وجمل الزيادات في الفقه، وكذلك في المسائل الإلهية والمسائل العقلية والمسائل النبوية القاسميّة والمسائل الهادوية والمسائل الشافعية، وغيرها [هجر العلم، ج 2، ص 957-1958].

المصادر والمراجع

● زبارة، محمد بن محمد، نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف، تح. مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء.؛

● عمارة اليمني، نجم الدين، تاريخ اليمن، المسمّى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد، تح. الأكوع الحوالي، المكتبة اليمنيّة للنشر والتوزيع، ط3، 1985؛

● الجندي السكسكي، السلوك في طبقات العلماء والملوك، تح. الأكوع الحوالي، مكتبة الإرشاد صنعاء، ط 1، 1993؛

● البريهي، عبد الوهاب بن عبد الرحمن، طبقات صلحاء اليمن المعروف بتاريخ البريهي؛ تح. الحبشي، مركز الدراسات والبحوث، صنعاء؛ ● الأكوع الحوالي، هجر العلم ومعاقله، دار الفكر المعاصر، بيروت.

صلاح علي بن مدشل

جامعة حضرموت ـ اليمن

إنجبنان بن أتشغ المختار

(... هـ / ... م - القرن 12 هـ/ 18 م)

سيد بن أتشغ المختار الملقب انجبنان بن محمذن الشريف الشمشوي، أمّه خديجة بنت محمد ساعيد. المعروف من تاريخ ولادته أنّه ولد في النصف الأوّل من (ق 12 هـ / 17 م)، وتوفّي في نهاية (ق12هـ / 18 م)، ودفن بمكان «أمّ الطبل» (20) كلم جنوب إديني مقاطعة واد الناقة، يقول المختار بن جنكي في نظم المقابر:

وسيد نجد العالم انجبنان
بغور أم الطبل باليماني

نشأ سيدي في حضن والده العلاّمة انجبنان الذي درس عليه مختلف الفنون التي تدرس في المحاظر الموريتانيّة، ولم يعرف عنه شيخ غير والده، لأنّ محظرة والده انجبنان كانت من مشاهر المحاظر الموريتانيّة، وقد تخرّج منها

كثير من العلماء مثل المختار بن بون الذي كان يقرأ مع سيدي وكان دولته في النحو.

وقد عرف من تلامذة سيدي سميّه سيدي بن محمد السعيد.

كان سيد عالما صالحا عابدا مجاب الدعوة معروفا بنجاح رقيته، وكان خليفة والده انجبنان وشيخ تلامذته علميا وروحيا.

■ آثاره

مخطوطات تركها بخطّه ما زال يوجد منها:

1 - الذهب الإبريز في تفسير كتاب الله العزيز لمحمد اليدالي بن سعيد

2 - القاموس المحيط لمجد الدين الفيرزابادي، توجد هذه المخطوطات في مكتبة أهل أبياه.

3 - له مؤلّفات لم يعرف منها غير ما ذكر الشيخ محمد عالي (مع) في تأليفه في الجيم فقد ذكر أنّ لسيدي شرحًا للتسهيل قال إنّه من أحسن ما رأى من شروح التسهيل.

■ المصادر والمراجع

1 - الكتابية:

● الشيخ مع، تأليف الجيم؛ ● المختار ابن جنكي، نظم المقابر؛ ● المختار بن حامد، الموسوعة؛

2 ـ الشفهية:

● الشيخ محمد السعيد بن محمد بن أبياه.

د. أحمد بن محمد يحيى
جامعة نواكشوط - موريتانيا

■ ابن أنْجَبْنَان، عبد الودود بن عبد اللـــه بن أحمد ■ ■ ■

(... هـ / ... م - 1268 هـ / 1851 م)

عبد الودود بن عبد الله بن أحمد بن أنْجَبْنانْ الألْفَغِيِّ الشَّمْشَوِيّ، «نحوي شهير انفرد به من غير نكير، وأوضح للناس أسراره وأعلى مناره.. وبلغ مبلغًا لم يبلغه غيره في عصره» كما نعته صاحب الوسيط، فهو إذن واحد من كبار نحاة بلاد شنقيط وعلمائها، تواتر مترجموه على أنه «كان غاية في الذكاء، والدقة في البحث؛ فبالرغم من أنه توفي في سن مبكر قبل بلوغه الأربعين، فقد انتشر صيته وعلمه، وانتظمت حوله محضرة مشهورة، وشاعت أنظامه وقصائده، ومؤلفاته، وكان كل نشاطه مرتكزا على علوم اللغة والنحو» [تاريخ النحو، 592].

نال عبد الودود قسطًا غير قليل من عناية من كتبوا في تراجم الأعيان والثقافة الشنقيطية بوجه عام؛ فقد ترجم له صاحب الوسيط، وابن حامد، وخصص يحيى بن البراء فصلا لمدرسته وترجمته، كما ترجم له ولد أبّاه مُركّزًا على أنظامه وكتابه «روض الحرون»، وغير هؤلاء. ومع ذلك فأخباره ضائعة، فلا يُعرفُ تاريخ محدد لميلاده، وتضاربت

الروايات حول عمره وإن تظاهرت على أنه لم يُعمَّر طويلا وأنه عاش في صدر القرن الهجري الثالث عشر. ويذكر بعض مترجميه على وجه التقريب والترجيح أنه ولد سنة 1238هـ/ 1822م، وعاش 30 سنة فتكون وفاته سنة 1268هـ/ 1851م.

وهو ابن عم الألفغيين، معدود منهم، تربى في بيت مشهور بالعلم والتعليم، فجده انجبنان -أو ابنه سيدي- هو صاحب كتاب «شافي الغليل»، وشيخ محضرة ذات صيتٍ توارد عليها طلاب العلم، ودُرست بها مختلف العلوم المتداولة في ذلك العصر، مع اهتمام خاص بالنحو وعلوم اللغة، واتّصلت حلقة تدريس الجد بحفيده صاحب الترجمة الذي كان موصوفًا بالنباهة والذكاء وحدة الطبع.

وقد نهض للدرس في حداثة سنه، ولا يعرف الكثير عن أشياخه، سوى ما تذكر المصادر من تردّده على لُلاّ الفاضل الشقْرَوِيّ (ت 1273هـ/ 1856م) الذي كان يدرّس في أولاد أشْفغَ حَيْبَلَّهْ، وأخذِه عنه ألفية ابن مالك بطرة بن بونا. كما تشير إلى أخذه الطريقة القادرية على يد الشيخ سيديا الكبير (ت 1283هـ/ 1866م) وتردّده عليه، ومدائحه فيه.

وجلس للتدريس وهو في سن الشباب، وقامت مدرسته التي وصفت بالتخصّص والعمق، على ركيزتين هما: النحو وعلوم اللغة، فكان بذلك استمرارا وتطوّرا طبيعيين للمدرسة البُونيّة في اثنين من أهمّ جوانبها. وممّن عرفوا بالأخذ عن المترجم: محمد عالي (مَع) بن سيدي بن سعيد الألفغيّ (ت1310هـ/ 1892م). والحسن بن زَيْن القُنانيّ (ت 1315هـ/ 1897م).

آثاره

لم يمنع قِصَرُ المُدّة التي عاشها صاحبنا واشتغاله بالتدريس من إسهامه في حركة التأليف النشطة يومئذ ببلاده، فترك عددا من التصانيف التي وُسمت بالخروج عن المألوف، وبنزعتين بارزتين هما: الدراسة الأكاديمية المتخصّصة والدراسة التاريخية الأدبية.

وهذه الآثار متفاوتة من حيث القيمة العلمية والمنهجية، تصل إلى درجة الجودة والإتقان وتهبط إلى مستوى النظم المألوف للمسائل النحوية، وأهمّها:

1- مآسد العرب، أربع ورقات من الحجم الكبير، تحدث فيه عن الأماكن التي تكثر فيها الأسود في شبه الجزيرة العربية منتحيا في ذلك نهجا إحصائيا؛ 2- نظم في تاريخ الأدب، يهتمّ بتاريخ أعلام الشعراء والأدباء العرب؛ 3- أسواق العرب؛ 4- أسئلة فقهية، موجّهة إلى محمذ فال بن مَتّالي؛ 5 منظومة في العروض؛ 6- كتاب روض الحرون من طرة ابن بون؛ وله أشعار يغلب عليها الطابع التعليميّ [مقدمة تحقيق «روض الحرون»].

ويعتبر «روض الحرون» أهم أعمال الرجل وأشهرها، وهو نوع من القراءة للطرة التي وشّح بها ابن بونا جامعه في النحو، فمن المعلوم أن «الطرة» قامت على قدر كبير من الاختصار وضغط المادة «في جُمل مختصرة تتكرّر فيها مصطلحات تشير إلى مواضع الإطلاق والتقييد، ومحالّ الوفاق والخلاف،

وتبيّن الاستعمالات الشاذة والنادرة والمؤوّلة» حتّى غدت الطرة أشبه ما تكون «بعقبات الحواجز التي توضع عن قصد في ميادين السباق، واجتيازها يستدعي تمرُّسا في مقاصد النحاة وتمرّنا على البحث في تذليل صعوباتها» [تاريخ النحو، ص573].

وكان عبد الودود بكتابه هذا أوّل من تصدّى للطرة يفتح مُقْفَلَها ويفكّ رموزها ويترجم طلاسمها. والكتاب مكوّن في الواقع من قسمين:

أ - تكميل وتفسير الطرة، حيث توقف عند مصطلحات الإطلاق، والأظهر، والمختار، والجعل، والتخريج.. ليبين الوجه المخالف المفهوم ضمنا، وهو بذلك يكمل نقص الطرة ويفسر مبهمها.

ب - تقويم الطرة ونقدها، حيث شكك في بعض فقراتها التي لم يعثر عليها في مراجعه، فرفضها أحيانا معللا بأنها من وضع الناس، وصوب بعض ما بدا له مختلا من عباراتها.

وبذلك جاء الكتاب سردا لما يمكن أن تثير الطرة من مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، يستعرضه المؤلّف في غلالة من الحياد لا تخفي ميله إلى آراء البصريين التي ينتمي إليها أشياخه، وقد كانت شخصيته حاضرة رغم طابع السرد والنقل الذي اعتمده منهجا، فكان ربما تدخل مرجحا، مضيفًا من عنده أحيانا بعض المواقف يستمدها من معلوماته الخاصة في غير قليل من الاعتداد بالنفس [مقدمة تحقيق «روض الحرون»]..

ومع أنّ عبد الودود قال عن كتابه هذا: «.. لم أجمع ما في هذه الورقات لجهابذة العلماء الراسخين في العلم، وإنّما دعاني إليه إعانة المبتدئين..»، فإن ذلك لم يمنع الباحثين من تصنيف الكتاب على أنه: «بحث أكاديمي متخصّص موجه للنخبة المثقّفة.. يعبر عن كثير من الترف في البحث النحوي حيث ينصبّ على الخلافات والاحتمالات المتشعّبة في مسائل النحو على غرار «الإنصاف في مسائل الخلاف» لابن الأنباري.» [مقدمة تحقيق «روض الحرون»].

كما نوّهوا بما عليه الكتاب من إحكام منهجيّ، ورأوا أنه «سد فراغا في المدرسة النحوية الموريتانية» واعتمده العلماء للتدريس فيها حتّى صار «لا يستغني عنه نحوي هناك» على حد عبارة صاحب الوسيط. «لأنه رسم لشيوخ المحاضر دائرة خطة الدرس، وبيّن أوجه الخلاف وأسس للاختيار الذي اعتمده ابن بونا. وفتح الطرق أمام الأنظام التي انطلقت في روضه، واتسعت مع الحسن بن زين وابن عبدم». كما يستخلص ابن أباه في تقويمه للكتاب.

وممّا يبرز مدى الاهتمام الكبير بهذا الكتاب عقدُه بالنظم أكثر من مرّة؛ فقد نظمه محمد الأمين بن أبي المعالي اليعقوبي (ت 1330هـ/ 1911م)، وابن عَبْدَمُ الدَّيْمانيّ (ت 1286هـ/ 1869م)، ومحمد بن محمد ابن المختار الديماني تلميذ ابن عبدم.

المصادر والمراجع

● الشنقيطي، أحمد بن الأمين، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، الخانجي بمصر، ط2، 1958م، ص 372-374؛ ● ابن انجبنان، عبد الودود بن عبد الله، روض

الحرون من طرة ابن بون، تح. محمد الأمجد بن أبات، ومحمد الأمين بن محمد محمود، مرقون بالمدرسة العليا للأساتذة والمفتشين، نواكشوط، 1982 1983، [مقدمة التحقيق، وعليها كان جُلّ اعتمادنا]؛ ● ابن حامد، المختار، حياة موريتانيا، جزء الألْفَيين، مرقون بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي، نواكشوط؛ ● ابن البراء، يحيى، ألفية ابن مالك وأثرها في الثقافة الموريتانية، مذكرة تخرج مرقونة بالمدرسة العليا للتعليم، نواكشوط، 1984-1985؛ ● النحوي، الخليل، بلاد شنقيط، المنارة.. والرباط، تونس 1987م، ص522؛ ● ولد أباه، محمد بن المختار، تاريخ النحو العربي في القديم والحديث، إيسيسكو، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، ط. الأولى، 2001، ص591-600.

د. محمد محمود بن ضذفه
جامعة نواكشوط - موريتانيا

ابن إندراس، محمد بن أحمد بن محمد

(... هـ/ ... م - 674 هـ/ 1275م)

محمد بن أحمد بن محمد الأموي. المعروف بـ«ابن إندراس» وصحّفته العامّة بـ«ابن الدارس». له ثلاث كُنى: أبو القاسم، وأبو عبد الله وأبو يعقوب. الشيخ، الفقيه، الحكيم، من أهل مُرسيّة بالأندلس.

كان جامعا بين علوم الدين وعلم الطبّ. فكان عارفا بالعربية وأصول الدين، له مشاركة حسنة فيها وفي غيرها. وفي علم الطبّ، كان متقدما، مجيدا، حاذقا. وبهذا العلم اشتهر.

رحل من بلده مرسية. ومرّ بالمغرب الأقصى، فأقام بطنجة، ثمّ انتقل إلى بجاية في حدود سنة 660 هـ / 1962 م، فأقام بها، وتولّى تطبيب الولاّة بها. ولمّا ذاع صيته في الطبّ وسمع به السلطان الحفصي المستنصر محمد ابن يحيى، استدعاه إلى تونس، واتخذه من جملة أطبّائه وجلسائه.

عرف ابن إندراس بحدّة الذهن، وجودة البحث، وحسن النظر، والتبسيط في الدرس، عند إقرائه للكتب.

أقرأ ببجاية «قانون أبي موسى الجزولي» في النحو، و «أرجوزة ابن سينا»، في الطب، و«كلّيات القانون» وهي أيضا لابن سينا في الطب. وكانت أبحاثه في كلّ ذلك جارية على القوانين النظرية، والاستدلالات الجلية. وقد وصف تلميذه أحمد الغبريني إقراءَهُ لأرجوزة ابن سينا، بأنه كان يجري فيها من الأبحاث ما تعجز الكتب عنه. وقال عنه إنّه كان إذا سئل عن مسألة في الطبّ، كثيرا ما يتوقّف عن الجواب إلاّ بعد النظر، على عادة حذاق الأطبّاء.

وممَن أخذ عنه ببجاية الفقيه أبو العباس أحمد الغبريني، والفقيه أبو عبد اللـه بن يعقوب، والفقيه الطبيب أبو بكر بن القلاس، وتوفي ابن إندراس بتونس سنة 674 هـ/ 1275 م.

آثاره

1 - أرجوزة في الطبّ، نظم بها بعض الأدوية؛ 2 - نظم «الأدوية المفردة» من القانون لابن سينا. وقد استعان فيها بتلميذه أحمد الغبريني الذي نظم له بعضها.

المصادر والمراجع

● الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت 1986، ط 7، 5/ 323؛ ● الغبريني، أحمد، عنوان الدراية، تح. رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1981، ص101-102؛ ● كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، مطبعة الترقي، دمشق، 1380 هـ/ 1960، 8/ 318؛ ● محفوظ، محمد، تراجم المؤلفين التونسيين، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1982، ط 1، 1/ 70؛ ● المراكشي، أبو عبد اللـه محمد الأنصاري، الذيل والتكملة، تح. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت 1973، ط 1، 6/ 64.

الحبيب بن طاهر
وزارة الشؤون الدينية - تونس

الأندرشي، ابن البلنسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد

(544 هـ / 1149م - 621 هـ/ 1224 م)

أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن عبد اللـه، يُعرف بابن اليتيم وابن البلنسي وبالأندرشي، محدّث وعالم بالقراءات. أندلسي من أهل المرية Almeria، وأصله من مدينة بلنسية Valencia. ولد يوم الأحد الخامس من شوال عام 544هـ، وسمع منذ صغره الحديث النبوي الشريف عن أبيه العباس وأكثر عنه. وطاف في عدد كبير من مدن الأندلس، بحثا عن السماع، وملاقاة الشيوخ. فقد رحل إلى بلنسية في رجب من سنة 562هـ/ 1166م، ولقي فيها أحد كبار مقرئيها أبا الحسن بن هُذيل، ولقي أيضًا أبا الحسن بن النعمة، وأبا محمد بن عاشر، وأبا عبد الله بن سعادة. وفي مرسية Murcia لقي أبا القاسم بن حبيش، وفي مالقة Malaga لقي أبا إسحاق بن قُرقُول، وأبا عبد الله بن الفخّار، وأبا عبد اللـه الإستجي الخطيب السهيلي. ولقي عددًا آخر من شيوخ الأندلس في مختلف المدن الأخرى، مثل أشونة Osuna، وقرطبة Cordoba، وغرناطة Granada، وكاتب من لم يستطع أن يلقاه في بعض المدن الأخرى، مثل إشبيلية Sevilla، حيث كتب إليه منها أبو إسحاق بن فرقد.

وللأندرشي رحلة طويلة خارج الأندلس في طلب العلم، ابتدأها سنة 566 أو 567هـ/ 1170 م أو 1171 م، شملت المغرب وشمال إفريقيا، ومصر، والحجاز، والعراق، وبلاد الشام. وبعد رجوعه من هذه الرحلة، تولّى مناصب متعدّدة، منها القضاء بدلاية Dalias، التي تقع في محافظة المرية الحالية، ثمّ تولّى الخطبة في المسجد الجامع بقصبة المرية، وكذلك تولّى القضاء في أَنْدَرَشْ Andrax، ربّما لمدّة طويلة، ولهذا لقب بالأندرشي.

لقي الأندرشي في رحلته عددًا كبيرًا من الشيوخ، الذين كان يقصدهم في كلّ بلد يحلّ به، سواء كان في الأندلس أم المغرب أم المشرق. وعدد هؤلاء الشيوخ الذين لقيهم وأجازوا له يزيد عن مائة شيخ، وقد أشرنا إلى بعضهم في الأندلس، ونذكر قسمًا آخر منهم في مختلف المناطق التي حلّ بها، ففي مدينة فاس لقي أبا الحسن بن حنين، وسمع منه الموطأ وأجاز له.وفي بجاية لقي أبا محمد عبد الحق الإشبيلي وسمع منه، وسمع في المهدية من قاضيها أبي يحيى بن الحداد، وبالأسكندرية من أبي محمد العثماني، وأبي طاهر السلفي، وأبي عبد الله الحضرمي، وبالقاهرة من أبي محمد عثمان بن فرج. ولقي بمكّة عددًا كبيرًا من الشيوخ، منهم أبو محمد المبارك بن الطباخ. وببغداد أبا الفرج الجوزي، وشُهْدة بنت الأبري. وبدمشق أبا القاسم بن عساكر صاحب تاريخ مدينة دمشق،وبالموصل أبا الفضل عبد الله بن عبد القادر الطوسي، وأبا الفتح نصر بن عبد الملك السري الموصلي.

وقد روى عن الأندرشي بالمشرق والأندلس عدد كبير من العلماء الذين التقوا به، وأخذوا عنه، أشار ابن عبد الملك المراكشي إلى نحو عشرين رجلا منهم [الذيل والتكملة، 6/ 479]، ممّا يدلّ على غزارة علمه وإقبال طلبة العلم عليه. لقد كان الأندرشي معدودًا في المجوّدين من مقرئي القرآن، حسن التصرّف في طريقة الحديث، برّ المعاملة، جميل العشرة، كريم الأخلاق، عدلاً، ثقةً فيما يرويه. ومع هذا فقد غمره بعض منافسيه بالاضطراب في روايته. ويبدو أن هذا محض اتّهام، لا ينبغي الالتفات إليه. ولو كان ذلك صحيحا لما أخذ عنه جلّة العلماء في المشرق والمغرب والأندلس، ووثقوه، واستجازوه، أمثال أبي سليمان بن حوط الله، الذي هو من أقرانه بالأندلس. وكذلك أصحاب أبي عبد الله محمد بن الأبار، الذي طلب هو الآخر من الأندرشي أن يجيزه في جميع روايته، فتمّ له ذلك في شعبان سنة 610هـ/ 1213م. وقد استمرّ هذا العالم بالعطاء إلى أن وافته المنيّة في 18 ربيع الأوّل عام 621هـ/ 1224م في طريقه إلى مالقة، فنقل جثمانه إلى المري، حيث دفن بجانب والده بمقبرة باب بجانة.

المصادر والمراجع

• المنذري، التكملة لوفيات النقلة، تح.بشار عواد معروف، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي، 1975هـ، 5/ 201، الترجمة 2009؛ • ابن الأبّار، التكملة لكتاب الصلة، نشر عزّت العطار الحسيني، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1955-1956م، 2/ 613-615؛ • المراكشي، ابن عبد

الملك، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تح. إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، 1973، 6/ 44-48؛ ● الذهبي، تاريخ الاسلام، الطبقة 63، تح بشار عواد معروف وشعيب الأرناؤوط وصالح مهدي عباس، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1988م، ص66؛ ● الذهبي، سير أعلام النبلاء، تح. بشار عواد معروف ومحيي هلال السرحان، ط3، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1986م، 22/ 250-252؛ ● الصفدي، الوافي بالوفيات، باعتناء هلموت ريتر، ط2، طهران، 1961، 2/ 116؛ ● ابن حجر، لسان الميزان، ط2، بيروت، مؤسسة الأعلمي، 1971م، 5/ 50؛ ● ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ط2، بيروت، دار المسيرة، 5/ 95-96 .

د. عبد الواحد ذنــون طه
جامعة الموصل - العراق

الأندرشي، أبو العباس أحمد بن سعد

(... هـ / ... م - 750 هـ / 1349 م)

أبو العباس أحمد بن سعد بن محمد القرشي العسكري الأندرشي العكّري الصوفي، نحوي، مفسر، وعالم بالقراءات. أصله من مدينة أندريش (Andrax) من أعمال المرية Almeria بالأندلس، مولده بعد سنة 690 هـ/ 1291 م، وقد تلقى تعليمه الأولي بهذه المدينة، ثم قرأ القراءات والعربية على الإمام أبي عبد الله محمد بن عثمان القرشي الأندرشي، وأخذ العربية أيضاً عن الأستاذ القاسم بن عبد الكريم بن جابر الغرناطي. كما قرأ بأندرش أيضاً على القاضي القاسم بن أحمد بن جابر، وتفقه به، وتولى نيابة القضاء عنه في هذه المدينة. وقرأ بالمرية على الأستاذ أبي الحسن بن أبي العيش، ودرس في مالقة (Malaga) القراءات على أبي عبد الله محمد ابن محمد بن عمر الطنجي الهاشمي. ويبدو أن الأندرشي كان يحفظ قصيدة حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع للسبع المثاني، المعروفة بالشاطبية، لمؤلفها أبي القاسم بن محمد بن فيرة الشاطبي الضرير المتوفى سنة 590 هـ / 1194 م، والمؤلفة من 1173 بيتاً، فقد عرضها على شيخه أبي عبد الله الطنجي في جامع مالقة. كما قرأ أيضاً بعض القراءات على أبي جعفر أحمد بن الحسن الكلاعي. وقد أراد الأندرشي أن يستزيد من طلب العلم، فقرر الرحلة إلى المشرق في سن مبكرة، فغادر الأندلس في سنة 717 هـ / 1317 م، واستقر لفترة في مصر، قبل أداء فريضة الحج، التي كانت ولا شك، أحد أهداف رحلته المشرقية التي انتهت باستقراره في بلاد الشام، وعدم العودة نهائياً إلى الأندلس.

وفي مصر درس أحمد الأندرشي النحو على شيخ النحاة، أبي حيان محمد بن يوسف بن علي الأندلسي الجياني، الذي جاء من الأندلس واستقر في مصر، وتوفي فيها سنة 745 هـ / 1344 م. وقد عرض الأندرشي على أبي حيان كتاب تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، في النحو للشيخ جمال الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بابن مالك الطائي الجياني النحوي المتوفى سنة 672 هـ / 1273 م. وبما أن أبا حيان النحوي كان أيضاً شيخاً من شيوخ التفسير، فقد أخذ عنه هذا العلم أيضاً، الأمر الذي سيكون له نتائج في مستقبل حياته العلمي، يؤهله للتأليف في هذا الموضوع. ولسنا نعرف مدة إقامته في مصر، ولكنها على الأغلب لم تكن قصيرة، لأنها مكنته أيضاً من تلاوة القرآن الكريم بالسبع على تقي الدين محمد بن أحمد المشهور بابن الصائغ، شيخ قراء مصر، ومسندهم المتوفى سنة 725 هـ / 1324 م [الصفدي، أعيان العصر، 4/ 251].

إن شهرة الأندرشي العلمية، تعود بالدرجة الأولى، بعد وصوله إلى مدينة دمشق، التي اتخذها موطناً ومستقراً دائماً لمدة تقرب من ثلاثين سنة، حتى وفاته. وقد قصدها في بداية الأمر للاستزادة في طلب العلم، حيث توجه إلى كبار علمائها للأخذ عنهم، ومنهم الشيخ علاء الدين علي بن محمود القونوي الصوفي المتوفى سنة 749 هـ / 1348 م، الذي كان على رأس مشيخة شيوخ دمشق. وسمع الأندرشي الحديث من القاسم بن عساكر، وغيره. لذلك فقد أصبح مؤهلاً لأن يأخذ عنه طلبة العلم، فتصدر للإقراء بالجامع الأموي، وشغل الناس، وكتب كثيراً بخطه [ابن رافع، الوفيات، 2/ 129]. وأصبح مجلسه يجذب كبار علماء العصر، أمثال شمس الدين محمد ابن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى سنة 748هـ/ 1347م، الذي جالسه وقال عنه في المعجم المختص بمحدثي العصر، أنه شيخ العربية في دمشق، وتخرج على يديه علماء، وكان ديناً منقبضاً عن الناس، شارك في الفضائل، وبرع في العلوم [تاريخ قاضي ابن شهبة، 2/ 677].

كذلك أشار معاصره صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي المتوفى سنة 764هـ/ 1262، إلى براعته في علم النحو، وورعه وانعزاله عن الناس، دون أن يعير أي اهتمام أو ملاحظة لما يجري حوله من أحداث سياسية في بلاد الشام آنذاك. وهو يورد ملاحظة تدل على اعتزاله، وتكريس وقته للعلم والدراسة والتأليف، في بيته الواقع في الجامع تحت المئذنة الشرقية. فيشير إلى لقاء جمع بينه وبين الأندرشي في مجلس قاضي القضاة تقي الدين محمد بن عبد اللطيف بن يحيى السبكي المتوفى سنة 744هـ/ 1343م، فجرى الحديث عن عزل الأمير تنكز بن عبد الله سيف الدين أبي سعيد نائب دمشق (712-739هـ/ 1312-1338م)، الذي تم قبل نحو خمس سنوات، فاستغرب الأندرشي، وقال مستفهماً: وهل أمسك تنكز؟ « فقيل له: نعم، وجاء بعده أربعة نواب. فقال الأندرشي: « ما علمت بشيء من هذا، وما في ذهني أن تنكز أمسك» [أعيان العصر، 1/ 216-217].

آثاره

يشير عماد الدين إسماعيل بن عمر المعروف بابن كثير المتوفى سنة 774هـ/ 1372م، كما ينقل عنه ابن قاضي شهبة، إلى أن الأندرشي ألف مصنفات في النحو وفي التفسير، وغير ذلك، وأنه كان نقالاً في النحو، يحفظ كثيراً من الشواهد والمثل، حتى أنه سمع من يفضله على شيخه أبي حيان في الحفظ وكثرة النقل. وعلى أي حال فقد اتفق معظم من ترجم له، على براعته في النحو، ويدل على هذا قيامه بشرح كتاب تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، للشيخ جمال الدين بن مالك الطائي الجياني النحوي، في أربعة مجلدات شرحاً حسناً. كما قام أيضاً بنسخ واختصار كتاب تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للحافظ جمال الدين يوسف بن الزكي المزي المتوفى سنة 742هـ/ 1341م. وقد أشار حاجي خليفة إلى هذا المختصر باسم العمدة في مختصر تهذيب الكمال والأطراف، [كشف الظنون، 2/ 1170]. كذلك شرع الأندرشي في كتابة مؤلف كبير خاص بتفسير القرآن الكريم، كرّس له معظم وقته، فكتب منه مجلداً واحداً، حسبما يذكر ابن رافع [الوفيات، 2/ 129]، لكنه لم ينجزه.

وباستثناء هذه الكتب، لم تصلنا أسماء مؤلفات أخرى للأندرشي، على الرغم من إشارة بعض المؤرخين إلى أنه كتب مؤلفات كثيرة، وكان بارعاً في علوم متعددة، ويستظهر مختصر ابن الحاجب الأصلي والفرعي، في الفقه المالكي. ولكن لا توجد إشارات عن مؤلفاته في هذا المجال. وقد تحول في أواخر عمره إلى المذهب الشافعي. وتوفي في شهر ذي القعدة من سنة 750 هـ / 1349 م، بعد إصابته بعلة الإسهال، ودفن بسفح جبل قاسيون، بتربة القاضي السبكي. وقد ظل الأندرشي مخلصاً وفياً للعلم والعلماء، حتى بعد وفاته، حيث أوقف كتبه على أهل العلم، وجعل أمرها لقاضي القضاة.

المصادر والمراجع

● الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر، تح. علي أبو زيد ورفاقه، دمشق، دار الفكر، 1998، 1/ 216-217، 4/ 251؛ ● الكتبي، عيون التواريخ، نسخة خطية مصورة في المجمع العلمي العراقي برقم 592 و593، الورقة 116؛ ● ابن رافع، وفيات ابن رافع، تح. صالح مهدي عباس، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1982، 2/ 127-129؛ ● ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، عني بنشره، ج. برجشتراسر، ط 2، بيروت، دار الكتب العلمية، 1980، 1/ 55-56 ● ابن قاضي شهبة، تاريخ ابن قاضي شهبة، تح. عدنان درويش، دمشق، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية، 1994، 2/ 676؛ ● م.ن، طبقات النحاة واللغويين، مخطوط مكتبة الأوقاف ببغداد رقم 110، عن نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق، الورقة 85 أ؛ ● ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تح. محمد سعيد جاد الحق، ط2، القاهرة، دار الكتب الحديثة، 1966، 1/ 145، الترجمة 379؛ ● السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح. محمد أبو

الفضل إبراهيم، بيروت، المكتبة العصرية، 1964، 1/ 309، الترجمة 575؛ ● الداودي، طبقات المفسرين، تح. علي محمد عمر، القاهرة، مكتبة وهبة، 1972، 1/ 41-42، الترجمة 38؛ ● ابن القاضي المكناسي، درة الحجال في أسماء الرجال، تح. محمد الأحمدي أبو النور، القاهرة، دار التراث، وتونس، المكتبة العتيقة، 1970، 1/ 75، الترجمة 100، و133، الترجمة 163؛ ● ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، بيروت، دار المسيرة، 6/ 166؛ ● حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، بيروت، دار الكتب العلمية، 1992، عن طبعة إستانبول 1941، 1/ 406، 2/ 1162، 1170، 1511؛ ● كحالة، معجم المؤلفين، دمشق، مطبعة الترقي، 1957، 1/ 231.

أ.د. عبد الواحد ذنون طه
جامعة الموصل

الأندلسي، محمد الأنصاري

(القرن 9 هـ / 15 م)

يندرج محمد الأنصاري الأندلسي ضمن علماء الأندلس الذين نزلوا فاس في أواسط القرن التاسع الهجري. ويعلم ذلك من المقدمة التي وضعها لكتابه الموسوم بـ «رسالة السائل والمجيب وروضة نزهة الأديب». فلقد جاء فيها بأنه قد ألف هذا الكتاب برسم «الحاجب الأحظى الوزير الأرضى (. . .) أبا زكرياء يحيى بنزيان»، الذي مات بفاس في سنة 852 هجرية، من بعدما كان وزيرا للسلطان عبد الحق المريني. والظاهر أن محمدا الأنصاري قد ابتلي بالأسر في الأندلس قبل نزوله إلى فاس. ذلك ما يمكن استنتاجه من بعض العبارات المبثوثة بنفس الكتاب من قبيل تلك التي يقول فيها: «إلى أن هم القدر ونودي بالسفر إلى بلاد الروم كما كنا نروم فدفعنا له في غير وقته (...) وقد أنشبت الفتنة أظفارها وأوقدت بالجزيرة نارها (...) متعرضين للإهانة وخائضين بحورا من المحنة، إلى أن منّ الله بلطفه العميم، وانجلى ليلنا البهيم»، أو التي يقول فيها كذلك: «لما رميت بسهم الاضطرار عن قدر من الأقدار إلى بلاد النصارى أبادهم اللّه، وطال المقام بين أظهرهم». وبالإضافة إلى ذلك، فمحمد الأندلسي يذكر في غير ما مرة بأنّ أسباب تأليفه لرسالة السائل والمجيب تكمن في ضرورة إعلام من «يمكن أن يبتلى بهم (أي بالنصارى) من المسلمين».

أمّا الكتاب في حد ذاته، فما فتئ مخطوطا لم يحقق أو ينشر بعد. وتعرف له ثلاث نسخ.

1 - نسخة الخزانة العامة بالرباط رقم 178 ج، وتقع بذيل الجزء الثاني من زهر الأكم لليوسي عارية عن تاريخ التأليف والنسخ. وهي النسخة التي نستخدم في كتابة هذه السطور. 2 - نسخة محفوظة في نفس الخزانة تحت رقم 1138 د، وهي مبتورة الآخر؛ بحيث إنها تقف في الباب السادس والعشرين من الكتاب. ولقد سبق أن تناولها بالدرس «إحسان عباس» في إحدى مقالاته. 3 - نسخة خاصة كانت في ملك الفقيه المحقق محمد المنوني. ولقد وصفها بأنها مبتورة الأول بورقة، وخالية من تاريخ التأليف، وفرغ ناسخها من انتساخها في فاتح محرم من 1112 هجرية.

ولقد وزع محمد الأنصاري الأندلسي كتابه على خمسة وثلاثين بابا تتفاوت في الطول والقصر. والواقف عليها يتضح له بأنّ مؤلفها قد رام بها الإسهام في التأليف في مجالات معرفية مختلفة ومتعددة ومتباينة. فهل يرجع هذا الأمر عنده إلى مجرد رغبة في بسط ثقافته الشمولية، أو الإعلان عن شخصيته المشاركة في مختلف العلوم والفنون؟ يقتضي الجواب عن مثل هذا السؤال استحضار المتلقي المفترض لهذه الرسالة. فالظاهر أنّ محمدًا الأنصاري الذي صرح في غير مرّة بأنه يكتب لمن قد يبتلى من المسلمين بالنصارى ويمتحن بمجادلتهم، قد رام بتأليفه أبوابا عديدة في الأدب واللغة والحكاية والتاريخ والمنطق والطب والوعظ وأصول الدين وأصول الفقه ... الخ، تمكين متلقيه من جملة من المعارف المساعدة على مجادلة النصارى والذود عن دينه. أما المعارف الأساسية لهذه المجادلة، وتقنيتها ومنهجيتها، فلقد خصص لها أطول باب من أبواب كتابه وأهمها على الإطلاق، وهو الباب الأخير، أي الباب الخامس والثلاثين، الذي يقول عنه بأنه هو الباب الذي دعاه أصلا إلى تأليف كتابه.

يتضمن هذا الباب وصف محمد الأنصاري لمجالس المجادلات الدينيّة التي جمعته بمجموعات متفرقة من القساوسة والرهبان والأساقفة في بعض مدن الأندلس النصرانية من مثل «مجريط» و «سلمنقة» و «شيقوبية». ولقد انصبت هذه المجادلات على دعاوى مختلفة ومتعددة، استقطبت جل نقاط الخلاف بين الإسلام والنصرانية بوصفهما دينين متغايرين ومتصارعين في آن واحد؛ من مثل إنكار النصارى لنبوة محمد، واعتراض المسلمين على ألوهية المسيح وعلى التثليث وعلى ما يتفرع عن كل ذلك من مشكلات عقدية وشرعية متعددة.

في أوّل هذه المجالس عرض أحد كبار الأساقفة دعواه المتمحورة حول مدحه لدينه وتعريضه بالإسلام وبنبيه. ولقد اعترض محمد الأنصاري على مضمون هذه الدعوى بمجموعة من الاعتراضات، ومنعها بالنقض المدلل. ولقد انصبت هذه الاعتراضات على نقد أصول النصرانية وأسها، وبالرجوع إلى المراحل المتقدمة من تاريخها. فاتخاذ النصارى الصليب أسا لدينهم ورمزا له مع تقديسه وتبجيله، لا يرجع إلا لما رآه إمبراطور الروم «قسطنطين» في حلمه من أعلام عليها صلبان تدعوه لكي يأخذها ويقاتل بها أعداءه. واتخاذهم من التثليث أهم معتقد لهم؛ يرجع في الأصل إلى ما شرعه لهم الأساقفة

المجتمعون بأمر من نفس الإمبراطور في مجمعهم المسكوني. (واضح أنّ الأنصاري يقصد بذلك ما هو معروف في تاريخ النصرانية بمجمع «نيقية»). ولقد عضد محمد الأنصاري نقده للتثليث في هذا المجلس، باعتراضه على مضمون دعواه عند النصارى؛ لكونها لا تستلزم من محكم نصوصهم الإنجيلية، وإنما من عدم ملاءمة تأويلات أساقفتهم لهذه النصوص، ومصادرتهم على المطلوب الذي هو التثليث. كما عضده كذلك، باعتراضه على اعتمادهم لمنهج قياس «الخالق بالمخلوقين والرب القديم بالمحدثين» في تحصيلهم لهذا المعتقد.

في المجلس الثاني من مجالس مجادلة الأنصاري للنصارى المنعقد «بسلمنقة»، عرض دعوى النصارى المتعلقة بمعتقداتهم في صلب المسيح والاتحاد والحلول والخلاص، واستدلالاتهم عليها. فبالنسبة إليهم، اقتضت رحمته أن يصلب ابنه فدية للأنبياء على ذنبه الذي ارتكبه في الجنة، مثلما اقتضت رحمته أن يصلب ابنه فدية للأنبياء وتخليصا للآدميين. ولنقض هذه الدعوى ومنعها بلور محمد الأنصاري مجموعة من الاعتراضات بين فيها كيف أنّ النصارى ينسبون في هذا المضمار الجور إلى الله من حيث يرومون نفيه عنه، إذ «كيف على أحكم الحاكمين أن يعاقب أبناء أبناء الأنبياء في آباء آباء الآباء». كما استدل فيها كذلك على بطلان حلول الرب في عيسى واتحاده به؛ لاستحالة اجتماع «الاله القديم الباقي مع الجسم المحدث الفاني». ولقد عاد في المجلس الثالث من مجالس مناظرته لأساقفة النصارى إلى نفس هذه المسألة، ليغصب هذه المرة أدلتهم عليها التي حاولوا تأسيسها مما جاء في القرآن عن المسيح من كونه: «رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه»، ومما جاء في صلاتهم التي يقولون فيها: «باسم الأب والابن والروح القدس»، ليبين لهم بأن هذه النصوص لا تسمح لهم إلا بإضافة المسيح إلى الله «على سبيل التشريف والتكريم»، ولا تستلزم أبدا الاعتقاد في ألوهية عيسى، أو حلول الرب فيه واتحاده به.

وعلى الرغم من أنه كان من المفروض أن يدور المجلس الرابع من مجادلات الأنصاري للنصارى عن صلاة المسلمين وصيامهم، إلاّ أنه سرعان ما رجع به إلى موضوع المسيح وبنوته إلى الرب. لقد تحداهم في هذه المرة بأن يأتوه ولو بنص واحد من نصوصهم المقدسة يقول فيه المسيح بأنّه «إله أو ابن إله»، ليجعلهم بذلك عاجزين عن رفع هذا التحدي، ولينتصر تبعا لذلك لمعتقده في المسيح من حيث كونه نبيا معصوما لا يجوز له «أن يتكلم بهذا القول العظيم».

أمّا في المجلس الخامس من هذه المجادلات، فلقد ذهب فيه «رئيس كتبة الملك (النصراني) وحاجبه» إلى أنّ القرآن نفسه يشهد بصحة اليهودية والنصرانية، بينما لا تشهد التوراة ولا الأناجيل بصحة الإسلام. لذلك اجتهد محمد الأندلسي في منع هذا الاعتراض، بعودته إلى بعض الآيات المخصوصة من التوراة والإنجيل، لتأويله بالشكل الذي يسمح له بأن يجد فيها تبشيرا بمجيء محمد وبصحة نبوته. وغني عن البيان بأنه قد سلك في هذا المضمار ما يسلكه عادة

غيره من المسلمين في مجادلتهم للنصارى بتأويلهم لما جاء في إنجيل يوحنا عن البشارة بمجيء «البارقليط»، وأن المقصود به محمد ﷺ، وما جاء في كتاب «التثنية» وصحف «أشعيا» و «إرمياء» و«حبقوق» و«دانيال» عن نفس هذا الأمر.

في المجلس السادس والأخير من مجادلاته المنعقد «بمجريط»، اعترض الأنصاري على دعوى أسقفين حاولا نقض تصورات المسلمين للجنة (التمتع بلذات المأكل والمشرب والمنكح) وللحياة الزوجية في الدنيا (تعدد الزوجات)، بوصفها تصورات حسية خسيسة، وشهوانية شبقية في آن واحد. غير أنّ الأنصاري تصدى لهما بنقض هذه الدعوى بنقضين مختلفين ومتكاملين. فمن جهة، تخبر التوراة والأناجيل عن الأنبياء الذين تزوجوا وتسروا بأكثر من واحدة، مثلما تتحدث كذلك عن المسيح الذي وعد حواريه بالأكل في الجنة. ومن جهة ثانية، فإنّ المنهج الذي اتبعه الأسقفان لإبطال اللذات المذكورة، يعتمد القياس الذي لا يصح في هذا المضمار؛ إذ لا يصح أن يقاس «حال الدنيا بحال الجنة».

ولقد كان بإمكان الأنصاري أن ينهي الباب الأخير من أبواب كتابه بهذا المجلس السادس. غير أنه أبى إلا أن يعقد فصلا أخيرا لينتصر فيه مرة أخرى لصحة نبوة نبيه وللطبيعة البشرية الصرفة للمسيح. وكأن ذلك ما كان ليكفيه وليشفي غليله، فلقد فضل أن يضع هذا الانتصار في فم أحد الرهبان، ليعبر بدله عن ذلك، ويدافع عنه. ولا غرو في ذلك، فلقد عودتنا كتب المجادلة بين الإسلام والنصرانية بأن ينتصر فيها كاتبها على مجادليه ويفحمهم ويبهتهم في نفس الوقت.

يتضح مما سبق أنّ محمدا الأندلسي قد راهن في مجادلته للنصارى على الانتصار إلى دينه والذود عن معتقده في المسيح وفي نبيه. وبذلك أدرج بالفعل الباب الأخير من كتابه ضمن آداب المجادلة الدينية التي استهدفت خدمة الإسلام بالأندلس وضمان استمراريته بين أهلها الذين غلب عليهم النصارى، فأضحوا مهددين بالتنصير.

المصادر والمراجع

● الأنصاري، محمد، رسالة السائل والمجيب وروضة نزهة الأديب، نسخة الخزانة العامة بالرباط، رقم 178 ج. ● عباس، إحسان، رسالتان على غرار الغفران والتوابع والزوابع، مجلة اللسان العربي، العدد 4، ص 110-127؛ ● المنوني، محمد، مناقشة أصول الديانات في المغرب الوسيط والحديث مج. البحث العلمي، العدد 3، 1967، ص 23-32؛ ● العسري، محمد عبد الواحد، قواعد المناظرة وأخلاقياتها من خلال مجادلة محمد القيسي ومحمد الأنصاري للنصارى بالأندلس، مجلة التاريخ العربي، العدد: 15، ص 331-349.

د. محمد عبد الواحد العسري
جامعة عبد الملك السّعدي - تطوان - المغرب

ابن أنس، الإمام مـــالـــك

(حـوالي 93 هـ/ 712 م – 179 هـ /795 م)

مالك بن أنس بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث، الأصبحي، الحميري، أبو عبد الله، إمام دار الهجرة، المحدث، الفقيه، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، إليه ينسب المذهب المالكي. ولد بالمدينة المنورة في تاريخ غير مدقق يتراوح بين سنتي 90هـ/ 708م و97هـ/ 715م.

يظهر أنه نشأ في بيت علم إذ نقل الزرقاني أنه ورث العلم عن أجداده. كما ذكر أيضا أن مالكا سمع من تسعمائة شيخ فأكثر، دون أن تكون له رحلة لطلب العلم. فقد كان ملازما للمدينة. ومن أشهر شيوخه نذكر نافع مولى عبد الله بن عمر، وربيعة الرأي، وابن شهاب الزهري، وابن هرمز، ونافع القارئ... وفي كلمة يمكن القول إن مالكا هو وريث علم المدينة كله، هذه المدينة التي كانت تمثل عشا للصحابة وللعلماء، إذ مات بها فيما ذكر مالك «نحو عشرة آلاف وباقيهم تفرق بالبلدان». وقد ورث فقهاء المدينة السبعة علم هؤلاء الصحابة الذي انتقل بدوره إلى مالك عن طريق كبار شيوخه إذ إن مالكا يقابل جيل تابعي التابعين. لهذه الأسباب يعتقد مالك وأتباعه في أفضلية المدينة على بقية الأمصار. وقد دعموا موقفهم هذا بأحاديث نبوية، ومن هنا يأتي أحد الأصول الأساسية في المذهب المالكي وهو إجماع أهل المدينة أو عمل أهل المدينة الذي يقدمه مالك أحيانا على الحديث الصحيح.

ملازمة مالك للمدينة التي توجد على طريق الحج، ساهمت في توسع شهرته وبالتالي كثرة تلاميذه. كما ذكرت المصادر أنه انتصب لتدريس العلم وهو ابن سبع عشرة سنة واحتاج إليه شيوخه، وروى عنه الكثير ممن تقدمه أو عاصره، أو تأخر عنه. وتتلمذ له الأمراء مثل موسى بن المهدي العباسي، والخلفاء مثل هارون الرشيد. فقد وجه إليه هذا الخليفة ليأتيه فيحدثه، فقال: «العلم يؤتى». فقصد الرشيد منزله واستند إلى الجدار، فقال مالك: «يا أمير المؤمنين، من إجلال رسول الله، إجلال العلم»، فجلس بين يديه فحدثه. كما تتلمذ له مئات الطلبة الذين تقاطروا عليه من كل صوب وحدب، إلى حد أن بعض المالكية جعلوا محتوى الحديث النبوي التالي يخص مالكا بالذات: «يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل في طلب العلم، فلا يجدون عالما أعلم من عالم المدينة».

ومن أشهر من سمع منه من مكة نذكر الشافعي، ومن العراق محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة، ومن مصر الثالوث المصري الشهير نعني عبد الرحمان ابن القاسم، وعبد الله بن وهب، وأشهب بن عبد العزيز، فيما تجاوز عدد تلاميذه من المغاربة الثلاثين، نذكر من أشهرهم علي بن زياد التونسي، وعبد الله بن فروخ، وعبد الله ابن غانم، وأسد بن الفرات؛ كما تتلمذ له

عدد من الأندلسيين ربما تجاوز الاثني عشر نذكر منهم عبد الرحمان بن موسى، وعبد الرحمان بن عبيد الله، وسعيد بن عبدوس، وسعيد بن أبي هند، ويحيى بن مضر القيسي، وطالوت بن عبد الجبار المعافري، وقرعوس ابن العباس، وخاصة الغازي بن قيس، وزياد ابن عبد الرحمان الملقب شبطون، اللذان تنسب إليهما المصادر دورا رياديا في إدخال موطأ مالك إلى الأندلس، ويحيى بن يحيى الليثي صاحب الرواية المشهورة للموطأ. وبالأندلس انتشر مذهب مالك ومالك لا يزال على قيد الحياة، كما انتشر ذلك المذهب بالمغرب الإسلامي ثم بغرب إفريقيا وغيرها...

من الناحية المادية، يبدو أن مالكا كان «في ابتداء أمره ضيق الحال...إذ لم يكن له دار، بل كان مكتريا»، ثم انقلب حاله فيما بعد وأصبح يعيش في يسر نسبي إذ من جملة ما خلفه مالك بعد موته مائة عمامة، وخمسمائة زوج نعل. وقد كان مورد عيشه من التجارة، فيما يبدو، إذ ذكر تلميذه عبد الرحمان بن القاسم أنه «كان له أربعمائة دينار يتجر له بها، فمنها قوام عيشه». هذا إلى جانب الجوائز والهدايا التي تأتيه من أصحابه أو من السلطان، فيقبلها.

اختلفت المصادر في سبب تعرضه للجلد على يدي والي المدينة أيام أبي جعفر المنصور. قيل إن هذا الخليفة نهاه عن حديث «ليس على مستكره طلاق»، فحدث به مالك؛ وقيل إنه لم يبد اعتراضا على ثورة محمد بن عبد الله العلوي، المطالب بالخلافة، وربما أفتى بأن الناس بايعوا بني العباس وهم مكرهون وليس على مكره يمين، وهو أمر نستبعده، كما نستبعد ما ذهب إليه كارل بروكلمان من أن مالكا كان يتشيع.

كان مذهبه يسمى مذهب أهل المدينة، ثم ارتبط باسم مالك في مرحلة لاحقة ليصبح المذهب المالكي. وقد ربط يوسف شاخت هذا التحول بظهور المذهب الشافعي، بما أن الشافعي يعتبر أول إمام ارتبط مذهبه باسمه، فما كان من أتباع مالك إلا أن نسبوا مذهب أهل المدينة إلى مالك فأصبح المذهب المالكي. ويعتمد هذا المذهب على جملة من الأصول اختلف المالكية في تحديد عددها ونذكر منها الكتاب، والسنة، وإجماع أهل المدينة أو عمل أهل المدينة، والقياس، والاستحسان، والمصالح المرسلة...وقد عرف مالك ببعضها في الموطأ لا سيما عمل أهل المدينة والسنة.

يعتبر مالك من كبار المحدثين؛ قال فيه الشافعي: «إذا جاء الحديث عن مالك، فاشدد يديك به»؛ كما سمي أمير المؤمنين في الحديث. وقد شحن مالك الموطأ بالحديث، فاعتبره البعض كتاب حديث، فيما اعتبره آخرون كتاب فقه، بما أن مالكا وضع فيه الحديث بغرض فقهي. على أن مالكا ألف الموطأ في فترة لم يقع فيها بعد ضبط قواعد علم الحديث، وشروط الصحة فيه، لذلك لم يظهر مالك في الموطأ بالغ اهتمام بمسألة الأسانيد وسلاسل الرواة، فكان «ثلث الموطأ مرسلا أو مقطوعا بلا أزمة كما يقول المحدثون». ورغم ذلك يظهر أن المغاربة انفردوا باعتبار الموطأ صحيحا، ومن هنا إلحاقه بالصحاح الستة.

عناية مالك بالحديث ساهمت في جعل

القدامى يصنفونه ضمن أهل الحديث، لمقابلته بأهل الرأي نعني الحنفية. إلا أن رواية ابن خلكان واليافعي حول ندم مالك، في أخريات عمره، على استعمال رأيه، تساهم في الشك في صحة هذا التصنيف. وقد اختلف الباحثون في هذه المسألة، ويبدو أن ما انتهى إليه الشيخ الفاضل ابن عاشور هو الأقرب للصواب. فقد استنتج أن الرأي معمول به لدى المذاهب السنية الأربعة، لكن مع اختلاف في اتساع دائرته لديها. ويتزعمها في ذلك المذهب الحنفي ويليه المذهب المالكي ثم المذهب الشافعي وأخيراً المذهب الحنبلي.

على أن اعتماد مالك على الرأي يظهر بصفة واضحة في ميدان الفقه، بخلاف ما يخص المسائل العقدية. فقد أظهر في هذا الشان تمسكا واضحا بظاهر النصوص وبأقوال السلف. وعلى هذا الأساس، فيما يبدو، ذكر ألفراد بل أن المذهب المالكي هو الأكثر تمسكا بالشكليات من بين المذاهب الأربعة.

عرف مالك من جهة أخرى بثباته على الحق، وصرامته في إقامة الحدود. فقد هدد مالك، والي المدينة، بعدم التكلم في العلم في صورة عدم ضرب عنق رجل قتل أخاه وأخذ ثوبه بمحضر أبويه اللذين طلبا العفو. كان أيضا شديد الورع في الإفتاء ويكره العجلة فيه. فقد ذكر عبد الله بن أبي حسان اليحصبي أن مالكا سئل «عن اثنتين وعشرين مسألة، فما أجاب إلا في اثنتين منها». على أنه لم يتربع للإفتاء إلا بعد أن شهد له بذلك أكثر من سبعين شيخا. أبدى أيضا اعتراضا على ما أطلق عليه الحيل الشرعية، ورأى فيها منفذا للإفلات من الأحكام الشرعية، وقد شاطره في هذا المنحى سحنون بن سعيد ناشر المذهب المالكي بالغرب الإسلامي. رفض مالك كذلك الخوض في المسائل الفقهية المبنية على الافتراضات. وقد خالف، في هذا الشأن، الأحناف الذين كلفوا بالإجابة عنها متعللين بوجوب الاستعداد للبلاء قبل وقوعه؛ فيما كان مالك يقول: «دعها حتى تقع». وقد صد مالك أسد بن الفرات عندما أكثر عليه من التشقيق، وقال له: «هذه سلسلة ابنة سليسلة، إن كان كذا، كان كذا...إن أردت هذا، فعليك بالعراق». كما يستنتج من بعض الروايات، أن مالكا كان يحترم من خالفه في الرأي. فقد روي عنه أن الرشيد شاوره أن «يعلق الموطأ في الكعبة، ويحمل الناس على ما فيه»، فقال مالك: «لا تفعل، فإن أصحاب رسول الله اختلفوا في الفروع وتفرقوا في البلاد، وكل مصيب».

توفي مالك بالمدينة. وصلى عليه عبد الله بن محمد بن إبراهيم المعروف بعبد الله بن زينب والي المدينة لهارون الرشيد، ودفن بالبقيع بالمدينة.

آثاره

1 - «الموطأ»، وصلتنا منه روايتان كاملتان طبعتا، واحدة لمحمد بن الحسن الشيباني، وأخرى ليحيى بن يحيى الليثي سمعها من مالك في سنة وفاته نعني سنة 179هـ/ 795م، وقد طعن نورمان كالدار في أصالة هذه الرواية وفي صحة نسبتها، فأحسن ميكلوش موراني الرد عليه. وصلتنا أيضا قطع أخرى من الموطأ نشر بعضها، مثلا نشر الشيخ محمد الشاذلي النيفر ما وصلنا من رواية علي بن زياد

التونسي، ونشر عبد المجيد تركي قطعة من رواية القعنبي، كما نشر قطعا أخرى منه...؛ وتتميز الشروح على الموطأ بالكثرة، وقد عرفنا بها كل من كارل بروكلمان وفؤاد سزكين بصفة مستفيضة؛ 2 ـ «رسالة» فيها تحذير للخليفة هارون الرشيد ووزيره يحيى البرمكي، وقد شك السيوطي في صحة نسبة هذه الرسالة إلى مالك؛ 3 ـ «مسائل وأجوبتها» رواها عبد الله بن الحكم (ت 214هـ/ 829م) وسمعها هو وعبد الله بن وهب وعبد الرحمان بن القاسم؛ 4 ـ «الأحاديث» التي رواها على أرجح الاحتمالات مالك، وليست موجودة بالموطأ، ثم رويت وتناولتها الدراسات بعد ذلك.

المصادر والمراجع

● ابن عبد البر، الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء، القاهرة، 1931/ 1350، ص 9-47؛ ● الأصبهاني، أبو نعيم أحمد، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، بيروت، دار الكتاب العربي، 1967/ 1387، ط. 2، ج 6، ص 316-355؛ ● القاضي عياض، ترتيب المدارك، تح. أحمد بكير محمود، بيروت - طرابلس، 1967، ج 1، ص 58-279؛ ● تراجم أغلبية مستخرجة من مدارك القاضي عياض، تح. محمد الطالبي، تونس، 1968، ص 53-54، 56؛ ● ابن خلكان، وفيات الأعيان، تح. إحسان عباس، بيروت، د. ت. ج 4، ص 135-139؛ ● ابن فرحون، الديباج المذهب، تح.مأمون بن محيي الدين الجنان، بيروت، دار الكتب العلمية، 1996/ 1417، ط. 1، ص 44؛ ● ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، دار صادر، مطبعة حيدرآباد، الدكن، 1907/ 1325، ج 10، ص 5-9؛ ● اليافعي، مرآة الجنان، بيروت، 1970، ط. 2، ج 1، ص 373-377؛ ● ابن الأثير الجزري، اللباب في تهذيب الأنساب، بيروت، دار صادر، د. ت.، ج 1، ص 69، ج 3، ص 151؛ ● السيوطي، جلال الدين، تزيين الممالك في مناقب الإمام مالك، مصر، 1907/ 1325، ط. 1؛ ● الزرقاني، محمد، شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، مصر، 1936/ 1355، ج 1، ص 2؛ ● الزواوي، مناقب مالك، مصر، 1907/ 1325، ط. 1، ص 5، 51؛ ● مخلوف، محمد، شجرة النور الزكية، دار الفكر للطباعة والنشر، د. ت.، ص 52-55؛ ● بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي، نقله إلى العربية عبد الحليم النجار، القاهرة، 1991، ج 3، ص 274-280؛ ● سزكين، فؤاد، تاريخ التراث العربي، نقله إلى العربية محمود فهمي حجازي، السعودية، 1983، ج 3، ص 129-142؛ ● الخولي، أمين، ترجمة محررة لمالك بن أنس، مصر، 1951، ج 3، ص 547؛ ● أبو زهرة، محمد مالك، حياته عصره آراؤه الفقهية، القاهرة، د. ت.، ط. 2، ص 352-353، 359؛ ● شبوح، إبراهيم، سجل قديم لمكتبة جامع القيروان، مجلة معهد المخطوطات العربية، ماي 1956، مج 2، ج. 1، ص 360، 365 ـ 366؛ ● ابن عاشور،

الشيخ محمد الفاضل، المحاضرات المغربيات، تونس، 1974، ص 92-93؛ • الزركلي، الأعلام، بيروت، 1986، ط. 7، ج5، ص 257-258؛ • كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، بيروت، د. ت.، ج 8، ص 168-169؛ • الشكعة، مصطفى، الأئمة الأربعة، القاهرة، 1979، ج 2؛ • نجم الدين، الهنتاتي، المذهب المالكي بالغرب الإسلامي، تحت الطبع للنشر.

• Schacht, Joseph, Introduction au droit musulman, trad. Paul Kempf et Abdel Magid Turki, Paris, 1983, p. 55-56; • Id., «Malik b. Anas», E.I., 2, VI, p. 247-250; • Calder, Norman, Studies in early muslim jurisprudence, New York Clarendon Press, 1993, p. 20-38.

د. نجم الدين الهنتاتي
الجامعة التونسية

ابن أنس، الربيع بن زياد البكري الخراساني

(... هـ / ... م - 139 هـ / 759 م)

الربيع بن زياد البكري الخراساني المروزي البصري، ويقال: الحنفي البصري ثمّ الخراساني، وقال محمد ابن سعد في طبقات البصريين والبغداديين والشاميين والمصريين وغيرهم: «أخبر عمّار ابن نصر أنّ الربيع بن أنس من بكر بن وائل ومن أنفسهم». والمشهور أنّه كان من أهل البصرة؛ ولمّا طلبه الحجّاج بن يوسف هرب إلى خراسان فأتى «مرو» وسكن قرية منها يقال لها «بُرْز» إلى أن مات، وكان قد طُلِبَ أيضًا بخراسان حين ظهرت دعوة بني العبّاس، فتغيّب [جمال الدين يوسف المزّي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تح بشار عواد معروف، ص 238-239].

ولئن لم تحدد لنا مصادر التاريخ وكتب التراجم تاريخ ميلاد صاحب الترجمة، ولم تسعفنا بتفاصيل ذات بال عن هذا العلم سوى ما ذكرته من أنّه كان من حفاظ ورواة التابعين، وأنّه كان قد لقي منهم عبد الله بن عمر وجابر بن عبد الله وأنّه سمع من جدّيْه: زيد وزياد، من أنس بن مالك، ورُفَيْع بن أبي العالية، والحسن البصري، وصفوان بن محرز كما أنّه أرسل عن أمّ سلمة زوج النبيّ ﷺ، فإن النعوت التقريضية العديدة التي استعملها عند التعريف به تدلّ على شغفه الشديد بالعلم وكثرة رحلاته في طلب الحديث، وحرصه الكبير على تبليغ حصيلته العلميّة وروايتها على أوسع مستوى، حيث قال أحمد بن عبد الله العجلي في «الثقات»: «بصريّ، صدوق، ثقة». وقال أبو حاتم في «الجرح والتعديل»: «صدوق، وهو أحبّ إليّ فيما يرويه عن رفيع

ابن أبي العلية الرياحي ممّا يرويه عنه أبو خلدة» [محمد بن سعد، الطبقات الكبرى من البصريين والبغداديين والشاميين والمصريين وغيرهم، ج 7، ص 120].

وحدّث محمد بن إدريس عن المنذر التميمي الحنظلي الرازي (ت 327) قال: حدّثنا عبد الرحمان قال: سألت أبي عن الربيع بن أنس: من أحبّ إليك في أبي العالية، الربيع أو أبو خلدة؟ فقال الربيع أحبّ إليّ. وقال النسائي: «ليس به بأس. شاء الله من ذلك، يروي لي عن الحسن البصري، وليس من يوم إلاّ أسمع منه ما لم أسمع قبل ذلك».

■ آثاره

ولمّا ارتوى بالعلم ونضجت عنده الرواية تفرّغ الربيع بن أنس للتدريس فأخذ عنه سفيان الثوري، وسليمان بن عامر البرزيّ، وسليمان ابن عامر التّيميّ، وسليمان الأعمى وعبيد الله ابن زحْر الإفريقي، وعيسى بن يزيد المروزيّ الأزرق، والليث بن أبي سليم، ونصر بن باب، ونهشل بن سعيد، ويعقوب بن قعقاع الأزدي، وأبو جعفر الرازي، ومقاتل بن حيّان وغيرهم، وكتب عنه بـ «مرو» المغيرة بن مسلم السرّاج القسملّي، وأخوه عبد العزيز القسملّي، وعبد الله ابن المبارك، وعيسى بن عبيد الكندي، والحسين بن واقد المروزي.

ترجم له كلّ من: محمد بن سعد في الطبقات، ج 7، ص 369؛ والبخاري في تاريخه الكبير. ج 3 رقم الترجمة 924، والعجلي في ثقاته بالورقة 14، وأبو حاتم في الجرح والتعديل. ج 3، الترجمة رقم 2054، وابن حبّان في مشاهير علماء الأمصار عدد الترجمة 987، والحافظ الذهبي في سير أعلام النبلاء، ج 6، ص169، والخزرجي في الخلاصة، ج 1، عدد الترجمة 2015، ونعتوه بما هو عالم «مرو» في زمانه. وذكره محمد بن حبّان البستي في «الثقات» و قال: «الناس يتّقون من حديثه ما كان من رواية أبي جعفر الرازي عنه لأنّ في حديثه عنه اضطراباً كبيرا» وقال البستي أيضا في كتاب «مشاهير علماء الأمصار»: «كل ما في أخبار الربيع بن أنس من المناكير إنّما هي من جهة أبي جعفر الرازي». ونقل مغلاطي في «إكماله» ج 2، الورقة 14، وابن حجر في التهذيب ج 3، ص 258، أنّ معاوية بن صالح قال عن يحيى ابن معين: «كان الربيع يتشيّع فيفرط».

وقال أبو محمد البندار محقق كتاب «تهذيب الكمال في أسماء الرجال» للمزّي: «لم أجد له رواية واحدة في كتب الشيعة مع طول بحثي عن ذلك» [الحافظ شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 6، ص169].

لم ينقطع المترجم له عن التدريس في اختفائه بمرو من طلب الحجّاج له، وبقي تلاميذه يتخلّصون إليه ويسمعون منه، [ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج 3، ص 238].

وتواصلت إفادة تلاميذه منه حتّى وهو في السجن؛ قال أبو إسحاق عبد الله الطالقاني ابن المبارك: «أعطيتُ ستين درهما حتّى أُدْخِلْتُ على الربيع بن أنس في سجنه وسمعت منه أربعين حديثًا»، وكان عبد الله يقول: «ما يسرّني بها كذا وكذا لشيء سمّاه ولم يذكره أصحاب التراجم إلاّ المزّي في ترجمته له بقوله: لم ينصحني مَنْ أدخلني عليه، أعطاني أحاديث مقطّعات. وفقال

الحافظ الذهبي في [سير أعلام النبلاء ج 3، ص 64]؛ سُجن الربيع بن أنس ثلاثين سنة وسجنه أبو مسلم تسعة أعوام، وتحيّل ابن المبارك حتّى دخل عليه وسمع منه.

ونظرا إلى طبيعة المثاقفة التي كان عليها الناس في زمانه، والقائمة أساسا على الرواية إقراءً وأخذا، سماعا وعرضا، لم يترك الربيع ابن أنس آثارا مخطوطة سوى ما تناقلته عليه كُتبُ الحديث بداية من زمن التدوين. قال الحافظ الذهبي: «حديثه في السنن الأربعة».

وفي وفاته قال محمد بن سعد في طبقات البصريين: مات في خلافة أبي جعفر المنصور سنة 139 هـ، وقال المزّي: لما هرب الربيع ابن أنس من الحجّاج أتى «مرو» وسكن بقرية «بُرز»، ثمّ تحوّل إلى قرية «سدَوَرَ»، وكان فيها إلى أن مات سنة 139هـ، وقال أبو بكر بن أبي داود: «مات الربيع بن أنس في ذكْر وفاة المترجم له بين سنتي 139 و 140 هـ».

■ المصادر والمراجع

● البستي، محمد بن حبّان، كتاب علماء مشاهير علماء الأمصار، تصحيح، م. فلايشهمر، مطبعة لجنة التأليف والترجمة سنة 1959م؛ ● العسقلاني، ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج 3، ص 238-239، ط مجلس إدارة المعارف النظاميّة، حيدر آباد الدكن، سنة 1325 هـ؛ ● محمد بن سعد، الطبقات الكبرى في البصريين والبغداديين والشاميين والمصريين وغيرهم، ج 7، ص 120، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت 1398 هـ/ 1978م؛ ● الذهبي، الحافظ، شمس الدين، سير أعلام النبلاء، ج 6، ص 169-170 مؤسسة الرسالة، ط 8، بيروت 1992م؛ ● المزّي، جمال الدين يوسف، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تح بشّار عوّاد معروف، ج 3، ص 238-239، مؤسسة الرسالة، ط 2، 1413 هـ / 1992 م.

د. حسن مزيو
جامعة الزيتونة - تونس

■ الأنصاري الأندلسي، أبو عبد الله محمد بن أبي المنظور

(... هـ/ ... م - 330 هـ / 948 م) ■ ■ ■

أبو عبد الله محمد بن أبي المنظور عبد الله ابن حسان الأنصاري القاضي والمحدث، أصله من الأندلس، وبها ولد في جزيرة طريفة (Tarifa) على مضيق جبل طارق.

توفي بالقيروان عن عمر يناهز التسعين، يوم السبت لعشر بقين من محرم سنة 337 هـ / 30 تموز 984 م. ينتمي إلى الأنصار الذين عبروا إلى الأندلس في أثناء الفتح، ويقال إنه

كان من مواليهم لا من أنفسهم. ولا تعرف ظروف هجرته من الأندلس إلى القيروان، وهل هاجر مع أسرته؟ أم أنه خرج في رحلة الحج إلى المشرق، ولم يرجع إلى الأندلس بل استقر في القيروان واستوطنها.

وتعد رواية المالكي الأكثر تفصيلا عن ابن أبي المنظور، وهو يعتمد في ذلك على أبي عبد الله الحسين بن سعيد الخراط، المؤرخ القيرواني الذي كان يعيش في أواسط القرن الرابع للهجرة/ التاسع الميلادي. والمالكي هو الوحيد الذي ينقل عن الخراط دون تسمية كتابه، وعنه نقل من جاء بعده من المؤرخين. وممن اعتمد عليهم المالكي أيضًا في روايته عن ابن أبي المنظور، أبو الحسن علي بن محمد المعروف بالقابسي (ت 403 هـ / 1012 م)، وهو محدث جمع بين الفقه والرواية، وله كتاب اسمه «الملخص لما في الموطأ من الحديث المسند». أما ابن الأبار، فقد استقى معلوماته عن ابن أبي المنظور من كتاب الافتخار لأبي بكر عتيق بن خلف التجيبي، المؤرخ القيرواني المشهور (ت 422 هـ / 1030 م) [التكملة، 1/ 364].

ابتدأ ابن أبي المنظور رحلته المشرقية في العقد الثالث من عمره، لأنه التقى في العراق بأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، وسمع منه الحديث. وتاريخ وفاة ابن قتيبة هو سنة 276 هـ/ 889 م، أي أن سن ابن أبي المنظور كانت حين التقائه به تقل بالتأكيد عن ثلاثين سنة. وليس من المعروف كم استغرقت رحلته، ويبدو أنها لم تكن قصيرة لأنها، شملت إضافة إلى الحجاز حيث أدى مناسك الحج، كلاً من اليمن والعراق.

ومن شيوخه الذين أخذ عنهم الحديث في مكة، أبو الحسن علي بن عبد العزيز البغوي (ت 286 هـ / 899 م) المعروف بشيخ الحرم، وله مسند في الحديث. وسمع في اليمن من أبي يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن عياد الدبري (ت 285 هـ / 898 م)، وهو من رواة كتب عبد الرزاق بن همام، فسمع ابن أبي المنظور عنه كتاب اختلاف الناس في الفقه. كذلك سمع الحديث في اليمن من المحدث العالم المصنّف عبيد بن محمد الكشوري الصنعاني (ت 284 أو 288 هـ / 897 أو 901 م)، الذي اشتهر بمصنفه في التاريخ، المعروف باسمه. أما أهم أساتذته في العراق، فهم إسماعيل بن إسحاق القاضي (ت 309 هـ/ 921م)، الذي كان عالـما بالقرآن، والحديث، واللغة، والأدب، والفقه. كذلك الحارث بن محمد بن أبي أسامة التميمي البغدادي (ت 282 هـ/ 895م) وهو محدث صدوق، له مسند في الحديث يعرف باسمه.

ومن تلامذته الذين سمعوا منه الحديث، أحمد بن محمد بن عبد الرحمن التميمي القصري (322 هـ/ 957 م)، الذي كان ثقة يكثر السماع والكتابة عن المشايخ في القيروان. وكذلك أبي هاشم بن مسرور (346 هـ/ 957 م)، الذي عُرف بكثرة مؤلفاته في مختلف أنواع العلوم، وعبد الله بن التبان، وهو أحد كبار فقهاء القيروان ومتكلميهم.

ويعد ابن أبي منظور من العلماء المخضرمين، فقد عاصر دولة بني الأغلب في إفريقية، ثم

قضى نحو أربعين عامًا من عمره في ظل الدولة الفاطمية التي قامت في المغرب سنة (297 هـ / 909 م)، واتخذت من القيروان عاصمة لها. ثم اختط أول حكامها، عبيد الله ابن المهدي (297-322 هـ/ 909-934م) مدينة المهدية، وانتقل إليها. ولكن القيروان ظلّت محتفظة بمركزها العلمي والثقافي في المغرب الأدنى. ولا تشير المصادر المتيسرة إلى أي دور إداري أو سياسي لابن أبي المنظور في ظل هاتين الدولتين اللتين عاش في كنفهما، باستثناء تولّيه قضاء القيروان، قبل نحو سنتين من وفاته [عياض، ترتيب المدارك، 5/ 330]. وكان يعيش من العمل في التجارة، ويمارس نشاطه العلمي والثقافي في إسماع الحديث. ولكنه، ولسبب مجهول، انقطع عن الإسماع، وأغلق عنه هذا الباب، معتذراً بيمين غليظة لزمته أن لا يسمع أحدًا من أهل القيروان. ومع هذا فقد كان ربما يُسمع بعض الغرباء من خارج القيروان [الخشني، طبقات، ص 173].

وكانت ولايته للقضاء بتكليف من أبي الظاهر إسماعيل المنصور بن أبي القاسم (334-341 هـ/ 945-952 م) حفيد عبيد الله المهدي. وكان لعلوّ سن ابن أبي المنظور، وجلالة قدره، وعلمه واحترامه من قبل أهل القيروان، دور في هذا اصش ختيار. فقد كان فقيها مالكيًا عالمًا بأصول الفقه، ذا سمت وخشوع وتُقى. ولكن القاضي عياض بن موسى، يضيف عاملاً آخر في اختياره، له علاقة بمذهب ابن أبي المنظور السنّي، فيشير إلى إجراء الحاكم إسماعيل ابن أبي القاسم، على أنه خطوة سياسية، كان الغرض منها تسكين نفوس أهل السنّة والناس بتولي هذا القاضي المالكي على القيروان، لاسيما وأن فتنة يزيد مخلد بن أبي كيداد، كانت قد شملت كل أرجاء الدولة الفاطمية [ترتيب المدارك، 5/ 329].

وتشير غالبية المصادر التي ترجمت لابن أبي المنظور إلى تمنعه عن قبول منصب القضاء في القيروان، وأنه لم يقبل إلا بعد شروط شرطها على الحاكم إسماعيل بن أبي القاسم، فقد قال له: «لا آلتزم لك هذا الأمر إلاّ على أن لا آخذ صلة، ولا أركب لكم دابّة، ولا أقبل شهادة من طاف بكم، أو قاربكم، ولا أذممكم في شيء ولا أحدًا بسببكم، ولا أركب لكم مهنّئا ولا معزيا. فأجابه إلى ذلك، والتزم له ما شرط عليه. وقال له: فإذا لم تأخذ صلة فمن أين تعيش؟ قال: بما أعيش الآن، فقال له: ماذا تركب وأنت شيخ كبير؟ فقال: الجامع قريب من داري، أستطيع المشي إليه» [المالكي، رياض، 2/ 358].

وقد سار ابن أبي المنظور بموجب هذه الشروط، والتزم بها الحاكم الفاطمي إسماعيل، ولكننا نجد في رواية أبي عبد الله محمد الصنهاجي، ما يناقض بعض هذه الشروط، حيث يبدو أنه كان للقاضي ابن أبي المنظور دور أكبر في الحياة العامة والسياسية. فقد كان إسماعيل المنصور، عندما يغادر القيروان يستخلف عليها فتاة (مدام) ويأمره أن لا يقطع أمرا دون القاضي محمد بن أبي المنظور [أخبار ملوك بني عبيد، ص35]. ويشير الصنهاجي أيضا إلى خروج القاضي في جماعة من وجوه القيروان للقاء الأمير والسلام عليه، وتهنئته بالفتح بعد قضائه على

فتنة أبي يزيد مخلد بن كيداد، وكذلك ركوب القاضي إلى مجلس الأمير، ثاني يوم وصوله «فأدناه وقربه وأجلسه» [ص 45-46]. وهذا مخالف لشروط القاضي في عدم الركوب إليه مهنّئًا أو معزّيًا.

ومهما كانت علاقة القاضي ابن أبي المنظور بالحاكم الفاطمي إسماعيل المنصور، فقد عُرف عنه العدل في أقضيته، وتحريه للحق وإيثاره، لا تأخذه في الله عزّ وجلّ لومة لائم. وهناك أمثلة عديدة على تحرِّيه الحق، وعدم قبول الشفاعات في المسيئين، حتّى لو كانوا من أصحاب النفوذ والمقربين من السلطة. من الأمثلة على ذلك أنه حبس امرأة اشتهرت بالفسق ومخالطة السفهاء، وضربها وسجنها في القلعة. فتوسطت لها جارية الأمير إسماعيل المدعوة (قضيب)، والتي كانت لها منزلة كبيرة عنده، فأرسلت داية السلطان (سلاف) إلى بيته، فطردها القاضي، مهددا بضربها وحبسها مع المرأة المسيئة، قائلاً: «اذهبي لعنك الله ولعن من أرسلك». وحينما اشتكت الجارية (قضيب) إلى الأمير تصرّف القاضي، وذكرت له ما جرى، قال لها: إنه لا يستطيع عمل شيء له، لاسيما وأنه لم يستلم منهم صلة، ولم يركب لهم دابة، وأنه لا يقدر على عزله، لأنه يريد صلاح البلد [المالكي، رياض، 2/ 360- 361].

■ آثاره

على الرغم من أن ابن أبي المنظور كان عالمًا غلبت عليه الرواية، وكان له إدراك وسماع كثير، إضافة إلى علمه بأصول الفقه المالكي، وأنه، كما يقول الخشني، [طبقات، ص 173] «كتب علمًا كثيرًا»، لكننا ومع الأسف لم نعثر على مؤلفات تركها، ولم تذكر المصادر أية كتب صنفها هذا القاضي، باستثناء الإشارة إلى عدله وإيثاره للحق والتزامه به.

■ المصادر والمراجع

● الخشني، طبقات علماء إفريقية، بيروت، دار الكتاب اللبناني (د. ت)، ص173؛ ● المالكي، رياض النفوس، تح. بشير البكوش، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 19881، 1/ 361؛ ● القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تح. محمد بن شريفة، المغرب، مطبوعات وزارة الأوقاف (د.ت)، 5/ 329-330؛ ● الدباغ وابن ناجي، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تونس 1320 هـ، المطبعة الرسمية، 3/ 54-57؛ ● الصنهاجي، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تح. جمال أحمد البدوي، الجزائر 1984، المؤسسة الوطنية للكتاب، ص35، 45 ـ 46؛ ● ابن الأبّار، التكملة لكتاب الصلة، نشر عزة العطار الحسيني، القاهرة 1955-1956، مكتبة الخانجي، 1/ 363-364؛ ● الداعي إدريس، عيون الأخبار، وفنون الآثار، تح. مصطفى غالب، بيروت (د.ت)، دار الأندلس، 3/ 253.

أ.د. عبد الواحد ذنون طه
جامعة الموصل

الأنصاري، أبو طاهر إسماعيل بن خلف

(... هـ / ... م - 455 هـ/ 1062م)

هو أبو طاهر إسماعيل بن خلف بن سعيد الأنصاري السّرقسطي الأندلسي ثم المصري المقرئ النحوي الأديب. ينتسب إلى سرقسطة (Zaragoza) (بلدة مشهورة في شرقي الأندلس وتقع غربي برشلونة بإسبانيا الآن، تنسب إليها جماعة من العلماء، أخذها النصارى من المسلمين سنة 512 هـ/ 1118م).

ولا نعرف شيئا عن أسرته سوى ولده جعفر بن إسماعيل الذي كان مقرئا، وهو معدود من تلاميذ والده أبي طاهر كما سيأتي ذكره.

والإمام أبو طاهر الأنصاري علم من أعلام القراء الأندلسيين الذين يعتبرون مراجع في فن القراءات الشريف، وقد شهد له العلماء بإتقانه لهذا الفن وبراعته فيه.

وقد سكتت المصادر عن تعيين تاريخ ميلاده وإن كانت ذكرت مكانه وهو سرقسطة. وقد رحل مترجمنا إلى مصر ودرس بها علوم عصره من قراءات ونحو وعربية وأدب وغيرها، وتلقى تكوينه العلمي على العديد من الشيوخ. منهم أبو القاسم عبد الجبار بن أحمد الطّرسوسي المعروف بالطويل (ت 420 هـ/ 1029 م)، وهو شيخ القراء في زمانه في مصر، وصاحب كتاب «المجتبى» في القراءات. وأبو الحسن علي بن إبراهيم الحوفي (ت 430 هـ/ 1038م) صاحب كتاب «البرهان في إعراب القرآن» وقد لازمه وأخذ عنه كثيرا حتى لقب بـ «صاحب الحوفي».

وقد تتلمذ على يدي الإمام أبي طاهر الأنصاري عدد كبير من أهل العلم، منهم ولده جعفر بن إسماعيل الذي روى القراءات عن أبيه سماعا وتلاوة، وروى أيضا كتاب «العنوان» من تصنيف والده، وأخذ عنه القراء الواردون في سلسلة السند المتصل بالإمام ابن الجزري (ت 833 هـ/ 1429 م) [النشر، 1/ 65]، وجُماهر بن عبد الرحمان الفقيه، وأبو الحسين يحيى بن علي المصري المعروف بابن الخشّاب (ت 504 هـ/ 1110 م) شيخ الإقراء بالديار المصرية في زمانه.

وقام أبو طاهر برحلة من الأندلس إلى مصرلتلقي العلوم على شيوخها، واستوطنها وحدث بها، ثم عاد إلى سرقسطة، ومكث فيها إلى أن توفي ودفن بها.

وقد عاصر الإمام أبو طاهر الأنصاري عهدين بالأندلس: أولهما: جزء من زمن الخلافة الأموية بقرطبة، ابتداء بالدولة العامرية التي أسسها المنصور بن أبي عامر (ت 392 هـ/ 1002 م) وهي فترة حروب أهلية وصراع حول الخلافة. ومن ميزاتها الإيجابية انتصارات المنصور العديدة على المسيحيين. وثانيهما: انهيار صرح الخلافة الأموية وقيام دويلات على أنقاضها، وهي قصيرة العمر

حكمها أمراء يعرفون في التاريخ بملوك الطوائف، ودويلاتهم مفككة منهوكة يغلب عليها الخلاف، وقد سقطت تباعا في يد عدوّها بسبب تفرقها [عنان، نهاية الأندلس، ص 16-18، فنسنك وزملاؤه، دائرة المعارف الإسلامية، 3/ 42-43، ترجمة محمد ثابت الفندي وأصحابه].

وأما الوظيفة التي كان مترجمنا قائما بها فهي الإقراء والتدريس، وقد تلقى عنه الطلبة فن القراءات والتفسير وعلوم العربية والأدب. وكان يقرئ بجامع عمرو بن العاص بمصر.

آثاره

صنف الإمام أبو طاهر الأنصاري عدة مؤلفات في علوم القرآن والقراءات تدل على غزير علمه وواسع اطلاعه ودقة نظره، وهي:

1 - المطبوعة:

1 - العنوان في القراءات السبع، تح. زهير زاهد وخليل العطية، دار عالم الكتب للنشر، ط. 2 بيروت لبنان 1406 هـ / 1986 م، وهو مختصر كتاب الاكتفاء الآتي ذكره شرحه عبد الظاهر بن نشوان الجذامي المقرئ (ت 649 هـ / 1251م)، وشرحه هذا مخطوط، منه نسخة بجامعة كمبريدج رقمها 667 (12)، وعدد أوراقها 250. ونسخة بآيا صوفيا، السليمانية، إستنبول، تركيا، رقمها 55، وعدد أوراقها 228. ونسخة بالنور العثمانية، إستنبول تركيا، رقمها 80 [الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط، إصدار المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، مؤسسة آل البيت، عمان الأردن، 1987، 1/ 201-202].

2 - المخطوطة:

2 - الاكتفاء في القراءات السبع، منه نسخة في النور العثمانية بإستنبول تركيا، رقمها 53 [الفهرس الشامل، 1/ 81]. وهو مصنف كبير الحجم عظيم الفائدة، جعله صاحبه «كافيا للمنتهي والمبتدي» كما عبر هو نفسه بذلك في مقدمة كتاب « العنوان» [ص 39]. بسط فيه الأسانيد والروايات المنقولة عن الأئمة القراء السبعة ورواتهم، وتوسع في أحكام القراءات وقواعدها من حيث العرض والتوجيه والتعليل؛ 3 - إعراب القرآن، منه نسخة في جزأين بدار الكتب الوطنية بتونس. الجزء الأول: رقمه 4978، وعدد أوراقه 165. وبه قطعتان: الأولى: من الديباجة إلى الآية 282 من سورة البقرة .والثانية: من الآية 106 من سورة المائدة إلى الآية 13 من سورة الأنفال.

الجزء الثاني: رقمه 4979، وعدد أوراقه: 198. وفيه الإعراب من الآية 18 من سورة الأنفال إلى الآية 21 من سورة العنكبوت. والملاحظ أن هذا الجزء به نقص، حيث لا نجد أثرا لإعراب سورة طه، وسورة الأنبياء، وسورة الحج، كما أن النقص موجود أيضا بالنسبة إلى سورة الكهف فإعرابها غير كامل. وتوجد نسخة أخرى من الجزء الثاني بالإسكندرية مصر، رقمها 3475 ج.

3 - المفقودة:

4 - ديوان شعر؛ 5 - مختصر كتاب الحجة لأبي علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي (ت 377هـ/ 987 م). وكتاب الحجة هو كتاب الحجة للقراء السبعة، مطبوع متداول.

المصادر والمراجع

● ابن بشكوال، الصلة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر 1966م، 1/ 104؛ ● ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، تصحيح علي محمد الضباع، المكتبة التجارية الكبرى، مصر د.ت، 1/ 64-66؛ ● م.ن، غاية النهاية، تح. ج. برجستراسر (G. Bergstrasser) دار الكتب العلمية، بيروت، ط.2، 1400 هـ / 1980 م، 1/ 164؛ ● ابن خلكان، وفيات الأعيان، تح. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (د.ت)، 1/ 233؛ ● ياقوت الحموي، معجم الأدباء، دار المستشرق، بيروت لبنان، د.ت، 6/ 165- 167؛ ● ابن خير، الفهرست، تح. فرنشسكه قداره (Franciscus Codera) وخليان ربارة طرغوه (J. Ribera Tarrago)، المكتب التجاري، بيروت لبنان، مكتبة المثنى، بغداد، العراق، مؤسسة الخانجي، القاهرة مصر، ط .2، 1382 هـ / 1963 م، ص 417؛ ● الذهبي، معرفة القراء الكبار، تح. بشار عواد معروف وزملائه، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ط. 1، 1404 هـ/ 1984م، 1/ 423-424؛ ● السيوطي، بغية الوعاة، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة الحلبي، مصر، ط.1، 1384 هـ/ 1964م، 1/ 448؛ ● م. ن، حسن المحاضرة، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية للحلبي، مصر، ط. 1، 1387هـ/ 1967م، 1/ 494؛ ● الصّفدي، الوافي بالوفيات، تح. يوسف فان إس، دار النشر فرانز شتاينر بفيسبادن (Franz Steiner Wiesbaden)، 1393هـ/ 1973م، 9/ 116؛ ● حاجي خليفة، كشف الظنون، دار الفكر، بيروت لبنان، 1410هـ/ 1990م، 1/ 123، 141، 2/ 1167 - 1177، 1448 - 1449؛ ● كحالة، معجم المؤلفين، المكتبة العربية، مطبعة الترقي بدمشق سوريا، 1376هـ/ 1957م، 2/ 268؛ ● الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط.6، 1990م، 1/ 313؛ ● محيسن، معجم حفاظ القرآن، دار الجيل، بيروت لبنان، ط. 1، 1412هـ/ 1992م، 2/ 94 - 95.

● Brockelmann, Geshichte der Arabischen Litteratur, Leiden, 1937, SI: 720-721.

د. فتحي العبيدي
جامعة الزيتونة - تونس

الأنصاري، جابر بن عبد الله

(.... هـ / .... م - 78 هـ/697 م)

جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام بن كعب بن غنم بن سلمة. الصحابي الجليل، المجتهد الحافظ، الأنصاري الخزرجي السّلمي (بفتحتين)، المدني الفقيه. صاحب رسول الله ﷺ وابنُ صاحبه. كان يُعدُّ من فقهاء أصحاب رسول الله. وكان رسول الله يناديه جُبيراً.

روى عن النبي وعن أبي بكر، وعمر، وعلي، وأبي عبيدة، ومعاذ بن جبل، والزبير بن العوام، وطلحة، وأبي سعيد الخدري، وأبي هريرة، وروى عن أم مبشّر زوجة زيد بن حارثة، وعن أم شريك، وأم مالك، وغيرهم من الصحابة والتابعين.

روى عنه عبد الله بن المسيب وعطاء بن أبي رباح وسالم بن الجعد والحسن البصري والحسن بن محمد بن الحنفية وأبو جعفر الباقر ومحمد بن المنكدر ومجاهد والشعبي وطاووس ورجاء بن حيوة ووهب بن منبّه وعمرو بن دينار، وخلق كثير غيرهم.

كان أحد السبعين الذين بايعوا رسول الله في العقبة الثانية، وكان جابر بن عبد الله أصغرهم سناً. وشهد بيعة الرضوان تحت الشجرة، أخرج البخاري ومسلم عن جابر أنه قال: "كنا يوم الحديبية ألفاً وأربعمائة فقال لنا رسول الله ﷺ: أنتم اليوم خير أهل الأرض".

وشهد المشاهد كلّها مع رسول الله إلا بدراً وأُحُداً لرعايته شؤون أخواته.

قال جابر: غزا رسول الله ﷺ إحدى وعشرين غزوة بنفسه، غزوت معه تسع عشرة غزوة، ولم أشهد بدراً ولا أُحُداً. منعني أبي (عبد الله) فلما قتل عبد الله يوم أُحُد، لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة قط. أخرجه مسلم.

وكان أول غزوة غزاها مع رسول الله ﷺ هي حمراء الأسد، ولم يؤذن لأحد ممن لم يشهد أُحُداً أن يشهد حمراء الأسد إلا جابر بن عبد الله، وكان رسول الله ﷺ قد انصرف من أُحُد مساء السبت فبات تلك الليلة في المدينة هو وأصحابه وبات المسلمون يداوون جراحاتهم، فلما صلى رسول الله ﷺ الصبح يوم الأحد أمر بلالاً أن ينادي الناس بطلب العدو، وألا يخرج معهم إلا من شهد القتال بالأمس، فكلّمه جابر بن عبد الله فقال: يا رسول الله إن أبي كان خلفني على أخوات لي وقد قُتل أبي يوم أُحُد؛ فأذن له رسول الله، فخرج معه؛ ولم يخرج مع رسول الله ﷺ ممن لم يشهد أُحُداً سوى جابر.

كان جابر بن عبد الله الرسول الذي بعثه رسول الله إلى ذي الكلاع وذي عمرو رئيسي اليمن في قتل الأسود العنسي الكذاب.

وشهد معركة صفين مع علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

كان جابر بن عبد الله مفتي المدينة في زمانه،

وكان من الحافظين للسنن والمكثرين لرواية الحديث عن رسول الله ﷺ فقد بلغ مسنده ألفاً وخمسمائة وأربعين حديثاً، اتفق الشيخان على ثمانية وخمسين منها وتفرد البخاري بستة وعشرين حديثاً وتفرد مسلم بمائة وستة وعشرين حديثاً.

حمل عن النبي علما كثيراً نافعاً، وله منسك صغير في الحج، وكانت له حلقة في المسجد النبوي يؤخذ عنه العلم.

قال جابر بن عبد الله: بلغني عن رجل حديثاً سمعه من رسول الله ﷺ، فاشتريت بعيراً ثم شددت عليه رحلي فسرتُ إليه شهراً حتى قدمت عليه الشام، فإذا عبد الله بن أُنيس فقلت للبواب: قل له: جابر على الباب، فقال: ابنُ عبد الله ؟ قلت: نعم، فخرج يطأ ثوبه فاعتنقني واعتنقته، فقلت: حديثاً بلغني عنك أنك سمعته من رسول الله ﷺ في القصاص فخشيت أن تموت أو أموت قبل أن أسمعه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « يحشر الناس يوم القيامة عُراة غُرلاً بُهماً، قال: قلنا: وما بُهماً ؟ قال: ليس معهم شيء، ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعُد كما يسمعه من قرُب، أنا الملك، أنا الديّان ولا ينبغي لأحد من أهل النار وله عند أحد من أهل الجنة حقّ حتى أقصّه منه حتى اللطمة، قال: قلنا: كيف وإنما نأتي الله عز وجل عراةً غرلاً، قال: بالحسنات والسيئات».

عندما أراد عبد الله والد جابر أن يخرج غازياً إلى أُحُد قال لابنه جابر: يا بني أراني شهيداً اليوم بل أراني أول الشهداء، ويعلم الله إنك لأحب إنسان إليّ بعد رسول الله ﷺ، واعلم أني عليّ دين فاقض عني ديني، وأوصيك بأخواتك خيراً، وكان قد ترك تسع بنات. ثم دارت رحى المعركة فكان عبد الله أول شهيد من شهداء أُحُد.

ويصل الخبر لجابر في المدينة، ففزع وجرى إلى أرض المعركة لينظر إلى أبيه.

يقول جابر: فجعلت أريد أن أنظر إلى أبي وأصحاب النبي يدفعونني لأن المشركين قد مثلوا به بعد استشهاده، فقال لهم النبي ﷺ: «دعوه ينظر إلى أبيه» فجعلت أنظر إلى أبي ثم أضع وجهي في كمي وأبكي، فنظر إليّ النبي ﷺ وقال: «يا جابر ابكه أو لا تبكه فلا تزال الملائكة تظله بأجنحتها من الأرض إلى السماء».

ثم وقفت مهموماً، فنظر إليّ النبي ﷺ وقال: أبشر يا جابر، فقلت: بم يا رسول الله ؟ فقال: أتدري يا جابر ؟ فقلت: ماذا يا رسول الله؟ فقال: ما كلم الله أحداً إلا من وراء حجاب، وكلّم أباك كفاحاً بغير حجاب، فقال له: يا عبدي تمنّ عليّ، فقال: يا رب أتمنى أن أعود إلى الدنيا فأقاتل مع نبيك فأقتل مرة أخرى في سبيلك لما وجدت من حلاوة الشهادة، فقال الله عز وجل: سبق مني القول أنهم إليها لا يرجعون، فتمنّ عليّ أمنية أخرى، فقال: يا رب أتمنى أن تُبلّغ عني إخواني ما أنا فيه من السعادة، فأنزل الله عز وجل قوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ **[آل عمران: 169-170].**

وروى البخاري ومسلم عن جابر بن عبد الله

قال: خرجت مع رسول الله ﷺ فتمرّ عليّ إلى ذات الرّقاع على جمل لي ضعيف. فلما قفل رسول الله جعلت الرفاق تمضي وجعلت أتخلف حتى أدركني رسول الله ﷺ. فقال: ما لك يا جابر ؟ قلت: يا رسول الله أبطأ بي جملي هذا، قال: أنخه، فأنخته وأناخ رسول الله ﷺ. ثم قال: أعطني هذه العصا من يدك ففعلت فأخذها فنخسه به نخسات ثم قال: اركب، فخرج - والذي بعثه بالحق - يسابق ناقته مسابقةً. وتحدثت مع رسول الله ﷺ فقال لي: أتبيعني جملك هذا يا جابر ؟ قلت: يا رسول الله بل أهبه لك، قال: لا، ولكن بعنيه، قلت: فسُمنيه يا رسول الله، قال: آخذه بدرهم، قلت: لا إذن تغبُنني يا رسول الله، قال فبدرهمين، قلت: لا، فلم يزل يزيدني رسول الله ﷺ في ثمنه حتى بلغ الأوقية، فقلت: أفقد رضيت يا رسول الله؟ قال: نعم قلت: فهو لك؛ قال: قد أخذته، ثم قال: يا جابر هل تزوجت بعد؟ قلت: نعم، يا رسول الله قال: أثيباً أم بكراً ؟ قلت: لا بل ثيباً، قال: أفلا جارية تلاعبها وتلاعبك ؟ قلت: يا رسول الله إن أبي أصيب يوم أحد وترك له بنات سبعاً، فنكحت امرأةً جامعةً تجمع رؤوسهن وتقوم عليهن. قال: أصبت إن شاء الله. أما إنا لو جئنا صراراً (مكان في ضاحية المدينة) أمرنا بجزور فنُحرت، وأقمنا عليها يومنا ذاك، وسمعت بنا فنفضت نمارقها (الوسائد)، فقلت: والله يا رسول الله ما لنا من نمارق، قال: إنها ستكون، فإذا أنت قدمت فاعمل عملاً كيّساً. قال جابر: فلما جئنا صراراً أمر رسول الله ﷺ بجزور فنحرت، وأقمنا عليها ذلك اليوم. فلما أمسى رسول الله ﷺ دخل ودخلنا المدينة. قال جابر: فلما أصبحت أخذت برأس الجمل فأقبلت به حتى أنخته على باب رسول الله ﷺ ثم جلست في المسجد قريباً منه، فخرج رسول الله ﷺ فرأى الجمل فقال: ما هذا ؟ قالوا: يا رسول الله هذا جمل جاء به جابر؛ قال: فأين جابر ؟ فدُعيت له فقال: يا ابن أخي خذ برأس جملك فهو لك. ودعا بلالاً فقال له: اذهب بجابر فأعطه أوقية، فذهبت معه فأعطاني أوقية، وزادني شيئاً يسيراً، فوالله مازال ينمو عندي ويُرى مكانه من بيتنا.

روى البخاري في صحيحه عن جابر قال: إنّا يوم الخندق نحفر فعرضت كدية (صخرة) شديدة، فجاؤوا النبي ﷺ فقالوا هذه كدية عرضت في الخندق، فقال: أنا نازل، ثم قام وبطنه معصوب بحجر، ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقاً، فأخذ النبي ﷺ المعول فضرب، فعاد كثيباً أهيم، فقلت يا رسول الله. ائذن لي إلى البيت، فقلت لامرأتي: رأيت بالنبي ﷺ شيئاً ما كان لي في ذلك صبر، فعندك شيء ؟ قالت: عندي شعير وعناق (أنثى من المعز) فذبحت العناق وطحنت الشعير حتى جعلنا اللحم في البرمة (القدر)، ثم جئت النبي والعجين قد انكسر والبرمة بين الأثافي (الحجارة التي توضع عليها القدر) قد كادت أن تنضج، فقلت: طعيّمٌ لي، فقم أنت يارسول الله ورجل أو رجلان، قال: كم هو ؟ فذكرت له، قال: كثير طيب، فقل لها لا تنزع البرمة ولا الخبز من التنور حتى آتي. ثم نادى المهاجرين والأنصار فقال لهم: يا أهل الخندق إن جابراً قد صنع سوراً (طعاماً عاماً) فحيّ هلا بكم.

فلما دخل جابر على امرأته قال: ويحك جاء النبي ﷺ بالمهاجرين والأنصار ومن معهم، قالت: هل سألك رسول الله ﷺ كم طعامك؟ قال: نعم، قالت: فالله ورسوله أعلم.

ثم جاء النبي ﷺ فقال: ادخلوا ولا تضاغوا (ترفعوا أصواتكم)، فجعل يكسر الخبز ويجعل عليه اللحم ويخمر البرمة والتنور إذا أخذ منه، فلم يزل يكسر الخبز ويغرف حتى شبعوا وبقي منه، ثم قال: كلي هذا واهدي.

قال جابر: «أقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوا وانصرفوا، وإن برمتنا لتغط كما هي، وإن عجيننا ليخبز كما هو».

لما قتل أبوه في أُحُد كان عليه دين كبير، فاشتد الغرماء في حقوقهم، قال جابر: أتيت النبي ﷺ فسألهم أن يقبلوا ثمر حائطي ويحللوا أبي فأبوا، فلم يعطهم النبي ﷺ حائطي، وقال: سنغدو عليك، فغدا علينا حين أصبح فطاف في النخل ودعا في ثمره بالبركة، فجذذتها [قطفتها] فقضيتهم وبقي لنا من ثمرها ببركة دعاء رسول الله.

وعن جابر بن عبد الله قال: قال لي رسول الله ﷺ: لو قدم مال من البحرين لأعطيتك هكذا وهكذا وهكذا وأشار بيديه ثلاث مرات، فلم يقدم به حتى مات رسول الله ﷺ. فلما قُدم به على أبي بكر قال: من كانت له عدة عند رسول الله ﷺ فليأت، قال جابر؟ قلت قد كان وعدني إذا جاء مال البحرين أن يعطيني هكذا وهكذا وهكذا، قال: خذ فأخذت أول مرة فكانت خمسمائة؛ ثم أخذت الثنتين فوجدتها ألفاً وأربعمائة درهم.

ومن أقواله وحكمه: «دعا رسول ﷺ الله في مسجد الأحزاب يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء فاستجيب له يوم الأربعاء بين صلاتي الظهر والعصر فعرفنا البشر في وجهه، قال جابر: فلم ينزل بي أمر مهم إلا توخيت تلك الساعة من ذلك اليوم، فدعوت الله فأعرف الإجابة».

وقال: «هلاكٌ بالرجل أن يدخل عليه الرجل من إخوانه فيحتقر ما عنده أن يقدمه إليه، وهلاكٌ بالقوم أن يحتقروا ما قُدّم إليهم».

وقال: «تعلموا الصمت، ثم تعلموا الحكمة، ثم تعلموا العلم، ثم تعلموا للعلم العمل بالعلم ثم انشروا».

وقال: «ما منا أحد إلا مالت به الدنيا ومال بها ما خلا عمر وابنه عبد الله».

وقال: «إذا حدّث الرجل القوم، ثم التفت فهي أمانة».

اختلفت الآراء وتعددت الأقوال في تحديد سنة وفاته على أقوال جميعها تدور بين السبعين والثمانين للهجرة، أشهر هذا الأقوال أنه توفي سنة ثمان وسبعين (78هـ).

عاش أربعاً وتسعين سنة (94).

وهو آخر من مات بالمدينة ممن شهد العقبة، قال الإمام أحمد (آخر من مات من أهل العقبة جابر بن عبد الله الأنصاري).

صلى عليه أبانُ بن عثمان بقباء وكان أمير المدينة يومئذ.

المصادر والمراجع

- أحمد بن عمرو بن الضحاك أبي بكر الشيباني (287 هـ)، الآحاد والمثاني،

تح. باسم فيصل أحمد الجوابرة، دار الراية، الرياض، الطبعة الأولى 1411-1991؛ ● محمد بن سعد بن منيع أبي عبد الله البصري الزهري (230 هـ)، الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت؛ ● أحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي (852 هـ)، الإصابة في تمييز الصحابة، تح. علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى 1412-1992؛ ● يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر(463 هـ)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تح. علي محمد البجاوي دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى 1412؛ ● عبد الرحمن ابن علي بن محمد أبي الفرج (597 هـ)، صفوة الصفوة، تح. محمود فاخوري ومحمد رواس قلعه جي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية 1399-1979؛ ● محمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبي عبد الله البخاري الجعفي (256 هـ)، التاريخ الكبير، السيد هاشم الندوي، دار الفكر، بيروت؛ ● شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (748 هـ)، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تح. الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1995؛ ● محمد بن أحمد ابن عثمان بن قايماز الذهبي أبي عبد الله (748 هـ)، سير أعلام النبلاء، تح. شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة التاسعة 1413؛ ● أبي زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي (676 هـ)، صحيح مسلم بشرح النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية 1392؛ ● أحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي (852هـ)، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، تح. محمد فؤاد عبد الباقي، محب الدين الخطيب دار المعرفة، بيروت؛ ● يوسف ابن الزكي عبد الرحمن أبي الحجاج المزي (742 هـ)، تهذيب الكمال، مؤسسة الرسالة، بيروت 1400-1980؛ ● ابن الأثير الجزري، جامع الأصول، دار الفكر، بيروت، 1983م؛ ● ابن الأثير الجزري، أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

د. محمد خير الطرشان
معهد الفتح الإسلامي - دمشق

الأنصاري الجياني، أبو بكر محمد بن علي

(492 هـ / 1098 م - 563 هـ/ 1167 م)

أبو بكر محمد بن علي بن عبد الله بن ياسر الأنصاري الجيّاني، محدّث، مفسّر، وعالم بالقراءات. ولد في مدينة جيّان فزخك بالأندلس سنة 492 هـ، وتلقّى تعليمه الأول فيها. رحل إلى المشرق قبل عام 520هـ/ 1126م، فأدّى فريضة الحج، وقدم إلى دمشق، وسكن قنطرة سنان. وكان يُعلم بالقرآن فيها، ويتردّد إلى بعض علمائها، أمثال أبي الفتح نصر الله بن محمد، ويسمع منه الحديث، وأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر (ت 571هـ/ 12175م)، مؤلف كتاب تاريخ مدينة دمشق، الذي صاحبه ورحل معه، إلى بغداد سنة 520هـ. وقد سمع الاثنان في بغداد لهبة الله بن الحصين وغيره. ثم خرج الأنصاري إلى خراسان، فسمع بها من حمزة الحسيني، وأبي عبد الواحد الفراوي، وأبي القاسم الشماخي وغيرهم. وفي بلخ، التي سكنها مدة، سمع من جماعة منهم، أبومحمد الحسن بن علي الحسني، وأبو النجم مصباح بن محمد المكي، وتفقه في مدينة بخارى، حتّى مهر في المذهب والخلاف والجدل.

وقد رجع الأنصاري من رحلته في المشرق إلى الموصل، حيث أقام فيها مدة يُؤخذ عنه ويُسمع منه. ومن أهمّ تلامذته الذين أخذوا عنه في الموصل، أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم المعروف ببهاء الدين بن شداد (ت 632هـ/ 1234م)، الذي قرأ عليه صحيح مسلم من أوّله إلى آخره، والوسيط للواحدي، وقد أجاز له رواية ما يرويه عنه، ذلك في سنة 559هـ/ 1163م [ابن خلكان، وفيات الأعيان، 7/ 86] وقد روى عنه علماء كبار آخرون، أمثال صديقه ابن عساكر، وأبو حفص الميانشي، وأبو المنصور مظفر بن سوار اللخمي، وأبو محمد عبد الله بن علي ابن سُويرة، وابن أبي سنان وغيرهم.

انتهى الأنصاري في رحلته المشرقية إلى مدينة حلب، التي استوطنها، وبرز فيها بعلمه وروايته للحديث. فسُلّمت إليه خزانة الكتب النورية، وحُدد له مرتب معيّن. وكان يُعرف في حلب بتديّنه وفضله وصدقه، وبدقته في تخريج الأحاديث وحفظها، وإسناده العالي الذي ساوى به بعض شيوخ البخاري ومسلم وأبي داود والنسائي والترمذي. وكان فيه عسر في الرواية والإعارة معًا. وقبل أن يتوفّى في حلب في شهر جمادى الأولى سنة 563هـ/ 1167م، وقف كتبه على أصحاب الحديث النبوي الشريف.

آثاره

كتاب الأربعين في رواية المحمدين، ألفه سنة 577 هـ/ 1162 م، وقد أشار بروكلمان إلى وجوده في باريس برقم أول 3/ 277، وبالقاهرة ثان 1/ 88 .

المصادر والمراجع

● ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، نسخة على القرص المرن، بإشراف مركز التراث لأبحاث الحاسوب الآلي، 54/ 399-400؛ ● ابن المستوفى تاريخ اربل، تح. سامي بن السيد خماس الصقار، بغداد، دار الرشيد، 1980، 1/ 113، 160، 167، 369؛ ● ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، نشر عزت العطار الحسيني، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1955-1956، 2/ 500-501؛ ● ابن خلكان، وفيات الأعيان، تح. إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، 1968، 7/ 86، ضمن ترجمة ابن شداد؛ ● ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، تح. سهيل زكار، بيروت، دار الفكر، 1988، 1/ 381، 7/ 340، 341؛ ● المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح. إحسان عباس، بيروت، دار صادر، 1968، 2/ 58؛ ● كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ترجمة السيد يعقوب بكر ورمضان عبد التواب، القاهرة دار المعارف، 1977، 6/ 277؛ ● ناطق صالح مطلوب، «الرحلة في طلب العلم والحياة الثقافية في الموصل»، فصل ضمن «صور من التأثير العلمي بين الموصل والأندلس»، بحث ضمن محاضر المؤتمر العلمي الأوّل لتاريخ العلوم عند العرب، جامعة بغداد، مركز التراث العلمي العربي، 4-6 مايو/ أيار 2002، ك 12-13.

د. عبد الواحد ذنون طه
جامعة الموصل - العراق

الأنصاري، أبو الحسنات محمد عبد الحي بن عبد الحليم بن محمد أمين

(....هـ/....م - 1304 هـ/1887م)

هو محمد عبد الحي بن محمد بن عبد الحليم الأنصاري اللكهنوي، المشهور بأبي الحسنات. ويُعد من فقهاء الحنفية المشهود لهم برسوخ القدم في علم الحديث، وطول الباع في علم الفقه وأصوله، وتراجم الأعلام. ولد في سنة أربع وستين ومائتين وألف ببلدة باندا، وحفظ القرآن ودرس العلوم النقلية والعقلية على والده العلامة عبد الحليم الأنصاري، ودرس بعض كتب الهيئة (علم الفلك) على خال أبيه المفتي نعمة الله بن نور الله اللكهنوي. وأجيز في هذه العلوم ومثيلاتها في سن مبكرة، وعمره لم يتجاوز السبعة عشر عاماً، وبعد ذلك لازم التدريس والإرشاد والإفتاء ببلدة حيدر آباد.

وقد وفقه الله سبحانه وتعالى بزيارة الأراضي المقدسة مرتين لأداء فريضة الحج، إحداهما

برفقة والده في سنة (1279هـ)، والثانية بعد وفاة والده في سنة (1293هـ)، وخلال هاتين الزيارتين سنحت له الفرصة بمجالسة عدد من علماء مكة المكرمة والمدينة المنورة، وحصلت له الإجازة عن السيِّد أحمد بن زين دحلان الشافعي، والمفتي محمد بن عبد الله الحنبلي بمكة المباركة، وعن الشيخ محمد بن الغربي الشافعي، والشيخ عبد الغني بن أبي سعيد العمري الحنفي الدهلوي بالمدينة المنورة. ثم صدقت له السلطات بحيدر آباد بمزاولة مهنة التدريس والإفتاء، ونذر باقي عمره للتدريس والإفتاء والدعوة في بلدة لكهنؤ إلى أن وافته المنية في ربيع الأول سنة أربع وثلثمائة وألف.

ومن تلاميذه الذين لازموا مجالسه العلمية وارتشفوا من مناهل علمه الزاخر الشريف عبد الحي بن فخر الدين الحسني (ت 1341هـ)، الذي وصف شيخه بأنه كان «خطيباً مصقعاً، متبحراً في العلوم معقولاً ومنقولاً، مطلعاً على دقائق الشرع وغوامضه، تبحر في العلوم، وتحرى في نقل الأحكام، وحرر المسائل، وانفرد في الهند بعلم الفتوى، فسارت بذكره الركبان، بحيث إن علماء كل إقليم يشيرون إلى جلالته... وكان الثناء عليه كلمة إجماع والاعتراف بفضله ليس فيه نزاع». وقال العلامة أبوالحسنات في كتابه الموسوم بـ «النافع الكبير»: «إني رزقت التوجه إلى فن الحديث وفقه الحديث، ولا أعتمد على مسألة ما لم يوجد لها أصل في حديث أو آية، وما كان خلاف الحديث الصحيح أتركه، وأظن أن المجتهد به معذور بل مأجور...، ومن مِنَحه (أي الله سبحانه وتعالى) أنه جعلني سالكاً بين الإفراط والتفريط، لا تأتي مسالة معركة الآراء بين يدي إلا ألهمت الطريق الوسط فيها، ولست ممن يختار التقليد البحت ولا يترك قول الفقهاء وإن خالفته الأدلة الشرعية، ولا ممن يطعن عليهم ويهجر الفقه كلية».

آثاره

ألف العلامة أبوالحسنات الأنصاري عدداً من المصنفات العلمية في الفقه، والحديث، والأنساب، والأخبار، والمنطق، والحكمة، وعلم الهيئة، ونذكر منها:
1- الآثار المرفوعة في الأخبار الموضوعة؛
2- الفوائد البهية في تراجم الحنفية؛
3- التعلقيات السنية في الفوائد البهية؛
4- الإفادة الخطيرة؛ 5- الرفع والتكميل في الجرح والتعديل؛ 6- ظفر الأماني في مختصر الجرجاني؛ 7- نفع المفتي والسائل بجمع متفرقات المسائل؛ 8- التعليق الممجد على موطأ محمد؛ 9- جمع الغرر في الرد على نثر الدرر؛ 10- فرحة المدرسين بأسماء المؤلفات والمؤلفين؛ 11- طرب الأماثل بتراجم الأفاضل؛ 12- إنباء الخلان بأنباء علماء هندستان.

المصادر والمراجع

● الشريف عبد الحي بن فخر الدين الحسين، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، ج 8، ط 2، حيدر آباد، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، 1981م، ص 234-238؛ ● الشريف عبد الحي بن فخر الدين الحسين، نزهة الخواطر وبهجة

المسامع والنواظر، ج 7، دار ابن حزم، 1999م، ص 1268-1270؛ ● الزركلي، خير الدين، الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج 6، بيروت، دار العلم للملايين، د.ت، ص 187.

د. علي ابراهيم أبو شوك
الجامعة الإسلامية العالمية - ماليزيا

الأنصاري الداني، أبو محمد عبد الله بن أحمد

(591 هـ / 1195 م - 646 هـ/ 1248 م)

أبو محمد عبد الله بن أحمد بن عبد الله ابن محمد، فقيه، أديب، شاعر، وله اهتمام بالطب، أندلسي من أهل دانية Dania، وسكن مدينة شاطبة Jativa. درس في مدينته الآداب عن عمّه أبي الحسين يحيى ابن عبد الله، والعربية على أبي عبد الله التجيبي. وسمع الحديث من أبي بكر أسامة ابن سليمان، وأبي القاسم بن إدريس.

وانتقل إلى مدينة إشبيلية Sevilla، حيث سمع فيها موطأ مالك، برواية يحيى بن يحيى الليثي، عن أبي القاسم بن بقي.

كان الأنصاري، كما يصفه بعض مترجميه، من أهل التواضع والطهارة، نزيه النفس، نبيه البيت. لم يكتف بما حصّله من الأندلس من علم ومعرفة، فرحل رحلتين خارجها لطلب السماع، الأولى: وهي الأطول والأهمّ، شملت الشمال الافريقي، وبضمنه مصر، ثم بلاد الشام، والعراق، لا سيما مدينة الموصل. وقد التقى في تونس بأبي عبد الله محمد بن الأبار القضاعي (ت 658هـ/ 1258م)، الذي صاحبه لمدة، وسمع منه كثيرًا، وقد سمع الأنصاري من ابن الأبار أيضًا، ولكن بدرجة أقلّ من ذلك. وقد أجاز لابن الأبار بلفظه ما رواه وجمعه وأنشأه، الأمر الذي ربّما يدل على أنّ لقاءهما كان في طريق رجوعه من رحلته المشرقية الأولى، بعد أن رجع محمّلاً بعلوم المشرق وثقافته. وكان الأنصاري قد سمع بالاسكندرية، ودمشق، والموصل، عددًا كبيرًا من الشيوخ، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر، أبا عبد الله بن عماد الحراني، وأبا عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي، وأبا إسحاق إبراهيم بن أبي طاهر الخشوعي، وأبا الحسن بن أبي السنان، وغيرهم.

ولقد شاهده في مدينة الموصل كمال الدين أبو البركات المبارك بن الشعار الموصلي (ت654هـ/ 1256م)، فوصفه بأنّه شاب أسمر مربوع، وقال: «شاهدته بمدينة الموصل شابا تفقّه على مذهب الإمام الشافعي -رضي الله عنه- بالمدرسة البدرية -حرسها الله

تعالى-. وذكر أنه سمع الحديث كثيرًا في الأندلس، وحفظ كتاب الله تعالى، وله نظم ونثر ويحفظ من أشعار الأندلسيين، والرسائل والموشحات صدرًا جيّدًا». وقد روى عنه ابن الشعار العديد من القصائد والأبيات في فنون مختلفة. ومن المحتمل أنه راسل، وهو في الموصل عددًا من علماء بغداد المعروفين بروايتهم للحديث، وأنّهم من مُسندي بغداد المشهورين، أمثال أبي صالح نصر بن عبد الرزاق الجيلي، وأبي القاسم علي بن أبي الفرج الجوزي، وأبي عبد الله الحسين بن مبارك الزبيدي، وغيرهم ممّن في طبقته، فكتبوا إليه.

وعلى الرغم من ميل الأنصاري الداني إلى الأدب والشعر، واهتمامه بهما نثرًا ونظمًا، فقد كانت له اهتمامات طبّية، وميل إلى علم الطب وعناية به، ولكننا لا نعلم إلى أي حد بلغ به هذا الاهتمام، لسكوت المصادر عن التفصيل في ذلك. وقد جمع الأنصاري شعر أبي العلاء المعرّي، مسموعا برواية أبي إسحاق بن أبي اليسر عن والده عن جده عن أبي العلاء، ممّا يشير إلى اهتمامه، ومحاولته الوصول إلى أفضل وأصحّ رواية، ترجع إلى صاحبها الأصلي.

ويبدو أنه اشتاق للرحلة ثانية إلى المشرق في أواخر أيامه، فتوجّه في ذي الحجّة سنة 645هـ للقيام بذلك. وبالفعل غادر الأندلس، ووصل إلى مصر، لكنّه توفّي في مدينة القاهرة، يوم الجمعة منسلخ شهر شعبان من سنة 646هـ/ 1248م.

المصادر والمراجع

● ابن الشعار، قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان، مخطوط مصوّر في قسم اللغة العربية بكلية التربية، جامعة الموصل عن الأصل المحفوظ في مكتبة أسعد أفندي الملحقة بالمكتبة السليمانية باستانبول رقم 22324، ج3، الورقة 144اب- 145اب، وقد نُشر الجزء الثالث من هذا المخطوط بتحقيق نوري حمودي القيسي ومحمد نايف الدليمي، الموصل، دار الكتب للطباعة والنشر، 1992، 3/ 183؛ ● ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، نشر عزت العطار الحسيني، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1955-1956، 2/ 903-905؛ ● مطلوب، ناطق صالح، الرحلة في طلب العلم والحياة الثقافية في الموصل، فصل ضمن موسوعة الموصل الحضارية، الموصل، دار الكتب للطباعة والنشر، 1992، 2/ 373-374.

د. عبـــد الوحد ذنون طه
جامعة الموصل - العراق

الأنصاري، أبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت

(122 هـ / 740 م - 215 هـ / 830 م)

هو سعيد بن أوس بن ثابت الخزرجي، لغويّ، راوٍ، نحويّ، اختلف في سنتي مولده ووفاته، فقد حدّد الزركلي مولده في سنة 119 هـ / 737 م، وذهب سزكين إلى سنة 120 هـ / 738م. أما وفاته فعينها الزركلي بسنة 215 هـ / 830 م.

كان جدّه ثابت بن بشير أحد الصّحابة الستّة الذين جمعوا القرآن في حياة الرّسول، وكان أبوه من رواة الحديث، وقد درس في كتّاب اجتمع فيه بالنضر بن شميل، ويحيى بن المبارك اليزيدي. أخذ اللّغة والنحو والقراءة والحديث والشعر عن عدد من رجالات عصره، ومنهم عمرو بن عبيد، وعيسى بن عمرو، وعبد الملك بن جريج، وعبد الله بن عون، وأبو عمرو بن العلاء، والأخفش الأكبر، ويونس بن حبيب، والمفضّل بن عاصم... وانفرد من البصريّين بالرواية عن المفضّل بن محمد الضبيّ الكوفي، وأكثر الرواية عن الأعراب، ومنهم أبو البيداء، وأبو حيوة بن لقيط، وأبو خيرة العدوي، وأبو الدقيش، وقد قضى مدة بين البدو لجمع أخبار العرب ونوادرهم.

قضى حياته في البصرة، وزار بغداد والكوفة، وكانت له حلقة كبيرة في مدينته، وأخذ عنه كثيرون مثل سيبويه، والأصمعي، وأبو عبيد، وإبراهيم بن يحيى اليزيدي، والجرمي، والتّوزي، وأحمد بن حاتم الباهلي، وعلي بن المغيرة الأثرم، وسليمان بن أيّوب، وأبو حاتم السجستاني، والمازني، والجاحظ، وأبو نواس، وغيرهم.

والأغلب أنّه كان معتزليا شيعيا، كما كان يعتبر ثقة ثبتا صدوقا في ما يرويه، وتنسب إليه المصادر عشرات المصنّفات في اللّغة خاصة، والغريب، ولكنّ بعضها يتعلّق - حسبما تدلّ عناوينها بالأمثال وبصيغ الكلمات وأوزانها وبالحروف ومعاني القرآن...

وتمثّل مصنّفات أبي زيد مصدرا اعتمده اللّغويّون، وأحالوا عليه في معاجمهم، كالجوهري، والأزهري، وابن سيده، وابن منظور، والزبيدي؛ واعتمده كذلك النحاة لتوثيق الكلمات والشواهد الشعرية، وخاصة ابن جنّي في كتابيه «الخصائص» و«المنصف في شرح تصريف المازني»، وأبا علي الفارسي، وأبا بكر الأنباري...

آثاره

1 - النوادر، نشر لويس شيخو، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1894، ومحمد عبد القادر أحمد، دار الشروق، 1401هـ/ 1981م؛ 2 - مسائيّة، تح. الشرتوني (عدّه بعضهم كتابا مستقلاً، واعتبره بعضهم ذيلا للنوادر)؛ 3 - المطر، تح. جوتهايل في 1895، Journal of the American Oriental Studies XVI

ولويس شيخو في مجلة المشرق، 1908؛ 4 - اللّبأ واللّبن، نشر لويس شيخو، مجلّة المشرق، 1908؛ 5 - الهمز، نشر لويس شيخو، مجلة المشرق، نشره مستقلاً، المطبعة الكاثوليكية، بيروت 1910؛ 6 - الإبل والشاء؛ 7 - الأمثال؛ 8 - أيمان عيمان؛ 9 - البيان؛ 10 - المثلّث؛ 11- الجود والبخل؛ 12 - الصفات؛ 13 - فعلت وأفعلت؛ 14 الكلأ والشجر؛ 15 - اللاّمات؛ 16 - المصادر.

المصادر والمراجع

● ابن قتيبة، المعارف، تح. ثروة عكاشة، دار الكتب، مصر، ط. 2، 1960؛ ● أبو الطيب اللّغوي، مراتب النحويّين، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة نهضة مصر؛ ● ابن النديم، الفهرست، تح. شعبان خليفة ووليد محمد العورة، القاهرة، 1991؛ ● السيرافي، أخبار النحويين البصريين، تح. طه محمد الزيني ومحمد عبد المنعم خفاجة، مصر، 1374هـ/ 1935م؛ ● الزبيدي، طبقات النحويين واللّغويين، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر، 1973؛ ● الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مطبعة السعادة، مصر 1349 هـ/ 1931 م؛ ● ابن خيّر الإشبيلي، فهرست ما رواه عن شيوخه، تح. فرنسشكة قدارة زيدين وخليان ربارة طرغوه، المكتب التجاري، بيروت ومكتبة المثنى ببغداد ومؤسسة الخانجي بالقاهرة، ط. 2، 1382 هـ/ 1963 م؛ ● الأنباري، نزهة الألبّاء، تح. أحمد فريد رفاعي، مطبعة دار المأمون، مصر؛ ● ياقوت، معجم الأدباء، تح. أحمد فريد رفاعي، مطبعة دار المأمون، مصر؛ ● القفطي، إنباه الرواة، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، 1371هـ/ 1952 م؛ ● ابن خلّكان، وفيات الأعيان، تح.، إحسان عباس، دار صادر؛ بيروت، ● الذهبي، سير أعلام النبلاء، تح. كامل الخراط وشعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط. 1، 402هـ/ 1982م؛ ● ابن كثير، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، لبنان؛ ● ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القرّاء، تح. برجشتراسر، المثنى ببغداد والخانجي بمصر 1351 هـ/ 1936 م؛ ● ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، حيدر أباد الدكن 1326هـ؛ ● السيوطي، بغية الوعاة، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر، ط. 1، 1384هـ/ 1964م؛ ● ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب، دار المسيرة، بيروت، ط. 2، 1399هـ/ 1979م؛ ● اليغموري، نور القبس المختصر من المقتبس، تح. رودواف زلهايم، دار نشر فرانتس شتاينر بفيسبادن، 1384هـ/ 1964م؛ ● بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، تر. عبد الحليم النجّار، ج. 2، دار المعارف بمصر؛ ● سزكين، تاريخ التراث العربي، تر. عرفة مصطفى، إيران، ط. 2، 1412هـ؛ ● حسين نصّار، المعجم العربي، دار مصر للطباعة، 1408هـ/ 1988م؛ ● عبد القادر، أحمد محمد، أبو زيد الأنصاري ونوادر اللّغة،

مكتبة النهضة المصرية، 1980؛ ● دائرة المعارف الإسلامية، ط. ج. مج.1؛ دائرة المعارف الإسلامية الكبرى، طهران، 1416هـ/ 1995م، 4/ 627؛ ● الزركلي، الأعلام، ط. 14، بيروت 1999، دار العلم للملايين، 3/ 92.

د. حسين نصّار
جامعة القاهرة

الأنصاري، زين الدين أبو يحيى زكريا بن محمد

(824 هـ / 1421 م - 926 هـ / 1520 م)

هو شيخ الإسلام، قاضي القضاة، زين الدين أبو يحيى، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا، الأنصاري، السكيني، القاهري، الأزهري، الشافعي.

ولد سنة 824 هـ وقيل 823 هـ أو 826 هـ بقرية سنيكة، وهي بلدة في محافظة الشرقية بمصر، وبها نشأ وحفظ القرآن الكريم عند الفقيهين: محمد بن ربيع، والبرهان الفاقوسي البلبيسي؛ كما حفظ عمدة الأحكام، وبعض مختصر التبريزي في الفقه، والمنهاج الفرعي، وألفية النحو، والشاطبيّتين، والرائية، وبعض المنهاج الأصلي، وبعض ألفية الحديث، والتسهيل. ثم جد في طلب العلم سنة 841 هـ بالقاهرة حيث قطن الجامع الأزهر ثم عاد إلى بلده، ورجع بعدئذ إلى القاهرة حيث أخذ أنواع العلوم عن شيوخ عصره كالقاياتي، وابن حجر، والبلقيني، والشريف السبكي، والجلال المحلي، والشرف المناوي، وغيرهم ممن يطول حصرهم، حتّى تعدد ما أخذه عنهم من فقه، وتفسير، ونحو، وصرف، وبلاغة، ومنطق، وحساب، وعروض، وطب، وتصوف، وعلم الحرف، والتجويد، ورسوم الخط، والقراءات، والحديث، والسيرة النبوية على نحو ما يستطرد صاحب تاريخ النور السافر، وأذن له شيوخه بالإفتاء والتدريس، فأقبل على نفع الناس إقراء، وإفتاء، وتصنيفا، ودرّس في أمكنة متعددة.

ولي مشيخة الصلاحية، والتدريس في مقام الإمام الشافعي، ولم يكن بمصر أرفع منصبا من هذا التدريس، ولاه السلطان قايتباي الجركسي قضاء القضاة، فلم يقبله إلاّ بعد مراجعة وإلحاح . ولما ولي ورأى من السلطان عدولا عن الحق في بعض أعماله، كتب إليه يزجره عن الظلم، فعزله السلطان، فعاد إلى الاشتغال بالعلم وملازمة العمل ليلا ونهارا مع مقاربة عمره من المائة سنة. كان يميل إلى الصوفية ويذب عنها سيما عن ابن عربي، وابن الفارض، وهو من كتب في نصرتهما.

نشأ فقيرا معدما، حتّى قيل: إنّه كان يشعر

بالجوع أثناء إقامته بالجامع. ولما ظهر فضله، وشاع صيته تتابعت إليه الهدايا والعطايا، فجمع نفائس الكتب وأفاد منها علما وفقها ومالا، كما أفاد القارئين عليه علما وفهما.

آثاره

وضع زكرياء الأنصاري تصانيف كثيرة فقد ذكر «الغزي» في «الكواكب السائرة» أن جملة مصنفاته بلغت واحدا وأربعين مؤلفا، وأحصى حاسوب المخطوطات بدار الكتب المصرية أن له 384 مخطوطا، ويذكر سركيس أنه طبع من مصنفاته أربعة وعشرون. ومن تآليفه:

1 - اللؤلؤ النظيم في روم التعلّم والتعليم، طبع القاهرة 1319هـ، وموضوعه مزايا العلوم المختلفة وعيوبها؛ 2 - تنقيح تحرير اللباب، طبع القاهرة 1292هـ و 1310هـ و1316هـ، وهو في الفقه؛ 3 - فتح الرحمن بكشف ما يلبس في القرآن، طبع بولاق 1299هـ على هامش السراج المنير للشربيني؛ 4 - المقصد لتخليص ما في المرشد في الوقف والإبتداء، طبع بولاق 1982، وهو في الوقف في القرآن على ضوء المرشد للحسن بن علي بن سعيد العماني؛ 5 - هداية المتنسك وكفاية المتمسك، مخطوط في بريل 1369؛ 6 - الإعلام بأحاديث الأحكام، مخطوط بالمتحف البريطاني 195؛ 7 - نهج الطالب لأشرف المطالب، مخطوط بباريس 1049؛ 8 - الفتوحات الإلهية في نفع أرواح الذات الإنسانية، مخطوطات عديدة: برلين 6/ 3035، الإسكندرية فنون 15/ 150، القاهرة اول 2/ 99، 7/ 605، ثان 1/ . . . 337؛ 9 - الإعلام والاهتمام لجمع فتاوي شيخ الإسلام، مخطوط جوتا 1145، باريس 950، الإسكندرية فقه شافعي 6؛ 10 - رسالة في البسملة والحمد لله، مخطوط في برلين 5/ 2275، المتحف البريطاني في 3/ 902، باريس 1396، القاهرة ثان 2/ 63؛ 11 - أقصى المعاني، مخطوط ليبزيج 477، القاهرة ثان 2/ 176/ 213، دمشق العمومية 19/ 78؛ 12 - تحفة الباري على صحيح البخاري؛ 13 - فتح الجليل، وهو تعليق على تفسير البيضاوي؛ 14 - شرح ايساغوجي، في المنطق؛ 15 - شرح ألفية العراقي، في مصطلح الحديث؛ 16 شرح شذور الذهب، في النحو؛ 17 - تحفة نجباء العصر، في التجويد؛ 18 - الدقائق المحكمة، في القراءات؛ 19 - فتح العلام بشرح الإعلام بأحاديث الأحكام؛ 20 - عناية الوصول، في أصول الفقه؛ 21 - لب الأصول، اختصره من جمع الجوامع؛ 22 أسنى المطالب في شرح روض الطالب، في الفقه، ط؛ 23 - الغرر البهية في شرح البهجة الوردية، في الفقه؛ 24 - منهج الطلاب، في الفقه؛ 25 - الزبدة الرائقة، رسالة في شرح البردة؛ 26 - الأضواء البهجة في إبراز حقائق المنفرجة؛ 27 - تعريف الألفاظ الإصطلاحية في العلوم؛ 28 - شرح الشافية لابن الحاجب؛ 29 فتح الوهاب بشرح منهج الطلاب.

المصادر والمراجع

• الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تح. محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. 4،

1395 هـ / 1975 م؛ ● الشوكاني، محمد بن علي، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، ومعه الملحق التابع للبدر الطالع للمؤرخ محمد بن يحيى زيادة اليمني، الطبعة الأولى 1348هـ، مطبعة السعادة؛ ● العيدروس، تاريخ النور السافر عن أخبار القرن العاشر، صححه وضبطه محمد رشيد الصفار، المكتبة العربية، بغداد؛ ● السيوطي، نظم العقيان في أعيان الأعيان، حرره فيليب حتي 1927 م، مكتبة المثنى، بغداد؛ ● إسماعيل البغدادي، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، وكالة المعارف، 1364 هـ / 1945 م، ص 252؛ ● الشعراني، الطبقات الكبرى، ج. 1، ط 1، 1373 هـ/ 1954م، ص 122؛ ● كحالة، معجم المؤلفين، تراجم مصنفي الكتب العربية، دمشق 1377هـ/ 1957م، مطبعة الترقي، ج 4؛ ● المراغي، أحمد مصطفى، تاريخ علوم البلاغة، والتعريف برجالها، الحلبي، ط 1، 1369هـ/ 1950م، ص 177-178؛ ● ضيف، شوقي، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، ط. 2، د.ت؛ ● بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ترجمة محمود فهمي حجازي وحسن محمود اسماعيل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1995، القسم السادس (10-11)؛ ● الزركلي، الأعلام، ط. 14، بيروت 1999، دار العلم للملايين، 3/ 46-47.

د. يوسف حسن نوفل
جامعة القاهرة
د. عبد الحميد صالح حمدان
جنيف

الأنصاري، الصاحب شرف الدين

(586 هـ / 1190 م - 662 هـ/ 1264 م)

هو أبو محمد عبد العزيز بن عبد المحسن ابن منصور بن خلف الدمشقي من قبيلة أوس الأنصارية. ولد يوم الأربعاء 22 جمادى الأولى بدمشق بدرب كشك سنة 586هـ/ 1190م [النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ص 7/ 232؛ المنهل الصافي والمستوفي بعد الكافي، ص 228-229؛ ذيل مرآة الزمان، ص 1131؛ المختصر في تاريخ البشر، ص 462؛ هدية العارفين، ص 308] وهو يحدّث في شعره عن نسبه فيذكر أنه من أوس في قوله [من الخفيف]:

وإذا ما الأوسُ عُدُّوا فإنّي
من ذويهم في لُباب اللُّباب

ويشير أيضا إلى أنه أنصاري في قوله [من البسيط]:

الأمُّ فيكم ولا تُجدي الملامةُ في
وجدي بكم غير إغرائي وإصراري
إن كُنتُ لم افتقد غمضي لفقدكمُ
فلا وجدتُ من الأنصار أنصاري

نشأ الصاحب شرف الدين الأنصاري في بيت من بيوتات العلم إذ كان والده القاضي زين الدين من العلماء والأعيان وله معرفة بالفقه والأحكام. وقد ولّي زين الدين القضاء غير مرة نيابة واستقلالاً وصحب القاضي ضياء الدين محمد بن المنصور بن الشهرزوري وناب عنه في الحكم وفي نظر الأوقاف [ذيل مرآة الزمان، ص 1205؛ المختصر في تاريخ البشر، ص 462] وولّي في حماة منصب ناظر أوقاف المنصور ناصر الدين ابن الملك المظفر تقي الدين ابن الملك المنصور صاحب حماة والمعرة. وشغل أيضا منصب ناظر أوقاف الخليفة العباسي [ذيل مرآة الزمان، ص 1205؛ تاريخ الأدب العربي: العصر المملوكي، ص 100]. ويذكر الشاعر أن والده هو الذي حبّب إليه العلم ورحل به وسمّعه جزء ابن عرفة من ابن كليب، وسمّعه المسند كلّه من عبيد الله بن أبي المجد الحربي، وقرأ كثيرًا من كتب الأدب على الكندي [فوات الوفيات، ص 171]. تلقّى الصاحب شرف الدين الأنصاري العلم على مشاهير علماء بغداد ومحدّثيها وحدّث في دمشق، وحماه، والقاهرة. أقام مدّة من الزمن في بعلبك ودرّس بها. وانتهى به المطاف إلى حماه فاستقرّ بها مدرّسا. وقد أخذ عنه كل من الدمياطي، وأبي الحسين بن الظاهري، وبدر الدين بن جماعة، وعز الدين بن القاضي الفاضل، وسبط بن الجوزي وغيرهم. لقّب شرف الدين الأنصاري بشيخ الشيوخ لتبحّره في العلم والفقه. ويقول عنه الصفدي لقد «كان صدرًا كبيرا نبيلاً معظمًا وافر الحرمة كبير القدر، روى عنه الدمياطي وأبو الحسين وأبو العباس بن الظاهري وقاضي القضاة بدر الدين ابن جماعة، وجماعة كثيرة» [ص 15432].

وقد كانت للشاعر الصاحب شرف الدين صلات بسلاطين عصره أحفاد الملك المظفر تقي الدن ابن أخي صلاح الدين الأيوبي. يذكر اليونيني أنه كان «يتردد إلى دمشق في مهمات مخدومه الملك المنصور صاحب حماه وكان الملك الناصر يكرمه ويعظّمه جدا وكان يقيم في خدمته المدة الطويلة» [ذيل مرآة الزمان، ص 1131]. ولما توفي المنصور عيّنه الملك المظفّر الثاني وزيرا. وقد ظلّ في منصبه حتى بعد وفاة المظفّر الثاني وتولّى ابنه المنصور الثاني مقاليد الحكم من بعده. وقد شهد الشاعر الصاحب شرف الدين الأنصاري هجوم التتار على بلاد الشام وفرار الملك المنصور إلى مصر بعد أن استولى هولاكو على بغداد. وشهر تحرير حماه على يد السلطان قطز (بضم القاف والطاء المهملة وسكون الزاي) الذي دام حكمه من سنة 657هـ/ 1257م إلى ت 658هـ/ 1259م تاريخ قتله على يد بيبرس [النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة، ص 4044 - 4060].

يتفق مؤرخو الأدب على أن وفاة الشاعر الوزير الصاحب شرف الدين الأنصاري كانت في الثامن من رمضان سنة 662هـ/ 1262م [المختصر في تاريخ البشر، ص 462؛ فوات

الوفيات، ص 1420؛ هدية العارفين، ص 308؛ مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ص 3253].

يذكر مؤرخو الأدب أن الصاحب شرف الدين الأنصاري كان شاعرا مكثرا برع في النظم حتى فاق ناس زمانه. يكتب اليونيني «وللشيخ شرف الدين رحمه الله أشعار كثيرة لا يجمعها ديوان وكان من حسنات الدهر ومحاسنه» [ذيل مرآة الزمان، ص 1205]. ويذكر الصفدي في مقدمة «كشف المبهم في لزوم ما لا يلزم» أن شرف الدين الأنصاري قد نظم ديوانا كبيرا في لزوم ما لا يلزم اختار له عنوان «إلزام الضروب بالتزام المندوب». ويقول عنه في الوافي بالوفيات: «لا أعرف في شعراء الشام من بعد الخمس مائة وقبلها من نظم أحسن منه ولا أجزل ولا أفصح ولا أصنع ولا أسرى ولا أكثر، فإن له في لزوم ما لا يلزم مجلدا كبيرا، وما رأيت له شيئا إلا وعلقته لما فيه من النكت والتورية». وهو ما يقرّه ابن شاكر الكتبي فيشير إلى المجلّد ذاته [فوات الوفيات، ص 1421]. ويذهب حاجي خليفة إلى أن للشاعر شرف الدين مصنفين آخرين هما «نظرة المعشوق إلى وجه المشوق»، و«تذكار الواجد بأخبار الوالد». أما البابانى فيقول إن «من تصانيفه الأنوار الواضحة في معاني الفاتحة، تذكار الواجد بأخبار الوالد، شرح لزوم ما لا يلزم للمعري، نظرة المعشوق إلى وجه المشوق» [هدية العارفين، ص 308].

إن الناظر في ديوان الصاحب شرف الدين الأنصاري من جهة الأغراض التي عليها جريان القول الشعري يلاحظ أن صاحبه يجمع إلى الاهتداء بالشعر العربي القديم الأخذ بالأغراض التي درج شعراء زمانه على طرقها. فلقد كتب في المدح والغزل والزهد وتعدّى ذلك ليكتب المدائح النبوية والألغاز. ويحتوي ديوانه على العديد من المقطعات لا تتجاوز البيتين والثلاثة وعلى مطوّلات تتجاوز الخمسين بيتا منها مثلا مطوّلته التي مطلعها [من الكامل]:

هُو موطنُ الشّرف العريض الاطول
فارح قلاصك من رُكوبك وانزل

قضى شرف الدين الأنصاري حياته وزيرا في بلاطات الملوك الأيوبيين. لذلك خصّهم بمدائحه. فمدح الملك الأمجد، والملك المظفّر، والملك المنصور الثاني. وجاءت مدائحه فيهم على ضربين: بعضها مقطّعات قصيرة يكون مدارها التهنئة بالعيد أو التهنئة بالشفاء من المرض أو التهنئة بمقدم شهر رمضان. أما بعضها الآخر فقد جاء في شكل مدحيات خصّ بها الملوك الأيوبيين الذين استوزروه. وهي مدحيات وردت في شكل مقطّعات لا تتجاوز الخمسة أبيات أحيانا كثيرة. منها قوله مادحا الملك المنصور بثلاثة أبيات [من البسيط]:

سُلطانُنا الملكُ المنصورُ خيرُ فتًى
مفاخرُ النّاس جزءٌ من مفاخره
ولي قصائد في مدحيه باهرة
تُزهّد البحر في أبهى جواهره
ولا تطلبنّ كريمًا بعد رُؤيَته
ولا تُبالي بشعْر بعد شاعره

وكثيرا ما يعمد الشاعر إلى نظم قصائد مدحية

مطوّلة يستلهم فيها الشعر العربي القديم ويلتزم بأقسام القصيدة المدحية فيفتتح قصيدته بالنسيب ويتخلّص إلى ذكر الرحلة وتحرّقه على لقاء الممدوح، ثم يطرق غرض المدح فيعدّد خصال الممدوح ويسند إليه القيم التي درج الشعراء على إسنادها إلى ممدوحيهم كالكرم والشجاعة ورجاحة العقل ونبل المحتد. من ذلك مثلا قوله مادحا الملك الأمجد مستهلاً بالنسيب [من الطويل]:

أنا المُغرم المشغُوفُ وهي الجآذرُ
أنافر فيها عُذّلي وتُنافرُ

حجرن على اجفان عيني غرارها
جفون سيوف ضمّنتها المحاجر

...

فسالمنني لمّا شعرَن بأنني
لبهرام شاه الامجد المُلك شاعرُ

أنظِّمُ في مدَحيه كلَّ قصيدةٍ
يقلُّ لها عند المُلوكِ النّظائرُ

أو قوله مادحًا الملك الأمجد [من المنسرح]:

حُشاشةٌ بالمُنى أعلِّلُها
ومقلةٌ بالرُّقاد أمطُلُها

وعبرةٌ للغرام مُوقدةٌ
ينسخُ شرعَ السُّلوّ مُرسلُها

...

فإنّ خير الملوك أعرفُها
بأنّ بهرام شاه أفضلُها

أكرمُها عنصرًا وأحلمُها
أعظمُها قدرةً وأعدلُها

مُتيّمٌ بالجميل يغرسُهُ
ومولعٌ بالعُلا يؤثّلُها

....

الملكُ الامجدُ الذي يدُهُ
عزُّ السلاطين من يُقبِّلُها

تحتوي مدائح الصاحب شرف الدين الأنصاري التي قالها في الملوك الأيوبيين إلى جانب قيمتها الأدبية ودلالتها على تمرّسه بأفانين الشعراء العرب القدامى في تصريف الكلام على قيمة تاريخية، إذ دوّن الشاعر الكثير من الوقائع والحروب التي جرت بين العرب والتتار أيّام غزو هولاكو لبغداد واحتلال بلاد الشام. من ذلك مثلا قوله مادحا الملك المنصور الثاني ذاكرا بطولاته يوم وقعة جالوت. يقول [من المنسرح]:

لك العُلا أعيت المُبارينا
تقرغ منها الأبكار والعُونا

يا ملكًا لم تزل عزائمُهُ
تكُفُّ عنّا الاذى وتكفينا

أنت المليك المنصورُ أشرفُ من
فاق البرايا عزًّا وتمكينا

...

بعين جالوت خُضت بحر وغى
يُخال فلكًا بالأسد مشحونا

وكنت للجيشِ غُرّةً شدخت
أُنوفهم فانثنوا مُهابينا

أوسعت فيه التّتار ضرب طُلى
هدًّا وطعنًا يُخال طاعونا

يحتوي ديوان الصاحب شرف الدين الأنصاري على العديد من المدائح النبوية. وهي مدائح يمكن تقسيمها إلى صنفين: صنف أول يكون مداره مدح النبي ﷺ وتذكّر أمجاده وما أتاه من فعال حميدة في معاركه ضدّ الكفّار. وكثيرا ما يعمد الصاحب شرف الدين إلى استلهام ما قيل من مدائح في النبيّ ﷺ على ألسنة الشعراء القدامى. فيعارض مثلا قصيدة كعب بن زهير ويوظّف البعض من أبياتها ومعانيها ويستخدم معجمها. نقرأ مثلا [من البسيط]:

أوهمت نصحا لو أنّ النّصح مقبول
لا ألهينّك إنّي عنك مشغولُ

بان التّجلُّد عنّي والتصبُّر مذ
بانت سعاد فقلبي اليوم متبول

تيّاهةٌ آثرت صدًّا لمُغرمها
متيّمٌ إثرها لم يفد مكبول

ثرّت نُموعي إذ افترّت بذي أُشُرٍ
كأنّه منهلٌ بالرّاح معلولُ

ثم يخلص إلى مدح الرسول ﷺ وذكر خصاله وفضائله ومعاركه:

دعني فإن فاتني منها النّوالُ فلي
من الرّسول بإذن الله تنويلُ

ذاك النبيُّ الذي لُذنا بعقوته
فتمّ فيها لنا المقصود والسُّولُ

رسولُ صِدْقٍ رحيبُ الباع قرّبنا
من ربعه الأرحبيّات المراسيلُ

...

شامتهُ كفُّ الهدى في كلِّ معركةٍ
كانت ضرائبُه فيها الأضاليلُ

صالت على الخُمس في بدْر مصاعبُهُ
وفي لفيفهمُ الغُوذُ المطاقيلُ

ضراغمُ اقدمُوا في الحرب يقدمُهُم
على الملائك ميكالٌ وجبريلُ

أما الصنف الثاني من المدائح النبوية فمداره تمجيد النبي ﷺ والاستغفار وطلب الشفاعة. وبذلك يطفح المديح النبوي بنبرة الزهد وطلب الغفران ونصح الإخوان ودعوتهم إلى الانصراف عن مدح الملوك وذوي الجاه والسلطان والتشبّث بمدح النبي ﷺ. وعلى هذه المعاني جريان قصيدته المطوّلة التي بلغ عدد أبياتها 55 بيتا وفيها يقول [من الكامل]:

يا ناظم الدُّرّ الثمين ومُهدي الـ
نّظم الرّصين لفاضل أو مفضل

جانب مُخادعة المُلوك عن اللُّها
فالمالُ يذهبُ والخصاصة تنجلي

واصرف مديحك عن كثير تطاول
بزخارف الدُّنيا بليل مُطوّل

وامدح نبيًّا آخرًا فخرت به الـ
شُّمُّ الأنُوفُ من الطّراز الأول

...

فلقد ضللتُ عن الرّشاد وإنّني
بك استنيرُ وأنت هادي الضُّلل

وإليك من دون الأنامِ توجُّهي
وعليك من بينِ الكرام مُعوّلي

ولقد أتيتك مادحا لتجيزني
في الحشر كاسات الرّحيق السّلسل

لم يطرق الصاحب شرف الدين باب الفخر إلا نادرا، وكثيرا ما وردت الأبيات التي قالها في الفخر مضمّنة في غزلياته. فهو شاعر غزل بالأساس وقد جاهر في العديد من مقطّعاته بأنه ميّال إلى الحسان كلفٌ بالغواني. يقول مثلا [من السريع]:

جاوزتُ خمسين ولي صبوةٌ
إلى بناتِ العشر والخمس

حكى الصبا هذا التّصابي الذي
أصبح فيه مثلما أُمسي

تقول نفسي كُلّما لُمتُها
ما أقرب اليوم من الأمس

لا تظهر مقدرة الصاحب شرف الدين على التصرّف في معاني الغزل والنسيب في مقدّمات قصائده المدحيّة بقدر ما تتجلّى في المقطّعات والقصائد التي طرق فيها موضوع الحبّ. إذ يعدل الشاعر عن استلهام الشعر العربي القديم واستخدام الألفاظ الجزلة والاستعارات البعيدة ويتخلّى عن استخدام البحور المزدوجة التفعيلة ليجري الكلام على الأبحر القصيرة فيستخدم مجزوء الكامل مثلا كما في قوله:

هبني فديتُك يا حبيبي
نظرًا إليك بلا رقيب

وانهض فقد سكنت لنا
ريحُ الوشاة عنِ الهبوب

وخُذ اليقين وخلّهم
فالقومُ في شكّ مُريب

يا طلعة القمر المُنـ
ـير وقامة الغصن الرّطيب

لك صولةُ الأسد الهُصُو
رِ ونفرةُ الرّشا الرّبيب

وأرى بقلبي مثل ما
في وجنتيك من اللّهيب

إن دام بي هذا السّقا
مُ قضيتُ نحبي بالنّحيب

...

قالوا الا ندعُو الطبيـ
ـب فقُلتُ دائي من طبيبي

أو يستخدم مجزوء الرمل أو مجزوء الرجز أو مخلّع البسيط كما في قوله:

صبابتي إن شككت فيها
فانظر إلى دمعي المُصبّب

أو يجري الكلام على مجزوء الدوبيت. نقرأ مثلا:

لي في ولهي عليك مذهَب
بالصّون وبالوفاء مُذهَب

أرتاح إذا شغلتُ روحي
فيه فإذا فرغت أنصب

التذّ بما يُذيبُ قلبي
والحبُّ شقاؤه مُحبّب

ثمّة في شخصية شرف الدين الأنصاري ميل جارف إلى غنم اللذات يقابله انشداد إلى حياة

الزهد والتباعد عن الدنيا وملذّاتها. لقد كان شرف الدين وزيرا مرفّها ينعم بالدنيا وخيراتها. وكان في الآن نفسه شيخا متبحّرا في علوم الدين وتبحّره هو الذي درّ عليه لقب شيخ الشيوخ. لذلك تعايش الميل إلى غنم اللذات في ديوانه مع الميل إلى الزهد وهجر الدنيا. ولذلك أيضا كثيرا ما طرق الشاعر باب الزهد حتى في قصائده الغزلية. وهو يتبع هذه الطريقة في المزج بين الغزل والزهد فتتعدد الأصوات في نصوصه وتصبح الكتابة ذات مقصد وعظي واضح. إذ يفتتح الشاعر الكلام بذكر مباهج الدنيا وملذّاتها في المواضع الغزلية ثمّ يدعو إلى الزهد والتقوى في الأبيات التي تلي المقاطع الغزلية ويكون مدارها عادة التحذير من الدنيا ومن نسيان الآخرة. تنكشف هذه الطريقة التي اعتمدها شيخ الشيوخ الشاعر شرف الدين في استدراج المتلقّي إلى التخلّي عن الصبوات والملذّات في العديد من قصائده ومنها مثلا مطوّلته التي مطلعها [من الطويل]:

ألمّ وجُنْحُ الليل من صدغه مُرخَى
خيالٌ بخيلٍ ما أبرّ وما أسخَى

فهو يفتتحها بالتفنّن في ذكر الأحبّة والتغزّل بالمحبوب ثم يخلص إلى غرض الزهد قائلا:

فمل أيها القلب الجهُول عن الهوى
ولا تملحن في نيل باطله ملخا

وأقبل على التقوى وأعرض عن الخنا
لتنضخ أوضار الذُّنوب بها نضخا

تكشف طريقة الشاعر شرف الدين الأنصاري في تصريف الكلام أن منتجها شاعر عارف بعلوم العربية متمرّس ببدائع الكلام وأفانينه. فهو كثيرا ما يلجأ إلى توشية أشعاره بمعارفه البلاغية والنحوية. وهو يعوّل كثيرا على التورية وما تشيعه في الكلام من إيماء ولمح وتعدد دلالي. من ذلك مثلا قوله متحدّثا عن المتصوّفة الشهيرة رابعة العدوية [من السريع]:

أوقَعني في قيد أسر الهوى
جاريةٌ أوصافها جامِعَهْ

ثالثةُ البدرين في حُسنها
مع أنّها في نُسكها رابِعَهْ

كم جنَّنت قلبي في حبِّها
فليتها كانت لهُ تابِعَهْ

يا ربُّ غفرًا عن ذنوبي فلي
نفسٌ على أهوائها نازِعَهْ

والناظر في أشعار شرف الدين الأنصاري يلاحظ أن استخدام التورية وسيلة لجعل الكلام يقوم على الإيماء واللمح والتعدد الدلالي كثيرا ما يتعدّى الصيغ البلاغية إلى تفكيك الألفاظ والتلاعب بالحروف ورصفها مفردة كي يستعيد المعنى الذي تدلّ عليه الكلمة المكوّنة من تلك الحروف التي قام بتفكيكها وبعثرتها. يقول مثلا مخاطبا من يلوم الناس في الحبّ [من الوافر]:

فلوْ أصبحت ذا حاء وسين
لما عنّفت في حاء وباء

وقال مخاطبا الملك الأيوبي المنصور [من البسيط]:

يا أيّها الملكُ المنصور يا ملكًا
أوصافه كاملاتٌ وهي أصنافُ

رفقت بالخلق حتى ما لذي ورع
في الرّفق راءٌ ولا فاءٌ ولا قافُ
وفُزت بالمُلك حتى ما لذي شرفٍ
في المُلك ميم ولا لامٌ ولا كافُ

أما تعويله على المصطلحات النحوية والعروضية فإنه يتجلى في العديد من مقطعاته وقصائده. من ذلك قوله في مدحية خاطب بها الملك الأمجد، [من الطويل]:

غلاميةٌ بكرٌ كأنّ لحاظها
من الأمجد السُّلطانِ قافيةٌ بكرُ
رفعت ذوي الإعراب من بعد خفضهم
فأثنى عليك الرّفعُ والنّصبُ والجرُّ

أو قوله في القصيدة التي مطلعها [من الطويل]:

تناهى إليك المُلك واشتدّ كاهلُه
وحلّ بك الرّاجي فحُلّت رواحلُه
إذا فاعلٌ رام ارتفاعًا بفعله
ففعلُك مرفوعٌ بأنّك فاعلُهْ
وبحرٌ طويلُ الباع منسرحُ النّدى
بسيطُ المعالي والفضائل كاملُهْ

كان الصاحب شرف الدين وزيرا شاعرا وفقيها محدّثا تولى مشيخة الشيوخ في زمانه. وجاء شعره معبّرا عن ثراء شخصيته وتنوّع مشاربه واهتماماته. ولئن كان يستلهم في أشعاره المنجز الفني للشعر العربي القديم فلقد حاول أن يجدد في أفانين التصرّف في الكلام، فكان الميل إلى توشية الأشعار بالتورية والاصطلاحات النحوية والبلاغية والعروضية بمثابة سمة مميّزة لطريقته في النظم. وهي طريقة ستشيع من بعده ويقتدي بها الشعراء.

آثاره

ديوان شرف الدين الأنصاري.

المصادر والمراجع

● ديوان شرف الدين الأنصاري، نشر على شبكة الأنترنيت وعلى قرص مرن: شبكة الأنترنيت، الموسوعة الشعرية، ضمن موقع المجمّع الثقافي (أبو ظبي)، على شبكة الأنترنيت www.cultural.org.ae؛ قرص مرن: الموسوعة الشعرية، إصدار المجمّع الثقافي أبو ظبي، الإصدار الأول سنة 2000، الإصدار الثاني سنة 2001، الإصدار الثالث سنة 2003؛ ● البغدادي، إسماعيل، هدية العارفين، الورّاق، موقع المجمّع الثقافي، أبو ظبي، على شبكة الأنترنيت www.alwaraq.com؛ ● ابن تغري بردي، أبو المحاسن جمال الدين، (ت 874 هـ/ 1470 م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، قرص مرن، الموسوعة الشعرية، إصدار المجمّع الثقافي أبو ظبي، الإصدار الثالث، 2003 باب المراجع؛ ● م. ن، المنهل الصافي والمستوفي بعد الكافي، الورّاق، موقع المجمع الثقافي، أبو ظبي، على شبكة الانترنيت؛ ● الصفدي، الوافي بالوفيات، الوراق، موقع المجمع الثقافي، أبو ظبي، على شبكة الانترنيت؛ ● أبو الفداء، المختصر في تاريخ البشر، الورّاق، موقع المجمع الثقافي، أبو ظبي، على شبكة الانترنيت؛ ● الكتبي، فوات الوفيات، قرص مرن، الموسوعة

الشعرية، إصدار المجمّع الثقافي أبو ظبي، الإصدار الثالث 2003، باب المراجع؛ ● موسى باشا، عمر، تاريخ الأدب العربي في العصر المملوكي، بيروت دار الفكر المعاصر: ودمشق دار الفكر ط. 1، 1989؛ ● اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، قرص مرن، الموسوعة الشعرية، إصدار المجمّع الثقافي أبو ظبي، الإصدار الثالث، 2003، باب المراجع.

د. محمد لطفي اليوسفي
جامعة منوبة ـ تونس

الأنصاري، عبد القدوس بن القاسم

(1324 هـ / 1906 م - 1403 هـ / 1983 م)

ولد في المدينة المنوّرة، وتوفي والده القاسم الأنصاري وهو في سنّ الخامسة فكفله خاله علاّمة المدينة المنوّرة وشيخ علمائها محمد الطيّب الأنصاري.

تلقّى دروسه الأولى في المسجد النبوي الشريف، وبدأ حفظ القرآن الكريم وهو في السابعة من عمره فأتمّه في سنتين، وكان يدرس في مختلف حلقات المسجد النبوي الشريف خاصة على يد شيخه وخاله الطيب الأنصاري، وتعلّم الكتابة على يد أحد الخطاطين الأتراك. ثمّ رحل إلى مكّة المكرّمة إثر الحرب العالمية الأولى سنة (1338 هـ/ 1920 م) مع الشيخ محمد الطيب الأنصاري وعادا في السنة التالية إلى المدينة المنوّرة.

وفي سنة 1341 هـ/ 1923 م تولّى الشيخ محمد الطيب الأنصاري إدارة مدرسة العلوم الشرعية التي أسّسها الشيخ أحمد الفيض آبادي بالمدينة المنوّرة، فحرص أن يلحق بها ابن أخته وتلميذه عبد القدوس الأنصاري. وكانت هذه المدرسة من أبرز المعالم في تاريخ التعليم بالمدينة المنوّرة وفيها درس عبد القدوس الأنصاري دراسة موسّعة في علوم مختلفة، منها الرياضيات على يد الشيخ أحمد الفيض آبادي، وعلم الفرائض على يد الشيخ عبد الغني مشرف، وفنّ الخطّ على يد الشيخ شكري خوجة، والأدب على يد الشيخ محمد الطيب الأنصاري.

وحصل على الشهادة النهائية من مدرسة العلوم الشرعية سنة 1346 هـ/ 1928 م، فتمّ تعْيينه مدرّسا بها. نال إعجاب الشيخ إسماعيل حفظي رئيس ديوان الإمارات بالمدينة المنوّرة فعيّنه موظّفا بالديوان، وتدرّج في المناصب حتّى وصل إلى سكرتير إمارة المدينة المنوّرة في زمن أميرها عبد العزيز بن إبراهيم.

وصدر أمر ملكي من الملك عبد العزيز آل سعود بتعيينه رئيسا لتحرير صحيفة أمّ القرى التي كانت تصدر من مكّة المكرّمة، واستمرّ

رئيسا لتحريرها من سنة 1359 هـ/ 1940 م إلى سنة 1361 هـ/ 1942 م.

ثمّ اختاره الأمير فيصل بن عبد العزيز آل سعود (الملك فيما بعد) نائب الملك في الحجاز للعمل في ديوانه، فتولّى عدّة مناصب، منها سكرتير مجلس الوكلاء فمدير شؤون المشاريع بديوان مجلس الوزراء إلى جانب اختياره عضوا بمجلس المعارف في عهد الشيخ محمد بن مانع مدير المعارف.

أصدر مجلّة «المنهل» في المدينة المنوّرة في ذي الحجة 1355 هـ/ فبراير 1937 م، وظلّت المنهل تصدر من المدينة المنوّرة حتّى سنة 1359 هـ/ 1940 م فانتقلت إلى مكّة المكرّمة حتّى سنة 137 هـ/ 1956 م، حيث انتقلت إلى جدّة، وما زالت تصدر من هناك حتّى الآن، وتعدّ قصّة مجلّة المنهل قصّة كفاح صبيّ يتيم عانى وصبر وكافح وجاهد الصعاب، فقد أصرّ على إصدار «المنهل» واستمرارها، رغم قلّة موارده وإمكانياته المالية، خاصة وأن «المنهل» كانت مجلّة تعنى بالشؤون الثقافية والأدبية والعلميّة، فلم يكن للإعلان فيها سوق رائجة، لكن عبد القدوس الأنصاري ثابر وصابر حتّى حظيت مجلّته بتقدير كثير من العلماء من داخل المملكة العربية السعودية وخارجها، وكان لاستثناء «المنهل» من قرار دمج الصحف وتحويلها إلى مؤسسات أن بقيت خالصة باسم صاحبها دون شريك، ممّا أدّى إلى احتفاظها بملامحها الخاصة دون تغيير، وأصبحت أعداد مجلة «المنهل» عبر السنين من أهمّ المراجع العربية بما تضمّنته من كنوز في الثقافة والأدب والتاريخ والآثار. وبعد وفاة عبد القدوس الأنصاري تولّى رئاسة تحريرها ابنه نبيه الأنصاري.

بدأ عبد القدوس الأنصاري نشاطه الجادّ في علم الآثار بعد أن رافق المستشرق البريطاني فيلبي في جولات استكشافية حول المدينة المنوّرة بطلب من أميرها عبد العزيز بن إبراهيم، فعزّ عليه أن يترك هذا المجال للمستشرقين، فشمّر عن ساعد الجدّ، وقام بدراسات ميدانية جادّة سجّلها في كتابه «آثار المدينة المنوّرة» الذي يعدّ أوّل كتاب علمي عن الآثار يضعه أحد أبناء المملكة العربية السعودية في العصر الحديث على أسس علميّة منهجيّة وذلك في سنة 1354 هـ/ 1935م، ولم يقف جهده في علم الآثار عند هذا الكتاب بل واصل إصدار سلسلة متلاحقة من الكتب والدراسات والبحوث والمقالات في الآثار والتاريخ ممّا جعله يتبوّأ مكانة فريدة بين الخالدين من روّاد علم الآثار في الوطن العربي. كما كان هو وزميله عبيد مدني أول من خطا الخطوة الأولى لوضع أسس الأدب العربي الحديث في المدينة المنوّرة. إذ افتتح عبد القدوس الأنصاري في مدرسة العلوم الشرعية نادي المحاضرات المرتجلة لطلاّب الأدب والعلم، وأسس مع زملائه الحفل الأدبي للشباب العربي السعودي بالمدينة أيضًا.

وهب عبد القدوس الأنصاري نفسه للأدب والعلم والتحقيق والبحث فقضى عمره كلّه في بحث دائب، وترك تراثا ضخما من الكتب والبحوث والمقالات، وتعدّ مجلّة «المنهل» بمثابة الموسوعة التي تضمّ أدبه وعلمه، إلى جانب أنّها المرجع لكثير من الأدباء والعلماء.

آثاره

1 - آثار المدينة المنوّرة 1353 هـ/ 1935 م، صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب سنة 1353 هـ/ 1935 م، المكتبة العلمية، المدينة المنوّرة، والطبعة الثانية سنة 1377 هـ/ 1958م، المكتبة العلمية، المدينة المنوّرة، والطبعة الثالثة سنة 1393 هـ/ 1973 م، المكتبة السلفية التجارية، المدينة المنوّرة، والطبعة الرابعة سنة 1406 هـ/ 196 م، المكتبة العلمية التجارية بالمدينة المنورة، وعن هذا الكتاب يقول مؤلفه: «.. فهذه دراسات علمية أثمرتها أبحاث ودراسات ومشاهدات شخصية، لآثار المدينة المنورة، أضعها بين أيدي القراء كما شاهدتها وكما حققتها.. والمدينة حافلة بالآثار، إن لم تكن كلّها آثارا فهي من أقدم بلاد الله على وجه البسيطة..». وقد قسم الكتاب إلى عدّة أقسام منها: الدور، القصور، الحصون، المساجد، المسجد النبوي الشريف، وزوّد الكتاب بخريطة للمواقع الأثرية بالمدينة المنوّرة، وبه مجموعة من الصور لآثار المدينة المنوّرة التي كانت تنشر لأول مرّة في التاريخ، وقد اعتبر العلماء والمؤرخون هذا الكتاب من أدقّ وأوجز الكتب التي سجلت آثار المدينة المنوّرة منهم الدكتور محمد حسين هيكل الذي قال عن هذا الكتاب: «فلمّا حضرت إلى المدينة المنوّرة أهداني الأستاذ عبد القدوس الأنصاري كتابه "آثار المدينة المنوّرة"، وما لبثت حيث اطّلعت على محتوياته أن رأيت مهاجر النبي الكريم انفتحت أمامي مغالق آثارها وأصبح من اليسير تتبّعها في أماكن وجودها، وتتبّع تاريخها والأطوار التي مرّت بها من خلال هذا الكتاب الوجيز الجامع»؛ 2 - سلسلة بناة العلم في الحجاز، السيد أحمد الفيض آبادي 1365هـ/ 1946 م؛ 3 - تحقيق أمكنة الحجاز وتهامة 1379 هـ/ 1959 م؛ 4 - تاريخ مدينة جدّة 1383 هـ/ 1963 م، صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب سنة 1383 هـ/ 1963 م والطبعة الثانية صدرت سنة 1400هـ/ 1980 م، وهو يشتمل على عدّة أقسام تضمّ تاريخ جدّة قبل الإسلام، وجدّة في العهد الإسلاميّ الأوّل، وجدّة في روايات الرحّالة والمؤرخين، وحكّام جدّة، وغزو الأحباش لجدّة، ثمّ يتحدّث عن سكّان جدّة ومبانيها وشوارعها، كما تحدّث عن دخول المظاهر الحديثة في جدّة مثل إضاءة شوارعها بالمصابيح الغازية، ودخول التصوير الفوتوغرافي فيها منذ سنة 1300 هـ، وباختصار فقد تتبّع المؤلّف كلّ ما يتعلّق بمدينة جدّة قديما وحديثا وسجّله في هذا الكتاب؛ 5 - رحلة الرياض، 1387 هـ/ 1967 م؛ 6 - تاريخ العين العزيزية بجدّة، ولمحات عن مصادر المياه بالمملكة، 1389هـ/ 1969 م؛ 7 بين التاريخ والآثار، 1389 هـ/ 1969 م، وقد صدرت منه حتّى الآن ثلاث طبعات: الأولى سنة 1389 هـ/ 1969 م بيروت، مطابع دار العلم للملايين، والثانية سنة 1391 هـ/ 1971 م بيروت، مطابع دار العلم للملايين، والثالثة سنة 1397 هـ/ 1977 م جدة، مطابع الروضة. ويعد هذا الكتاب من الأعمال الرائدة في الدراسات الأثريّة والتاريخيّة في الجزيرة العربية، فهو لم يكتف بذكر آثار المملكة العربية السعودية بل عرّج على

الكويت والأردن وسوريا ولبنان، ودفعه إلى ذلك محاولة إبراز الإسهام الكبير الذي قامت به الحضارة الإنسانية الشاملة. والكتاب عبارة عن مجموعة من الأبحاث التي قام المؤلف بإعدادها ونشرها في أزمنة مختلفة وأماكن متفرّقة واستغرقت مدة كتابتها أكثر من ثلاثين عاما (1356 هـ/ 1936 م - 1388 هـ/ 1968 م). وعن الأسباب التي دفعت للبحث في الآثار يذكر عبد القدوس الأنصاري أنّ الأمر بدأ معه كهواية منذ أن كان شابا ثم ما لبث أن صار يتتبّع الآثار الموجودة في المدينة المنوّرة وحولها، وكشف العديد منها. وكان يقارن بين التاريخ المكتوب والآثار، واستنبط من ذلك أنّه إذا اتّفق التاريخ الخبري والشاهد الأثري على حدوث أمر ما، فإنّ ذلك يكون حقيقة مؤكدة لا شبهة فيها ولا التواء؛ 8 - بنو سليم، 1391 هـ/ 1971 م؛ 9 - مع ابن جبير في رحلته، 1396 هـ/ 1976 م؛ 10 التارخ المفصّل للكعبة المشرّفة قبل الإسلام 1403 هـ/ 1983 م، دراسات تاريخ الجزيرة العربية - الكتاب الثاني - الجزيرة قبل الإسلام (الأبحاث المقدمة للندوة العالمية الثانية لدراسات تاريخ الجزيرة العربية في 5-11 جمادى الأولى 1397 هـ/ 13-19 أبريل 1979 م قسم التاريخ وقسم الآثار والمتاحف كلية الآداب - جامعة الملك سعود). الرياض 1404هـ/ 1984 م.

المصادر والمراجع

● أعلام في الآثار، ص 394-417؛ ● مجلة المنهل، مج 48، رمضان/ شوال 1407 هـ/مايو 1987 م؛ ● أحمد صالح مرشد، طيبة وذكريات الأحبة، الجزء الأول، الطبعة الثالثة، جدة 1416 هـ/ 1995 م؛ ● محمد علي مغربي، أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة 1301-1400هـ/ 1883-1980م، الجزء الثاني، جدّة 1404 هـ/ 1984 م؛ ● الموسوعة الثقافية الشاملة للمملكة العربية السعودية، معجم الأدباء والكتاب، الجزء الأول، الطبعة الأولى، الدائرة للإعلام، الرياض 1401 هـ/ 1990 م.

د. عبد الرحمان الأنصاري
جامعة الملك سعود

الأنصاري، أبو عبد الله محمد بن علي بن يوسف

(601 هـ / 1204 م - 684 هـ / 1285 م)

أبو عبد اللّه محمد بن عليّ بن يوسف الأنصاري الشاطبي الأصل، البلنسي المولد، من الوافدين من الأندلس إلى المشرق، وقد لقّبه المشارقة برضيّ الدّين. نحوي ومقرىء. كان إمام عصره في اللّغة وغريبها. وكان عالي الإسناد في القرآن.

قرأ بلنسية للمقرىء عثمان بن سعيد المصري المعروف بورش (197 هـ) عَلَى محمد بن أحمد بن مسعود الشاطبي الأزدي آخر أصحاب ابن هذيل. وسمع منه كتاب التلخيص للواني.

تصدّر للتدريس بالقاهرة، فأخذ الناس عنه علم اللّغة والنحو والقراءات. ومن أبرز من روى عنه من تلامذته الشيخ أثير الدين أبو حيان النّحوي، قرأ عليه كتاب التيسير وأثنى عليه، وسعد الدين الحارثي، والحافظ جمال الدّين أبو ربيع بن سالم المزّي، وأبو عمرو الظّاهري، والقطب الحلبيّ.

ومما رواه أبو حيّان النّحوي عن منزلته بين علماء عصره أنه كان من جلساء الصاحب زين الدين بن الزّبير، فكان يجتمع به مع جماعة من شعراء عصره من مثل أبي الحسين والسّراج الورّاق، وناصر الدّين بن النّقيب، فكان الصاحب يرجّحه عليهم ويرفعه فوقهم في المجلس ويقول: أنت عالم وهؤلاء شعراء [الوافي بالوفيات، 4/ 190]. وكان معظّما مقبول الشفاعة عند القضاة.

آثاره

له حواش على الصّحاح للجوهري. وذكر المقرّي أنه رأى بخطّه كتبا كثيرة بمصر وحواشي مفيدة في اللّغة وعلى دواوين العرب.

المصادر والمراجع

● السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، 1/ 194-195؛ ● ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب، 5/ 389؛ ● حاجي خليفة، كشف الظنون، 2/ 1072؛ ● كحالة، معجم المؤلفين، 11/ 72؛ ● المقرّي التلمساني، نفح الطّيب، 2/ 374-378؛ ● الصفدي، الوافي بالوفيات، 4/ 190-191؛ ● الزركلي، خير الدين، الأعلام، ط14، بيروت 1999، دار العلم للملايين، 6/ 283.

د. خالد ميلاد
جامعة تونس

الأنصاري، علي بن عبد العظيم

(983هـ / 1035 م - 669 هـ/ 1270م)

علي بن عبد العظيم الأنصاري المتطبب، طبيب وصيدلاني، لا نعلم أي تفاصيل عن حياته، إذ أغفلته كتب التراجم والأعلام والطبقات سوى ما ذكره في مؤلفه الوحيد، ويبدو جليا أنه عاش في بلاد الشام وحسن الاطّلاع على النباتات وأسمائها لهذه المنطقة وما يجاورها.

آثاره

1 - جامع الافتراق والاتفاق لصناعة الترياق، هذه المخطوطة الغريبة تحتوي على 35 فصلا، وانتهى الأنصاري من تصنيفها في 15 محرّم عام (669/ 1270) ولا ندري بالتحديد كم عاش بعدها، ويناقش الأنصاري فيها أصل «الترياق» عبر العصور التاريخية وقصّته، وكيف توصّل الأطبّاء القدامى إلى وضع الصيغة النهائية المناسبة له، وبجانب ذكره لحكماء اليونان الذين شاركوا في صيغته، يذكر المؤلف الأطباء العرب الذين كتبوا فيه، وينقل مقاطع طويلة من مؤلفاتهم أمثال: حنين بن إسحق، الرازي، الزهراوي، ابن سيناء، ابن البيطار.. وأخيرا معاصر الأنصاري الطبيب علي بن يوسف بن عبد الله التنوخي المقدسي (ت بعد 655هـ/ 1258م)، ويكشف الأنصاري عشرات كل هؤلاء الأطباء العلماء وأهدافهم من الكتابة حول موضوع «الترياق» مع ملاحظات مفيدة حول كتاباتهم، ومن خلال «جامع الافتراق» نتعرّف على الطريقة والتقنية لتحضير «الترياق» والكمّية والمادة الطبية والمواد البديلة وتجهيز «الترياق»، والتأثير الدوائي والفعالية من خلال التجربة والأوعية الذهبية والفضّية والزجاجية المستخدمة للصناعة الدوائية في دكاكين العطّارين، ويقدّم لنا الأنصاري لحسن الحظ منتخبات طويلة من الرسالة المفقودة لمحمد بن سعيد التميمي (ت 380 هـ) الموجّهة لولده علي بن محمد حول «الترياق الفاروق، والتنبيه على ما يغلط فيه من أدويته، ونعت أشجاره الصحيحة، وأوقات جمعها، وكيفية عجنه، وذكر منافعه وتجربته».

يذكر الأنصاري في مقدّمة «جامع الافتراق» سبب إقدامه على تصنيفه يقول: «إن أهل عصرنا وزماننا قد قلّت عنهم الهمم عن الفحص في أسرار العلوم والحكم وخصوصا علم الطبّ.. وعدلوا عن إمعان الفكر في الغوامض والأسرار، وخصوصا عن الترياق.. فوقع فيه الاختلاف، فلم يبق منه إلاّ الرسم ودثر، وعدل الناس عنه.. وأهمل على جلالة قدره الترياق الأعظم والفاروق المكرم».

ويلخّص حنين بن إسحق (ت 194 هـ/ 874 م) مسيرة الترياق اليونانية بقوله: «إن المبدع للترياق كان «مغنيس»، والمكمل له «اندروماخس»، وهو الذي زاد فيه لحوم الأفاعي، وأما المصحّح له والمظهر فضائله ومحاسنه فهو جالينوس».

ولكن الأنصاري المتأثر بالطبّ اليوناني لا يتعرّض لدور الطبّ الهندي في هذا المجال؛ فقد نقل العباس بن سعيد الجوهري الترجمان إلى العربية كتاب شاناق الحكيم الهندي (Canakya) في السموم والترياق حوالي عام 825 م في عهد الخليفة المأمون العباسي، ويتمتّع الكتاب بأهمّية تاريخية إذ يوضّح نماذج لحوادث التسمّم والتحفّظ منها ومداواتها وطرق دفع مضارها في القرن التاسع الميلادي في بغداد وإيران والهند، وبذا يوضّح تطوّر مفردات الطبّ وشيوع استعمالها في ذلك العهد وما سبقه [سامي حمارنة، فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية، ص221-223]. ويورد الأنصاري عدّة وصفات مختلفة لتركيب «الترياق» جمعها من مؤلفات «جالينوس»، ويبيّن الفروقات فيما بينها، ثمّ يتعرّض للصيغ والوصفات التي أوردها

الأطبّاء العرب القدامى، ويظهر اختلافهم في التركيب أيضًا، ومن ضمن مركّبات الترياق المتعدّدة: لحوم الأفاعي، وهذا ما استوجب تخصيص باب للصفات الشكلية المطلوبة (إناث الأفاعي)، وكيفية صيدها في الزمن المناسب أواخر الربيع، ثم تحضيرها بسلخها وإنضاج لحومها وسحقه بعد خلطه بمقدار من الخبز، وتجهيزه على شكل أقراص.

أما الباب الرابع عشر فهو بمثابة معجم للأدوية المفردة التي تدخل في تركيب الترياق، وقد رتّبه على حروف المعجم، ويشرح منهجه الشكلي المتّبع يقول: «وأبتدىء في كل دواء بقول جالينوس، ثم بقول ديسقوريدس، إذ كانا هما المعوّل عليهما، ثم أتلو ذلك بقول الأئمة الفضلاء من الشجّارين والأطباء»، ويشرح (74) دواء مفردا أغلبها نباتية مثل: الأذخر، الزنجبيل، الزعفران، المر، الأقحوان... وبعضها مدنية مثل: القار، الزاج، وبالنسبة لنبات الرواند فقد لخّص مقالة في أصناف الرواند لابن جميع الاسرائيلي (ت 594 هـ/ 1198 م).

وتنبع أهميته في جمعه كلّ ما كتبه معاصروه وسابقوه حول جميع مفردات الترياق بشكل مفصّل مطوّل، فهو يفوق أيّ معجم متخصّص، ولا يفوته أنّ بعض الأدوية المفردة وخاصة النباتية مستوردة، وبالتالي غالية الثمن أو غير متوفّرة في محيطه الجغرافي، فيلجأ للاستعاضة عن الأدوية المفقودة أو الثمينة بأدوية موجودة أو رخيصة في باب إبدال الأدوية. والجدير بالذكر أنّ الأطبّاء لجأوا إلى ذلك النهج... كما يتعرّض إلى الخلاف والخلط الواقع بين أصناف النباتات المستخدمة نتيجة تماثلها في الشكل والصورة، ويحاول بيان الوصف الحقيقي للنبات المطلوب لتفريقه عن مشابهاته.

المصادر والمراجع

● ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تح نزار رضا، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، 1965؛ ● ابن الحشاء، أبو جعفر أحمد بن محمد، مفيد العلوم ومبيد الهموم، تح كولان ورينو، المطبعة الاقتصادية، الرباط 1941؛ ● ابن منظور، لسان العرب، المجلد الأول، دار صادر، بيروت 1977؛ ● البابا، محمد زهير، القاراباذينات أو دساتير الأدوية العربية، من أبحاث الندوة العالمية الأولى لتاريخ العلوم عند العرب، الجزء 1، مطبعة جامعة حلب 1977؛ ● جوزيف جارلند، قصة الطبّ، ترجمة سعيد عبده، دار المعارف بمصر، القاهرة 1959؛ ● سامي خلف حمارنة، فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية، الطب والصيدلة، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 1389هـ/ 1969م؛ ● رمضان ششن ورفاقه، فهرس مخطوطات الطبّ الإسلامي باللغات العربية والتركيّة والفارسية في مكتبات تركيا، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باستانبول 1984؛ ● حاجي خليفة، كشف الظنون، ص 537.

- Hammarneh, Sami, J.H.A.S, vol 1, No 1, May 1977; • J.H.A.S. Journal for the history of Arabic Science, University of Aleppo-

Syria; • Brockelmann, G.A.L.S.I, p. 898; • Hamarneh, Sami, Origins of pharmacy and therapy in the near East, The Na to Foundation, Tokyo, 1973, p. 110-115; • Hammarneh, Sami, Arabic manuscripts of the national library of medecine-Washington D.C Journal for the history of Arabic Science (J.H.A.S) vol 1, may 1977, p. 85-86; • Savage, Smith, Emilie, Islamic culture and the medical arts (brochure) national library of medicine- Be thesda, Maryland, 1994, p. 23 - 24; • Schullian and Sommer, A catalogue of incunabula and manuscripts in the army medical library, New York, 1950, part II, p.318.

د. فؤاد الذاكري

باحث في التراث العلمي - حلب

الأنصاري المالقي، أبو بكر عبد الرحمن بن دحمان

(550 هـ/ 1155م ـ 627 هـ/ 1229م)

أبو بكر عبد الرحمن بن دحمان بن عبد الرحمن بن القاسم الأنصاري المالقي، نحوي، مقرئ، أديب. أصل أسرته من وادي الحجارة (Guadalajara)بالأندلس، انتقل جده عبد الرحمن، نتيجة لزحف النصارى إلى بلنسية (Valencia). وعندما سقطت بلنسية غادروها واستقروا نهائياً في مدينة مالقة (Malaga). درس ابن دحمان القراءات على أبيه، وعمه الأستاذ أبي محمد القاسم، الذي يعد من جملة الرواة الثقات، والعلماء المقرئين في مالقة، المتوفى سنة 575 هـ/ 1179 م. كما روى أيضاً عن خاله أبي الحسين شاكر بن محمد بن الحسن المعروف بالفخار المتوفى سنة 586 هـ/ 1190 م. وكان هذا الخال ذكياً، لوذعياً، عالي الهمة، أديباً شاعراً، أنشد له ابن دحمان شعراً كثيراً [أعلام مالقة، ص 354-355]. ومن شيوخه أيضاً، أبو زيد عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي المتوفى سنة 581 هـ/ 1185 م، الذي سمع منه، وأخذ عنه الكثير من علم العربية، والأدب والشعر. وأجاز له أيضاً عبد الله بن عبد الرحمن بن قُزمان.

عُرف ابن دحمان منذ صغره بطلب العلم، والاشتغال به، وأنه كان على عفاف، وصون، وخلق رفيع. وقد لفت هذا الأمر انتباه أحد كبار علماء مالقة، وهو محمد بن سعيد بن مدرك الغساني، الذي كان محدثاً، راوية، وراقاً بارع الخط، حسن التقييد،

مؤرخاً بصيراً، عارفاً، شديد العناية بالكتب واقتنائها، حتى يُقال إنه كان لا يوجد كتاب نبيه، إلا وخطه عليه. أُعجب هذا العالم بابن دحمان، فاستدعاه، وقال له: «أريد أن أزوجُك ابنتي وعندي ما تحتاج إليه». فوافق ابن دحمان على ذلك، وظلت عنده ابنة صهره ابن مدرك الغساني حتى وفاته. ولا شك أن الذي قصده ابن مدرك بما يحتاج إليه ابن دحمان، هو علمه وكتبه النفيسة الكثيرة، التي استفاد منها ابن دحمان كثيراً.

برز ابن دحمان في مالقة، وأصبح يعدّ من شيوخ القراء فيها، يقصده التلاميذ من مختلف أنحاء الأندلس والمغرب. ومن جملة هؤلاء إبراهيم بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى الأنصاري التلمساني الوشقي، نزيل سبتة المتوفى بعد سنة 690 هـ/ 1291 م، الذي انتقل إلى الأندلس، فسكن مدة في مالقة، وأخذ بها القراءات من ابن دحمان، قبل أن يرجع إلى سبتة. وقد نبغ هذا الأخير في الأدب والشعر، وعلم العدد والفرائض، وعقد الشروط، الأمر الذي ربما يدل على اهتمامات أستاذه أيضاً، وأخذه لبعض هذه العلوم عنه [ابن مريم، البستان، ص 55-56]. ومن تلاميذ ابن دحمان أيضاً قاسم بن أحمد بن السكوت الأنصاري، المعروف بأبي القاسم الحجري، وكذلك أبو بكر بن مسدي، الذي قرأ عليه بالثمان. كما روى عنه أيضاً تلاميذ آخرون منهم، ابن أبي الأحوص، وأبو بكر بن حُميد، وغيرهما.

وعلى الرغم من إشادة مترجميه بعلمه، ومعرفته الواسعة في النحو، وقراءة القرآن، والشعر، والأدب، إلا أنهم لايشيرون إلى أية مؤلفات لابن دحمان. ويعترف مؤلف كتاب أعلام مالقة، بأنه لم يقف على شعره، ولكنه يُطريه كثيراً، ويصفه بأنه من جملة علماء مالقة، وعليتهم، وأنه كان فاضلاً، ورعاً، منبسط النفس، كثير الدعابة، ويحضر مجالس السادات، فيستظرفون أخباره ونوادره، وكان محبباً عندهم، مكرماً لديهم، حتى وفاته في شهر شعبان سنة 627 هـ/ 1229م.

المصادر والمراجع

● أبو عبد الله بن عسكر وأبي بكر بن خميس، أعلام مالقة، تح. عبد الله المرابط الترغي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، والرباط، دار الأمان، 1999، ص 125، 258، 353 ـ 354؛ ● ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تح. إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، 1964، 4/ 126؛ ● ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، عني بنشره، ج. برجشتراسر، ط 2، بيروت، دار الكتب العلمية، 1980، 1/ 369، الترجمة 1566؛ ● السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، المكتبة العصرية، 1964، 2/ 79، الترجمة 1486؛ ● ابن مريم، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، وقف على طبعه، محمد بن أبي شنب، الجزائر، 1908 ـ 55-56.

أ.د. عبد الواحد ذنون طه
جامعة الموصل

الأنصاري، محمد عبد الحليم بن أمين الله بن محمد

(....هـ/....م - 1285هـ/1867م)

هو محمد عبد الحليم بن أمين الله بن محمد أكبر بن أحمد بن يعقوب الأنصاري اللكهنوي، وكان عالماً كبيراً، بارعاً في المنطق، والكلام، وأصول الفقه، ومشاركاً في الفقه والحديث، ومدرساً محسناً إلى طلبة العلم.

ولد في تسع بقين من شعبان سنة تسع وثلاثين ومائتين وألف، بمدينة لكهنؤ، وحفظ القرآن ودرس النحو والصرف على والده، ثم أكمل تعليمه على نفر من مشائخ عصره، أشهرهم: عمه المفتي يوسف بن محمد أصغر اللكهنوي، وخاله المفتي نعمة الله بن نور الله اللكهنوي، وجد أبيه المفتي ظهور الله، وعم أبيه المفتي محمد أصغر، والشيخ أحمد المليح آبادي.

بدأ حياته العلمية مدرساً ببلدة باندا، فدَّرس بها أربع سنوات، ثم عاد إلى موطنه الأصل بلكهنؤ، حيث قضى سنة كاملة في الدعوة والتدريس، ومنها ارتحل إلى جونيور حيث تولى التدريس في المدرسة الإمامية الحنفية، فدَّرس بها تسع سنوات، ثم عاد إلى لكهنؤ مرة أخرى سنة (1276هـ)، ومن لكهنؤ سافر إلى حيدر آباد وتولى أمر التدريس بدار العلوم فترة من الزمن.

وفي سنة (1279هـ) شد رحاله إلى الحرمين الشريفين، وبعد أداء الفريضة درس الحديث عن الشيخ جمال بن عبد الله الحنفي المكي، والشيخ أحمد زين دحلان الشافعي، والشيخ محمد بن محمد الغربي الشافعي المدني، والشيخ عبد الغني بن أبي سعيد العمري الدهلوي المهاجر إلى المدينة المنورة، وتفقه في «دلائل الخيرات» على الشيخ علي بن يوسف ملك باشلي الحريري، وأخذ بعض أدبيات الطريقة النقشبندية عن الشيخ عبد الرشيد بن أحمد سعيد العمري الدهلوي. وبعد هذه السياحة العلمية في الأراضي المقدسة رجع في سنة (1282هـ) إلى حيدر آباد، حيث أوكلت إليه مهمة العدل والقضاء.

توفي محمد بن عبد الحليم التقوي في شعبان سنة خمس وثمانين ومائتين وألف بحيدر آباد.

آثاره

بجانب عطائه المهني ودور التعليمي التربوي ألف الأنصاري عدداً من المصنفات، نذكر منها:

1 - التحقيقات المرضية لحل حاشية السيِّد الزاهد على الرسالة القطبية، وصنفها في باندا سنة (1263هـ)؛ 2- القول الأسلم لحل شرح السلم لمُلا حسن؛ 3- كشف المكتوم في حاشية بحر العلوم، أي حاشية السيِّد زاهد على الرسالة القطبية؛ 4- القول المحيط فيما تعلق بالجعل المؤلف والبسيط؛ 5- حل المعاقد في شرح العقائد لجلال الدواني؛

6-التعليق الفصل؛ 7- معين الغائصين في رد المغالطين؛ 8- الإيضاحات لمبحث المختلطات؛ 9- كشف الانتباه في الشرح السلم لحمد الله؛ 10- البيان العجيب في شرح ضابطة التهذيب؛ 11- كاشف الظلمة في بيان أقسام الحكمة؛ 12- نظم الدرر في سلك شق القمر؛ 13- التخلية في شرح التسوية للشيخ محب الله الإله آبادي؛ 14- نور الإيمان في آثار حبيب الرحمن؛ 15- قمر الأقمار؛ 16- حاشية نور الأنوار في شرح المنار.

المصادر والمراجع

● الشريف عبد الحي بن فخر الدين الحسين، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، ج 7، ط 2، حيدر آباد، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، 1979م، ص 253-255؛ ● الشريف عبد الحي بن فخر الدين الحسين، الأعلام بمن في تاريخ من الأعلام. المسمى بـ نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، ج 7، دار ابن حزم، 1999م، ص 1004-1005؛ ● الزركلي خير الدين، الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج 6، بيروت، دار العلم للملايين، د.ت، ص 186-187.

د. أحمد إبراهيم أبو شوك
الجامعة الإسلامية العالمية- ماليزيا

الأنصاري، محمد بن عبد الله

(613 هـ/ 1217 م ـ 688 هـ/ 1289 م)

أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن أبي بكر بن خميس الأنصاري، فقيه، أديب، شاعر. ولد بمدينة أسطبونة، أو إشتبونة Estepona بالأندلس في يوم الأحد ثامن عشر ذي القعدة سنة 613 هـ/ الموافق السادس والعشرين من فبراير (شباط) سنة 1217 م. وهي ثغر صغير يقع على شاطئ البحر المتوسط جنوبي غرب مالقة Malaga، وشمالي جبل طارق على مقربة من ثغر مربلة Marbella. وقد تلقى ابن خميس تعليمه الأولي في هذه المدينة، وقضى طفولته وشطراً من شبابه فيها، ثم انتقل عنها، ليسكن في مدينة الجزيرة الخضراء Algeciras سنة 635 أو 636 هـ/ 1237 أو 1238 م. ولهذا عُرف بنزيل الجزيرة الخضراء، التي استمرت مستقراً لأبنائه وأحفاده من بعده إلى حين سقوطها بأيدي الأسبان.

وكان من أول شيوخه في بلده ابن عم أبيه أبو عمران بن فتح بن خميس، ثم روى عن أبي جعفر بن الفحام، وأبي عبد الله بن ثابت، وأبي القاسم عبد الله بن يحيى بن أبيّ، وأبي

موسى عمران السلوي. ومن تلاميذه المشهورين، ابنه أبو جعفر أحمد بن محمد بن عبد الله بن خميس الأنصاري، الذي تولى الخطابة في الجزيرة الخضراء، والمتوفى سنة 748 هـ/ 1347 م [ابن القاضي، جذوة الاقتباس، 1/ 298]. وكذلك قريبه أبو بكر محمد بن محمد بن إدريس القلوسي المتوفى سنة 707 هـ/ 1307 م، الذي أضحى إماماً في العربية والعروض والقوافي والفقه والقراءات، والفرائض، وولي الخطابة في إسطبونة. وألف عنها كتاباً بعنوان: الدرّة المكنونة في محاسن إسطبونة، ومن تلاميذه أيضاً، أبو عبد الله محمد بن عمر بن رُشيد الفهري المتوفى سنة 721 هـ/ 1321 م صاحب الرحلة الحجازية المعروفة، بـ «ملء العيبة في ما جمع بطول الغيبة في الوجهة إلى الحرمين مكة وطيبة». كذلك لقيه في الجزيرة الخضراء وسمع بعض كلامه أبو عبد الله محمد بن عبد الملك الأنصاري المراكشي، صاحب كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، المتوفى سنة 703هـ/ 1303 م، وقد أجازه وأجاز اثنين من أولاده، هما: أحمد ومحمد.

والواقع أن معلوماتنا عن ابن خميس، ترجع بكاملها إلى ما كتبه عنه ابن عبد الملك الأنصاري المراكشي. وعلى الرغم من عدم تيسر مصادر أخرى، فإن ترجمة المراكشي، تعد على درجة كبيرة من الأهمية، لمعاصرته والتقائه به. وتدل أسماء تلامذته الذين أسلفنا ذكرهم والذين نبغوا فيما بعد، على أنه كان ذا باع طويل في العلم، ومقدرة جيدة في التدريس. فهو حسب وصف المراكشي له:

«كان حافظاً للفقه، حاضر الذكر لجواب ما يُسأل عنه من النوازل فيه، دمثاً، متواصفاً، حسن اللقاء، ديّناً، ذا حظ وافر من الأدب، وقرض الشعر، بارع الخط ....» [الذيل والتكملة، 6/ 313]. وقد تولى إمامة الصلاة في الجامع الأعظم بالجزيرة الخضراء طويلاً، كما خطب فيه عقب وفاة خطيبه أبي محمد بن موسى الركيبي، بخُطب كان يكتبها للجمع والأعياد. واستمر على الإمامة والخطابة إلى وفاته ليلة السبت، الخامس والعشرين من صفر عام 688 هـ/ 1289 م، ودفن بمقبرة البير التي على الطريق خارج باب المقبرة، وشهد جنازته جمع غفير من الناس، وأثنوا عليه لصلاحه، ولأنه كان أهلاً لذلك. وقد خلّف من بعده من سلك طريقه في العلم والمعرفة، لا سيما ابنه أحمد وحفيده محمد ابن أحمد المتوفى سنة 750 هـ/ 1349 م، اللذان توليا الخطبة والإقراء في جامع الجزيرة الخضراء، ثم انتقل الحفيد إلى سبتة، بعد تغلب الأسبان على مدينته، فاستقر فيها خطيباً إلى حين وفاته.

المصادر والمراجع

● ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تح. إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، 1973، 6 / 312-313؛ ● ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تح. محمد عبد الله عنان، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1975، 3/ 183-185 (ترجمة الحفيد)؛ ● ابن القاضي المكناسي، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، الرباط، دار

المنصور للطباعة والوراقة، 1973، 1/ 298؛ ● مجهول المؤلف، بلغة الأمنية ومقصد اللبيب، فيما كان بسبتة من مدرس وأستاذ وطبيب، تح. عبد الوهاب بن منصور، الرباط، المطبعة الملكية، 1984، 26 (ترجمة الحفيد).

أ.د. عبد الواحد ذنون طه
جامعة الموصل

الأنصاري المرسي، أبو إسحاق إبراهيم بن يحيى

(677 هـ/ 1278 م - 751 هـ/ 1350 م)

أبو إسحاق إبراهيم بن يحيى بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري المرسي، ثم الغرناطي، نحوي، مقرئ، طبيب. أصله من مدينة مرسية (Murcia)في جنوب شرق الأندلس، ثم تحوّل إلى غرناطة (Granada)، وعاش فيها زمن الدولة النصرية. والواقع أن المعلومات عن إبراهيم الغرناطي شحيحة جداً، وهي تأتي بالدرجة الأولى من ترجمة مقتضبة، كتبها له لسان الدين بن الخطيب في «الإحاطة في أخبار غرناطة»، ونقلها عنه ابن حجر العسقلاني في «الدرر الكامنة». وهذه الترجمة لا تتوفر في النسخة المطبوعة بين أيدينا. ومن المحتمل أنه كان تحت تصرف ابن حجر نسخة أخرى أكثر تفصيلاً. وعلى أي حال، فقد ولد هذا الرجل في شعبان من سنة 677 هـ/ 1278 م، وأخذ العلم عن أبيه، وشارك في القراءات، والفقه والأصلين، وله نظم للشعر، وكان حسن الخط كثيراً، وله مشاركة في العلوم.

آثاره

لا توجد إشارة إلى شيوخه، وتلاميذه، أو مؤلفاته، ولا نماذج من شعره، باستثناء قول كحالة، إنه كان له وثائق، [معجم المؤلفين، 1/ 127]. وهذا يدل على أنه كان متمكناً من تحرير الشروط والوثائق العامة، بصيراً بعقدها. ولم تكن هذه المهمة ذات علاقة بالدولة، لأن النظام القضائي في الأندلس، كان يترك الناس أحراراً في اختيار من يقوم بتحرير ما يتعاقدون عليه من شروط، لذلك عني الكثيرون بوضع كتب تُهوّن على الناس أمر العقود وصيغها، ومنها تلك التي تدعى بالوثائق. ومما يؤسف له أن وثائق الغرناطي هذه لم تصل إلينا، كذلك لا نعرف بالضبط العلوم الأخرى التي شارك فيها، حسبما ورد في ترجمته. ومن الواضح أنه كان لإبراهيم الغرناطي رحلة إلى خارج الأندلس، لاسيما في بلاد المغرب، حيث برز هناك، وتولى القضاء في بعض مدنه، ولكن لا توجد أي إشارة إلى تلك الأماكن. ومن المحتمل أنه رجع في أواخر عمره إلى غرناطة، فقد توفي فيها، حسب قول ابن الخطيب في جمادى الآخرة من سنة 751 هـ/ 1350 م.

المصادر والمراجع

- ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تح. محمد عبد المعيد خان، ط 2، الهند، حيدر آباد الدكن، 1972، 1/ 87؛
- كحالة، معجم المؤلفين، دمشق، مطبعة الترقي، 1957، 1/ 127.
- C. Brockelman, Geschichte der Arabischen Litteratur, Leiden, Brill, 1938, S. II: 374.

أ. د. عبد الواحد ذنون طه

جامعة الموصل

الأنصاري، النعمان بن بشير بن سعد

(2هـ/623م - 65هـ/684م)

اسمه النعمان بن بشير بن سعد بن حصين بن ثعلبة الخزرجي الأنصاري، يكنى أبا عبد الله. أمير خطيب، شاعرٌ من أجلاء الصحابة.

قال ابن حزم : والنعمان بن بشير أول مولود وُلد بالمدينة بعد قدوم رسول الله ﷺ إياها، وكان ذلك في ربيع الآخر، على رأس أربعة عشر شهراً. أمّه عَمْرَةُ بنت رَوَاحة، أخت عبد الله بن رواحة. قال فيها قيس بن الخطيم : [من المتقارب]

أجَدَّ بـعـمـرَةَ غُـنْـيَـانُـهـا
فـتـهـجُـرَ أمْ شـأنُـنَـا شـأنُـهـا

وعَـمْـرَةُ مِـنْ سَـرَوَاتِ الـنِّـسَـا
ءِ تَـنْـفَـحُ بـالـمِـسْـكِ أرْدانُـهـا

تنسب إليه «معرة النعمان» بلد أبي العلاء المعري. كانت تعرف بالمعرّة، مرّ بها النعمان ابن بشير، فمات له ولد فدفنه فيها؛ فنسبت إليه.

قال الأصفهاني: «وله - أي للنعمان - صحبة بالنبي ﷺ ، ولأبيه بشير بن سعد ...». روى عن النبي ﷺ وعن خالد بن عبد الله بن رواحة وعمر وعائشة. وروى عنه ابنه محمد ومولاه سالم وعروة والشعبي والسبيعي وأبو قلابة. يقال إن النعمان جاء إلى النبي ﷺ ومعه رجل آخر؛ ليشهدا معه غزوة له - فيما قيل - فاستصغرهما وردّهما.

أبو النعمان بشير بن سعد أول مَنْ قام يوم السقيفة من الأنصار إلى أبي بكر (رضي) فبايعه، ثم توالت الأنصار فبايعته. شهد بشير بيعة العقبة وبدراً وأحداً والخندق... قيل: واستُشهد يوم عين التمر مع خالد بن الوليد (ت 21هـ/ 643م).

النعمان من أهل المدينة، أنصاري يفتخر بنسبه المذكور. قال معتزاً بانتمائه إلى الأنصار، في وفد قومه إلى معاوية بن أبي سفيان ، مخاطباً سَعْداً أبا دُرّة :[من الكامل]

يا سَعْدُ لا تُعِدِ الدعاء فما لنا
نَسَبٌ نجيبُ به سوى الأنصارِ

نَسَبٌ تخيَّرهُ الإلهُ لقومنَا
أثْقِل بِهِ نسباً على الكفّارِ

إنَّ الذينَ ثَوَوْا ببدرٍ منكمُ
يومَ القليبِ هُمُ وقودُ النّارِ

للنعمان أخت اسمها أميمة بنت بشير بن سعد، وله من الوِلْد محمد، وشبيب، وأبان وبشير، وإبراهيم، ويزيد، وعبد الله (وكان شاعراً)، وحميدة التي تزوّجها رَوْح بن زِنْباع، ثم تزوّجت بالفيض بن أبي عقيل الثقفي. وحميدة هذه شاعرة مجيدة مكثرة. كانت تهجو زوجيها جميعاً هجاءً كثيراً. قالت في الأول رَوْح بن زِنباع : [من الطويل]

بكى الخزُّ من رَوْح وأنكر جِلْدَهُ
وعجَّتْ عجيجاً مِنْ جُذَامَ المطارِفُ

وقالت تخاطب أخاها الذي زوّجها من رَوْح ابن زنباع، لائمةً إياه على فِعله : [من الوافر]

أضَلَّ اللهُ حِلْمكَ مِنْ غُلامِ
متى كانت مناكِحَنَا جُذَامُ

أتَرْضَى بالأكارِعِ والذُّنابى
وقَدْ كُنَّا يُقِرُّ لَنَا السَّنَامُ

ولها في زوجها الثاني الفيض أهاجٍ، تلعب فيها باسمه؛ فيأتي الهجاء أشدّ ألماً وأبعد أثراً، على شاكلة قولها : [من البسيط]

سُمِّيتَ فيضاً وما شيءٌ تفيضُ بِهِ
إلاَّ سُلاَحُكَ بينَ البابِ والدَّارِ

وللنعمان عقبٌ كثير، من ولده عبد الخالق بن أبان بن النعمان، وهو شاعر. وشبيب بن يزيد ابن النعمان، شاعر أيضاً. وبالأندلس من وِلده قوم بقرية شُوش الأنصار من أعمال إشبيليّة، وهم بنو عبد السلام بن سريّ...

وجّهته نائلة (زوجة عثمان) بقميص عثمان إلى معاوية في الشام؛ فنزل بها، ثم بالعراق. وصار ولده بعد ذلك إلى المدينة وبغداد. شهد «صفين» مع معاوية .

عُرف النعمان بجودته في الشعر والنثر. قال فيه صاحب الأغاني: والنعمان بن بشير من المُعْرَقين سلفاً وخلفاً. جدّه شاعر، وأبوه وعمه شاعران، وهو شاعر، وأولاده وأولاد أولاده شعراء. جدّه سعد بن الحصين، كان يقول: [من البسيط]

إنْ كنتِ سائلةً والحقُّ مُعْتَبَةٌ
فالأزْدُ نِسْبَتُنا والماءُ غسّانُ

شُمُّ الأنُوفِ لهُمْ عزٌّ ومكرمةٌ
كانتْ لهُمْ مِنْ جِبالِ الطَّوْدِ أرْكانُ

من بواكير شعره، أبيات قالها، وهو حديث السّن في امرأة من بني القين، يقال لها «ليلى»، أهدت له ولقومه هدية: [من الخفيف]

يا خليليَّ ودِّعَا دَارَ ليلى
ليس مِثْلي يَحُلُّ دارَ الهَوَانِ

إنَّ قينيَّةً تَحُلُّ محلاً
فَحَفِيراً فجنتيْ تَرْفُلانِ

لاَ تُؤاتيكَ في المغيبِ إذا ما
حالَ من دونها فُرُوعُ قَنانِ

إنَّ لَيْلى ولوْ كَلِفتَ بليلى
عَاقَها عنكَ عَائِقٌ غيرُ وانِي

ولسِمَاك بن حرب شهادة في مكانته النثرية. قال فيه: كان مِن أخطب ما سمعت. روي من خطبة له في الكوفة، يوم قامَ أهلها فصاحوا طالبين زيادة عشرة دنانير في أعطياتهم، أمرها معاوية لهم، جاء فيها: ... اسكتوا، فلما أكثروا، قال: أتدرون ما مثلي ومثلكم؟ مثلُ الضبع والضب والثعلب، فإن الضبع والثعلب أتيا الضب في وجاره، فنادياه: أبا الحِسْل، فقال: سميعاً دعوتما، قالا: أتيناك لتحكم بيننا، قال: في بيته يُؤتى الحَكَم. قالت الضبع: إني حللتُ عيبتي، قال: فِعل الحُرَّة فعلتِ. قالت: فلقطتُ ثمرةً، قال طيّباً لقطتِ، قالت: فأكلها الثعلب، قال: لنفسه نظر، قالت: فلطمتُهُ، قال: بِجُرْمِهِ، قالت: فلطمني، قال: حر انتصر، قالت: فاقضِ بيننا، قال: حدّث امرأة حديثين، فإن أبتْ فعشرة...

وَلِيَ النعمان القضاء بدمشق بعد فضالة بن عبيد، سنة (53هـ)، وولي اليمن لمعاوية، وكان أحد عماله، ثم استعمله يزيد على الكوفة تسعة أشهر، وعزله وولاّه حمص. يقال إن ليلى القينيّة قدمت عليه، وهو أمير على حمص، فلما رآها عرفها؛ فأنشأ يقول: [من الطويل]

ألا استأذَنَتْ ليلى فقلنا لها لجي
وما لكِ أنْ لا تدخلي بسلامِ
فإنّ أناساً زُرتِهِمْ ثم حَرَموا
عليكِ دخولَ البيتِ غيرُ كِرامِ

فأحسن إليها ورفدها طول مقامها إلى أنْ رحلت.

استمر النعمان في ولاية حمص إلى أن مات يزيد بن معاوية. فلما بويع لمروان دعا النعمان إلى ابن الزبير، وخالف على مروان بن الحكم، وتمرّد أهل حمص؛ فخرج هارباً، فاتبعه خالد بن خليّ الكلاعي وقتله.

كان النعمان صاحب حيلة، وَوُسِم بحسن التصرف. روي أن أعشى هَمْدان (ت 83هـ/702م) جاءه وهو عامل حمص، فشكا إليه حاله، فكلّم له النعمان اليمانية، وقال لهم: هذا شاعر اليمن ولسانهم واستماحهم له، فقالوا: نعم، يعطيه كل رجل منّا دينارين من عطائه، قال: لا، بل أعطوه ديناراً، واجعلوا ذلك مُعَجَّلاً، فقالوا له: أعطهِ إياه من بيت المال، واحْسُب ذلك على كل رجل من عطائه، ففعل النعمان، وكانوا عشرين ألفاً، فأعطاهُ عشرين ألف دينار، وارتجعها منهم عند العطاء، فقال الأعشى يمدح النعمان: [من الطويل]

ولَمْ أرَ للحاجاتِ عندَ التماسها
كنُعمانَ نُعمانِ النّدى ابنِ بشيرِ
إذا قال أوفى ما يقول ولم يكنْ
كمُدْلٍ إلى الأقوامِ حَبْلَ غُرورِ
متى أكفرِ النُّعمانَ لا ألْفَ شاكراً
وما خيرُ مَنْ لا يُقْتَدى بشكورِ
فلَوْلاَ أخو الأنصارِ كنتُ كنازلٍ
ثَوَى ما ثَوَى لم يَنْقلبْ بنقيرِ

يُحكى أن النعمان بن بشير دخل على معاوية، حين هجا الأخطلُ الأنصار، فلما مثل بين يديه، أنشأ يقول: [من الطويل]

معاويَ إلاّ تعطنا الحقّ تَعْتَرِف
لِحَى الأزْد مشدوداً عليها العمائمُ

أَيَشْتُمُنا عبدُ الأراقِم ضلةً
وماذا الذي تُجْدِي عليك الأراقمُ

فما لي ثأرٌ دونَ قطع لسانِهِ
فدونَك مَنْ تُرضيهِ عنك الدراهمُ

وإنّي لأغضي عن أمورٍ كثيرةٍ
سَتُرْقَى بها يوماً إليكَ السَّلالِمُ

فما أنتَ والأمرُ الذي لستَ أهلَهُ
ولكن وليُّ الحقِّ والأمرِ هاشمُ

إليهم يصيرُ الأمرُ بعدَ شَتَاتِهِ
فَمَنْ لكَ بالأمرِ الذي هو لازمُ

بهم شرعَ اللهُ الهدى فاهتدَى بهِ
ومنهم له هادٍ وإمامٌ وحاكمُ

فلما بلغت القصيدة إلى معاوية، أمر بدفع الأخطل إليه ليقطع لسانه، فاستجار بيزيد بن معاوية، فمنع منه، وأرضوا النعمان حتى رضي وكفّ عنه.

توفي في ولاية مروان. قال ابن حزم: افتتح مروان بن الحكم دولته بقتله، وسيق إليه رأسه من حمص. وقيل: قتل يوم «مرج راهط»، فلما قُتل وضع رأسه في حِجْر زوجته الكلبية، التي كان تزوجها من قَبلُ معاوية، ومن ثَمّ حبيب بن مسلمة، قالت: ألقوا رأسه في حجري فأنا أحقّ به، فألقوهُ في حجرها، فضمّته إلى جسده، وكفّنته ودفنته.

عُرف شعره بالجودة والأصالة، مما يُستجاد له، قصيدة منها : [من المتقارب]

أهيَّجَ دمَكَ رَسْمُ الطَّلَلْ
عَفَا غيرَ مُطَّرِدٍ كالخَلَلْ

نَعَمْ فاسْتَهَلَّ لَعِرْفَانِهِ
يَسُحُّ ويَهْمِي بِفَيْضٍ سَبَلْ

دِيَارُ الأُلُوفِ وأترابِها
وإذْ أنتَ بالحُبِّ كالمُخْتَبَلْ

ليالي تَسْبي قُلُوبَ الرِّجا
لِ تَحْتَ الخُدُور بِحُسْنِ الغَزَلْ

كأنَّ الرُّضَابَ وصوبَ السَّحَا
بِ باتَ يُشَابُ بِنَوْبِ العَسَلْ

مِنَ اللَّيْلِ خَالَطَ أنيابَها
بُعَيْدَ الكرى واختلافَ العِلَلْ

قيل : أخذ هذا المعنى جميل بثينة [الديوان، تحقيق د. حسين نصار، ص107- 108]، فقال : [من الكامل]

وكأنَّ طارقَها على عِلَلِ الكرى
والنَّجْمُ وَهْنا قَدْ دنا لتغوُّرِ

يَشْتَمُّ ريحَ مُدَامَةٍ معلولةٍ
بِسَحِيقِ مِسْكٍ في ذكيِّ العَنْبَرِ

المصادر والمراجع

● البلاذري، فتوح البلدان، حققه وشرحه وعلّق على حواشيه: عبد الله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع، منشورات مؤسسة المعارف، بيروت، 1407هـ - 1987م، ص179، و ص341؛ ● العسقلاني، ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، دار الكتاب العربي، بيروت، لا.تا، 3/ 529- 530؛ ● ابن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت،

1421هـ - 2001م، ص 364-365؛ ● الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط7، 1986م، 8/ 36؛ ● أبو الفرج الأصفهاني، كتاب الأغاني، تح.عبد الستار أحمد فرّاج، دار الثقافة، بيروت، لا.تا، 16/ 3-23؛ ● الفيروزأبادي، القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت، 1398هـ-1978م، 4/ 182؛ ● محمد بن حبيب، كتاب المحبر، اعتنى بتصحيح هذا الكتاب د. إيلزة ليختن شتيتر، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لا.تا، ص 276، 294، 421؛ ● ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر ودار بيروت، بيروت، 1404هـ-1984م، ص 156.

د. محمد كشّاش
الجامعة اللبنانية- طرابلس لبنان

الأنصاري الهروي، أبو إسماعيل عبد الله بن محمد

(396 هـ / 1006 م - 481 هـ / 1089 م)

أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن علي بن جعفر بن منصور الأنصاري الهروي الحنبلي، ولد بهراة من أعمال خراسان سنة 396 هـ/ 1006 م. كان والده قارئا وصوفيًا مريدا للشريف حمزة العقيلي البلخي، فوجّه ابنه نحو التصوّف. بدأ الهروي تعلّمه مبكّرا بهراة، فدرس علم التّفسير والحديث النّبوي على أبي منصور الأزدي، وعلى أبي الفضل الجارودي، ويحيى بن عمّار الشيباني السجستاني، الّذي أورثه كرهه للمتكلّمين. تبنّى المذهب الحنبلي وانتصر له بشدّة. وانتقل سنة 417 هـ/ 1026م إلى نيسابور ثمّ إلى طوس ومنها إلى بسطام. وفي سنة 423 هـ/ 1031 م كان في طريقه إلى الحجّ، فتوقّف ببغداد وبها تتلمذ على أبي محمد الخلاّل (ت 439 هـ). وفي عودته من الحجّ لقي أبا الحسن الخرقاني الصوفي (ت 424 هـ)، الّذي كان له بالغ التّأثير في تصوّفه والّذي كان أويسيّ الطّريقة يستوحي من أبي يزيد البسطامي. واستقرّ الأنصاري بهراة يعلّم مريديه ويناظر المتكلّمين. وهو ما جلب له تهمة التّشبيه والتّجسيم، وسبّب له الاضطهاد، والسّجن، والنّفي، والتّهديد بالقتل. يروى عنه أنّه قال: «عُرضت على السّيف خمس مرّات، لا يقال لي: ارجع عن مذهبك، لكن يقال لي: أسكت عمّن خالفك، فأقول لا أسكت!» [الزركلي، الأعلام، ج 4، ص 162]. ونفاه الوزير نظام الملك من هراة، وهو المنتصر للمذهب الأشعري، وبعد ذلك بقليل قرّبه الخليفة المقتدي وأطلق عليه لقب «شيخ الاسلام».

توفّي سنة 481 هـ/ 1089 م بمسقط رأسه. وقد أُوثر عن الهروي التّقوى، وسعة

الاطّلاع، والتّمسّك بالقرآن وبالسنّة وبمذهب أحمد بن حنبل، فابن تيميّة مثلا يشيد في كتابه «منهاج السنّة النّبويّة» [ج 3، ص 86] بما امتاز به الهروي من علم، وسنّة، ومعرفة، ودين.

تتلمذ عليه كثيرون منهم: خادمه أبو الوقت عبد الأوّل السجزي، والمؤتمن الساجي، ومحمد بن طاهر المقدسي صاحب كتاب «صفوة التّصوّف»، ويوسف الهمذاني الّذي اعتُبر وريثا لمذهبه والّذي رتّب كتابه «منازل السّائرين».

ويعتمد الآن في التّعرّف على حياة الهروي وتصوّفه على أعمال الأب دي بوريكاي (Serge de Laugier de Beaureceuil) العديدة، وهو الّذي خصّص جهده للتّعريف بالهروي، ويرجع فيما تعلّق بحياة الهروي بصفة خاصّة إلى كتابه Khwadja Abdullah Ansari mystique hanbalite، ص 13 - 167.

يصف الهروي في مقدّمة كتاب «منازل السّائرين إلى الحقّ المبين» [نشرة بوريكاي، ص 1 - 7]، الّذي يعدّ من أهمّ كتبه وأشهرها، مواضع النّاس بالقياس إلى الطّريق الصّوفيّ، وهي ثلاثة: المريد وهو الّذي يعمل بين الخوف والرّجاء شاخصا إلى الحبّ مع صحبة الحياء، والمراد وهو رجل مختلف من وادي التّفريق إلى وادي الجمع، وكلّ ما سواهما فمدّع مفتون. ثمّ تناول مقامات هذا الطّريق ويحدّد قواعد التّدرّج فيها .فالسّالك لا يصحّ له مقام حتّى يرتفع عنه إلى غيره، ثمّ يشرف عليه ويصحّحه. وفي ذلك يوافق الهروي الجنيد. ثمّ إنّ النّهايات في هذا الطّريق لا تصحّ إلاّ بتصحيح البدايات. ويمرّ السّالك عند قطعه هذه المقامات برتب ثلاث: الأولى أخذ القاصد في السّير، والثّانية دخوله في الغربة، والثّالثة حصوله على المشاهدة الجاذبة إلى عين التّوحيد.

أراد الهروي في هذا الكتاب أن يرتّب الطّريق الصّوفي في أصوله وفروعه، وأن يفصّل درجات كلّ مقام من هذه المقامات الّتي يقطعها الصّوفيّة. وبذلك تُعرف درجة العامّة منهم، ثمّ درجة المحقّق. وحصر هذه المقامات في مائة مقام، مقسّمة إلى عشرة أقسام، كلّ قسم منها فيه عشرة أبواب، في كلّ باب ثلاث درجات، ولكلّ درجة ثلاث حقائق أو ثلاثة أركان أو ثلاثة شروط. ونكتفي هنا بذكر الأقسام ومقاماتها بصفة مجملة، إلاّ القسم الأوّل، أي قسم البدايات [ص 8-18]، الّذي نذكره ببعض التّفصيل لنضرب به مثلا على البنية والتّرتيب المتّبعين في كلّ قسم من أقسام الكتاب.

1) قسم البدايات، وفيه:

1 - اليقظة، أي اليقظة من سنة الغفلة والنّهوض عن الفترة. وهي ثلاثة أشياء: لحظ القلب إلى النّعمة مع الإياس من عدّها، ومطالعة الجناية والتّشمير لتداركها، والانتباه لمعرفة الزّيادة والنّقصان مع الأيّام وتدارك فائتها وتعمير باقيها؛ 2 - التّوبة، وهي لا تصحّ إلاّ بعد معرفة الذّنب، وفي الذّنب ينظر المرء إلى ثلاثة أشياء: الانخلاع عن المعصية حين إتيانه، والفرح به عند الظّفر به، والقعود عن الاصرار عن تداركه مع يقين العبد من نظر الحقّ إليه. وللتّوبة شرائط ثلاثة: النّدم، والاعتذار، والاقلاع؛ 3 - المحاسبة، ويسلك طريقها بعد العزيمة على عقد التّوبة،

ولها ثلاثة أركان: أن تقايس بين نعمته وجنايتك، أن تميّز ما للحقّ عليك ممّا لك أو منك، أن تعرف أنّ كلّ طاعة منك رضيتها منك فهي عليك، وكلّ معصية عيّرت بها أخاك فهي إليك؛ 4 - الإنابة، وهي الرّجوع إلى الله في جميع الحالات، وتكون بثلاثة أشياء: الرّجوع إلى الحقّ إصلاحا، كما رُجع إليه اعتذارا؛ والرّجوع إليه وفاء كما رُجع إليه عهدا؛ والرّجوع إليه حالا كما رُجع إليه إجابة؛ 5 - التّفكّر، وهو تلمّس البصيرة لاستدراك البغية، وهو على ثلاثة أنواع: فكرة في عين التّوحيد، فكرة في لطائف الصّنعة، فكرة في معاني الأعمال والأحوال؛ 6 - التّذكّر، وهو فوق التّفكّر، إذ التّفكّر طلب والتّذكّر وجود. وأبنية التّذكّر هي: الانتفاع بالعظة، والاستبصار للعبرة، والظّفر بثمرة الفكرة؛ 7 - الاعتصام بحبل الله، وهو المحافظة على طاعته مراقبا لأمره، وهو التّرقّي عن كلّ موهوم والتّخلّص من كلّ تردّد. وهو على ثلاث درجات: اعتصام العامّة بحبل الله، واعتصام الخاصّة بالانقطاع وهو التّمسّك بالعروة الوثقى، واعتصام خاصّة الخاصّة بالله، وهذا يكون بالاتّصال، وهو شهود الحقّ تفريدا والاشتغال به قربا، وهو الاعتصام بالله؛ 8 - الفرار، وهو الهرب ممّا لم يكن إلى من لم يزل. وهو على ثلاث درجات: فرار العامّة من الجهل والكسل والضّيق، وفرار الخاصّة من الخبر إلى الشّهود ومن الرّسوم إلى الأصول ومن الحظوظ إلى التّجريد، وفرار خاصّة الخاصّة، وهو ممّا دون الحقّ إلى الحقّ، ثمّ فرار من شهود الفرار إلى الحقّ؛ 9 - الرّياضة، وهي تمرين النّفس على قبول الصّدق، وهي كذلك على ثلاث درجات: للعامّة وللخاصّة ولخاصّة الخاصّة، وهذه تجريد الشّهود والصّعود إلى الجمع ورفض المعارضات وقطع المعاوضات؛ 10 - السّماع وهو حقيقة الانتباه، وهو على ثلاث درجات: للعامّة، وللخاصّة، ولخاصّة الخاصّة، وهذا يغسل العلل عن الكشف ويصل الأبد إلى الأزل ويردّ النّهايات إلى الأوّل؛ أمّا بقيّة الأقسام فهي التّالية: 2) **قسم الأبواب** (ص 19-27)، وفيه: الحزن، والخوف، والإشفاق، والخشوع، والإخبات، والزّهد، والورع، والتّبتّل، والرّجاء، والرّغبة؛ 3) **قسم المعاملات** (ص 28 37)، وفيه: الرّعاية، والمراقبة، والحرمة، والإخلاص، والتّهذيب، والاستقامة، والتّوكّل، والتّفويض، والثّقة، والتّسليم؛ 4) **قسم الأخلاق** (ص 38-49)، وفيه: الصّبر، والرّضى، والشّكر، والحياء، والصّدق، والإيثار، والخلق، والتّواضع، والفتوّة، والانبساط؛ 5) **قسم الأصول** (ص 50-59)، وفيه: القصد، والعزم، والإرادة، والأدب، واليقين، والأنس، والذّكر، والفقر، والغنى، والمراد؛ 6) **قسم الأودية** (ص 60 70)، وفيه: الإحسان، والعلم، والحكمة، والبصيرة، والفراسة، والتّعظيم، والإلهام، والسّكينة، والطّمأنينة، والهمّة؛ 7) **قسم الأحوال** (ص 71-80)، وفيه: المحبّة، والغيرة، والشّوق، والقلق، والعطش، والوجد، والدهش، والهيمان، والبرق، والذّوق؛ 8) **قسم الولايات** (ص 81-91)، وفيه: اللّحظ، والوقت، والصّفاء، والسّرور، والسّرّ، والنّفس، والغربة، والفرق، والغيبة، والتّمكّن؛ 9) **قسم**

الحقائق (ص 92–101)، وفيه: المكاشفة، والمشاهدة، والمعاينة، والحياة، والقبض، والبسط، والسّكر، والصّحو، والاتّصال، والانفصال؛ **10) قسم النّهايات** (ص 102–113)، وفيه: المعرفة، والفناء، والبقاء، والتّحقيق، والتّلبيس، والوجود، والتّجريد، والتّفريد، والجمع، والتّوحيد.

إنّ كتاب الهروي هذا لدليل على ما بلغه التّصوّف في القرن الخامس الهجري من معرفة دقيقة بالتّجارب الصّوفيّة، ومن تنظير محكم بلغ درجة عالية من النّظام والنّسقيّة، ومن مصطلح في منتهى الدقّة يعبّر عنه بلغة في غاية الإيجاز والفصاحة. وهو ما يعلّل جهود المؤلّفين اللاّحقين العديدين في شرحه.

وطبعا، لم يكن من شأن مؤلّفي أمّهات الكتب في التّصوّف مثل الكلاباذي، والسّرّاج، والطوسي، والقشيري، والغزالي، أن يتّفقوا على عدد المراحل من مقامات وأحوال يقطعها السّالك في الطّريق الصّوفي، ولا أن يتّفقوا على طبيعتها ولا على ترتيبها ولا على تفاوت الدّرجات فيها. وهو ما سعى الهروي الأنصاري إلى ضبطه في كتابه. فقد حصر كلّ ذلك مزاوجا بين التّقسيم العشري والتّقسيم الثّلاثي. ورأينا أنّه يحصر كلّ المقامات في مائة مقام ويوزّعها على عشرة أقسام. ويبدأ كلّ باب بذكر آية قرآنيّة ورد فيها اسم ذلك المقام أو معناه، ثمّ يطلعنا على حقيقته بتعريف مصطلحه، ثمّ يميّز داخله بين ثلاث درجات إحداها للعامّة، وثانيتها للخاصّة، وثالثتها لخاصّة الخاصّة، ويعرّف كلّ واحدة منها. ثمّ يفصّل في تركيب ثلاثي كذلك حقيقة كلّ درجة من هذه الدّرجات. وهو ينوخى هذا التّقسيم الثّلاثي ذاته عند ذكره للأركان أو للشّروط داخل المقام الواحد. أمّا ترتيب الأقسام والأبواب، فيصعب فهمه، وهو ما حاول الشّرّاح استكناهه [بوريكاي، La structure du «Livre des Etapes» de Ansârî, in Mideo، مجلّد 11، ص 77–125، 1972 م]. وأحيانا يوضّح الهروي العلاقة الموجودة بين مقام ومقام، فينصّ في الدّرجة الثّالثة من المقام الأوّل على المقام الموالي وكأنّها تفضي إليه. ونضرب مثالا على ذلك الدّرجة الثّالثة من باب الحكمة من قسم الأودية الّتي يدرك فيها البصيرة، والبصيرة هي المقام الموالي. وكذلك الشّأن بالنّسبة إلى باب البصيرة وباب الفراسة من القسم نفسه (ص 62–65)، وأيضا في قسم الحقائق بالنّسبة إلى المكاشفة الّتي غايتها المشاهدة (ص 92). وأحيانا أخرى يحدّد الهروي هذا التّرتيب بين المقامات بأن ينصّ على أنّ مقام كذا هو فوق مقام كذا، كالإلهام مثلا، الّذي هو فوق مقام الفراسة (ص 66)، وكذلك الصّحو الّذي هو فوق السّكر ويناسب مقام البسط (ص 98).

أمّا أعلى قسم في المقامات فهو **قسم النّهايات** الّذي يتوّج بمقام التّوحيد (ص 110) وفيه يميّز الهروي ثلاثة أوجه: 1 - توحيد العامّة الّذي يصحّ بالشّواهد الّتي هي الرّسالة والصّنائع، وهو التّوحيد الظّاهر الجليّ الّذي نفى الشّرك الأعظم، وصحّت به الملّة من العامّة؛ 2 - توحيد الخاصّة، وهو الّذي يثبت بالحقائق، وهو إسقاط الأسباب الظّاهرة، والصّعود عن منازعات العقول، وعن التّعلّق بالشّواهد، وهو أن لا يشهد في التّوحيد

دليلا، ولا في التّوكّل سببا، ولا في النّجاة وسيلة. وهذا التّوحيد يصحّ بعلم الفناء، ويصفو في علم الجمع، ويجذب إلى توحيد أرباب الجمع؛ 3 توحيد خاصّة الخاصّة، وهو توحيد قائم بالقدم، وهو الّذي اختصّه اللّه لنفسه، واستحقّه لقدره، وألاح منه لائحا إلى أسرار طائفة من صفوته، وأخرسهم عن نعته، وأعجزهم عن بثّه، والّذي يشار إليه على ألسن المشيرين بأنّه إسقاط الحدث وإثبات القدم. على أنّ هذا الرّمز في ذلك التّوحيد علّة لا يصحّ ذلك التّوحيد إلاّ بإسقاطها. وإلى هذا التّوحيد شخص أهل الرّياضة وأرباب الأحوال:

ما وحّد الواحد من واحد
إذ كلّ من وحّده جاحد
توحيد من ينطق عن نعته
عارية أبطلها الواحد
توحيده إيّاه توحيده
ونعت من ينعته الاحد

يحرص الهروي في بيان معالم الطّريق الصّوفي وتوضيح اصطلاحاته على الاستشهاد بالآيات القرآنيّة، والأحاديث النّبويّة، وأقوال السّلف، وكبار الصّوفيّة السّنّيين مثل الجنيد البغدادي، سيّد الطّائفة وصاحب القولة الشّهيرة: «التّوحيد إفراد الحدوث عن القدم» الّتي أشار إليها الهروي في حديثه عن التّوحيد. ويلتحق تصوّف الهروي بالتّصوّف السّنّي وحتّى السّلفي الّذي يقبل القول بالفناء في التّوحيد، ويبتعد عن التّصوّف من نوع تصوّف الحلاج الّذي يقول بالاتّحاد أو من نوع تصوّف ابن عربي المتفلسف الّذي يقول بالوحدة (عن رأي الهروي في الحلاج، Louis la Massignon, la passion de Husayn ibn Mansûr Hallâj، ج 2، ص 226 – 236]. هذا ونرى ابن تيميّة يستحسن في كتابه «منهاج السّنّة النّبويّة» [ج 3، ص 90 وما يليها] قول الهروي في مشكلة الذّات والصّفات، في كتبه «الفاروق في الفرق بين المثبتة والمعطّلة»، و«تكفير الجهميّة»، و«ذمّ الكلام وأهله»، وذلك لمباينته لما رُمي به الجهميّة دوما، وهو تعطيل الذّات الإلهيّة من صفاتها، رغم أنّه بالغ في ذلك إلى أن اتّهم بالغلوّ في إثبات الصّفات، ولعلّ ذلك ما يفسّر رمْيه بالتّشبيه والتّجسيم. وفي الكتاب نفسه [ص 85 وما يليها] يورد ابن تيميّة قول الهروي في التّوحيد بكامله، ثمّ ينتقده من حيث تبعاته على مسألة أفعال العباد. فهو يرى أنّ الفناء الّذي قال به صاحب «منازل السّائرين» هو الفناء في توحيد الرّبوبيّة لا في توحيد الإلهيّة. والفرق بين الإثنين في اصطلاح ابن تيميّة هو أنّ الفناء في توحيد الرّبوبيّة لا يستحسن فيه العارف حسنة ولا يستقبح سيّئة، فلا يميّز فيه بين المأمور والمحظور، بينما يُبقي الفناء في توحيد الألوهيّة على هذا التّمييز. وتوحيد الألوهيّة هو الشّهادة أنّ لا إله إلاّ اللّه وهو الّذي بُعثت به الرّسل ويتضمّن توحيد الرّبوبيّة. ويرى ابن تيميّة أنّ هذا هو المغزى من قولة الجنيد المذكورة أعلاه، وأنّ الهروي يثبت توحيد الرّبوبيّة مع نفي الأسباب والحكم، فيوافق بذلك قول الجهميّة (نسبة إلى جهم بن صفوان) القائلين بالجبر المطلق، لأنّ الفناء عنده لا يجامع البقاء، فإنّه نفي لكلّ ما سوى حكم الربّ بإرادته الشّاملة، فيتجاوز كلّ

معاني الحسن والقبح إلى معنى الحكم القدري، وهو خلق الله لكلّ شيء بقدرته وإرادته. إلاّ أنّ ابن قيم الجوزية تلميذ ابن تيميّة، يدافع عن الهروي ويؤكّد في «مدارج السّالكين» [ج 1، ص 149 وما يليها] على الفروق بين مذهب الهروي الّذي هو فناء عن شهود السوى، وهو غيبة المرء عن سوى مشهوده، بل غيبته عن شهوده ونفسه، وهو قول بوحدة الشّهود، وبين مذهب القائلين بالاتّحاد الّذين ينفون التكثّر والتّعدّد عن الوجود، أي فناء وجود ما سوى الله في الخارج، وهو قول بوحدة الوجود.

يمتاز مذهب الهروي بسعيه إلى التّوفيق بين صدق العاطفة الصّوفيّة الّتي تعطي الأولويّة لمحبّة الصّوفي لله، وبين المذهب الحنبلي المتمسّك بالقرآن والسنّة، والرّافض لكلّ انحراف عنهما في التّصوّف أو في علم الكلام أو غيرهما. لا ننسى أنّ أحمد بن حنبل من الأئمّة الّذين بدّعوا علم الكلام وكفّروه. ومذهب الهروي يتبنّى هذا العداء، إذ ألّف في ذمّ علم الكلام وأهله. فأبعد الاستدلال العقلي ليثبت الطّريق الصّوفي للوصول إلى الحقّ، طريق المحبّة والأسرار والفناء والجمع والوجود مع التّمسّك بالكتاب والسنّة. وسنجد شخصيّة صوفيّة جبّارة شبيهة بالهروي في هذا الجمع بين التّصوّف والمذهب الحنبلي، وهو عبد القادر الجيلاني مؤسّس الطّريقة القادريّة (م. 561 هـ/ 1166 م).

■ آثاره

ألّف الهروي باللّغتين العربيّة والفارسيّة.

1 - كتاب منازل السّائرين إلى الحقّ المبين (بالعربيّة)، طبعه مصطفى البابي الحلبي، بالقاهرة، سنة 1328 هـ. ونشره بوريكاي وترجمه إلى الفرنسيّة، بمطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشّرقيّة، بالقاهرة، سنة 1962م. وكانت لهذا الكتاب شروح عديدة يذكرها حاجي خليفة في [كشف الظّنون، ج 2، ص 1828]. من هذه الشّروح شرح ركن الدين الشيرازي [راجع عنه بوريكاي، في MIDEO، ج 1، ص 163، القاهرة]. ومنها شرحا محمود بن حسن الفركاوي القادري (م. 759 هـ/ 1393م) وسديد الدين عبد المعطي اللخمي الاسكندري (م. 650 هـ/ 1252م) اللّذان نشرهما بوريكاي، بمطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار، بالقاهرة، الأوّل سنة 1953م، والثّاني سنة 1954م [سلسلة أنصاريّات: الكتاب الأوّل والكتاب الثّاني]، و«كتاب التّمكين في شرح منازل السّائرين» لمحمود أبي الفيض المنوفي الحسيني، وهو شارح معاصر، والكتاب مطبوع بدار نهضة مصر، بالقاهرة، سنة 1969م. ومن أشهر الشّروح شرح عبد الرزاق الكاشي (أو القاشاني) (730 هـ/ 1330م) صاحب «اصطلاحات الصّوفيّة»، وقد طبع هذا الشّرح طبعة حجريّة، بطهران، سنة 1315 هـ/ 1897م. وشرح عفيف الدين التلمساني الشّهير (م. 690 هـ/ 1291م) وقد نشره عبد الحفيظ المنصور في جزأين، بتونس، سنة 1989 م. والشّرح الآخر الشّهير هو لابن قيّم الجوزية (م. 751 هـ/ 1350م)، وهو «مدارج السّالكين»، وقد طبع بالقاهرة طبعات عديدة، منها طبعة سنة 1956م [يرجع في بعض هذه الشّروح إلى كتاب عبد القادر محمود، الفلسفة الصّوفيّة في الإسلام،

ص 105]؛ 2 - مناجاة ونصائح (فيه سجع ونظم بالفارسيّة)، له نشرات عديدة، ومنها نشرة كافياني (Kaviani)، ببرلين، سنة 1924م. وقد نال الهروي بفضله شهرة كبيرة. ولهذا الكتاب ترجمة إلى الإنجليزيّة، وهي: The Invocations of Shaikh Abdullah Ansari, Trans. sir Jogenda, Singh, London, 1959. وراجع مقتطفات منه في Serge de Laugier, de Beaurecceuil, Khwadja Abdullah Ansari ص 286-301، وقد أعدّ بوريكاي ترجمة إلى الفرنسيّة ودراسة لهذا الكتاب في مكتبة سندباد، باريس، 1988م؛ 3 - طبقات الصّوفيّة، كتبه بلغة هاراة الفارسيّة القديمة مستوحيا فيه من طبقات الصّوفيّة للسّلمي (دراسة إيفانوف عنه في Vladimir Ivanow, «Tabaqât of Ansâri in the old Language of Herat», in Journal of the Royal Asiatic Society, January-July 1923.

وقد نشر بوريكاي منه مقتطفات في كتابه المذكور [ص 258- 273]. ونشره محمد سرور مولائي، بطهران، سنة 1938 م. ثمّ نشره عبد الحي حبيبي، كابول، 1962 م؛ 4 - كتاب ذمّ الكلام وأهله، وهو كتاب بالعربيّة ينتقد فيه مذهب الأشعري [مقتطفات منه في كتاب بوريكاي المذكور، ص 204-221]؛ 5 - القصيدة النّونيّة، وهي عقيدة منظومة شعرا وفيها مدح لأحمد بن حنبل؛ 6 - المسجّعات (وهي مشكوك في صحّة نسبتها إليه)؛ 7 - أنس المريدين وشمس المجالس في قصّة يوسف؛ 8 - أنوار التّحقيق في المواعظ؛ 9 - تفسير القرآن؛ 10 - خلاصة في شرح حديث «كلّ بدعة ضلالة»؛ 11 - شرح التّعرّف لمذهب التّصوّف [للكلاباذي]؛ 12- كتاب علل المقامات، بالعربيّة [راجع مقتطفات منه في كتاب بوريكاي المذكور، ص 274 - 285]. وقد نشره بوريكاي وترجمه إلى الفرنسيّة Serge de Laugier de Beaurecueil, in Mélanges Massignon، [ج1، ص 153-171، دمشق، 1956 م]؛ 13 - الفاروق في الفرق بين المثبتة والمعطّلة (في إثبات الصّفات)؛ 14 - كتاب تكفير الجهميّة؛ 15 - قلندرنامه (بالفارسيّة)؛ 16 - صدّ ميدان، وهو كتاب بالفارسيّة في سلوك الطّريق الصّوفي [مقتطفات منه في كتاب بوريكاي المذكور، ص 172 - 197]، وكان بوريكاي قد نشره وقدّم له في Mélanges Islamologiques، بالمعهد الفرنسي للآثار الشّرقيّة، بالقاهرة، سنة 1954 م [ج 2، ص 1- 90]. ثمّ ترجمه إلى الفرنسيّة وقدّم له مع «علل المقامات»، و«منازل السّائرين»، وسمّاه Chemin de Dieu، ونشره بمطبعة سندباد، باريس، 1985م؛ 17 - كتاب الأربعين في دلائل التّوحيد، وهو مجموعة أحاديث [كتاب بوريكاي المذكور، ص 197- 203]؛ 18 - ديوان بالعربيّة والفارسيّة [مقتطفات في كتاب بوريكاي المذكور، ص302-309]؛ 19 - مختصر في آداب الصّوفيّة [مقتطفات في كتاب بوريكاي المذكور، ص309- 315]؛ 20 - مكاتيب، ينسبه ماسينيون إليه بالاعتماد على نور ششتري [Louis Massignon, La passion..., T. II, p.234]؛ 21 - درجات التّائبين؛ 22 - إلهي نامه، وهو دعاء ونصائح شبيهة بالمناجاة. نشره بوريكاي مع تقديم وترجمة إلى

الفرنسيّة، في مجلّة المعهد الفرنسي للآثار الشّرقيّة، بالقاهرة، سنة 1948 م [ج 47، ص 151-170].

وكان الأب بوريكاي أشار إلى نشر نصوص الهروي وترجمتها ودراستها في مقالة «Ansârîyât, in Mélanges Islamologiques» الصّادر سنة 1957 م، بالمعهد الفرنسي للآثار الشّرقيّة بالقاهرة.

المصادر والمراجع

● ابن رجب البغدادي، كتاب الذّيل على طبقات الحنابلة، ج 1، ص 64-85، نشرة لاووست ودهان، دمشق، 1951 م؛ ج 1، ص 51، نشرة القاهرة، 1372 هـ/ 1952م؛ ● جامي عبد الرحمن بن أحمد، نفحات الأنس، طهران، 1958م؛ ● السّبكي، طبقات الشّافعيّة، ج 3، ص 117، القاهرة، 1324 هـ؛ ● ابن تيميّة، منهاج السنّة النّبويّة، ج 3، ص23، 53، 91، المطبعة الأميريّة، بولاق، سنة 1321هـ؛ تح. محمد رشاد سالم، القاهرة، 1962 م؛ ● البغدادي، إسماعيل باشا، هديّة العارفين، المجلّد الأوّل، ص 452-453، إستانبول، 1951م؛ ● حاجي خليفة، كشف الظّنون عن أسامي الكتب والفنون، ج 2، ص1828، إستانبول، 1941 م؛ ● الزركلي، خير الدين، الأعلام، ط14، بيروت 1999، دار العلم للملايين، 4/ 122؛ ● محمود عبد القادر، الفلسفة الصّوفيّة في الإسلام، ص 100-135، دار الفكر العربي، القاهرة، 1966-1967 م؛ ● غلاب، محمد، التّنسّك الإسلامي، ص 165- 186، القاهرة، 1968 م؛ ● الأعسم، عبد الأمير، حول التّصوّف السّلفي، المورد، المجلّد 5، العدد 4، ص 81-90، شتاء 1976 م؛ ● ضياء أكرم، العلامة الأنصاري الهروي، المورد، المجلّد 6، عدد 1، ص 63-69، ربيع 1977 م.

● Hellmut Ritter, «Philologika VIII: Ansârî Herewi-Senâ'î Gaznawî», in Der Islam, 22, 1934; ● Carl Brockelmann, Geschichte der Arabischen Litteratur, I, Leiden, Brill, 1943, p. 433, S.I., (1937), p. 773; ● Vladimir Ivanow, «Tabaqât of Ansârî in the Old language of Herat», in Journal of the Royal Asiatic Society, January-July 1923; ● A. J. Arberry, «Jami's biography of Ansârî», in The Islamic Quaterly, London, July- December 1963, p. 57-82; ● Louis Massignon, La Passion de Husayn Ibn Mansûr Hallâj, Paris, 1975, T. II, p. 226-236; ● Serge de Laugier de Beaurecueil, Khwadja Abdullah Ansari Mystique hambalite, Beyrouth, 1965; ● Art. S. de Beaureceuil, «Al-Ansârî Al-Harawî», in Encyclopedie de l'Islam 2, Leyde, E. J. Brill-Paris , G. -P. Maisonneuve and Larose, S.A., 1975, T. I, p.531.

د. مقداد عرفة
جامعة تونس

الأنطاكي، داود بن عمر

(... هـ / ... م - 1008 هـ / 1600 م)

هو داود بن عمر الأنطاكي، ويلقّب بالضرير أو بالبصير لأنه كان أكمه. طبيب عربي ولد بأنطاكية وإليها ينتسب. ولا يعرف تاريخ ولادته. والمؤكد أنّه عاش في القرن العاشر الهجري الموافق للقرن السادس عشر الميلادي.

كان والده رئيس قرية سيدي حبيب النجار. واتّخذ فيها رباطا للواردين. بنى فيه حجرات للفقراء والمجاورين ورتّب لهم ما يعيشون به. بلغ داود السابعة من عمره وهو لا يقدر على النهوض لمرض عصبي، وفي هذه الآونة حفظ القرآن ودرس مقدّمات علوم العربية، وألمّ بالرباط ذات يوم رجل من أفاضل العجم اسمه «أحمد شريف» وجعل بعض المجاورين يقرأ عليه بعض العلوم الإلهيّة وداود حاضر، فلفت ذكاء داود وفطنته نظر محمد شريف، فسأله عن مرضه وفحصه، ثمّ صنع له دهنا عالجه به واحتفى والد داود بمحمد شريف الذي أقام عنده مدّة قرأ عليه داود خلالها علم المنطق والرياضيّات والطبيعيات، وقال داود إنّ هذا الرجل علّمه اللّغة اليونانيّة ثمّ سافر. وتقول دائرة المعارف الإسلاميّة: «إنّ داود سافر إلى آسيا الصغرى وفيها تعلّم اللسان اليوناني ليستطيع أن يقرأ مصادر العلم الذي عني به في لغتها الأصليّة. وبعد وفاة أبيه، غادر بلاده قاصدا دمشق حيث اجتمع ببعض علمائها كشيخ الإسلام أبي الفتح محمد المغربي، والعالم الإمام البدر الغزي العامري، والشيخ علاء الدين العمادي. ثمّ قصد مصر ودخل القاهرة، فكانت له منعرجا حاسما في حياته العلمية حتى إنه قال: «ثمّ لم ألبث أن هبطت مصر هبوط آدم إلى الجنّة» [أحمد، عيسى، ص 189]. واستقرّ هناك مدّة طويلة حيث اشتهر بالطب والصيدلة، وأصبح يدعى «بالحكيم الماهر الفريد، والطبيب الحاذق الوحيد؛ جالينوس أوانه، وأبقراط زمانه؛ العالم الكامل، والهمام الأفضل؛ الشيخ داود الأنطاكي» [مقدّمة كتاب التذكرة]. وقد حدثنا درويش محمد بن أحمد الطالوي الأرتقي الدمشقي (ت 1014 هـ)، في كتابه «سانحات دمى القصر في مطارحات بني العصر» عن لقائه داود بالديار المصرية، وأنّه أجازه بالكتب التي يذكرها خاصّة، وقد دلّنا هذا الخبر على الاهتمامات الخاصة لداود، وعلى الكتب التي تكوّن معرفته العلمية، وهذه الكتب هي: «رسائل إخوان الصفاء وخلاّن الوفاء» المنسوبة لأبي القاسم مسلمة بن أحمد المجريطي (ت 398 هـ)، رتبة الحكيم للمجريطي كذلك، غاية الحكيم للمجريطي أيضا، كتاب الشفاء للشيخ الرئيس أبي علي بن سينا، كتاب القانون في الطب لابن سينا، كتاب النجاة له أيضا، كتاب الحكمة المشرقيّة له أيضا، كتاب التعليقات له أيضا، الرسالة النذيرية له أيضا، كتاب الإشارات والتنبيهات لابن سينا مع شرحه

لنصير الدين الطوسي وشرحه الآخر للإمام فخر الدين الرازي (ت 606 هـ)، والمحاكمات بين الشرحين لقطب الملّة الرازي (ت 710 هـ)، كتاب الهياكل النورانيّة للسهروردي أيضا (طبع باسم هياكل النور)؛ بالإضافة إلى بعض الكتب الأدبيّة كآمالي المرتضى، وديوان ابن هانيء الأندلسي، وديوان سقط الزّند لأبي العلاء المعرّي مع شروحه.

وقضى داود معظم حياته في القاهرة، وقد ثارت به فتن، واتّهم في عقيدته بسبب فصل جاء في تذكرته عقده لدعوة الكواكب، ممّا فتح عليه باب الوقيعة، كما اتّهم بإفراطه في التشيّع؛ واستدعاه الشريف حسن شريف مكة واجتمع به. وتوفّي داود في مكّة بعد أن أقام بها سنة واحدة. وقيل إنّه مات بالإسهال، وقيل إنّه مات مسموما...

وكان داود قويّ البديهة، مستحضرا لمستلزمات علمه وقضاياه، ذكر الطالوي أنّه كان عنده في الظاهريّة بالقاهرة فسأله رجل عن حقيقة الإنسانيّة فأملى عليه رسالة تامّة؛ وكانت ثقافة داود في الطبّ امتدادا للمعلومات العربية واليونانية القديمة. وهذا أمر طبيعي جدّا في زمان كان فيه قانون ابن سينا لا يزال يدرّس في الجامعات الأوروبيّة، لذلك فإنّه كغيره بنى آراءه على أساس أنّ الوجود مكوّن من العناصر (الأسطقسات) الأربعة: النار فالهواء فالماء فالتراب. وهذه تقابلها بالترتيب: الحرارة والرطوبة والبرودة واليبوسة.وعلى مدى توازن هذه الأمور لدى الإنسان يكون اعتدال مزاجه ومقدار صحته، ومهمّة الطبيب في جسم المريض أن يعيد التوازن إلى تلك المفردات عند اختلالها أو طغيان أحدها.

■ آثاره

١ ـ تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب المشهورة بتذكرة داود طبعت مرات عديدة منها: القاهرة 1308هـ/ 1890م-1309هـ/ 1890م، والقاهرة 1356هـ/ 1935م... وهي أشهر مؤلّفاته وأكثرها تداولا انتهى من تأليفها سنة 976 هـ/ 1569 م. وهو يعتبر من أشهر الكتب في المادة الطبّية (pharmacognosic) في ذلك العهد، إذ احتوى على أكثر من 1700 أحاديّة (Monographies) للعقاقير المعروفة، سواء كانت من أصل نباتي أو معدني أو حيواني. وبمقارنة كتاب التذكرة بكتاب القانون في الطب لابن سينا الذي وصف نحو 800 دواء مفرد وكتاب الجامع للأدوية المفردة لابن البيطار الذي لم يتجاوز وصف 1400 عقّار، فإنّ كتاب التذكرة احتوى على عدد وافر من الأدوية التي لم تذكر من قبل. ويتألّف هذا الكتاب من مقدّمة وأربعة أبواب وخاتمة؛ في المقدّمة تحدث عن أهمية علم الطب بالنسبة إلى «العلوم المذكورة في الكتاب، وحال الطب معها، ومكانته، وما ينبغي له ولمتعاطيه وما يتعلّق بذلك من الفوائد»؛ ويضيف: «ليس لنا علم يستغني عن الطب أصلا، لأن اكتساب العلوم لا يتمّ إلاّ بسلامة البدن والحواس والعقل والنفس المدركة... من هنا ظهر أن الطب أشرف العلوم لأن موضوعه البدن، الذي هو أشرف الموجودات...». ثمّ يقول: «العلم علمان: علم الأبدان وعلم الأديان. وعلم الأبدان مقدّم على علم

الأديان... فينبغي لهذه الصناعة (الطب) الإجلال والتعظيم والخضوع لمتعاطيها، لينصح في بذلها وكشف دقائقها...»؛ ثمّ يتحدّث عن الصفات الحميدة والأخلاق التي يجب أن يتحلّى بها الطبيب، فيقول: «يجب اختيار الطّبيب حسن الهيئة، كامل الخلقة، صحيح البنية، نظيف الثياب، طيّب الرائحة، يسرّ من نظر إليه، وتقبل النفس على تناول الدواء على يديه، وأن يتقن بقلبه العلوم التي تتوقّف الإصابة في العلاج عليها، وأن يكون متينا في دينه، متمسّكا بشريعته... واقفا عند حدود اللّه تعالى ورسوله ﷺ، نسبته إلى الناس بالسواء، خليّ القلب من الهوى، لا يقبل الارتشاء ولا يفعل حيث يشاء... قال جالينوس: فمن اتّصف بهذه الأوصاف، فقد صلح لهذا العلم، إذ هو صناعة الملوك وأهل العفاف»؛ وفيما يتعلّق بالمنهج الذي رسمه لدراسة الأدوية المفردة، فقد اعتمد على أسلوب الآحاديّات. وقد جاء بالمقدّمة قوله: «اعلم أنّ كلّ واحد من هذه المفردات يفتقر إلى قوانين عشرة؛ الأوّل: ذكر أسمائه بالألسن المختلفة، ليتمّ نفعه (وهي الأسماء العربيّة والفارسية واليونانيّة وغيرها...)؛ الثاني: ذكر ماهيته من لون ورائحة وطعم وتلزّج وخشونة وملاسة وطول وقصر؛ الثالث: ذكر جيّده ورديئه ليؤخذ أو يجتنب (كما يذكر هنا الغشّ وطريقة الكشف عنه)؛ الرابع: ذكر درجته في الكيفيّات الأربع ليتبيّن الدخول به في التراكيب؛ الخامس: ذكر منافعه في سائر أعضاء البدن؛ السادس: كيفيّة التصرّف به مفردا أو مع غيره، مغسولا أو لا، مسحوقا في الغاية أو لا، إلى غير ذلك؛ السابع: ذكر مضارّه؛ الثامن: ذكر مايصلحه؛ التاسع: ذكر المقدار المأخوذ منه (زنقر)، مفردا أو مركّبا، مطبوخا أو منشفا، بحرمه أو عصارته، أوراقا أو أصولا، إلى غير ذلك من أجزاء النباتات التسعة؛ العاشر: ذكر ما يقوم مقامه إذا فقد...»؛ ويذكّر هنا داود بقول «الفاضل أبقراط»: «وعالجوا كلّ مريض بعقاقير أرضه، فإنّه أجلب لصحّته...»؛ ويضيف فيما يتعلّق بالنبات أمرين آخرين: «الأوّل الزمان الذي يقطع فيه الدواء ويدّخر.. والثاني من أين يجلب الدواء» [التذكرة، ص19، ط. القاهرة 1935]؛ وأمّا الجزء الأوّل من التذكرة فيتركّب، بعد المقدّمة، من الأبواب الثلاثة الأولى وهي: الباب الأوّل: «في كليات علم الطب والمدخل إليه»؛ الباب الثاني: «في قوانين الأفراد والتركيب وأعماله العامّة وما ينبغي أن يكون عليه من الخدمة في نحو السحق والقلي والجمع والأفراد»... وبصفة عامّة «قوانين التركيب وما يجب فيه من الشروط والأحكام»؛ الباب الثالث: «في المفردات والمركّبات وما يتعلّق بها من اسم وماهية ومرتبة ونفع وضرر وقدر وبدل وإصلاح، مرتّبا على حروف المعجم»؛ ويحتوي الجزء الثاني على الباب الرابع. وعنه قال الأنطاكي: إنّه «في الأمراض وما يخصّها من العلاج وبسط العلوم المذكورة وهي العلوم المرتبطة بالطبّ وما يخصّ العلم من النفع وما يناسبه من الأمزجة وما له من المدخل في العلاج». وهذا الباب رتّبه المؤلّف حسب الحروف الأبجديّة، لا حروف المعجم؛ وقد تعرّض داود في هذا الباب الرابع كذلك إلى مواضيع مختلفة، نذكر منها علم الفلك والبيطرة وصفات البيطار... الخ؛ ويحتوي الجزء الثالث، وهو «تذييل لبعض

تلاميذ صاحب التذكرة» حسب ما ورد في العنوان، ومرتب أيضا على الحروف الأبجدية، على مواضيع مختلفة، منها فصل خاصّ بـ«المعالجة بالدواء الواحد خير من المعالجة بالمركّب»؛ وهي نظريّة تعتبر عصريّة في وقتنا هذا. كما نذكر: «باب فيه نكت، وخاتمة في نكت وغرائب ولطائف»؛ ويوجد من هذا الذيل مخطوطة في مكتبة المتحف العراقي تحت رقم 21597؛ والحاصل، أن كتاب «التذكرة» يمثّل كتابا وافيا في ميدان الطبّ، شاملا للمادة الطبّية في القرن السادس عشر الميلادي. وهو من أشهر الكتب في ذلك العصر؛ وقد اشتملت «التذكرة» على أدوية مفردة جديدة لم تذكر من قبل، كبنّ القهوة المذكور للمرّة الأولى في مفردات الأدوية، كما لاحظ ذلك لوكلارك. وقد لفت لوكلارك النظر أيضا إلى معالجة داود المرض المسمّى بحبّ الافرنج، وهو مرض الزهري «السيفيليس»، بالزئبق وأملاحه [ج. 2، ص 304]، يقول داود: «وقد صحّ الآن منه (أي الزئبق) أنّه إذا مزج بالكندر والرّاتينج والشمع والزيت، ودهن به النار الفارسي والحبّ المعروف بالإفرنجي والقروح والأواكل.. برىء...» [ج. 1، ص 169]؛ وما زال يعالج هذ المرض بأملاح الزئبق إلى سنوات غير بعيدة من عهدنا هذا؛ 2 ـ النزهة المبهجة في تشحيذ الأذهان وتعديل الأمزجة، منشور بحاشية كتاب «التذكرة» في طبعة القاهرة؛ 3 ـ تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق، ط. مطبعة بولاق 1281 هـ/ 1864 م، و1291 هـ/ 1874 م. ونجد في «دائرة المعارف الإسلاميّة» [مج. 1، ص 531] أن هذا التأليف هو مختصر كتاب «مصارع العشاق» لمحمد السرّاج (ت سنة 500 هـ/ 1106 م). وهو شبه دراسة بسيكولوجيّة على شكل طوق الحمامة لابن حزم الأندلسي، علما بأن موضوع العشق كان يعتبر مادّة تابعة لعلم الطبّ؛ 4 ـ رسالة في الفصد والحجامة، موجودة في مكتبة المتحف العراقي، تحت رقم 6-326؛ 5 - نزهة الإنسان في إصلاح الأبدان، منه نسخة في مكتبة المتحف العراقي تحت رقم 3-21596؛ 6 ـ تحفة البكريّة، نسبة إلى البكري. وهي رسالة في الحمّام ومنافعه. حسب لوكلارك منه نسخة في باريس تحت رقم 1040؛ 7 ـ كتاب حجر الفلاسفة؛ 8 ـ رسالة في الطير والعقاب؛ 9 ـ كتاب أنموذج في علم الفلك، وهو يتعلّق باستعمال التنجيم في علم الطبّ؛ 10 ـ الأحكام النجومية؛ ويضيف إسماعيل البغدادي إلى هذه القائمة المؤلّفات التالية: 11 ـ استقصاء الملل ومشافي الأمراض والعلل، في الطبّ؛ 12 ـ ألفيّة في الطبّ؛ 13 ـ بهجة الناظر؛ 14 ـ رسالة في علم الهيئة؛ 15 ـ شرح القانون في الطب لابن سينا؛ وذكر له أحمد عيسى في «معجم الأطبّاء» تآليف أخرى، وهي: 16 ـ كتاب غاية المرام في تفاصيل السعادة بعد انحلال النظام؛ 17 ـ طبقات الحكماء؛ 18 ـ غاية المرام في تحرير المنطق والكلام؛ 19 ـ زينة الطروس في أحكام العقول والنفوس؛ 20 ـ شرح قصيدة النفس العينية للشيخ الرئيس ابن سينا.

المصادر والمراجع

● الأنطاكي، داود، تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب، القاهرة، 1356 هـ/ 1935 م، مكتبة ومطبعة محمد

علي صبيح وأولاده؛ ● ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، (8 أجزاء)، دار الآفاق الجديدة بيروت؛ ● البغدادي، إسماعيل باشا، هديّة العارفين، ج. 5، بيروت 1402 هـ/ 1982 م، دار الفكر؛ ● خير الدين، الزركلي، الأعلام، بيروت 1986، ط. دار العلم للملايين؛ ● أحمد عيسى، معجم الأطبّاء، بيروت 1402 هـ/ 1982م، دار الرائد العربي؛ ● الدّفاع، علي عبد اللّه، إسهام علماء العرب والمسلمين في الصيدلة، بيروت 1407 هـ/ 1987 م، مؤسسة الرسالة، ص 420-431؛ ● النقشبندي، أسامة الناصر، مخطوطات الطبّ والصيدلة والبيطرة في مكتبة المتحف العراقي، بغداد 1981، دار الرشيد للنشر، (رقم التذكرة، 27233)؛ ● الراضي الجازي، الصيدلة عند العرب، نظرة حول العصور الذهبية، مجلة «الصيدلي التونسي»، العدد 4 ماي 1982، ص39؛ ● منصور، عبد الحفيظ، فهرس مخطوطات الطب والصيدلة والبيطرة والبيزرة في دار الكتب الوطنية بتونس، (في جزأين)، القاهرة 1421 هـ/ 2000 م، معهد المخطوطات العربيّة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ص141-145 .

- Lucien Leclerc: Histoire de la Médecine Arabe, Editeur: Ernest Leroux. Paris 1876, T. 2 p. 303-307.

أعيد طبع هذا الكتاب في الرباط 1980، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة للمملكة المغربية.

- Brockelmann: G.A.L, II/364, Suppl. II/491-492; ● Encyclopédie de l'Islam, E. J. Brill-Leyden, ed. G.P. Maisonneuve et Larose, Paris 1975, vol. I, p.531.

د. الراضي الجازي
صيدلي - تونس

د. عبد الإله نبهان
جامعة اليرموك

الأنطاكي، علي بن أحمد المجتبي

(.... هـ / .... م - 376 هـ / 987 م)

هو علي بن أحمد الأنطاكي المعروف بالمجتبي ويكنّى أبا القاسم. ولد بأنطاكية شمال سوريا، وأقام ببغداد إلى أن توفي بها. اشتهر في حقل الرياضيات خلال القرن 4 هـ/ 10 م. ويذكر أنه اشتغل أيضا بالأدب، وكان من مشاهير علماء الرياضيات في عصره فسعى إلى مجالسته والاستماع إليه طلبة العلم والمعرفة. وكان الأنطاكي من المقدّمين لدى عضد الدولة بن بويه.

كما اشتهر الأنطاكي بفصاحة لسانه، وعذوبة بيانه، وحضور بديهته، مما جعل الزعماء والحكماء يجلّونه ويدعونه إلى مجالسهم الخاصة. قال عنه القفطي: «إذا سئل أبان وأتى بالمعاني الحسان... وكان مشاركا في علوم الأوائل مشاركة جميلة» [إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص 157]. ولم تحدد كتب التاريخ عام ميلاده بل أشار بعضها إلى عام وفاته، فهذا ابن النديم يشير في الفهرست إلى أن الأنطاكي توفي سنة 376 هـ. أما مؤرخ العلوم المعاصر رشدي راشد فذكر أنه توفي عام 987 م [موسوعة تاريخ العلوم العربية، ج. 2، ص 532]. كما أن القفطي يقول في إخبار العلماء: «وذكر هلال بن المحسن بن إبراهيم الصابئ في كتابه في سنة 376 في يوم الجمعة الثالث عشر من ذي الحجة توفي أبو القاسم علي بن أحمد الأنطاكي الحاسب المهندس»، وأشار سزكين إلى أن للأنطاكي مؤلفا مختصرا في ثماني ورقات عن الأسطرلاب المسرطن، محفوظا بمدينة مشهد الإيرانية، وأنه توفي عام 376 هـ/ 987م [الجزء الخامس الخاص بالرياضيات، والجزء السادس الخاص بالفلك من تاريخه].

ولم يهمل قدري حافظ طوقان الإشارة إلى الأنطاكي [تراث العرب العلمي، ص 255] فنقل عنه من أتى بعده. كما ذكره في بضعة سطور كل من عمر رضا كحالة في معجم المؤلفين [الجزء السابع، ص 24]، وخير الدين الزركلي في كتاب الأعلام [الجزء الرابع، ص 252]. أما محمد عيسى صالحية فلم يذكر في «المعجم الشامل للتراث العربي المطبوع» عملا مطبوعا للأنطاكي. ومن ثمّ يبدو أن كتب الأنطاكي الكثيرة لم تحظ بالتحقيق والطبع بعد.

ومن المعلوم أنّ هناك من العلماء العرب والمسلمين من قسّم الحساب العملي إلى فئتين هما: الحساب الغباري والحساب الهوائي. فأما الحساب الغباري فهو الحساب الذي يحتاج فيه الحاسب إلى أدوات، وأما الحساب الهوائي فهو يتم بدون استخدام أية أداة. وقد اهتم علماء الحضارة العربية الإسلامية بالحساب الهوائي اهتماما كبيرا نظرا إلى السرعة التي يتيحها في حل مسائل الحساب العملي المتداول في الحياة العامة.

ومن بين العلماء الذين انشغلوا بالحساب العملي نجد الأنطاكي الذي اهتم كثيرًا بالحساب الهوائي فألف كتبا فيه، منها «كتاب الحساب بلا تخت بل باليد». كما وضع كتاب «الحساب على التخت بلا محو»، و«كتاب الموازين العددية» الذي يفيد في الحساب العملي لأنه يساعدنا على التأكد من صحة العمليات الحسابية.

وقد أشاد المؤرخ رشدي راشد عدة مرات بالأنطاكي في موسوعته عندما تناول موضوع نظرية الأعداد التي أسهم فيها ثابت بن قرة ببحث حول الأعداد المتحابة (يكون عددان طبيعيان متحابين إذا كان مجموع قواسم كل منهما يساوي العدد الآخر مثل 220 و284)، لكن ذلك لم يعرف إلا خلال القرن التاسع عشر من خلال أعمال فوبكه Woepcke. يقول رشدي راشد في هذا الموضوع: «لم يأخذ (هذا الحدث) معناه الحقيقي إلا منذ فترة وجيزة عندما أثبتنا وجود تقليد بأكمله بدأه ثابت بن قرة بأسلوب أقليدسي خاص

ليصل بعد بضعة قرون إلى الفارسي (ت1319م) بفضل تطبيق الجبر على دراسة أولى الدالات الحسابية الأولية. ومن أعلام هذا التقليد عدة أسماء، منها على سبيل المثال لا الحصر: الكرابيسي (ق 9 م)، والأنطاكي، والقبيصي (ق 11 م)، وأبو الوفاء البوزجاني(ق 10 م)، والبغدادي (ت 429/ 1038)، وابن الهيثم، وابن هود (ق11 م)، والكرجي أو الكرخي (ق11م)...» [رشدي راشد، م. س، ص 531].

وعندما تناول رشدي راشد مبرهنة ابن قرة في الأعداد المتحابّة لاحظ أن تاريخ نظرية الأعداد حول الأعداد المتحابة اكتفى بذكر هذه المبرهنة واقتصر علماء الرياضيات على نقلها وعلى حساب بعض ثنائيات الأعداد المتحابة، موضّحا أن «من لائحة طويلة لعلماء رياضيين باللغة العربية نستطيع الاحتفاظ بأسماء الأنطاكي (ت 987 م) والبغدادي، وابن هود، والكرجي، وابن البناء (721 هـ/ 1321 م)، وإبراهيم بن يوسف الأموي الأندلسي (895 هـ/ 1497 م)...» [م. س، ص 532].

■ آثاره

1 - كتاب التخت الكبير في الحساب الهندي؛ 2 - كتاب الحساب على التخت بلا محو؛ 3 - كتاب تفسير الارتماطيقي؛ 4 - كتاب شرح أقليدس؛ 5 - كتاب في المكعبات؛ 6 - كتاب استخراج التراجم؛ 7 - كتاب الموازين العددية؛ 8 - كتاب الحساب بلا تخت بل اليد [ابن النديم، والقفطي].

■ المصادر والمراجع

● القفطي، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ط. القاهرة 1326 هـ؛ ● رشدي راشد، موسوعة تاريخ العلوم العربية، ج 2، مركز دراسات الوحدة العربية مؤسسة عبد الحميد شومان، 1997؛ ● قدري حافظ طوقان، تراث العرب العلمي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ودار الشروق، بيروت، (د. ت)، صدرت الطبعة الأولى عام 1941:

- Sezgin, F. : Geschichte des Arabischen Schrifttums, Leiden, Ed J. Brill, 1967-1982.
- Woepcke, F: Notice sur une théorie ajoutée par Thabit ben Korrah à l'arithmétique spéculative des Grecs, Journal asiatique, Série 4, T.20, Octobre-decembre 1852, pp. 420-429; ● Youschkevitc A. P.: les mathématique arabes (VIII-XV siècles), Trad. Cazenaze M. & Jaouiche K., Vrin, Paris, 1976.

د. أبو بكر خالد سعد الله
المدرسة العليا للأساتذة ـ الجزائر

الأنطاكي، يحيى بن سعيد بن يحيى

(... هـ/... م - 458 هـ/ 1067 م)

هو يحيى بن سعيد بن يحيى الأنطاكيّ، بطريرك الإسكندرية. لا نعرف تاريخ مولده بالتحديد، ونرجّح أنه كان موجوداً في الربع الأخير من القرن 4 هـ/ 10 م. ومعلوماتنا ضئيلة جداً عن سيرته، وجُلّ ما نعرفه عنه أنّه ألّف كتاباً مهمّاً يُعتبر من أهمّ المصادر التاريخية الأساسية في التراث العربي التي تؤرّخ لحقبةٍ من تاريخ الإنسانية، في العالم الإسلاميّ، بجناحيه: المشرقيّ والمغربيّ على حدّ سواء، وفي تاريخ الإمبراطورية البيزنطية وعلاقاتها بالعالم الإسلاميّ من جهة، وببلاد البُلغار، والروس، والكُرْج، والأرمن، من جهة أخرى. ويتناول التاريخ مفصّلاً في القرنين: الرابع والخامس الهجريّين/ العاشر والحادي عشر الميلاديّين، وبالتحديد بدءاً من سنة 326 هـ/ 938 م. وانتهاءً بسنة 425 هـ/ 1035م. وهي حقبة عاصرها وعايش أحداثها.

وضع «الأنطاكي» كتابه بناءً على رغبة بعض أصحابه - كما يذكر في مقدّمته - فانتهج النهج الذي سار عليه سَلَفه «سعيد بن البطريق» بطريرك الإسكندرية، وذكر أيام الملوك والخلفاء والوزراء والكُتّاب والأمراء والقادة، وتواريخ وفياتهم، كما ذكر أسماء بطاركة الإسكندرية وبيت المقدس وأنطاكية والقسطنطينية، وأعمارهم. وبعد تأليفه للكتاب قام بتغييره وألّفه من جديد، ثم انتقل من الإسكندرية إلى أنطاكية سنة 405 هـ/ 1016م. فوقف فيها على مصادر جديدة لأخبار ندّت عنه من قبل، فقام بتنقيح كتابه وأجرى عليه تعديلاً كبيراً، فحذف بعضه، وزاد عليه جديداً، حتى قرّ رأيه على ما صنّفه، ونبّه إلى نسخته الأخيرة المزيدة والمعدّلة، وأشار إلى عدم الأخذ بالنُسخ الأخرى السابقة، واستهلّ كتابه بوصل ما انقطع من كتاب سَلَفه «ابن البطريق» (ت 328 هـ/ 939 م)، فبدأ بالفصل الأخير من كتابه المعروف بـ «تاريخ أوتيخا» معتمداً على آخر نُسَخه أيضاً، والتي وصل فيها إلى خلافة «الراضي» العباسيّ، سنة 326 هـ/ 938 م. وكتاب «الأنطاكيّ» - بحقّ - مصدر أساس لكل من يدرس تاريخ الحقبة المعروفة بالعصر الوسيط، لِغِنى المادّة التاريخية التي يحتوي عليها، من جهة، ولاتّساع المساحة الجغرافية التي يغطّي أحداثها، فهو لا غناء عنه في دراسة تاريخ الدولة الفاطمية، وأخبار الدولة العباسية، وأخبار الحمدانيين، والصراع بين المسلمين والبيزنطيين، وأخبار الصراع بين الأتراك السلاجقة، وبني بُويه الدّيالمة، والعلاقات بين المسلمين والنصارى واليهود، وظهور دعوة الموحّدين الدروز، وعلاقات المذاهب الإسلامية ببعضها، وكذلك علاقات طوائف النصارى من ملكية ويعقوبية ونساطرة، ببعضهم أيضاً. والعلاقات بين القبائل المشرقية والقبائل المغربية، والعرب،

والبربر، والروم والروس والكُرْج والبُلْغار والأرمن وغيرهم، وحركات القرامطة، وأمراء القبائل والأعراب، وغزوات الأباطرة والقادة البيزنطيين إلى بلاد الشام، وحركات الثائرين والخارجين على الخلافة في المشرق والمغرب الإسلاميّ، وأخبار الدولة الإخشيدية وسقوطها، وأخبار النكبات الطبيعية من زلازل وسيول ورعود وبرق ووباء وغلاء، والمعلومات الكثيرة عن عادات وتقاليد النصارى في الاحتفالات بأعيادهم ومناسباتهم الدينية، وأخبار ملوك الروم ونزاعاتهم مع قادتهم أو أولياء عهدهم، وحروبهم مع جيرانهم، في الشمال والشرق والجنوب، والمؤامرات والدسائس التي كانت تُحاك في العالم الإسلامي وعالم الروم وبلاد الغرب على السواء ضدّ الخلفاء والملوك والأباطرة، وغير ذلك من الكمّ الهائل الذي حشده المؤرّخ بكلّ دقّة، وطول باع، مع التحليل والتعليق في مواضع عدّة، ما ينمّ عن حصافةٍ في الرأي وحُسْن تفهُّم للحقائق، وإحاطة شاملة بأحداث العصر ومجرياته. فضلاً عن وقوفه بشكل مباشر على عدّة سجلاّت رسمية ومراسلاتٍ ملكية قام بإثبات نصوصها في مواضعها من الكتاب، مما يجعله مصدراً وثائقياً أيضاً.

أمّا المساحة الجغرافية التي يغطيها كتاب الأنطاكيّ، فتمتدّ من بلاد المغرب الأقصى حتى بلاد الروس وبلاد الخَزَر والبُلْغار، لتشمل بلاد المغرب وإفريقية وبَرْقة ومصر وبلاد النوبة وبلاد الشام والحجاز والعراق وآسية الصغرى وأرمينية الكبرى وبلاد الكُرْج والبُلْغار والروس والروم، وجُزر البحر المتوسط، صقلّية، وأقريطش، وقبرس.

أمّا طريقة «الأنطاكي» في عرض الأحداث، فقد جهد في أن تكون أخباره متسلسة متتابعة زمنيّاً، ولكنّ هذه الطريقة كانت تفرض عليه أن يقطع السرد المتتابع لينتقل من أخبار دولةٍ إلى أخرى، ومن ولايةٍ إلى إمارة أخرى، ومن كُرسيّ البطريركية إلى أخبار نكبات الطبيعة. وبهذا يحشد في السنة الواحدة أحداثاً جرت في عدّة أماكن من عالم ذلك العصر، فينتقل من أقصى العراق، ومن بلاد البُلغار في أوربة إلى بلاد النوبة في إفريقية، وهذا يصبّ في اتجاه التاريخ الحولي والتاريخ العالميّ، فهو لا يُفرد أخبار كل دولة أو كل عهدٍ لخليفةٍ أو سلطان أو إمبراطور، على حِدة، أي أنه لا يسير في تاريخه بشكل عموديّ، بل يتناول التاريخ بمساقه الأفقيّ، بحيث يرصد أحداث كل سنةٍ، هنا وهناك وهنالك، على امتداد الرقعة الجغرافية الواسعة. ولكنّه يشذّ عن هذه القاعدة حين يضع تاريخاً - عمودياً - للدولة الفاطمية، فهو يؤرّخ لهذه الدولة منذ بداية الدعوة الفاطمية حتى إعلان الخلافة في المغرب، أي من سنة 270 هـ حتى وفاة الخليفة «المهديّ» سنة 322هـ. دون انقطاع.

وأسلوب «الأنطاكيّ» في العرض، هو الأسلوب الذي اتّبعه «ابن الأثير» (ت 630هـ) في «الكامل في التاريخ». وعلى الأرجح، فإنّ تاريخ الأنطاكيّ هذا كان من بين مصادر «ابن الأثير»، أمّا «ابن العديم الحلبي» فهو ينقل عنه في كتابه «زُبدة الحلب من تاريخ حلب» بشكل مؤكّد. ونجد أصداءً لمادّة «الأنطاكيّ» عند المؤرّخين المعاصرين له واللاحقين لعصره، بحيث تتفّق بعض الأخبار عنده وعندهم، وذلك في كتابي الكِنْدي: «الولاة والقُضاة» و«ولاة مصر»، وفي كتاب «العيون

والحدائق في إخبار الحقائق» لمؤرخ مجهول، وكتاب «تكملة تاريخ الطبري» للهمذاني، وكتاب «تجارب الأمم وتعاقب الهمم» لمسكويه، وكتاب «ذيل تجارب الأمم» للروذراوريّ، وكتاب «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي، وكتاب «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» لابن الجوزي، وكتاب «تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام» للذهبي، وكتاب «إتعاظ الحُنفا بأخبار الأئمّة الفاطميّين الخُلفا»، وكتاب «المواعظ والاعتبار» المعروف بالخطط، وهما للمقريزيّ، وكتاب «الدرّة المضية في أخبار الدولة الفاطمية» لابن أيبك الدواداري، وكتاب «المُغرب في حُلى المغرب» لمؤرّخ مجهول، وكتاب «البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب» لابن عِذاري، وكتاب «المبتدأ والخبر» المعروف بـ«تاريخ ابن خلدون»، وكتاب «عيون الأخبار وفنون الآثار» للداعي المطلق، وكتاب «مآثر الإنافة في معالم الخلافة» للقلقشندي، وكتاب «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة» لابن تغري بردي، وكتاب «تاريخ الأزمنة» للدُويهيّ. وكان يمكن لمحقّق كتاب «الدُويهيّ» أن يرمّم النقص الواقع في النسخة التي حقّقها ونشرها لو اعتمد على «تاريخ الأنطاكي» حيث ينقل عنه.

وتتميّز لغة «الأنطاكيّ» بأنها تتوسّط بين الجيّدة والركيكة، وإن كان معظم كتابه أقرب إلى الفُصحى، رغم الأغلاط النحوية واللُغوية. ويعترف «الأنطاكي» بعدم معرفته لليونانية، فهو اطّلع على نصّ الكتاب الذي أرسله «الأبجر» ملك الرُها إلى السيد المسيح عليه السلام، وردّه عليه، وقال: إنّ الملك رومانوس عُني بترجمة الرسالتين من السريانية إلى اليونانية، وترجمهما لنا إلى العربيّ الناقلُ الذي تولّى نقلَهُما إلى اليونانية على هيئتهما ونصّهما.

ويتوقّف الكتاب فجأةً عند حوادث سنة 425 هـ/ 1034 م. مع أنّ المؤلّف وعد في أواخره أن يذكر بنود معاهدة الصلح بين الخليفة الفاطميّ «الظاهر»، والإمبراطور البيزنطيّ «ميخائيل» التي تمّت سنة 427 هـ/ 1036 م.

بقي الإشارة إلى أنّ أخبار «الحاكم بأمر الله» (قُتل 411 هـ/ 1021 م). استغرقت نحو ثلث «تاريخ الأنطاكي»، ولم يكتف المؤلّف بسرد الأخبار والوقائع التي جرت في أيامه، بل نراه يقوم بوضع دراسةٍ تحليلية لشخصية «الحاكم» وأسلوبه في الحكم وتصرّفاته المتقلّبة، أكّد فيها على الخلل العقليّ الذي كان يعتريه، والمزاجيّة المسيطرة على أحكامه، وهو موضوع خطير، كان ولا يزال مطروحاً للمناقشة حتى الآن.

آثاره

تاريخ الأنطاكي المعروف بـ «صلة تاريخ أوتيخا».

المصادر والمراجع

- الزركلي، الأعلام، 9/ 181؛
- كحالة، معجم المؤلفين، 13/ 200؛
- تاريخ الأنطاكي، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار جرّوس برس، طرابلس - لبنان 1995.

د. عمر عبد السلام تدمري
الجامعة اللبنانية ـ طرابلس ـ لبنان

أنطون، فــرح

(1291 هـ / 1874 م – 1340 هـ / 1922 م)

ولد فرح أنطون في مدينة طرابلس ـ لبنان العام 1874 م/ 1230 هـ. حصّل علومه الابتدائيّة والثانويّة في مدرسة «دير بكفتين» في قضاء الكورة. وبعد تخرُّجه فيها، عمل مع والده في تجارة الأخشاب مدّة قصيرة. ثمّ تولّى إدارة مدرسة أهليّة في طرابلس، وأسّس جمعيّة أدبيّة، وراسل بعض المجلاّت والصحف في مصر.

سافر إلى الاسكندرية العام 1897 م، وكتب في عدد من صحفها بأسماء مستعارة. وأنشأ في مصر مجلّة «الجامعة العثمانيّة» العام 1899م، ثمّ دعاها «الجامعة»، وكان يؤلّف ويكتب المقالات.

وبقيت الجامعة المنبر الرئيس لنشر أفكاره ومبادئه، ولم يخلُ عدد منها من مقال علميّ مترجَم عن مؤلّفات بعض العلماء أو عن مجلّة علميّة أجنبيّة.

أنشأ لشقيقته روز مجلّة «السيّدات» وكان يعاونها في تحريرها.

وما أن انتهت السنة الرابعة لمجلّة الجامعة، حتّى توقّفت عن الصدور مدّة سنة. ثمّ سافر إلى نيويورك العام 1906م وأصدر مع شقيقته وصهره بدل «الجامعة» الواحدة ثلاثاً: واحدة شهريّة، وثانية أسبوعيّة، وثالثة يوميّة، ظلّت تصدر مدّة سنتين إلى أن توقّفت لأسباب ماليّة.

تبنّى في أميركا فكرة اشتغال المغتربين اللبنانيّين والسوريّين في الزراعة وحثّهم على ذلك، واستكتبهم عرائض تطالب الحكومة الأميركيّة بمنحهم الأراضي بشروط سهلة. وطاف في البلاد الأميركيّة كلّها يدعو المغتربين إلى احتراف الزراعة.

عاد إلى مصر وتابع نشر مجلّة «الجامعة» ابتداءً من العام 1909 م، ثمّ احتجبت نهائياً العام 1910 م، فتحوّل نشاطه إلى المجال السياسيّ، وأخذ ينشر في الصحف المصريّة مقالات تدعو إلى حرّيّة الأمم والشعوب، وتندّد بالحكم الطاغي وبالمستعمر، وخدم القضية المصريّة.

وبالإضافة إلى النشاط الصحافيّ، كتب في هذه المرحلة أيضاً مسرحيّات يبثّ فيها الروح الوطنيّة، فأوقفت الرقابة تمثيلها أو عدّلت فيها. ولم يتوقّف عن الكتابة حتّى وفاته في الثالث من تموز العام 1922 م/ 1340 هـ.

حمل فرح أنطون في قصصه رسالته الجريئة في الاصلاح الاجتماعيّ، وأكسب كتاباته نزعة فلسفيّة لم تستطع أن تحدّ من طابعها العاطفيّة التي ميّزت قصصه. وأراد أن يعكس في قصصه قدرة الحبّ على الجمع بين المتناقضات، وإلغاء الحواجز القائمة بين البشر، وصولاً إلى مجتمع يسوده السلام. وهو في تصويره لقدرة الحبّ هذه يقترب من الرؤيا الرومانسيّة للحبّ من حيث هو قدرة

على تجاوز الزمن الصعب إلى زمن آخر أكثر صفاءً وأدعى إلى الطمأنينة.

تميّز بأنّه فتح باب التفكير الحرّ والديموقراطية في الشرق العربيّ، فكان كاتباً ثوريّاً صاحب قلم ناريّ. تعاطف بقوّة مع أبناء مجتمعه، وكان صادقاً في كتاباته المتوافقة مع روحه وفكره. عزيز النفس، ليّن الطبع، جلِداً على العمل، راضياً بالكفاف، شغوفاً بالآداب، متعدِّد اللغات، واسع الاطّلاع، نهمُ علم، فإذا هو كاتب عصريّ، وباحث اجتماعي، وأديب متحمّس، واستقلاليّ الرأي، ومتحرِّر النزعة، وعزيز النفس. كثير الصراحة، رصين ثابت، رحب الصدر، بعيد عن التعصّب، علمانيّ الاتّجاه، وافر الذكاء، متّقد الخاطر، موهوب طموح، عملاق صحافة، ثائر، غزير الانتاج، شموليّ العطاء، نهضويٌّ متنوِّر. مروِّج للتطوّر الاجتماعيّ، فنشر ونقل أفكار الفيلسوف الألمانيّ نيتشه، والفيلسوف الفرنسيّ أوغست كونت صاحب التيّار الوضعيّ، ومفكّري القرن الثامن عشر وموسوعيّيها. وقرأ كتابات روسو، وفولتير، وداروين، ونيتشه، وماركس، وتولستوي، وابن رشد، وابن طفيل، والغزالي، وعمر الخيّام وسواهم...

لكنّ مطالعاته كانت سريعة غير متّئدة، فوضويّة غير منظّمة، متنوّعة غير مخصوصة، مُفرِطة غير مُعتدِلة، لا يسهل في الغالب هضمها على مُلتهِمها، فتُحْدِث له ارتجاجاً في التفكير لا يقدر معها على التأمُّل الصحيح ليبني رأياً ثابتاً بعد التدقيق والتمحيص، فيصبح عرضة للتأثيرات الطارئة عليه من كلّ كتاب يقرأه أو مذهب ينتمي إليه. غلبت عليه الخطب والمواعظ والمجادلات. لغته سهلة غير متكلّفة، لا يعنى باختيار ألفاظها وحسن تنزيلها، ولا يتنخّل العبارة. ولعلّ مردّ ذلك إلى شغفه بالثقافة العقليّة وإلى سرعته في العمل وكثرة اشتغاله بالتأليف والنقل والتحرير والتحبير.

كان من النادرين الذين اشتغلوا في النصّ الفلسفيّ في عصر النهضة العربيّة، لكنّه لم يكن فيلسوفاً ولا أسير مذهب أو نظام فلسفيّ مترابط، وإنْ أعوزته المنهجيّة، وطغت عليه مشاغله الصحافيّة والأدبيّة وميله الفطريّ إلى الحياة الفكريّة.

دعا فرح أنطون الحكومات إلى تأسيس المكتبات وفتح المدارس، وبثّ الفكر العلميّ في عقول الطلاب، ونشر العلوم المهنيّة والصناعيّة التطبيقيّة، وإنشاء مدارس تدرِّس الحِرَف اليدويّة.

كما دعا إلى تعليم المرأة وطلب التمثّل بعظمة المرأة الغربية وكيف أنّها تخرج من لا شيء فتصبح شيئاً عظيماً.

ثار على التعصّب، وواجه مشكلة الأقلّيّات الاتنيّة والدينيّة في الشرق العربيّ، وجعلها محور كتاباته، واعتبر أنّ التساهل واجب وضرورة وأساسيّ للاخاء والالتقاء، ليس في بلد واحد وإنّما في الانسانية جمعاء. إنّ مبدأ الإخاء الحقيقيّ في الحياة والوحدة في الأرض هو مبدأ التساهل. وكلّ إنسان حرّ في إبداء الرأي واختيار الدين

وطالب بوجوب الفصل بين السياسة والدين كأفضل وسيلة لمحو التعصّب الدينيّ اعتقاداً منه بأنّه يساعد على ترسيخ المساواة بين الملل والأديان والطوائف والاتنيّات كلّها،

التي تستطيع إذ ذاك أن تشارك في رسم معالم المجتمع العربيّ الجديد والحضارة العربية الراقية. كما دعا إلى إقامة مجتمع عثمانيّ حديث تُعامَل فيه الأقلّيّات على قدم المساواة مع الاكثريّة.

ورأى أنّه يصعب على الدين أن يؤسّس دولة ثابتة مستقرّة. فالوحدة الدينيّة غير ممكنة، وأنّ على الدولة أن تجد لها نوعاً من الوحدة، إذا ما أرادت البقاء. أمّا في العصر الحديث، فالوحدة تتمّ بخلق الولاء القوميّ والفصل بين السلطة المدنيّة والسلطة الدينيّة. ومن جملة ما دعا إليه أن يكون الولاء الأشدّ للوطن، بغضّ النظر عن الطائفة والدين، ذلك أنّه توخّى وضع أسس دولة علمانيّة يشترك فيها المسلمون والمسيحيّون على قدم المساواة التامّة. ويخلص إلى القول إنّه من الضروريّ إبعاد الدين عن السياسة الجانحة، حرصاً عليه، وحفاظاً على سمعة الدين نفسه. فبدل أن ينفع البشر ويفيدهم، فإنّ الدين قد يأتي بمردود سلبيّ ويخسر الشيء الكثير من قدرته المعنويّة على الدفع نحو الغايات السامية.

لم يعتقد بتناقض العلم والدين، بل بالإمكان حلّ النزاع بينهما بتحديد الحقل الخاص بكلّ منهما. فهو لا يريد أن يطغى أحدهما على الآخر، بل على العكس، يجب أن يحترم كلّ منهما الآخر. فالقلب ضروري والعقل كذلك. آمن إيماناً قاطعاً بوجوب وضع حدود بيّنة للعقل والدين، فلكلّ منهما مجال يتحرّك ضمنه، وإنْ كان الاثنان لازمين للإنسان المركّب من عقل وقلب. وهو في هذا التحديد للمجالات، يصون كرامة العلم وكرامة الدين معاً، ويمنع أن يكون أحدهما تابعاً للآخر.

وشدّد على أنّ العقل غير قادر على برهنة الحقائق الماورائيّة، وما عليه هنا إلاّ أن يترك الأمور إلى نطاق آخر (أرفع منه) ألا وهو الدين، كما هي حال كلّ دين في العالم. إنْ كان العقل ضرورياً لفهم الدين وتدعيم الإيمان، فلا يمكن القول إنّ الدين عقل، فهذا قول متناقض، لأنّ العقل ينطلق من إدراك المحسوسات، ولا يعرف نواميس غير نواميسها، والدين مبنيّ على الغيب. وكلّ دين، سواء أكان مسيحيّاً أم إسلاميّاً، يتميّز بالخوارق، ولولا هذه الخوارق لاستطاع العقل أن يهدم الدين بالعلم الحسّيّ.

ودعا كذلك إلى وجوب تأويل ما ورد في الكتب الدينيّة تأويلاً عقليّاً يؤدّي إلى تنزيهها، كما يؤدّي إلى تقارب الأديان وتآخيها، عند أهدافها المشتركة، ومبادئها الجوهريّة الواحدة. فتنتفي بذلك إمكانيّة التعصّب الدينيّ، ويسود التسامح في المجتمع.

وركّز، بشكل أساسيّ، على التقاء العقل والدين وتكاملهما.

لقد آمن بوحدة الروح والجسد، والعقل والقلب، والعلم والدين. ورأى أنّه لا يمكن العيش لا بالجسد وحده ولا بالروح وحدها. ولا يمكن الاستغناء عن العقل ولا عن القلب، ولا عن العلم ولا عن الدين. فوجود العقل والدين ضروريّ عنده، وهما متساويان من حيث هذه الضرورة. وهما لا يتداخلان.

ضمّن بعض كتاباته إشارات إلى العروبة العلمانيّة التي تفصل ما بين الدين والسياسة، وهو من المفكّرين الذين بذلوا الجهد لإحلال التفكير القوميّ العلمانيّ مكان التفكير الدينيّ.

كان يعتقد بوجوب إصلاح الدولة العثمانيّة لتصبح دولة راقية، وتكون رابطة حقيقية للعناصر المختلفة فيها، ووجوب اعتماد الدستور وضرورة فصل السلطات.

فقد أكثر من الحديث عن الاشتراكيّة في مؤلّفاته كلّها تقريباً، وخصوصاً في مجلّته «الجامعة» رداً على البؤس الاجتماعيّ، وإسقاطاً لما في النفس من كره للواقع السياسيّ القائم ورفضه. لكنّ المبادىء التي آمن بها لا تصنّفه اشتراكيّاً بالمعنى الحقيقيّ.

آثاره

ترك العديد من المؤلّفات والترجمات والتمثيليّات والمقالات. ومن أهمّها:

1 - مؤلفاته:

1 ـ الجامعة، مجلّة شهريّة أصدرها سبع سنوات. ضمنّها آراءه الاجتماعيّة والسياسيّة، وسِيَر الرجال العظام، والمفكّرين، والأدباء، والفلاسفة، والمقالات العلميّة، والفلسفيّة؛ 2 ـ فلسفة ابن رشد، نشره على شكل مقالات في مجلّته؛ 3 ـ أورشليم الجديدة أو فتح العرب بيت المقدس، وهي قصّة فلسفيّة اجتماعيّة؛ 4 ـ الحبّ حتّى الموت، قصّه يظهر فيها الأمانة والاخلاص عند المرأة؛ 5 ـ الوحش، الوحش، الوحش أو سياحة في أرز لبنان، قصّة أخلاقيّة تدور أحداثها في لبنان، 6 ـ الدين والعلم والمال أو المدن الثلاث، قصّة مدن وهميّة يضمّنها معظم ما جاء في العالم العربيّ الحديث من أفكار، كالطبقيّة وفوارقها، والرأسماليّة والعمّال والملكيّة وزوالها، والصراع الاشتراكيّ. كما يبحث فيها قضيّة الدين ورجاله، ومسألة الحبّ وتنازع البقاء؛ 7 ـ مريم قبل التوبة، قصّة اجتماعيّة، مات ولم يُكمِلْها؛

2 - ترجماته:

8 ـ بولس وفرجيني، لبرناردان دي سان بيار؛ 9 - والكوخ الهنديّ، لبرناردان دي سان بيار؛ 10 - أتالا، لفرنسوا دي شاتوبريّان؛ 11- نهضة الأسد، لألكسندر ديماس عن الثورة الفرنسيّة، وقد قسّمها إلى ثلاثة أقسام: «نهضة الأسد»، «وثبة الأسد» و«فريسة الأسد»؛ 12 - تاريخ المسيح، لارنست رينان، وقد لخّصه تلخيصًا.

كما ألّف وترجم روايات تمثيليّة عديدة.

المصادر والمراجع

● حاج، إسماعيل، حيدر، المجتمع والدين والاشتراكيّة عند فرح أنطون، بيروت، 1972؛ ● جحا، ميشال، فرح أنطون، ط 1، رياض الريّس للكتب والنشر، بيروت، 1998؛ ● حوراني، ألبرت، الفكر العربيّ في عصر النهضة (1798-1939)، ترجمه إلى العربيّة د. كريم عزقول، ط 1، دار النهار للنشر، بيروت، 1968، ص 303-310؛ ● الخوري، مارون عيسى، في اليقظة العربيّة الخطاب السوسيوسياسيّ عند فرح أنطون، ط 1، جرّوس برسّ، طرابلس، 1994؛ ● السعيد، رفعت، ثلاثة لبنانيين في القاهرة شبلي الشميّل، فرح أنطون، رفيق جبّور، ط 1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1973؛ ● شرابي، هشام، المثقّفون العرب والغرب، ط 2، دار النهار للنشر، بيروت، 1978؛

● المناصرة، حسين، فرح أنطون روائياً ومسرحيّاً، ط1، دار الكرمل للنشر، عمّان، 1994؛ ● منسّى، أحمد أبو الخضر، فرح أنطون نقد وتحليل على النسق الأوروبيّ الحديث، مطبعة الاعتماد، القاهرة، 1923؛ ● موسى، منير، الفكر العربيّ في العصر الحديث، دار الحقيقة، بيروت، 1973؛ ● نخل، جورج، أعلام من لبنان: فرح أنطون، دار الشمال للطباعة النشر والتوزيع، طرابلس لبنان، لا ت.

د. يوسف لبكي

الجامعة اللبنانية ـ بيروت ـ لبنان

ابن أنعم، عبد الرحمان بن زياد

(75 هـ / 694 م – 161 هـ/ 778م)

عبد الرحمان بن زياد بن أنعم المعافري الشعباني، أبو خالد، كما يلقب في المشرق الإفريقي، عالم ومحدث وقاضي إفريقية، إفريقي مولدا ووفاة إذ كان يقول: «أنا أول مولود في الإسلام بإفريقية». ولد ببرقة والجند داخلون إلى إفريقية . كان أبوه رجلا صالحا تابعيا يروي عن عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس، وأبي أيوب الأنصاري. سكن القيروان واختط بها دارا ومسجدا في ناحية باب نافع.

أخذ عبد الرحمان بن أنعم عن أبيه وروى عنه بعض الأحاديث عن أيوب الأنصاري. كما سمع من جلة التابعين مثل خالد بن أبي عمران التجيبي، وأبي علقمة مولى ابن عباس، وحنش الصنعاني الذي تولى عشور إفريقية، وأبي منصور الفارسي البصري الذي توفي بالقيروان، وأبي سعيد كيسان المقبري، وزياد بن نعيم الحضرمي، وعمران بن عبد المعافري، وأبي عثمان مسلم بن يسار الطنبذي، وأبي غطيف الهذلي، وعبادة بن نسي، ودخين بن عامر الحجري. إلا أن أكثر سماعه بإفريقية كان عن أعضاء بعثة عمر بن عبد العزيز المتكونة من عشرة من التابعين، ونذكر منهم إسماعيل بن عبيد الأنصاري، وأبا عبد الحميد إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر، وأبا ثمامة بكر بن سوادة الجذامي المصري، وأبا سعيد جعثل بن عاهان الرعيني، وحبان بن أبي جبلة القرشي، وأبا الجهم عبد الرحمان بن رافع التنوخي، وأبا مسعود سعد بن مسعود التجيبي، وعبد الله بن يزيد المعافري الحبلي، وموهب بن حي المعافري. ولن نبالغ عندما نقول إن عبد الرحمان بن زياد يعتبر وريث علم بعثة عمر.

روى عنه عدد من الشيوخ نذكر منهم سفيان الثوري، وأبا يوسف القاضي، وعبد الله بن لهيعة، وعبد الله بن وهب، وابن أبي زائدة،

وبكر بن عمر، وعثمان بن الحكم الجذامي، وخالد بن حميد، وعبد الله بن إدريس الأودي، وابن مبارك، وعيسى بن يونس، ومروان بن معاوية، وأبا خيثمة، وأبا أسامة، ورشدين بن سعد، وعبد الله بن يحيى البرلسي، ويعلى بن عبيد، وجعفر بن عون، وعبد الله بن يزيد المقرئ. وروى عنه من أهل إفريقية عبد الله بن غانم، والبهلول بن راشد، وابن أبي حسان اليحصبي، ومعاوية الصمادحي، وغيرهم.

عمت شهرته البلاد الإسلامية شرقا وغربا، لذلك اهتم عدد من المترجمين بالتعريف به مع شيء من الإطناب والاختلاف بين الروايات في ترجمته. كان مسكنه بالقيروان قرب باب نافع، وكانت له أكثر من رحلة إلى الشرق سعى من ورائها إلى أداء فريضة الحج وطلب العلم، كما كانت إحدى رحلاته تدخل ضمن بعض السفارات إلى الخليفة.

ذكر الخطيب البغدادي أن عبد الرحمان بن زياد وقع في أسر الروم بالقسطنطينية، فأخلوا سبيله «على أن يأخذ لهم شيئا عند الخليفة، فلذلك أتى أبا جعفر المنصور»، بينما ذكر أبو العرب أن أبا جعفر فداه. كما ذكر - إلى جانب المالكي - أن أهل إفريقية أرسلوا وفدا إلى الخليفة أبي جعفر عندما غلبت البربر على القيروان حوالي سنة 140هـ/ 757م، وقد قاد عبد الرحمان ذلك الوفد. فأرسل الخليفة عبد الله بن الأشعث ليقضي على ثورة البربر، وأوصاه بتعيين ابن أنعم على قضاء إفريقية إثر تمهيده لها. وأقام ابن أنعم قاضيا في إمارة ابن الأشعث، والأغلب بن سالم، وعمر بن حفص حتى قدم يزيد بن حاتم. على أن ابن أنعم كان ولي قضاء إفريقية أيام بني أمية لاسيما في عهد مروان بن محمد، وظل قاضيا إلى سنة 132هـ/ 750م تاريخ سقوط الدولة الأموية. وهذا يعني أنه ولي القضاء مرتين: واحدة في العهد الأموي، وأخرى في العهد العباسي. وقد أجمعت المصادر على عدله وصلابته في القضاء؛ كما «أجمع أهل القيروان على ولايته، لما علموا من دينه وفضله وزهده، فسار فيهم بسيرة أهل العدل وأقام فيهم الكتاب والسنة». ذكرت المصادر أيضا أنه «لم يقبل من أحد صلة ولا هدية، نزه نفسه عن ذلك فرفع الله قدره وأعلى مناره». لذلك كان يقول: «إذا رأيت الهدية دخلت إلى القاضي من باب داره، فاعلم بأن الأمانة خرجت من كوة داره». ربما لهذا السبب دخل في خلاف مع والي إفريقية يزيد ابن حاتم. فقد سأله هذا «في حكم أن يحكم فيه بغير حق، فأبى عليه، فعزله»؛ وفي رواية أخرى أنه استقال وخرج إلى مدينة تونس.

ظهرت جرأته على أولي الأمر وثباته على الحق حتى مع الخليفة أبي جعفر المنصور ذاته. فقد ورد في إحدى الروايات أن أبا جعفر سأله قائلا: «ألا تحمد الله الذي أراحك مما كنت فيه بباب مروان بن محمد؟» فأجابه: «أما ما كنت أرى بباب مروان، لا أرى اليوم شطره». كما اعترض عليه ابن أنعم في رواية أخرى قائلا: «إن الجور يخرج من دارك» مما أثار غضب الخليفة «فهم به ثم أمر بإخراجه». أكدت المصادر أيضا ورعه وزهده، كما أشارت إلى تواضعه وتقشفه حتى في مأكله. فقد أفطر يوما بصلا مع فول يبدو أن مصدرهما كان من ضيعته التي يشغل فيها عددا من العبيد.

ورغم ولايته قضاء إفريقية خلال فترة طويلة، وبالتالي عنايته بجوانب تطبيقية لها علاقة بالفقه، فإن المصادر لم تعرفنا بشخصية ابن أنعم الفقيه، بل إنها أكدت بشيء من الإطناب شخصية ابن أنعم المحدث.

فقد وصفه الرقيق بأنه كان «من جلّة المحدثين والعلماء المتقدمين». وقد اختلف الناس في حديثه بين مضعّف وموثق. وثّقه أحمد بن صالح وعبد الله بن وهب وسحنون بن سعيد. و«أدخله» المحدثون «في كتبهم». من ذلك أن ابن وهب ذكره في جامعه، وخرج له من أصحاب الكتب الستة البخاري، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه؛ بينما ضعفه آخرون. كان يحيى بن سعيد القطان وعبد الرحمان بن مهدي لا يحدثان عنه، ونصح أحمد بن حنبل بعدم الرواية عنه لأنه «منكر الحديث». أما البهلول بن راشد فقد ذكر أنه سمع سفيان الثوري يقول: «جاءنا عبد الرحمان بن أنعم بستة أحاديث يرفعها إلى النبي لم أسمع أحدا من أهل العلم يرويها».

ومهما يكن من أمر يعتبر ابن أنعم من أكبر محدثي إفريقية وقضاتها، كما يعتبر مركز أسس المدرسة السنية بها، وعلى يديه تخرج الرعيل الأول من علماء إفريقية، هذا إلى جانب أنه كان «متفننا في علم العربية والشعر».

توفي ابن أنعم إثر تناوله لطعام على مائدة الأمير يزيد بن حاتم، وصلى عليه الأمير وقد ازدحم الناس في جنازته. ودفن بباب نافع بالقيروان. وقد خلّف ابنا عالما محدثا يدعى خالدا، ويكنى أبا ذرى، روى عنه عبد الله بن يوسف التنبسي.

آثاره

نسب إليه أبو العرب كتابين في الحديث، رواهما أبو العرب عن عبد الله بن أبي زكرياء الحفري عن أبيه عن عبد الرحمان بن أنعم. كما رواهما عن هذا الأخير عبد الله بن أبي حسان اليحصبي .ويحتوي هذان الكتابان، فيما يبدو، خمسمائة حديث أخذها أبو العرب أيضا عن جبلة بن حمود عن سحنون عن عبد الله بن غانم عن عبد الرحمان بن أنعم.

المصادر والمراجع

● الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، تح. عبد الله العلي الزيدان وعزالدين عمر موسى، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1990، ط.1، ص 127-131؛ ● أبو العرب، طبقات علماء إفريقية وتونس، تح. علي الشابي ونعيم حسن اليافي، تونس، 1968، ص 95-105؛ ● المالكي، رياض النفوس، تحقيق بشير البكوش، بيروت 1983، 1/ 129، 152-162؛ ● ابن ناجي، معالم الإيمان، تحقيق إبراهيم شبوح، مصر، مكتبة الخانجي، 1388هـ/ 1968م، 1/ 220، 230-237؛ ● الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي، تاريخ بغداد، بيروت، دار الكتاب العربي، د. ت، 10/ 214-218؛ ● ابن ماكولا، أبو نصر علي بن هبة الله. الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف...، تصحيح عبد الرحمان بن يحيى المعلمي اليماني، الدكن، الهند، 1384هـ/ 1965م، ط. 1، 4/ 546؛

● ابن عذاري، البيان المغرب، تح. ج. س. كولان وإ. ليفي بروفنسال، ليبيا - تونس، الدار العربية للكتاب، 1983، ط. 3، 1/ 80؛ ● ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، مصر، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، 1327هـ/ 1909م، 6/ 173-174؛ ● الذهبي، محمد بن أحمد، ميزان الاعتدال، تح. علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، 1963، ط.1، 2/ 561-564؛ ● نفسه، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، تح. عزت علي عيد عطية وموسى محمد علي الموشي، القاهرة، 1392هـ/ 1972م، ط. 1، 2/ 164؛ ● ابن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب، بيروت، دار صادر، د. ت.، 2/ 197-198؛ ● السيوطي جلال الدين، حسن المحاضرة، تح. أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، 1387هـ/ 1967م، ط.1، 1/ 275؛ ● الزركلي، الأعلام، بيروت، 1986، ط. 7، 3/ 307؛ ● شلبي، هند، القراءات بإفريقية، ليبيا، تونس، الدار العربية للكتاب، 1983، 392.

د. نجم الدين الهنتاتي
الجامعة التونسية

الأنقروي، محمد أمين بن حسين أفندي

(....هـ/1619م - 1098هـ/1687م)

ولد في عام 1028هـ/ 1619م في أنقره، وعرف بـ «الأنقروي»، أو «الأنقوري» نسبة إلى مكان مولده، ووالده هو حسين أفندي وكان يعمل بالتجارة في أنقره. وعمل في خدمة مفتي أنقره محمد أفندي القرشهيري وتلقى على يديه العلم. ثم أصبح بعد ذلك ملازما لشيخ الإسلام زكريا زاده يحيى أفندي. وفي عام 1060هـ/ 1650م عين في دار حديث محمد أغا التي توجد بالقرب من مسجد نالللي بدرجة ابتدائي-خارج، وذلك بعد أن عمل في المدارس ذات الدرجات الصغيرة.

وفي عام 1066هـ/ 1656م عين في مدرسة بيرويز أفندي، وفي العام الموالي عين في مدرسة جزيري قاسم باشا، وكلف بوظيفة أمين الفتوى. وفي العام نفسه تم تعيينه في مدرسة سكبان علي، وفي عام 1068هـ/ 1658م تم تعيينه في مدرسة حيدر باشا وفي مدرسة عائشة سلطان، وبعد عامين عين في مدرسة صحن ثمان، وفي عام 1072هـ/ 1661م عيّن في مدرسة زال باشا سلطاني، وفي عام 1072هـ/ 1662م تم تعيينه في مدرسة إسمهان سلطان، وفي العام التالي عين مدرسا في مدرسة السليمانية.

اتجه محمد أمين أفندي بعد ذلك إلى مجال القضاء، حيث أصبح في عام 1074هـ/ 1663م قاضيا على يني شهير، وبعد عامين تم عزله من منصبه. وعند عودته إلى استانبول عين للمرة الثانية أمينا للفتوى. وفي عام 1076هـ/ 1665م تم منحه أقضية بنار حصار وكيشان أربه لي (معاش). وفي عام 1077هـ/ 1667م كلف بوظيفة القضاء في بورصة. وفي هذه الأثناء واصل عمله أمينا للفتوى. وفي العام الموالي تم منحه أنقره أربه لي أيضا. وفي عام 1080هـ/ 1669م عين قاضيا على مصر، وفي العام الموالي تم تعيينه في منصب القضاء في مكة المكرمة، غير أنه وقبل أن يبدأ في عمله استدعي إلى استانبول وتم تعيينه في عام 1082هـ/ 1671م قاضيا على استانبول. وفي عام 1083هـ/ 1672م كلف بوظيفة قضاء عسكر الأناضول، وفي عام 1084هـ/ 1673م عين قاضي عسكر على الروملي. وفي هذه الأثناء عمل نائبا لشيخ الإسلام منقاري زاده يحيى أفندي بسبب مرضه وذلك لمدة ثمانية أشهر وأصبح مساعدا له في أعمال الفتوى.

منح محمد أمين أفندي في عام 1087هـ/ 1676م قضاء بوروكان أنقره وقضاء چوكورجوك بالإضافة إلى قضاء أنقره أربه لي وذلك بعد أن تم عزل مرتضى أباد. وفي هذه الأثناء أصبح مشغولا بتأليف الكتب وكتب حاشية على «تنوير الأبصار». وفي عام 1092هـ/ 1681م منح قضاء غلاطه أربه له. وفي عام 1096هـ/ 1685م تم تعيينه للمرة الثانية قاضي عسكر على الروملي، وفي العام الموالي أي في يوم 9 ذي القعدة من عام 1097هـ الموافق لـ يوم 27 سبتمبر من عام 1686م عين شيخاً للإسلام مكان علي أفندي جتال جه لي. وفي فترة توليه لمنصب شيخ الإسلام في عهد محمد الرابع قام بدور كبير في وقف التمرد الذي حصل بين عشائر سرهاد. وأثناء الاضطرابات التي حدثت في آخر سنة من حكم السلطان محمد الرابع دعم تتويج سليمان بن محمد الرابع بدل أخيه مصطفى ليكون خلفا لأبيه، بيد أنه توفي في 26 ذي الحجة من عام 1098هـ الموافق لـ 2 نوفمبر من عام 1687م وتم دفنه في حظيرة جامع كوواجي دده في منطقة چارشمبه. واستمرت فترة قبوله منصب مشيخة الإسلام عاما وشهرا وخمسة أيام.

احتل محمد أمين أفندي مكانة مرموقة بين العلماء، وكان متخصصا في علوم الأصول والفروع والتفسير. وتنقل المصادر أنه كان شخصا وقورا وصادقا في كلامه ومحبّا للخير ورحيما وشفوقا. وقد أنشأ في أنقره جامعا ودارا للدروس بجانبها 24 چشمه وحمام وكروان سراي ومدرسة. وعملا بوصيته فقد خصص أوقافا وهي موجودة إلى الآن في شهزاده باشي في استانبول، وقد أمر بإنشاء مدرسة بين قصر البلدية ومسجد هُوش قدم وهي تسمى بـ «مدرسة هُوش قدم».

آثاره

1 ـ فتاوى الأنقروي، مؤلف يحتوي على الفتاوى التي أصدرها محمد أمين أفندي أثناء شغله لمنصب شيخ الإسلام على وجه الخصوص. وعرف هذا المؤلف كذلك باسم «الفتاوى الأنقراوية» و «مجموعة الفتاوى».

وهو أثر جمع فيه مجموعة فتاوى شيوخ الإسلام والآراء التي تدور في المسائل الفقهية بصورة عامة.

ويبدأ الكتاب بـ «كتاب الطهارة» وينتهي بـ «كتاب الفرائض». ولم يتناول فيه الفتاوى بالطريقة الكلاسيكية المتمثلة في طريقة السؤال والجواب، بل قام بتسجيل أجوبة المسائل الفقهية التي كثيرا ما يصادفها المرء دون أن يذكر السؤال. ودوّن الفتاوى العربية التي يتكون منها المؤلف من كتب فقه وفتوى المذهب الحنفي المعتبرة، ونجد على رأسها «بدائع الصنائع»، و«فتح القدير»، و«البحر الرايق»، و«كنية المنية»، و«المحيط البرهاني»، و«فتاوى قاضي خان»، و«الفتاوى التترخانية»، و«الأشباه والنظائر»، و«خلاصة الفتاوى»، و«خزانة الفتاوى»، و«جامع الفصولين والفتاوى البزازية». وذكر في النهاية أسماء المصادر التي أخذ منها معلوماته. وتم استعمال هذا الكتاب في العهد العثماني بشكل واسع من قبل القضاة والمفتين، ويوجد منه في المكتبات وعلى رأسها مكتبة السليمانية عدد كبير من النسخ المخطوطة. وفي عام 1281هـ/ 1864م طبع في بولاق واستانبول في مجلدين؛ 2- حاشية تنوير الأبصار، هو عبارة عن حاشية لمؤلف «تنوير الأبصار وجامع البحار» الذي كتبه شمس الدين محمد ابن عبد الله التيمورطاشي حول فروع الفقه. وقام محمد أمين أفندي بكتابة هذه الحاشية في عام 1087هـ/ 1676م أثناء إقامته في أنقره بعد أن تم عزله من منصب قضاء عسكر الروملي، غير أننا لم نعثر على نسخة من هذه الحاشية؛ 3- تفسير آية الكرسي، مؤلف يتكون من تفسير الآية رقم 255 من سورة البقرة. والجدير بالذكر أنه توجد نسخة من هذا الأثر في بيترس بورغ [Carl Brockelmann, Geschichte der Arabischen Litteratur Supplementband, II, 647].

■ المصادر والمراجع

● كاتب چلبي، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، نشر معلم رفعت الكليسي-شرف الدين يالت كايا، استانبول 1360هـ/ 1941م، I/ 501؛ ● المحبي، م. أمين، خلاصة الأثر في تراجم أعيان القرن الحادي عشر، نشر مصطفى وهبي، القاهرة 1284، IV/ 314-315؛ ● دفتردار، صاري محمد باشا، زبدة وقائعات، إعداد عبد القادر أوزجان، أنقره 1995، 22، 38، 73-74، 219، 245، 250، 259، 261، 263؛ ● عشاقي، زاده، ذيل الشقائق، نشر هـ. ج. كسلينغ، ويسبادان 1965، ص 537-539؛ ● سلاحدار، فندكلي محمد أغا، التاريخ، نشر أحمد رفيق، استانبول 1928، II/ 247، 288-289؛ ● شيخي محمد أفندي، وقائع الفضلاء، نشر عبد القادر أوزجان، استانبول 1989، I/ 543-545؛ ● راشد محمد أفندي، التاريخ، استانبول 1282هـ، I/ 261، 294، 304، 331، 494، 524، 530-531؛ ● أحمد رفعت أفندي، دوحة المشايخ، استانبول 1978، ص 72 73؛ ● شمعي، محمد، علاوة لأسمار

التاريخ، استانبول 1295هـ، ص117؛ • باشا، نوري مصطفى، نتائج الوقوعات، نشر محمد غالب بك، استانبول 1327، II/ 86؛ • ثريا محمد، السجل العثماني، هيين هيم-بريغ سترات 1971، IV/ 188؛ • علمية، سيل نامه سي، استانبول 1334هـ، 487-488؛ • البورصوي محمد طاهر، المؤلفون العثمانيون، استانبول 1344هـ/ 1925م، II/ 25؛ • سركيس، إليان، معجم المطبوعات العربية والمعربة، القاهرة 1346هـ/ 1928م، I/ 494 495؛ • البغدادي، إسماعيل باشا، هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، نشر ابن الأمين محمود كمال-عوني أكتج، استانبول 1955، II/ 300؛ • الزركلي، خير الدين، الأعلام، القاهرة 1374هـ/ 1955م، VI/ 335؛ • كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، بيروت 1957، IX/ 234؛

• Carl Brockelmann, Geschichte der arabischen Litteratur, Leiden 1949, II / 575-576; • Carl Brockelmann, Geschichte der arabischen Litteratur, Supplementband, Leiden 1938, II / 647; • Ismail Hakki Uzunçarsili, Osmanli Tarihi, Ankara 1983, III/1, p. 486, 489-490; • Ismail Hami Danismend, Izahli Osmanli Tarihi Kronolojisi, Istanbul 1971, V, 130; • Mübahat S: Kütükoğlu, 1869 da Faal Istanbul Medreseleri, Istanbul 1977, p. 25-27; • Ali Uğur, The Otoman Ulema in the Mid-17th Century: An Analysis of the Vakaiu'l-fuzala of Mehmed Seyhi Efendi, Berlin 1986, p. 591-593; • Ahmet Özel, Hanefi Fikih Alimleri, Ankara 1990, p. 136; • Fikri Zeki el-Cezzâr, Medahilü'l-müellifin ve a'lâmi'l-Arab hattâ âm 1215 h.=1800 m., Riyad 1411, I, 115-116; • Ismail Yakit, "Seyhülislam Ankaravi Mehmet Efendi", Türk Dünyasi Arastirmalari, sayi: 51 (1987), p. 9-42.

د. كامل يشار أوغلي
استنبول ـ تركيا
ترجمة: مصطفى بن الطاهر الستيتي ـ تونس

الأنماطي، عثمان بن سعيد بن بشار

(... هـ / ... م - 288 هـ/ 901م)

عثمان بن سعيد بن بَشَّار (بفتح الراء وتشديد الشين المعجمة)، أبو القاسم الأحول البغدادي الأنماطي، منسوب إلى الأنماط، وهي البُسُط التي تُفرش، وغير ذلك من آلة الفرش من الأنطاع والوسائد، وأهل مصر يسمون هذه الآلات الأنماط وبائعها الأنماطي.

ذكر تاج الدين السبكي أن العبّادي قد وهم في كتابه فزعم أنه الحَكَم بن عمرو، وأن لأصحابنا آخر يقال له محمد بن بشّار، وليس بأبي القاسم [السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج 2، ص 301].
وقد عُرف غير واحد من المحدثين بهذه النسبة (الأنماطي)، ولذلك وجب التنبيه. كان من كبار الفقهاء الشافعية، ولقب بمفتي بغداد [اليافعي، مرآة الجنان، ج 2، ص 215].

قال الشيخ أبو إسحاق: كان الأنماطي هو السبب في نشاط الناس بالأخذ بمذهب الشافعي في تلك البلاد. قال: ومات ببغداد في شهر شوال سنة ثمان وثمانين ومائتين [ابن العماد الحنبلي، شذرات، ج 2، ص 198].

وقال عن المُزني: أنا أنظر في كتاب (الرسالة) عن الشافعي - رضي الله عنه - منذ خمسين سنة ما أعلم أني نظرت فيه مرة إلا وأنا أستفيد منه شيئا كثيرا لم أكن عرفته [ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص 241].

وذكر تاج الدين السبكي في طبقاته بأن الأنماطي قد اشتهرت به كتب الإمام الشافعي في بغداد، ونقل عن أبي عاصم بأنه لأهل بغداد كأبي بكر بن إسحاق لأهل نيسابور، فإنه أول من حمل إليها علم الإمام الجليل المُزني [السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج 2، ص 301]. وقال عنه ابن المُنادي: كان للناس فيه منفعة [السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج 2، ص 301].

وقد دارت بينه وبين أبي سعيد الإِصْطَخْرِي مسألةٌ أصولية دقيقة للغاية، وكان موضوعها علاقة النص بالاجتهاد، وأيهما يُقدم على الآخر. وقد أورد هذه المناقشة تاج الدين السبكي، فقال: سأل أبو سعيد الإِصْطَخْرِيّ الأنماطي فقال له: النص آكد أم الاجتهاد؟ فقال: النص. فقال: أليس قد نص النبي ﷺ على الشعير ولم ينص على البُرّ، أفرأيت لو كان قوته بُرًا أيجوز له إخراج الشعير؟ فقال: لا يجوز ذلك. فقال: قد قدَّمْت الاجتهاد على النص. فدخل ابن السريج فأخبره بما جرى، فقال: إن النص يُقدَّم على اجتهاد محتمل، فأما إذا كان ما وقع عليه النص تنبيها على ما هو أعلى قُدم عليه، كالضرب مع التأفيف، كذلك قصد النبي ﷺ بذلك إلى ما يلزمهم أن يُخرجوا في يوم الفطر، وجعل ذلك قوتا، فإذا اقتات الإنسان بُرا لم يجز له أن يخرج شعيرا، بخلاف العكس، لأنه أعلى منه

[السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج 2، ص 302].

وأشير بعبارة «الضرب مع التأفيف» الواردة في كلام ابن سُريج إلى قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ [الاسراء: 23]، فتحريم التأفيف ثابت بالنص، وتحريم الضرب ثابت بالاجتهاد، أي بإلحاق الضرب بالتأفيف وقياسه عليه، وذلك لأن الضرب في معنى التأفيف، أو أن الضرب والتأفيف يشتركان في معنى الإذاية والإضرار، بل إن الضرب أوكد في النهي والتحريم؛ والنص هنا قد نبّه إلى ما هو أعلى منه، ولذلك يُقدم الاجتهاد المُظهر لتحريم الضرب على ظاهر النص الذي يحرم التأفيف فقط.

حدّث عن الإمام المُزَني، والربيع بن سليمان المُرادي [السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج 2، ص 301؛ الإسنوي، طبقات الشافعية، ج 1، ص 44 ـ 45].

وحمل عنه العلم أبو العباس بن سُرَيْج، وأبو سعيد الإصطخري، وأبو علي بن خَيران، ومنصور التّميمي، وأبو حفص البابْشامي، وأبو بكر الشافعي [الإسنوي، طبقات الشافعية، ج 1، ص44 ـ 45؛ البغدادي، تاريخ بغداد، ج 11، ص292؛ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج 2، ص 301].

المصادر والمراجع

● الإسنوي، جمال الدين (ت772هـ)، طبقات الشافعية، تح. عبد الله الجبوري، رئاسة ديوان الأوقاف، إحياء التراث الإسلامي، بغداد 1390هـ؛ ● البغدادي، الخطيب، تاريخ بغداد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان؛ ● السبكي، تاج الدين، طبقات الشافعية الكبرى (ت 771هـ)، تح. محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، أولى؛ ● ابن العماد، الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح. لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، دار الآفاق الجديدة بيروت، لبنان؛ ● اليافعي، أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان عفيف الدين (ت 768 هـ)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، طبع دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد، أولى، سنة 1338هـ.

د. نور الدين مختار الخادمي
جامعة الزيتونة - تونس

أنور شاه، الكشميري

(1292 هـ/ 1875م ـ 1352 هـ/ 1933م)

هو أنور شاه الكشميري، علم بارز من أعلام اللغة العربية في شبه القارة الهندية الباكستانية حباه الله ملكة قرض الشعر باللغة العربية فأحسن استغلالها وأنفق معظمها في مدح النبي ﷺ، وكان مثالاً يحتذى في الإمساك بذيل الاعتدال في مدائحه، وخلوها من الغلو والمبالغة.

ولد العلامة أنور الكشميري بوادي «لولاب» بإقليم كشمير عام 1875م، وحصل تعليمه الابتدائي على الطريقة المألوفة في عصره في بلاد شبه القارة، فدرس اللغة العربية واللغة الفارسية، كما درس العلوم الدينية على أيدي والده الشيخ محمد معظم شاه وعلماء وقته. وارتحل في طلب العلم إلى مناطق مختلفة في البلاد، فسافر وهو صغير إلى بلدة «هزاره»، والتي تقع ضمن إقليم الحدود الشمالية في باكستان حالياً، وهناك واصل دراسته للعلوم النظرية كالفلسفة والمنطق، كما سافر إلى «ديوبند» عام 1891م، والتحق بـ «دار العلوم» هناك، وتلقى العلم من شيخ الهند محمود الحسن، واستمر في دراسته حتى عام 1894م حيث درس الحديث والتفسير وغيرهما من العلوم الإسلامية، ثم عمل لفترة بالمدرسة «الأمينية» بدهلي، وعاد بعدها إلى كشمير عام 1903 م، وهناك أسس مدرسة «فيض العلوم في مديرية «باره مولا».

وفي عام 1905م سافر إلى الأراضي الحجازية لأداء فريضة الحج، وأقام هناك لسنوات عاد بعدها إلى «دار العلوم» بديوبند حيث تدرج في العمل بها إلى أن تولى منصب رئاسة هيئة التدريس، وبقي في منصبه هذا ما يقرب من اثني عشر عاماً. وفي عام 1927م رحل إلى مدينة «دابهيل» بإقليم «الكجرات» حيث اشتغل بتدريس الحديث الشريف حتى عام 1932م، وعاد بعدها إلى «ديوبند» حيث وافته منيته بعد عودته بعام واحد، أي عام 1933م.

لقد قضى العلامة أنور شاه الكشميري حياته القصيرة (ثمانية وخمسين عاماً) في الاشتغال بالعلوم الإسلامية تحصيلاً وتدريساً، وأنعم الله عليه بذاكرة قوية وبديهة حاضرة صقلها بمداومة الاطلاع والقراءة، وكان يحفظ من الشعر أكثر من خمسين ألف بيت كان يحرص دائماً على الاستشهاد بها أثناء دروسه ومحاضراته. يقول عنه العلامة السيد سليمان الندوي: «كان مثله كالبحر الذي يكون سطحه هادئاً رهواً، لكن قعره زاخر باللآلي. كان عديم النظير في سعة علمه وقوة ذاكرته وكثرة استظهاره، وكان حافظاً لعلوم الحديث عارفاً بدقائقها، كما كان على مستوى رفيع من المعرفة الأدبية ومتضلعاً في العلوم النظرية، وكان على حظ وافر من الذوق الأدبي والسليقة الشعرية، وكان مع ذلك ورعاً تقياً، وظل طيلة حياته يرفع نداء «قال الله وقال الرسول» إلى أن وافاه الأجل.

هذا وقد ذاع صيت العلامة أنور شاه الكشميري في مجال التدريس في داخل شبه القارة الهندية الباكستانية وخارجها حتى وفد عليه طلاب من أنحاء متفرقة من العالم، فكان له طلاب من البلاد العربية وإيران، وأفغانستان، والصين، وأفريقيا، وإندونيسيا، وماليزيا وغيرها، كما كانت له علاقات علمية طيبة بمعظم علماء عصره ومفكريه، وقد أثنى عليه الشيخ رشيد رضا حين زار الهند والتقى به حتى قال عنه: «ما رأيت مثل هذا الأستاذ الجليل». كما كان علامة الشرق وشاعر الإسلام محمد إقبال من المعجبين بشخصه والمعترفين بعلمه وفضله، وكان يداوم على مراسلته والاستفسار منه عن بعض القضايا الفلسفية التي عالجها «إقبال» في شعره، وكان العلامة أنور شاه الكشميري يرسل إليه بعض القصائد التي ينظمها في الفلسفة، ومنها قصيدة بعنوان «ضرب الخاتم على حدوث العالم» تناول فيها بعض الموضوعات الفلسفية، وكان رأي العلامة محمد إقبال فيها أنه ليس في استطاعة كبار فلاسفة الغرب أكثر مما قال العلامة، بل إن إقبال كان يرى أن العلامة أنور شاه الكشميري هو الأقدر على الاضطلاع بإعادة تدوين العلوم الإسلامية وصياغتها من جديد في ضوء متطلبات العصر الحديث، وقد صرح بذلك في أحد لقاءاته مع الأستاذ سعيد أحمد أكبر آبادي عميد كلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية بـ «علي كره» حيث قال: «إن الدين الإسلامي اليوم في أمسّ الحاجة إلى من يقوم بتدوين الفقه من جديد بالنظر إلى الآلاف من القضايا الحديثة في مجالات السياسة والاقتصاد والاجتماع التي ظهرت وطرأت بسبب الأوضاع القومية والدولية المتطورة، وأنا متأكد من أن الشيخ أنور شاه الكشميري يستطيع أن يقوم بهذه المهمة خير قيام، ولا أرى من يستطيع ذلك أفضل منه، وأنا كذلك على استعداد أن أقوم بتنسيق الجهود، وأساهم في هذا العمل، وأقدم مساعدتي له».

هذا وقد نظم العلامة أنور شاه الكشميري باللغة العربية حوالي «1155» بيتاً في شكل قصائد متناثرة هنا وهناك، منها جزء كبير في مدح النبي ﷺ، بالإضافة إلى الموضوعات الشعرية المختلفة مثل المدح والرثاء والموضوعات الدينية والفلسفية وغيرها، ومن قصائده هذه:

- ضرب الخاتم على حدوث العالم، وهي في الفلسفة.

- صدع النقاب عن جساسة البنجاب، وتضم سبعين بيتا، كتبها في تكذيب «ميرزا غلام أحمد القادياني» مدّعي النبوة.

- حكمة الشعر، وتضم سبعة عشر بيتا.

- غدرة اليونان وبريطانيا، كتبها تأييداً للأتراك في مواجهة الغطرسة الأوروبية.

هذا بالإضافة إلى قصيدته «الدالية» في مدح النبي ﷺ، وقصائد أخرى في نفس الميدان حاول فيها جميعاً أن يتلمس طريق الشعراء الجاهليين والسير على نهجهم في نظم القصائد، فكان يبدأ قصيدته بالنسيب والتشبيب، ثم يحسن التخلص إلى موضوع القصيدة الرئيسي.

ويتميز شعر العلامة أنور شاه الكشميري

بالسهولة والسلاسة والبعد قدر الإمكان عن الغريب من الألفاظ، كما أن شعره يخلو إلى حد كبير من «العجمة» التي قد تبدو أحياناً في شعر شعراء العربية من غير العرب.

آثاره

للعلامة أنور شاه الكشميري مؤلفات عديدة بعضها باللغة العربية، والبعض الآخر باللغة الفارسية، ومن أهم مؤلفاته باللغة العربية:

1 - فيض الباري في شرح صحيح البخاري؛
2 - العرف الشذي على جامع الترمذي؛
3 - فصل الخطاب.

المصادر والمراجع

● رضوي، السيد محبوب، تاريخ ديوبند، ط 2، الهند 1973 م؛ ● الندوي، سيد سليمان، مجلة معارف، دار المصنفين، يوليو 1933م؛ ● قاضي أفضل حق قرشي، إقبال كا ممدوح علماء، الهند؛ ● فاروقي، زبير أحمد، مساهمة دار العلوم بديوبند في الأدب العربي، الهند 1990 م.

د. أحمد محمد أحمد عبد الرحمان
جامعة الأزهر

إنياس، إبراهيم الكولخي

(1320 هـ / 1901 م - 1395 هـ / 1975 م)

يعد هذا العلم من أشهر علماء التصوّف في السّنغال وفي إفريقيا الغربية على وجه العموم. وهو الشيخ الحاجّ إبراهيم إنْياسْ (أو نياس) الكولخي بن الشيخ الحاجّ عبد اللّه (ت 1342 هـ/ 1922م) بن السيد محمد. وهو شقيق الخليفة محمد بن عبد الله إنياس (ت 1378 هـ/ 1959م). وقد ولد بقرية بناها والده بإقليم سلوم الواقع جنوب دكار عاصمة السنغال. وهي قرية طيبة إنياسين. أما تاريخ ولادته ففي تحديده بعض الاختلاف بين الدارسين. فقد ذهب بعضهم إلى أنّ مولده كان حوالي سنة 1319 هـ/ 1900م [صمب، عامر، الأدب السنغالي العربي، ص 220]. خلافا لهذا جاء عند أبي بكر الغاني أنّه كان عام 1320 هـ/ 1900م [أبو بكر الغاني، يعقوب، إتحاف الإخوان بمآثر غوث الزمان، ص 27]. والراجح تحديد ولادة الرجل بحوالي 1320 هـ/ 1901م.

كان والده الحاجّ عبد اللّه من كبار شيوخ التجانيّة، كما كان عالما متبحرا في مختلف العلوم الإسلامية. وقد اعتبره بعضهم حجّة الإسلام وحامي الشريعة الإسلامية ومحيي الطريقة التجانية [م.ن، ص 25]. كذلك كان أخوه محمد من أعلام الفكر الإسلامي والأدب العربيّ المشهورين في إفريقيا الغربية. ففي ظلّ هذه الأسرة العريقة في الثقافة العربيّة الإسلاميّة تربّى إبراهيم إنياس وبدأ تعلّمه. وقد

اعتنى والده بتربيته وتكوينه في العلوم الإسلامية. فعلّمه القرآن حتّى حفظه. ودرّسه من العلوم النقليّة والعقليّة حتّى كان له منها حظّ التمكّن. وعلى يد شقيقه واصل تكوينه حتّى بلغ فيه درجة النبوغ. ويروي أنه كان تلميذا نجيبا مجتهدا في تحصيل المعرفة اجتهادا. ومن ذلك أنه سعى لتعلّم اللّغة الفرنسية إلى جانب العربيّة، لكن والده منعه من ذلك. ولعلّ ما يبرّر موقفه هذا أنّ اللّغة الفرنسية في زمانه كانت لغة الاستعمار ولغة المسيحيّة، فتعلّمها في نظره ضرب من الاستلاب والانتصار للعدوّ ضدّ الذات.

وبعد أن توسّع في اكتساب المعرفة وتعمّق في دراسة العلوم الإسلاميّة وفهمها انطلق الشيخ إبراهيم سنة 1937م في رحلة إلى الحجاز لأداء فريضة الحجّ. فمن دكار وصل على متن الباخرة إلى المغرب، وهنالك زار أهمّ المدن واتّصل بمشاهير المفكّرين التجانيين، من ذلك زيارته في مدينة فاس لزاوية مؤسس التجانية الشيخ أحمد التجاني (ت 1230 هـ/ 1518م). وفي الحجاز التقى بالحاجّ عبد الله بايرو أمير ولاية كنو (Kano) النيجيرية. كما أتاحت له هذه الرحلة فرصة الاستفادة من آراء كثير من الفقهاء والعلماء المسلمين. ومنهم من كانت له مواقف نقدية تجاه التجانية وغيرها من الطرق الصوفيّة.

أما التيجانيّة فقد لقّنه والده مبادئها ولـمّا يتجاوز العشرين من عمره. وقبل وفاته سنة 1342هـ ترك لأحد أتباعه وصيّة تأذن له إجازة ابنه إبراهيم في أوراد الطريقة إذا اكتمل فيه اتّزان الشيخوخة وحكمة العلماء. وإلى تلك الإجازة تلقّى إجازات أخرى عن عدد من شيوخ التجانية في السنغال وخارجها. وقد ذكر بعضهم أنّ مشايخ قدامى قد بشّروا بظهور الفيضيّة التجانية على يده. ويروي أنّها ظهرت له عام 1348 هـ/ 1929م. وما إن أعلن عن ظهورها حتّى انضمّت إلى زاويته كثير من الزوايا التجانية بالسنغال والمغرب وموريتانيا ونيجيريا وغانا وغيرها من بلدان إفريقيا الغربية.

وفي سنة 1364 هـ/ 1945م سافر إلى نيجيريا ليجدّد الاتصال بأمير كنو الحاجّ عبد الله بايرو الوالي سليمان بن إسماعيل. وكانت زيارة قصيرة إذ لم تدم سوى ستّة أيام. أمّا في زيارته الثانية فقد تمكّن خلالها من الاجتماع مع مجموعة من الفقهاء والعلماء النيجيريين. وهم الذين عرفوه من خلال كتاب له وزّعه أثناء زيارته الأولى لبلدهم. ألا وهو "كاشف الإلباس عن فيضة الختم أبي العباس". كما ألقى محاضرة عن التجانية والفقه وغيرهما من العلوم الإسلاميّة. ومنذ ذلك التاريخ ازداد صيته في جميع أنحاء نيجيريا ذيوعا. حتّى إنّ وفود العلماء والطّلاب أخذت ترحل إليه في مستقرّه بكولخ.

جدّد الشيخ إبراهيم في مدينته بناء مدرسة إسلاميّة أسّسها والده في كولخ وأطلق عليها "مدرسة الحاجّ عبد الله إنياس" ودرّس فيها اللغة العربية ومختلف العلوم الإسلامية. وكان ينظّم حصصا دورية لتلاوة القرآن وتفسيره ويشجّع أتباعه على التعلّم والتفقّه في الدين. وقد تكوّن على يده كثير من الطلاّب الذين صاروا من مشاهير العلماء.ومنهم سيدي علي سيسي، وأبو بكر سرمبي. ومنهم أبناؤه مثل عبد الله إنياس، وأحمد دم إنياس، وأحمد التجاني إنياس.

لقد كان الشيخ إبراهيم الكولخي يحذق فنّ النظم حذقه للنثر وله في كلا القالبين مصنفات كثيرة وضعها في مجالات متنوّعة. منها مؤلفات في التصوّف وأخرى في الاجتهاد الفقهي، ومنها كتب في أدب الرحلات.

ومن إنجازاته أنّه أسس جمعيات إسلاميّة عديدة منها؛ جمعية «أنصار الدين» في كلّ من السنغال وغانا. ومنظّمة «فتيان الإسلام» في نيجيريا. كما شارك في كثير من المؤتمرات الإسلامية. وكان عضوا في رابطة العالم الإسلامي، وفي مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، وفي المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بمصر. وظلّ طوال حياته يحثّ المسلمين على التعليم والتفقّه في الدين وعلى التعليم والتفقّه في الدين وعلى إقامة المساجد والزوايا للعبادة. وقد نهض بدور أساسي في نشر الإسلام وانتشار التجانيّة في غرب إفريقيا. حتى إنّه كان يقول: «لو كان لي في اللغة الفرنسية والإنجليزية باع لحملت الإسلام والقطب الغوث في زمانه». وقد أنشأ أتباعه في تخليد ذكراه جمعيات إسلاميّة عديدة منها «مجمع أحباب الشيخ إبراهيم انياس» الذي أسس بلاغوس سنة 1984 م. وإلى هذا فإنه كان يحظى باحترام كثير من رجال الحكم في كثير من الدول الإسلاميّة.لقد كان عالما واسع الثقافة متظلّعا في علوم الحضارة العربيّة الإسلاميّة وفنونها مجتهدا في حلّ القضايا المطروحة في عصره على الإسلام والمسلمين.

آثاره

1 في التصوّف:

1 - كاشف الإلباس عن فيضة الختم أبي العباس، ألّفه سنة 1350هـ/ 1931م، وتناول فيه مباحث عامّة في التصوّف. وهو من أهمّ كتبه في هذا الميدان؛ 2 - البيان والتبيين عن التجانية والتجانيين، كتاب أفرده للطريقة التجانيّة ومبادئها وأذكارها، وقد جاء فيه قوله: «... فإنّ طريقة الشيخ أحمد بن محمد التجاني رضي الله عنه التي لقّنها أصحابه الميامين ونشروها بدورهم في العالمين وأيّد الله بها الإسلام في أقطار عدّة (...) هي الأذكار الثلاثة؛ الاستغفار والصلاة على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بأي صيغة ولا إله إلاّ الله». وقد أشبعنا الكلام فيها وفي التصوّف بوجه عامّ في غير ما كتاب. ولمن شاء أن يراجع كتابنا «كاشف الإلباس عن فيضة الختم أبي العبّاس». ففيه مباحث علميّة في الموضوع [أبو بكر الغاني، م. ن السابق، ص 113]؛ 3 - السرّ الأكبر والكبريت الأحمر (في التصوّف)؛ 4 - تنبيه الأذكياء في كون الشيخ التجاني خاتم الأولياء؛ 5 - تبصرة الأنام في جواز رؤية الباري في اليقظة والمنام؛ 6 - تبصرة الأنام في أنّ العلم هو الإمام؛ 7 - نجوم الهدى في كون نبيّنا أفضل من دعا إلى الله وهدى؛ 8 إفادة المريد عن أسئلة السيد محمد العيد؛

2 - في الفقه:

9 - حكم الإسلام في التدخين على ضوء الطب والدين. واعتمد فيه على أدلّة عقلية ونقلية لينتهي إلى الحكم بتحريم التدخين؛ 10 - رفع الملام عمّن رفع وقبض اقتداء بسيّد الأنام؛ 11 - تحفة الأطفال في حقائق الأفعال، ألّفه في علم الصرف؛ 12 - سبيل السلام في إبقاء المقام، وضع هذا الكتاب

إفتاء في القضيّة التي طرحتها الحكومة السعودية على الفقهاء المسلمين استفتاء في نقل مقام إبراهيم لتوسيع المطاف؛ 13 - الحجّة البالغة في كون إذاعة القرآن سائغة.

3 - في أدب الرحلة:

14 - رحلة الحجاز الأولى؛ 15 - نيل المفاز بالعودة إلى الحجاز؛ 16 - الكوناكرية في السياحة إلى أرض بَمَكُو وكَنُو؛ 17 - تذييل نيل المفاز.

وقد نظم الشيخ في مدح الرسول ﷺ دواوين شعرية نشرت معًا بعنوان الدواوين الستة لشيخ الاسلام وغوث الزمان الشيخ إبراهيم الكولخي وصدرت عن دار الفكر للطباعة، بيروت د. ت.

المصادر والمراجع

● أبو بكر الغاني، يعقوب، إتحاف الإخوان بمآثر غوث الزمان مولانا الشيخ الحاجّ إبراهيم إيناس الكولخي السنغالي، مكتبة ومطبعة الشمال، كنو د. ت؛ هذا المرجع ألّفه واحد من أتباع الشيخ إبراهيم الكولخي. وقد ضمنه صاحبه كثيرا من المعلومات المفيدة عن مختلف المراحل في حياة الشيخ وعن أعماله الفكريّة والأدبيّة؛ ● الكولخي، إبراهيم، الدواوين الستّة لشيخ الإسلام وغوث الزمان الحاجّ إبراهيم بن الشيخ الحاجّ عبد الله الكولخي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت د. ت، لا نجد في هذا المصدر شيئا عن حياة الكولخي. فوجه الاستفادة منه هو النظر في انتاجه الشعريّ، والدواوين الستةّ المجتمعة هنا هي: تيسير الوصول، وإكسير السعادات في مدح سيّد السادات صلّى الله عليه وسلّم، وسلوة الشجون في مدح النبيّ المأمون ﷺ، وأوثق العرى في سيّد الورى ﷺ، وشفاء الأسقام في مدح خير الأنام ﷺ، ومناسك أهل الوداد في مدح خير العباد ﷺ؛

● SAMB (A), Essai sur la contribution du Sénégal à la littérature d'expression arabe IFAN, Dakar 1972.

في هذا المرجع معلومات هامّة عن حياة الشيخ إبراهيم، وفيه نماذج مترجمة من نصوصه النثرية والشعريّة. وما يميّزه عن دراسة الغاني كون الرؤية فيه رؤية نقدية.

● Chemo KA (H), Cheikh El-Hadj Ibrahima Niasse. in; Culture et Civilisation Islamiques. ISESCO, 1994, p. 138-139

نجد في هذا المقال معطيات أساسيّة عن حياة الشيخ إنياس. ومن أهمّ ما يضيفه إلى دراسة عامر صمب ذكره لقائمة المدارس التي أنشأها الرجل في حياته. وقد بلغت عشرة مدارس.

د. وليلاي كندو
جامعة بوركينا فاصو

إنياس، أبو عمرو محمد بن عبد الله الكولخي

(1298 هـ / 1881 م - 1378 هـ / 1959 م)

هو الخليفة المتصوّف التجاني أبو عمر محمد بن الحاجّ عبد الله إنياس الكولخي. وهو شقيق الشيخ إبراهيم إنياس (ت 1395 هـ/ 1975 م). كانت ولادته سنة 1298هـ الموافقه لعام 1881 م. وعلى عكس ما ذكره صمب من أنّ مدينة كولاخ (Kaolack) هي مكان ولادته [صمب، عامر، الأدب السنغالي العربيّ، ص 214] جاء عند تشرنوكا أنّ مدينة سلوم (Saloum) الواقعة جنوبي دكار، عاصمة السنغال، هي مولد الشيخ محمد [تشرنوكا، حبيب، في الثقافة والحضارة الإسلامية، ص 166]. يدعّم هذا ما نصّ عليه الكولخي نفسه 1348 هـ/ 1929 م فقال: «أمّا كولخ فلم تكن هي بلدي أصلا. ولكن سكنّاها من نحو عشرين سنة. لأننا سكنّاها سنة 1329 هـ وانتسبت إليها كما هي عادة المنتسبين إلى القرى والبلدان كالعراقيين، والحجازيين، والبغداديين مثلا، فإنهم لا يراعون إلا آخر زمن السكنى كما هو مشتهر، ولو كان الأصل والميلاد في غير ذلك المحلّ. لأن المدنيين مثلا من المهاجرين أصلهم وميلادهم بمكّة أو غيرها من البلدان. فلمّا استوطنوها نسبوا إليها» [إنياس، محمد، الجيوش الطلّع بالمرهفات القطع، ص 13].

كان والده الشيخ عبد الله إنياس علما من أعلام التجانية المشهورين في السنغال وفي غيرها من أقطار إفريقيا الغربية. وقد اعتنى كثيرا بتربية ابنه وتكوينه في الثقافة العربية الإسلاميّة تكوينا واسعا معمّقا. فتلقّى منه محمد إنياس دروسا متنوّعة منها قراءة القرآن وتفسيره. ومنها ما يخصّ علم الحديث والأصول والتصوّف والفقه. كما درس عليه الأدب والبلاغة واللغة والنحو والمنطق والحساب والهندسة والطبّ وغيرها من العلوم. ورفقة والده رحل إلى مدينة فاس المغربيّة سنة 1328 هـ/ 1910 م، بل يذهب بعضهم إلى أنّه هو من قرر الذهاب عبر هذه المدينة إلى مكّة توقا لزيارة النبيّ محمد ﷺ، وأن والده لم يكن إلاّ مرافقه في هذه الرحلة. غير أنّه لمّا وصل إلى فاس توقّف فيها ليلبث بزاوية الشيخ أحمد التجاني. بينما واصل ابنه السير إلى الحجّ. ثمّ عاد إلى المغرب ليدرك بها والده. فعادا معا إلى السنغال.

إثر وفاة والده سنة 1342 هـ/ 1922 م وتولّيه خلافته قرّر الرجوع إلى المغرب ليواصل تكوينه في الطريقة التجانيّة. وفي مدينة الدار البيضاء التقى بأحد أحفاد الشيخ أحمد التجاني. وهو الشيخ سيدي محمود بن محمد البشير. فدرس عليه حتّى نال منه إجازة الورد التجاني. كما راسل آخا هذا الشيخ في تحصيل الطريقة ذاتها. وهو الشيخ محمد بن محمد البشير. وقد نال منه هو بدوره إجازة الطريقة.

لقد كان الخليفة محمد إنياس طالبا نجيبا متواضعا. ويروى أنّ والده قد رأى فيه منذ

صغره علامات ترشّحه لخلافته [إنياس، محمد بن عبد الله، ديوان خاتمة الدرر على عقود الجوهر في مدح سيّد البشر، ص 9]. ولئن لم يخل هذا الرأي من المبالغة والتقديس ففيه تأكيد لما كان له من استعداد ذهنيّ لاكتساب المعرفة والتبحّر في مختلف الفنون والعلوم الإسلاميّة. وكان إلى جانب نهوضه بدور الخلافة وإمامة المسلمين في مدينة كولخ مدرّسا خبيرا في علوم الدين كالفقه والتفسير وفي العلوم العقليّة كالنحو إلاّ أنّ تضلّعه في السيرة النبوية كان أكثر [إنياس، محمد بن عبد الله، الجيوش الطلّع بالمرهفات القطع، ص 8].

وعلى الرغم من كثرة المشاغل الدينية والاجتماعية التي كان يشرف عليها وتكاثر الناس حوله فقد تمكّن من ممارسة الإبداع في الفكر والأدب. ذلك أنّه كان يسهر ليله على العبادة وتأليف الكتب. والحصيلة أنّه خلّد لنا من المؤلفات عددا كبيرا منها المنثور والمنظوم. وكان من حذقه لفنّ النظم أنّه وضع عددا من الدواوين الشعرية الضخمة بعضها في مدح الرسول، وقد ذكر الدّارس صمب أنّه وضع في هذا الباب زهاء خمسة عشر مؤلّفا [صمب، عامر، الأدب السنغالي العربيّ، ص 214] وبعضها في مدح الشيخ أحمد التجاني. وهو نظم لمعان وأغراض دينيّة صوفيّة. على هذا يمكن تصنيفها ضمن إنتاجه في الفكر الصوفيّ.

آثاره

1 - طريق الجنان في مدح سيّد بني عدنان؛ 2 - نيل المرام في مدح خير الأنام؛ 3 - المواهب الإلهية في الغزوات النبويّة؛ 4 - نظم وصايا الشيخ رضي الله عنه؛ 5 - نصيحة الإخوان عن دعوى الولاية بالبهتان؛ 6 - مفتاح الوصول إلى حضرة شيخنا ابن الرسول؛ 7 - ذخيرة الوصايا في الوفود والسرايا؛ 8 - مسامرة الفكر في زيارة القطب الأكبر؛ 9 - النفحة العنبريّة بالفيوضات الربّانيّة؛ 10 - شفاء الصدر في من حضر وقعة بدر؛ 11 - فوز السعداء في التوسل بالشهداء؛ 12 بلوغ التوسّل في مدح الرسول (لامية)؛ 13 - ذخيرة المعاد في مدح خير العباد؛ 14 - الفيض الرباني في التوسّل بأسماء النبيّ ﷺ؛ 15 - الجيوش الطلّع بالمرهفات القطع إلى ابن ما يأبى أخي التنطّع، نشر هذا الكتاب أوّل مرّة في حياة الشيخ. وأعادت نشره مؤسسة "والفجر". وهو كتاب يقع في حوالي مائة صفحة، وهو شرح لمنظوم وضعه الشيخ في الردّ على كاتب موريتاني يسمّى ابن ما يأبى الجنكي الشنقيطيّ. ذلك أنّ هذا العالم قد انتقد الطريقة التجانيّة انتقادا تصدّى له الكولخي بنظم سمّاه "المرهفات القطع إلى ابن ما يأبى أخي التنطّع". يقول عن هذا المنظوم: "وكان يتردد في خاطري شرحه وتعوقني كثرة الأشغال والاتكال على أنّه واف بالمراد، حاسم لمادّة الإنكار وللعناد حتّى ورد عليّ أمر من لا يسعني مخالفته، ولم يمكنّي إلاّ المبادرة بشرحه شرحا وافيا بالمراد مع الاختصار. فوجدني على غير استعداد. ولم يمكنّي إلاّ المبادرة إليه بما أراد. فجاء بحمد الله شرحا لطيفا يوضّح بعض معانيه للتأمل. ليس بالطويل المملّ ولا بالقصير المخلّ وسمّيته بالجيوش الطلّع بالمرهفات القطع" [إنياس، محمد، م. ن، ص 11]؛ 16 - مرآة الصفا في سيرة

المصطفى. وهو منظومة تتألّف من ثمانين وستّمائة بيت شعري قائم على بحر الخفيف. وقد نشر بالقاهرة سنة 1925 م. ويعتبر أحسن ما نظمه الخليفة؛ 17 - ديوان خاتمة الدرر على عقود الجوهر في مدح سيّد البشر. نشرته مؤسسة «والفجر» بدكار سنة 1996م. ويحتوي على نحو أربعمائة صفحة. وقد ألحق به الناشر شروحا أربعة وضعها على قصائد أربع لوالده. وهي «مفتاح الوصول» الذي هو شرح للأميّة «بلوغ السول في مدح الرسول»، وشرح «تهنئة الربيع»، وشرح «زاد الميعاد في تضمين بانت سعاد»، وشرح «تضمين البردة».

هذا الديوان نظم لسيرة الرسول في قصائد مرتّبة على الحروف الهجائية. ومنها همزية وسمها بـ «باب في الوحي عليه ﷺ». يقول فيها [بحر خفيف]:

خصّ في عام اربعين بوحي
حرست فيه بالرجوم السماءُ

بدء وحي النبيّ رؤيا بحقّ
كانفلاق الصباح وهو ضياء

وبيوم الاثنين شهر ربيع
بدء الوحي فانجلى الظلماء

وله آربعون إذ ذاك عاما
وبمرآة القلب منه جلاء

وأتاه جبريل في الغار فردا
وله في الهواء قبل نداء

(...)

ردّ الآية الكريمة طه
وجلا منه ترجف الاعضاء

[الديوان، ص 32]

ومن قصائد الديوان «باب الهجرة الأولى إلى الحبشة» [م.ن، ص 34-36]، و«باب بدء الهجرة إلى المدينة المكرّمة على سكانها أفضل الصلاة والسلام» [م. ن، ص 38- 41]. فقد اجتمعت في هذا الديوان قيمة علميّة تاريخية وقيمة دينيّة وأدبيّة في آن؛ 18 - ديوان الكبريت الأحمر في مدائح القطب الأكبر مولانا أحمد التيجاني. وهو ديوان في الشعر الدينيّ. نشرته مؤسسة «والفجر»، دكار سنة 1996 م. وهو كبير الحجم يحتوي على ما يزيد على خمسمائة صفحة.

لقد كان الخليفة إنياس متبحرا في اللغة العربية غزيرا في إنتاجه الفكري. سواء أكان ذلك من حيث إسهامه في تركيز دعائم الطريقة التجانية ونشرها في السنغال وفي غيرها من بلدان إفريقيا الغربية أم كان من حيث تصنيفه في الفكر الإسلاميّ الكتب التي ذكرنا بعضها. لقد كان حقّا من أبرز العلماء ورجال الدين الذين أسهموا بالسودان الغربي خلال القرن العشرين الميلادي في بناء الحضارة الإسلاميّة ودعم آدابها وعلومها في هذه الربوع.

■ المصادر والمراجع

● إنياس، محمد بن عبد الله، ديوان خاتمة الدرر على عقود الجوهر في مدح سيّد البشر، مؤسسة «والفجر» للنشر، دكار 1996م؛ ● إنياس، محمد بن عبد الله، ديوان الكبريت الأحمر في مدائح القطب الأكبر مولانا أحمد التيجاني، مؤسسة «والفجر» للنشر، دكار 1996 م، ● الجيوش الطلّع بالمرهفات القطّع إلى

ابن ما يأبى أخي التنطع، مؤسسة والفجر للنشر، دكار 1996م؛

- SAMB (A), Essai sur la contribution du Sénégal à la litterature d'expression arabe, IFAN, Dakar 1972.
- Cherno KA (H), Khalifa Hadj Mohamed NIASSE, in; Culture et Civilisation Islamiques, ISESCO, 1994.

د. وليلان كندو
جامعة بوركينا فاصو

أنيس، إبراهيم أحمد

(1324 هـ/1906 م - 1397 هـ/1977 م)

دكتور إبراهيم أحمد أنيس، رائد الدراسات اللغوية الحديثة، ولد بالقاهرة سنة 1324هـ/ 1906م لأسرة كريمة عني عائلها بتربية أبنائه وتعليمهم تعليماً راقياً. تدرج في مؤسسات التعليم، فبعد أن أتم دراسته الابتدائية التحق بتجهيزية دار العلوم، وهى مدرسة ثانوية ملحقة بدار العلوم، ثم التحق بدار العلوم العليا، وتخرج فيها سنة 1930هـ/ 1349م حاصلاً على الدبلوم العالي.

عمل إبراهيم أنيس مدرساً بالمدارس الثانوية، وفي عام 1352هـ/ 1933م فاز في المسابقة التي عقدتها وزارة المعارف (التربية والتعليم حالياً) لاختيار أعضاء بعثة علمية إلى المملكة المتحدة للحصول على درجة الدكتوراه، فالتحق بجامعة لندن، وأمضى بها تسع سنوات (1933 - 1941) وحصل منها على البكالوريوس في الآداب بمرتبة الشرف سنة 1939هـ/ 1358م، ثم حصل على دكتوراه الفلسفة في الدراسات اللغوية السامية سنة 1941م/ 1360هـ وكان موضوعها «دراسة لهجة القاهرة».

وعقب عودته عين مدرساً للغويات في دار العلوم، ثم انتقل منها إلى كلية الآداب بجامعة إبراهيم باشا (جامعة الإسكندرية حالياً)، حيث أخذ يبشر بالمناهج الحديثة في دراسة أصوات اللغة، وكانت في محاضراته استهلالاً لأول كتاب من نوعه في اللغة العربية يتناول الأصوات اللغوية، كما أنشأ معمل الصوتيات لتحديث الدراسات اللغوية، ودراسة الأصوات ومقاييس تصنيفها.

ثم عاد بعد عامين إلى دار العلوم، وترقى في الوظائف الجامعية أستاذاً مساعداً، فأستاذاً، ورئيساً لقسم اللغويات بها.

وقد شغل أنيس منصب عميد كلية دار العلوم مدتين متواليتين بداية من عام 1955م/ 1374هـ، وبدأت المدة الثانية عام 1958م/ 1377هـ، وانتدب للتدريس في كلية الآداب

بجامعة الأردن. وقد أحيل إلى التقاعد سنة 1385هـ/ 1966م، فعين أستاذاً متفرغاً بدار العلوم حتى وفاته إثر حادث سيارة في 20 من جمادى الآخرة 1397هـ/ 8 من يونيو 1977م.

ويعد إبراهيم أنيس واحداً من رواد الدرس اللغوي الحديث في مصر والبلاد العربية، تلقى العلوم اللغوية العربية في أصالتها على أساتذة دار العلوم، وفي لندن التقى ببعض الأساتذة والمستشرقين، وقرأ بحوثاً في اللغات السامية، واطلع على محاولات تفسير الظواهر اللغوية في ضوء نظائرها في اللغات المختلفة، فأفاد من تطبيق النظريات اللغوية الحديثة، مع إدراكه للفروق بين اللغات الأجنبية واللغة العربية. وقد وظف المناهج العلمية الحديثة في تناول اللغة بداية من لهجة القاهرة، وانتهاء بتوجيه الدعوة لاستخدام الحاسب الآلي في إحصاء مفردات اللغة العربية، وفي تحديد العلاقة بين الصوامت والصوائت في القرآن الكريم.

وقد أتيحت له فرصة تطبيق هذه الدعوة في جامعة الكويت، فأجرى البحث لإحصاء جذور اللغة العربية ومفرداتها الواردة في معجمات اللغة كالصحاح للجوهري، ولسان العرب لابن منظور، وتاج العروس للزبيدي. وقد أنتج هذا العمل إحصاء دقيقاً. وكشفت هذه الدراسات عن جهود اللغويين القدماء، ودفعت إلى استخدام التكنولوجيا في الدراسات اللغوية.

كما كان إبراهيم أنيس هو أول من دعا إلى إيجاد نطق نموذجي للغة العربية يُنْشر في جميع البلاد العربية، ووضع لمشروعه خطة مفصلة تشتمل إعداد المدرسين، واستغلال وسائل الإعلام، والاستعانة بالسلطة التشريعية للقضاء على سلطة اللهجات المحلية.

وقد اختير الدكتور أنيس خبيراً بمجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة 1368هـ/ 1948م، ثم نال عضوية المجمع سنة 1381هـ/ 1961م وكان من أعضائه البارزين، جم النشاط، نشر كثيراً من الأبحاث وأسهم إسهاماً فعالاً في أعمال لجنتي الأصول واللهجات خبيراً لهما ثم عضواً بهما، كما كان عضواً بلجنة المعجم الكبير، وامتد نشاطه إلى المجلس والمؤتمر الذى ألقى فيه الكثير من البحوث.

أما مجلة المجمع فقد حفلت بمقالاته وبحوثه، رأس تحريرها منذ سنة 1387هـ/ 1967م فأصدر الأعداد من العدد الثاني والعشرين حتى العدد التاسع والثلاثين. وقد حفلت هذه الأعداد بمجموعة بحوث مميزة له، وكلمات افتتاحية كان يصدّر بها أعداد المجلة، ومنها انطلقت دعواته الجديدة إلى استخدام الحاسوب فى البحث اللغوي، وإلى عالمية اللغة.

آثاره

له كتب رائدة في الدرس اللغوي الحديث، وكان دائم النظر في مؤلفاته، فإذا أعاد نشرها غيّر وبدّل وأضاف، ومنها:

1 - الأصوات اللغوية، صدر في القاهرة سنة 1370هـ/ 1950م، وهو أول دراسة حديثة في أصوات العربية، اتبع فيه منهج دانيال جونز في دراسة الأصوات اللغوية، اعتماداً على المناهج الحديثة، والأجهزة الصوتية الدقيقة. وقد تناول الكتاب جهود القدماء في مجال

الأصوات بداية من الخليل، وسيبويه، وابن جني، وابن سينا، وفسر القراءات القرآنية في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، ووضع لأول مرة نظام المقطع، وقواعد النبر في اللغة العربية. ويعالج الكتاب مقاييس تصنيف الأصوات، وموسيقى الكلام، وتكوُّن الأصوات عند الأطفال والكبار؛ 2 - موسيقى الشعر، صدر سنة 1950، وهو بحث علمي مؤسس على الدراسة الحديثة للأصوات اللغوية، ومعظم أمثلته من الشعر العربي الحديث. أضاف إليه في الطبعة الثالثة سنة 1965 مبحثاً عن الشعر الحر، وفي الطبعة الرابعة سنة 1971 أضاف بحثاً ألقاه في محاضرة عامة بالكويت عنوانه: بين القافية في الشعر العربي والقافية في الشعر الإنجليزي؛ ويعرض الكتاب للعروض الخليلي، وموقف المستشرقين منه، وتحليله وتطور الأوزان الشعرية العربية، ونسبة شيوع كل منها، وأوزان المولدين، وتنوع القوافي وأخطاء الرواة؛ 3 - من أسرار اللغة، وعالج فيه مسائل لغوية كان القدماء قد فرغوا منها، لكن اتصاله بالدراسات اللغوية الحديثة، وما أنجزه المستشرقون في دراستهم للغات السامية، وما أنجزه الغربيون في دراستهم للغاتهم، وما وصلوا إليه من نتائج، أفاده في مقارنة الظواهر اللغوية في العربية بنظائرها في لغات أخرى. وقد تناول الكتاب طرائق نمو اللغة من قياس واشتقاق ونحت وقلب وإبدال وارتجال واقتراض، وفي كل منها يناقش آراء القدماء والمحدثين. كما عالج منطق اللغة وصلة اللفظ بدلالته، ومنطقية بعض الظواهر النحوية. وعالج قضية الإعراب برؤية جديدة وتناول الجملة العربية ونظامها؛ 4 - دلالة الألفاظ، صدر سنة 1958م/ 1378هـ وحصل على جائزة الدولة التشجيعية في الآداب في العام نفسه. والكتاب يعالج الدلالة وفقاً لعلم اللغة الحديث، ويتناول نشأة الكلام في رأي اللغويين القدماء والمحدثين، وأنواع الدلالة والصلة بين اللفظ ودلالته في رأي اللغويين القدماء كابن جني، والأوربيين المحدثين كيسبرسن، واكتساب الدلالة ونموها، والدلالة المركزية والهامشية، والتطور الدلالي، والعوامل المؤثرة فيه وأغراضه، ودور الدلالة في الترجمة. ويتناول الألفاظ العربية من خلال معجمات اللغة، ويعلق على مستوى دلالة الألفاظ فيها وما بها من قصور، ونقل الخلف عن السلف، والحاجة إلى معجم تاريخي عربي؛ 5 - في اللهجات العربية، يتناول اللهجات في ضوء اللغويات الحديثة بدراسة حال العربية قبل الإسلام، وواقع اللهجات فيها، وما بينها وبين القراءات القرآنية من صلة. وعرض أهم قضاياها في بنيتها أو دلالتها، وما بينها من اتفاق واختلاف. ثم انتهى إلى أن العناصر المشتركة بين اللهجات العربية الحديثة تنتمي إلى لهجات عربية قديمة؛ 6 - مستقبل اللغة العربية المشتركة، صدر سنة 1960، ويتناول الحاجة إلى التوحيد اللغوي، ويصف حال اللغة كما يتوقعه في المستقبل؛ 7 - اللغة بين القومية والعالمية، يتناول دور اللغة في تكوين القومية، وتوثيق صلات المجتمع، ويبشر بالعالمية بفضل تواصل أجزاء العالم، تيسيراً للتخاطب على البعد، وإذاعة الأنباء بأسرع ما يكون، وهو إرهاص بظهور اللغة العالمية والقومية الإنسانية.

ومن مقالاته وبحوثه في مجلة مجمع اللغة العربية، ومنها ما أضيف إلى كتبه عند إعادة إصدارها:

1 - وحي الأصوات في اللغة، ج 10، ص 127. 2- تطور البنية في الكلمات العربية، ج 11، ص 165. 3 ـ المصطلح العلمي، ج 24، ص 7. 4 - في التراث المعجمي، ج 25، ص 7. 5 ـ دور الكمبيوتر في البحث اللغوي، ج 28، ص 7. 6 - عودة إلى الإحصاءات اللغوية، ج 30، ص 7.

المصادر والمراجع

● مطر، عبد العزيز، في النقد اللغوي، دار قطري بن الفجاءة، الدوحة، الطبعة الأولى، 1987؛ ● علي النجدي، ناصف، كلمة في تأبين إبراهيم إنيس، مجلة مجمع اللغة العربية، العدد الأربعون 11/ 1977؛ ● رمضان، محمد خير، تتمة الأعلام للزركلي، دار ابن حزم، بيروت، 1998؛ ● محمد عبد الجواد، تقويم دار العلوم، ج 1، القاهرة، 1952؛ ● علام، محمد مهدي، المجمعيون في خمسين عاماً، مجمع اللغة العربية، القاهرة، 1986.

د. إيمان السعيد جلال

جامعة عين شمس ـ القاهرة

أنيس، محمد أحمد

(1339هـ/ 1921م ـ 1406هـ/ 1986م)

محمد أحمد أنيس، أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر. ولد في 21/ 8/ 1921 م بالدرب الأحمر، أحد أحياء القاهرة الشعبية، لأسرة يعمل كثير من أبنائها في حرفة بناء المساجد وترميمها، غير أنها تقدر قيمة العلم، وقد عنى عائلها بأن ينال أبناؤه جميعاً تعليماً راقياً.

أتم محمد أنيس دراسته الابتدائية سنة 1934، ثم التحق بالمدرسة الثانوية، وخلال دراسته بها شارك في المظاهرات التي قامت احتجاجاً على تصريح هور سنة 1935 م.

التحق محمد أنيس بعد ذلك بقسم التاريخ بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة حالياً)، وحصل على الليسانس سنة 1943 بتقدير جيد جداً، وكان أول دفعته، ثم حصل على دبلوم معهد التربية العالي للمعلمين سنة 1945 بتقدير جيد جداً، ثم أوفدته الجامعة في بعثة دراسية إلى المملكة المتحدة لدراسة التاريخ الحديث.

وفي لندن احتك محمد أنيس بالمجتمع الانجليزي، وعاين الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية التي خلفتها الحرب العالمية

الثانية. وشارك في حلقات ثقافية حول مناهج البحث وفلسفة التاريخ، والمدارس المختلفة التي لعبت دوراً في تفسيره، فتفتح وعيه على الفكر الاشتراكي، وقرأ فيه كثيراً.

حصل محمد أنيس من جامعة برمنجهام على معادلة الليسانس في التاريخ الحديث، ثم حصل على الدكتوراه من الجامعة نفسها في مايو 1950، وكان عنوان رسالته:

The Development of the British interest in Egypt in the Late 18 th century.

تناول فيها الصراع على البحر الأحمر بوصفه طريقاً للمواصلات في القرن الثامن عشر.

وعقب عودته إلى مصر عمل مدرساً للتاريخ الحديث بجامعة فؤاد الأول، وترقى في المناصب الجامعية أستاذاً مساعداً، فأستاذ كرسي التاريخ الحديث بجامعة القاهرة.

طرح محمد أنيس في محاضراته آراء جريئة في قضايا شائكة تتصل بالعلاقة بين الوطنية والحرية، والسيادة والاستقلال، وعلاقة مصر بالعالم العربي، وتعرض بسبب آرائه لتعقب السلطة التي كانت تمهد لفصله من الجامعة منذ عام 1954 م، فأضرب تلاميذه في قسم التاريخ عن الدراسة دفاعاً عن أستاذهم، واحتجاجاً على ما يحاك ضده حتى عاد إلى قاعات الدرس، يلقي محاضراته.

ويذكر له تلاميذه أنه عقب العدوان الثلاثي على مصر في أكتوبر 1956 دخل قاعة الدرس وقال لهم: «ليس الآن وقت الكلام، وإنما هو وقت النضال، وليس عندي ما أقوله سوى دعوتكم جميعاً للخروج في هذه اللحظة، والانضمام إلى مراكز التدريب».

شغل محمد أنيس بدرس التاريخ الاجتماعي والاقتصادي، وكان يؤمن بأن المحرك الأول لتسيير حركة التاريخ هو الشعوب، ولذلك عني في مؤلفاته وفيما أشرف عليه من رسائل علمية بمحاولة ربط حركة التاريخ في مصر بدور المقاومة الشعبية، ووقف موقفاً عنيفاً من حركة التغريب ورفض كل صور التبعية للغرب أياً كانت وعدها شكلاً من أشكال الاستعمار، يتستر وراء ادعاء التقدم، ومحاولة اللحاق بالغرب.

ووجه تلاميذه مصريين وعرباً إلى دراسة الحركة الوطنية في مصر، وثورات التحرر في البلدان العربية، والتغييرات الاجتماعية التي دفعت بالحركات الطلابية والعمالية لمواجهة الاستعمار. وتناولت الرسائل العلمية التي أشرف عليها موضوعات مثل: تطور الحركة الوطنية في مصر ضد الاحتلال البريطاني، وأثر تطور الملكية الزراعية في مصر على الحركة السياسية، وأثر الحركة العمالية في تطور التاريخ السياسي في مصر، بالإضافة إلى الحركات الوطنية في العالم العربي. في فلسطين والعراق والجزائر وليبيا وسوريا ..

وقد امتازت الدراسات التي أنجزها أو أشرف عليها بابتعادها عن الخطابية، واعتمادها على الوثائق والمصادر الأصلية التي تعد المادة الأساسية لكتابة التاريخ.

وفي مجال الحفاظ على الوثائق كانت له إنجازات أبرزها: استصدار قوانين تمنع تسرب الوثائق المصرية إلى الخارج، وتأسيس مركز دراسات التاريخ القومي في 25/ 6/ 1964 بهدف جمع وثائق التاريخ المصري المعاصر، الذى عُدل اسمه سنة 1967 إلى

مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر، وقد اشرف عليه د. محمد أنيس بين سنتي 1967 و1975، وقام خلال هذه السنوات بجمع عدد كبير من الوثائق المتعلقة بعصر الملك فؤاد (1917 ـ 1936) ورتبها وفهرسها.

توفي محمد أنيس في يوم الجمعة 23/ 8/ 1986م الموافق ليوم 29 من ذي الحجة 1406هـ.

آثاره

1 - المؤتمر الآسيوى الأفريقي، صدر عن شركة الإعلانات الشرقية 1956. بمناسبة اشتراك مصر في مؤتمر باندونج سنة 1955، وأوضح فيه أسباب انتهاج مصر سياسة الحياد الإيجابي والتعايش السلمي؛ 2 - دراسة القومية العربية من الناحيتين النظرية والتاريخية، أصدره سنة 1958، بعد إعلان الوحده المصرية السورية؛ 3 - صفحات مطوية من تاريخ الزعيم مصطفى كامل، صدر سنة 1962 انفرد فيه بنشر رسائل مصطفى كامل التي كتبها من 8 / 6 / 1895 إلى 19/ 2/ 1896، وتتضح من خلالها العلاقة المبكرة بين مصطفى كامل والخديوي عباس حلمي في أثناء دراسته الحقوق بفرنسا؛ 4 - مدرسة التاريخ المصري في العصر العثماني، صدر سنة 1962 عن معهد الدراسات العربية العالية. يناقش كتابات المؤرخين المصريين في العصر العثماني ومحتوياتها، والمدارس التي تنتمي إليها؛ 5 - دراسات في وثائق ثورة 1919، مكتبة الأنجلو، القاهرة، 1963، يتضمن المراسلات السرية بين سعد زغلول وعبد العزيز فهمي؛ 6 - 4 فبراير 1942 في تاريخ مصر السياسي، صدر في القاهرة سنة 1972، وهو مجموعة مقالات نشرها أولاً في جريدة الأهرام سنة 1967، ويعرض وثائق تحدد مسؤولية حزب الوفد عن الحادث وتربطه بالظروف الدولية؛ 7 - حريق القاهرة 26 يناير 1952 في ضوء وثائق لم تنشر من قبل، صدر بالقاهرة سنة 1972، وهو مجموعة مقالات نشرت في جريدة الأهرام سنة 1969، تحصر مسؤولية الحريق في المخابرات البريطانية والقصر الملكي.

وله باللغة الإنجليزية:

8 - British travellers in Egypt in the 18 th century. مكتبة النهضة، القاهرة، 1957؛

9 - The First Egyptian Society in London, 1740-1743. مكتبة العالم العربي، القاهرة، 1958. وقد اشترك محمد أنيس مع بعض زملائه من أساتذة التاريخ والسياسة في وضع بعض الكتب مثل: 10 - النهضات الأوروبية في العصور الوسطى، بالاشتراك مع سعيد عبد الفتاح عاشور، مكتبة النهضة، القاهرة، 1956؛ 11 - أوروبا في العصور الحديثة بالاشتراك مع محمد فؤاد شكري صدر في القاهرة، مكتبة الأنجلو، 1957؛ 12 - المجتمع العربي، بالاشتراك مع إبراهيم رزقانة صدر سنة 1964، عن دار النهضة العربية. وللدكتور أنيس في هذا الكتاب فصل عنوانه: الثورات التحريرية في الوطن العربي.

المصادر والمراجع

● الآثار العلمية لأعضاء هيئة التدريس بجامعة القاهرة، 1958؛ ● غنيم، عادل،

محمد أنيس، المؤرخ الوطني الذي فقدناه، مقال بجريدة الأهرام، 7/ 9/ 1986؛ • الجميعي، عبد المنعم، اتجاهات الكتابة التاريخية في تاريخ مصر الحديث والمعاصر، القاهرة، 1994؛ • علي بركات، التاريخ وقضايا المنهج في مصر المعاصرة، مجلة قضايا فكرية، القاهرة، 1992.

د. إيمان السعيد جلال
جامعة عين شمس

الأهدل، أبو بكر بن أبي القاسم بن أحمد

(983 هـ/1576 م - 1035 هـ/1626 م)

أبو بكر بن أبي القاسم بن أحمد بن محمد ابن الحسيني التهامي، ولد سنة 984 هـ/ 1576 م وتوفي سنة 1035 هـ/ 1626 م. كان من المتصوفة وقد ألّف العديد من الكتب في ميادين الحديث والتاريخ والتراجم لاسيما تراجم بني الأهدل لكنها لا تزال مخطوطة.

آثاره

1 - الأحساب العلية في الأنساب الأهدلية؛ 2 - النور الباسم في مناقب بني الأهدل؛ 3 - نفحة المندلفي، تراجم السادة بني الأهدل؛ 4 - الفوائد المنتخبة من كتاب شرح طلبة الطلبة في طريق العلم لمن طلبه وعنوانه «النفحات الطيبة»؛ 5 - نظم نخبة الفكر (في مصطلح الحديث)؛ 6 - القواعد (منظومة في مصطلح الحديث).

المصادر والمراجع

• المحبّي، خلاصة الأثر، الجزء 1، ص 64؛ • الزركلي، الأعلام، الجزء 2، ص 440؛ • كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، الجزء 3، ص 69؛ • سيد، أيمن فؤاد، مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي، ص227؛ • الحبشي، عبد الله محمد، مصادر الفكر، ص55 و435 و476.

د. راضي دغفوس
جامعة تونس

الأهدل، بدر الدين أبو عبد الرحمن الحسين

(779هـ / 1387 م - 855 هـ/ 1451م)

بدر الدين أبو عبد الرحمان الحسين بن عبد الرحمن بن محمد الأهدل الحسيني، ولد سنة 779 هـ/ 1387 م وتوفي سنة 855 هـ/ 1451 م. اشتهر بعلمه وقصده الناس للتدريس. له عدة مؤلفات في ميدان التاريخ والتراجم.

آثاره

1 - تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن، وهو عبارة عن تلخيص لكتاب الجندي: «السلوك في طبقات العلماء والملوك»، مع إضافات للعلماء الذين جاؤوا من بعده؛ 2 - تجريد الأسماء المذكورة في كتاب تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن، وفيه ذكر للأسماء الواردة في الكتاب والتعريف بأصحابها وتراجمهم؛ 3 - غربال الزمان في وفيات الأعيان، وهو مختصر لمرآة الزمان لليافعي. وقد فرغ من تأليفه سنة 824 هـ/ 1430 م.

المصادر والمراجع

● السُّليمي، الضوء اللامع في زيارة الجامع، ج 3، ص145-147؛ ● الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع، ج 1، ص 218؛ ● سيد، أيمن فؤاد، مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي، القاهرة، 1974، ص 178-180؛ ● الحبشي، عبد الله محمد، مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن، صنعاء، د. ت، ص 422؛ ● الزركلي، خير الدين، الأعلام، القاهرة 1954-1959، الجزء2، ص259 والجزء 10، ص 74 والجزء 11، ص67؛ ● كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، دمشق، 1957-1961، انظر الجزء الرابع، ص 150 .

د. راضي دغفوس
جامعة تونس

■ الأهدل، حاتم بن أحمد

■ ■ ■

(ت سنة 1013 هـ / 1604 م)

حاتم بن أحمد، كان متصوفا وشاعرا. توفي في مدينة المخا سنة 1013 هـ/ 1604 م.

■ آثاره

1 - ديوان حاتم الأهدل؛

2 - طوالع الجمال ومطالع الكمال (مخ).

■ المصادر والمراجع

● العيدروس، النور السافر في أخبار القرن العاشر، بغداد، 1934، ص 145؛

● المحبّي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، طبعة مصر 1867؛

● الحبشي، عبد الله محمد، مصادر الفكر، ص 332.

د. راضي دغفوس
جامعة تونس

■ الأهدل، حسين بن صديق بن عبد الرحمان

■ ■ ■

(850 هـ / 1446 م - 903 هـ / 1497 م)

حسين بن صديق بن حسين بن عبد الرحمان بن محمد بن علي بن أبي بكر بن علي، ولد ببايات سنة 850 هـ/ 1446 م. وهو حفيد الحسين بن عبد الرحمان الذي سبق ذكره. وقد برع في عدة علوم منها التاريخ والفقه. حج سنة 872 هـ/ 1467 م وانتهت اليه رئاسة الفقه والتصوف. توفي بعدن سنة 903 هـ/ 1497 م.

■ آثاره

1 - اختصار تحفة الزمن لجده المذكور؛

2- ارتياح الأرواح في ذكر الله الكريم الفتاح (مخ).

■ المصادر والمراجع

● السُّليمي، الضوء اللامع، 3، ص144-145؛ ● العيدروس، النور السافر في أخبار القرن العاشر، بغداد، 1934، ص 27-30؛ ● سيد، أيمن فؤاد، مصادر تاريخ اليمن..، ص 192؛ ● الحبشي، عبد الله محمد، مصادر الفكر، ص 283.

د. راضي دغفوس
جامعة تونس

ابن الأهدل اليمني، الحسين بن عبد الرحمان

(سنة 789هـ / 1387 م - 855 هـ/ 1451م)

هو الحسين بن عبد الرحمن بن محمد بن علي، الحسيني الهاشمي العلوي، بدر الدين محمد الشافعي الأشعري. وهو ينتسب إلى الأهدل أحد أجداده الأوائل.

كان ينتمي إلى بيت علم وصلاح، وقد برع في كثير من العلوم العقلية والنقلية، كان فقيها وأصوليا، ومتكلما ومؤرخا، ومفتيا للديار اليمنية، وشيخها في العلم والمعرفة.

وقد ولد وترعرع في «أبيات حسين» باليمن، كما يذهب أغلب المترجمين له، إلا أن السخاوي ومعه عمر رضا كحالة الذي قد يكون أخذ عنه، يذهبان إلى أن ولادته كانت في «القحزية» من بلاد اليمن [كحالة، معجم المؤلفين، ج 4، ص 15]، ثم رحل بعد ذلك إلى «أبيات حسين»: وفي «القحزية» قرأ القرآن وحفظه، ثم انتقل إلى «المراوغة» لدراسة الفقه على العلامة علي بن آدم الزيلعي؛ كما قرأ كثيرا من المؤلفات الفقهية من بينها «الحاوي»، ثم رحل بعد ذلك إلى «أبيات الحسين» فتعمق بها في الفقه على يد العلامة علي بن أبي بكر الأزرق، واختص به وسمع له الكثير حتى أذن له بالإفتاء، وتضلع أيضا في الفقه على العلامة محمد بن إبراهيم الحرضي، وأبو بكر الحادري، والفقيه محمد ابن نور الدين الموزعي، لما قدم عليهم في «أبيات حسين» [السخاوي. الضوء اللامع، ج. 3، ص 145].

وفي مرحلة تالية، انتقل إلى «زبيد» حيث درس «الرسالة القشيرية» على العالم ابن الرداد، كما سمع لطائف ابن عطاء الله بن علي بن عمر القرشي، وأخذ الأصول عن القاضي جمال الدين محمد بن عبد الله الناشري، وبعدهما رحل إلى مكة وحج مرارا وجاور، وسمع بها من فقهاء أمثال ابن ظهيرة. أما بالمدينة فقد التقى وانتفع من الزين المراغي، والرضى أبي حامد المطري، وباليمن استفاد من ابن الجزري، والمجد الشيرازي، بعدما قدما إلى اليمن ثم عاود الرجوع إلى «أبيات حسين».

اطلع على كثير من ذخائر العرب في العلم والمعرفة، وخاصة في الفقه وأصوله، وفي كتب التفسير والحديث واللغة، والدواوين، وكتب الصوفية، وكتب التاريخ، كما أنه عرف عقائد الأئمة ومصطلحات العلماء من الفقهاء والمحدثين والمفسرين والأصوليين، وأهل الأدب، وحقق علم التصوف ومصطلحات الصوفية، وانتقد آراء البعض منهم، أمثال ابن عربي، وابن الفارض. وميز أهل السنة عن غيرهم، وكان شديد الانتصار لانتماءاته العقدية، منتصرا لمذهب أهل السنة (الشافعي)، ومدافعا عن مبادئ الأشعرية، ومفندا، في نفس الوقت، آراء المبتدعة، وطاعنا فيها.

وقد تميز في أخلاقه وسلوكه بالفضيلة والوقار، والكبرياء، فكان «شيخ عصره بلا

مدافع، دارت عليه الفتيا، ورحل إليه الناس للتدريس» [الشوكاني، البدر الطالع، ص219]، وكان مقصد كثير من طلاب العلم والمعرفة للاستفادة من علمه ودروسه، سواء أثناء وجوده بمكة، أو باليمن. وممن أخذ عنه بمكة ولازم دروسه: وتأثر به، وبعلمه، سواء من المقيمين فيها أو القادمين إليها، نذكر منهم: البرهان بن ظهيرة، وابن حريز المالكي، وفتح الدين بن سويد، وأيضا العلامة الفقيه العلاء بن السيد عفيف الدين الإيجي الذي أخذ عنه الفقه وعلومه، حتى أن السخاوي يقول عنه في هذا الشأن: إنه «كان إماما علامة فقيها مفتيا متضلعا من العلوم راسخا في كثير من المنقول والمعقول، مؤيدا للسنة، قامعا للمبتدعة كثير الحط على الصوفية من أتباع ابن عربي ببلاد اليمن، حدث ودرس وأفتى... حتى [صار شيخ اليمن بدون مدافع» [السخاوي، الضوء اللامع، ج.3، ص 147].

آثاره

لابن الأهدل، مجموعة من التآليف والمصنفات، قال عنها السخاوي: «إنني قرأت بخطه المؤرخ بسنة ثمان وأربعين، أن جملة تصانيفه بضعة عشر» [السخاوي، الضوء اللامع، ج. 3، ص 147]. وكان هذا العدد من المؤلفات، قد أتمه قبل وفاته بسبع سنوات تقريبا، ومنها:

1 - كشف الغطاء عن حقائق التوحيد وعقائد الموحدين، وبيان ذكر الأئمة الأشعريين ومن خالفهم من المبتدعين، وبيان حال ابن عربي وأتباعه المارقين. ويتضمن المبادئ والعقائد التوحيدية، حسب المفهوم الأشعري، وفيه ينتصر للمذهب الأشعري ورجاله، على من خالفوهم، كما تظهر مواقفه الفكرية وانتماءاته المذهبية، ومما جاء فيه قوله: «اعلم أن ابن عربي وأتباعه من أشد الحشوية جسارة على التشبيه، والتجسيم الصريح، ووصف الحق بصفات الخلق، والخلق بصفات الحق، وغير ذلك من الفضائح كما سيأتي نقله عنهم قاتلهم الله، وقطع دابرهم، وفي أكثر مذاهب الفرق ما يتعجب منه العاقل الأديب، ويضحك منه اللبيب، لا سيما مذهب الحشوية والرافضة والباطنية» [كشف الغطاء، ص 169]، ولذلك فهو ليس صوفيا كما يعتقد الزركلي [الأعلام، ج.2 ص 1492]؛ 2 - تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن. جاء اسم هذا المؤلف عند خير الدين الزركلي في الأعلام [ج. 1، ص 366]، باسم «تحفة الزمن في أعيان أهل اليمن»، وهو عبارة عن تلخيص تاريخ اليمن للجندي، مع زيادات كثيرة مفيدة مما اطلع عليه، فعلقت في هذه الكراسة ما زاده بعد عصر الجندي، وانتهاء ما أرخه الجندي في حدود الثلاثين وسبعمائة، وله نظم فمنه قصيدة لامية في السلوك. وقد انتفع الناس به وبتصانيفه ومات في يوم الخميس تاسع المحرم بأبيات حسين، ودفن بها رحمه الله [السخاوي. كتاب التبر المسبوك، ص 358]. ولعل هذا هو نفس المؤلف الذي يسميه كحالة: «غربال الزمان المفتتح بسيد ولد عدنان في مختصر مرآة الجنان» [معجم المؤلفين، ج. 4، ص 15]؛ 3 - مفتاح القاري لجامع البخاري، وهو عبارة عن مجموعة من الحواشي كتبها على البخاري انتقاها من شرح الكرماني مع إضافات؛ 4 - اللمعة المقنعة في ذكر فرق المبتدعة.

وفيه يتعرض إلى آراء المبتدعة وفرقهم وطوائفهم؛ 5 - مختصر تاريخ اليافعي. لخص فيه مناقب الشيخ عبد القادر، كما له كتاب آخر عن الشيخ عبد القادر سماه: «الباهر في مناقب الشيخ عبد القادر»؛ 6 - كتاب الأصول، وهو كتاب يرد فيه على محمد الكرماني، ويقول بفساد عقيدته، ومذهبه؛ 7 - مطالب أهل الغربة في شرح دعاء القرآن لأبي حربة؛ 8 - الإشارة الوجيزة إلى المعاني العزيزة في شرح الأسماء الحسنى؛ 9 - الرؤية والكلام فيها، تحدث فيه عن الرؤية في الآخرة، وفي الدنيا يقظة ومناما؛ 10- مسألة القدر، وفيه يرد على آراء الجبرية، وينتصر لآراء الأشعرية.

المصادر والمراجع

● الأهدل اليمني، حسين بن عبد الرحمن، كشف الغطاء عن حقائق التوحيد وعقائد الموحدين، وذكر الأئمة الأشعريين ومن خالفهم من المبتدعين وبيان حال ابن عربي وأتباعه المارقين، تقديم أحمد بكير محمود، تونس 1964، مطبعة الاتحاد العام التونسي للشغل، والجامعة الأمريكية بالقاهرة سنة 1964م؛ ● الشوكاني، البدر الطالع، مطبعة السعادة، القاهرة مصر، 1348 هـ، ج. 1، ص 218-219؛ ● السخاوي، الضوء اللامع، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ج. 3، ص145-146؛ ● م. ن.، كتاب التبر المسبوك في ذيل السلوك، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، مصر، ص 358؛ ● البغدادي، إسماعيل باشا، هدية العارفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت د. ت، ص 315-316؛ ● كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، مكتبة المثنى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، مج. 2، ج. 4، ص 15-16؛ ● الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت 1999، ج. 2، ص 240؛ ● العايدي، شعبان عبد العزيز خليفة، محمد عوض، مداخل الأسماء العربية القديمة، المكتبة الأكاديمية، القاهرة 1996م، مج. 1، ص 266.

د. إسماعيل زروخي
جامعة منتوري - قسنطينة - الجزائر

الأهدل، أبو القاسم بن أبي الغيث

(1185هـ / 1248 م – 1771 هـ/ 1832 م)

أبو القاسم بن أبي الغيث بن أبي القاسم بن عبد الله الحسيني التهامي، ولد سنة 1185 هـ/ 1771 م، وتلقى العلم على بني الأهدل ومنهم والده أبو الغيث (متوفى سنة 1209 هـ/ 1794 م)؛ وتوفي بقرية المنبرة بتهامة سنة 1248 هـ/ 1832 م.

آثاره

الدرر الخطيرة في أعيان المنيرة.

المصادر والمراجع

● زبارة، نيل الوطر، ج 2، ص 182؛ ● أيمن فؤاد سيد، مصادر تاريخ اليمن...، ص 292؛ ● عبد الله محمد الحبشي، مصادر الفكر، ص 454.

د. راضي دغفوس
جامعة تونس

ابن الأهدل، أبو عبد الرحمن

(1179 هـ/ 1765 م – 1250 هـ/ 1835 م)

عبد الرحمن بن الأهدل، ينتمي إلى أسرة الأهدل اليمنية التي أنجبت علماء ومفتين وقضاة، وخلّف أولئك الرجال آثارا علمية وفقهية وصوفية ومؤلفات في الحديث، والفقه، والأنساب، والتراجم، وتولى كثير منهم مناصب القضاء، ومن هؤلاء عالمنا المفتي عبد الرحمن مؤلف كتاب (النفس اليماني والروح الريحاني في إجازة القضاة بني الشوكاني) المولود بمدينة زبيد باليمن سنة 1179 هـ/ 1765 م، وهو من أشهر تلامذة الشيخ أحمد بن إدريس (1163-1253 هـ) مؤسس الطريقة الإدريسية المعروفة.

ويعتبر الأهدل من كبار علماء مدينة زبيد في عصره ومن المأذونين له بالرواية عن الشيخ أحمد بن إدريس، وهو الذي دلّ الشيخ عثمان الميرغني على الشيخ الأستاذ، وكان له دور كبير في نشر تعاليم الإدريسية في بلاد اليمن، وقد ساعده على ذلك وضعه الأسري والديني.

ترجم له محمد بن علي الشوكاني في البدر الطالع، وحسن بن عاكش في الديباج الخسرواني، وإسماعيل البغدادي في هدية العارفين، وشيخ محمد الأهدل في القول الأعدل في تراجم بني الأهدل. والأهدل نفسه

ترجم بدوره لأعلام اليمن السابقين والمعاصرين، وخصّ بالترجمة أولئك الذين نزلوا باليمن في أيامه وتلقى العلم على أيديهم وضمن ذلك في كتاب سماه «النفس اليماني...» المار ذكره.

وللأهدل إجازات علمية تدل على تعدد مصادر ثقافته وعلى أهليته للتصدي للفتيا والتدريس، وله إجازة في جميع العلوم، وله مؤلفات ورسائل، ذكر عبد الله محمد الحبشي في تقديمه لكتاب «النفس اليماني» أنها تتصل بما عرف عنه وتخصص فيه وهو التدريس. وكانت كتبه غالبا ما تصنف لغرض وقتي يتطلبه الأمر حال التدريس لشرح متن أو نظم مسألة وغيره مما يقتضيه الأمر.

اتصل الأهدل بالشيخ الإدريسي في مكة المكرمة وأعجب بطريقته وسلك على يديه قليلاً، وكان يرشد الطلاب للذهاب إليه، وقد سجل في كتابه السابق معارضة علماء الوهابية للشيخ الإدريسي، ويبدو أن الأهدل هو الذي نصح وشجّع الشيخ الإدريسي بالهجرة إلى اليمن، وبعد نزول الشيخ عنده ضيفًا بمدينة زبيد وارتحاله عنها كان الأهدل متحملا لوحده مسؤولية الدفاع عن الإدريسية التي جمعت بين التشريع والتحقيق (التصوف).

وقد كان للأهدل دور إصلاحي كبير في اليمن، فقد كان كثير المجالس والدروس التي كان يحضرها الكثير جدّا من اليمنيين، وقد أشير إلى هذا الأمر في عديد من النصوص منها، أنّه «استنيرت به قلوب سقيمة وتداوت من جراحات غفلاتها قلوب أليمة وازدحم العام والخاص على الاستفادة من تلك العلوم والاقتباس من نور مشكاة فهومه». وما ذلك إلاّ لأن هديه ودروسه كان هديها الهدي النبوي الشريف، وكان مذهبه لا ينحصر بمذهب من المذاهب وإنما بكلّ ما صح به الحديث النبوي.

آثاره

1 - النفس اليماني، وهو من كتبه الكبيرة التي حوت معلومات كثيرة عن الأسانيد وتراجم الأعلام وآثارهم العلمية، وهو مصدر أساسي لتراجم طبقات القرن الثاني عشر الهجري والعلماء الذين درسوا على يد جدّه، والعلماء الذين درس هو على أيديهم ومنهم أستاذه الشيخ أحمد بن إدريس. وقد تناول الأهدل في هذا الكتاب جانبا من نشاطه العلمي وأماليه ومجالسه وإجازاته لأهل زبيد واليمن عموما وما قيل من قصائد في مدحه.

2 - بركة الدنيا والأخرى في الإجازة الكبرى؛ 3 ـ فتح القوي، حاشية على المنهل الروّي لوالده؛ 4 - شرح على بلوغ المرام، وصل فيه إلى كتاب البيوع.

المصادر والمراجع

● البغدادي، هدية العارفين؛ ● الزركلي، خير الدين، الأعلام، قاموس تراجم، بيروت 1969؛ ● الشوكاني، البدر الطالع؛ ● زبارة، نيل الوطر 2/ 30؛ ● سيد، أيمن فؤاد، مصادر تاريخ اليمن، ص 293-294؛ ● الحبشي، مصادر الفكر، ص 70.

د. دريد عبد القادر نوري
جامعة الموصل - العراق

الأهدل، أبو المحاسن سليمان بن عمر يحيى

(1137هـ / 1725 م - 1197 هـ/ 1783م)

أبو المحاسن سليمان بن عمر يحيى بن عمر ابن مقبول الأهدل الزبيدي اليمني، ولد بزبيد سنة 1137 هـ/ 1725م وأخذ العلم عن عدة شيوخ منهم علي أحمد بن محمد الأهدل ورحل إلى مكة وأصبح يلقب بمحدث اليمن وقد توفي سنة 1197 هـ/ 1783م.

آثاره

1 - النفس اليماني، وفيه تراجم لشيوخه؛
2 - وشي حبر السَّمر في شيء من أحوال السفر، وفيه ذكر للعلماء الذين أخذ عنهم؛
3 - المنهل الروي في شرح منظومة الإمام المجد اللغوي في اصطلاح الحديث النبوي.

المصادر والمراجع

● الزركلي، الأعلام، ط 14، 3/ 138، ص 201؛ ● كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، 4 / 272؛ ● سيد، أيمن فؤاد، مصادر تاريخ اليمن، ص 277 - 278؛ ● الحبشي، عبد الله محمد، مصادر الفكر..، ص 65.

د. راضي دغفوس
جامعة تونس

الأهدل، محمد الطاهر بن الحسين بن عبد الرحمن

(914 هـ / 1509 م - 998 هـ / 1589 م)

محمد الطاهر بن الحسين بن عبد الرحمان، ولد سنة 914 هـ/ 1509 م بقرية المراوعة. تتلمذ على عدة شيوخ منهم مؤرخ اليمن وزبيد عبد الرحمان بن الديبع وكان من كبار المحدثين وقد انتهت إليه رئاسة الحديث بعد وفاة شيخه. توفي بمدينة زبيد سنة 998 هـ/ 1589 م.

آثاره

بغية الطالب بمعرفة أولاد علي بن أبي طالب (مخ).

المصادر والمراجع

- العيدروس، النور السافر، ص 447؛
- الحبشي، عبد الله محمد، مصادر الفكر، ص 55 و 432.

د. راضي دغفوس
جامعة تونس

الأهدل، محمد بن عبد الباري

(ت سنة 1195 هـ / 1780 م)

محمد بن عبد الباري بن محمد بن الطاهر... بن علي الأهدل، توفي سنة 1195 هـ/ 1780 م. ويعد من علماء اليمن الذين برزوا في ميدان الحديث. وهو صاحب كتاب «معتمد ذوي العقول المنتزع من جامع الأصول».

المصادر والمراجع

- زبارة، نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر، القاهرة، 1931، الجزء الثاني، ص 282؛
- الحبشي، عبد الله محمد، مصادر الفكر، ص 65.

د. راضي دغفوس
جامعة تونس

الأهدل، يحيى بن عمر مقبول

(1073 هـ/1662 هـ ـ 1147 هـ/1734 م)

يحيى بن عمر مقبول، ولد سنة 1073 هـ/ 1662 م وارتحل إلى زبيد حيث أخذ العلم عن عدة شيوخ ثم حج سنة 1106 هـ/ 1694 م. وتوفي سنة 1147 هـ/ 1734 م.

آثاره

النفس اليماني، مجموع في الأسانيد، ثبت يحيى بن عمر الأهدل.

المصادر والمراجع

● الأهدلي، محمد أديب، القول الأعدل في تراجم بني الأهدل، حمص، 1940، ص123؛ ● زبارة (ت سنة 1380 هـ/ 1960م)، نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف في تراجم أعيان اليمن في القرن الثاني عشر، طبعة مصر، 1940-1956، الجزء الثاني، ص880 ـ 882؛ ● الحبشي، عبد الله محمد، مصادر الفكر، ص 60.

د. راضي دغفوس
جامعة تونس

أهرن القس، ابن أعين

(نحو 21 هـ / 641 م)

أهرن بن أعين القس، طبيب إسكندراني، عاش في صدر الإسلام ودرس الطب في مدرسة الطب في الإسكندرية التي ازدهرت بين القرنين الخامس والسابع الميلاديين، وكانت تدرس الفلسفة إلى جانب الطب، وقد أعد فيها بعض أساتذتها سلسلة من الكتب الطبية سماها العرب «جوامع الإسكندرانيين». وكان من أعلامها أنقيلاوس وفوسيوس وأهرن القس، وقد تُرجم بعض تلك الكتب إلى العربية وضاع أكثر أصولها الإغريقية.

آثاره

صنف أهرن القس كناشاً في الطب يتألف من

ثلاثين مقالة، وهو مؤلف باللغة اليونانية وترجمه إلى اللغة السريانية فوسيوس، أو كما يقول المستشرق لوكليرك: «هو مؤلف باللغة السريانية وترجمه إلى اللغة العربية ماسرجويه. وزاد عليه مقالتين إحداهما في الأغذية، والثانية في الأدوية المفردة كما يقول ابن النديم ومن وافقه ممن نقل عنه».

يعد كناش أهرن القس أول كتاب في علم الطب ظهر في اللغة العربية. لذلك اكتنزه الخليفة الأموي مروان بن الحكم (ت 65 هـ/ 684 م) إلى أن وجده الخليفة عمر بن عبد العزيز (ت 101هـ/ 719م) في خزائن الكتب الأموية فأمر بإخراجه إلى الناس للانتفاع به.

وقد أورد أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي المعروف بابن جلجل (ت بعد عام 384 هـ/ 994م) القصة التالية بعد أن سمعها في مسجد القرموني (قرمون مدينة شرق إشبيلية) سنة 359 هـ من أبي بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن إبراهيم بن عيسى بن مزاحم مولى الخليفة عمر بن عبد العزيز المعروف بابن القوطية القرطبي الإشبيلي وهو أحد شيوخ ابن جلجل: «ووجده الخليفة عمر ابن عبد العزيز في خزائن الكتب فأمر بإخراجه ووضعه في مصلاه، فاستخار الله في إخراجه إلى المسلمين للانتفاع به، فلما تم له في ذلك أربعين صباحاً، أخرجه إلى الناس وبثه في أيديهم» والقوطية هي من بنات ملوك الأندلس وفدت على الخليفة هشام بن عبد الملك (ت 125 هـ) متظلمة من بعض عماله على الأندلس، فتزوجها عيسى بن مزاحم أحد موالي الخليفة عمر بن عبد العزيز وسافر معها إلى الأندلس وأنسل منها، ومنه عرف أبناؤه وأحفاده هذا الخبر، ولابن القوطية كتاب «الأفعال وتصاريفها» وكتاب «تاريخ افتتاح الأندلس» (ت 367 هـ/ 977م).

ضاعت أصول كناش أهرن القس ولم ينته إلينا منه إلا تلك النقول التي نثرها الطبيب أبو بكر الرازي (ت 311 هـ/ 923م) في كتابه الشهير «الحاوي»، وممن وقف على هذا الكناش أيضاً الطبيب علي بن عباس (ت 383 هـ/ 993 م) الذي ذكره في مقدمة كتابه «كامل الصناعة»، وقال عنه إنه مختصر وترجمته سيئة.

اكتسب كناش أهرن القس أهمية كبيرة لأنه أول كتاب طبي ترجم إلى اللغة العربية ولأنه عُدَّ نموذجاً احتذاه بعض أساتذة مدرسة جنديسابور الطبية منذ عام 133 هـ/ 750 م، وكذلك اهتم العلماء المعاصرون المشتغلون بتاريخ العلوم الطبية بالترجمة العربية لكناش أهرن القس لدلالتها على قدم حركة النقل والترجمة إلى اللغة العربية في صدر الدولة الأموية من جهة ووفرة خزائن الكتب في صدر الدولة الإسلامية العامرة بالمؤلفات العربية الأصيلة والكتب المنقولة والمترجمة إلى اللغة العربية من جهة ثانية.

المصادر والمراجع

● ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء، القاهرة 1955م؛ ● ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، بيروت؛ ● الدفاع، علي عبد الله، أعلام العرب والمسلمين في الطب، بيروت 1983م؛ ● فروخ، عمر، تاريخ العلوم عند العرب، بيروت 1970م.

د. زهير الكتبي
دمشق - سوريا

الأهوازي، أبو علي الحسن بن علي

(362 هـ/972 م - 449 هـ / 1057 م)

أبو علي الحسن بن علي بن إبراهيم بن يزداد الأهوازي، مقرئ الشام، عالم مشهور بالقراءات، كان أعلى من بقي في زمانه إسنادا في القراءات على لين فيه، وهو من علماء الطبقة العاشرة للقراء، إضافة إلى كونه راويا للحديث. ولد في الأهواز سنة 362 هـ/ 972 م وبدأت شهرته بالظهور عندما قدم إلى دمشق عام 391 هـ/ 1000 م. ولا تعرف الأسباب التي جعلته يختار دمشق مستقرا له دون مدن دار الإسلام الأخرى، في فترة امتازت بامتداد السيطرة الفاطمية إلى الشام.

تمتاز روايات من ترجم له بأنها مختصرة، وتعاني من ثغرات كثيرة، لا سيما على صعيد نشأته في الأهواز، ورحلته إلى العراق ومصر. وفي الوقت الذي وصلتنا أقدم ترجمة عنه من الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق، فإن الخطيب البغدادي الذي يعد أحد من أجازهم الأهوازي، لم يترجم له في سفره الضخم تاريخ بغداد، لأسباب مجهولة.

تلقى القراءات في البداية في موطنه الأهواز، حيث عني منذ صغره بالروايات والآداء، وقرأ بقراءة قالون سنة 378هـ/ 988 م على أحمد ابن محمد بن عبد الله التستري، وسرعان ما قام في الرحلة لطلب العلم إذ رحل إلى العراق، ومصر، والشام، وأشير إلى أبرز شيوخه في القراءات، حيث قرأ على قراءة أبي عمرو بن العلاء أحد القراء السبعة (ت 154 هـ/ 770 م) على علي بن الحسين الغضائري عن القاسم بن زكريا المطرز تلميذ الدوري، وقرأ على قراءة عاصم (ت 127 م/ 744 م) على أبي بكر محمد بن عبيد الله بن القاسم الخرقي عن ابن سيف. وفي بغداد قرأ على أبي حفص الكتاني، وأبي الفرج الشنبوذي، وهذان القارئان من أبرز علماء القراءات في بغداد آنذاك، لا سيما أبو الفرج الشنبوذي. كما قرأ بدمشق على محمد بن أحمد الجيني صاحب الأثرم، وقرأ على آخرين كثر لا يعرفون إلا من قبله، كما كان عالي الرواية في الحديث، إذ نجده يروي عن نصر بن أحمد المرجي تلميذ أبو يعلى الموصلي، صاحب المسند المشهور باسمه، وروى أيضا عن المعافي بن زكريا الجريري، وعبد الوهاب الكلابي في دمشق، وعبد الله ابن موسى الموصلي، وأبي مسلم الكاتب في مصر، وآخرين.

أما أبرز من تتلمذ عليه فهم أبو علي غلام الهراس، وأبو القاسم الهذلي، وأبو بكر أحمد بن أبي الأشعث السمرقندي، وأبو نصر أحمد بن علي الزينبي، وأبو الحسن علي بن أحمد الأبهري المصيني وأبو بكر محمد بن المفرج البطليوسي، وأبو الوحش سبيع بن قيراط الضرير، وأبو القاسم عبد الوهاب بن محمد القرطبي مؤلف كتاب المفتاح. وحدث

عنه أبو بكر الخطيب البغدادي، وأبو سعد السمان، وعبد الرحيم الحجازي، وعبد العزيز الكناني، والفقيه نصر المقدسي، وأبو طاهر الحنائي، وأبو القاسم النسيب. وروى عنه بالإجازة أبو سعد أحمد بن الطيوري [الذهبي، معرفة القراء، 1/ 323- 324].

وفي الوقت الذي أثنى فيه على الأهوازي على صعيد تمكنه من علم القراءات ضمن القواعد الشرعية التي أجمعت عليها الأمة، حتى لقب بمقرئ الشام، فقد شكك معظم من ترجم له في مصداقية رواياته الكثيرة عن المشايخ في القراءات، لاسيما على صعيد ادعائه أنه أجيز من شيوخ القراءات في بغداد، والذين لم يقرأ عليهم إلا جزءا أو قريبا منه، ولم يختم عليهم القرآن، كما جرت العادة عند منح الإجازة. وقد دفعت الشكوك الكثيرة التي أثيرت عليه في دمشق بعض قرائها وهم رشا بن نظيف، وابن الفرات، وابن القماح، إلى أن يقوموا برحلة إلى بغداد للتأكد من صحة دعواه، إذ أخذوا في القراءة على بعض الشيوخ الذين روى عنهم الأهوازي، ورجعوا بإجازات عنهم، وقد أنقذ الأهوازي نفسه من الفضيحة في اللحظة الأخيرة، عندما ذهب إليهم وسألهم أن يروه إجازاتهم، وبعد أن اطلع عليها، قام بتصحيح إجازته على ضوئها.

أما على صعيد علم الحديث، فهو مصنف ما بين الضعيف والكذاب، إذ روى الكثير من الأحاديث المنكرة سندا ومتنا. ويعود تساهله في الرواية إلى مذهب السالمية الذي كان يؤمن به وهم فرقة من المشبهة الذين يقولون بالظاهر، ويقبلون الأحاديث المضعفة التي تدعم آراءهم. ومن هذه الأحاديث المظلمة التي رواها حديث: «إن الله لما أراد أن يخلق نفسه خلق الخيل فأجراها حتى عرقت ثم خلق نفسه من ذلك العرق». وهذا الحديث وضعه الزنادقة ليشنعوا على أهل الحديث [ابن عساكر، تهذيب، 4/ 194- 195]. ومن أجل هذا كله وقف علماء الحديث موقفا عدائيا منه، فقد وصفه الخطيب البغدادي بأنه كذّاب في الحديث والقراءات معا. كما حمل عليه ابن عساكر وأشار إلى روايته المناكير، وأنه متهم. وكان الذهبي أكثرهم دقة في تشخيص الأسود والأبيض في الأهوازي، عندما أشار إلى أنه كان يركب الأسانيد، ويدعي لقاء الشيوخ، أما على صعيد وضع الحروف في القراءات أو المتون في الحديث فهو بريء من ذلك، وختم تقييمه بأنه بحر في القراءات [الذهبي، سير، 8/ 18].

آثاره

فيما يتعلق بمؤلفات الأهوازي فقد صنف الكتب الكثيرة في القراءات، وفي أسانيد القراءات لديه غرائب كان يشير إلى أنه أخذها رواية وتلاوة. وهذه المصنفات في القراءات هي: 1 ـ الوجيز، الذي رواه عنه بدمشق أبو الوحش سبيع بن المسلم بن قيراط الضرير سماعا عنه وتلاوة؛ 2 ـ الإيجاز؛ 3 ـ الإيضاح؛ 4 ـ الاتضاح؛ 5 ـ جامع المشهور والشاذ [ابن الجزري، النشر، ص 34، 79]، 6 ـ قراءة ابن محيصن؛ 7 ـ قراءة الحسن البصري ويعقوب؛ 8 ـ مفردات القراء السبعة؛ [حاجي خليفة، كشف الظنون، 1/ 140، 2/ 1322- 1323]؛ 9 ـ التفرد والاتفاق بين الحجازيين والشاميين وأهل

العراق في القراءات؛ 10 ـ النير الجلي قراءة زيد بن علي.

وعلى صعيد علم الحديث والعقيدة فقد ألف: 11 ـ الفوايد والعوايد؛ 12 ـ القلائد والفوائد؛ 13 ـ البيان في شرح عقد أهل الإيمان [البغدادي، هدية، 1/ 275؛ كحالة، معجم، 3/ 247].

ولم يصل إلينا شيء من هذه المؤلفات إلاّ روايات منها وظفت في كتب ألفت بعد المؤلف بفترة طويلة باستثناء كتابه «البيان في شرح عقد الإيمان» الذي وصل إلينا منه نسخة ناقصة من الجزء الرابع موجودة في المكتبة الظاهرية في دمشق، مجموع 129 (164-197) [الألباني، فهرس، ص 179]. وقد توفي الأهوازي في دمشق سنة 449 هـ/ 1057م، وكانت له جنازة حافلة.

المصادر والمراجع

● ابن عساكر، تهذيب تاريخ دمشق، عبد القادر بدران، دمشق، مطبعة روضة الشام، 1332 هـ، 4/ 194-195؛ ● ياقوت، معجم الأدباء، تح. د. س. مرجيليوت، القاهرة، مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر، 1355هـ/ 1936م، 9/ 34-39؛ ● الذهبي، معرفة القراء على الطبقات والأعصار، تح. محمد سيد جاد الحق، القاهرة، دار الكتب الحديثة، 1387 هـ/ 1967 م، 1/ 322-325؛ ● م. ن.، سير أعلام النبلاء، تح. شعيب الأرنؤوط ونعيم المرقوسي، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1986 م، 18/ 13-18؛ ● م. ن.، العبر في خبر من غبر، تح. صلاح الدين المنجد الكويت، دائرة المطبوعات والنشر، 1960، 3/ 210-211؛ ● الذهبي، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تح. علي محمد البجاوي، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، 1963، 1/ 512-513؛ ● ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، دمشق، مطبعة التوفيق، 1345 هـ، ص 34، 79؛ ● ابن كثير، البداية والنهاية، بيروت، مكتبة المعارف، الرياض، مكتبة النصر 1966م، 11/ 6؛ ● ابن حجر، لسان الميزان، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات عن طبعة حيدر آباد الدكن 1330 هـ، 4/ 238-239؛ ● ابن الجزري، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، القاهرة، مكتبة القدس، 1350 هـ، ص 34؛ ● البناء، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، القاهرة، المطبعة الميمنية، 1345هـ، ص 5؛ ● حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، طهران، المكتبة الإسلامية، 1387 هـ/ 1947م، 1/ 140، 2/ 1302، 1322 ـ 1323؛ ● ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د. ت.، 3/ 274؛ ● البغدادي، هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، طهران، المكتبة الإسلامية، 1387 هـ/ 1947م، 1/ 275؛ ● كحالة، معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، دمشق، المكتبة العربية، 1376 هـ/ 1957م، 3/ 247؛ ● الألباني، فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية،

دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 1390 هـ/ 1970م، ص 20؛
● بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبد الحليم النجار، القاهرة، دار المعارف، 1977 م، ص 71.

د. رعد محمود البرهاري
جامعة الموصل - العراق

الأهوازيّ، الحسن بن سعيد بن حمّاد

(..... هـ / ..... م - بعد 300 هـ / 913 م)

أصل هذا العالم الجليل من الكوفة، وانتقل مع أخيه الحسين، المحدّث الثّقة المشهور، إلى الأهوز (الأحواز) ومجموعة كور بين البصرة وفارس، كانت تسمّى قديما خوزستان.

وبالنّظر لاشتراك العاملين الأخوين الحسن والحسين ابني سعيد الأهوازيّ في التّصنيف، إذ إنّ مؤلفاتهما تنسب للاثنين معا، ولاتحادهما في السّماع من الشّيوخ، والأخذ عن الرّواة، فقد ترجم لهما قسم من المؤرّخين بعنوان واحد: «الحسن والحسين ابنا سعيد الأهوازيّ».

يُعدّ الحسن بن سعيد الأهوازيّ من أصحاب الإمامين عليّ بن موسى الرّضا (ت 203هـ/ 818م)، ومحمد بن عليّ الجواد (ت 220هـ/ 835م) وفي بعض مصادر ترجمته: أنّه صحب أيضا الإمام عليّ بن محمد الهادي (ت 254هـ/ 868م). وكان وافر الحرمة، وقورا، مهيبا، عظيم الشأن، ذا منزلة رفيعة ومكانة سامية بين علماء عصره وأبناء زمانه، لما يتمتّع به من الكمالات الحسنة، والصّفات الحميدة المستحسنة من التّقوى والورع والتّواضع، فضلا عن المشاركة التّامة في العلوم الشّرعيّة من فقه، وحديث، وتفسير. فهو من رجال الفقه المعدودين الذين أخذوا منه أوفر نصيب، واشتهروا فيه بالتّهذيب والتّرتيب، ورجعوا فيه إلى أصول صحيحة، ونقول صريحة، واطّلاع واسع على المشكلات، واضطلاع بحلّ المعضلات، ولاسيما في فقه المذهب.

هذه الخصال الحسنة مع العلم الجمّ، والدّيانة المتينة، أهّلته لاحتلال مكانة مرموقة عند الإمام عليّ بن موسى الرّضا (عليه السلام)، وأن يكون واحدا من أصحابه الذين يعتمد عليهم الإمام ويثق بهم، فتوطّدت علاقته بالإمام، حتّى أصبح من أقرب المقرّبين إليه، وأخصّهم زلفة لديه، وأكثرهم شفاعة وتردّدا عليه. وكان الحسن الأهوازيّ متودّدا إلى أحبّائه وأصحابه، بارّا بهم، عطوفا عليهم، قد بذل غاية الجهد في منافعهم، وقضاء حوائجهم، والقيام بمصالح من يرد عليه، وإيصال ما تصل قدرته إليه، فسعى طائعا إلى

إدخال إسحاق بن إبراهيم الحضينيّ، وعلي ابن مهزيار، وعبد الله بن محمد الحضينيّ وغيرهم على الإمام عليّ بن موسى الرّضا (عليه السّلام) وتعريفه بهم، وتزكيته لهم عند الإمام، حتّى جرّت الخدمة على أيديهم، فكان سبب معرفتهم لهذا الأمر، وما كانوا فيه من خير وعلم وتقوى.

أثنى عليه المؤرّخون ثناء جميلا، ووصفوه بالتّقوى والعبادة والعلم، وكثرة المؤلّفات، وأشادوا بفضله ومكانته بين أبناء عصره. قال النّديم في كتابه «الفهرست»: «الحسن والحسين ابنا سعيد الأهوازيّان من أهل الكوفة من موالي عليّ بن الحسين (عليهما السلام) ومن أصحاب الرّضا (عليه السلام) أوسع أهل زمانهما علما بالفقه والآثار والمناقب. وغير ذلك من علوم الشيعة...».

ولم تُسعفنا مصادر ترجمته بأسماء شيوخه الذين أخذ عنهم، وسمع منهم، ولم نستطع الحصول على مؤلّف من مؤلّفاته للوقوف على أسماء شيوخه من أسانيد مرويّاته، وذلك لفقدان هذه المؤلّفات وانقطاع أخبارها، ولم تشر المصادر التاريخيّة إلى النّقل عنها، ولو لم يكن له من شيوخ سوى الإمامين عليّ بن موسى الرّضا ومحمّد بن عليّ الجواد لكفاه شرفا وعلما عن سائر الشّيوخ.

لقد أشارت مصادر ترجمة أخيه الحسين بن سعيد الأهوازيّ إلى أنّه شارك أخاه الحسن في جميع رجاله إلاّ في زرعة بن محمد الحضرميّ، وفضالة بن أيّوب، فإنّ الحسين كان يروي عن أخيه الحسن عنهما، وهذا يدلّ على أنّ الشّيخين المذكورين هما من جملة شيوخ الحسن بن سعيد الأهوازيّ.

لقد كان الشيخ أبو محمد زرعة بن محمد الحضرميّ من المحدّثين الثّقات، والمسندين الأخيار، روى عن الإمامين أبي عبد الله جعفر بن محمد الصّادق (ت 148هـ/ 765م)، وأبي الحسن موسى بن جعفر الكاظم (ت 183هـ/ 799م) (عليهم السلام) له كتاب يرويه عنه جماعة من الطّلبة الذين سمعوا منه.

وأمّا الشيخ فضالة - بفتح الفاء - بن أيّوب الأزديّ، نزيل الأهواز، فقد كان فقيها محدّثا ثقة، روى عن الإمامين موسى بن جعفر الكاظم وعليّ بن موسى الرّضا وروى عنه طلابه كتابيه: «الصلاة» و«النّوادر».

ذكرت مصادر ترجمة الحسن الأهوازيّ أسماء عدد من الطّلبة الذين أخذوا عنه العلم، وتتلمذوا له، وتخرّجوا عليه في العلوم الشّرعيّة ولاسيما الفقه والحديث الشريف وتفسير القرآن، وإن كانت المعلومات التي أوردتها تلك المصادر شحيحة، إلاّ أنّها تلقي الضّوء على مكانة الحسن الأهوازيّ وأثره في الحياة العلميّة في القرن الثالث الهجريّ، وكان من أبرز طلاّبه:

- أحمد بن محمد بن الحسن بن السّكن القرشيّ البردعيّ، وأحمد بن محمد بن خالد البرقيّ، أبو جعفر، وأحمد بن محمد الدّينوريّ، أبو العباس الملّقب باستونة، وأحمد بن محمد بن عيسى الأشعريّ القمّي، أبو جعفر، وإسحاق بن إبراهيم الحضينيّ، والحسين بنالحسن بن أبان القُمّي، وعبد الله ابن محمد الحضينيّ، وعليّ بن مهزيار الأهوازيّ، أبو الحسن.

ذكرت مصادر ترجمة الحسن بن سعيد الأهوازيّ: أنّه توفّي بعد سنة ثلاثمائة من الهجرة النّبويّة الشّريفة. وأرى أنّ هذا التّاريخ مبالغ فيه؛ لأنّ الحسن الأهوازيّ كان من أصحاب الإمام الرّضا المتوفّى سنة ثلاث ومائتين، ولا بدّ للصّاحب من أن يكون مؤهّلا لمثل هذه الصّحبة بالغا عاقلا، ومعنى هذا أنّه صاحب الإمام الرّضا (عليه السلام) بعد سنّ التّكليف (الخامسة عشرة)، ومن المستبعد أن يكون قد عاش ما يقرب من خمس عشرة ومائة سنة؟!! وأرجّح أن تكون وفاته بين سنة 265هـ - 275هـ والله أعلم.

آثاره

عُرف الحسن بن سعيد الأهوازيّ بجودة التأليف وكثرة التّصانيف، حتّى قيل: «إنّ الحسن بن سعيد الأهوازيّ صنّف خمسين مصنّفا» وقد أشارت مصادر ترجمته إلى أنّ الحسن شارك أخاه الحسين في مصنّفاتهما، وإن كثر اشتهار أخيه الحسين بها. وإذا تأمّلنا قائمة مؤلّفاتهما وجدناها في فنون العلوم الشّرعيّة، ولاسيما الفقه، والحديث، والتّفسير، والأخبار، راجت في حياتهما، وانتشرت في الآفاق بعد وفاتهما، واعتمد عليها عدد من العلماء والطّلبة على السّواء. وقد رتّبتها على نسق حروف المعجم، وهي:

1 - كتاب الأشربة؛ 2 - كتاب الإيمان والنّذور؛ 3 - كتاب التّجارات والإجارات؛ 4 - كتاب تفسير القرآن؛ 5 كتاب التّقيّة؛ 6 - كتاب الحجّ؛ 7 - كتاب الحدود؛ 8 - كتاب حقوق المؤمنين وفضلهم؛ 9 - كتاب الخمس؛ 10 - كتاب الدّعاء؛ 11 - كتاب الدّيّات؛ 12 - كتاب الرّدّ على الغلاة؛ 13 - كتاب الزّكاة؛ 14 - كتاب الزّهد؛ 15 - كتاب الزّيارات؛ 16 - كتاب الشّهادات؛ 17 - كتاب الصلاة؛ 18 - كتاب الصوم؛ 19 - كتاب الصّيد والذّبائح؛ 20 - كتاب الطّلاق؛ 21 - كتاب العتق والتّدبير والمكاتبة؛ 22 - كتاب الفرايض؛ 23 - كتاب المثالب؛ 24 - كتاب المروءة؛ 25 - كتاب المكاسب؛ 26 - كتاب الملاحم؛ 27 - كتاب المناقب؛ 28 - كتاب النّكاح؛ 29 - كتاب الوصايا؛ 30 - كتاب الضّوء.

المصادر والمراجع

● العاملي، أعيان الشيعة، بيروت، دار التعارف للمطبوعات، 1406هـ؛ ● المامقاني، تنقيح المقال، النّجف الأشرف، المطبعة المرتضوية، 1350هـ؛ ● الطوسي، تهذيب الأحكام، تحقيق السيد حسن الموسوي الخرسان، النجف الأشرف، مطبعة النعمان، 1958م - 1962م؛ ● النّجاشي، الرجال، إيران، مطبعة مصطفوي (لا. ت)؛ ● الطوسي، الرّجال، العراق، النّجف الأشرف، المكتبة الرضويّة، 1380هـ؛ ● النّديم، الفهرست، اعتناء رضا تجدد، طهران، 1971م؛ ● الطوسي، الفهرست، العراق، النجف الأشرف، المطبعة الحيدريّة، 1380هـ؛ ● ابن شهر آشوب،

معالم العلماء، للعلامة محمد بن علي، العراق، النجف الأشرف، المطبعة الحيدرية، 1380هـ؛ ● الخوئي، معجم رجال الحديث، النجف الأشرف، مطبعة النعمان، (لا.ت)؛ ● كحالة، معجم المؤلفين، تراجم مصنفي الكتب العربية، دمشق، 1957م.

د. صالح مهدي عبّاس
مركز إحياء التراث العلمي العربي
بغداد - العراق

الأهوازي، علي بن العباس

(... هـ/ ... م ـ 384 هـ/ 994 م)

علي بن العباس الأهوازي المولود بالأهواز بجنوب فارس بالقرب من جنديسابور، ويعرف عند الغربيين بـ (Haly Abbas)، ولا يعرف تاريخ ولادته بدقة غير أنه عاصر ابن سينا وتوفي عام 384 هـ الموافق لـ994م.

درس الطب على أستاذه موسى بن يوسف بن سيار من أطباء أقطار الخلافة العباسية والذي كان مشهورا في زمن الخليفة القادر بالله (387 422 هـ/ 990-1031م). خدم في بلاط عضد الدولة أبي شجاع فناخسرو بن ركن الدولة حسن بن بويه الديلمي (ت 372هـ/ 983م). وكان فناخسرو عالما ويعضد العلماء وهو الذي أنشأ البيمارستان العضدي في بغداد.

كتب علي بن العباس الأهوازي كتابه بل موسوعته الشهيرة كامل الصناعة الطبية «الكتاب الملكي» ورفعه إلى مخدومه عضد الدولة فناخسرو البويهي، ولم يسبقه إلى كتابة الموسوعات الطبية إلا علي بن سهل بن الطبري في كتابه «فردوس الحكمة»، وأبي بكر محمد بن زكريا الرازي (ت 313 هـ/ 925 م) في كتابه «الحاوي في الطب».

ويعتبر كتاب كامل الصناعة الطبية «الكتاب الملكي» من أشمل الكتب الطبية جمع فيه مؤلفه علم الطب بكامله في ذلك العصر وانتقد فيه من سبقه من الأطباء المؤلفين حتى أبا الطب أبقراط، وجالينوس، وأوريباسيوس، ويوحنا بن سرافيون، ومسيح ابن حكم الدمشقي، وأهرن صاحب الكناش باللغة السريانية كما انتقد الرازي في كتابه «الحاوي».

وقد أطرى نفسه في مقدمته لكتابه فيقول: «أما أنا فإني أذكر في كتابي هذا جميع ما يُحتاج إليه من حفظ الصحة ومداواة الأمراض والعلل وطبائعها وأسبابها والأعراض التابعة لها، والعلامات الدالة عليها. مما لا يستغني الطبيب الماهر عن معرفته».

ومما يلفت النظر في الكتاب هو التزام الأهوازي بأخلاقية الطبيب والمثل العليا التي

يحثّ عليها، وأفاض بضرورة المحافظة على شرف المهنة والإخلاص في الممارسة فقال: «ينبغي لمن أراد أن يكون طبيبا فاضلا عالمًا أن يقتدي بوصايا أبقراط الحكيم الذي أوصى المتطببين بها في عهده، وأن يجتهد في مداواة المرضى وحسن تدبيرهم» كما قال: «ينبغي للطبيب أن يكون طاهرا ذكيّا بيّنا مراقبا لله عزّ وجلّ، رقيق اللسان، محمود الطريقة، متباعدا عن كل نجس ودنس وفجور، وألا يفشي للمريض سرّا، ولا يطلع عليها قريبا فإن كثيرًا من المرضى يعرض لهم أمراض يكتمونها عن آبائهم وأهاليهم ويفشونها للطبيب».

إضافة إلى هذه الأخلاقية الرائعة والمثالية في الحفاظ على شرف المهنة فإن الأهوازي يعتبر رائدا من الرواد الأوائل في علم التشريح والتشخيص التفريقي والمعالجات الجراحية.

وخلاصة القول: يعتبر علي بن العباس الأهوازي نابغة عصره بعلمه وطبّه ويرى كثير ممن قارنوا كتابه «كامل الصناعة الطبية» بكتاب ابن سينا «القانون في الطب» رجحان الأول على الثاني.. قال جمال الدين القفطي في الصفحة 232 من كتابه «تاريخ الحكماء»: الملكي في العمل أبلغ والقانون في العلم أثبت.

وقد ترجمه قسطنطين الأفريقي (ت 1078م) إلى اللاتينية في مدرسة مونتي كاسينو دون أن يشير إلى مؤلفه الأهوازي، وبقي الكتاب يُدرّس على أنه لقسطنطين الإفريقي إلى أن ظهرت له ترجمة ثانية قام بها اصطفان الانطاكي حوالي سنة 1200م.

وقد طُبع الكتاب بالعربية في البندقية عام 1492م ثم في ليون عام 1523م ثم في لاهور عام 1283هـ/ 1866م ثم في بولاق بالقاهرة عام 1294هـ/ 1877م.

وبقيت الترجمة اللاتينية لهذا الكتاب من مقررات الدراسة في كليات الطب بأوروبا إلى جانب الدراسات اللاتينية لكل من «الحاوي» للرازي، «القانون» لابن سينا و«التصريف لمن عجز عن التأليف» للزهراوي و«التيسير في المداواة والتدبير» لابن زهر حتّى القرن السادس عشر. ومما عرف من نسخ «كامل الصناعة الطبية» وقيده الباحثون ما ذكره كارل بروكلمان في كتابه «تاريخ الأدب العربي» في الصفحات. G:I 237 . و S:I 423 بما وقف عليه في المظان التالية: برلين، ليدن، المتحف البريطاني، بانكيبور، كمبريدج، مدريد، مانشيستر، مكتبة البودليان، باريس، الإسكوريال، لينينغراد، الأمبروزيانا، برينستون، القرويين بفاس، الهند، بيروت، التيمورية بالقاهرة، الموصل، تركيا، مشهد، رامبور..

ثم جاء فؤاد سزكين فاستدرك على بروكلمان ما فاته مما لم يقف عليه وجمعه وضمه إلى ما صنعه بروكلمان وأخرج من ذلك الكتاب الحافل المحيط «تاريخ التراث العربي» والذي نشره بالألمانية ثم نقل إلى العربية ذكر فيه نسخ «كامل الصناعة الطبية» في الجزء السادس الصفحات 321-322 .

وقد تمكنتُ مع محمد رواس قلعة جي، وبعون الله ورعايته، من تحقيق الأجزاء المتعلّقة بطبّ العيون من كتاب كامل الصناعة الطبية «الكتاب الملكي» ونشرته وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية - دمشق عام 1997م.

المصادر والمراجع

● القفطي، جمال الدين، تاريخ الحكماء، ترجمة يوليوس ليبرت، ليبزيغ 1903، ص 232؛ ● ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، شرح وتعليق نزار رضا، منشورات دار الحياة بيروت 1965، ص319-320؛ ● خليفة، حاجي، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الفكر، دمشق - سوريا 1402هـ/ 1982م، ص1380؛ ● الزركلي، خير الدين، الأعلام، ط 6، دار العلم للملايين بيروت 1984، 4/ 297؛ ● كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، مكتبة المثنى، بيروت 1957، 7/ 116؛ ● السامرائي، كمال، مختصر تاريخ الطب العربي، منشورات وزارة الثقافة والأعلام، الجمهورية العراقية 1985، 1/ 536-541.

د. محمد ظافر الوفائي
طبيب كحال - دمشق

الأهوازي، أبو الحسن محمد بن عبد الله

(..... هـ/ ..... م - حوالي 330 هـ/ 941 م)

أبو الحسن محمد بن عبد الله بن منصور أو أبو الحسين أحمد بن الحسين الكاتب الأهوازي هو عالم رياضي معروف من القرن العاشر عاش حوالي 330 هـ/ 941م، ورد ذكره في كتابات البيروني وأبي جعفر الخازن، وقد عاش في إيران على الأقلّ خلال مدة من حياته. وهو رياضي معروف ترك عدة مؤلفات حفظت نسخها، لكن لم ينشر منها شيء بعد. وهو ليس أبا الحسن علي بن عباس المجوسي الأهوازي (384 هـ/ 994 م) الطبيب مؤلف كتاب «كامل الصناعة الطبية».

لا يُعرف إلى حدود اليوم إلاّ الشيء اليسير عن حياة وأعمال الأهوازي الرياضي، الذي ينسب إليه عدد من الآثار العلمية في الرياضيات، والفلك، والميكانيكا. من أشهر مؤلفاته يذكر المؤرّخون شرحه على المقالة العاشرة لكتاب الأصول لأقليدس والتي توجد نسخ منها بعدة مكتبات مثل مكتبة آياصوفيا بإسطنبول (مخ 2742)، وليدن (مخ. شرقي 1024) وباريس (المكتبة الوطنية، مخ. عربي 2467)، والقاهرة (دار الكتب، مخ. ك4528)، وبرلين (مخ. آهلفاردت 5923، موجود الآن بكراكوفيا ضمن المجموع 258 .سن) وغيرها. وتبدأ هذه النسخة الأخيرة بالجملة: «هذه كلمات من شرح المقالة العاشرة من كتاب أقليدس من تصنيف الأهوازي». وربّما تدل هذه الإشارة إلى أن هذا العمل مقتطف من كتاب أطول. وإلى أبي الحسن الأهوازي تنسب الترجمة العربية

لكتاب هندي هو «الآريابهاتيا» من تأليف العالم الهندي المعروف آريابهاتا (انتهى من تأليفه سنة 499م) الذي يسميه البيروني في كتاب الهند «آرجبهد». و«الآريابهاتيا» كتاب فلكي مختصر في 118 بيتا شعريا، 33 منها مخصصة للرياضيات. وعُرفت ترجمة الأهوازي تحت عنوان «الزيج الآرجبهار»، ومكّنت علماء العالم الإسلامي من الاطّلاع على مجموعة من النتائج العلمية الهندية. كما يشير البيروني إلى أنّ الأهوازي كتب كتابا حول معارف الروم لكنه لا يشير إلى محتوياته. ولم يعثر إلى حدّ الآن على نسخة من هذا المؤلّف.

ومن كتابات الأهوازي نجد رسالة في وصف الميزان تعرف اليوم في نسخة وحيدة محفوظة في المكتبة الشرقية بخودا باكش بباتنه بالهند [مخطوط، 2928/ 2] ضمن مجموع يضم عددا من الكتابات الرياضية العربية، منها نسخة من شرح الأهوازي على المقالة العاشرة لكتاب الأصول لأقليدس [مخطوط، 3/ 2928] وكتاب في الجبر لشرف الدين الطوسي. ورسالة الأهوازي عبارة عن نص قصير في صفحتين يعرض لمسائل الوزن والميزان من الوجهة النظرية والعملية. ولا تتوفّر الرسالة على عنوان في بدايتها وتبدأ بعد البسملة الجملة التالية: «قال الشيخ أبو الحسن محمد بن عبد الله بن منصور الأهوازي»، وهذا ما يحدد أرضية صلبة لنسبتها إلى عالِمنا. أما خاتمتها فتقول: «فهذه المقالة كافية في معرفة نسبة القبان وكيفية صنعته». ويمكن اعتبار هذه الجملة عنوانا مؤقتا لهذا النص «مقالة في معرفة نسبة القبان وكيفية صنعته» إلى حين العثور على نسخ أخرى.

يمكن تقسيم رسالة الأهوازي إلى عدة أقسام. في البداية، يميّز بين «الميزان العادي» والقرسطون، الذي يسمّيه قبانا أيضًا، ويدلّ هذا الترادف على أنّ استخدام الكلمة العربية «قبان» بدأ في القرن العاشر لتعويض «قرسطون» ذات الأصل الإغريقي. ثمّ يحدّد مبدأ عمل الميزان قائلاً: «إن القصد في الأشياء الموزونة هو مساواتها للصنجة التي توزن بها في الثقل، وإنّما تحصل هذه المساواة بموازاة عمود الميزان (للأفق). فإذا كان معلاق الميزان، ويسمّى مركزه أيضًا، في وسط العمود سواء سمي ميزانا، وإذا كان ذلك في غير وسطه سمي قبانا وقرسطونا». ويرتكز التميز بين الميزان العادي المتساوي الأذرع والقبان على أن الميزان لا يمكن أن يوزن به بصنجة واحدة موزونات مختلفة، بينما يوزن في القبان موزونات مختلفة بصنجة واحدة وهي الرمانة.

بعد ذلك يأتي الإعلان عن قانون المحل: نسبة ما بين المعلاق وموضع تعليق الرمانة إلى ما بين المعلاق والطرف الآخر من طرفي العمود كنسبة الموزون إلى وزن الرمانة مثلا، إذا كانت نسبة القسم الأطول من القبان إلى قسمه الأصغر مثل نسبة 10 إلى 1، وكان وزن الرمانة 10 أمناء (المَن يساوي حوالي 2.5 أرطال أو حوالي 900 غرام)، كان أكثر ما يمكن أن يوزن بهذا القبان 100 أمناء: أي $1/10 = 10/100$.

كما تتعرّض الرسالة إلى مسألة إصلاح القبان ووضع العلامات على عموده، وإيجاد الرمانة

عندما تكون الأصلية منعدمة، وأخيرا صنع مختلف أنواع الموازين: ميزان متساوي الأذرع تكون إحدى كفتيه متحرّكة على أحد الذراعين، ميزان بثلاثة أذرع، وميزان ثالث بأربع كفات معلقة من أطراف عمودين متساويين يتقاطعان في الوسط على زوايا قائمة. وقد تناولت الرسالة كل هذه المواضيع باقتضاب واختصار ولكن سيكون من المفيد اجراء مقارنة بين المنهجية التي اتبعها الأهوازي والمقاربة المتبعة من طرف العلماء المسلمين الآخرين الذين كتبوا حول نفس الموضوع مثل إيليا المطران والإسفزاري.

تشكل رسالة الأهوازي حول الميزان جزءًا من تقليد علم الأثقال العربي وتعد من ثماره الأولى مثل كتاب في القرسطون لثابت بن قرة (توفي 288 هـ/ 901 م) وتميز بنفحة تعليمية تميل إلى الاختصار. وقد تكون النسخة التي وصلتنا منها في الصورة التي يقدمها مخطوط باتنه مجرد تلخيص وُضع في فترة متأخرة لكتاب أطول حول نظرية الموازين وتطبيقاتها.

المصادر والمراجع

● قرباني، أبو القاسم، رياضيدانان إيراني از خوارزمي تا ابن سينا «بالفارسية»، طهران، 1350هـ/ 1971م، ص242-245؛

● F. Sezigin, Gescgichte de Arabischen, Leiden: E.J. Brill, 1974, Vol. V Schriftums, (Mathematik), p. 312-313.

د. محمد أبطوي
معهد ماكس بلانك لتاريخ العلوم
برلين - ألمانيا

الأهواني، أحمد فؤاد

(1326هـ/1908م - 1390هـ/1970م)

أستاذ فلسفة مصري بارز ذو أسلوب أدبي عال متميز، تخرج في كلية الآداب جامعة القاهرة في أولى دفعاتها وعمل بالتدريس في المدارس الثانوية، ونال الدكتوراه في الفلسفة من كليته سنة 1943، فانتظم في سلك هيئة التدريس بكليته، وأعير للجزائر أستاذًا في كلية الآداب، وفيها توفي.

مارس في بداية حياته التعريف بالكتب ونقدها على صفحات مجلة الثقافة، وكان ممن عرّف بكتبهم: أحمد أمين ،وطه حسين، وأبو العلا عفيفي، وإبراهيم مدكور، ومحمد بدران، وزكي نجيب محمود، ومحمد عبد الغني حسن، ومحمد فريد أبو حديد، وأحمد رمزي بك، ومحمد عوض محمد وآخرين من أساتذته وزملائه في كلية الآداب.

تقدم هو وزكي نجيب محمود لمنافسة الدكتور

عبد الرحمن بدوي على أستاذية كرسي الفلسفة في آداب عين شمس لكن الدكتور بدوي فاز بالكرسي.

كانت له كتاباته المتميزة في الفلسفة، وعلم النفس، والتربية وقد ساعدته كتاباته المبكرة في المجلات الثقافية على التمكن من الطريقة التي يعالج بها الموضوعات العلمية الصعبة، وكان في كل ما كتب من دراسات ومقالات وكتب قادرًا على التعريف والشرح والتلخيص، وعلى التحليل والمناقشة والنقد ووضع المقارنات والوصول إلى النتائج.

وكان يفرق بين كون الفكرة معقولة، وكونها لها قيمة في الحياة. وهو يقول في كتابه «المعقول واللامعقول» الذي صدر بعد وفاته: ليس يكفي أن تكون الفكرة معقولة؛ وإنما لا بد أن ننظر - أيضًا - من جهة قيمتها. وهناك صلة بين المعقولية والقيمة. فكلما اعتقد الإنسان في قيمة الشيء، كان بالنسبة له أكثر معقولية.

كان الأهواني في جيله بمثابة أستاذ الفلسفة، صاحب الرؤية، القادر على إبداء الرأي في الفلسفة وغير الفلسفة منطلقًا من تفكير فلسفي خصب لا يقف مكتوفًا أمام ما يجدّ، لكنه كان يعالج قضايا الحاضر المتغير بثوابت فكرية قادرة على الوصول إلى الصواب، وقد أسهم بوضوح في كثير من القضايا الفكرية والأدبية والفنية والاجتماعية وخاصة في السنوات الأخيرة من حياته، وكان بمثابة المثقف الفيلسوف الإيجابي وقد كان حريصًا على أن ينبه أبناء قومه إلى أن تقدم المجتمعات لا يكون إلا عن طريق الأخذ بالعقل، والأخذ بالأسباب والمسببات، وهو يقول في آخر صفحة من صفحات كتابه «المعقول واللامعقول»: «إن الشرق في نهضته المعاصرة لا يزال متخلفًا، وفي حاجة إلى الأخذ بالمعقول، والابتعاد عن اللامعقول. في حاجة إلى المعقول، أي إلى استخدام المنطق الحديث، وإلى الاعتماد على النظام والترتيب، وإلى الاعتراف بوجود الأسباب، وإلى السير في طريق الجد لملاحقة سير العالم المتقدم، وإلى التخطيط الصادر عن هيئات العلماء وذوي العقول». وكان الدكتور الأهواني يرى أن الفكرة المعقولة هي ثمرة الحوار بين الناس، إذ إن الإنسان يعد كائنًا اجتماعيًا، والقصد من الحوار هو تبادل الرأي، واحتكاك الفكر حتى نصل إلى الفكرة المعقولة التي يقبلها أكبر عدد من الناس في مجتمع من المجتمعات، بل عندما أصبح المجتمع في الوقت الحاضر عالميًا يأخذ من شرق وغرب، فقد ارتفعت هذه الأفكار المعقولة إلى المستوى العالمي، فلا بد إذًا من حوار بين شخصيات عالمية تسمو فوق صعيد المجتمعات الإقليمية الصغيرة بصرف النظر عن الجنس واللون والتقاليد وغير ذلك. وكلما كان الحوار متصلا وشاملا لأكثر من شخص، اتسع نظر الفرد منا فأصبح شاملا، وبحيث يمكن القول بأن الحوار هو سمة الإنسان منذ كان، والفلسفة عند سقراط منذ أكثر من عشرين قرنًا من الزمان - كانت حوارًا بينه وبين الشباب، ثم إن الحوار يكشف للمفكر عن جوانب ما كان يلتفت إليها، فهو سبيل إلى النقد والامتحان والتصحيح.

كان الدكتور الأهواني من أشد أساتذة الفلسفة في جيله عناية باللغة وبوظيفتها في تحقيق

الاتصال الإنساني والحوار الكفيل بتحقيق التقدم.

آثاره

تعددت مجالات اهتماماته المعرفية في نطاق الفلسفة، وعلم النفس، والتربية.

1 ـ الفلسفة الإسلامية:

1 ـ الفلسفة الإسلامية بالانكليزية، وهو مجموعة محاضرات ألقاها في واشنطن عام 1956، 2 ـ التربية في الإسلام، ـ «التربية الإسلامية» ـ «التعليم في رأي القابسي» وهي رسالته للدكتوراه، وقد نشرتها دار إحياء الكتب العربية، كما نشرتها دار المعارف مع اختلاف العنوان الذي ظهر بالصور الثلاث التي ذكرناها. 3 ـ رسالة الفيلسوف العربي يعقوب الكندي إلى المعتصم بالله في الفلسفة الأولى، دار عيسى الحلبي، 4 ـ أحوال النفس لابن سينا، 5 ـ الشيخ الرئيس «ابن سينا» 6 ـ «الكندي فيلسوف العرب».

2 ـ في المنطق:

7 ـ تاريخ المنطق، 8 ـ المنطق الحديث، 9 ـ المعقول واللامعقول، 10 ـ إيساغوجي لفرفريوس الصوري، (تحقيق).

3 ـ فلسفة علم الرياضيات:

11 ـ ترجمة كتاب برتراند رسل: «أصول الرياضيات» بالاشترك مع أستاذ الرياضيات الدكتور محمد مرسي، وقد نشرته دار المعارف في جزأين. 12 ـ مراجعة ترجمة الدكتور محمد مرسي أحمد لكتاب برتراند رسل «مقدمة الفلسفة الرياضية»، وقد نشرته مؤسسة سجل العرب. 13 ـ ترجمة مجموعة من فصول كتاب سارتون الشهير «تاريخ العلم».

4 ـ الفلسفة الغربية:

14 ـ «فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط» 15 ـ كتاب عن أفلاطون، 16 ـ المفكر التربوي الأمريكي جون ديوي نشر ضمن سلسلة نوابغ الفكر الغربي، دار المعارف، وقد طبع كل منهما أكثر من مرة، 17 ـ ترجم لديوي كتابه «البحث عن اليقين» ونشرته دار عيسى البابي الحلبي، 18 ـ راجع ترجمة عبد المجيد أبو النجا (1966) لكتاب ألكسندر كواريه «مدخل لقراءة أفلاطون». 19 ـ ترجمة كتاب ديورانت، «مباهج الفلسفة» نشر مؤسسة فرانكلين في جزأين.

5 ـ في الفلسفة العامة:

20 ـ في عالم الفلسفة، 21 ـ معاني الفلسفة، 22 ـ المدارس الفلسفية.

6 ـ في علم النفس:

23 ـ كتاب خلاصة علم النفس، 24 ـ أسرار النفس، 25 ـ ترجمة كتاب النفس لأرسطو، 26 ـ تحقيق رسالة «أحوال النفس» ابن سينا، 27 ـ تلخيص كتاب النفس، لابن رشد.

المصادر والمراجع

• إلى اثنين من تلاميذ أحمد فؤاد الأهواني يعود الفضل في التعريف به بأثره في الثقافة الفلسفية وقد كتب الدكتور عاطف العراقي عن دوره في حياته الفكرية مقالا قيمًا في مجلة الثقافة الجديدة سبتمبر

1987، كما نشر الدكتور عبد الفتاح الديدي مقالا عنه في مجلة «علم الفكر» عقب وفاته، وكتب الشاعر المجمعي الأستاذ محمد عبد الغني حسن رثاء له عقب وفاته نقل عنه الأستاذ خير الدين الزركلي في الإعلام.

د. محمد الجوادي

عضو مجمع اللغة العربية - القاهرة

الأهواني، عبد العزيز محمد

(1334 هـ / 1915 م - 1401 هـ / 1980 م)

اشتهر باسم عبد العزيز الأهواني. ولد عام 1915 م، وتوفي عام 1980م، وما بينهما عاش حياة درامية تزوّج فيها من العلم والمروءة والفضل، وأنجب كل علماء الأندلسيات في مجال أدب الأندلس وتاريخ ذلك الفردوس المفقود وثقافته وعلمه على مستوى العالم العربي، ونسبيا على مستوى أوروبا والولايات المتحدة، ويدين له بالوجود تدريس الأدب الأندلسي كمادة مستقلّة في جميع الجامعات العربية. وقد توفي بكامل ملابسه الرسمية جالسا على سلّم منزله أثناء نزوله للسفر إلى مسقط رأسه «مدينة بلبيس» بمصر لدفن أخيه المتوفَّى قبله بساعات، وكان قد تلقى خبر موته في حفل زفاف إحدى تلميذاته.

ومن المشاهد الدرامية إصداره قرارا بفصل نفسه من عمله، ووقع القرار باعتباره رئيس مجلس إدارة الهيئة المصرية العامّة للمسرح والموسيقى والفنون الشعبية عندما رفض وزير الثقافة قبول استقالته من هذا المنصب الذي شغله (1968 - 1969)، وحال بينه وبين تحقيق رسالة هذه الهيئة قيود سياسية وبيروقراطية.

لم يتخصّص في الأدب الأندلسي صدفة، بل منذ شبابه المبكّر -حسبما قال لي وكتب في أوراق لسيرته الذاتية التي لم تنشر بعد- شغلته فكرة تقدّم عالمه العربي، وأراد بدراسة مجمل علوم وإبداع الأندلس معرفة آلية استفادة الغرب من تراثنا العربي في الأندلس لتحقيق نهضة أوروبا الحديثة لاقتراح آلية مثيلة لاستفادتنا من تراث الغرب الحديث والمعاصر.

من ثمّ استخدم دراسة الأدب الأندلسي نواة للتعرّف على علوم الأندلس وفنونه وفلسفته وثقافته، وكيفية انتقال كل هذا إلى إسبانيا وإيطاليا وفرنسا. ولهذا أثناء عمله خلال الأربعينات في المكتبة العامة لجامعة القاهرة (قبل التحاقه بنفس الجامعة أستاذا في الخمسينات واستمراره في هذا العمل حتّى وفاته) سجّل لدرجة الماجستير في موضوع شائك هو الموشحات الأندلسية، والتي تتناول دارستها العلاقات بين الحضارة العربية بكل زخمها آنذاك والحضارة اللاتينية

الرومانية. وخلال ذلك كلّفه أستاذه طه حسين بالاشتراك مع آخرين بتحقيق أوّل كتاب وصلنا كتبه الأندلسيون لتاريخهم الأدبي وهو كتاب «الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة» لابن بسام الشنتريني، على صعوبة ذلك العمل لما يمتلىء به هذا الكتاب من أعلام وإشارات ليس لمعظمها مصدر معروف آنذاك إلا الكتاب نفسه.

ثم يسجّل للدكتوراه في موضوع «الأزجال الأندلسية»، وبهذا يبدأ الأهواني حياته العلمية بأكثر الموضوعات الأندلسية الأدبية صعوبة، ودخولا في مجال الحوار بين الحضارات الممزوج بكثير من الصراع. فالموشحات في بنيتها المتعددة القوافي والأوزان والمستويات اللغوية، فجسم الموشح معرب وخرجته تميل إلى العامية العربية والرومانيّة، والزجل بعاميته الأندلسية الممزوجة بألفاظ وعبارات رومانثية يعكسان معًا حياة احتفالية، فخرجات الموشحات والأزجال كما أثبت الأهواني- مقتطعة من أغان شعبية أندلسية عربية ورومانثية فرضت على هذين الفنّين عَروضًا غير خليلي، ونظاما آخر للقوافي والإيقاع يقوم على تعدّدية لم يعرفها الشعر العربي المشرقي، وكتبت للغناء تسبق فيها الموسيقى الكلمات، كما أن الأزجال تصف مجتمعا تعدديا استبدل بالصراع التعايش والوفاق في مرحلة من مراحله.

وعندما ينشر الراحل غرسيا غومث شيخ المستشرقين الاسبان في القرن العشرين ديوان ابن قزمان يدور بينه وبين عبد العزيز الأهواني حوار ثري يعد من أعمق الحوارات بين الحضارات، فيما يمثله ديوان ابن قزمان من لقاء بين الحضارة اللاتينية والحضارة العربية في تراثهما اللغوي والعربي، وقد كانت المقالة الأولى الطويلة للأهواني في مجلّة المعهد المصري للدراسات الإسلامية العدد 17 (1972هـ/ 1973م) وشملت الصفحات (182-245)، ويرد عليه غارسيا غومث في مجلّة الأندلس العدد 38 (1973) بمقال شمل الصفحات (249-318)، ويشرح غارسيا غومث في مقاله هذا الذي حمل عنوان «حول بعض الفقرات الصعبة في ديوان ابن قزمان» كيف بدأ هذا الحوار في مفتتح مقاله: «عندما نشرت تحقيقي لكتاب «ابن قزمان» عام 1972 كان من الطبيعي أن أرسل النسخة الأولى إلى العلاّمة المصري د.عبد العزيز الأهواني، ليس فقط لأنّه عميد المشتغلين بالإسبانيات والأكثر جدية بينهم في كل البلاد العربية بل أيضا للعلاقات الطيبة التي جمعت بيننا، ولأنه المتخصص في مادة الكتاب، التي تدين له بجهد طيب في مجال الزجل بكتابه [الزجل في الأندلس، القاهرة 1957]، الذي غمرته دائما بالثناء، وأيضًا حررت منه الملف رقم 4 في تحقيقي حيث فهرست بترقيم أزجال ابن قزمان التي يفتقدها تحقيقي... لم يرسل لي الأهواني «إيصالاً» باستلام النسخة وإنّما نشر مقالا طويلا بعنوان «على هامش ديوان ابن قزمان»، ويدور حول العبارات والكلمات الرومانثية التي استعملها الزجال ابن قزمان مُقترحا «أخرى» مناقشا اقتراحاتي خاصة وغيرها من الاقتراحات». وقد تابع الرجلان الحوار الممتد من خلال المقالات في العددين التاليين من مجلّة المعهد المصري ومجلّة الأندلس على التوالي، ولم يقطعه إلا موت الأهواني المفاجىء.

وبحصول الأهواني على الماجستير والدكتوراه

يصبح أول أستاذ عربي أكاديمي للأدب الأندلسي الذي بفضله صار مادةً تدريس مستقلة بعد أن كان يدرس تحت مسميات أخرى. وصار كل من تخرّج وعمل في هذا المجال في العالم العربي وحتّى وفاته من تلامذته بجانب أستاذيته لكثير من الإسبان وغيرهم من مختلف الجنسيات ممن طغت أسماؤهم في مجال الاستشراق ودراسة الحضارات في النصف الثاني من القرن العشرين وحتّى اليوم. من ثمّ -كما ذكر الخطاب الرسمي الصادر عن المعهد الاسبانو عربي- وزارة الخارجية الإسبانية، في عزاء جامعة القاهرة في وفاته: «كان موته خسارة كبرى لمصر وإسبانيا وللإنسانية جمعاء».

ومن عالم الموشحات والأزجال انطلق إلى دراسة أثر هذين الفنين في نشأة شعر التروبادور بجنوب أوروبا، والأشعار القصصية والغنائية الإسبانية التي عرفت بالرومانث ليرود في عالمنا العربي لأوّل مرّة ومبكرا على مستوى العالم في نفسٍ أكاديمي رفيع مجال الأدب المقارن، ومُكتشفاً آفاقًا جديدة منها انطلق إلى الحديث -من ناحية- عن الحضارات في سلسلة من المقالات في مجلّة «المجلّة» التي كانت من دوريات وزارة الثقافة المصرية في الخمسينات والستينات من القرن العشرين. ومن ناحية أخرى أثار قضية التراث الشعبي العربي المجهول منطلقا من دراسته للأغنية العربية الأندلسية والأمثال الأندلسية والأزجال، ومنبتها لأهمّية ذلك التراث الشعبي العربي في معرفة روح الأمة العربية وتعميق هويتها. مركزا على عقم التراث الفصيح عندما ينعزل عن تراث الشعب ولغته. وعلى يده بدعم من شيخه أمين الخولي وزميليْ عمره عبد الحميد يونس، وسهير القلماوي عرف العرب في عصرهم الحديث الدراسة العلمية للفولكلور لأوّل مرة، كما صار الأدب الشعبي في خمسينات القرن العشرين مادةً تدرّس في الجامعات العربية، ثم أنشئت المؤسسات التعليمية والبحثية للتراث الشعبي.

ويحاول عبد العزيز الأهواني كشف الأثر العربي في أهمّ عمل أدبي إسباني (وأوروبي) عبر التاريخ بترجمة رائعة ثرفانتس «دون كيخوته» إلى العربية، ويقدم لها مع حسين مؤنس. وبهذا، مع أعمال أخرى مثل ترجمته «الليلة المظلمة» تلك القصيدة الغنائية في الأدب الإسباني والرومانثي الرائدة لِسَانْ «خُوَانْ دي لاكْروث»، ينقل الاهتمام بالأندلس من الماضي إلى الحاضر، مُعَرِّفًا بالأدب الإسباني كامتداد لعطاء الأندلس العربي، وهو في مجال رغبته في توثيق العلاقات العربية الإسبانية يستجيب لتكليف طه حسين بإنشاء «معهد فاروق للدراسات الإسلامية» بمدريد، وذلك عندما استدعاه من باريس 1950م، حيث أوفد لجمع مادة الدكتوراه، والتعرّف على كل المخطوطات العربية في فرنسا وإسبانيا، وقد فهرس لها، وعكف عليها نسخا وتصويرا ودراسة، وخلال إشرافه العلمي كلّف تلامذته بنشر عدد كبير منها ودراستها بعد أن عرّفهم بها، وسهّل حصولهم عليها.

وقد أسس بمفرده وبجهد العالم مكتبة المعهد المصري، لتصير مفخرة هذا المعهد، وتحتل صدارة المكتبات الإسلامية في أوروبا وفي العالم (إلى حد كبير). كما أسّس «مجلّة المعهد المصري» بمدريد الذي أنشأه بنفسه

بقصر استأجره باسمه لنكوص السفارة المصرية عن دعمه آنذاك. وظلّت الدولة تطلب منه ترشيح مديري ذلك المعهد من بين تلامذته المتفوّقين.

وعند ميلاد دولة المغرب المستقلّة عمل بها لمصر مستشارا ثقافيا، ليفتح حوارا عربيا واسعا، ويدفع حركة التعريب الثقافي بعد استعمار مُفَرْنِس ممتد، ويكتب سلسلة من المقالات في مجلّة «دعوة الحق» تلفت «نظر شبان المغرب إليه لتتشكّل حوله مدرسة لدراسة التراث العربي، ما زالت تسيطر على هذا المجال هناك، وتمثّل أكثر تلامذة الأهواني ولاءً لأستاذيته. وكاتب هذه السطور كتلميذ للأهواني يرى حياة أستاذه أهمّ من كتبه مثل سقراط، فقد امتدّ علمه الغزير وفكره الفلسفي في تلامذته وأجيال متعاقبة، فكرة (أم) كامنة في العقول مولدة للأفكار على مدى القادم من الأيام. لقد قرأت عليه كاملا كتاب الفتوحات المكية وغيره من الكتب ودواوين الشعر مستمعا لتعليقاته الحاوية لعنم كثير أدين له به مع تلامذتي. وكما كان معي كان مع تلامذته الآخرين. وهكذا كان يجمع في بيته في ندوتين أسبوعيتين (الثلاثاء/الجمعة) نخبة نقاد الأدب والمفكرين في كل مجالات العلم مع مريديه وتلامذته، فاتحا للجميع بجانب بيته عقله ومكتبته، وأفكاره ومواضيع لأبحاثهم ومقالاتهم في تعميق للانتماء للعلم وللوطن العربي معلنا في تواضع أن من أهمّ صفات الأستاذ التتلمذ على تلامذته، فكان أستاذا وحده، ومناضلا عربيا، تأمل أحوال العالم العربي في هدوء العالم وموضوعيته في سلسلة مقالات فريدة بسبب أساسها العلمي غير الحماسي، نشرت في مجلّة الكاتب المصري التي كان يرعاها وينفق عليها. وقد جُمعت المقالات ضمن منشورات المجلة في كتاب تحت عنوان «أزمة الوحدة العربية». وهذا الانشغال العربي لم يلهه عن واجبه تجاه وطنه الأصغر «مصر» حيث حاول إبراز شخصية مصر خلال شغله كرسي الأدب المصري بجامعة القاهرة.

ومثل «سقراط» أيضا ترك تلامذته في كل أنحاء العالم العربي والعالم بأسره، وعددًا كبيرًا من الأعمال المخطوطة (التي لم يكتمل معظمها)، والمقالات المتفرّقة بين المجلاّت المختلفة (مجلة المجلة، الكاتب المصري، دعوة الحق، الآداب البيروتية، مجلة المعهد المصري بمدريد... الخ)، والتي لم يتم جمعها وتصنيفها داخل الاهتمامات الواسعة للرائد العظيم في مختلف الاتجاهات مثل العلاقات بين الحضارات على مستوى الصراع والحوار أو التعايش في تركيز على الصراع بين الشرق والغرب في مجراه عبر التاريخ، بجانب أدب الرحلة حيث وصف مشاهداته في أوروبا وآسيا في تأمّل طبق خلاله أفكاره عن الحضارة. لكن أهمّ أعماله المخطوطة تحقيقه لديوان ابن قزمان . ولا يقلّل من قيمة عمل الأهواني ظهور تحقيقين للديوان على يد كلٍّ من غرسية غومث، وكرّينتي، فكلاهما وقع في أخطاء أشار إليها الأهواني في مقالاته «على هامش ديوان ابن قزمان» المشار إليها منذ قليل. وأمل إكمال تحقيق الأهواني للديوان الذي لم تكتمل تحقيق بعض قصائده ثم نشره. وأخيرا الأهواني المبدع في أدب الرحلات، وفيما كتبه من «قصص قصيرة» ورواية لم تكتمل «ولم تنشر ضمن أوراقه

المخطوطة عند تلميذه جابر عصفور». وهي أعمال تصب في محاولة فهم العلاقة بين الشرق والغرب عبر القص والأساليب الرمزية.

آثاره

1 - ابن سناء الملك ومشكلة العقم والابتكار، مكتبة الانجلو المصرية 1962؛ 2 - الزجل في الأندلس، معهد الدراسات العربية بالقاهرة 1957؛ 3 - فِصَل من «جغرافية العذري»، المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد.

د. سليمان العطار
جامعة القاهرة - مصر

الأوزاعي، أبو عمرو عبد الرحمان بن عمرو

(88 هـ / 706 م - 157 هـ / 773 م)

هو عبد الرحمان بن عمرو بن يُحمد الأوزاعي، كنيته أبو عمرو. إمام الشام وفقيهها الأول في زمنه. وقد اختلف المؤرخون في تفسير أصل نسبته إلى الأوزاع، فقيل: هي بطن من ذي الكَلاع باليمن، وقيل: بطن من هَمَدان، وقيل: هي فرق من الناس سميت بالأوزاع لتفرقها وتوزعها، وقيل: بل هي قرية من ضواحي دمشق على طريق باب الفراديس، وربما سميت كذلك بسبب القبائل المتفرقة التي أقامت بها. ولم يكن الأوزاعي من أهل هذه القرية، وإنّما نزل فيهم فنسب إليها [ابن الأثير الجزري، اللباب في تهذيب الأنساب، ج 1/ 93؛ النووي، تهذيب الأسماء واللغات، 1/ 299].

وُلد الأوزاعي سنة 88 هـ/ 706م من أسرة انتشرت في بعلبك، وكان منها العباس بن نعيم الأوزاعي الذي ولّي قضاء بعلبك في عهد عمر بن عبد العزيز (100-101 هـ).

نشأ الأوزاعي يتيما، كفلته أمّه، وانتقلت به إلى كرك نوح (البقاع). ثمّ اكتتب في أوّل صباه في بعث الجند إلى اليمامة، حيث لازم فقيهها يحيى بن أبي كثير (المتوفّى سنة 129هـ/ 747 م) وأخذ عنه الحديث والفقه.

وقصد البصرة بتوجيه من أستاذه، وفيها سمع من قتادة بن دعامة السدوسي (61 هـ/ 680 م - 118 هـ/ 736 م). وسمع في الكوفة من عامر الشّعبي (ت 103 هـ/ 721م)، ولمّا حجّ سمع في مكّة من عطاء ابن أبي رباح (ت 114 هـ/ 732 م)، وسمع في المدينة من ابن شهاب الزهري، ونافع المدني، ولقي مالك بن أنس، وسفيان الثوري، وروى عن القاسم بن مخيمرة، وإبراهيم بن محمد الفزاري القارىء. ولمّا حلّ دمشق أخذ عن فقيهها عبد الله مكحول بن أبي مسلم (ت 112 هـ / 730 م).

تمكّن الأوزاعي بفضل رحلاته المتعدّدة من

سماع مشاهير التابعين في عصره، ومجالسة كثير من الأعلام في مختلف الأمصار الإسلاميّة، فكان بذلك واسع المعرفة، راسخ القدم في العلوم الدينية المتداولة في زمنه، بل ظهرت نباهته منذ الصغر إذ روي أنّه سئل في الفقه وله ثلاث عشرة سنة [الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص76]. وقد برع في تفسير القرآن الكريم، وكان واسع الاطلاع على السنة النبوية، والآثار المروية، والمغازي؛ قال عبد الرحمان بن مهدي: «ما كان أحد بالشام أعلم بالسنة من الأوزاعي» [م. ن، ص 76]، فقد كان من الأئمّة المشهورين بالثقة والحفظ، لذلك كانت روايته مقبولة عند المحدثين، فأخرج له البخاري ومسلم عدّة أحاديث، كما روى له أصحاب السنن الأربعة: أبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وغيرهم مثل أحمد بن حنبل والدراقطني.

وممن تتلمذ عليه الهقل بن زياد (ت 179هـ/ 795م) وكان كاتبه، وصعصعة بن سلام الدمشقي (ت 192هـ/ 807م) وكان مفتيا بالأندلس وخطيبا بقرطبة وهو الذي نشر مذهبه بالأندلس وأبو يحمد بقية بن الوليد الكلاعي (ت 197هـ/ 812م) ومحمد بن يوسف الغرياني (ت 212هـ/ 827م) أستاذ البخاري، وضمرة بن ربيعة (ت 202هـ/ 817م)؛ وقد سمعه سفيان الثوري (ت 161هـ/ 777م) وعبد الله بن مبارك (ت 181هـ/ 797م) وشعبة بن الحجاج (ت 160هـ/ 776م) وغيرهم. بل إن عددا من شيوخه التابعين ومن أقرانه الذين لقيهم رووا عنه مثل قتادة، والزهري، ويحيى بن أبي كثير، والإمام مالك [النووي، م. س، 1/ 298].

ويروى أنّ سبب وفاته اختناقه بفحم كانون وضعته امرأته في حمام بيته، وقد دفن في قرية حنتوس على الساحل الجنوبي من بيروت التي صارت تعرف بمحلة الأوزاعي [الذهبي تذكرة الحفاظ 1/ 182]. نوّه به معاصروه ويروى أنّ مالك بن أنس قال بعد اجتماعه به وبسفيان الثوري وأبي حنيفة إنّه «أرجحهم»؛ كما قال فيه سفيان بن عيينة: «الأوزاعي إمام زمانه». وقد كانت له مكانة بين الأمويين الذين عاصرهم، ولما أدركته الخلافة العباسية حافظ على استقلال شخصيته دون أن يتورّط في الخلافات السياسيّة، وكان أبو جعفر المنصور يعظمه ويصغي إلى وعظه، ورويت عنه في نصح المنصور كثير من الأخبار [أبو نعيم، حلية الأولياء، 6/ 135-140].

انتقل مذهبه على يد تلميذه «صعصعة بن سلاّم»، من أهل دمشق، من دمشق وبيروت إلى مصر فحدّث بها عنه، ثمّ رحل إلى الأندلس وسكنها وحدّث بها عن الأوزاعي أيّام الأمير «عبد الرحمن بن معاوية الأموي»، وصدرًا من أيام «هشام» حتّى توفي سنة 192 هـ/ 807 م. وقال الإمام «القرطبي» (المتوفى في 671 هـ/ 1273 م) ما يعني أنّ مذهبه كان منتشرًا في الأندلس لأكثر من نصف قرن من الزمان، قبل أن ينحسر ويحلّ محلّه مذهب الإمام «مالك».

أمّا في الشام فبقي مذهبه سائدًا نحوًا من مئتين وعشرين سنة، وقبل ظهور مذهب «الإمام الشافعيّ» (ت 204 هـ/ 819 م) في دمشق لم يكن يلي القضاء والخطابة والإمامة بها إلاّ أوزاعيّ على رأي الأوزاعي. وحين نزل الرحّالة «المقدسي المعروف بالبشّاري»

(ت 380 هـ/ 990 م) مدينة دمشق أثناء رحلته حوالي منتصف القرن 4هـ. وجد للأوزاعية مجلسًا بجامعها الأمويّ، مع أن العمل فيه «على مذهب أصحاب الحديث والفقهاء شفعوية». وكان قاضي الشام «أحمد بن سليمان بن حَذْلَم» (ت 347 هـ/ 958 م) آخر من عمل بمذهب الأوزاعي.

ومما يمكن أن يفسر به انقراض مذهب الأوزاعي انحسار نفوذ الامويين وتحوّل مركز الاهتمام إلى العراق زمن العباسيين، ثمّ إنّ أصحاب الأوزاعي لم يخدموا مذهب شيخهم كما فعل أصحاب بقية الأئمة المشهورين، فلم يجمعوا أقواله ولم يفرّعوها على أصوله، وقد انتقل الشاميّون تدريجيا إلى مذهب الشافعي صاحب المؤلفات المشهورة، ولعلّهم اعتبروا الإمام الشافعي خير وريث لعالمهم، لأنّه كان من أنصار السنّة مثله، وكان يميل إلى ترجيح أقواله على أقوال العراقيين من أصحاب أبي حنيفة على الخصوص كما ظهر ذلك في كتابه «سير الأوزاعي» الموجود ضمن كتاب «الأمّ» [ج. 4، ص 333- 369]. أما إفريقية فقد تراجع فيها مذهب الأوزاعي حتّى اختفى بسبب انتشار مذهبي أبي حنيفة ومالك، خاصة أنّه لم يشتهر فيها مثل اشتهاره بالشام. ومع أن المتفقّهين على مذهب الأوزاعي كانوا بالأندلس أكثر من إفريقية فإنّه لم يمض وقت طويل حتّى ظهر عندهم موطأ مالك فاشتغلوا به. والذي زهّد المغاربة للرحلة عموما في مذهب الأوزاعي رغم احترامهم له أن الشام لم تكن في طريق الحج ولم تكن مقصدا للرحلة في طلب العلم، لأنّ غالب رحلتهم كانت إلى الحجاز بالدرجة الأولى ثمّ إلى العراق [الشتيوي، تاريخ المذاهب الفقهيّة بإفريقية، ص 52- 53].

استطاع الأوزاعي أن يكوّن لنفسه مذهبا مستقلاً يميل فيه الى ترجيح منهج أهل الحديث، وقد صنفه ابن النديم في المقالة السادسة من كتابه ضمن قائمة فقهاء أصحاب الحديث (الفهرست، 282- 284). وممّا يؤكّد ذلك رسوخ قدمه في حفظ الحديث، وروايته واتفاقه في كثير من الفتاوي مع أهل الحديث، ومخالفته أهل الرأي وخصوصا في مسائل السير، وأخذه بالحديث المرسل أي المروي مع ترك واسطة بينه وبين النبي ﷺ وتحرّي آثار السلف ولا سيّما الصحابة إذا لم يتسنّ الاعتماد على القرآن والسنّة وإنكاره للبدع وتردّده في العمل بالقياس إلاّ للضرورة، وإنكاره للرأي، ومما يروى عنه في ذلك قوله: «عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس، وإياك ورأي الرجال وإن زخرفوه بالقول» [الذهبي، م. س، 1/ 180].

ومما ذكر عن الأوزاعي جرأته ودفاعه عن المبادىء الانسانيّة، فكان يرشد الولاة، ينصحهم بمعاملة الرعية بالحسنى، وينهاهم عن ظلم أهل الذمّة. ومن ذلك وقوفه بوجه صالح بن علي (96هـ/ 714م-151هـ/ 768م) والي الشام ليكبح قسوته في معاملة نصارى الشام أعقاب ثورة المنيطرة سنة 142 هـ/ 759 م، إذ شرّد أهل القرى وأجلاهم عن منازلهم، وصادر أموال الأبرياء الّذين لم يشاركوا في الفتنة. فلمّا بلغ الأوزاعي ما حلّ بأهل الجبل، بعث إلى الوالي رسالة احتجاج، اتّسمت بالجرأة والعدالة، ومما

جاء فيها: «وقد كان من إجلاء أهل الذمّة من أهل جبل لبنان ممّن لم يكن ممالئًا لمن خرج على خروجه، ممّن قتلت بعضهم، ورددت باقيهم إلى قراهم، ما قد علمت، فكيف تؤخذ عامّة بذنوب خاصّة، حتّى يخرجوا من ديارهم وأموالهم، وحكم الله تعالى: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [النجم: 38]. وهو أحقّ ما وقف عنده واقتدى به. وأحقّ الوصايا أن تحفظ، وتُرْعى وصيّة رسول الله، فإنه قال: «من ظلم معاهدًا أو كلّفه فوق طاقته فأنا حجيجه».

إنّ الأوزاعي أفتى في سبعين ألف مسألة، ممّا يكشف عن بحر زاخر بالمعرفة، غاص في الأصول، وتعمّق في الفروع، وغطّت أحكامه: القضاء، والمخاصمات، والعقوبات، والأحوال الشخصيّة، ولا سيّما أمور الزّواج والطّلاق، وتنظيم الأسرة، والمعاملات مثل العقود، والبيع والشّراء... والأمور التعبديّة، وتوضيح الحلال والحرام، لكنّه أصدر تعليمات للقضاة، تدعو إلى عدالة الأحكام، إذ لا يجوز للقاضي أن يحكم بعلمه، بل يقضي بما سمعه من أقوال المتخاصمين وعدالة الشّهود؛ وعالج قضايا الزّواج وأوجب فيه الشّهادة للانعقاد، واشترط رضى المرأة البالغة لصحّة زواجها مع تعيين المهر. وعرض لموانع الزّواج النّاتجة عن النّسب والرّضاع والمصاهرة؛ وله تفصيلات في المهر، والنّفقات، والطّلاق، والمواريث، والحجر، والولاية على الصغار؛ وأقرّ حرّيّة التملّك للأفراد، لكنّه قيّده بالمصلحة العامة، وأكّد على اشتراك الناس في المرافق الطّبيعيّة مثل الماء، والطّرقات، وواجب الضّمان في الأضرار النّاتجة عن التّعدّي أو الإهمال مثل التّفريط في حفظ الحيوان الشّرود أو العقور...

وقد صنف عدد من القدماء كتبا تتعلّق بالأوزاعي؛ فقد وضع الوليد بن مسلم (توفي 195 هـ/ 810 م) كتاب «السّير» عن الأوزاعي؛ ووضع عبد الرحمن بن ابراهيم الدمشقي المعروف بـ ابن دُحيم (توفي 245 هـ/ 859م) كتابًا بعنوان «مسند حديث الأوزاعيّ»، وصالح بن يحيى التنوخي المؤرّخ البيروتي (توفي بُعيد 857 هـ/ 1465م) كتابا يُنسب إليه بعنوان «رسائل محاسن المساعي في مناقب الإمام أبي عمرو الأوزاعي» نشره شكيب آرسلان (توفي 1366 هـ/ 1946م).

آثاره

لم تذكر المصادر للأوزاعي سوى عدد قليل من الكتب والرسائل: 1 - كتاب في السّير، صنّفه بناء على خبرة عميقة بالموضوع، فقد كانت الشام أرض فتح بها طوائف كثيرة من غير المسلمين، وكانت من المراكز الهامّة التي احتاجت فيها الخلافة إلى تطبيق أحكام فقه الأرض والسير بصفة عامة؛ ويبدو أن نشأة الأوزاعي وتكوّنه بالشام كان لهما أثر كبير في اهتمامه بأحكام غير المسلمين في السلم والحرب والمعاهدات ونحو ذلك من العلاقات. ولعل هذا الكتاب كان أكثر كتبه تداولا على امتداد فترات طويلة، لكنّه صار في عداد التراث العلمي المفقود. وقد روي أن نسخة أصيلة منه بقلم أحد تلاميذ الأوزاعي كانت موجودة في القرن 11 هـ/ 17 م. ولم يعرف شيء عن مصيرها بعد ذلك

[المحمصاني، الأوزاعي وتعاليمه، ص 49]. ومع ذلك فإن الاطلاع على مجمل مذهبه في السير غير عسير بسبب المناقشات الشهيرة التي أثارها كتابه، ووصلتنا مدوّنة في كتب معروفة. وذلك لأنّه كتب كتابه ردا على «السير الصغير» لمحمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة، فصنف إثر ذلك محمد بن الحسن كتابه «السير الكبير»، كما كتب أبو يوسف صاحب أبي حنيفة كتابا في الرد على كتاب سير الأوزاعي [المحمصاني، م. س، ص 50]. وقد ذكرنا فيما تقدّم أن الشافعي له، ضمن كتاب «الأم» كتاب في الأوزاعي كان يميل فيه غالبا إلى ترجيح أقوال عالم الشام على آراء أصحاب أبي حنيفة؛ 2 - كتاب المسائل في الفقه؛ 3 - كتاب السّنن في الفقه، يضاف إلى هذا عدد من الرسائل؛، 4 - رسالة إلى عُبيد الله وزير الخليفة «المهدي» العباسي في موعظة وسؤال حاجة؛ 5 - رسالة إلى عُبيد الله وزير الخليفة المهدي العباسي في تنجُز كتاب من الخليفة بتخلية محبوس؛ 6 - رسالة إلى المهدي في شفاعة لقوم؛ 7 - رسالة إلى المهدي في شفاعة لأهل مكّة في تقويتهم؛ 8 - رسالة إلى أبي جعفر المنصور في زيادة أرزاق أهل ساحل الشام؛ 9 - رسالة إلى أبي جعفر المنصور يعظه ويحثّه على ما حلّ بأهل قاليقلا وطلب الوفاء؛ 10 - رسالة إلى أبي سليمان بن مجالد في التعطف بالمكتوب عند الخليفة بالتماس الفِداء بأهل قاليقلا؛ 11 - رسالة إلى عيسى ابن علي في جواب من دفع عن نفسه تنبيه الخليفة في أمر قاليقلا؛ 12 - رسالة إلى أبي بلْح يحيى بن سليمان [المصدر، تقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم الرازي]؛ 13 - رسالة إلى «صالح بن علي» أمير الشام ومصر يعنّفه فيها على إجلاء أهل الذمّة في جبل لبنان من قراهم [فتوح البلدان للبلاذري، وكتاب الأموال لابن سلاّم]؛ 14 - رسالة إلى أبي جعفر المنصور يحثّه فيها على فكاك أسرى المسلمين من الروم [حلية الأولياء لأبي نُعيم، 6/ 135]؛ 15 - كتاب السُنن في الفقه؛ 16 - كتاب المسائل في الفقه [الفهرست لابن النديم]؛ 17 - وأقدم مصدر معروف يضمّ هذه المقتبسات هو ردّ مُعاصره أبي يوسف الذي ألّفه بعنوان، الردّ على سير الأوزاعي، وقد وصلنا هذا الردّ مع «شرح الشافعي» في [كتاب «الأم» القاهرة 1325 هـ، 7/ 303-336]؛ 18 - مدوّنات في علم الحديث، جمع فيها الحديث الصحيح وآثار التابعين ومن سمع منهم. واستخرج الأحكام الشرعية على مذهب انفرد به (منه نسخة في مكتبة جامعة القرويين بالمغرب: لا ثاني لها، في مجلّد ضخم، كُتبت بخطٍّ دقيق جدًا [رجال السند والهند، للقاضي المباركبوري، ص 164]؛ 19 - موعظة، رواية كاتبه الهقْل بن زياد عنه [كتاب الشكر لابن أبي الدنيا، ص 78، رقم 30].

المصادر والمراجع

● سزكين، تاريخ التراث العربي (الفقه) مجلّد 1، ج 3/ 244-245؛ ● أحمد، أبو نعيم، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ط. 2، 1980، ج6/ 135-148؛ ● النووي، محيي الدين بن شرف، تهذيب الأسماء واللّغات، بيروت، لبنان، د. ت،

دار الكتب العلمية، ج 1/ 298-299؛ ● ابن خلكان، أبو عبّاس أحمد، وفيّات الأعيان، تح. إحسان عبّاس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ج 3/ 127-128؛ ● الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد، تذكرة الحفاظ، حيدر أباد، الهند، 1956، ج 1/ 178-183؛ ● إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين، بيروت، د. ت، دار إحياء التراث، ج 5/ 511؛ ● بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، تر. عبد الحليم النجار، دار المعارف بمصر 1962، ج. 3/ 30-307؛ ● صبحي المحمصاني، الأوزاعي وتعاليمه الإنسانيّة والقانونيّة، ط. 1، بيروت، لبنان 1978، دار العلم للملايين؛ ● محمد الشتيوي، تاريخ المذاهب الفقهيّة بإفريقيّة، المركز القومي البيداغوجي، تونس 1998؛ ● نصر الله، حسن عبّاس، تاريخ بعلبك، بيروت 1984، مؤسّسة الوفاء، ج 2/ 293-300؛ ● عمر، عبد السّلام تدمري، موسوعة علماء المسلمين في تاريخ لبنان الإسلامي، القسم الأوّل، ج 3/ 61-111، ● دائرة المعارف الإسلاميّة، ط. ج. مجلّد واحد، فصل الأوزاعي.

د. نصر الله حسن عباس
الجامعة اللبنانية
د. أحمد الشتيوي
الجامعة الزيتونية
د. عمر عبد السلام تدمري
الجامعة اللبنانية

أوس، ابن حجر

(98 هـ / 530 م – 2 ق هـ / 620 م)

أوس بن حجر بن عتاب من تميم، من فحول الشعراء الجاهليين. كان مولده في البحرين، صنفه ابن سلام الجمحي في الطبقة الثانية. قيل: هو أشعر الناس في الجاهلية، قبل النابغة الذبياني وزهير بن أبي سلمى. ولكن، لما برز هذان الأخيران، ألقيا على شهرته ظلالا كثيفة. وكان أوس زوج أم زهير، وقد علم زهيرا الشعر فأصبح راويته، ونشأ ينظم على طريقته ونهجه، فأرسى دعائم المدرسة الأوسية.

قال أبو عمرو بن العلاء: كان أوس فحل مضر، حتّى نشأ النابغة وزهير فأحملاه. عاصر أوس عمرو بن هند، ملك الحيرة. وقتل أبوه في «يوم الحجار» سنة 554 م. نالت أشعاره شهرة واسعة، ولاسيما في وصف الصيد والسلاح. طاف بشعره ومدائحه في نجد والعراق، ونادم ملوك الحيرة.

رأى بعضهم أنه عمر طويلا، فأدرك الإسلام. ولم يسلم. ورأى آخرون أن وفاته كانت قبيل ظهور الدعوة الجديدة.

وعرف عن أوس أنه كان غزلا مغرما بالنساء، فخرج في سفر. وبينما هو في أرض بني أسد يسير على ناقته ليلا، صرعته فاندقت فخذه، فضلّ في مكانه لا يستطيع انتقالا حتّى خرجت بنات الحي يجتنين الكماة.. فبصرن بالناقة، ورأين أوسا ملقى ففزعن، فنادى إحداهن وسألها عمّن هي، فقالت: «حليمة بنت فضالة» وكان يعرف أباها، فدفع إليها حجرا وقال: «أعطي هذا إلى أبيك، وقولي له ابن هذا يقرؤك السلام». فمضت وبلغت ما قاله، فأتى فضالة، فاحتمله إلى بيته وعالجه، فنظم فيه أوس مدائح كثيرة، وأحب ابنته، ونظم فيها. ثم توفي فضالة، فرثاه أحسن الرثاء، منه قوله [جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ج 1، ص 155]:

أيتها النفس أجملي جزَعَا
إن الذي تحذَرين قد وقعا

إن الذي جمَع السماحة والنجـ
دة والحزم والقوى جمعا

أودى وهل تنفع الإشاحة من
شيء لمن قد يحاول النزعا

إلى أوس بن حجر تنسب المدرسة الأوسية، أو مدرسة عبيد الشعر التي تمتاز بعدّة خصائص، منها: بناء القصيدة الفخم، ووحدة العمود الشعري، وتسلسل الموضوعات وتعددها. كما اشتهرت بحسن الصياغة، ومتانة الألفاظ، وانتقاء العبارات، والانسجام بين المعاني والتعبير، يقول:

نُبيح حمى العزّ حين نريده
ونحمي حمانا بالوشيج المقوم

يرى الناس منّا جلد أسود سالخ
وفروةَ ضرغام من الأسد ضيغم

متى تبغ عزّي في تميم ومنصبي
تجدْ لي خالا غير مخز ولا عم

تجدنيَ من أشرافهم وخيارهم
حفيظا على عوراتهم غير مجرم

ويعتبر شعر أوس نموذجا لأشعار الجاهليين، إذ تجرّد من الانفعالات الذاتية العميقة، وتوزّع على أغراض وموضوعات فرضتها طبيعة البيئة التي عاش فيها، فكان صدى لإيقاعات الحروب، وغلظة الصحراء، وسورات الغضب، وخطرات الحب، وسوى ذلك مما كان يشغل حياته اليومية. ويؤخذ عليه افتقاره إلى العمق الوجداني، الذي لا بد منه، في النتاج الشعري المتكامل.

وإذا كان ابن سلام قد جعله في الطبقة الثانية من شعراء الجاهلية، فإنه اعتذر عن ذلك بقوله: «وأوس نظير الأربعة المتقدّمين - يعني في الطبقة الأولى - إلاّ أنا اقتصرنا في الطبقات على أربعة رهط».

ورأى الأصمعي أن أحسن ابتداء وقع للعرب في المراثي هو قول أوس:

أيتها النفس أجملي جزعا
إن الذي تحذرين قد وقعا

وقيل لعمرو بن معاذ، وكان بصيرا بالشعر: من أشعر الناس؟ فقال: أوس، قيل: ثم من؟ قال: أبو ذؤيب. وكان أوس عاقلا في شعره، كثير الوصف لمكارم الأخلاق. وهو من أوصفهم للحمر والسلاح، ولا سيما للقوس. وسبق إلى دقيق المعاني، وإلى أمثال

كثيرة [الشعر والشعراء، ص 131] يقول في القوس:

كتوم طلاع الكف، لا دون ملئها
ولا عجسها موضع الكف أفضلا

إذا ما تعاطوها سمعت لصوتها
إذا أنبضوا عنها، نئيما وأزملا

«النئيم»: صوت البوم، و«الأزمل»: صوت الجن. ثم وصف النابل والنبل، فقال:

كساهن من ريش يمان ظواهرا
سخاما لؤاما لين المس أطحلا

يخرن إذا أنفرن في ساقط الندى
وإن كان يوما ذا أهاضيب مخضلا

خوار المطافيل الملمعة الشوى
وأطلاؤها صادفن عرنان مبقلا

ثم وصف السيف، فقال:

كأن مدب النمل يتّبع الربى
ومدرج ذر خاف بردا فأسهلا

على صفحتيه بعد حين جلائه
كفى بالذي أبلى وأنعت منصلا

ولئن قالت الشعراء، في نفار الناقة وفزعها، فأكثرت، ولم تعد ذكر الهر المقرون بها وابن آوى، فإن أوس بن حجر أربى على الجميع بقوله:

كأن هرا جنيبا عند غرضتها
والتف ديك برجليها وخنزير

قالوا: وجمع ثلاثة ألفاظ أعجمية في بيت واحد، فقال:

وقارفت وهي لم تجرب وباع لها
من الفصافص بالنمي سفسير

«الفصفاص»: الرطبة، وهي بالفارسية «اسبست»، و«النمي» الفلوس بالرومية، و«السفسير»: السمسار.

ومن أبياته السيارة قوله:

ولست بخابىء أبدا طعاما
حذار غد لكل غد طعام

أو:

ولست بأطلس الثوبين يصبي
حليلته إذا هجع النيام

ولأنه كان يهذب ألفاظه، ويعنى بها، ويدقق في اختياراته، ويهتم بالجرس الموسيقي ويبتعد عن الحشو، ويعتمد الدقة في معانيه، فيصيب كبد الحقيقة، جعله بعضهم على رأس مدرسة عبيد الشعر.

آثاره

حتّى القرن الثاني عشر، ظل ديوان أوس بن حجر، بشرح ابن السكيت، متداولا. ونرى إشارات إليه في شرح شواهد المغني للسيوطي، ص 911، وفي كشف الظنون لحاجي خليفة، ص 1068، وفي خزانة الأدب وشرح شواهد الشافية للبغدادي، ص 1093، ويشير إليه صاحب التاج في الجزء الثامن، ص 238.

ويرى المستشرق رودولف جاير R.Geyer الذي أخرج طبعة له في فيينا سنة 1892 م أن أشعار أوس اختلطت بأشعار ابنه شريح، وبات من الصعب تمييزها من بعضها. وفي

سنة 1399 هـ / 1979 م، حقق الديوان وشرحه الدكتور محمد يوسف نجم، عن دار صادر، بيروت 1960 م. وقد أفاد الأستاذ نجم من طبعة جاير Geyer، وزاد عليها زيادات كثيرة عثر عليها في المصادر التي طبعت بعد صدور طبعة جاير، وفي مخطوطات منتهى الطلب، والتعازي والمراثي، والحماسة البصرية، والتذكرة الصفدية [ديوان أوس بن حجر، تح. وشرح د. محمد يوسف نجم، دار صادر بيروت، المقدمة]..

كان أوس، قياسا إلى غيره من شعراء الجاهلية، غزير الشعر، فبلغت أبياته المنسوبة إليه، في الديوان، خمسمائة وثلاثة وخمسين بيتا، تح. د.محمد نجم، بالإضافة إلى خمسة وخمسين بيتا مختلطة.

وأما الموضوعات التي تطرق إليها أوس، فتراوحت بين الغزل والفخر، والهجاء، ووصف الراحلة والقوس، والرثاء، وسوى ذلك من موضوعات الجاهليين. ولقد توكأ كثير من معاصريه على شعره.

المصادر والمراجع

● ابن دريد، الاشتقاق، تح. عبد السلام هارون، دار المعارف، مصر، 1958، ص 207؛ ● الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، 1980، 2/ 31؛ ● الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني، شرح عبد مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002، 11/ 70، 16/ 375؛ ● المرتضى، أمالي، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، 1955 م، 1/ 257، 262، 305، 2/ 73 ـ 74؛ ● الجاحظ، البيان والتبيين، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، 3/ 204؛ ● بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبد الحليم النجار، دار المعارف، مصر 1959 م، 1/ 112؛ ● بلاشير، تاريخ الأدب العربي، ترجمة إبراهيم الكيلاني، دمشق 1956م، 2/ 120؛ ● زيدان، جرجي، تاريخ آداب اللغة العربية، دار الهلال، بمراجعة شوقي ضيف، 1957، 6/ 179؛ ● ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تح. أحمد شاكر وعبد السلام هارون، القاهرة، دار المعارف، ط 2، 1967 م، ص 208 ـ 209؛ ● موسوعة الشعر العربي، بإشراف خليل حاوي، مكتبة خياط، بيروت، 1974 م، 2/ 611؛ ● أختر، محمد سليم، أوس بن حجر ودراسة لغته، رسالة ماجستير، الجامعة الاسلامية، 1407 هـ؛ ● الجارد، محمود عبد الله، شعر أوس بن حجر ورواته الجاهليون، اطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، 1978 م، نشرت، بيروت، دار الرسالة 1979 م؛ ● المعيني، عبد الحميد، مسألتان، نسب أوس بن حجر وغزله، مجلّة أبحاث، اليرموك، المجلّد 10، العدد 2، 1992 م.

د. أنطونيوس بطرس
الجامعة اللبنانية ـ بيروت ـ لبنان

الأوسي الأنصاري، أبو حفص عمر بن إبراهيم

(760 أو 761هـ / 1358 أو 1359م - 811 هـ / 1408م)

أبو حفص جمال الدين عمر بن إبراهيم بن محمد بن عمر بن عبد العزيز بن أبي جرادة سراج الدين الأوسي الأنصاري الحنفي العقيلي الحلبي، مؤرخ، وقائد عسكري، وقاضي القضاة.

ولد عمر بن إبراهيم الأوسي في حلب في سنة 760 أو 761م، ونشأ في بيئة علمية متميّزة، فهو ينتمي إلى أسرة عريقة (بني عقيل) من حلب السورية اشتهرت بالعلم والفضل والرياسة، وحفظ القران، وتعلّم الفقه والحديث، وسمع من ابن حبيب وابنه، وبرع وتولّى قضاء العسكر بحلب، ثم استقل بقضائها سنة أربع وتسعين وسبعمائة، ثم قصد القاهرة سنة 803هـ وأصبح قاضي قضاة الحنفية بمصر.

يقول عنه ابن العماد الحنبلي: «وتولّى قضاء العسكر بها بحلب .. وأفتى وشارك في العربية والأصول والحديث.. وباشر القضاء بحرمة وافرة، وكان رئيسًا محترمًا من بيت علم وفضل ورياسة، قال ابن حجر: قدم القاهرة غير مرّة، وفي الآخر استوطنها لما طرق التتار البلاد الشامية وأسر مع من أسر ثم خلص بعد رجوع اللنك، فقدم القاهرة في شوال أي سنة ثلاث وثمانمائة..»

عاش عمر بن ابراهيم الأوسي في عهد السلطان الملك الناصر فرج بن برقوق الذي تولّى الحكم مرّتين ما بين سنة 801-814هـ/ 1399-1411م)، ثم سعى -عمر- وولي قضاء القضاة في القاهرة في سادس عشر رجب سنة خمس وثمانمائة، ودرس بالشيخونية والمنصورية، ثم نزل عنهما لولده محمد وباشرهما في حياته.

ويصف ابن العماد الحنبلي شخصية عمر بن إبراهيم الأوسي بقوله: «وكان عمر هذا، من رجال الدنيا دهاء، ماهرًا في الحكم، ذكيًا خبيرًا بالسعي في أموره، يقظًا غير متوان في حاجته، كثير العصبية لمن يقصده، .. وحط عليه المقريزي وذكر له مساوئ، وقوله فيه غير مقبول لأمور جرت بينهما، وتوفّي قاضيًا بمصر».

ونظرا لأنّ عمر بن إبراهيم الأنصاري شغل وظيفة قاضي العسكر المماليك، فقد عرف نظام الجيش المملوكي جيدا، وكذلك عندما وقع في أسر ملك المغول تيمورلنك (737-808هـ/ 1336-1405م) بالشام، وقف على ما عند المغول من نظام حربي وخطط وفنون عسكرية، وأشار في كتابه «تفريج الكروب في تدبير الحروب» إلى ما كان معروفا عندهم من طرائف لتعبئة الجيش للقتال. كما كان على علم بقيادة الجيش وترتيبه قبل المعركة وفي خلالها وبعدها.

وتوفّي عمر بن إبراهيم الأوسي في القاهرة ليلة السبت ثاني عشر جمادى الآخرة سنة 811هـ.

آثاره

أغلب الروايات التاريخية والمصادر التراثية تشير إلى أنّ عمر بن إبراهيم الأوسي وضع كتابًا في الفنون العسكرية هو:

كتاب تفريج الكروب في تدبير الحروب، ذكره الزركلي، وكوركيس عواد، وفؤاد سيد، يوجد منه نسخة خطية في مكتبة الفاتح باستانبول برقم 3483 كتبت بخط نسخي جميل كتبها أبو الفضل بن عبد الوهاب السنباطي في 152 ورقة. ونسخة ثانية في مكتبة جامعة برنستن برقم 3954، وقد حققه ونشره، مع ترجمة وتعليق باللغة الإنكليزية، ومع مقدمة طويلة جورج سكانلون.

ويذكر كوركيس عواد في كتابه مصادر التراث العسكري عند العرب أن هناك كتاباً آخر بالاسم نفسه «تفريج الكروب في تدبير الحروب» من تأليف أبي عبد الله محمد بن محمد الرشيدي، ويوجد نسخة خطّية منه في مكتبة الفاتح باستانبول برقم 1702، وعنها نسخة مصوّرة في معهد المخطوطات العربية برقم 903.

يعد كتاب «تفريج الكروب في تدبير الحروب» من الكتب النادرة بموضوعه، والتي عالجت مواضيع الحرب من جميع اتجاهاتها وأشكالها، بشمولية وتركيز شديدين، فهو يمثل زبدة الإرث الحربي والعسكري عند العرب والمسلمين، سيّما وأن كل المؤشرات تدل على أنّ مؤلّفه، صنعه في فترة كانت فيها الحضارة العربية الإسلامية تمر بفترات عصيبة، تمثّلت في الغزو الصليبي القادم من الغرب والهجمة المغولية الزاحفة من الشرق.

ويشير عمر بن ابراهيم الأوسي الأنصاري في هذا الكتاب إلى أنه ألفه ليفيد منه الطلاب الذين يتلقون الفنون العسكرية في القلعة.

ويوضح عمر الأوسي السبب الذي دعاه إلى تأليف هذا الكتاب للسلطان فرج بن برقوق، فقال في مقدمة كتابه: «الحمد لله مؤيد الإسلام من سلطانه، الناصر بعزيز نصره، ومرغم أنف الخارج عن طاعته بتعجيل هلاكه ورد كيده في نحره.. وبعد فلما كان السلطان الأعظم الملك الناصر.. أبو السعادات فرج بن السلطان.. أبي السعيد برقوق، وكنت ممّن نظر في كتب التاريخ على اختلافها وتدبر وقائع الحروب منه على تباين أصنافها.. دعاني ذلك إلى أن أخدم خزانته الشريفة.. بكتاب أضعه في تدبير الحروب وترتيبها، ومعرفة أحوال القتال وتقديرها، ليهتدي بذلك من يقف عليه من أمرائه الأنجاب وقواد عساكره.. وجعلت مقاصده منحصرة في عشرين بابًا..».

وقد تناول عمر بن إبراهيم الأوسي الأنصاري في كتابه المواضيع الآتية:

- الفصل الأوّل: ما ينبغي اتّخاذه من الحذر والتحرز من العدو.

- الفصل الثاني: شرح فيه الاستحكامات وأساليب الدفاع.

- الفصل الثالث: عالج فيه استطلاع أخبار العدو، بإيقاد النيران على رؤوس الجبال، واستخدام الحمام الزاجل، والجواسيس. وقد عالج عمر بن إبرهيم الأوسي مواضيع الكتاب بمنتهى الدقة والوضوح وتناول كل مفردة من مفردات الحروب بدءًا من جمع المعلومات

عن العدو، وانتهاء بإدارة الصراع في ساحات القتال. لأنّ مؤلّفه ذو خبرة نادرة ومحارب شديد المراس، حنكته التجارب والحروب، ومفردات كل باب من أبوابه تصلح أن يؤلّف حولها المجلدات.

ويختم عمر الأوسي كتابه فيقول: «وربّما ضبطوا مكانهم إذا غاب عنهم جند الملك إلى حين حضور من يثق به من المندوبين لذلك، والله اعلم وبه التوفيق وعليه التكلان ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العلي العظيم».

ويلاحظ -في هذا الكتاب- أن عمر بن إبراهيم الأوسي الأنصاري، لم يشر إلى كبار المؤلفين والقادة الذين سبقوه بتآليفهم في الفنون الحربية والعسكرية، أمثال: نجم الدين حسن الرمّاح المعروف بالأحدب (ت 695هـ) صاحب كتاب «الفروسية في المناصب الحربية»، ولاجين بن عبد الله الذهبي الحسامي المعروف بالطرابلسي (ت738هـ) صاحب كتاب «تحفة المجاهدين في العمل بالميادين»، أو طبيغا أو محمد بن منكلي، أو محمد بن عيسى بن إسماعيل الحنفي صاحب كتاب «نهاية السؤال والأمنية في تعليم الفروسية».

وقد قام لويس مرسييه سنة 1922م في باريس بنشر كتاب «حلية الفرسان وشعار الشجعان» لابن هذيل الأندلسي (ت 753هـ)، وألحق به ثبتًا يضم ما جرى تصنيفه في البيطرة والبيزرة والفروسية وفيه كتاب «تفريج الكروب»، وأضاف ريتر إلى هذه المؤلفات ما فات مرسييه من المصنّفات، وذلك في المقال الذي نقد فيه كتاب مرسييه.

المصادر والمراجع

● الحنبلي، ابن العماد (ت1089هـ)، شذرات الذهب، ج7، ص92؛ ● عمر، إبراهيم، تفريج الكروب في تدبير الحروب، 1961م، تح. جورج سكانلون، منشورات الجامعة الأمريكية، القاهرة؛ ● الزركلي، خير الدين، الأعلام، ج1، ص39؛ ● سيد، فؤاد، 1384هـ، فهرس المخطوطات المصوّرة، جامعة الدول العربية، معهد المخطوطات العربية، ج4، ص13؛ ● يسري، عبد الله، 1411هـ، معجم المؤرّخين المسلمين، بيروت، ص132؛ ● عواد، كوركيس، مصادر التراث العسكري عند العرب، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1401هـ، مج 1، ص174.

د.محمد هشام النعسان
معهد التراث العلمي العربي
حلب - سوريا

الأوسي الغرناطي، أبو عبد الله محمد بن علي

(724 هـ/ 1324 م - 782 هـ/ 1380 م)

أبو عبد الله محمد بن علي بن أحمد بن محمد الأوسي البلنسي الغرناطي، مفسر، لغوي،.أصل أسرته من مدينة بلنسية (Valencia) في شرق الأندلس،. ولد في مدينة غرناطة (Granada) في 15 ذي الحجة سنة 724 هـ/ الثالث من كانون الأول (يناير) 1324 م. وقد نشأ عفيفاً، مكباً على العلم، حريصاً على استفادته. وكان أكثر ملازمته للشيخ أبي عبد الله محمد بن علي بن أحمد الخولاني، المعروف بابن الفخّار المتوفى سنة 754 هـ/ 1353 م، والذي كان أحد علماء الأندلس البارزين في اللغة العربية، والفقه، والقراءات، والتفسير، ودرّس بالمدرسة النصرية في غرناطة. وقد انتفع به الأوسي كثيراً، وأخذ عنه معظم دروسه، كما قرأ على غيره من علماء غرناطة، ولكن المصادر المتيسرة لا تشير إلى أسمائهم.

لعب محمد بن علي الأوسي دوراً في أحداث بلده غرناطة، لاسيما حينما تغلب السلطان إسماعيل الثاني بن يوسف على الحُكم، وانتزعه من أخيه محمد الخامس سنة 760هـ/ 1359-1360 م. ويشير لسان الدين بن الخطيب، المعاصر له، إلى أنه تولى بعض الولايات في تلك الفترة، منها القيام بأعمال خطة السوق، التي كانت تختلط أحياناً مع صفة صاحب الشرطة في الأندلس، فأفاد منها جاهاً. كما قام ببعض المهام الأخرى، لاسيما السفارة إلى ملك المغرب السلطان أبي عنان فارس بن أبي الحسن بن عثمان المريني. الأمر الذي جرّ عليه نقمة السلطان المخلوع محمد الخامس، الذي كان متحصناً في مدينة رُندة (Runda) الجبلية. فأرسل إليه فريقاً من رجاله، استطاعوا أن يأسروه، ويقدموا به إليه، وهو في حالة مزرية، موقناً بالعقاب والقتل. وقد أودع السجن، فكان يقرأ القرآن الكريم في الليل بصوت جهوري حسن، الأمر الذي نال استحسان السلطان، فعفا عنه، وأطلق سراحه، بعد نكبته المؤلمة. وعندما استعاد السلطان محمد الخامس عرشه سنة 762 هـ/ 1361 م، أعاده للإقراء في غرناطة.

تميز الأوسي باهتمامه بتفسير القرآن الكريم، وبالعربية، والبيان، ومعرفته لكثير من المسائل، فضلاً عن حفظه المتقن، وإلقائه الحسن، وجهوريّة صوته، الأمر الذي أكسبه محبة تلاميذه، وإقبالهم عليه. وتجدر الإشارة إلى ثلاثة من هؤلاء الذين درسوا عليه، ونبغوا فيما بعد بالأندلس، وأصبحوا من كبار العلماء الذين يشار إليهم بالبنان، مما يدل على تمكن أستاذهم، ومقدرته في توصيل علمه إليهم. وهم كل من أبي عبد الله محمد ابن عبد الملك المنتوري، وأبي إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الشاطبي المتوفى سنة 790 هـ/ 1388 م، والقاضي أبي بكر

عمر بن عاصم، المتوفى سنة 829 هـ/ 1426م، صاحب الرجز المعروف بمنظومة ابن عاصم المسماة «تحفة الحكام في نكت العقود والأحكام».

وقد توفي الأوسي في غرناطة يوم السبت الخامس من ربيع الأول سنة 782 هـ/ التاسع من حزيران (يونيه) 1380 م.

آثاره

1 ـ ألّف الأوسي كتاباً في تفسير القرآن، يتألف من عدة أسفار، 2 ـ كما صنّف استدراكا على كتاب الإعلام بما وقع في القرآن من الأسماء والأعلام، لمؤلفه أبي زيد عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي المتوفى سنة 581 هـ/ 1185 م. وكان هذا الاستدراك، كما يرى ابن الخطيب، كتاباً نبيلاً، رفعه هدية للسلطان النصري. ومن المؤسف أن هذين الكتابين لم يصلا إلينا.

المصادر والمراجع

● ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تح. محمد عبد الله عنان، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1975، 3/ 38-39؛ ● ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تح. محمد سيد جاد الحق، ط 2، القاهرة، دار الكتب الحديثة، 1966، 4/ 207، 208، الترجمة، 4109؛ ● السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، المكتبة العصرية، 1964، 1/ 191، الترجمة، 323؛ ● الداودي، طبقات المفسرين، تح. علي محمد عمر، القاهرة، مكتبة وهبة، 1972، 2/ 211، الترجمة، 544؛ ● البلوي، ثبت أبي جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي آشي، دراسة وتحقيق عبد الله العمراني، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1983، ص 144؛ ● القرافي، بدر الدين، توشيح الديباج وحلية الابتهاج، تح. أحمد الشتيوي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1983، ص 126؛ ● ابن القاضي المكناسي، درة الحجال في أسماء الرجال، تح. محمد الأحمدي أبو النور، تونس، المكتبة العتيقة، القاهرة، دار التراث، 1971، 2/ 276، الترجمة 784؛ ● أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، بهامش الديباج المذهب لابن فرحون، طبعة عباس بن عبد السلام ابن شقرون، مصر، الفحامين، 1351هـ، 270؛ ● كحالة، معجم المؤلفين، دمشق، مطبعة الترقي، 1957، 10/ 305.

د. عبد الواحد ذنون طه
جامعة الموصل — العراق

الأوشيُّ، أبو محمد سراج الدين، علي بن عثمان

(....هـ ـ ....م/575هـ ـ 1179م)

منسوب إلى قبيلة تَيْم ولاءً، ونَجْل شهيدٍ قُتل في سبيل الله فنسب إليه. وُلد في أوش ونشأ بها، وهي مدينة كانت عامرة ذات قهندز، ولها ربضٌ عليه سور، ولها ثلاثة أبواب، خلف نهر سيحون، قريبة من قُبا ومُلاصقة لجبال البطم، من نواحي ولاية فرغانة فيما وراء النهر في آسيا الوسطى. وكانت هذه البلاد المشرقية في زمانه تحت حكم الدولة السلجوقية، ثم ممالك الأتراك الغزية الذين أسروا السلطان سَنْجر في الحرب الواقعة بينهم سنة 548هـ/ 1153م، وكان في أهل هذه البلاد كثرة وشهرة في كل فنٍّ ونوعٍ من العلوم، وفي زماننا اليوم مدينة أوش داخلة في حدود الجمهورية القرغيزية.

لم نعثر على تاريخ ولادة سراج الدين الأوشي، لأنه لا توجد ترجمةٌ كافية له في كتب التاريخ والتراجم والطبقات، إلا معلومات قليلة تقدمها لنا مصادر متفرقة وجدناها في مخطوطات بعض المصنفات. بالاستناد إلى هذه المعلومات يسوغ لنا القول أولا بأنه عاش في أواسط القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، واشتهر بقصيدته اللامية المعروفة بالأمالي في العقائد الإسلامية.

بدأ التعلم في بلده أوش وتحدث عن شيخ الإسلام نصيرالدين أبي عبد الله محمد بن سليمان الأوشي، وسمع منه طبقات أبي بكر محمد بن علي الطوسي، ثم جمع من مروياته مسند أنس بن مالك رضي الله عنه بإسناد واحد، ولعل هذا أول تصنيف له. ثم رحل إلى سَمَرْقَنْد، عاصمة ما وراء النهر، فدرس بها العلوم الشرعية على الإمامين الجليلين من علماء الحنفية : أحدهما العالم محمد بن عبد الحميد الأسمندي الذي سمع منه أيضا جامع الترمذي إجازة، والثاني السيد الشريف ناصرالدين أبو القاسم محمد بن يوسف بن محمد العلوي الحسني السمرقندي، الذي سمع منه أيضا كتاب الإقناع للمروزي، وروضة العلماء للزندوستي وغريب الحديث لأبي عبيد؛ وكانت في سمرقند مدرسة قثم المشهورة للحنفيين. وسمع عن الإمام ظهيرالدين أبي المحاسن حسن بن علي بن عبد العزيز البخاري المرغيناني صحيح البخاري، وعن القاضي أبي ثابت حسن بن علي بن محمد البزدوي عيون المجالس للحدادي واللؤلؤيات لأبي مطيع النسفي، وعن الامام أبي القاسم محمود بن علي بن نصر النسفي كتاب التنبيه لأبي الليث، وفردوس الأخبار للديلمي وكنز الأخبار للبلخي، وعن القاضي ظهيرالدين أبي القاسم علي بن الحسين بن عبد الله البسطامي، في داره ببسطام شهاب الأخبار للقضاعي، وعن القاضي سيف الدين محمد بن محمد بن يعقوب البنجهيري في داره بخجند كتابَ اليواقيت للسرخسي.

كذلك سمع وتفقه على الأئمة والقضاة المشهورين بالعلم والتقوى والسيادة والأدب من علماء ما وراء النهر أصول السنة والجماعة اعتقادا وعملا على مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة، والإمام علم الهُدى أبي منصور الماتريدي، وصار إماما ومفتيا، يدرس العلوم ويعظ الناس ويفتيهم، وتولى القضاء في أوش، وكان حجاجاً فوصف بإمام الحرمين ومفتي الأمة. وتتلمذ عليه طلاب العلم، منهم القاضي الإمام الزاهد أبو نصر أحمد بن محمد بن عمر العتابي البخاري الذي أخذ الإجازة منه.

لم نجد في المصادر القديمة تاريخ وفاته أيضا، إلا أن البغدادي ذكر أنه توفي بالطاعون الواقع سنة 575هـ/ 1179م [هدية العارفين، 1/ 700]، ويفهم من كنيته أنه أنجب ولدين: محمد والحسن.

آثاره

صنف سراج الدين الأوشي في أصول الدين، والحديث، والفقه مصنفات جيدة، ونظم شعراً، وكان له ذوق جيد للشعر والأدب ومن تصانيفه:

1 - الأمالي: قصيدة لامية قافيتها، على البحر الوافر وزناً، في العقائد الإسلامية على مذهب الماتريدية، فرغ من نظمها سنة تسع وستين وخمسمائة (569هـ/ 1174م). وهي من أوائل العقائد المنظومة، تشتمل على مسائل الإلهيات والنبوات والسمعيات وفقا للترتيب المعهود عند المتكلمين، وترد ضمن ألفاظها على الفِرَق المخالفة لأهل السنة، في ستة وستين بيتا، وقد تختلف عدد الأبيات في بعض النسخ بزيادة بيتين، واشتهرت بهذا الاسم أخذا من كلام الناظم في البيت الأول وهو:

يقول العبد في بدء الأمالي
لتوحيد بنظم كاللآلي

وبعض الشارحين يذكرونها بالأمالي التوحيدية، وبدء الأمالي، وقصيدة الأمالي، والقصيدة اللاميّة في التوحيد، وقصيدة يقول العبد في الكلام. واللامية في الكلام، مقبولة مشهورة ومتداولة بأيدي العلماء وتلامذتهم في المدارس وبين الناس في أكثر أقطار العالم الإسلامي، لسهولتها تعلماً وحفظا بحلاوة الألفاظ وإيجاز معانيها. توجد مخطوطات كثيرة منها مستقلة أو ضمن مجموعات في مكتبات العالم، وما في مكتبات تُركيا منها أكثر من 300 نسخة، نشير إلى أقدمها كتابة وهي من محفوظات مكتبة السليمانية في إستانبول: خزانة جامع الفاتح رقم 4093: في أوراق 191 - 196، كتبها إبراهيم بن أحمد سنة 719هـ/ 1319م بفيوم؛ ورقم 4/ 787: في أوراق 73 - 78، كتبها مسافر ابن شمس الدين محمد الداغستاني سنة 756هـ/ 1355م؛ خزانة أياصوفية رقم 2/ 1446 في أوراق 50-60، كتبت سنة 835هـ/ 1432م بدمشق طبعت أولا بعناية المستشرق P. v. BOHLEN مع ترجمتها اللاتينية باسم «Carmen Arabicum Amâli Dictum» في (Regensburg Regimonti) سنة 1825م؛ ثم في بلاد مختلفة من العالم الإسلامي: في إستانبول خمس عشرة مرة ضمن مجموعة أو مع شرحها أو ترجمتها بالتركية، ابتداء 1266هـ/ 1850م وأخيرًا

1331هـ/ 1913م وطبع حجر دون تاريخ. وفي القاهرة ضمن مجموع المتون الكبير عشر مرات ابتداء 1273هـ/ 1857م وأخيراً 1378هـ / 1958م ومرات دون تاريخ، وطبع حجر بجاوه 1318هـ/ 1900م، وبيروت 1326هـ/ 1908م، وبمباي 1274هـ/ 1857م، ونشرها سالم بن سمير في هامش سفينة النجا في سنغافورة 1295هـ/ 1878م ومولوي محمد نذير أحمد خان مع ترجمتها بالأوردية في دلهي 1317هـ/ 1899م.

خمسها نظماً شهاب الدين أحمد بن إسماعيل ابن أبي بكر الإبشيطي الشافعي المتوفى سنة 883هـ/ 1178م، وتوجد مخطوطته باسم تخميس قصيدة يقول العبد في بدء الأمالي في مكتبة السليمانية : خزانة جامع لاللي رقم 10/ 3701 : في أوراق 177 ـ 179، كتب سنة 870هـ/ 1465م. عليها شروح لجماعة من العلماء باللغة العربية :

1- نفيس الرياض لإعدام الأمراض: لغرس الدين (شرف الدين) خليل بن علي بن عبد الله النجاريّ اليمني الحنفيّ المتوفى سنة 632هـ/ 1234م، شرح مختصر مجرد بالقول، توجد ثماني مخطوطات منه في مكتبات إستانبول، أقدمها كتابة في مكتبة السليمانية: خزانة شهيد علي باشا رقم 6/ 1704: في أوراق 103 ب - 121 ب، كتب سنة 806هـ/ 1403م [وانظر: فهرس المخطوطات الإسلامية في قبرص، رقم 384]؛ 2 - الهداية من الاعتقاد : لزين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازيّ الحنفي المتوفى بعد سنة 667هـ/ 1269م، شرح مطوّل بالدلائل من سبعة أصول: الفقه الأكبر، والوصية للإمام الأعظم أبي حنيفة، والكيسانيات لسليمان بن شعيب الكيساني، وعقيدة أبي جعفر الطحاوي، والسواد الأعظم للحكيم السمرقندي، والمعتقد لأبي حفص النسفي، والدر الأزهر، توجد اثنتي عشرة مخطوطة منه في مكتبات إستانبول، وأقدمها في مكتبة السليمانية: خزانة شهيد علي باشا رقم 1/ 1640 : في 63 ورقة، كتبت سنة 750هـ/ 1349م، وقد طبع في مصر مرّتين 1898م، 1902م؛ 3 جامع الجواهر واللآلي في شرح قصيدة بدء الأمالي : لمحب الدين محمد بن يوسف بن أحمد المصري، المعروف بناظر الجيش المتوفى سنة 778هـ/ 1377م، شرح مبسوط في مجلد كبير، مخطوط في مكتبة السليمانية. خزانة حكيم أوغلي علي باشا رقم 838 : في 234 ورقة؛ وخزانة جامع السليمانية رقم 775؛ 4 - شرح قصيدة يقول العبد في بدء الأمالي : لجمال الدين محمود بن أحمد بن مسعود القونوي المتوفى سنة 770هـ/ 1369م، شرح وجيز، توجد مخطوطتان منه في مكتبة السليمانية: خزانة جامع الفاتح رقم 3/ 3012 : في أوراق 40 ـ 42، كتبه محمد بن شعبان سنة 776هـ/ 1374م؛ ورقم 2/ 3018: في أوراق 42-66؛ 5 - شرح قصيدة الأمالي في التوحيد : للشيخ أحمد بن عمر بن محمد الأبقندي (؟) شرح وجيز، مخطوط في مكتبه السليمانية : خزانة جامع الفاتح رقم 1/ 3012: في 17 ورقة، كتبه محمد بن شعبان سنة 776هـ/ 1374م؛ 6 - درج المعالي في شرح بدء الأمالي: لعز الدين محمد بن أبي بكر بن جماعة الكناني المصري المتوفى سنة 819هـ/ 1416م، شرح وجيز جدا، مخطوط في مكتبة السليمانية: خزانة جامع لاللي رقم

3770. وذكره كاتب چلبي باسم مطلع المثال في العقائد الإسلامية ومنبع الكمال في المسائل الكلامية في شرح القصيدة الفريدة اللامية، ولعل هذا شرح آخر له، كاشف لمشكلاتها، مبطل لمعتقد أهل البدع والضلالات، ولكن لم نعثر على نسخة منه؛ 7 - شرح بدء الأمالي: لعلاء الدين علي بن محمد البسطامي المشهور بمصنفك المتوفى سنة 875هـ/ 1470م، شرح متوسط، مخطوط في مكتبة السليمانية : المخطوطات الموهوبة رقم 336؛ 8 - الجوهر الفرد وعُقود اللآلي في شرح يقول العبد في بدء الأمالي : لناصر الدين محمد بن محمد بن خلف بن جبريل المنوفي (من علماء القرن التاسع الهجري)، شرح مبسوط، مخطوط في مكتبة السليمانية: خزانة قليج علي باشا رقم 1036: في أوراق 170 280؛ 9 - شرح بدء الأمالي : لمحيي الدين محمد بن ابراهيم النكساري المتوفى سنة 901هـ/ 1496م، شرح وجيز، توجد خمسة مخطوطات منه في مكتبة السليمانية: المخطوطات الموهوبة رقم 18/ 1269: في أوراق 157-166، كتبت سنة 966هـ/ 1559م؛ ومجموعة إزمير رقم 121، [انظر: شـــن، 1/ 353، 356، 3/ 110]؛ 10 - عقد اللآلي لبدء الأمالي: لشمس الدين محمد بن أبي اللطف محمد بن علي المقدسي المتوفى سنة 927هـ/ 1522م، كتبه بالاستفادة من شرح غرس الدين النجاري، وشرح العز بن جماعة، ونظم إليهما زيادات من عنده، توجد مخطوطات منه في مكتبة يوسف أغا بمدينة قونية تحت رقم 3/ 8650: في أوراق 49 ب - 88 ب، والمركز القومي للوثائق والبحوث في شمال قبرص التركية [فهرس المخطوطات الإسلامية في قبرص، رقم 386؛ الزركلي، 7/ 55-56]؛ 11 - الفوائد المرضية بشرح القصيدة اللامية : لمحمد بن عبد الله المحمدي الجركسي، المعروف بابن دمرداش الحنفي المتوفى سنة 931هـ/ 1525م، موجود بدار الكتب الشامية [هدية العارفين 2/ 231؛ إيضاح المكنون، 2/ 210]؛ 12 - عقد اللآلي في الأمالي : لجمال الدين يوسف بن محمد المقدسي الشافعي، فرغ منه سنة 955هـ/ 1548م [إيضاح المكنون، 2/ 110]؛ 13 - كنز اللآلي في شرح بدء الأمالي: لعلاء الدين علي بن عبد الباقي بن قاضيخان المدني، فرغ منه سنة 979هـ/ 1571م بالمدينة المنورة [إيضاح المكنون، 2/ 387]؛ 14 اللآلي في شرح بدء الأمالي: لشيخ الإسلام حسين ابن إبراهيم بن حمزة بن خليل المتوفى بعد سنة 1000هـ/ 1592م [كشف الظنون، 2/ 1350؛ هدية العارفين، 1/ 320]، وقد أخبر الأستاذ كركجي أوغلي مخطوطة منه باسم تلخيص اللآلي في شرح الأمالي (KÜRKÇÜOĞLU)؛ 15 - الضوء العالي لبدء الأمالي: لنور الدين علي بن سلطان محمد القاري المتوفى سنة 1014هـ/ 1605م، فرغ منه بمكة المكرمة في منتصف شوال سنة 1010هـ/ 1602م، شرح وجيز من أحسن الشروح وأشهرها تداولاً، توجد مخطوطات كثيرة منه في مكتبات العالم [شـــن 3/ 316 - 317؛ فهرس المخطوطات الإسلامية في قبرص، رقم 388]. وطبع في إستانبول مرات : 1278هـ/ 1861م، 1293هـ/ 1876م، 1308هـ/ 1890م، 1312هـ/ 1894م، 1319هـ/

1901م ومع ترجمة حسين حسني بن سليمان إلى اللغة التركية باسم مرآت العقائد 1304هـ/ 1877م، وبمباي 1295هـ/ 1878م، ودلهي 1301هـ/ 1884م، ونشره محمد عبد اللطيف صالح فرفور مع تعليقات عليه في بيروت دون تاريخ. وذكره البغدادي باسم تحفة الأعالي في شرح بدء الأمالي [إيضاح المكنون، 1/ 241] وطبع في القاهرة 1309هـ/ 1892م مع تعليقات عليه؛ 16 - شرح بدء الأمالي: للمولى أحمد بن محمد أمين (من علماء القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي)، مخطوط في مكتبة جامعة إستانبول: المخطوطات التركية رقم 1722، ومكتبة متحف عزت قيون أوغلي في قونية رقم 2/ 10996: في أوراق 8 ب - 20 أ، كتبه حسين بن وليس سنة 1023هـ/ 1614م بسيواس؛ 17 - شرح بدء الأمالي: لمحمد بن أحمد بن عمر الأنطاكي الحنفي (؟)، شرح ممزوج على وجه التحقيق، لم نعثر على نسخة منه؛ 18 - شرح بدء الأمالي: لرضي الدين أبي القاسم بن حسين البكري، والمخطوطة المنسوبة إليه في مكتبة راشد أفندي في مدينة قيصرية بتركيا تحت رقم 1/ 507 نسخة من الهداية من الإعتقاد لزين الدين الرازي المذكور؛ 19 - الجواهر اللآلي لشرح بدء الأمالي: لمحمد بن محمد القناوي المصري المالكي، فرغ منه في رابع جمادى الأولى سنة 1087هـ/ 1676م، وهو شرح متوسط، مخطوط في لفقوشه [فهرس المخطوطات الإسلامية في قبرص، رقم 390]؛ 20 - ضوء اللآلي في شرح بدء الأمالي: لشهاب الدين أحمد بن علي السندوبي الأزهري المتوفى سنة 1097هـ/ 1686م، شرح وجيز، مخطوط في مكتبة راشد أفندي، مضاف برقم 3/ 696. في أوراق 41 ب - 61أ؛ 21 - شرح القصيدة اللامية في علم الكلام: لعبد الرحيم بن أبي بكر بن سليمان المرعشي المتوفى سنة 1149هـ/ 1736م، مخطوط في مكتبة نورعثمانية بإستانبول تحت رقم 7/ 4990، ومكتبة متحف عزت قيون أوغلي في قونية رقم 13 844: في 36 ورقة [هدية العارفين، 2/ 563]؛ 22 - شرح بدء الأمالي: لداود ابن محمد القرصي المتوفى سنة 1169هـ/ 1756م، شرح وجيز، مخطوط في لفقوشه وسراي بوسنه [فهرس المخطوطات الإسلامية في قبرص، رقم 389]؛ 23 - المنهج العالي في شرح الأمالي: مجهول المؤلف، مخطوط في مكتبة السليمانية: خزانة جامع لاللي رقم 2261 24 - نخبة اللآلي في شرح بدء الأمالي: لمحمد بن سليمان الرهاوي المتوفى سنة 1288هـ/ 1871م شرح مبسوط، مخطوط في مكتبة السليمانية: خزانة الحاج محمود أفندي رقم 1384، وطبع في إستانبول (1976، 1979، 1986) بالأفسيت دون إشارة إلى أي أصل؛ 25 - شرح بدء الأمالي: لمصطفى بن محمد النظيف (GAL, [c. 8] 552 /1)؛ 26 - كشف المعالي شرح بدء الأمالي: للسيد محمد شكري، طبع في إستانبول 1291هـ/ 1874م، 1328هـ/ 1910م؛ 27 - نَثْر اللآلي على نظم الأمالي، لعبد الحميد بن عبد الله الآلوسي المتوفى سنة 1324هـ/ 1906م [الزركلي، 3/ 288]، طبع دون تاريخ؛ 28 - الدرر العوالي لشرح بدء الأمالي: لسمي الذبيح (Ismail Çetin)، شرح مبسوط، طبع في إسبارطة بتركيا

1414هـ/ 1993م؛ 29 - / 1 ترجمة الأمالي مع شرحها : للقاضي أحمد بن مصطفى الصاروخاني المتخلص بلالي، فرغ منها في أواخر ربيع الآخر سنة 973/ 20 - XI - 1565، مخطوط في مكتبة كوبريلي: محمد عاصم بك رقم 2/ 250 [هدية العارفين، 1/ 145؛ ششن، 3/ 117]؛ 30 - / 2 ـ شرح لامية كلامية: للمولى محمد بن مَلْقُوجه، ترجمة وشرح إتحافاً للسلطان مراد الثالث العثماني (1574 - 1595م)، وقد عرّف الأستاذ كمال أديب كرّكچي أوغلي مخطوطة منه التي يحتفظ بها في خزانته الخاصة (KÜRÜKÇÜOĞLU)؛ 31 -/ 3- روح النفوس : لمحمد الفيضي، ترجمها نظما على وزنها وقافيتها، ثم شرحها وفرغ منه في محرم سنة 1019هـ IV 1610 (s. 1 [8] KÜRÜKÇÜOĞLU) / 17؛ 32 - / 4 - ترجمة قصيدة يقول العبد في بدء الأمالي: لمحمود الحميدي الإستانبولي، مخطوط في مكتبة السليمانية: المخطوطات الموهوبة رقم 5/ 927: في أوراق 58 - 80، كتبت سنة 1099هـ/ 1688م ومكتبة بايزيد العمومية: خزانة ولي الدين أفندي رقم 3637: في أرراق 233 ب - 300 ب؛ 33 -/ 5- ترجمة قصيدة أمالي: لمحمد بن سليمان، مخطوط في مكتبة جامعة إستانبول: المخطوطات التركية رقم 6638 : في 28 ورقة؛ 34 -/ 6- اللآلي في ترجمة الأمالي: لقدسي أفندي، مخطوط في مكتبة ملت: خزانة علي أميري، المخطوطات الشرعية رقم 328 : في 25 ورقة؛ 35 -/ 7 - مسرح المعالي في شرح الأمالي : للسيد أحمد عاصم العينتابي المتوفى سنة 1235هـ/ 1820م، شرح مبسوط، فرغ منه في رمضان سنة 1215هـ/ 1-1801، وطبع في إستانبول 1255هـ/ 1839م، 1266هـ/ 1850م، 1304هـ/ 1887م؛ 36 -/ 8- ترجمة قصيدة أمالي للسيد محمد شكري بن أحمد عطاء، ترجمة وشرح وجيز جامع، طبع في إستانبول 1303هـ/ 1886م، 1305هـ/ 1888م.

وترجمت إلى اللغة التركية نظماً :

37 -/ 1- لامية كلامية: لخواجه سعد الدين ابن حسن جان المتوفى سنة 1008هـ/ 1599م، ناظماً على وزنها وقافيتها، بإشارة السلطان مراد الثالث العثماني وأتحفه، نشره الأستاذ كمال أديب كركچي أوغلي بالحروف اللاتينية في مجلة كلية الإلهيات بجامعة انقرة سنة 1954م (KÜRÜKÇÜOĞLU, s. 1 - 21)؛ 38 - / 2 ـ ترجمة قصيدة بدء الأمالي نظماً : للمولى مصطفى بن محمد الإستانبولي الشاعر المتخلص بشمعي المتوفى سنة 1005هـ/ 1596م، توجد مخطوطات منه في مكتبات إستانبول وغيرها؛ 39 -/ 3- ترجمة قصيدة يقول العبد : لشناسي أفندي الإستانبولي، مخطوط في مكتبة السليمانية: خزانة الحاج محمود أفندي رقم 1430؛ 40 -/ 4- قصيدة أمالي ترجمة منظومة سي: لحافظ رفيع الإستانبولي، ترجمة مثنوية على وزنها، طبع في إستانبول 1302هـ/ 1884م، ووضعت بين أبياتها ترجمتها باللغة الفارسية المسماة بنجم زَبْركان المنظومة على وزنها وبتغيير قافيتها إلى الهمزة (KÜRÜKÇÜOĞLU, s. 2 [8]).

وعليها شروح باللغة الفارسية.

41 -/ 1- نظم اللآلي: لمحمد بَخَش رفيقي، طبع في لكناو 1869؛ 42 -/ 2- شرح بدء الأمالي: لأَخنْد دَرْوِيزَه بِنْكَرْهَارِي الأفغاني، طبع في لندن 1878.

2 - عيون المسائل في علم الكلام: جمع فيه عيون المسائل في أصول الكلام موشحة بالدلائل، مخطوط في مكتبة السلطان بايزيد بمدينة أماسية تحت رقم 2/ 1822: في أوراق 31 ب ـ 48أ، كتبه يعقوب بن إسماعيل ابن داود سنة 781هـ/ 1379م؛ 3- مسند أنس بن مالك عن ﷺ: جمع فيه قريباً من ثلاثمائة حديث صحيح من مرويات شيخه الإمام الزاهد نصير الدين الأوشي بإسناد واحد، ورتبها على 38 باباً، مخطوطة في مكتبة السليمانية: خزانة جامع الفاتح رقم 3/ 787: في أوراق 59 ب - 74أ، كتبه مسافر ابن شمس الدين محمد بن حاجي الدهستاني وفرغ منه في 23 ربيع الأول سنة 753هـ/ 10 ـ v ـ 1352م؛ 4 - غرر الأخبار ودرر الأشعار: جمع فيه عيون الأحاديث النبوية الهادية إلى مراتب الجنات العليا، والأشعار في الحكمة والوصايا والمواعظ والآداب التي انتخبها من مصادر نادرة أو نظمها على حسب ما تمنته خواطره، مرتباً على أبوابٍ كثيرة، ولكن لم نطلع على نسخة منه؛

5- نصاب الأخبار لتذكرة الأخيار: اختصره من كتاب غرر الأخبار مقتصراً على إيراد ألف حديث صحيح من أربعة عشر كتاباً رامزاً منها كتاب الإقناع في الحديث للقاضي أبي الفضل محمد بن أحمد بن الليث المروزي بعلامة [أ] والتنبيه لأبي الليث بـ [ت]، وجامع الترمذي بـ [ج]، وروضة العلماء للزندوستي بـ [ر]، وشهاب الأخبار للقضاعي بـ [ش]، وصحيح البخاري بـ [ص]، وطبقات القاضي أبي بكر محمد بن علي الطوسي بـ [ط]، وعيون المجالس لأبي عبد الله طاهر بن محمد الحدادي بـ [ع]، وفردوس الأخبار للديلمي بـ [ف]، وكنز الأخبار لمحمد بن بشرويه البلخي بـ [ك]، واللؤلؤيات لأبي مطيع النسفي بـ [ل]، وكتاب النتف لأبي بكر الواسطي الحنفي بـ [ن]، واليواقيت لأحمد بن عبد الله الخفاف السرخسي بـ [ي]، ورتبها على مائة بابٍ، توجد خمس عشرة مخطوطة، خمس منها في مكتبات تركيا، أقدمها من محفوظات مكتبة السليمانية: بخزانة قرا چلبي زاده رقم 1/ 74: في 57 ورقة، كتبت سنة 788هـ/ 1386م، ونسخة في مكتبة جامعة القاهرة تحت رقم 22479: في 84 ورقة، كتبت سنة 945هـ/ 1538م [انظر: كشف الظنون، 2/ 1954؛ الزركلي، 4/ 310].

وذكر البغدادي شرحا عليه باسم مشارق الأنوار [إيضاح المكنون، 2/ 483]، لم نطلع على نسخة منه، والله أعلم بحقيقته؛ 6- ثواقب الأخبار: ذكره كاتب چلبي [كشف الظنون، 1/ 526]، لم نطلع على نسخته؛ 7- الفتاوى السراجية: جمع فيه أجوبته على نوادر الوقائع التي لا توجد في أكثر الكتب الفقهية، وفرغ منه يوم الاثنين من المحرم سنة 569هـ/ 13 ـ VIII ـ 1173م في أوش، وهو إحدى مأخذي مُنْية المفتي للسجستاني [كشف الظنون، 2/ 1224، 1887]، لم نطلع على مخطوطة منه، وقد طبع في لكناو

مرتين: 1223هـ/ 1808م، 1225هـ/ 1810م، وكليكوت 1243هـ/ 1827م؛ 8- جواهر الأحكام: كتاب في فروع الفقه الحنفي باللغة الفارسية فرغ من تأليفه سنة 569هـ/ 1174م مؤرخاً بقوله في البيت الأخير من منظومته بآخر الكتاب:

بتاريخ مضتْ ثاءٌ وسينٌ وطاءٌ في الزّمان المُسْتَنير
بأوْش مَقصد الخيران قدْماً.

توجد مخطوطة منه في مكتبة السليمانية: خزانة آيا صوفية رقم 2/ 1033: في أوراق 62 ب - 159 ب، كتبه الشريف محمد بن سيد علي سنة 825هـ/ 1422م في مدينة قسطموني.

وينبغي أن نذكر أخيراً بأن كاتب چلبي قد أخطأ في نسبة كتابين إليه: شرح منظومة الخلاف ويواقيت الأخبار [كشف الظنون، 2/ 1868، 2053].

■ المصادر والمراجع

● الأوشي، سراج الدين علي بن عثمان نصاب الأخبار، مخطوط في مكتبة المخطوطات بمنطقة قونية تحت رقم 10/ 1023: أوراق 88 ب - 91أ؛ ● السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد، الأنساب تح. ونشر: عبد الرحمن ابن يحيى المعلمي؛ ● الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، المشتبه، تح. علي محمد البجاوي، القاهرة 1962، 1/ 35؛ ● العمري، أحمد بن يحيى بن فضل الله، «ممالك بيت جنكز خان» من مسالك الأبصار وممالك الأمصار، نشر: (K.LECH ، Wiesbaden 1968)، ص 37، 65؛ ● القرشي، محيي الدين عبد القادر بن محمد، الجواهر المضية في طبقات الحنفيه، تح. عبد الفتاح محمد الحلو، القاهرة 1413هـ/ 1993م، 1/ 298 - 300، 2/ 583، 3/ 317 - 318، 409، 435 - 436، 534؛ ● ابن ناصر الدين، شمس الدين محمد بن عبد الله الدمشقي، توضيح المشتبه، تح. محمد نعيم العرقسوسي، بيروت 1414هـ/ 1993م، 1/ 284 - 285 ● كاتب چلبي، مصطفى بن عبد الله الإستانبولي، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، إستانبول 1/ 140، 526، 1/ 1941 - 1943، 1/ 1960 - 1962، 2/ 1103، 1200، 1224، 1349 - 1350، 1539، 1720، 1868، 1887، 1954، 2031، 2053 - 2054؛ ● البغدادي، إسماعيل باشا بن محمد أكمبن: 1 - هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إستانبول 1951، 1/ 145، 320، 351، 563، 700، 2/ 231، 438 ، 2- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون إستانبول 1971 - 1972، 1/ 558، 2/ 74، 110، 210، 233 - 234، 387، 483، 673؛ ● سركيس، يوسف إليان، معجم المطبوعات العربية والمعرّبة، القاهرة 1346هـ/ 1928م، 1/ 499؛ ● الزركلي، خير الدين، الأعلام، بيروت 1995م، 1/ 181، 216، 2/ 334، 3/ 288،

4/ 310، 5/ 9، 13 - 12، 6/ 55، 57، 7/ 55 - 56، 162؛ • شــشــن، رمضان، 1- فهرس مخطوطات مكتبة كوبريلي إستانبول 1406هـ/ 1986م، 1/ 353، 356، 405، 2/ 486، 3/ 105، 113، 117، 316 - 317، 373، 2- فهرس المخطوطات الإسلامية في قبرص إستانبول 1415هـ/ 1995م رقم 383 - 386، 388 - 390؛ • GAL: Carl BROCKELMANN, Geschicte der Arabischen Litteratur (Leiden 1943), 1/552 - 53 Suppl: Carl BROCKELMANN Supplementband (Leiden 1937), 1/ 764-65; • KÜRÜKÇÜOGLU: Kemal Edib, LAMiYYE-i KELAMiYYE, Ankara üniversitesi ilahiyât Fakültesi Dergisi (Ankara 1954), cilt: III/ I - II, s: 1 - 21.

د. جميل فائق الصادقي
استانبول- تركيا

أوفى الشمشوي الألفغي، المصطفى بن أبي بكر

(1237 هـ/ 1821 م - 1300 هـ/ 1882م)

المصطفى بن أبي بكر بن عبد الله ابن أشفغ المعروف بأوفى الشمشوي الألفغي، أمّه بنت وهب بنت منيلية من إدودنيوقب. ولد أوفى في منطقة إكيد 1237هـ/ 1821م، وتوفّي سنة 1300هـ/ 1882م.

نشأ أوفى في أسرة علم وصلاح، فقرأ القرآن الكريم على أمّه وجدّته، ثمّ تعلّم مبادئ العلوم الشرعية على والده أبي بكر. وبعد وفاة والده رحل في طلب العلم، فقرأ الفقه في محظرة الحاج بن الكتاب القناني، وقرأ النحو على أبي بكر بن فتى الحسني (ت 1265 هـ/ 1324 م)، ثمّ قرأ على محمذ فال بن متال، الذي أخذ عنه الطريقة الشاذلية، كما قرأ في محظرة محنض باب بن أعبيد.

أخذ أوفى قسطا كبيرا من العلوم الشرعية واللغويّة: وكان منصّبا للقضاء من قبل قبيلته، وقد حكم في مسائل فقهيّة معقّدة تدلّ على سعة علمه وسموّ مركزه الاجتماعي، لكنّ جانب الطبّ الذي اشتهر به طغى على جوانب حياته العلمية والروحية، فقد ذهب أوفى إلى شيخه محمذ فال بن متال يسأله عن جواز ممارسته للطب فأجابه بأنّه يجب عليه، وقال عنه محمذن بن محمد فال بن العاقل: «إنّه يقع الإغناء بطب أوفى في بلادنا»، وقال أحمد بن الأمين الشنقيطي صاحب الوسيط: «وممّن اشتهر بالطب في أرض القبلة أوفى ومنزع طبه إنّما هو الكتب العربية القديمة، فطبّه مبنيّ على العلم، وقد نظم فيه نظما جيّدا كبيرا، فيه علل الأمراض وأسبابها». ويقول

عنه ابن حامد: «وقد وصف أوفى في عمدته كيفيّة الدواء ووصف أدوية الأمراض كلّها وكيف تستعمل، وذكر أسماءها، وحدّد المبالغ التي تستعمل منها في كلّ مرض بعد أن قام بتحليلها وتجربتها واستخراجها من النباتات. ومع هذا فهو الرجل البدوي الذي لا يعرف القصور، ولم تكن عنده الآلات المخترعة الحديثة»، وقد اشتهر أوفى بالطب في جميع أنحاء البلاد، وكانت الناس تأتي إليه من كلّ مكان، وكان العلماء والأعيان يبعثون إليه من أقصى البلاد لعلاجهم، فقد بعث إليه شيخه أبو بكر بن فتى ليعالجه من مرض ألمّ به، كما بعث إليه العلاّمة الهادي بن بدي مجموعة من الأسئلة الطبّية أجاب عنها في رسالة سمّاها «علاجه» كما بعث إليه شيخه الحاج بن الكتاب أيضا بأسئلة طبّية فأجاب عنها، وقد مدح أوفى أبا بكر بن فتى آنف الذكر بقوله:

على الشيخ أوفى ما سيأتي وما غبر
سلام كريّا المسك قد فاح بالسحر

سلام على من باسمه يشتفي الضنى
وتقضي به الحوجا وينكشف الضرر

وتحكى عن أوفى قصص طبّية غريبة وحكايات تدلّ على مهارته وبركته.

ولقد اشتهر أوفى بتخصصه في الطب التقليدي، واقترن اسمه عند الموريتانيين بالطب والعلاج، وألّف فيه تآليف مهمّة من أشهرها كتاب «العمدة» الذي نظمه في (1224) بيتا، جمع فيها خلاصة ما عرفه الأطبّاء من قبله كابن سينا والأنطاكي والصنوبري وغيرهم، وزاد عليهم بما استخلصه من تجاربه الميدانية في الطب وعلاجه وخصائص النباتات في بلاده، وقد قسم أوفى «العمدة» إلى مقدّمة وستة أبواب: في الطبائع وطبيعة الأغذية والأدوية والضروريّ للأبدان والأمراض والأعراض والأعضاء والعلاج. مقدّمة العمدة:

الحمد لله الذي منّ بما
بإذنه يزيل عنا الالما

ثمّ الصلاة والسلام سرمدا
على محمّد مزيل كلّ دا

وآله وصحبه أولي الصفا
ما طلب الناس من الداء الشفا

ومن مؤلّفاته في الطب «قواعد التدبير»، وهو نظم يبلغ (95) بيتا في الإرشادات الطبية والوقاية الصحية، يقول في أوّله:

باسم الإله أبتدي والحمد
لله طول الدهر، أمّا بعد

فالأصل في الطب على المشهور
بالوحي أو تجربة الأمور

مفاده برء سقام طاري
وحفظ صحة بإذن الباري

وذكر بعض الدواء وعلاجه بالحسانية في أجوبة الهادي بن بدي التي سمّاها «علاجه»، يقول: «وجع الظهر علاجه البول قائما ولحم الجدي قال:

والغمز دائما لمتن ألما
في حال الانبطاح مما عينا

وما دخل في الأذن علاجه دخان زبل البقر والعسل في لبن الثدي».

وله ضمن أعماله العلميّة الأخرى نظم في خواص أسماء الله الحسنى، ونظم في

التوسّل، وديوان شعر نذكر منه:

ذو الفضل لا ينفكّ في أهله
يفعل ما يحسد من أجله
ولم يزل ذو النقص من نقصه
يحسد ذا الفضل على فضله
ومن تمام الفضل إعراضه
عن قول ذي النقص وعن فعله

آثاره

1 - العمدة في الطب؛ 2 - علاجه؛ 3 - قواعد التدبير؛ 4 - أجوبة في مسائل طبية سأل عنها الحاج بن الكتاب؛ 5 - نظم في خواص أسماء الله الحسنى؛ 6 - مجموعة من أجوبة ابن متال، جمعها ورتّبها الطبيب أوفى؛ 7 - نظم «عروض» وهو عبارة عن بيتين من كل بحر من البحور الستة عشر موضوعه الدعاء والتضرّع إلى الله تعالى؛ 8 - ديوان شعر.

المصادر والمراجع

● الشنقيطي، أحمد بن الأمين، كتاب الوسيط في تراجم أدباء شنقيط؛ ● المختار ابن حامد، الموسوعة (خ)؛ ● أجوبة محمذن فال بن متال التي جمعها الطبيب أوفى، تح. لمرابط بن النح، المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، 1987 - 1988.

د. أحمد بن محمد يحيى
جامعة نواكشوط - موريتانيا

الأوفى، محمود بن أحمد المعروف بالكافي

(..... هـ / ...... م - 1045 هـ / 1635 م)

محمود بن أحمد الأوفى المعروف بالكافي. عالم بالفلك حجازي، اهتم بصنع الأزياج وعمل التقاويم. وكان من أشهر الموقتين في عصره.. لم تذكر المصادر تاريخ ولادته ولا أخبار مسيرة حياته أو دراسته أو الشيوخ الذين أخذ علومه عنهم.

آثاره

جميعها في الفلك والتقويم والتوقيت والأزياج من أهمها:

1 - شرح كيفية استخراج التقويم، نسخته الخطية في مكتبة الأب بولس سباط الخاصة برقم (794)؛ ودار الكتب المصرية برقم (977/ميقات) وتحتوي على جداول تقويمية؛ ومكتبة شستربتي في دبلن برقم (4093) كما ذكر بروكلمان في كتابه تاريخ الأدب العربي، ج 8، ص 324؛ 2 - كتاب شرح زيج أولغ بيك الفلكي السمرقندي، نسخته الخطية في المكتبة الأحمدية بحلب برقم (1976)؛ 3 - مرآة العجائب بالجيب

الغائب، نسخته الخطية في دار الكتب المصرية برقم (1082/ ميقات) يعود تاريخ نسخها إلى عام 1174 هـ.

المصادر والمراجع

● كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، دمشق 1957م، مطبعة الترقي، ج 12، ص 144؛ ● الزركلي، خير الدين، الأعلام، بيروت، دار العلم للملايين، الطبعة الحادية عشرة، ج 7، ص 163؛ ● بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ج 8.

زهير حميدان

الموسوعة العربية - دمشق

أولغ بك، أحمد طورغاي بن شاهرخ بن تيمورلنك

(769 هـ / 1393 م - 853 هـ/ 1449 م)

هو أحمد طورغاي بن شاهرخ بن تيمورلنك أولغ بك، عالم رياضي اشتهر في القرن الثامن الهجري - الرابع عشر الميلادي. ولد عام 769 هـ/ 1393 م بمدينة سلطانية من أعمال خراسان، حيث كان أبوه سليل أسرة جنكيزخان حاكما عليها.

بدأ أولغ بك حياته بحفظ القرآن وتجويده بالقراءات السبع، كما كان ذكيًا وشغوفا بالرياضيات والفلك منذ نعومة أظفاره، وكان مولعا بالتاريخ، والفنون، والعمارة. وفي عام 810 هـ/ 1408 م عيّنه والده أميرا على مازندران (في أزبكستان حاليًا)، ثمّ لمّا انتزع والده تركستان من حاكم سمرقند، عيّن أولغ بك واليا عليها. وعقب وفاة أبيه ولي أولغ بك على سمرقند وبخارى وكاشغر التي تقع حاليا في الصين عام 850 هـ/ 1447 م.

أمّا عن حياة أولغ بك العلميّة فلم تعرف العاصمة تحت حكم السّلاطين التّيموريّين تطوّرا ثقافيًا وفنيًا جعل منها المركز الأكثر ازدهارا في كلّ الشّرق الأدنى مثل ما حدث في زمن أولغ بك. وقد تمثّلت إنجازاته المعماريّة في تزيينه لمدينة سمرقند بالعمائر الفخمة، فشيّد خانقاه فيها أعلى قبّة في العالم في ذلك الوقت. كما بنى عليها مسجد أولغ بك عام 823 هـ/ 1420 م الّذي عرف بالمقطع لأنه مغطّى من الدّاخل بالخشب المقطّع الملوّن على النّمط الصّيني. كما بنى مدرسة كبيرة عام 828 هـ/ 1425 م ألحق بها حمّاما مزخرفا بالفسيفساء البديعة، وعهد بإدارتها إلى قاضي زاده الرّومي. كذلك بنى قصرا اتّخذه مقرّا لحكمه بناه على أربعين عمودا من المرمر تحيطه أربعة أبراج شاهقة، وكانت قاعة العرش فيها فسيحة جدّا، بلغت ثمانية أذرع بخمسة عشر مزيّنة بشتّى أنواع الزّخارف واللّوحات الصّينيّة. كما أتمّ

مسجد شاه زند عام 838 هـ/ 1434 م.

أمّا أبرز إنجازاته العلميّة فهي بناؤه مرصد سمرقند عام 832 هـ/ 1429 م على الجانب الآخر من كوهيك، وكان يعدّ في زمانه إحدى عجائب الدّنيا. شيّد هذا المرصد على رابية في الضواحي الشّماليّة الشّرقيّة لمدينة سمرقند على غرار مرصد مراغة. وكان المرصد مربّع الشّكل في كلّ ضلع من أضلاعه قاعة للمحاضرات عهد بها إلى مدرّس خاصّ، وهو ينقسم إلى ثلاثة طوابق بحيث كان الطّابق الأوّل مخصّصا للخدمات، أمّا الطّابق الثّاني والثّالث فقد خصّصت أروقتهما لمراقبة النّجوم ورصدها، وكانت لهما منصّات مفتوحة للأدوات الفلكيّة، حيث كان ارتفاع آلة ذات الرّبع فيه تضارع ارتفاع مئذنة جامع آيا صوفيا بإستانبول.

كما زيّنت جدران المرصد برسوم رائعة تشبه خريطة سماويّة تمثّل تصوّر أولغ بك للكون والأفلاك فهي تضمّ تمثيلا للسّماوات التّسع، ومدارت النّجوم السيّارة السّبع بدرجاتها لدقائقها وثوانيها وأعشار ثوانيها، وكذلك النّجوم الثّابتة والكرة الأرضيّة بمفازاتها السّبع وجبالها وبحارها وصحراواتها. وقد زوّدت مكتبته بأحدث ما كتب على غرار مكتبة مرصد مراغة.

وقد أقيم المرصد على أساس مقاوم للزّلازل، وحافظ البناء على بقائه إلى أن دفنته الرّمال حتّى أعيد اكتشافه من قبل حملة تنقيب روسيّة. ولقد اكتشفت آثار المرصد بعد الحرب العالميّة الثّانية في أثناء حملة تنقيب روسيّة تحت رعاية أكاديميّة العلوم الأوزبكيّة بقيادة الأثري الرّوسي فاسيلي فياتكين عام 1908 م، وأفضت إلى ترميم القسم المتبقّي منه، وهو بشكل أساسي جزء مزولة كبيرة كانت تستعمل لتحديد ارتفاع الشمس بواسطة الظلّ، كما ترى أيضا بقايا بناء ذي شكل أسطواني، لكن تصميمه الدّاخلي معقّد وزخرفة المربّعات المطليّة بالميناء شبيهة بزخرفة مدرسة المدينة الّتي شيّدت في العصر نفسه.

وقد عيّن أولغ بك لإدارة المرصد جمشيد بن مسعود الكاشي وهو عالم مشهور بالهيئة والأرصاد وكان مسؤولا عن آلات الرّصد، يعاونه عدد من الرصّاد الفلكيّين منهم صلاح الدين الفلكي، وحسن جلبي المعروف بقاضي زاده الرّومي، وابنه ميريم جلبي، وعلاء الدين علي القوشجي الفقيه والعالم بالفلك. وكان تلميذا لأولغ بك وقد أرسله إلى الصين لطلب العلم هناك فضبط قياس درجة من خطّ النّهار ومقدار مساحة الأرض، كما زار إستانبول وخدم السّلطان محمد الثّاني العثماني. وقد أسند إليه أولغ بك مرصد سمرقند بعد وفاة قاضي زاده.

وعندما انضمّ الكاشي إلى فريق الرّصد وجد عددا كبيرا من الأجهزة المصنّعة قائمة على تصوّر خاطىء، الأمرالّذي اضطرّه إلى صنع غيرها. ومن أبرز جهود الكاشي هو ابتكار آلة فلكيّة تسمّى «طبق المناطق» ساهمت في الحصول على تقاويم الكواكب ومعرفة أطوالها وعروضها وأبعادها مع الخسوف والكسوف. كما استطاع الكاشي من خلال آلته هذه التّوصّل إلى نتائج هامّة وهي أنّ الكواكب تسير في مدارات إهليلجيّة وليست دائريّة، كما يعتقد من سبقه من الفلكيّين، وقد سجّل

الكاشي نتائجه هذه في الزّيج الخاقاني، وقد كان هذا الاكتشاف سبقا فلكيًا مهّد لكبلر بعده من أن يعدّل نظام حركات الكواكب.

ومن أبرز جهود المرصد أيضا الجداول الإيلخانيّة الّتي هي نتاج ثلاثة عقود من الرّصد ووضعت عام 841 هـ/ 1437 م. وهي تشكّل نتائج عمل جماعي مهمّ، ويضمّ الزّيج حسابات فائقة الدقّة لمواقع النّجوم والكواكب في السّماء بالدّرجات والدّقائق دون الثّواني، وفيه كذلك حسابات دقيقة للخسوف والكسوف، وحركة الشمس والقمر، وبيان خطوط الطّول والعرض العائدة إلى أشهر المدن والأقاليم والنّواحي الإسلاميّة المترامية الأطراف، وقد استخدمت نتائج هذا الزّيج بشكل واسع في ذلك الوقت.

وقد عمل أولغ بك في هذا المرصد جنبا إلى جنب مع الفريق الّذي اختاره بنفسه. ورأى أولغ بك أنّ حساب التّوقّعات للحوادث على ما قرّره بطليموس لا يتّفق مع الأرصاد الّتي قام هو بها، فعمد إلى تصحيحه، وألّف زيجه المعروف بالزّيج السّلطاني. ولقد عني علماء أوروبا المحدثون بالجداول الواردة في هذا الزّيج فانكبّوا على ترجمته ودراسته. كما ترجمه علماء القرن التّاسع عشر والقرن العشرين في كلّ من فرنسا وبريطانيا والولايات المتّحدة. وقد تمّ التّحقّق من خلال هذه الدّراسات أنّ طول العام الشمسي الّذي حدّده بـ 365 يوما و6 ساعات و 10 دقائق و8 ثوان تختلف بفارق دقيقة واحدة عن الزّمن الفعلي الّذي توصّل إليه العلم الحديث.

لقد قام المرصد الفلكي في سمرقند بقياسات فلكية كبيرة على مستوى من الدقّة والشمول لم تصل إليها دراسات الفلك حتى ذلك الوقت. وتتضح هذه الجهود في ذلك «الزيج» الذي أعده هؤلاء العلماء. إن أهم أعمال أولغ بك، هو: زيج، أي كتاب جداول القياسات الفلكية المعروف باسم: زيج أولغ بك. وكلمة زيج من أصل فارسي، وتعني مجموعة الجداول الفلكية والجغرافية. وهذا الزيج ثمرة أعمال العلماء وقياساتهم الفلكية، ويعد تتويجا لجهودهم جميعا برئاسة أولغ بك وإشرافه.

وهناك معلومات عن ملاحظات أولغ بك وعلماء الفلك في منطقة واسعة، امتدت من الصين شرقا إلى بلاد الشام وبلاد العرب وبلاد اليونان غربا، وكان منهم علماء إيران وآسيا الوسطى. وفي هذه الجهود نجد أيضا جهود علماء خوارزم في علم الفلك. وهذا الزيج مؤلف من أربعة أقسام، يتناول القسم الأول التقاويم. أما القسم الثاني فلتحديد الوقت، والقسم الثالث لحركات الكواكب، والقسم الرابع للمعلومات الفلكية الأخرى. وهناك معلومات عن النظرية الفلكية وقياسات مواقع النجوم سنة 1019 م، وفاقت هذه المعلومات من حيث الدقة والشمول كل ما كان متاحا حتى زمن تيخو براهي رائد علم الفلك الحديث. اهتمت أوروبا بجهود هذا المرصد، وطبع هذا الزيج في لندن ثلاث مرات بين عامي 1650م و 1665م. أما في القرن التاسع عشر فقد نشر زيج أولغ بك عن طريق الجمعية الفلكية البريطانية، كما نشر في باريس مع ترجمة كاملة وجداول مقارنة. كان التركيز هنا على حركة خمسة كواكب، درست على مدى السنة كلها قياساتها في كل يوم

بالساعة وبالدقيقة والثانية. وهكذا حدث تقدم كبير ارتبطت أيضا بجعل الرياضيات في خدمة علم الفلك. لقد صنعت جداول فلكية بالإفادة من حساب المثلثات. وبهذا بدأ أيضا تاريخ جديد للرياضيات، ووضعت معادلات جديدة.

وكانت هنالك علاقة بين علماء مرصد أولغ بك وعلماء الصين في ذلك الوقت، عاش أولغ بك في زمن تزمت ديني، ولكنه كان حرّ التفكير. وقف عدد من رؤساء الدين ضده. وفي سنة 1449م ذهب أولغ بك إلى مكة المكرمة حاجا، وفي الطريق، قتله أحد الجنود.

لقد اهتم باحثون محدثون بتاريخ أولغ بك، وفي سنة 1940م تم بحث موضوع قتله، وتدمير المتزمتين للمرصد وأجهزته. وحمل القوشجي كتب المرصد، وخرج بها من البلاد، ويتم حاليا في سمرقند إعادة بناء هذا المرصد، ليكون شاهدا على الاهتمام ـ في مرحلة تاريخية ـ بأكبر مؤسسة علمية لدراسة الفلك.

كما اعتنى أولغ بك بفروع الرّياضيّات الأخرى فشملت اهتماماته حساب المثلّثات وجداوله في الجيوب والظّلال الّتي ساعدت على تقدّم هذا العلم. كما كان له جولة في الهندسة شغل نفسه فيها بحلّ أعمالها العويصة ومسائلها المعقّدة.

ولم يقصر أولغ بك اهتماماته على الفلك والرّصد فقط، بل درس القرآن وحفظه، وجوّده على القراءات السّبع. كما كان له شغف بالشّعر، وقرّب الشّعراء واتّخذ الشّاعر خواجه عصمت البخاري صديقا ونديما. كما كان مولعا بالتّاريخ وصنّف كتابا في تاريخ أبناء جنكيزخان سمّاه «أولوس أربع جنكيزي»، ولكن للأسف لم يصلنا منه شيء.

وعلى الرّغم من كلّ هذا التّفوّق العلمي، فلم يكن أولغ بك موفقا في عالم الحرب والسّياسة كما كان في الفنّ والعلوم، فبعد أن تسلّم الحكم عام 850 هـ/ 1446 م، خلفا لأبيه، تعرّض لسلسلة محن حربيّة وسياسيّة، فلقد واجه منافسين له على الحكم سنة 1449م بعد حكم دام عامين وثمانية أشهر فقط.

آثاره

إن أهم أعمال أولغ بك التي وصلت إلينا، هو ذلك العمل المرجعي «زيجي جديدي سلطاني»، يتضمن جداول فلكية عن الأبراج ومواقع النجوم. وهذا عمل شارك فيه جمشيد الكاشي، ثم قاضي زاده، ثم القوشجي. وقد وصلت إلينا منه مخطوطات كثيرة باللغة العربية وباللغة الفارسية واعتمدت عليه دراسات Th. Hyde في أكسفورد سنة 1665م لخطوط الطول وخطوط العرض. وترجم العمل كله إلى اللغة الفرنسية واللغة الإنجليزية:

- L. Sédillot, Prolégonèmes des Tables astronomiques d'Ouloug Beg, Paris 1897, Trad. et Comm. 1853.
- E. Ball Knobel, Vlug Begs Catalogue of Stors, Washington 1917.

وكان هذا الزيج موضع اهتمام العلماء في العالم الإسلامي: شرحه بالفارسية عبد العلي البرجندى (بعد 930/ 1524)، وله عدة

شروح باللغة التركية، منها شرح ميريم جلبي (المتوفى 1640 م) بتكليف من السلطان بايزيد. وله أيضا عدة تهذيبات، منها تهذيب زين الدين عبد الرحمن الصالحي الدمشقي بعنوان: الدر النظيم في تسهيل التقويم، وكذلك تسهيل زيج أولغ بك شمس الدين محمد بن الفتح المصري الصوفي من القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي، وهذا العمل له مكانة كبيرة في تاريخ العلم والمؤسسات العلمية.

والزّيج السّلطاني، نشره جون جريفز، جامعة أكسفورد، 1642-1648 م.

المصادر والمراجع

● دائرة المعارف الإسلاميّة، مادّة أولغ بك؛ ● أحمد السعيد سليمان، تاريخ الدّول الإسلاميّة ومعجم الأسر الحاكمة، ج 2، القاهرة، 1972 م.

• Ismail Aka, Timurluar, Ankara, 1993. • Zekerya Kitapçi, Orta Asia Türklügünün Büyük Islam Kutur ve Mendniyetinveki Yeri Konva, 1995. • Mitra. p. N. Ulugh Beg, The Astronomer Prince of Iran, Indo-Iranica 8ii, 1955, pp. 8-12. • V. Barthold, U. o und seine Zeit, deutsch v. W. Hinz, AKM xxl I, 1935.

- باللغة القازاقية:

● عبد الستار دربالة، أسماء خالدة من حياة العلماء الكبار من القرون الخامس عشر إلى العشرين.

د. محمد عبد اللّطيف هريدي

جامعة عين شمس ـ مصر

د. شمس الدين كريم

جامعة نور مبارك ـ قازاقستان

أولياء جلبي

(.... هـ/ .... م - 1095 هـ/ 1684 م)

لا يعرف اسمه الحقيقي، ويعتقد أنه أخذ اسم أولياء جلبي من اسم أستاذه أولياء محمد أفندي. وجميع المعلومات التي تتعلق بحياته نجدها في مؤلفه الضخم «سياحت نامه» الذي يتكون من عشرة مجلدات، ويتناول فيه رحلاته في جميع الأراضي العثمانية وغيرها من المناطق الأخرى. وبناءً على هذا يكون قد ولد في يوم 10 محرم من عام 1020هـ الموافق لـ يوم 25 مارس من عام 1611 في استانبول. ووالده هو درويش محمد زلي أفندي رئيس الصاغة في السراي العامرة. ويعود نسل أولياء جلبي إلى خوجه أحمد يسوي من طريق أبناء جرميان. وحسب ما ذكر فإن ياووز أر هو أحد أجداده وكان من حملة الرايات في عهد السلطان محمد الفاتح. وبعد فتح استانبول هاجر أجداده من كوتاهية

إلى استانبول واستوطنوا في أون قاباني. ويذكر أولياء چلبي أن أمه من أصل أباظي، وهو من جهة والده يعتبر من أقرباء ملك أحمد باشا ومحمد وإبرشر مصطفي باشا. وله أخ يسمى محمود وأخت تسمى إنال.

بعد أن درس أولياء چلبي في مدرسة الصبيان انتقل إلى مدرسة شيخ الإسلام حامد أفندي في أون قاباني واجتهد في تحصيل العلم لمدة سبعة أعوام. وفي هذه الأثناء عمل على الحفظ وتعلم الخط. وعقب ذلك واصل تحصيله العلمي في أندرون، وبالإضافة إلى ذلك تلقى تعليما في الموسيقي. وبعد فترة لاحقة من الزمن رشح للسلطان مراد الرابع، وعيّن في وظيفة كهلار خاص مع السلطان. وحسب ما ذكر هو فإنه كان يلتقي دائما مع السلطان، وبصفة خاصة عندما يكون السلطان في ضيق يأتي إليه ويروّح عنه بفضل مرافقته الطيبة له. وفي هذه الأثناء واصل أولياء چلبي اجتهاده في تحصيل العلم. وقادته رحلاته في الأماكن القريبة وذكرياته فيها إلى الشوق لمعرفة بقية المناطق الأخرى. ويعود السبب في رحلاته التي استمرت سنوات طويلة إلى رؤية رآها في ليلة عاشوراء في شهر محرم من عام 1040هـ الموافق لـ 19 أغسطس من عام 1630م. ويقول إنه في هذه الليلة رأى النبي، ﷺ، وأمسك بيده. وفي الوقت الذي أراد أن يقول له: «شفاعت يا رسول الله»، قال: سياحت يا رسول الله» فبشره الرسول عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم بالشفاعة والسياحة. وقام عبد الله دده شيخ خانه مولوية قاسم باشا بتفسير هذه الرؤية، فقام أولياء قلبي أولا بالتجول في استانبول وكتابة مشاهداته فيها. وتنقل في جميع مناطق المدينة وحاراتها وتحدث مع الناس الذين التقاهم هنا وجمع معلوماته.

وفي عام 1640م خرج أولياء چلبي في الرحلة الثانية وكانت إلى بورصه، وعند عودته منها أذن له والده بالقيام برحلات في مناطق أخرى، وطلب منه في الوقت نفسه أن يقوم بكتابة «سياحت نامه». وفي عام1641م ذهب إلى طرابزون وعنابية، وفي هذه الأثناء اشترك في الحملة التي خرجت من أجل إعادة قلعة آزاق. وبعد فشل الحملة عبر أولياء چلبي إلى القرم ونزل مسافرا على خان القرم. وبعد فترة لاحقة من الزمن انضم إلى الحملة التي فتحت قلعة آزاق، وعاد إلى استانبول عبر طريق البحر ويعتقد أنه نتيجة للقلق الذي عاشه بسبب تعرض السفينة التي ركبها للغرق جراء العاصفة التي واجهتها في الطريق لم يخرج في رحلة لمدة امتدت نحو أربعة أعوام. وفي عام 1645م شارك في حملة كريت. وبعد أن شهد فتح قلعة هانيا عاد إلي استانبول.

في عام 1646م توجه إلى الشرق بمعية دفتردار زاده محمد باشا الذي عين على بكلربكية أرضروم، ورافقه كمؤذن ومحاسب له، وتجول في بعض مدن الأناضول. واشترك في حملة شوشك ورافق السفير الصفوي الذي كان عائدا إلى تبريز وتجول في أذربيجان وجورجيا. وكان حاضرا في حملات جورجيا. وعند تعيينه على قارصه لم يذهب وتوجه إلي استانبول مباشرة، وفي هذه الأثناء التقى بمحمد باشا الذي كانت له علاقات مع بعض العصاة، كما وجد فرصة في التعرف على بعض رؤساء الجلاليين. وشهد عصيان واردار علي باشا وكان شاهدا على قتله.

وفي عام 1648م ذهب إلى الشام برفقة مرتضى باشا الذي عين بكلربكي عليها. وهكذا أتيحت له الفرصة للتجول في مدن كثيرة في سوريا وفلسطين. وعندما عين مرتضى باشا على سيواس ذهب معه إلى هناك. وفي هذه الأثناء كانت له فرصة للتجول في مدن وسط الأناضول وشرقه. وفي عام 1650م عاد إلى استانبول. وعند تعيين قريبه ملك أحمد باشا على الصدارة العظمى أصبح واحدا من أكثر الأشخاص الذين يثق فيهم. فكتب أولياء چلبي جميع ما شاهده من أحداث بكل شجاعة. فتناول الانحراف الذي كان حاصلا وتحدث عن حال رجال الدولة وتطرق إلى ذلك بكل صراحة. وعندما تسببت التدابير الاقتصادية التي قام بها ملك أحمد باشا في ثورة أصحاب الحرف عزل من منصبه وعين على بكلربكية أوزي، فذهب معه أولياء چلبي إلى هذه المناطق، وتجول في روسڤك وباباداغ وسلستره، وشارك في تحرير القرى والقصبات الموجودة في هذه المناطق. وعندما أصبح ملك أحمد باشا بكلربكي على الروملي، رافقه وتجول معه في هذه المناطق. وعند عزل الباشا في عام 1653م عاد أولياء چلبي إلى استانبول. وباستثناء فترة قصيرة قام فيها برحله إلى قونيه، استقر أولياء چلبي في استانبول، وعند تعيين ملك أحمد باشا على بكلربكية وپانر ذهب أولياء چلبي هذه المرة إلى وان. وفي هذه الأثناء أتيحت الفرصة من جديد للتجول في شرق الأناضول وإيران وبغداد.

وفي عام 1657م توجه أولياء چلبي مرة أخرى إلى أوزي مع ملك احمد باشا واشترك مع خان القرم في حملات ضد الروس والقزاق. وفي أواخر هذا العام عاد إلى استانبول، وتجول في بورصة وقناق قلعة وغليبولي. وفي عام 1659م كان ضمن القافلة التي وصلت إلى بلاد البغدان والتي أحضرها ويووده البغدان (danvoyvodas Ba) استفنت زاي (Stefenitzay)، وتجول في أنحاء الأفلاق والبغدان. واشترك في حملة ويرپاد مع كوسه علي باشا. وعند تعيين ملك أحمد باشا على بكلربكية البوسنه توجّه إلى هناك وتجول فيها وما جاورها من مناطق. وعند تعيين ملك أحمد باشا بكلربكي الروملي تجول في هذه المناطق باعتباره محصلا. واشترك في حملة أردل وتنقل في جميع مناطقها. وبعد أن قضى فصل الشتاء في بلغراد ذهب إلى منطقة الأرناؤوط (ألبانيا) محصلا ووجد فرصة للتجوّل فيها. وفي عام 1663م يقول أولياء چلبي أنه شارك في حملة النمسا التي قادها فاضل أحمد باشا، وبهذه الطريقة استطاع بعد فتح قلعة أيوار أن يتجول في المنطقة من بوهيميا حتى السويد وهولندا وجميع تلك النواحي. وبعد عودته إلى بغداد كلف أولياء چلبي بمهمة وأُرسل إلى الهرسك، وبفضل ذلك شارك ضد النشاطات التي حدثت في حدود البندقيه، كما شارك في حملة "راب" التي أرسلت إلى المجر. وفي عام 1664م، وبعد عقد معاهدة وأسوار تجول في القلاع الموجودة في تلك المناطق. ويكتب أولياء چلبي أنه ذهب إلي فيينا مع السفير قره محمد باشا وأنه التقى بإمبراطور ورئيس النمسا، ويذكر كذلك أنه أخذ منهما وثيقة وتجول في الدنمارك وهولندا وبراندبيرغ.

بعد فترة لاحقة من الزمن ذهب إلى القوقاز عبر طريق القرم، وتجول في أنحاء الفولغا. ومكث في كفه وبهجة سراي. واشترك مع الخان القرم في حملاته، وفي النهاية عاد في شهر مايو من عام 1668م إلى استنبول. غير أنه لم يمكث طويلا فخرج مرة أخرى في رحلة إلى أدرنه وسلانيك وكوملجينه. ووصل بالسفينة إلى جزيرة كريت وأصبح شاهدا على حصار قلعة قانديه. وفي فترة لاحقة تجول أولياء جلبي في الموره والأرناوؤط. وفي نهاية عام 1670م عاد إلى استنبول. وفي شهر مايو من عام 1671م، وإثر رؤية رآها خرج أولياء جلبي في رحلة من أجل أداء فريضة الحج، غير أنه وبعد أن خط لنفسه خط سير واسعاً عاد إلى الأناضول بعد أن مرّ ببورصه وكوتاهيه وأفيون وإزمير، ومن هناك ذهب إلى جزيرتي ساقز وسسام. وشاهد سواحل آيدين ومنتشا وجزيرتي استانكوي ورودوس. ومن هناك ذهب إلى مناطق لم يرها من قبل وهي أضنه ومرعش وعنتب وكلس، ثم توجه إلى سوريا و منها إلى الحجاز. وبعد أن أكمل حجه ذهب إلى مصر، وتجول فيها وكذلك في السودان وإيالة الحبشة. ويعتقد أن أولياء جلبي مكث في مصر نحو عشرة أعوام، وكتب هناك المجلد العاشر من مؤلفه، ويحتمل أن أولياء جلبي توفي في مصر بغتة بعد فراغه من هذا المجلد الأخير. ولا توجد معلومات قاطعة فيما يتعلق بتاريخ وفاته ومكانها، وهذا بدوره فتح الباب أمام عدد من الادعاءات المختلفة، وهناك فريق من الباحثين يذكر أنه توفي في استانبول بعد عودته من مصر، وأنه مدفون في قبر العائلة الموجود بجوار قبر مؤيد زادة في ششخانه.

لم يتزوج أولياء جلبي مطلقا، وتذكر المصادر أنه كان صاحب شخصية مرحة ومحبوبة وبنية بدنية قوية. ورغم العلاقات الحميمة والطيبة التي جمعته مع رجال الدولة، إلا أنه لم يستغل ذلك لمصلحة شخصية واستفاد من ذلك فقط في رحلاته. وكان أحيانا يقوم بوظائف للدولة في المناطق التي يوجد فيها، وقام بوظائف مثل إعداد أوراق التحرير وغيرها من الأوراق، ومنح إمكانية لتقييم بعض المعلومات الرسمية الموجودة في مؤلفاته.

وبسبب أنه وجد إمكانية للقيام برحلات كثيرة جدا مع ملك أحمد باشا الذي يعتبر نقطة تحول في حياته إبان توليه الصدارة، أصبح يقال له ملك أحمد باشالي. ومع التعليم الذي تلقاه ومع مقدرته الفائقة كان أولياء جلبي ماهرا في الأدب والشعر والخط والموسيقى، وكانت لديه بعض الخطوط التي وضعت في الحرم الشريف. ونلاحظ في تعابيره أن هناك بساطة وجمالا وسلاسة، وفي بعض الأحيان كان يرجح استعمال لغة الخطاب العادي. وبهذا الشكل يمكن تقييم «سياحت نامه» من جانب باعتبارها مذكرات، وكان لنقله الحكايات والأساطير من كلام العامة دور كبير في انتشار كتابه على النحو المعروف.

يعرف هذا المؤلف باسم «سياحت نامه أولياء جلبي أو «أولياء جلبي سياحت نامسي».

آثاره

«تاريخ سياح» ويتكون من عشرة مجلدات احتوى على رحلات الكاتب التي امتدت لمدة 44 عاما، وسجل ما شاهده في جميع

المناطق التي زارها، ويعتبر هذا المؤلف كنزا مهما في مجال معرفة تاريخ الثقافة والحضارة العثمانية التركية. وهذه المجلدات هي على النحو التالي:

المجلد الأول عن استانبول.

المجلد الثاني عن بورصه وإزميت وبارتن وأماسرا وإنابولي وسينوب وبافرا وسامسون وجريسون وطرابزون وجورجيا وأفخازيا وحملة كريت وفتح هانيا ودوزجه غريده وبولو وأماسيا ونكسار وأرضروم وإرذنجان وشبن قره حصار وميرزفون وڤوروم.

المجلد الثالث عن إزنيق وإسكي شهير وإلغن وقونية وألوكشلا وباياس اسكندرون وأنطاكيا وحما وحمص والشام ويافا وبحيرة لوط والرمله وغزه وقيصري وسيواس ومش وعربكير وخربوت وبنكول وبرقاز وبراوادي ومنو وهزارقارد وروسجك ويوركويو وتغبولي وأوزي وكوستنجه وباباداغي وزقرا وفلبه وتاربازارجي ليغي وصوفيا وجسر مصطفي باشا وأدرنه.

المجلد الرابع عن دياربكر وماردين وبتلس ووان وأورروميه وتبريز وهمدان وقرمان شاه.

المجلد الخامس عن إيران وبغداد وسرت وطوقات وماشاهده في طريق استانبول وأوزي وفارنا وإسماعيل وأق قرمان وبندر وحملة لهستان وأوقرانيا وبروت وقلبرون وحادثة أباظة حسن باشا والقلعة السلطانية وبوزجاده وغليبولي وبولير وكيشان ومال قره والبوسنه وأسكوب ومناستر.

المجلد السادس عن حملة إردل ومدن المجر وررومانيا.

المجلد السابع عن قانيجه واستوني بلغراد وفيينا وبودن طمشوار وإيالة الأفلاق والبغدان وولاية قزاق والقرم وداغستان والقوقاز.

المجلد الثامن عن آزاق وكفه وبهڤه سراي وقل بورون وأق قرمان وإسماعيل وبابادبغي وخاص كوي وطريق العودة إلى إستانبول عبر أدرنه وخط السير الذي اتبع من أجل حملة كريت ويشمل أدرنه وديموطوقا وكومولجنه ودراما وسلانيك والموره، وعقب فتح قانديا نجد الأرناؤوط ويانيا وتبه دلان وأولونيا ودراڤ وإلباسان وأوخري ورسنه ومناستر واشتب وجسر مصطفى باشا وأدرنه ومنها إلى استانبول.

المجلد التاسع المناطق التي مر بها عند ذهابه إلى الحج.

المجلد العاشر عن مصر، غير أنه يتناول أيضا السودان وإيالة الحبشة.

توجد أوثق نسخ «سياحت نامه» في مكتبة متحف سراي طوب قابي في استانبول، وتوجد آراء مختلفة فيها يتعلق بكونها مكتوبة بخط المؤلف أم لا. غير أن الرأي الغالب يقول إنها ليست بخط المؤلف، ولكنها تعتبر أقرب النسخ إلى نسخة المؤلف (المجلدان الأول والثاني، بغداد كشكو، رقم 304؛ المجلدان الثالث والرابع، رقم 305؛ المجلد الخامس، روان كشكو، رقم 1457؛ المجلدان السابع والثامن، بغداد كشكو، رقم 308؛ المجلد التاسع، رقم 306؛ أما المجلد العاشر فيوجد في مكتبة جامعة استانبول، المخطوطات التركية، رقم 5973). وتم نشر المؤلف (استانبول 1314-1318هـ)

بالاعتماد على المجلدات الستة الأول الموجودة في مكتبة السليمانية (بيرتيف باشا، رقم458-462). كما تم نشر المجلدين السابع والثامن الموجودين في المكتبة نفسها (بشير أغا، رقم 448-452) بعد مقارنتها مع نسخ أخرى. (استانبول 1928). ونشر المجلد التاسع الموجود في قسم بشير أغا بعد أن تمت مقارنته مع نسخ أخرى وضمن لوحات مأخوذة من مؤلفات الرحالة الغربيين، وضمّن كذلك خريطة إيجه التي رسمها علي رئيس في عام 1567 (استانبول 1935). أما المجلد العاشر فقد تم نشره مع خرائط القاهرة والاسكندرية الموجودة في كتاب «البحرية» لبيري رئيس. غير أن هذه الطبعات وبسبب ظروف المراقبة في تلك الفترة أو لوجود أسباب أخرى كانت تحتوي على نقص وأخطاء. ومع مرور الزمن ظهرت طبعات اعتمدت على النشر الذي تم من قبل واختصرته وبسطته. وفي السنوات الأخيرة قامت المنشورات الثقافية ليابي كريدي في استانبول بالبدء في نشر النسخ الموجودة في متحف سراي طوب قابي بالحروف اللاتينية، ووصلت في النشر حتى الآن إلى المجلد السابع (استانبول 1996-2003). وفي بداية القرن التاسع عشر أثبت جوزيف فون هامر أن النسخ التي أعدها كل من ر. ف. كروتال وبيار أ. مكاي تعتبر نسخا موثوقا بها. ويعتبر هذا المؤلف مصدرا لا يمكن الاستغناء عنه في فهم الجغرافيا العثمانية من حيث اللغة والتاريخ والثقافة والأثنوغرافيا والفلكور والسكان، وهو موضوع نقاش في المجال الأكاديمي. وبسبب أسلوبه وطريقته في العرض، كان أوليا جلبي أحيانا يبالغ عند تقديمه للمعلومات، فأحيانا يتحدث عن مناطق لم يذهب إليها كأنه شاهدها (مثلا رحلته في غربي أوروبا). وباستثناء ما شاهده وما سمعه خلال تجواله فإنه كان يتناول بعض المواضع التي لم يراها كأنه شاهدها، غير أن هذا الأمر لم يعتبر خاصية في كتاب «سياحت نامة» باعتباره مصدرا مستقلا. وتمت في الشرق والغرب دراسات منوغرافية كثيرة جدا تتعلق بوثائق معتمدة على «سياحت نامه». وقد ترجمت معظم أقسام المؤلف إلى اللغات الغربية وبالشكل نفسه ترجمت بعض الأقسام التي تتعلق بالأراضي العربية والإيرانية إلى اللغتين العربية والفارسية وتم نشرهما.

المصادر والمراجع

• Joseph F.V.Hammer, Evliya çelebi, Narrative of Travels in Europe and Africa, London 1834; • Nail Tan, Evliya çelebi, Seyahatnamesi Folklorik Dizin Denemesi, Ankara 1974; • R. Danko, An Evliya çelebi Glossary. Unusual Dialectical and Foreign Words in the Seyahatname, Harward 1991; • R. Danko-K.Kreiser, Materialien zu Evliya çelebi, Wiesbaden 1992; • Hayati develi, Evliya çelebi Seyahatnamesine göre 17. Yüzyil Osmanli Türkçesinde Ses Benzesmeleri ve Uyumlar, (Doktora tezi), Istanbul Universitesi 1993; • M. Cavit Baysun, «Evliya çelebi», Islam Ansiklopedisi, IV, p. 441-442; • Amlf, «Evliya çelebiye Dair

Notlar» TM, XII, (1955) p. 257-264; • M. Eren, Evliya çelebi Seyahatnamesi birinci cildinin kaynaklari üzerinde bir arastirma, Istanbul 1960; • R.F. Kreutel «Neues zur Evliya çelebi Forschung» Isl, XL, VII (1971) p. 269-279; M. Isen, «Edebiyat Tarihimizin Kaynaklarindan Evliya Çelebi Seyahatnamesi», Türklür Arastirmalari Dergisi, IV/1989, p.229-233; • Y. Özkaya, «Evliya çelebi Seyahatnamesine Göre Anadoludaki sehirlerin Ev, Mahalle sayisi ve Ticaretleri», Ayni yayin, p. 253-282; • Tüten Özkaya, «Sovyetler Birliginde Evliya Çelebi'nin Seyahatnamesi ile ilgili Yayinlar», TTK, Belleten, LIV/211 (1990) p. 1259-1275; • P.A.Mackay, «The Manuscripts of the Seyahatname of Evliya çelebi», der Islam, 52/1975, p. 278-298; • Fahir Iz, «Evliya çelebi ve Seyahatnamesi», TTK Belleten, LIII/207-208 (1989), p. 709-731; • Cemil Öztürk, «Macar Edebiyatinda Evliya çelebi», Tarih ve Toplum, XVI/1991, Istanbul, p. 59-60; • Mahmut AK, «Evliya Celebi Yasamlari ve Yapitlariyla[2] Osmanlilar Ansiklopedisi, Istanbul 1999, I, 426-428; • J.H.Mordtmann- (H.W.Duda), «Evliya Çelebi», E 12, II, p. 717-720; • Mücteba Ilgînel, «Evliya Çelebi», Türkiye Diyanet Vakfi, Islam Ansiklopedisi, XI, p. 529-533;

د. عزمي أوزجان
جامعة مرمرة - اسطنبول - تركيا
ترجمة: أنعم محمد عثمان الكباشي
جامعة الخرطوم - السودان

ابن الإيّادي، علي بن محمد التونسي

(... هـ/...م - بعد 365 هـ/976م)

هو الشاعر عليّ بن محمد الإيّاديّ التونسيّ أو ابن التونسي. وهو غير شاعر آخر معاصر له هو علي بن يوسف التونسي [بو يحيى، الحياة، ص 129] من شعراء افريقية في أواخر القرن الهجريّ الرابع غالبا ما يخلط بينهما في نسبة الأشعار أو الأخبار.

ولد عليّ بن محمّد في تونس وبها تعلّم قبل أن يلتحق ببلاط الفاطميين بالقيروان والمهدية يمدحهم. مدح القائم (322 هـ/ 934 م - 334هـ/ 946م)، والمنصور (334هـ/ 946م - 341هـ/ 953م)، والمعزّ لدين الله الفاطمي (341هـ/ 953م - 365هـ/ 975م). اشتهر

بمدحه للقائم ولكنّ شهرته بمدح المنصور والمعزّ كانت دون ذلك إمّا لوجود المنافس القويّ كعليّ بن يوسف عهد المنصور، وابن هانئ عهد المعزّ، وإمّا لأنّه صار مقلاّ كسولا بعد ذلك [yaalaoui: un poète.. 14]. صار اسمه يقترن باسم الشاعر الوافد من الأندلس ابن هانئ لا لأنّهما يشتركان في التمذهب إلى الشيعة الإسماعيليّة ويعبّران عن مذهب الدولة الرسميّ فقط، بل لأنّ ابن هانئ لم يكن حين حلّ بإفريقيّة يعترف بغيره كفئا نديدا له. فقد ذكر ابن رشيق أنّ ابن هانئ لمّا وصل إلى إفريقيّة هجاه شعراؤها، «فقال: لا أجيب منهم أحدا إلاّ أن يهجوني عليّ التونسي فإنّي أجيبه» فرضي التونسي (هل يكون الإيادي هو المقصود؟) بهذه الموازنة وقال: «أما إنّي لو كنت ألأم الناس ما هجوته بعد أن شرّفني على أصحابي وجعلني من بينهم كفئا له» [العمدة، 1/ 111].

وربما كان النقاد القدامى يسعون إلى إثبات هذا التكافؤ حين يوازنون بين بعض القطع من مدحيهما في المعزّ، ويمكن القول إنّ ما وصل من شعر الإيادي، على قلّته، كان أغلبه في هذا السياق من المقارنة. فمن الأمثلة، المقارنة التي أقامها الحصري بينهما في زهر الآداب [1/ 33] في وصف أسطول حربيّ كان فيما يبدو في قصيد مهدى إلى بني حمدون بالزاب. وقد تعزى بعض أشعار ابن هانئ نتيجة هذا التقارب إلى الإيادي [كما هو الشأن في القطعة 27 من الديوان الأول: [Yaalaoui, un poète.. 196].

تميّز الإياديّ بوصف نفائس ممتلكات الفاطميين وبدائع ما شيّدوه كقصر المنصورية «دار البحر» بصبرة (القيروان) الذي شيّده الخليفة المنصور الفاطمي.

وعلى الرغم من أنّ الإيادي كان شاعرا مقلاّ في عهد المعزّ لدين الله إلاّ أنّه قرّبه وجعله كما في عهد سابقيه أحد شعرائه الرسميّين ودعاه لمّا أزمع على ترك القيروان إلى القاهرة عام 362 هـ/ 972 م بعد أن فتحها قائده جوهر الصقليّ (شعبان 358هـ/ جويلية 969م)، إلى أن يصطحبه إليها فتأخر بالقيروان قبل أن يبحر إليه لكنّ الروم أسروه وتمكّن بعد مدّة من أن يفكّ أسره منهم ويلتحق بالمعزّ في القاهرة.

يرجّح حسن حسني عبد الوهاب [المنتخب، 44] أن وفاته كانت سنة 365هـ/ 975م أي في العام الذي مات فيه المعزّ لدين الله. ويشكّك بو يحيى في هذا التاريخ ويرجّح أن يكون ابن الإيادي قد شارك في الحياة الأدبية في عهد بني زيري مع ابن خالته الشاعر عنترة (ت 410 هـ/ 20-1019 م) [بو يحيى، الحياة، 1/ 72 ها. 1].غير أنّه لا يقدّم حجّة شافية على أنّ ابن الإيادي قد مات في 365هـ أو بعدها فقد بدأ أثره يفقد بعد أن خرج من ظلّ آخر وليّ لنعمته المعزّ لدين الله. ولم تكن كتب التراجم والاختيار سخيّة مع أخبار هذا الشاعر أو أشعاره. وقد يكون في تشيّعه بعض السبب لكنّه يضعف حين نجد اسم أمثاله من أهل «الاستشراق» يلمع ذكرهم كابن هانئ. فابن رشيق الذي أشار إليه في «العمدة» أغفل ذكره في «الأنموذج» وذكر من تعرّف به كابن خالته المذكور [أنموذج، 314].

ولم يكن ابن شرف «زميل» ابن رشيق ضنينا عليه بالذكر بل عدّه في مقامته النقدية التي

خصّ بها فطاحل الشعراء والتي ضمّها كتابه «رسائل الانتقاد» ممن يرفع عنهم شعرهم خمول الذكر. يقول ابن شرف: «وأمّا علي التونسي فشعره المورد العذب ولفظه اللؤلؤ الرطب وهو بُحتريّ الغرب يصف الحمام فيروق الأنام ويشبّب فيعشّق ويحبّب ويمدح فيمنح أكثر مما يمنح» [الذخيرة، ق4 مج 1، ص 211].

إلا أن هذه الأحكام لا يمكن أن تقدّم لنا صورة صادقة عن «بحتريّ» المغرب في غياب مدونة أشعاره.

المصادر والمراجع

● الحصري، زهر الآداب وثمر الألباب ط. القاهرة 1953م، 1/ 234؛ ● ابن شرف، رسائل الانتقاد تح. ح ح عبد الوهاب، ط. دمشق 1911، ص11، 22؛ ● ابن رشيق، العمدة تح. م م عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، 1981م، 1/ 111؛ ● أنموذج الزمان في شعراء القيروان، تح. المطوي والبكوش، تونس - الجزائر، 1986م؛ ● قراضة الذهب في نقد أشعار العرب، تح. ش بو يحيى، ط. تونس 1972م، ص 169؛ ● ابن الأبار، الحلة السيراء، ط. القاهرة 1374 هـ، 1/ 258 ● ابن ظافر الأزدي، بدائع البدائه، تح. م. أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1970م، ص 38؛ ● المقري، نفح الطيب، ط. بيروت، 1388هـ، 5/ 199 - 200؛ ● عبد الوهاب، حسن ح.، بساط العقيق في حضارة القيروان وشاعرها ابن رشيق، ط.مكتبة المنار، تونس، 1970م، ص30- 31؛ ● شهيرات التونسيات، مكتبة المنار، 1966م، ص 40؛ ● المنتخب المدرسي من الأدب التونسي، ط 2، القاهرة، 1944م، ص ص 46- 49؛ ● روجي إدريس، الهادي، الدولة الصنهاجية، تع. حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، 1992م، 2 ج؛ ● أبو يحيى، الشاذلي، الحياة الأدبية بإفريقية في عهد بني زيري، تع. محمد العربي عبد الرزاق، بيت الحكمة، تونس، 1999م، ص ص 71- 73؛

● Yaalaoui M: un poète chiite d'occident..., publications de l'université de Tunis, Tunis, 1976, pp. 14, 28, 110, 145-6, 166, 374, 402.

د. توفيق قريرة
جامعة تونس

الإيادي، قسّ بن ساعدة بن عمرو

(هـ/م . نحو 23 ق.هـ/ نحو 600م)

قد يتبادر إلى الأذهان أنّ كلمة «قس» تدل على رتبة من رتب رجال الكنيسة ورئيس من رؤساء النصارى في الدين والعلم. وهذا ما ينطبق على «قس بن ساعدة» وبخاصة أنه كان ـ كما يقال ـ: أسقف نجران. وعليه يكون هذا اللقب، فما هو الاسم؟.

تذكر المراجع القديمة والحديثة أنّ «قس» هو الاسم الأساسي وليس اللقب.

فهو «قس بن ساعدة بن عمرو بن إياد» ومن ألقابه: خطيب العرب، وحكيم العرب [جواد عليّ، المفصّل، 8/ 251].

قال «القلقشندي»: وفارق «إياد» الحجاز وسار بأهله إلى أطراف العراق فأقام به. ومن إياد، قس بن ساعدة الإياديّ [الإصابة في تمييز الصحابة، 3/ 279].

ويقول صاحب الموسوعة: كانت منازل قومه بالجزيرة. وعُيِّنَ أسقفًا لنجران. وكذلك يقول صاحب الأعلام وفي تاريخ الآداب العربية [الموسوعة العربية الميسّرة، ص 1379] سُمّي خطأ «أسقف نجران» [فيليب حتّي، تاريخ العرب، 157].

وهناك شبه إجماع أنّ وفاة «قس بن ساعدة» كانت حوالي (600م) إذ ورد في معظم المراجع القديمة أن الرسول ﷺ رآه يخطب بسوق عكاظ وذلك قبل البعثة النبويّة، وهذا يقارب سنة (23 ق.هـ). إذا كان هذا تاريخ الوفاة، فما هو تاريخ الولادة؟

من العسير جدًّا معرفة تاريخ الولادة حيث إن هناك تفاوتاً بيّناً في تحديد المدة التي عاشها «قس» فقد ذكر «ابن كثير» أنه عاش ستمائة سنة، وقال المرزباني: زعم كثير من العلماء أنه عمّر ستمائة سنة. وقال «الألوسي» إنه عاش سبعمائة سنة وأدرك «سمعان» وهو من الحواريين، وهذا ما ذكره «نوفل الطرابلسي» أيضًا [ابن كثير، البداية والنهاية، 2/ 232؛ الألوسي، بلوغ الأرب، 2/ 245].

ونقلا عن كتاب المعمّرين للسجستاني، ذكر صاحب بلوغ الأرب، وصاحب خزانة الأدب أنه عاش ثلاثمائة وثمانين سنة، أما صاحب مجمع الأمثال فذكر أنه عاش مئة وثمانين سنة فقط، وصاحب «المفصل» آثر الابتعاد عن الأعداد وقال: وهو من أهل الفترة الذين عاشوا بين الميلاد والرسالة [بلوغ الأرب 2/ 246؛ خزانة الأدب، 2/ 90].

ذكر «ابن كثير» أنّ «الجارود بن المعلى» قال: كان «قس» سبطًا من أسباط العرب، عمّر ستمائة سنة تقفّر منها خمسة أعمار في البراري والقفار، يضجّ بالتسبيح على مثال المسيح، لا يقرّه قرار ولا تكنّه دار ولا يستمتع به جار. كان يلبس الأمساح ويفوق السياح، ولا يفتر من رهبانيته، يتحسّى في سياحته بيض النّعام، ويأنس بالهوام، ويستمتع بالظلام، يبصر فيعتبر، ويفكّر فيختبر، وشوّق إلى الحنيفيّة، ودعا إلى اللّاهوتيّة [البداية والنهاية، 2/ 230 وما بعدها].

وذكر «العسقلاني» أنّه أوّل من آمن بالبعث من أهل الجاهلية وبشّر بالدِّين الجديد، وقال: فطوبى لمن أدركه واتّبعه، وويل لمن خالف. وقد أثنى الرسول ﷺ عليه لاحتجاجه للتوحيد ولإظهاره الإخلاص وإيمانه بالبعث [العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، 3/ 279].

وذكرت بعض المراجع أنّ «قس بن ساعدة» اعتُبِرَ واحدًا من الصحابة، وأنّه أوّل من تألّه (وتعبّد) من العرب وآمن بالبعث، ولم يكن يهوديًا أو نصرانيًا بل كان حنيفيًا موحّدًا، وكان حكيم العرب، وراقب الكون ومصير البشر، وفكّر واعتبر، فتحدّث عن الفناء وقال:

في الذاهبين الأوّلين
من القُرون لنا بصائرْ

لمّا رأيتُ مواردًا
للموت ليس لها مَصادر

ورأيتُ قومي نحوها
يَمْضِي الأصاغِرُ والأكابر

أَيقَنْتُ أنّي لا مَحالة
حيثُ صارَ القومُ صائر

[الألوسي، بلوغ الأرب، 2/ 244 وما بعدها؛ ابن قتيبة، المعارف، ص 61].

هذا وقد ورد في الموسوعة العربية أنّه اعتنق النصرانية. وقال «نالينو» وهو يتكلم عن شعر النصارى في زمن الجاهلية: ومن هذا الباب أيضًا قصيدة حائيّة مشهورة منسوبة إلى نصرانيّ آخر أعني «قس بن ساعدة الإيادي» [كارلو نالينو، تاريخ الآداب العربية، ص 305].

وهكذا نلاحظ أن البعض يقول إنه لم يكن يهوديًا ولا نصرانيًا، وآخر يقول إنّه كان نصرانيًا. والجدير بالذكر أنّ الجميع يشهدون له برجاحة العقل وعمق التفكير، فمال عن الدنيا وزخرفها، وعاش على الكفاف، وكان ينتهز الفرص في سوق عكاظ وغيره ليعظ الناس ويبعدهم عن عبادة الأوثان ويحثهم على عبادة الله حتى لا يغضب عليهم وينتقم منهم. إنّه مصدّق بالبعث والنشور وموقن بأنّ الله يثيب المطيع ويعاقب العاصي. فقد قال:

يا ناعِيَ الموتِ والأمواتُ في جُدثٍ
عليهم من بقايا بزّهم خرقُ

دَعْهم بأنّ لهم يومًا يُصاحُ بهم
كما يُنَبَّهُ من نَوْماته الصَّعِقُ

[المرزباني، معجم الشعراء، ص 338؛ العسقلاني، الإصابة، 3/ 279].

لم يكن وعظه مقصورًا على الناس، فقد نسبوا إلى «قس» ينصح ولده فيقول:

إنّ المعا تكفيه البقلة، وترويه المذقة ومن ظلمك وجد من يظلمه وإذا نَهَيْتَ عن شيء فابْدَهْ نفسك، ولا تَجمع ما لا تأكل، ولا تأكل ما لا تحتاج إليه، وإذا ادّخرت فلا يكون كنزك إلا فعلك، ولا تشاورنّ مشغولاً وإن كان حازمًا، ولا جائعًا وإن كان فهمًا، ولا مذعورًا وإن كان ناصحًا، وإذا خاصمت فاعدل، وإذا قلت فاقتصد [جواد علي، المفصّل، 8/ 766].

إننا نرى في هذه المواعظ، زهد «قس» في الحياة الدنيا التي يتسابق الناس فيها على التكاثر من جمع الأموال، حرامها وحلالها، مع أن الإنسان تكفيه شربة من اللبن يسدّ بها

جوعه، والكنز الحقيقيّ هو ما ادّخره المرء من فعل الخير، ثم نراه يرشد ابنه إلى الذي تصحّ مشورته، إنّه بحق حكيم العرب ومن أعقلهم وأفصحهم.

ونسب لقس بن ساعدة أعمال خارقة فقد ذكرت بعض المراجع القديمة أنّه حين قدم وفد «إياد» على الرسول ﷺ سألهم عن «قس» فأخبروه أنّه قد مات، وتحدّثوا عن فصاحته وحكمته. فقال رجل: يا رسول الله، لقد رأيت من «قس» عجبًا، بينًا، أنا بجبلٍ في يوم شديد الحرّ، إذ أنا بقسّ تحت ظلّ شجرة عندَ عين ماء، وعنده سِباعٌ كلّما زار سبع منها على صاحبه، يطلب الماء قبله، يضربه «قس» بالقضيب، ويقول: ارجع ثكلتك أمّك حتى يشرب الذي ورد قبلك. فرجع ثم ورد بعده. وإذا أنا بقبرين بينهما مسجد، فقلت له: ما هذان القبران؟ قال: هذان قبرا أخوين لي فماتا، فاتخذت بينها مسجدًا أعبد الله فيه حتى ألحق بهما، وأخذ يبكي ويقول:

خليليَّ هُبَّا طالما قد وَقدْتُما
أجِدُكا لا تقضيان كَرَاكما

[العسقلاني، الإصابة، 36، 280].

وإذا صحّت الرواية، فهل يعني ذلك أنّ «قس ابن ساعدة» كان وليًّا من أولياء الله الصالحين فسخّر له ملوك الغابات: السباع.

كان «قس» حكيم العرب، وكان يضرب به المثل في الفصاحة، وقد ذكر الرسول ﷺ أنه رآه يخطب بعكاظ وأعجب بفصاحته وبلاغته وقال: «يرحم الله قسًّا، إنّي لأرجو أن يُبعث يوم القيامة أمة واحدة». وقال الجاحظ: إنّ له ولقومه فضيلة ليست لأحد من العرب، لأن الرسول ﷺ روى كلامه وموقّفه على جمله بعكاظ وموعظته وعجب من حسن كلامه وأظهر تصويبه، وهذا شرف تعجز عنه الأماني، وتنقطع دونه الآمال [الجاحظ، البيان والتبيين، 1/ 52 و1/ 163؛ البغدادي، خزانة الأدب، 2/ 91].

وكان «قس» يفِدُ على «قيصر» زائرًا فيكرمه ويجلّه. فسأله «قيصر» يومًا: ما أَفْضَلُ العقل؟ قال: معرفة المرء بنفسه. قال: فما أفضل العلم؟ قال: وقوف المرء عند علمه. قال: فما أفضل المروءة؟ قال: استبقاء الرجلِ ماء وجهه. قال: فما أفضل المال؟ قال: ما قُضِي به الحقوق .[القالي، الأمالي، 2/ 37؛ ابن منقذ، ص 21؛ ابن عبد ربّه، العقد الفريد، 2/ 254].

وهكذا يمكننا أن نتعرّف أكثر على عَلَم كبير من أعلام العرب في العصر الجاهلي، ويكفيه فخرًا أنّ الرسول ﷺ، الذي أوتي جوامع الكلم، يثني على فصاحته ويترحّم عليه. وكذلك القيصر العظيم يسأله ليستفيد من حكمته وعلمه.

كان الخطيب في العصر الجاهلي يخطب باسم قبيلته، في المواسم، والوفود للمفاخرة، والمشاجرة والدّفاع عن حقوق قومه. لذلك ارتقى فنّ الخطابة إلى مقام عالٍ جدًا. وفي هذا المجال سطع نجم «قس بن ساعدة» حتى قيل عنه إنّه خطيب العرب قاطبة، وقيل إنّه أشهر الخطباء وأرفعهم قدرًا، وقيل كان فردًا في زمانه، وأضحى يضرب به المثل في الفصاحة والبلاغة حتى قيل: أبلغ من «قس» وأفصح من «قس». وكان يتردد إلى سوق «عكاظ» في المواسم، وهو أعظم سوق عند

العرب في التجارة والخطابة والشعر حيث التفاخر والتمايز، وفيها يخطب كل خطيب مِصْقَع، فكان لقسّ دوره الريادي ومكانته المرموقة. وهناك رآه الرسول (قبل البعثة) يخطب على جملٍ أحمر، فأبدى إعجابه بفصاحته وبلاغته. وممّا جاء في خطبته هذه قوله:

أيّها الناس، اسمعوا وعوا، من عاش مات، ومن مات فات، وكلّ ما هو آتٍ آت. ما لي أرى الناس يذهبون ولا يرجعون، أرَضُوا بالمُقام فأقاموا، أم تركوا فناموا؟! يا معشر «إياد»، أين الآباء والأجداد، وأين المريض والعوّاد؟ فتلك عظامهم بالية، وبيوتهم خاوية، عمرتها الذئاب العاوية [الميداني، مجمع الأمثال، 1/ 111].

وكل ما يُنسب إلى «قس» من الخطب هي قطع صغيرة كلّها بالكلام المسجّع والجمل القصيرة. ويقال إنّه أوّل من صعد على شرفٍ وخطب عليه، وأوّل من قال في كلامه «أمّا بعد»، وأول من اتكأ عند خطبته على سيفٍ أو عصا [الألوسي، بلوغ الأرب، 2/ 246؛ الزركلي، الأعلام، 5/ 196]. وبذلك يكون السبّاق في وضع مناهج للخطابة العربيّة سار عليها الخطباء اللاحقون.

ونجد في كتب التراث العربي عدة مقطوعات شعرية منسوبة إلى «قس» يتحدث فيها عن الملوك السابقين وقصورهم وعمرانهم وما آلت أحوالهم إليه من فناء وخراب، أصبحت عظامهم بالية وبيوتهم خاوية. ويُكْثِرُ من الوعد والوعيد، والتحذير والتبشير، وذكر الموت والمعاد والنشر والحشر، والحساب والعقاب، والجنة والنار.

وينفرد «لويس شيخو» بذكر قصيدة حائيّة طويلة نسبيًا تتألف من واحد عشرين بيتًا ينسبها إلى «قس» ويقول إنه نقلها من كتاب خط قديم في المكتبة البريطانية، ومطلعها:

قَدْ كُنْتُ أسمعُ بالزَّمانِ ولا أرى
أنَّ الزَّمانَ يُطِيقُ نَتْفَ جَناحِي

ويختمها بقوله:

مَنْ ذَا تَصَافَقَ كَفُّهُ كفُّ الرَّدَى
يَشْرِي التُّقَى عنْ بَيْعَةِ الأَرْوَاحِ

هذا وقد ذكره جماعة من الشعراء في أشعارهم، وضربوا الأمثال به. قال الأعشى يصفه بالحلم:

واحلَمُ من قسٍّ وأجرى من الذي
بذي الغِيل من خفّان أصبح حارِدًا

وقال الحطيئة يصفه بالخطابة:

واقولُ من قسٍّ وامضِي إذا مضى
من الرّمح إذ مَسَّ النفوس نكالها

وأمّا لبيد فقد قال:

واخلفْن قسًّا ليتني ولعلّني
واعيَا على لقمانَ حكْم التدبّر

[المرزباني، معجم الشعراء، ص 338]

هذا هو «قس بن ساعدة» خطيب العرب وشاعرهم وحكيمهم.

المصادر والمراجع

● ابن قتيبة، المعارف، تح. ثروت عكاشة، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية، 1969م ص 61؛ ● الأصبهاني، الأغاني، تح. عبد السلام هارون، مصوّر

عن طبعة دار الكتب، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، 15/ 246؛ ● الألوسي، بلوغ الأرب، شرح وتصحيح محمد بهجة الأثري، دار الكتب العلمية، بيروت، 2/ 244 وما بعدها، و3/ 122 و155؛ ● المزرباني، معجم الشعراء، تصحيح وتعليق ف. كرنكو، مكتبة القدسي ودار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، 1982، ص 338؛ ● المسعودي، مروج الذهب، تدقيق يوسف أسعد داغر، دار الأندلس، بيروت، الطبعة الرابعة، 1981، 1/ 82 و2/ 102؛ ● ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، شرح وضبط أحمد أمين والزين والابياري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة 1965م، دار الكتاب العربي، بيروت 2/ 254 و4/ 128؛ ● ابن كثير، البداية والنهاية، ضبط وشرح ونشر مكتبة المعارف، بيروت، الطبعة الرابعة، 1981م، 2/ 230 وما بعدها؛ ● القلقشندي، صبح الأعشى، شرح محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1987م، 1/ 255 و479؛ ● كارلو نالينو، تاريخ الآداب العربية، تقديم طه حسين، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية 1970، ص 98 و305؛ ● جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، دار العلم للملايين، بيروت ومكتبة النهضة، بغداد، الطبعة الثانية، 1978م، 8/ 784 وما بعدها.

د. واضح الصَّمد
الجامعة اللبنانية

ابن إياز، جمال الدين أبو محمد الحسين بن بدر

(... هـ/ ... م - 681 هـ/ 1282 م)

الحسين بن بدر بن إياز جمال الدين أبو عبد الله، نحوي بغدادي

لم ترد في المصادر حوله سوى معلومات قليلة جدًا لا تسمح بتحديد الخيوط الكبرى لحياته؛ وقد ورد ذكره في كتاب البلغة في تاريخ أئمّة اللغة للفيروز آبادي باسم الحسين ابن أبان النحوي البغدادي [ص 68] خلافا لما نجده في المصادر الأخرى.. وإذا ما اعتبرنا ما قاله الشرف الدمياطي من أنه رآه يقرأ النحو «في زي أولاد الأجناد» [بغية 1/ 532] يمكن أن نفترض أن أباه كان من الجند. وقد تتلمذ على سعد بن أحمد البياني الجذامي (ت 645 هـ/ 1247 م) وهو من أصل أندلسي، أقرأ النحو ببغداد وقد نقل عنه في مواطن عدة من كتابه شرح ألفية ابن معط [بغية، 1/ 577]؛ كما تتلمذ على إبراهيم بن جعفر الإربلي. وسمع المقامات الزينية من مؤلفها معد بن نصر الله المعروف بابن الصيقل. وقرأ على التاج الأُرموي محمد بن الحسين بالمدرسة الشرابية

ببغداد. وسمع من المحدّث عبد اللطيف بن محمد المعروف بابن القُبَيطي، وغيرهم.

وبفضل تضلّعه في النحو والتصريف اضطلع بالتدريس بالمدرسة المستنصرية ببغداد وولي «مشيخة النحو بها» على حدّ تعبير الصفدي، وكان ابن إياز نابهاً ذكيًا فطنًا ديّنًا، دمث الأخلاق، كثير الرواية، تصدّر للتدريس والإقراء، وآلت إليه مشيخة التدريس بالمدرسة المستنصرية في بغداد، وكان مشهودًا له بالتعليل حتّى سمّي أحيانا: أبا التعاليل.

وأخذ العلم عنه عدد من الأعلام منهم: عبد العزيز بن جمعة القوّاس الموصلي، ومحمود ابن أبي بكر أبو العلاء الفرضي، وعبد الرزاق ابن أحمد أبو الفضائل بن الفوطي، وعلي بن سنجر بن عبد اللّه المعروف بابن السبّاك، وابن أخيه عبدُ الوهاب بن يوسف بن إياز، والحسن بن مطهّر الحلّي، وسنجر بن عبد اللّه قطب الدين الرومي، وغيرهم.

وقد اعتبر «أوحد زمانه في النحو والتصريف» [بغية الوعاة]، و«ذا حفظ حسن ثقة في ما يكتب ويقول» [البلغة...]، وقال فيه أبو حيان: «ابن إياز أبو تعاليل»، لكنه لم ينقل شيئا من آرائه خلافا لما فعله مع نحاة آخرين متأخرين مثله، على أن السيوطي كثيرا ما نقل من أقواله في كتابه الأشباه والنظائر، وقد نصّ في مواطن عديدة من نقوله على أنّه أخذها من شرح ابن إياز لفصول ابن معط، وتبدو النزعة إلى التعليل واضحة في هذه النقول، من ذلك تعليله لاعتبار الإعراب معنى لا لفظا وخاصة بزوال علامته وبقاء حكمه، وتعليله لكثرة عوامل الأسماء بالنسبة إلى عوامل الأفعال لفرعية الأفعال على الأسماء في الإعراب، وكذلك تعليله لجواز حذف حروف الجرّ مع أنّ وأنْ بسبب النزعة إلى اختصار الكلام الطويل وامتناع الحذف مع المصدر لانعدام الطول... وكثيرا ما ينتهي تعليله للظواهر النحوية بأحكام ومبادىء عامة من قبيل «ومن عاداتهم التصرّف في الأصول دون الفروع» [الأشباه والنظائر 1/ 263]، أو «وما حصل بغير سبب زائد أصل لما حصل بسبب زائد» [2/ 30]، أو «الجمع بين حرفين متفقين في المعنى ممنوع عندهم» [1/ 323].وهذه النزعة إلى الجدل والتعليل تبدو في عناوين بعض مصنفاته ومحتوى ما بقي منها.

آثاره

خلّف ابن إياز عددًا من المصنّفات التي انتشرت بين طلاب العلم في فنون متعددة، وإن غلب عليها النحو والتصريف، وقد ضاع معظم كتبه مع ما ضاع من الكتب العربية التي أتت عليها غوائل الدهر، ولم يبق منها لنا إلاّ الأخبار وما نُقل عنها. والمعروف من كتب ابن إياز: 1 - قواعد المطارحة، حققه أحد الباحثين ونال بتحقيقه درجة الدكتوراه من جامعة القاهرة (دار العلوم) سنة 1973؛ 2 - شرح ضروري التصريف لابن مالك، مخطوط في مكتبة الأسكوريال، ودار الكتب المصرية [فؤاد السيّد 2/ 18]؛ 3 المحصول في شرح الفصول، وهو شرح لكتاب «الفصول» لابن معط في النحو. له نسخ خطّية كثيرة، وقد نال بتحقيقه عبد الكافي المرعب درجة الدكتوراه من جامعة دمشق 2002؛ 4 - آداب الملوك، مفقود؛ 5 - الإسعاف في مسائل الخلاف، ويُطلق

عليه أحيانا (مسائل الخلاف في النحو)، مفقود. وقد استدرك فيه ابن إياز قضايا لم يشر إليها ابن الأنباري في كتابه «الإنصاف»، ولا العكبري في كتابه «التبيين»؛ 6 - مآخذ المتبع: مفقود. تتبع فيه أبا البقاء العكبري في شرحه على «لُمَع» ابن جني المسمّى «المتبع في شرح اللمع».

المصادر والمراجع

● الصفدي، الوافي بالوفيات، 12/ 342، تح. ● رمضان عبد التواب، النشرات الإسلامية لجمعية المستشرقين الألمانية، بيروت، 1399هـ/ 1979م؛ ● ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 5/ 150، تح. د. نبيل محمد عبد العزيز، دار الكتب، القاهرة، 1988م؛ ● ابن الفوطي، تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب، تحقيق مصطفى جواد دمشق 1962-1965م، ج 4، ق 1، ص 210؛ ● ابن القاضي، درّة الحجال في أسماء الرجال، تح. محمد أحمدي أبو النور، القاهرة 1390 هـ/ 1970 م؛ ● الفيروز آبادي، البلغة في تاريخ أئمة اللغة، تح. محمد المصري، دمشق 1392 هـ/ 1972 م؛ ● السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة 1384هـ/ 1964م، 1/ 532؛ ● حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مكتبة المثنى، بيروت ص85، 2/ 4، 1269، 1573؛ ● إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنِّفين، مكتبة المثنى، بيروت، 1/ 313؛ ● رضا، كحالة، معجم المؤلفين، دمشق 1376هـ/ 1957م، 3/ 316؛ ● دائرة المعارف الإسلامية الكبرى، طهران، المجلد 2، 1416هـ/ 1995 م؛ ● بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبد الحليم النجار، دار المعارف، القاهرة، 1977، 5/ 185.

د. عبد القادر المهيري
جامعة تونس
د. علي أبو زيد
جامعة دمشق

ابن أبي إياس، أبو الحسن آدم بن عبد الرحمان

(132 هـ/ 749 م - 221 هـ/ 835 م)

هو أبو الحسن آدم بن عبد الرحمان بن محمد (المكنى بأبي إياس)، وذكر الخطيب البغدادي أن اسم أبي إياس هو (ناحية) [تاريخ بغداد، مجلد 7، ص 27]، ولد آدم في سنة (132 هـ/ 749م)، وهو من «أهل مرو الروذ في إقليم خراسان»، وكان

منشؤه في بغداد، وبها طلب العلم وكتب عن شيوخها، ثم رحل إلى الكوفة، والبصرة، والحجاز، والشام، من أجل طلب العلم، وسماع الحديث. وقد استوطن أخيرا في عسقلان، إحدى مدن فلسطين، فعرف بـ (العسقلاني)، كما كان يعرف بـ (الخراساني) نسبة إلى موطنه الأصلي. وقد ذكر البخاري أنه كان مولى لبني تيم أو تميم.

وقد أشار ابن قتيبة الدينوري إلى أن ابن أبي إياس كان يعمل «وراقا» وأنه كان قصير القامة [المعارف، ص 292]. ويبدو أن اشتغاله بالوراقة أي استنساخ الكتب وبيعها، قد ساعده في حياته العلمية في مجال حفظ السنة وكتابتها ونشرها، فضلا عن توفير مصدر للرزق والمعاش. وقد أضاف الخطيب البغدادي أنه: «كان يقرئ القرآن»، فهل يعني ذلك أنه كان معلما يشتغل بتعليم القرآن الكريم، أم أن إقراءه القرآن كان امتدادا لحبه لعلوم الدين وسعيه لنشرها بين الناس؟ إن الاحتمال الثاني هو ما يترجح لدينا لأن ابن أبي إياس كان يكسب رزقه من الاشتغال بمهنة الوراقة.

لقد اشتهر ابن أبي أياس بالتقوى والورع وشدة التمسك بتعاليم الدين وأحكامه، فكان من العلماء العاملين المجاهدين الذين يسعون للدفاع عن الإسلام ونشره بين الناس. لذا فإنه لم يكتف بطلب العلم وتعليمه، بل إنه تقدم للمشاركة في جهاد الروم في إحدى الحملات التي قام بها المسلمون في هذا المجال. وقد أورد أبو نعيم الأصفهاني في [حلية الأولياء، ج 10، ص153] رواية جاء فيها أن ابن أبي إياس كان في غزوة المسلمين ضد الروم «فأسرته الروم، فصلبوه على الدقل، وهو خشبة طويلة تشد في وسط السفينة يمد عليها الشراع، فلما رآه المسلمون مصلوبا حملوا على الروم حملة فأخذوا المركب الذي فيه الشيخ فأنزلوه عن الدقل»، وأنقذوه من الموت تعذيبا. ويبدو من سياق الخبر أن ابن أبي إياس لم يكن آنئذ في سن الشباب، بل كان شيخا كبيرا، وكان ذا مكانة كبيرة بين المسلمين، لذا فقد حفزهم أسره على النحو الذي وصفته الرواية على القيام بحملة على الروم من أجل إنقاذه.

وقد ذكر الخطيب البغدادي أن آدم بن أبي إياس «كان مشهورا بالسنة، شديد التمسك بها والحض على اعتقادها»، وقد وجد في دعوة المعتزلة إلى القول بأن القرآن الكريم كلام مخلوق، ما يتنافى مع معتقد السلف بأن القرآن كلام الله. لذا فقد اتخذ موقفا شديدا ضد المعتزلة وكل من يجاريهم في دعوتهم حول مسألة خلق القرآن. وقد أورد الخطيب رواية عن أبي بكر الأعين توضح أصدق توضيح موقف ابن أبي إياس في هذا المجال، قال أبو بكر الأعين: «أتيت آدم العسقلاني فقلت له: عبد الله بن صالح كاتب الليث ـ بن سعد ـ يقرئك السلام. قال: لا تقرئه مني السلام. فقلت له: لم؟ قال: لأنه قال القرآن مخلوق. قال: فأخبرته بعذره، وأنه أظهر الندامة، وأخبر الناس بالرجوع. قال: فاقرئه السلام. فقلت له بعد: إني أريد أن أخرج إلى بغداد، فلك حاجة؟ قال: نعم، إذا أتيت بغداد، فات أحمد بن حنبل، فأقرئه مني السلام، وقل له: يا هذا إتق الله، وتقرّب إلى الله بما أنت فيه، ولا يستفزّنّك أحد، فإنك

إن شاء الله مشرف على الجنة، وقل له: حدثنا الليث بن سعد عن محمد بن عجلان عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال، قال رسول الله ﷺ: «من أرادكم على معصية الله فلا تطيعوه». فأتيت أحمد بن حنبل في السجن، فدخلت عليه، فسلمت عليه، وأقرأته السلام، وقلت له هذا الكلام والحديث، فأطرق أحمد إطراقه ثم رفع رأسه، فقال: رحمه الله حيا وميتا، فلقد أحسن النصيحة» [تاريخ بغداد، مجلد 7، ص 28-29].

لقد روى عن آدم ابن أبي إياس أعلام المحدثين كان من أبرزهم البخاري (ت256هـ/ 869 م)، وقد احتفظ لنا بـ281 اقتباسا أخذها من مكتبه، والدارمي (ت255هـ/ 868 م)، وابن أبي حاتم الرازي (ت 327 هـ/ 938م). وكان ابن أبي إياس صادقا في أحاديثه ومروياته، قد وثقه نقاد الحديث من علماء الجرح والتعديل، فقد سئل يحيى بن معين عنه، فقال: ثقة، ربما حدث عن قوم ضعفاء. وسئل عنه أبو داوُد سليمان ابن الأشعث فقال: ثقة. وقال أحمد بن حنبل: كان آدم مكينا عند شعبة [الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج 7، ص 29].

توفي آدم بن أبي إياس في سنة (220 هـ/ 835 م) عن عمر ناهز الـ 88 عاما، وقيل إنه مات في سنة 221 هـ، بعد أن روى الكثير، وكان صالحا، قانتا لله، ولما احتُضِر قرأ الختمة، ثم قال: لا إله إلا الله، ثم فارق.

المصادر والمراجع

● ابن قتيبة الدينوري، المعارف، بيروت، 1987م، ص 292؛ ● الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، بيروت، د. ت.، مجلد 7، ص 27-30؛ ● أبو نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء، بيروت 1988م، ج 10، ص 154؛ ● الذهبي، العبر في خبر من غبر، حققه محمد السعيد زغلول، بيروت، د. ت.، ج 1، ص298-299؛ ● العماد الحنبلي، شذرات الذهب، بيروت، د. ت.، ج 2، ص 47؛ ● سزكين، فؤاد، تاريخ التراث العربي، نقله إلى العربية، فهمي أبو الفضل، القاهرة 1971م، ج. 1، ص238، 283-284؛ ● العمري، أكرم، بحوث في تاريخ السنة المشرفة، بغداد 1967م، ص 150-151.

أ. د. هاشم يحيى الملاح
جامعة الموصل - العراق

ابن إياس، أبو البركات محمد بن أحمد

(852 هـ/ 1448 م - 930 هـ/ 1524 م)

أبو البركات محمد بن أحمد بن إياس، زين الدين أو شهاب الدين النّاصريّ الجركسيّ الحنفيّ، عمدة المؤرخين في آخر عهد المماليك بمصر والشام ولأوّل الحكم العثماني. ولد في السادس من ربيع الثاني عام 852 هـ/ 1448 م، بمصر عهد ولاية جمقمق العلائيّ الظاهريّ العاشر من ملوك الجراكسة، وتوفّي حوالي 930هـ/ 1524م.

كلّ ما نعرفه عنه مأخوذ مما ذكره في مؤلّفاته التي كتبها في فترة حاسمة من تاريخ مصر، لاسيّما ما كتبه في العشرين سنة الأخيرة من هذه الفترة من حوليات عن حكم السلطان الأشرف قانصوه الغوري، والعصر الأخير للمماليك الجراكسة، والفتح العثماني، ثمّ السنوات الأولى من العصر العثماني في مصر. فقد كان شاهد عيان على هذه الفترة، فذكر عنها بعض الأخبار والحوادث مما لم يذكره غيره من المؤرخين. كما وردت عرضا في كتابه الأساس «بدائع الزهور في وقائع الدهور» معلومات عن بعض أقاربه ممن شارك عن كثب في الحياة السياسية والإدارية والاقتصادية والاجتماعية.

كانت أسرته من المماليك، كما صرّح هو بذلك ويرجع تاريخها إلى النصف الأوّل من القرن الثامن الهجريّ؛ فقد كان جدّ والده لأمّه الأمير عزّ الدين أزدمر العمريّ الناصريّ المعروف بأبي ذقن والشهير بالخازندار من مماليك الناصر محمد بن قلاوون، بلغ درجة أمير سلاح أيّام السلطان الناصر حسن (ت 762هـ/ 1361م). وشغل وظائف عديدة للأشرف شعبان بن حسين (ت 778هـ/ 1377م): ولي له صفد، فطرابلس، فحلب، ثمّ أعاده الأشرف إلى إمرة السلاح بالديار المصريّة [ط، بولاق 1/ 221] ثمّ قبض عليه في صفر سنة 769هـ/ 1367م، وأرسله إلى الشام ليسجن بالصبيبة [ط. بولاق، 1/ 222]. ثمّ منّ عليه بالإفراج، وأحضره إلى القاهرة ليكل إليه ولاية الشام، إلاّ أنّه توفّي في ربيع الأوّل (771هـ/ 1369م) قبل تسلّمه منصبه الجديد.

أمّا جدّه لأبيه إياس الفخريّ الظاهريّ «من جنيد» فكان من مماليك برقوق الظاهر أوّل من مَلَك مصر والشام من الجراكسة. ترقّى في عهد أستاذه إلى أن ولي الدوداريّة الثانية [انظر التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص 139]، وليها أيّام سلطنة الناصر فرج. توفّي إياس بعد سنة 830هـ/ 1427م. وأمّا والد المؤلّف أحمد بن إياس فكان، كما يقول عنه ابنه، من مشاهير «أولاد الناس» [انظر المصطلح في دائرة المعارف الإسلاميّة، ط 2، مج 1/ 788]، وكان كثير العشرة للأمراء وأرباب الدولة. مات في 13 شعبان 908هـ/ 10 فبراير 1503م في نحو الرابعة والثمانين من عمره.

ما ذكره إياس عن حياته قليل جدًا. نصّ على أنّه تتلمذ بصفة خاصّة لجلال الدين السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر صاحب المؤلّفات الكثيرة الشهيرة (ت911هـ/ 1505م) ولعبد الباسط بن خليل الملطيّ الحنفيّ (ت920هـ/ 1514م)؛ كما أورد أسماء الكثير ممّن عرف من الأدباء والشعراء أمثال النواجي الأديب، وصفيّ الدين الحلي، الشاعر والأشمونيّ شارح ألفيّة ابن مالك، وغيرهم كثير. وكانوا ينظمون الشعر لا سيّما شعر المناسبات الخاصّة والعامّة؛ فسلك نهجهم، ونظم على منوالهم مادحا هذا السلطان أو ذاك، أو هاجيا له، أو مستعطفا إياه، كما فعل مع الغوّري سنة 914هـ/ 1508م حين وزّع، في جملة ما وزّع، إقطاعه على أربعة مماليك، فمدحه بقصيدة. وشعره أقرب إلى النظم بل إلى العاميّ، بعيد في كثير من الأحيان عن قواعد الخليل إلاّ ما ندر منه.

لم يعن البتّة ببسط حياته؛ وكلّ ما يمكن استنتاجه من كتابه أنّه عاش ميسور الحال في أسرة متأصّلة في الحكم، وأنّه كان صاحب إقطاع وافر يدرّ عليه ما يكفيه ليفرغ للتأليف وتدوين ما شاهد في عصره بصفة أخصّ. فكان لزاما عليه أن يكون كثير الاتّصال بمعاصريه من أرباب السياسة والإدارة، وكلّ من يقوم بدور في المجتمع بشتّى ميادينه، دقيق الملاحظة، يقظا، شديد العناية بتصوير أحوال معاصريه تصويرا حيّا صادقا شاملا، وأن ينقل البيئة المؤثّرة في المجتمع والوسط الذي يتقلّب فيه وأن ينزل إلى الميادين كلّها لتقصّي حقائقها وسرد أوضاعها.

آثاره

1 ـ بدائع الزهور في وقائع الدهور، وهو أهمّ ما ألّف ابن إياس، وقد تميّز هذا الكتاب بما نقله عن مصنّفات زملائه مع ذكر اسم المؤلّف واسم الكتاب الذي ينقل عنه، وكلّ ذلك في اختصار وعزوف عن الإطالة والإطناب، مع التدقيق في استقصاء الحقائق وتعليقه على الوقائع ومقارنتها بما يحدث في عصره، أو متابعة لما تمّ في أمرها في العصور التالية.منه نسخ شبه كاملة بالقاهرة وبالمكتبات الأوروبيّة، ومنه أجزاء يملكها بعض الخواصّ. وقد أحصى محمّد مصطفى في مقدّمة كتابه صفحات لم تنشر من بدائع الزهور في وقائع الدهور حوالي ثلاثين نسخة خطّية لأجزاء مختلفة من هذا التأليف ووصفها وبيّن أماكنها [ص 25- 31]، وأهمّها نسخ دار الكتب بالقاهرة المؤرّخة بسنة 1031 هـ، ومخطوطتا لندن (British Museum n. 941-943)وباريس (Nouveau catalogue, n. 1822-1823)وتنقصها فترة ما بين 906- 921 وهي الحقبة المهمّة، وفيها سلطنة قانصوه الغوريّ. ثمّ وجدت مخطوطتان أخريان، الأولى بباريس برقم 1824 (686 س. خ.) وتتضمّن الحقبة 906- 921 والثانية بسانت بيترسبورغ بمعهد اللّغات الشرقيّة (رقم 46) وتشمل الفترة 913- 921. طبع «بدائع الزهور في وقائع الدهور» ناقصا بالقاهرة سنة 1301هـ/ 1883م-1306هـ/ 1888م، ثمّ ببولاق سنة 1312هـ في ثلاثة مجلّدات. وخصّص فيما بعد لط. بولاق فهرست للأعلام وضعه محمد الببلاوي وكيل الكتبخانه الخديويّة بمساعدة علي أفندي صبحي (بولاق

1314هـ)؛ وعندما اكتشفت المخطوطتان الجديدتان بسانت بيترسبورغ وباريس عنيت جمعية المستشرقين الألمانيّة بالأستانة بنشرهما لإتمام الطبعة المصرية. قام بالعمل باول كاهله (P.Kahle) وسوبرنهايم (M. Sobernheim) ومحمد مصطفى، في سنة 1926 و1931 و1932 وطبعوا ثلاثة أجزاء تتناول تاريخ مصر من سنة 872هـ/ 1468م إلى سنة 928هـ/ 1522م؛ 2 - مرج الزهور في وقائع الدهور وقد يدعى أيضا بدائع الزهور في وقائع الدهور يتضمّن أخبارا وقصصا قديمة معظمها من نسج الخيال. ويرى بعضهم أنّه نسب وهما إلى ابن إياس. طبع مرارا في أماكن عديدة .[تفصيل ذلك في معجم المطبوعات: لسركيس، 1/ 42، مصر 1346هـ/ 1928م]؛ 3 - نشق الأزهار في عجائب الأقطار، نصّ حاجي خليفة في [كشف الظنون، 2/ 600] على أنّه أخذه من تواريخ الأمم وذكر فيه أغرب ما سمعه وأعجب ما رآه بمصر وأعمالها. وذكر طرفا يسيرا من ملوكها القدماء ومن أخبار النيل والأهرام؛ وابتدأ فيه بذكر طرف يسير من أخبار الفلك وعلم الهيئة. حقّق قسما منه ونقله إلى الفرنسيّة ثمّ طبعه سنة 1807 لانجلس (L. Langlès) الأستاذ بمدرسة اللّغات الشرقيّة بباريس. وكان من مراجع العلماء الغربيّين في القرن التاسع عشر؛ 4 - منتظم بدء الدنيا وتاريخ الأمم، منه نسخة بإستنبول. يتناول تاريخ الدنيا إلى عصر الخليفة المكتفي علي بن أحمد (ت 295هـ/ 908م)، في ثلاثة مجلّدات. منه نسخة فريدة بإستنبول. درسه كاهين في مقاله عن تواريخ العرب المتعلّقة بسوريا ومصر والعراق منذ الفتح العربي إلى الاحتلال العثماني في مكتبات إستنبول [مجلّة الدراسات الإسلاميّة 10، 1936 ص 358]، واستنتج أنّه قد يكون من غير مؤلفات ابن إياس؛ 5 - عقود الجمان في وقائع الأزمان، وهو ملخّص؛ منه نسخة وحيدة بإستنبول؛ 6 - نزهة الأمم في العجائب والحكم، ألّفه سنة 922هـ/ 1517م. منه نسخة فريدة بالأستانة. ويشكّ فولرس (Ch. Vollers) في أن يكون هذا الكتاب مستقلاّ عن غيره، لأنّ محتواه موجود في كتب أخرى للمؤلّف. وقد نصّ صاحب كشف الظنون [2/ 593] على أنّ ابن إياس ذكره في تاريخه؛ 7 جواهر السلوك في الخلفاء والملوك أو عجائب السلوك، وهو ملخّص لبدائع الزهور.

المصادر والمراجع

● ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، مج 3 القاهرة 1301هـ/ 1894م؛ ● محمد علي الببلاوي فهرست، بولاق، 1314هـ/ 1896م؛ وط. كاهله ومحمد مصطفى وسوبر نهايم، المكتبة الإسلاميّة، إستانبول 193 - 199، 3 مجلّدات؛ والط.الثانية بتنقيح محمد مصطفى، القاهرة 1960، ص 3؛ ● محمد مصطفى، مقدّمة لتحقيقه صفحات لم تنشر من بدائع الزهور في وقائع الدهور، دار المعارف بمصر 1951م؛ ● الزركلي، الأعلام، 6/ 233؛ ● سركيس، معجم المطبوعات، 1/ 42، مصر 1346هـ/ 1928م؛ ● البستاني، دائرة المعارف، 2/ 352-3، بيروت 1958؛ ● حاجي خليفة، كشف الظنون؛

● زيادة، المؤرخون في مصر، ص 46-55؛ ● بروكلمان، 2/ 380 (295).
●Encyclopédie de l'Islam, ancienne édition, 2/413-4; nov. édition 3/835-7; ● Ch. Vollers: La chronique égyptienne d'Ibn Iyas (traduit de l'anglais par M.S.Schmeil), Revue d'Egypte II, 1895-1896, pp. 545-573.

د. مختار نويوات
جامعة عنابة - الجزائر

د. عبد الحميد صالح حمدان
باحث في الفكر الإسلامي - جنيف

ابن أيبك الداوداري، أبو بكر بن عبد الله

(حوالي 685هـ/1286م - 737هـ/1336م)

أبو بكر بن عبد الله بن أيبك واسم «أيبك»: ميكائيل بن بهرام المعظّمي، الداوداري. كان جدّه «أيبك» صاحب صرخد بحَوران، أمّا أبوه «عبد الله» فكان يخدم الأمير «سيف الدين بلبان الرومي» الذي كان دوادارًا عند السلطان الظاهر بيبرس، فنسب إليه وأصبح يُعرف بالداوداري.

كان منذ سنّ الفتوّة محبًّا للشعر، والأخبار الأدبية، ومسائل السَمر، فبدأ بالكتابة بتشجيع من حلقةٍ من الأصدقاء والرفاق الذين كانوا يجتمعون للحديث والسمر ومطارحات الأشعار، ودفعه ذلك إلى زيارة المكتبات والورّاقين واقتناء الكتب النادرة أو القيام بنَسْخها، وجمع بذلك مكتبة ضخمة غلب عليها كتب التاريخ والأدب والتراجم ودواوين الشعراء، فاغترف منها مادة مؤلفه الموسوعيّ الضخم «كنز الدُرَر وجامع الغُرر»، وهو يؤرّخ لمصر في عصورها المتتابعة بدءًا من أوّل الدنيا حتّى سنة 735 هـ. أي قبل وفاته بقليل، وخصّ كلّ جزءٍ بعهد من العهود، فالأوّل لأخبار بدء الدنيا، والثاني للأمم القديمة، والثالث للسيرة النبوية، والرابع للدولة الأموية، والخامس للدولة العباسية، والسادس للدولة الفاطمية، والسابع لدولة بني أيوب، والثامن لدولة المماليك الأتراك، والتاسع خاص بسيرة الملك الناصر محمد بن قلاوون. وكان البدء بتدوينه اعتبارًا من سنة 709 هـ. قبل أن ينتقل مع أبيه إلى دمشق، وأخذ ينسخه ويبيّضه ويعيد النظر فيه جزءًا جزءًا إلى أن توقّف عند حوادث سنة 735 هـ. وفرغ منه في مستهلّ سنة 736 هـ. فيكون قد أمضى في جَمعه 27 سنة.

وكان الخيط الناظم لأجزاء الكتاب هو تاريخ مصر، فلم يهتمّ بالتاريخ السياسي العام، وأخبار الخلفاء والسلاطين في مصر فحسب، بل اهتمّ بأمر النيل، فبدأ كل سنة بخبر مدى ارتفاع مياهه وانخفاضها، وهذا الاهتمام

الصارم لم يشاطره فيه سوى «ابن تغري بردي» (ت 874 هـ) في «النجوم الزاهرة»، وهذا يأتي بخبر النيل في ختام حوادث السنة، فكأن «ابن أيبك» أدرك أنّ الوقوف على حال نهر النيل هو المفتاح لدارسة أحوال مصر وأهلها، بحيث يوحي أنّ ما ألمّ بالبلاد والعباد يُفسّر في ضوء وفاء النيل أو نقصانه. والمُلفت أنّ تقديراته لزيادة أو نقصان مياهه لم تكن دقيقة في بعض الأحيان، ما يدلّ على أنه لم يكن يقيس مستوى الماء بنفسه.

ونظرًا لمَيْله إلى الأدب والشعر والحكايات والطرائف والأخبار الغريبة والنادرة، فقد جاءت موسوعته تاريخية العنوان، أدبية المحتوى، فهو يرى أنّ الاقتصار على إيراد الأحداث السياسية يدفع للملل، ولذا أراد أن يكون كتابه مفيدًا ومُسليًا في آن معا، فجمع بين الأمور السياسية، والطرائف والحكايات الأدبية، والنوادر العجيبة، وهو أسلوب ممتع يدفع السأم والمَلَل، كان «ابن أيبك» رائدًا فيه، بحيث اصطبغ كتابه بلونين متساويين: التاريخ السياسي، والتاريخ الثقافي.

لقد اعتبر تاريخه تاريخًا للأمّة الإسلامية، فحين أرّخ للخلفاء العباسيين تناول الدُويلات التي ظهرت في عهدهم مثل دُوَيْلة بني دُلف، والصفّاريين، والسامانيين، وأوائل الزيدية بطبرستان، والطولونيين، والإخشيديين، والحمدانيين. وأورد تقارير عن بدايات الغارات الفاطمية على مصر انطلاقًا من المغرب الإسلامي، حتى الاستيلاء عليها عام 359 هـ من غير إغفال للوزراء والكُتّاب المشاهير، وعلماء الفَلَك بخاصة، والشعراء، مع ذِكر مختارات من أخبارهم وأشعارهم، والاهتمام بالغرائب وأخبار الكوارث الطبيعية.

وكان مصدره الأساس لهذه الفترة كتاب «الإنباء بأنباء الأنبياء وتواريخ الخلفاء وولايات الأمراء» للقُضاعي (ت 454 هـ)، و«أخبار الدول المنقطعة» لابن ظافر الأزدي (ت 613 هـ)، و«العقد الفريد» لابن عبد ربّه الأندلسي (ت 328 هـ)، و«مروج الذهب» للمسعودي (ت 345 هـ)، و«بغية الطلب في تاريخ حلب» لابن العديم (ت 660 هـ) و«ذكر أخبار إصبهان» لحمزة الأصفهاني (ت بعد 350 هـ)، و«عيون التواريخ» لغرس النعمة (ت 480 هـ)، و«أخبار خراسان» لأبي القاسم الوزير المغربي (ت 418 هـ)، والمصدران الأخيران ضائعان، فضلاً عن مصادر أخرى، منها مصدران ضائعان أيضًا، هما «البرق الشامي» وهو لا علاقة له بكتاب العماد الأصفهاني (ت 597 هـ)، و«تاريخ القيروان» لمؤلّفٍ غير معروف. وينقل عن «الوُلاة والقُضاة» للكِنْدي (ت 350 هـ)، و«التاريخ» لسعيد بن البطريق (ت 328 هـ)، و«مرآة الزمان» لسبْط ابن الجوزي (ت 654 هـ)، و«التاجي» للصابي (ت 448 هـ)، وغيره بشكلٍ غير مباشر. هذا فيما يتعلّق بالمصادر التاريخية.

أمّا مصادره الأدبية فكثيرة أيضًا، مثل «الأغاني» لأبي الفَرَج الأصفهاني (ت356هـ)، و«يتيمة الدهر» للثعالبي (ت429هـ)، و«الكامل في الأدب» للمبرّد (ت 285 هـ)، و«أنباء نُجباء الأبناء» لابن ظَفَر الصقلّي (ت 565 هـ)، و«وفيات الأعيان» لابن خلّكان (ت 681 هـ)، و«الورقة» لابن الجرّاح (ت 296 هـ)،

و«أشعار أولاد الخلفاء» للصولي (ت 335 هـ)، وغيره.
وانتهج ابن أيبك طريقةً ابتدعها في موسوعته، هي تخصيص قسم في نهاية كل جزء للشعراء من كل قرن، يختار مقتطفات من أشعارهم. ولم يهتمّ كثيرًا بالوفيات، ولهذا قلّ أن نجده يؤرّخ أو يترجم للوفيات من غير الخلفاء والسلاطين، وإذا ذكر بعض الوفيات فهي باختصار شديد، وأحيانًا يذكرها في غير موضعها من سنة الوفاة. ونحسّ في الجزء الخاص بالدولة الفاطمية أنه كان يتذوّق الشعر، ويُحسن انتقاءه، فهو يعلّق أحيانًا على بعض الأشعار بعبارات جيّدة، وينتقي لبعض الشعراء مقطّعات رائعة.
واعتمد في الجزء الخاص بتاريخ الأيوبيين على والده الذي لعب دورًا مهمًّا في ذلك العصر، وكان مشاركا أحداثه، وكذلك على كتاب «مفرّج الكروب» لابن واصل (ت697هـ)، وعلى عددٍ كبير من المصادر التي لم تصلْنا، فحفظ بذلك نصوصًا مهمّة ضاعت أصولها، ومنها «تاريخ مصر» لابن زولاق (ت 387 هـ)، و«أخبار الشام» لعلي السمباطي (ت 453 هـ)، و«حلّ الرموز في علم الكنوز»، و«تاريخ ابن دحية»، و«سيرة الحاكم»، و«تاريخ بغداد» لغير الخطيب البغدادي (463هـ)، وكتاب قبطيّ وجده بالدير الأبيض بالوجه القِبْليّ، وغيره.
أما في القسم الذي عاش فيه وأرّخه -وهو عصر المماليك - فنجده مؤرّخًا من الطراز الأوّل، كثير الملاحظة، يسوق أكثر ما يمكن من تفصيلات، وخاصّة ما رآه هو بنفسه أو شارك فيه، وهو يدوّن، بحرارة وصدق، الحوادث التي رآها وأثّرت في نفسه، ولا شكّ أنّ هذا القسم من أثمن المصادر التي يمكن الاعتماد عليها لتأريخ الفترة التي عاصرها وعايشها. غير أنّ أسلوبه عاميّ فيما يُنشئه، ففي أغلب الأحايين، يستعمل اللغة العاميّة، وتراكيبها، وألفاظها، ويخلطها باللغة الفصحى، المسجوعة، مما حفظه ونقله من المصادر، فيأتي بأسلوب عجيب، يُفصح مرةً، ويخلّ باللغة مرّةً أخرى.
وكتابه «كنز الدرر» يُشبه في معلوماته الخاصّة عن تاريخ المماليك في مصر، ما جاء في «زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة» لبيبرس المنصوري (ت 725 هـ)، و«تاريخ مجموع النوادر ممّا جرى للأوائل والأواخر» لقرطاي العزي (ت بعد 708 هـ)، وتكاد المعلومات والأخبار أن تكون متشابهة، مما يجعل المرء يشك في أنّهم ينقلون عن بعضهم، وهم يتسنّمون مواقع عسكرية في الدولة.
واعتمد كتابُه مرجعًا في تاريخ مصر لدى كبار المؤرّخين من بعده، فنقل عنه المقريزي (ت 845 هـ)، وابن حجر (ت 852 هـ)، والسيوطي (ت 911 هـ)، وابن إياس (ت 930 هـ).

■ آثاره

1 - أمثال الأعيان وأعيان الأمثال، مفقود؛ 2 - تِبْر المطالب وكفاية الطالب، مفقود؛ 3 - حدائق الأحداق ودقائق الحُذّاق، مفقود؛ 4 - ذخائر الأذاخر، مفقود؛ 5 - اللُقط الباهرة في خطط القاهرة، مفقود؛ 6 - المذاكرة والمفاخرة وآداب المعاشرة، مفقود؛ 7 - عادات السادات سادات العادات، في مناقب الشيخ أبي السعادات، مفقود؛ 8 - دُرَر التيجان وغرر تواريخ

الزمان، مخطوط؛ 9 - الدُّرّة العليا في أخبار بدوّ الدنيا، مخطوط، من كنز الدُرَر وجامع الغُرَر؛ 10 - الدرّة اليتيمة في أخبار الأمم القديمة، مخطوط، من كنز الدُرَر وجامع الغُرَر؛ 11 - الدرّ الثمين في أخبار سيّد المرسلين، مخطوط، من كنز الدُرَر وجامع الغُرَر؛ 12 - الدرّة المشمية في أخبار الدولة الأمويّة، مخطوط، من كنز الدُرَر وجامع الغُرَر؛ 13 - الدرّة السنيّة في أخبار الدولة العباسية، من كنز الدُرَر وجامع الغُرَر؛ 14 - الدرّة المضيّة في أخبار الدولة الفاطمية، مطبوع، من كنز الدُرَر وجامع الغُرَر؛ 15 - الدرّ المطلوب في أخبار دولة بني أيّوب، مطبوع، من كنز الدُرَر وجامع الغُرَر؛ 16 - الدرة الزكيّة في أخبار دولة الملوك التركية، مطبوع، من كنز الدُرَر وجامع الغُرَر؛ 17 - الدرّ الفاخر في سيرة الملك الناصر، مطبوع، من كنز الدُرَر وجامع الغُرَر.

المصادر والمراجع

- كحالة، معجم المؤلّفين، 3/ 65، وقد أخطأ في اسمه: أبو بكر الدوداري، وأرّخ وفاته 732 هـ؛ • سزكين، المعجم الشامل للتراث العربي المطبوع، 1/ 117 ـ 118

- Brockelmann, 2/44.

د. عمر عبد السلام تدمري
الجامعة اللبنانية - طرابلس
لبنان

الإيجيجبي، حبيب الله بن القاضي

(..... هـ/..... م - 1241 هـ/1825 م)

هو حبيب الله بن القاضي الإجيجبي أحد العلماء والفقهاء الذين نبتوا في منبت العلم والثقافة، فهو من أسرة علميّة كبيرة. والده القاضي عالم، وأخوه الفالي عالم وفقيه، ألف طرة في الفقه، شرح بها مختصر الشيخ خليل؛ وقد ضاع ذلك الشرح في وقت مبكر، وجاء ذكره في بيتين للنابغة القلاوي، قال:

وطرة ابن القاضي الأولى لعبت
أيدي التلاميذ بها فذهبت
أخبرني الشيخ حبيب اللّه
بذاك وهو صادق واللّه

جلس حبيب اللّه للتدريس والإفتاء، وصار شيخا بارزا في المحضرة الشهيرة، صاحبة الصيت الذائع «محضرة الكحلاء»، التي تعاقب عليها منذ تأسيسها نفر من العلماء، منهم: العالم الشهير أحمد باب المتوفى سنة 1136هـ، وشقيقه القاضي.

وقد بلغت هذه المحضرة على عهد حبيب اللّه أوج عزها حتّى اكتظت خيامها بالطلبة

الوافدين عليها مما دعا بالشيخ حبيب الله أن يفكّر في إنشاء محضرة ثانية، فأنشأ «محضرة الصفراء»، وأوكل مهمّة التّدريس بها لابنه العالم أحمدو بن حبيب الله.

أحدث حبيب اللّه نوعا من التخصص الدّراسي في المحضرتين، فكان أن جعل تخصّص «الكحلاء» في العلوم الشرعية (قرآن - فقه - أصول). واختصت «الصفراء» بالدراسات اللّغويّة (نحو - صرف - بلاغة).

ألّف حبيب الله عدّة مؤلّفات، جاءت كلّها في ميدان تخصّصه الأصلي وهو علم الفقه. ومن أبرز مؤلّفاته: طرته الشهيرة، وهي شرح واف في جزئين على مختصر الشيخ خليل. وقد اعتمدت هذه الطرة كمصدر لتدريس الطلاب في محضرة الكحلاء، وذاع صيتها وكبر شأنها حتّى سماها الطلاب «الحبيبة» نسبة إلى الشيخ حبيب الله.

ولا يزال هذا المؤلف متداولا حتّى الآن. وتوجد منه نسخة في محضرة الفرع وهي وريثة العلم في محضرتي الكحلاء والصفراء.

كما ألّف حبيب اللّه: المعين على رسالة ابن أبي زيد القيرواني. ويوجد المؤلف في جزئين، الجزء الأوّل من بداية الكتاب إلى باب البيوع. والجزء الثاني من البيوع إلى خاتمة الكتاب (الريشان). وله أيضا، فتاوي: يرد فيها على الأسئة الفقهيّة والنوازل التي حدثت في مجتمعه.

ولا ينتهي المدّ الثقافي بحبيب الله، بل يستمرّ على يدي ابنه محمد محمود العالم الشهير المتوفّى سنة 1277هـ. فقد نشر علم والده وبثّه في صدور الرجال المتعطشين للعلم. وبرز ذلك من خلال التصانيف العديدة التي تركها محمد محمود.

تخرّج من محضرتي الكحلاء والصفراء نفر من العلماء والصلحاء الذين نشروا علم حبيب الله وأبنائه في مناطق واسعة من البلاد. وممن تتلمذ مباشرة على حبيب اللّه: محمد بن عبد الدائم، جد الشيخ أبي المعالي. الشيخ سيد المختار بن الهيبة.

أمّا تلامذة ابنه محمد محمود فهم كثر، نذكر منهم على سبيل المثال: الخرشي بن عبد اللّه، من أهل الحاج المختار، المختار فال ابن إبراهيم فال البركني، محمد بن الخرشي التندغي، محمد جد بن أغلان القلاوي. وغيرهم كثير.

توفّي حبيب اللّة سنة 1241هـ.

■ آثاره

1 - شرح مفتاح المرتج على ألفاظ المنهج؛
2 - شرح التكملة لميارة على المنهج؛
3 - دعوة الفلاح في مسائل النكاح؛
4 - شرح نظم مفيد ابن الخراشي التندغي؛
5 - الأسئلة والأجوبة في النوازل الفقهيّة.

■ المصادر والمراجع

● المختار بن حامد، حياة موريتانيا، طبعة، الدار العربيّة للكتاب، تونس سنة 1990م؛ ● محمد الحافظ بن المجتبي، الحديث الشريف، علومه وعلماؤه في بلاد شنقيط، الطبعة الأولى سنة 2001م، سحب المطبعة السريعة؛ ● محمد المصطفى بن الندى، أساليب وطرق التدريس المحضري في الكحلاء والصفراء

(مرقون)، ● محمد الصوفي بن محمد الأمين، المحاضر الموريتانيّة وآثارها التربويّة في المجتمع الموريتاني، جامعة الملك سعود، السنة الجامعيّة 1406هـ؛ ● الشيباني بن محمد يحيى بن محمد أشفغ؛ رؤوس أقلام عن القبيلة وثقافتنا الأصيلة (تحت الطبع)، ● مجلّة الشعاع يصدرها المعهد العالي للبحوث والدّراسات الإسلاميّة، نواكشوط، العددان: 2، 3 أبريل سنة 1984م.

أ. **أسلمو ولد السبتي**
جامعة نواكشوط - موريتانيا

■ الإيجيجبي، الشيخ عبد الله بن الشيخ عبد الله

(1324هـ/1906م - 1405هـ/1990م) ■ ■ ■

الشيخ عبد الله بن الشيخ عبد الله بن المصطفى بن سيد محمد بن الحاج أعمر بن الطالب محمد الإجيجبي.

ولد الشيخ عبد الله لوالده العالم، العالم الشيخ عبد الله، وقد بشر هذا الأخير بأن سيولد له مولود سيكون قطب زمانه، اسمه حامد أو محمد، وسيكون هو آخر مولود له. كانت أمّه قد سمته محمد عبد الله لتجمع له بين الحمدية والعبودية. أمّا لقب الشيخ فهي إضافة من شيخ حضرته الشيخ إبراهيم انياس الكولخي، وذلك عندما صدره للمشيخة.

اشتغل بقراءة القرآن العظيم، وحفظه بروايتي ورش وقالون عن نافع. وتمت إجازته فيهما من طرف شيخه الشيخ الحضرمي بن اعبيد.

تنقل في المحاضر، وقرأ الفقه والنحو والصرف وغيرها. ومن أبرز المحاضر التي درس بها محضرة الفقيه الشهير عبد القادر بن محمد سالم المشهور "بقّار"، ومحضرة القاضي العلاّمة الشيخ محمد فال بن أحمد فال التندغي.

تاقت نفسه إلى التربية الروحية، فأخذ ينتقل بين مشايخ الصوفية بحثًا عن الحقيقية الإلاهيّة. وكان أخوه الشيخ سيد المختار بن الشيخ عبد الله من أوائل الذين أخذ عنهم ثمّ أخذ بعد ذلك عن الشيخ محمد محفوظ بن الشيخ المصطفى الإيجيجبي. إلا أنه لم يهتد إلى ضالته عند أولئك المشايخ. فبحث في مكان آخر، ومنطقة أخرى. وكان الفتح الأكبر على يدي شيخ الإسلام، الشيخ إبراهيم بن الحاج عبد الله الكولخي. فأخذ عنه، وتربّى عنده، وفتح عليه فقدّمه في الطريقة التجانية بسنده العالي أواسط شعبان سنة 1371 هجرية.

للشيخ عبد الله اليد الطولي والقدم الراسخة في ميدان الشعر، وقد مدح شيخه الشيخ إبراهيم بقصائد غرر، وكذلك مصدر الطريقة

الأعظم وهو حضرة الشيخ التجاني. وأشعاره كلّها توسل وتضرع إلى الله تعالى وفيها معالجات لمفاهيم صوفية مثل: الاسمية والعبودية. وقد توسل بخواص وأكابر أصحاب الشيخ من أمثال: سيدي علي احرازم، والشيخاني بن الطلبة، والشيخ سيد محمد المشري، والهادي بن السيد، ومحمد بن النحوي وغيرهم.

له ذرية من الأبناء حازت قسطًا كبيرًا من العلم والمعرفة، ولها مشاركات كبيرة في بناء الإنسان الموريتاني. تنقل أبناؤه في المناصب الحكومية، وشاركوا في نشر العلم والمعرفة، وما زال مد الشيخ عبد الله المعرفي متواصلا وذلك من خلال نشاط تلك الجماعة الطيبة العالمة الواعية لرسالتها الحضارية التي تركها مصدرها الأول ومربيها وملهمها الشيخ عبد الله.

وأبناؤه هم: سيد محمد بن الشيخ عبد الله، محمد بن الشيخ عبد الله، أحمد بن الشيخ عبد الله، المصطفى بن الشيخ عبد الله، معروف بن الشيخ عبد الله، سيد محمد بن الشيخ عبد الله، الشيخ سيد المختار بن الشيخ عبد الله.

المصادر والمراجع

- المختار بن حامد، حياة موريتانيا، الجزء التاسع (مرقون).

أ. أسلمو ولد السبتي

جامعة نواكشوط ـ موريتانيا

الإيجيجبي، الشيخ القاضي بن الحاج بن ألفغ

(..... هـ - ..... م - 1240 هـ / 1824 م)

الشيخ القاضي بن الحاج بن ألفغ أحمد بابا بن حبيب الله بن مختارنل ابن أبي بكر بن أحمد محمود بن ألفغ البكاي، الإجيجبي. وألفغ البكاي هو الجد الجامع للعشيرة ذات الزعامة الدينيّة والروحيّة لقبيلة "إجيجب" المعروفة (بإداشفاق).

كان الشيخ القاضي عالما عاملا، مدرّسا للفقه. ورث تلك المرتبة كابرا عن كابر. تتلمذ على الشيخ سيد المختار الكنتي، العالم الكبير، والمربّي الشّهير. أخذ عنه الطريقة القادريّة. نبذ كلّ شيء في سبيل الوصول إليه، حتّى زوجته أمحيجيب بنت قاظين، وكانت حاملا بولد سيكون له شأن كبير خيّرها بين أن يطلّقها أو تبقى زوجة له حتّى يعود من عند الشيخ، فاختارت أن تبقى في البيت زوجة له.

اتّصل الشيخ القاضي بعدّة أشياخ في طريقه إلى شيخه، إلاّ أنّهم لم يرووا ظمأه، ولم يثنوه عن بلوغ الشيخ فتابع الرّحيل حتّى نزل في مضاربه.

تفانى الشيخ القاضي في خدمة شيخه سيد

المختار، وقد قام بمهمات صعاب، من ذلك طلاؤه لإبل جرب، ونسخ للكت، وتسمين بقرة. كما كلفه بالميرة على إبل صعاب فقام بالمهمة بمفرده.

بقي الشيخ القاضي مع الشيخ سيد المختار ستّة أشهر، فصدره؛ فقال الشيخ القاضي: لا أريد أن أكون كالأتان يحمل عليها وعلى أولادها، فقال له الشيخ سيد المختار: أتريد أن أربّي من لم يدخلوا الأرحام بعد. ثمّ أمره بمواصلة الخدمة، فمكث معه ستّة أشهر أخرى، ثمّ صدره ثانية.

بشر الشيخ سيد المختار تلميذه الشيخ القاضي بمولود يرث الطريقة التي أخذها عنه، ويكون الخليفة من بعده. وكانت البشارة كفلق الصبح، فولدت امحيجيب ولده الشيخ المصطفى، وكان علما بارزا وثمرة ناضجة لعلم وأخلاق والده الشيخ القاضي. كان الشيخ القاضي يجمع كلّ سنة بين الانتجاع في تيرس وحفر بئر عند عودته منها، فلم يشرب من بئر واحدة طيلة سنتين قضاهما في الذهاب إلى تيرس والعودة منها. انتشر علم الشيخ القاضي عن طريق تلامذته وأبنائه، فمن تلامذته غير الأبناء، نذكر: الشيخ سيد محمد ابن امني، الشيخ همد فال الأبيري «ادب اعمر».

أمّا أبناؤه فهم: - الشيخ محمد، والشيخ المصطفى المتوفى سنة 1269هـ، ومحمد غالي، وسيدي، والشيخ عبد الرحمن المتوفّى سنة 1280هـ، والشيخ أحمد باب، ومحمد عبد الرّحمن، والشيخ أحمد محمود.

وقد كانت ذريّة أبناء الشيخ القاضي مصدرا من أهمّ مصادر الثّقافة في منطقتها بصفة خاصة وفي منطقة الكبلة بصفة عامّة. ألف أبناؤه عدّة مؤلّفات وبثوا الثقافة في صدور الرّجال مما رسخ تأثير الشيخ القاضي في فئات واسعة من مجتمع قبيلته الضيقة ومجتمع بلاده بصفة أعم.

وقد شدّوا بقوّة على الطريقة الصوفيّة التي أخذوها عن والدهم الشيخ القاضي، كما أخذها هو عن الشيخ سيد المختار. وقد تفانوا في خدمتها كما فعل هو مع المصدر الأوّل لتلك الطّريقة.

ترك لأبنائه وصايا ثمينة من أبرزها قوله: «اجعلو الدنيا حظيرة عليكم ولا تكونوا حظيرة دونها». «اعلموا أنّ الفرار لا محيص منه بدليل قوله تعالى ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ﴾ [عبس: 34 - 35] فاجعلوا الوقت وقتا واحدا، وفرّوا إلى اللّه الآن».

في بعض الرّوايات أنّه نقل نفسه إلى المقبرة، فلمّا وصلها ماشيا شخص ببصره إلى السماء وصار وجهه يتهلل، ولسانه يردّد عبارات الفرح والابتهاج. توفي رحمه اللّه سنة 1240 هجريّة. وقد رثاه غالي بن المختار فال البصادي المتوفى سنة 1240 هجريّة بقصيدة عصماء. قال في مطلعها:

هو القدر المحتوم ليس له بدّ
لما قلت إلا بالذي علمت سعد
إليه انتهت في الفضل كلّ رئاسة
وكمّله ما شاء بارئه الفرد

المصادر والمراجع

- المختار بن حامد: حياة موريتانيا،

الجزء التاسع (مرقون)، ● حياة الشيخ المصطفى بن المبارك، المعهد العالي للدّراسات والبحوث الإسلاميّة، السنة الجامعيّة 1986 - 1987م.

أ. أسلمو ولد السبتي
جامعة نواكشوط - موريتانيا

الإيجيجبي، الشيخ المصطفى بن الحاج القاضي

(1206 هـ / 1791 م - 1269 هـ / 1852 م)

الشيخ المصطفى بن الشيخ القاضي بن الحاج بن اشفق أحمد باب بن حبيب الله، ينتهي نسبه إلى أشفق البكاي الجد الجامع للعشيرة ذات الزعامة الدينيّة والروحيّة لقبيلة «إجيجب» المعروفة (بإداشفاق).

ولد لأمه امحيجيب بنت قاظين بن حبيبنا بن المختار، وينتهي نسبها إلى اشفق إبراهيم، الجد الجامع للعشيرة ذات الشوكة والقيادة لقبيلة «إجيجب» والمعروفة (بأهل اشفق إبراهيم).

جمع الشيخ المصطفى بين القيادتين الدينيّة والسياسيّة، وورث العلم عن والده الشيخ القاضي العالم الشهير، والفقيه المتفنن في علوم الفقه، وشيخ الطريقة الصوفيّة البارز. كان شيخه سيد المختار الكنتي المتوفّى سنة 1266هجريّة قد بشره بميلاد ابنه الذي سيخلفه في القيادة العلميّة والرّوحيّة. فجاءت بشارته صادقة، فولد له الشيخ المصطفى.

أخذ الشيخ المصطفى عن الشيخ عبدو بن امني، فحفظ عليه القرآن العظيم، ودرس علم التجويد حتّى بلغ مرتبة عالية من الفهم والحذق. ثمّ تتلمذ على ابن عمّه حبيب الله، فقرأ عليه التوحيد والسيرة النبوية والفقه.

انتقل الشيخ المصطفى إلى محضرة أهل اشفق الخطاط وكان عميدها آنذاك، العالم الشهير أحمد محمود بن اشفق الخطاط. وقد تلقّى فيها عدّة علوم متخصّصة، من أبرزها علوم اللّغة العربيّة، كالنّحو والصرف والبلاغة. ومكث في تلك المحضرة مدّة من الزّمن كان يخفي فيها اسمه مخافة أن تطغى شهرته على مهمة تحصيل العلم التي تغرب من أجلها.

لم يعد الشيخ المصطفى إلى وطنه الأصلي إلاّ بواسطة قافلة كان والده قد طلب من أهلها أن يحضروه إذا وجدوه، فكانت المصادفة هي التي جعلتهم يعرفونه ويعودون به بعدما بلغ درجة من التعلم وإتقان المعارف التي رحل من أجلها.

تبوأ الشيخ المصطفى مكانا قصيا في قبيلته، وحاز المكانة العليا والدرجة الرّفيعة، فهو القائد الروحي المطاع والسياسي الملهم. برز ذلك من خلال المواقف الشجاعة التي وقفها

ضدّ أيّ إضعاف لقبيلته مع تشبث بآراء إصلاحيّة كلّما اقتضى الأمر ذلك. فقد جنح إلى الصلح بين قبيلته وقبائل عدّة جمعتهما حروب قبلية معروفة.

توطدت صلته بالعالم الكبير والسياسي المحنك الشيخ سيديا، ولهج الشعراء بما أخذه الشيخ سيديا من السر عن الشيخ المصطفى.

تفتقت عبقريّة الشيخ المصطفى في جوانب اقتصاديّة وعسكريّة، فكان يحفر الآبار ويغرس النخيل ويبني الدور. كما أنشأ معدنا للملح قصد استثماره وجني بعض الأرباح للنفقة على القبيلة. وله دراية بالصناعات العسكريّة فقد شيد مصنعا للأسلحة والذخيرة مثل (الكشامات - البارود - التميش...).

لاحظ الشيخ المصطفى أنّ تلك المنجزات فيها ما قد يفسد على قبيلته ويزعزع أمنها بسبب الأطماع وقلّة الأمن، فعمد إلى تقليص تلك الصناعات حتّى لم يبق منها إلاّ منزل وبئر.

كانت للشيخ المصطفى مواقف علميّة حاسمة، تجنب خلالها الصدامات والمقارعات، إلاّ أنّه حينما يكون الموقف يتطلّب الحسم فلا بدّ من الجزم بالأمر والقطع به نهائيًا. ومن مواقفه الحاسمة تبنيه لعدم إمكانيّة إقامة الحدود في بلاده إبان الفترة التي كان يعيش فيها، ففي تلك الفترة كانت البلاد تفتقد سلطانا قويّا يحمي القرارات المأخوذة ويطبقها على الجميع ويكسبها صبغة الاستمراريّة والديمومة. وكانت الفئة المناوئة له تدعي بأنّ الإسلام في المنطقة من القوّة والمناعة وعلو الكلمة ما يوجب إقامة الحدود. وتأكيدا لموقف الشيخ المصطفى ألف بعض العلماء مؤلّفات تؤكد رأيه وتقويه، ومن بينهم العلامة محمد الأمين ابن أحمد زيدان المتوفّى سنة 1335 هجريّة.

في الجانب الروحي خلف الشيخ المصطفى والده الشيخ القاضي، وكان هذا الأخير قد بشره شيخه الشيخ سيد المختار الكنتي بميلاد ولد سيخلفه في الطريقة الصوفيّة، فالشيخ القاضي هو الأب الروحي لابنه الشيخ المصطفى، وهو الواسطة بينه وبين الشيخ سيد المختار الكنتي. واستمرّت القادريّة على يديّ الشيخ المصطفى وتلامذته ومريديه، وبلغت أوجها في حياته. وقد صدر عنه من المريدين ما لم يصدر عن والده. ويمكن القول بأنّه صدر في فترة وجيزة ما يزيد على أربعين مريدا أغلبهم من العلماء النابهين، المتضلّعين في العلوم الدنيويّة والأخرويّة. ونذكر هنا بعض المتصدّرين على الشيخ المصطفى بقصد التمثيل لا الاستقصاء. فمنهم: - الشيخ محمدو بن حبيب اللّه بن أغربط الحسني (إدوكدشل)، الشيخ أحمدو بن اخليف التندغي (أشكان)، الشيخ سيد ببكر التندغي، الشيخ سيد محمد بن ألمين فال، الطالب بن المختار بن الهيبة، الشيخ همد فال بن عبد اللّه بن فال آوبك الأبيري (ادب اعمر)، حرم ابن محمد مختار.

وغير هؤلاء كثيرون، زيادة على ما صدر عن إخوته. فأبناء الشيخ القاضي كلّهم أعلام، نشروا العلم وربّوا الرّجال، فكانت أعمالهم دالّة على الخلق الرّفيع والمنزلة العالية في العلم والشرف والنبل. والشيخ المصطفى كان نعم المثال لتلك الصفات النّبيلة.

انتشر علم الشيخ المصطفى من خلال أبنائه ومن أبرزهم: - الشيخ محمد محفوظ المولود

سنة 1245هـ، والمتوفى سنة 1308هـ كان عالما من علماء الصوفيّة، له الكلمة النافذة والمسموعة في سائر منطقته. احترمه أمراء الإمارات واستمعوا لكلمته وقبلوا رأيه. - محمد عبد الجليل المولود سنة 1267هـ، والمتوفى سنة 1330هـ كان عالما، سخيا، متصوفا، وقائدا سياسيّا، مدحه الشعراء بأشعارهم.

كان الشيخ المصطفى قد ولد سنة 1206 هجريّة، وتوفي سنة 1269هـ، رحمه الله تعالى.

المصادر والمراجع

● المختار بن حامد، حياة موريتانيا، الجزء التاسع (مرقون)؛ ● حياة الشيخ المصطفى، المصطفى بن المبارك، المعهد العالي للدّراسات والبحوث الإسلاميّة، السنة الجامعيّة 1986 - 1987م.

أ. أسلمو ولد السبتي
جامعة نواكشوط - موريتانيا

الإيجي، عضد الدين أبو الفضل عبد الرّحمان

(708 هـ / 1308 م - 756 هـ/ 1355 م)

هو عبد الرحمان وقيل اسمه عبد الله بن عبد الرحمان بن أحمد بن عبد الغفار ابن أحمد أبو الفضل الإيجي الشيرازي الشافعي المشهور بعضد الدين، ذكر أنه من نسل أبي بكر رضي الله عنه. ولد بإيج من نواحي شيراز - وهي قلعة من بلاد فارس - بعد السبعمائة، وذكر صاحب طبقات الشافعية أنّ مولده كان بعد سنة ثمانين وستمائة (680هـ) [السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج10، ص 46]. كان إماما في المعقول عارفا بالأصلين - أصول الدين وأصول الفقه - ملمّا بالعربيّة وفنونها، فقيها، ومتكلّما، وفيلسوفا. كان كريم النفس، وافر المال، كثير الأنعام على طلبة العلم. قضى أكثر إقامته بالسلطانّة، ثم انتقل إلى مسقط رأسه واستقر فيها. ولي التدريس والقضاء بالمماليك أيّام ملك التتار أبي سعيد وقيل بوسعيد، والاسم علم وليس بكنية [ابن حجر أحمد بن علي، الدرر الكامنة، ج2، ص 322 - 323]، تلقى عضد الدين العلم عن مشائخ عصره، ولازم منهم الشيخ زين الدين الهنكي تلميذ القاضي ناصر الدين البيضاوي.

وأخذ عنه تلامذة اشتهروا في الآفاق مثل شمس الدين الكرماني، وضياء الدين العفيفي، وسعد الدين التفتازاني. ونقل عن مجمع الآداب للفوطي أنّ الإيجي كان يدمن الخمر ولا يقول بالشريعة المحمدية، ولهذا السّبب فارق أباه واتّصل بالوزير رشيد الدين ابن فضل الله بن أبي الخير الهمذاني - في

تبريز - وأقام في مخيّمه ينزل بنزوله ويرحل برحيله واشتهر بالفجور [الزركلي، الأعلام، ج3، ص 195]. ذكر أصحاب التراجم أنّه جرت له محنة مع صاحب كرمان فحبسه بقلعة دريميار حتّى مات في سجنه، دون إشارة إلى طبيعة المحنة ولا إلى المدّة التي بقيها مسجونا، وكانت وفاته سنة ست وخمسين وسبعمائة (756هـ) [عمر رضا كحّالة، معجم المؤلفين، م3، ج6، ص 119 - 120].

ورغم قصر عمر عضد الدين الإيجي، فقد كانت له ثقافة واسعة، فهو مع شهرته الكلاميّة كان فيلسوفا، وأصوليّا، وملمّا باللغة العربية، وكانت مدوّنته العلمية خير شاهد على عمق معرفته وتنوّعها.

آثاره

أهمّ مصنّفاته الكلاميّة:

1 - كتابه المواقف في علم الكلام، قسم عضد الدين الإيجي هذا الكتاب إلى خمسة مواقف اختص كلّ منها بموضوع في الكلام، وقسم الموقف إلى مراصد، والمرصد على مقاصد وأقسام، وهذا مجمل ما جاء في مواقفه.

والكتاب في ثلاثين وأربعمائة (430) صفحة من الحجم المتوسّط نال به إعجاب المهتمّين فتناولوه بالشرح والتعليق. ذكر صاحب «كشف الظنون» مجموعة من الذين وضعوا على الكتاب شروحا وحواشي، نذكر من الشرّاح مثلا: السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني (ت 816 هـ)، وشمس الدين محمد بن يوسف الكرماني (ت 786 هـ)، وشهاب الدين أحمد الأبهري، والمولى علاء الدين الطوسي، والمولى مصطفى بن يوسف المعروف بخواجة زادة (ت 893 هـ)، والمولى حيدر الهروي (المتوفى بعد عام 800 هـ)، ومن أصحاب الحواشي: المولى حسن ابن محمد شاه الفناري (ت 886 هـ)، والمولى أحمد بن سليمان بن كمال (ت 940هـ)، والمولى شمس الدين محمد بن أحمد السباطي (ت 842 هـ)، والمولى أحمد ابن عبد الأول القزويني، وقاسم الكرماني (ت 901هـ)، ومحمد بن أحمد حافظ (ت 957 هـ)، ومحيي الدين محمد بن الخطيب (ت 901 هـ)، وكثير غيرهم. [حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، م2، ص 1891 - 1894؛ ملحق كتاب المواقف للإيجي، ص 22 - 24]؛ 2 - العقائد العضدية، ويحتلّ هذا المؤلّف المرتبة الثانية في فنّ علم الكلام بعد المواقف، استهلّه الإيجي بقوله: «الحمد للّه على نواله». وهو كتاب مفيد ومختصر وهو آخر مؤلّفاته؛ 3 - جواهر الكلام، وهو متن كالمواقف لكنّه أصغر حجما منه، بدأه «بالحمد للّه الذي علّم بالقلم»، وذكر الإيجي أنّه كتبه لغياث الدين الوزير؛ 4 - كتاب أشرف التواريخ، وهو مختصر من بدء الخلق ترجمه إلى التركية مصطفى بن أحمد المعروف بالعالي الشاعر (ت 1008هـ) [م - ن، م1، ص 04]؛ 5 - كتاب الفوائد الغياثية، وضعه في المعاني والبيان، أوّله: «الحمد للّه الذي خلق الإنسان وألهمه المعاني وعلمه البيان». لخّصه من القسم الثالث من مفتاح العلوم، قال فيه: « هذا مختصر يتضمّن مقاصد المفتاح سمّيته الفوائد ونسبتها إلى غياث الدين وزير السلطان محمد خدابنده»؛ 6 - وللإيجي مؤلّفات أخرى مثل شرح

مختصر ابن الحاجب في أصول الفقه، ورسالة مطبوعة في علم الوضع، وأخرى في أدب البحث والمناظرة. وله كذلك مناظرات، نذكر منها تلك التي وقعت بينه وبين الشيخ فخر الدين أحمد الجاربردي.

المصادر والمراجع

● السبكي، أبو نصر، طبقات الشافعية الكبرى، تح. عبد الفتاح محمد الحلو، طبعة عيسى الحلبي وشركائه، ط1، ج 10، ص 46 - 78؛ ● ابن حجر، شهاب الدين، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار الجيل، ج 2، ص 122 - 123، بيروت؛ ● خليفة، حاجي، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، منشورات مكتبة المثنى، مج 1، ص 104 - 616؛ مج 2، ص 1144 - 1145، و1299 - 1300، و1891 - 1894، بيروت؛ ● الشوكاني، محمد، البدر الطالع لمحاسن من بعد القرن السابع، دارالمعرفة، ج1، ص 226 - 227، بيروت؛ ● كحّالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، دار إحياء التراث العربي، مج 3، ج6، ص 119 - 120، بيروت.

د. حراث بوعلاقي
جامعة الزيتونة - تونس

الإيدوعيشي، أحمد بن الطالب محمود

(1170 هـ/ 1257م - 1756 هـ/ 1841م)

ينحدر أحمد بن الطالب محمود من قبيلة إيدوعيش الموريتانية التي كانت قوام إحدى أشهر الإمارات، وهو ينتمي إلى فرع من هذه القبيلة يسمى «أهل عين إيدوعيش» يستوطن منطقة (باغنة) ويتخلق بأخلاق الزوايا من علم وصلاح.

ولا تسعفنا المصادر بتحديد دقيق لسنة ميلاد أحمد بن الطالب محمود، إلا أننا نستدل من القرائن أنّ مولده كان في حدود 1170هـ، إذ تتلمذ على العلامة الحاج عبد الله بن الحاج حمى الله القلاوي المتوفى سنة 1209 هـ، وكان أحمد بن الطالب محمود آنذاك في حدود الأربعين من عمره.

قضى أحمد بن الطالب محمود سنين عديدة في طلب العلم، وتنقل بين عدة محاضر بمنطقة الحوض التي كانت آنذاك تمور بحركة علمية نشطة، وقد اتصل بالكثير من الشيوخ المرموقين، وبالرغم من عدم استقرار الأحياء البدوية وحياة الحل والترحال التي تطبع حياتهم، فقد استطاع أحمد بن الطالب محمود أن يحرز محصولا معرفيا وفيرا بمرافقة شيوخه أينما حلوا؛ ومن أشهر أساتذته

العلامة الطالب أحمد بن محمد رار التنواجيوي (ت 1210هـ) الذي كانت له محضرة كبيرة تؤمّها جموع غفيرة من طلاب العلم، واتصل كذلك بالعلامة عبد الله بن الحاج حمى الله القلاوي الذي كان أحد أساطين العلم في المنطقة.

وتفيد المصادر التي بين أيدينا أن ازدهار الحركة الثقافية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين قد أتاح لعلماء الحوض تنوعا كبيرا في التخصصات العلمية الدائرة في فلك العلوم الشرعية، مما يبرز جليا من خلال مؤلفات أحمد بن الطالب محمود التي تنم على التعمق في علوم القرآن خاصة وغيرها من علوم الآلة أو المتممات في الاصطلاح المحلي.

وتظهر المنزلة العلمية لأحمد بن الطالب محمود من خلال النوازل التي كانت توجه إليه بعدما أسس محضرته، وتدور الأسئلة المرسلة إليه حول القضايا المطروحة على مجتمعه، وقد جمعت فتاويه فيما بعد ضمن كتاب «أجوبة أحميدتي» المتداول في الأوساط العلمية الموريتانية.

ولا أدل على مكانته العلمية من طلب الشيخ محمد فاضل شيخ الطريقة القادرية في الشرق الموريتاني له أن يساكنه ليأخذ عنه، فكان جوابه مثل جواب الإمام مالك للخليفة العباسي: «العلم يؤتى ولا يأتي»، وبعد ذلك بعث إليه الشيخ محمد فاضل مصنفا له في النحو ليقرظه، فما كان من أحمد بن الطالب محمود إلا أن علق عليه بقوله: «هذا كتاب مفيد، لكنه لا يشبه علمي الذي أخذته على ضوء الخشب»، وبذلك نرى اعتداده بعلمه الذي حصله بشق النفس في ظروف تتسم بشظف العيش.

وعلى الرغم من أن شهرة أحمد بن الطالب محمود قد طبقت آفاق البلاد التي عاش فيها فإن المصادر التي اطلعنا عليها لا تشير إلى أسماء التلاميذ الذين حملوا علمه باستثناء عبد الوهاب بن الطالب أعل البرحيلي.

وقد ظل أحمد بن الطالب محمود يزاول التدريس حتى وافته المنية عام 1257هـ.

آثاره

صنف أحمد بن الطالب محمود في العديد من العلوم؛ أبرزها علم التجويد الذي كانت منظومته فيه فتحا في هذا المضمار، إذ سماها «الأخذ» للدلالة على أوجه القراءات التي يؤخذ بها بحيث حسم الخلافات التجويدية التي تركها المؤلفون قبله مبهمة عندما لم يذكروا ما به العمل منها.

وذلك ما يبينه في مقدمة منظومته في علم التجويد المسماة بالأخذ:

يقول راجي رحمة العلي
أحمد نجل عمر العشي
حمداً لمن بفضله هدانا
ومنَّ إذ علمنا القرآنا
فهاك ما الأخذ به لنافع
مما أتى في الدرر اللوامع
من خلف ثم أذكر المصدره
إن كان بالوجهين الأخذ قرره
منظومة بعدية مهمه
عالية يشتاقها ذو الهمه

وكـلـه أخـذتـه درايـه
مـن بـعـد مـا أخـذتـه روايـه

ومن مؤلفاته أيضا في علوم القرآن مصنف في علم التجويد سماه «إرشاد التالي» يقول في مقدمته:

الـحـمـد لـلـه الـذي تـكـفـلا
بـحـفـظـه كـتـابـه الـمـنـزلا

عـلـى رسـول الـلـه خـيـر الـخـلـق
أحـمـد مـن قـد جـاءنـا بـالـصـدق

صـلـى عـلـيـه ربـنـا الـمـولـى الـعـلـي
مـا دمـغ الـبـاطـل بـالـحـق جـلـي

وبـعـد فـالـقـصـد بـذا كـشـف الـغـطـا
عـمـا جـرى فـي أرضـنـا مـن الـخـطـا

وفيه يصوب ما شاع من اللحن على ألسنة عوام القراء.

ومن أهم مصنّفاته كذلك كتاب «إرشاد القارئ والسامع على الدرر اللوامع لابن بري». وقد تم تحقيقه في المعهد العالي للدراسات الإسلامية بانواكشوط، وهذا الكتاب شرح لنظم ابن بري في أصل مقرأ الإمام نافع، اعتمد فيه المؤلف على تعليقات شيخه عبد الله بن الحاج حمى الله القلاوي، واستدرك فيه العديد من المسائل والنكت التي تدل على سعة باعه في هذا المجال:

فهو في مناقشاته لأقوال علماء المقرأ لا يسلم إلا بما ترجح لديه دليله حتى ولو كان القائل شيخه نفسه، كما نلحظ في هذا المقطع من «إرشاد القارئ»:

«قال شيخنا: وأما فهم بعض الجهلة التوسط في الوقف في أرائيت مع البدل ففهم سوء محرم إن لم يكن كفرا لأنه خروج عن حد القرآن. قلت: كلام شيخنا فيه نظر من وجهين أحدهما...» .ثم يمضي مستدلا على رأيه من البحوث اللغوية وتقول حذاق القراء [الإرشاد ص 39].

وليس في اعتراضه على آراء بعض العلماء أدنى شبهة للاستعلاء أو الاغترار بعلو كعبه، إذ نراه في تواضع جم يصرح بأنه أخذ عن أحد تلامذته بعض المسائل: «قال لي تلميذي عبد الوهاب بن الطالب أعل البرحلي إنه طالع شرح عبد الله بن الحاج الرقيق فوجده نسب ذلك ـ أي قلب الهمزة هاء خالصة ـ لابن القاضي» [الإرشاد، ص 49].
فهو إذن لم يكن يجد غضاضة في أن يعزو لتلميذه نقولا لم يتح له هو نفسه الاطلاع عليها. وبهذا يحق لنا أن نجزم بأن منهج أحمد بن الطالب محمود في التأليف كان يعتمد بالأساس على توخي الدقة التامة في العزو وتأصيل مسائل الخلاف على مستند قوي، لذا فإنه كان ينبذ الأقوال الشاذة، ويكثر في كتاباته من قوله «والمأخوذ به عندنا هو» بعد ذكر الآراء التي يراها ضعيفة.
على أن أحمد بن الطالب محمود لم تقتصر مؤلفاته على العلوم القرآنية، بل ألف في الفقه شرحا لمختصر خليل، وشرحا للمرشد المعين لابن عاشر سماه هداية الأمين، وحاشية على عبادات الأخضري، علاوة على مجموع فتاويه وألف في النحو شرحا لفريدة جلال الدين السيوطي، وتعليقا على ألفية ابن مالك سماه المواهب السنية؛ وله في علم البيان تعليق على «الجوهر المكنون في علم الثلاثة

الفنون»، كما أن له منظومة في علم الفلك.
ولبعض مؤلفات أحمد بن الطالب محمود خاصة في التجويد رواج كبير في أوساط طلاب المدارس القرآنية، ولعل ذلك يعود كما هو الشأن بالنسبة إلى أغلب المصنفات الموريتانية إلى الطابع التعليمي الذي تكتسيه، إذ إن الرجل شيخ محضرة تستقبل الطلاب من مختلف الفئات الشعبية، فكان لا مناص له من أن يبسط لهم العلوم الشرعية ويمهدها لهم بشكل يستوعبونه، كما رأينا عنايته بتقويم الألسنة، خاصة في المناطق التي خالطتها العجمة.

المصادر والمراجع

● أحمد بن الطالب محمود الإيدوعيشي، إرشاد القارئ، المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية 1988م؛ ● المختار ابن حامد، حياة موريتانيا، ج 2، الدار العربية للكتاب 1990م؛ ● سيدي محمد بن بزيد، معجم المؤلفين في القطر الشنقيطي، منشورات سعيدان، تونس 1996م، ص 13؛ ● الخليل النحوي، بلاد شنقيط، المنارة والرباط، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم 1987م، ص 545؛ ● محمد المهدي بن محمد سالم، تحقيق إرشاد القارئ والسامع، المعهد العالي للدراسات والبحوث الاسلامية، نواكشوط 1922م.

سيدي محمد بن محمد عبد الله

جامعة نواكشوط - موريتانيا

الإيراني، محمد سيف الدين

(1333 هـ / 1914 م - 1394 هـ / 1974 م)

محمود سيف الدين الإيراني كاتب وناقد وقاصّ بارع، له مقالات كثيرة، وقد أسهم في حركة النّقد الأدبي في فلسطين والأردن، وبعض الدراسات الأدبيّة عن بعض أعلام الثقافة في الفكر الأوروبي، وتعود شهرته إلى نشاطه في المجال القصصي، وانتمائه إلى جيل الرّواد الذين ساهموا في إقناع القرّاء بأهميّة هذا الجنس الأدبي.

ولد الإيراني في يافا (فلسطين) سنة 1914م. وأنهى تعلمه الابتدائي والثانوي في كلية الفرير عام 1929، وكان يعرف الإنجليزية ويجيد الفرنسية.

وبعد ذلك أخذ الإيراني ينشر كتاباته في الصحف والمجلاّت الفلسطينية والعربية الأخرى، ومنها: «الدفاع»، و«فلسطين»، و«الجامعة الإسلامية»، وفي مجلاّت «الشباب»، و«اللّهب»، و«الرائد»، وكتب كذلك في «السياسة الأسبوعية»، و«المقتطف»

المصريّتين، و«الطليعة»، و«الطريق» البيروتيّتين، و«العربي» الكويتية.

وفي عام 1935م أصدر مجلّة أسبوعية أدبية في يافا باسم «الفجر» بمشاركة الأديب عارف العزوني (1896-1961م)، حيث صدر منها ما يقرب من الخمسين عددًا. وشارك في الكتابة فيها أدباء من فلسطين ومصر والعراق وسورية ولبنان.

وكانت له صلات قويّة بأدباء مصريّين من أبرزهم: المازني، ومحمود تيمور، ومحمد حسين هيكل، والعقّاد، وسلامة موسى، وإبراهيم المصري، وإبراهيم ناجي، وعلي محمود طه وغيرهم، ممّا كان له تأثير في حياة الإيراني الأدبيّة والفكريّة.

وعمل الإيراني في حكومة فلسطين فترة من الزمن، إلاّ أنّه قدم إلى الأردن في أوائل الأربعينات: إذ عمل في التدريس معلّما للّغة العربية في المدارس الثانوية، وتنقل بين مدن عمان وإربد والكرك، ثم أصبح بعد ذلك مديرًا في المدارس الثانوية، ثم مفتّشا للغة العربية بوزارة التربية والتعليم، وسكرتيرًا عامًا للجنة اليونسكو الوطنية، ومديرًا للتعليم الخاص.

وفي عام 1960-1961م أوفد إلى باريس في بعثة للتخصّص بشؤون اليونسكو على نفقة المنظمة العالمية، وبعد ذلك عيّن مديرًا للدائرة العربية في وزارة الثقافة والإعلام الأردنية. وفي عام 1971م عين مستشارا ثقافيا في هذه الوزارة وأشرف على تحرير مجلة «أفكار». وظلّ يؤدّي رسالته الثقافية والفكرية والأدبيّة إلى أن توفي سنة 1974م.

الوجه الأظهر لشخصيّة محمود سيف الدين الإيراني الأدبيّة هو مسألة ريادته لفنّ القصّة القصيرة في فلسطين والأردن، وهي ريادة ليست موضع تنازع أو خلاف.

فقد أصدر الإيراني مجموعات قصصية مهمّة هي: أوّل الشوط (1937م)، وفيها ظهرت تباشير فنّه القصصي، ومع الناس، (1955م)، وما أقلّ الثمن، (1962م)، و«متى ينتهي الليل؟»، (1964م)؛ وأصدر سنة 1969م مجموعة قصصيّة مترجمة من قصاصين عالميّين بعنوان أقاصيص من الغرب والشرق، وصدر له سنة 1971م مجموعة قصصيّة بعنوان «أصابع في الظلام».

عالج الإيراني بقلمه القصّة القصيرة موضوعةً ومترجمةً، وأقبلت طائفة من أساتذة الجامعات العربية والمستشرقين على درس نتاجه القصصيّ. وفي عام 1939م أهدت مجلة المقتطف قرّاءها كتابًا ضخمًا اشتمل على 38 قصة عالمية كان في عدادها قصّة «حطام» بقلم الإيراني.

ومن مزايا الإيراني أنه كان شاهد عصر صدر عن معطياته، وتمثّل صور الحياة فيه، وعاش همومه وقضاياه، واستوعب حقائقه، وجاب أبعاده، كما جال آفاقه، ومن هنا فإنّ أعماله صورة صادقة لمرحلته، واستحضار فنّي متألّق لأشكال الحياة في كلّ من الأردن وفلسطين خلال الثلث الثاني من القرن العشرين.

ولقد تلقّى الإيراني، بحكم نشأته، ثقافة تراثيّة معمّقة، ظهرت تجلّياتها في طاقات تعبيريّة هائلة، وأداء لغوي رفيع، قلّما نجده عند أبناء جيله من الأدباء الذين لم يتخصّصوا في

العربية، كما أتاحت له ظروف الدراسة في الخارج، وظروف العمل والوظيفة أن ينهل من معين الثقافة الغربية والفكر العالمي بعامة.

عالج الإيراني في قصصه الفوارق الاجتماعية التي تفصل بين الناس، والصراع الطبقيّ بين فئاته، وما يلقى النّاس من عذاب نفسي حين يقارنون بين واقعهم المرّ، وما تصبو إليه نفوسهم من حياة أفضل؛ وألقى الأضواء على أسباب التخلّف والجمود، وتشخيص الأمراض الاجتماعية التي تنخر عظام الأمّة، لتتخلّص منها، وتسير في طريق التقدّم والازدهار.

وكانت رسالته في الكتابة تقوم على حبّ الحرية، وتقديس الديمقراطية، والرغبة في تحرير الشرق من تقاليده المعيقة؛ والميل القويّ لإنصاف المظلومين، والدعوة لمناهضة الاستعمار، وتوحيد الثقافة العربية، والسير بها في طريق التجدّد والابتكار والاستقلال.

آثاره

1- أصابع في الظلام، وكالة التوزيع الأردنية، عمّان، 1971م؛ 2- أقاصيص من الغرب والشرق 1969م؛ 3- أوّل الشوط، مجموعة قصصية، مطبعة الفجر، يافا، فلسطين 1937م؛ 4- مع الناس، مجموعة قصصية، دار النشر والتوزيع والتعهدات، عمّان 1955م؛ 5- ما أقلّ الثمن، مجموعة قصصية عمّان 1962م؛ 6- متى ينتهي الليل؟، دار الكتاب المصري، 1965م؛ 7- غبار وأقنعة (الآثار الأدبية غير المنشورة للإيراني)، تح. إبراهيم خليل، الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب، عمّان 1993م؛

وقد صدرت أعمال الإيراني كاملة تحت اسم: محمود سيف الدين الإيراني (الأعمال الأدبية الكاملة)، ثلاثة مجلّدات، منشورات مؤسسة عبد الحميد شومان، عمّان 1998م.

المصادر والمراجع

● نزار أباظة، ومحمد رياض المالح، إتمام الأعلام، (ذيل لكتاب الأعلام لخير الدين الزركلي)، دار صادر، بيروت، 1999م، ص 281؛ ● السوافيري، كامل، الأدب العربي المعاصر في فلسطين من سنة 1860-1960م، دار المعارف، القاهرة، 1975م، ص 372-376؛ ● العودات، يعقوب، من أعلام الفكر والأدب في فلسطين، وكالة التوزيع الأردنية، عمّان، ص 30-33؛ ● الموسوعة الفلسطينية، دمشق، ط. 1، مج. 4، ص 164؛ ● ياغي، عبد الرحمان، حياة الأدب الفلسطيني من أوّل النهضة...حتى النكبة، دار الآفاق، بيروت، ط. 2، 1981م، ص468-478، 492-497، 564-569؛ ● م. ن، القصة القصيرة في الأردن، منشورات لجنة تاريخ الأردن، عمّان، 1993م، ص 69 80.

د. يوسف أبو العدوس
الجامعة الأردنية - عمان

الإيلاقي، أبو عبد الله محمد بن يوسف

(...هـ/...م - 460هـ/1067م)

أبو عبد الله محمد بن يوسف الإيلاقي طبيب وفيلسوف من آسيا الوسطى. ينسب إلى ولاية إيلاق وهي توجد بالقرب من طشقند التي تمثل وحدة جغرافية في الأراضي الأوزباكستانية اليوم، وتقع على الضفة الشرقية لنهر «سيحون» شمال شرق أسرشنة [بارتولد، ص217-218]. ينحدر من أسرة عريقة وقد جمع جميع الفضائل العلمية والعقلية، وقد استوعب بشكل جيد الآراء الفلسفية والطبية المنقولة عن ابن سينا وطلابه، وكان يتميّز بذكاء حاد وبديهة متقدة وقدرة على التعبير، غير أنه لا توجد معلومات بشأن حياته ودراسته. وإذا أخذنا بعين الاعتبار تاريخ الوفاة فإن الادعاء الذي يقول بأنه أحد طلبة ابن سينا (ت 428هـ/ 1037م) يبدو ضعيفا. ومع أنه لم يكن أحد طلاب ابن سينا فقد تبنّى أفكاره وكان له دور كبير في شرحها ونشرها، وليس هناك معلومات مؤكدة على تلقيه العلم من عمر الخيام (ت 526هـ/ 1132م). ويروي البيهقي أنّه كان ماهرا في الطب وأنّه أقام في بهارز التي توجد بين نيسابور وهرات ثمّ انتقل إلى بلخ وهناك دخل في تبعية الأمير علاء الدين بن قماج، ثم قتل في معركة قطوان [التتمة، ص 126]. وعندما انهزم السلطان السلجوقي سنجر أمام جيش القرهطاييين بقيادة قرهان في معركة قطوان في 5 صفر 539هـ/ 9 سبتمبر 1141م أصبح الأمير قماج قائد الميمنة في جيش الأمير سنجر [ابن الأثير، XI، 86-85]. ويحتمل أن التواريخ المذكورة في أدلّة بعض المكتبات (460هـ -1068م) والتاريخ الذي ذكره خير الدين الزركلي [الأعلام، ج 7 وص 149-148] وهو 485هـ/ 1092م، نقلت عن كارل بروكلمان [انظر، I، 825 ـ 826، 887، I GAL، 597 638؛ Suppl. GAL].

ويقول ظهير الدين البيهقي أنه جرت بين الإيلاقي والقاضي الفيلسوف محمد الأفضل عبد الرزاق التركي، والذي كان حافظًا لأكثر مؤلفات ابن سينا، مناظرات لم يتعرّض فيها القاضي عبد الرزاق إلاّ لظواهر كتب ابن سينا.

آثاره

لا يوجد لهذا الطبيب كتب مطبوعة، حسب ما جاء في معجم المطبوعات لسركيس، والمعجم المطبوع لصلاح الدين المنجد، والمعجم الشامل للتراث العربي المطبوع لعيسى صالحية. ولكن للإيلاقي عدة مؤلفات منها: كتاب في الحيوان، وكتاب في إعداد الأوفاق؛ وكتاب الأسباب والعلامات؛ وكتاب دوست نامه (رسالة صديق)؛ وكتاب سلطان نامه (رسالة السلطان)؛ وكتاب فصول الإيلاقية، ويعد الكتاب الأخير من أشهر مؤلفاته نظرًا إلى ما لاقاه من اهتمام من قبل الشارحين له.

1 - كتاب الأسباب والعلامات، فيه شرح لأسباب الأمراض وعلاماتها، والاستدلال

عليها، وطرق معالجتها وهو يعتبر مختصرا لما جاء في كتاب القانون لابن سينا. ولهذا الكتاب عدة نسخ مخطوطة في المكتبات الآتي ذكرها: أ - مجلس شوري ملّي - إيران برقم (3/ 6406). ب - مكتبة رضا رامبور، الهند، برقم (3/ 232). ج - مكتبة الجامعة الأمريكية في بيروت رقم (310/هـ). د - مكتبة ويلكم للطب والصيدلة، بريطانيا، رقم (32/ 215/ 89). هـ - مكتبة الإسكندرية بمصر برقم (2063د)؛ 2 - الفصول الإيلاقية، هو كتاب في شكل رسالة أعده المؤلف من خلال مختارات من الكتاب الأول من مؤلف ابن سينا في الطب والمسمّى «القانون في الطب» [مكتبة متحف طوب كابي سراي، أحمد الثالث، رقم 307، 1941، ورق 2 ب - 33 ب، سنة 758هـ/ 1357م؛ مكتبة السليمانية، الشهيد علي باشا، رقم 2/ 2035، ورق 17 أ - 82 أ، سنة 662هـ/ 1264م، جار الله رقم 1526، ورق 62 سنة 880هـ/ 1398م، أسعد أفندي رقم 3/ 2472 ورق 115ب - 202ب، آياصوفيا، رقم 3683، ورق 13؛ مختصر الإيلاقي، المكتبة السليمية، بأدرنة، رقم 272، ورق 283، سنة 743هـ/ 1342م؛ داماد إبراهيم، رقم 931، ورق 212، سنة 944هـ/ 1537م]، وشمس الدين أماسي [مكتبة راغب باشا، رقم 948، ورق 220]، ومحمد بن علي النيسابوري المعروف بفخر الدين الإسفراييني (ت بعد عام 750هـ/ 1350م) وسديد الدين محمد السماني [للاطلاع على النسخ والشروحات الأخرى [انظر، GAL, I، 597 - 598]؛ 3 - شرح الكليات، وهذا الكتاب شرح للفصول الإيلاقية في الطب، مخ. بالمكتبة الظاهرية رقم 7791 / ب؛ وقد اهتم الإيلاقي في هذا الكتاب بعلاج المرضى عن طريق ذكر الأشكال الصيدلية وأنواع العقاقير؛ 4 - المجموع في الطب، لم يعثر على اسم لهذا الكتاب في المصادر، وتوجد نسخة منه في مجموعة طبية [جامعة مدينة العلم، الكاظمية، رقم 473، ورق 251 سنة 1231هـ/ 1816م]؛ 5 - متن الطب، ينسب إلى الإيلاقي غير أن اسمه لم يمر في المصادر، وتوجد منه نسخة في مكتبة مانيسا العمومية [رقم 1826، ورق 92، سنة 881هـ/ 1426م].

المصادر والمراجع

● البيهقي، علي بن زيد، تتمة صوان الحكمة، (نشر محمد شفيع)، لاهور، 1351هـ/ 1932م، ص 125-126؛ ● ابن الأثير، الكامل في التاريخ، بيروت، دار صادر، XI، 85-86؛ ● ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء (نشر نزار رضا)، بيروت، دار مكتبة الحياة، ص459؛ ● كاتب جلبي، كشف الظنون، أنقرة، 1941م، II/ 1266-1267، 1312؛ ● البغدادي، إسماعيل باشا، هدية العارفين، أنقرة 1955م، II/ 71؛ ● الزركلي، خير الدين، الأعلام (إشراف زهير فتح الله)، بيروت، 1984م، VII/ 148 - 149؛ ● عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، بيروت، مكتبة المثنى، XII/ 123؛ ● رمضان ششن، وجميل أقكار، وجواد إيزكي،

فهرس مخطوطات الطب الإسلامي باللغات العربية والتركية والفارسية في مكتبات تركيا، إسطانبول 1404هـ/ 1984م، ص144-146؛ ● فهرس المخطوطات المصورة، إعداد إبراهيم شبوح، القاهرة 1959م، III/ 2، الطب، ص 12-13، III/ 2، الكتاب الثاني، القاهرة 1398هـ/ 1978م، ص 169-170، 218-219؛ ● فهرس المخطوطات الطبية المصورة، إعداد هيا محمد الدوسري الكويت، 1405هـ/ 1984م، ص 28، 219؛ ● فهرس المخطوطات الطبية العربية في مكتبات سامي إبراهيم حداد، إعداد فريد سامي حداد، حلب، 1404هـ/ 1984م، ص60-61؛

• V. V.Barthold, Mogol Istilasm a kadar Türkistan (Tercüme hakki dursun yildiz). Istanbul 1981, s, 217-218; • Carl Brockelmann, Geschichte der Arabischen litteratur (GAL) Leiden, 1943, I, 597-598, 638; Geschichte der Arabischen Litteratur Supplementband, Leiden 1937, I, 825, 826, 887; • Mahmud Necmâbâdî, Tarib-i Tib der Irân ez Islâm, Tahran, 375, s. 514, 577, 695.

د. قاسم كربييك
جامعة اسطنبول ـ تركيا
ترجـمة: أنعم محمد عثمان الكبّاشي

د. محمد زهير البابا
مجمع اللغة العربية - دمشق

إيليا، المطران النّصيبيني

(... هـ / ... م - 975 هـ / 1046 م)

ولد إيليا في مدينة السن الواقعة على الضفة اليسرى لنهر دجلة في الحادي عشر من شهر شباط (فبراير) سنة 975 ميلادية، وقد تلقى تعليما دينيا على المذهب النسطوري، وقد أصبح قسًا لمدينته سنة 994 ثم مطرانا على مدينة نصيبين في سنة 1008 . ومن ثم فقد عرف بالنصيبيني كما عرف باسم إليا بَر شِينايا أي إليا بن السني نسبة إلى مدينة السن «شنا بالسريانية» الواقعة على الضفة اليسرى لنهر دجلة. ويعتبر إليا النصيبيني من المؤلّفين السريان الموسوعيين فقد كتب في فروع شتّى، وتعتبر مؤلفاته نتاجا يجمع بين الفكر السُرياني المسيحي والثقافة العربية الإسلامية، وهو تعبير صادق عن الازدواج اللغوي والثقافي الذي ساد الأوساط الثقافية المسيحية العربية والسُريانية المتعربة، وعن التمازيج بين الحضارات من خلال اللغة العربية.

ترك إيليا المطران مؤلفات باللغتين السريانية والعربية: في العلوم اللغوية، والتاريخ والقانون، واللاهوت المسيحي، والشعر. من ضمن أعماله معجم عربي - سرياني بعنوان كتاب الترجمان في تعليم لغة السريان ترجم إلى اللاتينية ونشر بروما في 1638 في ثمانية أجزاء. كان لإيليا علاقة بأبي القاسم الحسين ابن علي المغربي (ت 448هـ/ 1056م) وزير مشرف الدولة البويهي، وقد تبادل معه الرسائل في بعض الأمور الدينية والدنيوية مما يُعَدُّ إحدى المعالم المضيئة للحوار الإسلامي المسيحي في العصر العباسي.

آثاره

1- مجالس إليا مطران نصيبين، وتتناول هذه الرسالة التي كتبت باللغة العربية الجدل، والحوار الذي دار بين المطران إليا النصيبيني وبين الوزير أبي القاسم الحسين بن علي بن الحسن بن محمد بن يوسف بن بحر بن بهرام ابن المرزبان بن ماهان بن باذام بن ساسان الملقَّب بالمغربي (981-1061 ميلادية).
وقد تحاور المطران والوزير حول أمور العقيدة المسيحية والإسلامية في سبعة مجالس كالتالي: المجلس الأول في التوحيد والتثليث في المسيحية .المجلس الثاني عن الاعتقاد المسيحي في السيد المسيح .المجلس الثالث في التوحيد في الاعتقاد المسيحي .المجلس الرابع عن إثبات التوحيد في الاعتقاد المسيحي بالأدلّة العقلية والمنطقية .المجلس الخامس عن براءة النصارى من الكفر. المجلس السادس عن أفضلية اللغة العربية والسريانية .المجلس السابع عن اعتقاد النصارى في المسلمين؛ 2- رسالة في وحدانية الخالق وتثليث أقانيمه، وتتناول هذه الرسالة شرح إليا لأسس العقيدة المسيحية في مسألة الأقنوم، والجوهر الإلهي، وتأتي هذه الرسالة ردا دفاعيا عن العقيدة المسيحية؛ 3- نعيم الآخرة، يشرح إليا في هذه الرسالة موضوع الفردوس في العقيدة المسيحية وعارض نعيم الجنة المذكور في القرآن الكريم بقوله «ليس ذلك النعيم أكلاً ولا شرباً بل سرورٌ ومجدٌ لاينطق به ولذة لا توصف»؛ 4- تاريخ الأزمنة، ويقدّم هذا التاريخ مادة تاريخية هامّة عن الكنيسة الشرقية وعن التاريخ الإسلامي؛ 5 - رسالة في فضيلة العفّة عن الجماع، وتعتبر هذه الرسالة من أهمّ رسائله، وقد وجّه الكاتب رسالته هذه إلى عمر بن بحر ابن محبوب أبي عثمان الجاحظ (193-255) وتأتي هذه الرسالة دفاعا عن امتناع الرهبان عن الزواج واعتراض الجاحظ على ذلك والذي أورده في رسالة الجاحظ الشهيرة بعنوان «الرد على النصارى»، وفي كتاب الحيوان؛ 6- الترجمان في تعليم لغة السريان، وهو معجم للسريانية والعربية؛ 7- رسالة في الموازين والأوزان بعنوان مقالة في الأوزان والمكاييل، وقد ألفها للجواب على طلب وجّهه له الوزير أبو القاسم، الذي كتب منظومة شعرية في هذا الموضوع من ستة عشر بابا وتوجد في عدّة مخطوطات محفوظة بدار الكتب المصرية بالقاهرة، وفي نسخة بالمكتبة الوطنية بباريس. وتمثّل هذه الرسالة العمل الوحيد ذا الطابع العلمي ضمن كتابات المطران إيليا، ويدلّ عدد النسخ الخمس المتوفّرة، والتي نقل أربع منها في مصر في فترة متأخّرة، على التأثير والانتشار اللذين عرفتهما. فإلى حدود القرن الثامن عشر،

كانت ماتزال تُتداول في أوساط الحرفيين والصناع، حيث ذكرها حسن بن إبراهيم الجبرتي (1110-1188هـ/ 1698-1774م) في كتابه العقد الثمين فيما يتعلّق بالموازين، وهو مؤلّف وضعه لإصلاح الأوزان والموازين في مصر في عصره.

تندرج رسالة إيليا في إطار تقليد علم الأثقال العربي الذي تأسس في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي [المدخل حول الإسفزاري في هذه الموسوعة للإطلاع على توصيف مقتضب لهذا التقليد]. وهي من أولى الكتابات ذات الطابع العملي حول الأوزان والمكاييل في التقليد العربي. ويتشابه النص مع مؤلّفات مماثلة لقسطا بن لوقا، وحنين ابن اسحاق حول الأوزان والمكاييل، لكن رسالة إيليا أكثر تفصيلا وطولا. ورغم أهمّيتها الواضحة، فإنها لا تزال في عداد المخطوطات التي تنتظر التحقيق والدراسة.

تبدأ مقالة في الأوزان والمكاييل بتحديد مقادير وقيم الأوزان والمكاييل والطرق المستخدمة في هذا التحديد. والأوزان هي المثاقيل، والدراهم، والأرطال، والأواقي. تساوي صنجة المثقال 60 حبة، وزن كل حبة منها مائة حبة من حبوب الخردل البري المعتدل. أما أوزان الدراهم، فإنها رتبت على أنّ كل سبعة مثاقيل عشرة دراهم، وكل درهم ستون حبة. أما الأرطال والأواقي فعديدة وتختلف مقاديرها. فالرطل الرومي 72 مثقالا، أي 102 و6/ 7 درهم، والرطل البغدادي 90 مثقالا أي 128، و4/ 7 درهم، والرطل المغربي 96 مثقالا، أي 136 و1/ 7 درهم، الخ. ويفسّر إيليا الاتفاق في أوزان المثاقيل والدراهم والاختلاف في الأرطال والأواقي حسب ما يقتضيه رخص الموزون وغلائه.

فلا يوزن بصنج المثاقيل والدراهم في سائر البلاد إلا الذهب والفضة وما يجري مجراهما ممّا له قيمة مثل قيمتهما. وأما الأرطال فتختلف قيمة ما يوزن بها، وذلك أن قوما يزنون بها ما قيمته خسيسة ناقصة مثل الحطب، والفحم، وقوم آخرون يزنون بها الأدهان النفيسة والطيب. أما المكاييل فهي على ضربين ووتختلف مقاديرها من بلاد إلى أخرى: مكاييل الأشياء الرطبة المائعة مثل: الدهن، والخمر، والعسل، ومثل الكوز، والدورق، والمخال، والقليجة، والقلة، ومكاييل الأشياء اليابسة من الحبوب وغيرها، من حنطة، وشعير، وملح، واشتهر منها المكحول، والكيلجة، والربع، والكيل، والثُمن.

أما عن استخدام الأوزان أو المكاييل في وزن الأشياء فيقول إنّ الذي يعرف به أصل الكيل والوزن أنّ كل ما لزمه اسم المختوم والقفيز، والمكوك، والمد، والصاع فهو كيل، وكل ما لزمه اسم الأرطال، والأواقي،والأمناء فهو وزن. فالتمر أصله الكيل فلا يجوز أن يباع منه رطل برطل ولا وزن بوزن، لأنه إذا رد بعد الوزن إلى الكيل معروفا ومعمولا به في بلاد العرب منذ القديم. ويقدّم قسطا بن لوقا البعلبكي تعريفا دقيقا لهذا التمييز في كتابه في الوزن والكيل [مكتبة آيا صوفيا بإسطنبول، مجموع 3711، و69أ].

وتخصص الرسالة عددا من الفصول لوصف الموازين، من ضمنها ميزان تستخرج فيه صنج المثاقيل من صنج الدراهم فيخرج مثاقيل، وتوزن فيه الفضة بصنج المثاقيل فتخرج

دراهم. وميزان آخر بثلاث كفات يوزن فيها الذهب بصنج المثاقيل إذا كانت موجودة ويصنج الدراهم إذا كانت صنج المثاقيل معدومة وصنج الدراهم موجودة فيخرج الوزن واحدا، وتوزن فيه الفضة بصنج الدراهم إذا كانت موجودة، وصنج المثاقيل إذا كانت الدراهم معدومة وصنج المثاقيل موجودة فيخرج الوزن أيضًا واحدا.

وتخصص المقالة فصولا عدّة للمسائل المتعلّقة بميزان كان له شأن كبير في تقليد علم الأثقال العربي يسمّى القرسطون أو القبان، وهو ميزان له ذراعان غير متساويين وكفة واحدة ورمانة. أولا وصفه وتعداد خصائصه، ثم توضيح مبدأ عمله: «نسبة الطرف الأقصر من الطرف الأطول من كل قرسطون مثل نسبة وزن الرمانة من وزن ما يخرجه ذلك القرسطون». وينبني هذا المبدأ على علاقة التكافؤ أو النسبة المتعاكسة بين الأثقال كما ينصّ على ذلك قانون المحل (Law of the Lever) الذي هو أساس عمل هذا الميزان. وتقدّم بعد ذلك تطبيقات لعلاقة التناسب المتعاكس في حالتين محدّدتين: إيجاد رمانة قرسطون معطى اعتمادا على مقاييس عمده، وتحديد موقع علاقة ذلك القرسطون عندما تكون رمانته مفروضة معلومة. كما يتم التطرّق إلى مسألتين تتعلّقان باستخدام الميزان القباني: استخدامه أوزن المثاقيل عندما يكون محمولا لوزن الدراهم، واستعماله لوزن كمّيات أثقل ممّا يخرجه من المثاقيل والأرطال. كما يتعرّض المؤلّف لامتحان القرسطون وإصلاحه إذا كان فاسدا، ويبيّن طرق إصلاح كل هذه الأنواع من الفساد.

ومن الطبيعي أنّ كلّ هذه المسائل كانت مهمّة جدّا للصناع والحرفيين ومستعملي الموازين وتوفّر لهم حلولا بسيطة وسهلة لا تتطلّب إلاّ معارف رياضية بسيطة مثل العمليات الحسابية الأربع. وقد كان التراث العلمي العربي غنيّا بمثل هذه الكتابات الموجّهة إلى الصناع والعمال وتوفّر لهم ما يحتاجونه من معارف رياضية وفيزيائية تنفعهم في أداء مهامّهم.

■ المصادر والمراجع

● أبو ناز، أدب اللغة الآرامية، بيروت، 1970م؛ ● لويس شيخو، مجالس إيليا المطران، المشرق، المجلّد 20، 1922م؛ ● صلاح عبد العزيز محجوب إدريس، الجدل الديني بين المطران إليا النصيبيني وبين الوزير أبي القاسم الحسين ابن علي المغربي، رؤية نقدية للنص السرياني، مجلة الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، عدد 19، 1997م، ص279-323؛ ● حبي، يوسف، تاريخ إليا بر شينيا، مطبوعات المجمع السرياني، بغداد 1975، ونشر إدوارد بروكس تاريخ إليا وترجمته إلى الإنجليزية، Nisibeni, CSCO, vol 62, Louvain 1954. E. W.Brooks, Eliac Metropolitae، وانظر دراسة وطبعة اندرياس هاو للنص العربي لرسالة إليا النصيبيني عن فضيلة العفة عن الجماع: den Vorzug derhau, 1970 Enthaltssamkeit, Bonn A: Brief ueber، وانظر عن حياة إليا ومؤلفاته: اغناطيوس أفرام الأول برصوم، اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية، مطبعة ابن العبري، هولندا

1987م، ص 310 وما بعدها؛ • لويس شيخو، محاورات جدلية ومجالس دينية ورسالة لاهوتية، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، 1923م، ص 26 ومابعدها؛ • البير أبونا، تاريخ الكنيسة الشرقية، الجزء الأوّل من انتشار المسيحية حتّى مجيء الإسلام، بغداد 1985م، ص116 وما بعدها؛ • حبي، يوسف، فهرس المؤلّفين لعبد يشوع الصوباوي، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد 1977م، ص 111؛ • الأب سمير خليل، ناشر، مقالة لإليا مطران النصيبيني «في نعيم الآخرة»، مجلة بين النهرين، عدد17، بغداد 177؛

• A. van Roey, une Apologie Syriaque Attribuee A Elie de Nisibe, Le Museon Lix Louvain 1946, p. 381-396; • W. Wright, A short History of syriac, London 1894, p. 238 FF, Brouks, E. Eliae Metropolitae Nisibeni, (isco), vol, 62, Lovain, 1954; • Cheikho, Louis, trois traités anciens de polémique et de théologie chrétiennes, Beyrouth, 1923; • Delaporte, L. J, édition et traduction, 1910, La chronographie d'Elie bar - Sinaya, Metropolitain de Nisibe, Paris, 1910; • Graf, Georg, Geschichte der christlichen Arabischen Literatur. Bd. 2: Die Schriftsteller bis Zur Mitte des 15. Jahrhunderts. Citta del Vaticano: Studi e Testi 133, 1947, p. 177-191; • Sanvaire, Henri, on a treatise on weights and measures by Elia, Archbishop of Nisibin, Journal of the Royal Asiatic, Vol 9 (1877), p. 291-313, vol. 12 (1880), p. 110-125; • Samir, Khalil 1996, Foi et culture en Irak au XIème siecle: Elie Nisibe et l'Islam. Bookfield, Vt.: Variorum.

د. محمد أبطوي
معهد ماكس بلانك لتاريخ العلوم
برلين - ألمانيا
د. صلاح عبد العزيز محجوب
جامعة القاهرة - مصر

أيوب، ذو النون العبد الواحد

(1326 هـ / 1908 م - 1409 هـ / 1988 م)

ولد ذو النون أيوب في الموصل عام 1908م في أسرة متوسّطة الحال لأب كان يعمل في التجارة هو الحاج أيوب العبد الواحد الذي شارك في الحركة الوطنية في العراق ضد الحكم العثماني والاحتلال الإنكليزي، وكعضو بارز في حزب العهد قاوم

الأتراك وشارك في الدعوة إلى مقاومة سياسة التتريك، وساهم في إنشاء المدرسة الإسلامية الأهلية وهي مدرسة علّمت العلوم للطلبة باللغة العربية.

بدأ ذو النون أيوب تعلّمه، شأنه شأن الأطفال الآخرين، في الملاّ بجامع المحلة لإتقان قراءة القرآن والخط العربي، وذلك على يدي الملاّ محمود في جامع عبد الله في محلّة رأس الكور القريبة من دارهم. ثم دخل المدرسة الإسلامية الأهلية بالموصل وقضى فيها أربع سنين وأكمل الدراسة الثانوية في الموصل أيضًا، ذهب بعدها إلى بغداد لإكمال دراسته الجامعية في دار المعلّمين العالية وتخرّج منها عام 1928م كمدرّس للعلوم الطبيعية، ثم معاونا لمدير الثانوية المركزية في بغداد، فعميدا لمعهد الفنون الجميلة، فنائبا عن الموصل كمرشح للجبهة الوطنية التي تشكلت سنة 1954م. ولم يرتح نوري السعيد لذلك المجلس النيابي فحلّه مباشرة، وأحيل أيوب على التقاعد فترك العراق وحطّ الرحال في فينا مواصلا تتبّع الأحداث السياسية في العراق، وحين أعلنت الجمهورية العراقية عام 1958م عاد إلى بغداد، وتمّ تعيينه في وظيفة مدير عام للإرشاد والتوجيه في مديرية الإذاعة والتلفزيون، ثم ترك العراق من جديد مكتفيا بمنصب ملحق صحفي في فينّا، ومنذ ذلك الوقت مقيم في براغ حينًا وفي فينّا حينا آخر إلى أن توفّي في فينّا عام 1988م.

تعرّف أيوب على رجال الأدب كمحمود أحمد السيد، وزامل عبد الحق فاضل، وأكرم فاضل، واطّلع على ما كان ينشر من قصص بصورة خاصة، وبدأ يقرأ ما ترجم من اللغات الأجنبية كالروسية، والفرنسية، والإنكليزية، والألمانية، فمن أبرز الكتّاب الأجانب الذين قرأ لهم وتأثر بهم: القصاص الروسي دستويفسكي، وتورجنيف، وغوغول، وبوشكين، ومكسيم غوركي، وتشيخوف، وشولوخوف؛ ومن الإنكليز: أعجب بثلاثية - عائشة- للكاتب رايدر هجارد؛ وقرأ لويلز، وتوماس مور، وجيمس جويس، وصموئيل بيكت، ولورنس، وديكنز؛ ومن الفرنسيين: جول فيرن، وبلزاك، وأناتول فرانس، والفونس دويديه، وبول بورلاجيه، وموبسان، وأميل زولا، وهوجو، وفولتير، ومارسيل بروست؛ ومن كتّاب أميركا: سنكلير لويس، ومارك توين، وأدكار ألن بو؛ ومن الألمان: إريك ماريا ريمارك؛ ومن الإيطاليين: ألبرتو سورافيا. وله مطالعات واسعة في الفلسفة والتاريخ والإجتماع. وإلى جانب الآداب الأجنبية قرأ كاتبنا الكثير في التراث العربي الإسلامي، فقد قرأ القرآن الكريم وألف ليلة وليلة، وفي الأدب قرأ لجرجي زيدان، وطه حسين، والمازني، وسلامة موسى، والمنفلوطي، وهو كثير الإعجاب بقصص سهيل إدريس، ونجيب محفوظ، والكاتبة غادة السمان.

حين بدأ أيوب الكتابة في الثلاثينات ساهم بصورة فعّالة في ترسيخ أسس القصة الفنية، وسعى إلى إنتاج أدب حي، يجمع إلى حاجات الواقع الاجتماعية حاجات الفن ومقوماته.

كانت حياة أيوب السياسيّة، حافلة بالأحداث وقد ارتبط مصيره بالسياسة في العراق ارتباطًا عضويا، إلاّ أنّ روحه المتمرّدة على القيود التنظيمية وتطلّعه إلى الحرّية الفكرية للفرد

خلقت له مشاكل عويصة مع أكثر الفئات السياسية التي انتمى إليها أو عمل معها وآزرها، وكان رد فعل أيوب عنيفًا حين تمرّد وثار على جملة التقاليد والشرائع والموضوعات الاجتماعية السائدة في المجتمع العراقي.

وقد ترجمت رواية أيوب «اليد والأرض والماء» إلى اللغة الروسية، وترجمت بعض قصصه القصيرة إلى اللغة الرومانية، والهنغارية، ورغم قلّة ما ترجم له إلى اللغة الإنكليزية أو الألمانية، فإنّ طالبًا عراقيًا يدرس الأدب في فرنسا أعدّ أطروحة دكتوراه عن حياة وأعمال أيوب، ويبدو أنّ الكاتب معروف لدى المستشرقين والمهتمّين بشؤون الأدب العربي المعاصر في الأوساط الأكاديمية، فثمّة مراسلات بين أيوب وبين المستشرق الروسي المعروف كراتشكوفسكي، والمستشرق الإنكليزي جب، كما أنّ الأستاذ آرثر ورمهودت كتب سنة 1967م القسم المختص بالأدب العربي ودعا فيه الأكاديمية السويدية للعلوم والآداب إلى الالتفات إلى إنتاج الكتّاب العرب والنظر في شمولهم بحق الحصول على جائزة نوبل للآداب فذكر طه حسين، ومحمود تيمور، وسهيل إدريس، وذو النون أيوب، وليلى بعلبكي، ويحيى حقي، ونجيب محفوظ.

ويلاحظ أنّ كتابات أيوب قد حظيت بكثير من الدراسات المستفيضة في العراق ولبنان، ورغم طول غيابه عن وطنه، فقد بقي محافظًا على سمعته الأدبية بين القرّاء والباحثين، بل أنّ البحوث العالمية لا تغفل إسمه وذكر أعماله.

يعد ذو النون من أغزر كتّاب القصّة في العراق، وتتناول كل مجموعة من مجموعات أيوب القصصية لونا من الأفكار يربط بين مختلف الموضوعات إذ يصوّر لنا في مجموعته الأولى «رسل الإنسانية» الصادرة عام 1936م، كفاح الطبقة المثقّفة من معلّمين ومدرسين وصلتهم بمدير المدرسة والطلاب وصلة إدارة المدرسة ومدرسيها بولاة الأمور، وهو يحدّثنا عنهم حديث الخبير العارف لجميع أحوالهم.

وتقدّم لنا المجموعة الثانية «ضحايا» الصادرة عام 1937م نماذج من هؤلاء الذين يسقطون صرعى التقاليد والأوهام التي تطغى على المجتمع فتفسده.

وتبدو لهجة النقد الإجتماعي ضامرة في مجموعتيه «صديقي» 1938م و«وحي الفن» 1938م، والأولى تحترم فيها الثورة في شخص بطل لا يخشى الصعاب ويكاد يكون واحدًا في جميع قصص المجموعة. أما المجموعة الثانية فهي انسياب مع الفن ومحاولة لإيجاد سبيل الخلاص عن طريقه.

وفي مجموعته الخامسة «برج بابل» الصادرة عام 1939م، يهاجم المجتمع العراقي ونظام الحكم فيه آنذاك والدكتاتورية هجوما عنيفًا.

ويستأثر أيوب في مجموعته السادسة «الكادحون» الصادرة عام 1939م بطبقة العمال والفلاحين، وهو يختارهم جميعا من الريف ومن سكان شواطيء النهر، وتنقلنا مجموعته «العقل في محنته» الصادرة عام 1940م بأسلوبها الرمزي إلى عالم غريب لم يعوّدنا ذو النون أيوب إياه، ومن اليسير أن ندرك السبب الذي من أجله آثر المؤلّف هذا الأسلوب لانتقاد العهد القائم في تلك الفترة من الحرب الأخيرة، فهو يردّد أساطير

وحكايات تدلّ على عبث العيش في بلاد بعيدة، ففي هذه الأقاصيص يخضع العمل دائما للتقاليد البالية والأوهام المسبقة الشائعة، ولكن هناك دائمًا ثمّة إنسان يصارع ويكادح، غير أنه ينتهي إلى الإخفاق لأنّ مفهومه يختلف عن مفاهيم الناس جميعا...

ويقرّر أيوب في مجموعته الثامنة «جمعيات» الصادرة عام 1941م ما يوضّح فكره قائلاً: «أن مثل من يتوّهم أنّ الأمراض الخلقية والنفسية أقلّ فتكا بالبشر من الأمراض الجسمية، كمثل رجل أطرش أعمى وسط غرفة مسدودة النوافذ مقفلة الأبواب، وقد حالت جدرانها بينه وبين عالم تكتسحه عواصف هوج وزوابع مدمرة ليت شعري كيف يسوغ له العقل والمنطق أن يحسب وافدات الملاريا والكوليرا خطرًا لا خطر بعده، وهو يرى سيول الدماء الجارية ويسمع بأذنيه هدير المدافع المهلكة ويشاهد الألوف والملايين من بني البشر أصحّاء أقوياء يدخلون أبواب الفناء زمرًا، كل ذلك بسبب نوبة جشع قد أصابت مجتمعًا من المجتمعات أو وافدة غرور انتابت عددًا من الناس».

وقد صوّر في مجموعته القصصية «الكارثة الشاملة» الصادرة عام 1944م، وهي آخر مجموعة قصصية صدرت لأيوب قبل انتهاء الحرب الثانية، مآسي عند الحرب وويلاتها، ووقف عند المجاعة التي حلّت بالموصل.. ولم يبلغ نتاج أيوب القصصي بعد الحرب العالمية الثانية، ما بلغه قبل الحرب من ناحية --الكم- فقد أصدر أربع مجموعات قصصية فقط «عظمة فارغة» عام 1947م، و«قلوب ظمأى» عام 1950م، و«صور شتّى» عام 1954م، و«قصص من فينا» عام 1957م، أما من ناحية الكيف فقد تطوّر أدب أيوب في الخمسينات من ناحية المضمون فلم يلتزم التزاما سياسيًا، ولم ينصب من نفسه واعظًا، ولم يحشر نفسه بين الشخصيات ليوضّح رأيه في المسائل المعروضة، ولم يحرّك شخوصه وينطقها بما يريد، إنّما تركها تتصرّف وتتحرّك بصورة تلقائية طبيعية وطرق مواضيع مختلفة: اجتماعية وسياسية وعاطفية، وقد اتّسعت قصصه الأولى لعدد من الشخصيات والحوادث والمواقف وامتد فيها الزمان والمكان، أما القصص الأخيرة فإنها تقتصر على عنصر من العناصر السابقة أو عنصرين منهما ويتحدّد الزمان والمكان ويتجمع كل ذلك غالبًا في لحظة عابرة منفصلة تنفجر فيها الأزمة ويستغلّ الكاتب ظاهرها للتوصّل إلى أعماقها، والحبكة زادت إحكاما وبدت الوحدة العضوية بين بداية القصة ونهايتها أشدّ تماسكًا وأصبحت خاتمتها تعتمد على نقطة تنوير تلقي ضوءًا كاشفًا على جميع أجزاء القصّة، هذا التطوّر نحو الأفضل والأحسن، كان يتم في ضوء فن أيوب.

في مجموعته العاشرة «عظمة فارغة» أوّل مجموعة أصدرها بعد الحرب الثانية، يعود إلى مهاجمة المسؤولين الذين يخونون الشعب بلهجة أكثر صراحة وأشدّ عنفا مما كان عليه قبل الحرب، بينما يعود في «قلوب ظمأى» إلى الهدوء والطمأنينة وشيء من اللامبالاة، فكأنه ينشد راحة بعد صراع طويل، وطرق أيوب في مجموعته «صور شتّى» منحى جديدا لم نلحظه من قبل، فقد كان اللون المحلّي، طابع آثاره السابقة، ولكنه في «صور شتّى» شقّ تلك الحواجز الإقليمية الضيّقة وانطلق يطرق موضوعات تشغل بال الإنسانية جمعاء.

وكانت مجموعته الأخيرة «قصص من فينا» عام 1957م تتوفّر على عذوبة وأسلوب سلس رغم أنه أدان كعادته الحروب وأبرز مآسي الفقدان واللوعة البشرية.

يعد أيوب من الكتّاب الذين وضعوا الرواية الواقعية في العراق على الصراط الفني الصحيح، وقد أعطاها شكلها الذي يجب أن تتخذه كنوع أدبي، وكان قد تمثّل بعمق روح التجربة، فاستطاع بتمكّنه من عناصر الخلق الفني أن يفرغ التجربة في القالب الفني فجاءت الرواية لديه متحرّرة من جميع ماضيها القديم في العراق.

شعر بأنّ الحقيقة لا توجد إلاّ في الواقعية، وإنّ الواقعية هي التعبير عن الديمقراطية، وكان يحاول دومًا أن يعطي الحدث القصصي قوامه الأرضي الإنساني، ومن هذا الموقف ينبع مبدأ الإلتزام في أدبه، وبه يدخل ميدان المعركة وميدان العمل الإجتماعي والإنساني، يعمل لا للكتابة نفسها، وإنّما يجعل من الكتابة وسيلة لغاية أخرى صريحة تتمثّل في التوق إلى تغيير العالم..

وتستمدّ هذه الواقعية عناصرها من أنّه فيما يكتب عن تجاربه الشخصية وعن الصور والأحداث التي يراها ولا يلعب الخيال عنده إلاّ الدور المحدود، وهو يدين بجمال قصصه إلى عينه اللاقطة الذكية والمدركة لا إلى وثبة خياله..

يؤمن أيوب بالأدب الهادف، وبأنّ الرواية لا تكتب ولا تقرأ لذاتها ولكن لإصلاح المجتمع، ولذلك يرى ضرورة اتّصالها به، وهذه الألوان المحلّية التي تظهر في رواياته هي الجسر الذي يضعه بين الواقع الذي يكره والمستقبل الإشتراكي الذي يرجو وهو يعتقد أنّ النضال لا بد أن يثمر وأنّ الإنسانية لا بد أن تنتصر، ونستطيع القول أن أيوب رائد الواقعية الجديدة في العراق التي تطوّرت بعد الحرب الثانية واكتسحت الإتّجاهات الأخرى في القصة العراقية، فهو يتلمّس شخصياته من الطبقات التي تقف وجها لوجه أمام الحياة في كفاحها اليومي المرير في سبيل البقاء، وتتميّز بطابع محلّي يتمثّل في عرض الصور في الواقعية الشعبية مما يكسبها صفة إنسانية عميقة الدلالة لامتيازها بالصدق والإخلاص للواقع، وربطه بين الأدب والوطن وإبراز الخصائص الجوهرية لهذا الوطن وللناس الذين يعيشون فيه، فقصصه ترتبط بالأرض العراقية ارتباطا وثيقا وتعالج الواقع وتتحدّث عن العراقيين البسطاء في حدود العراق وفي حدود العصر الحاضر، وتؤمن قصصه بأنّ الإنسان كائن كريم ينزع دائمًا إلى حياة حرّة سعيدة يعمل من أجلها وله القدرة على بلوغ ما يريد رغم العقبات التي يضعها المستغلون والحكام من ورائهم لعرقلة مسيرة الإنسان نحو هدفه عن طريق قوانين تسنّها الحكومة لخدمة الطبقة المستغلّة المرتبطة بالإستعمار كل الإرتباط.

وهو يعتمد على التحليل والتعليل يمزجهما بالفن القصصي مع انفصال أسلوبي الدراسة العلمي والأدبي أحدهما عن الآخر، وقد درست رواياته موضوعات خلقية حساسة دراسة حرّة، وانتفع بدراسة علم النفس، وعلم الاجتماع والسياسة وما يتّصل بالإنسان ومشاكله الاجتماعية..

وأيوب يرمي إلى غاية ما برح يميط اللثام عنها في كل مقدّمة وفي كل إهداء، شأن المربي الحريص عل مستقبل طلابه وتابعيه،

يريد لهم النور، يكافحون من أجله، ويريد أن يعشقوا الحرية ويسعوا إليها، ويريد أبطالا مسلّحين بالعقل والمنطق والجرأة في حربهم على الباطل.

إنّ موضوع أيوب في روايته، كان على الدوام التعبير عن أمل الإنسان في أن تتخطى إرادته كل العقبات وأن ينتصر، وقد عرض هذه الإرادة بصور مختلفة وجميعها منتزعة من البيئة العراقية، فهو لا يكتب عن الماضي ولا يهتمّ به لأنّه متعلّق بالواقع بقوّة، وقد توزّعت رواياته بين قضية الإقطاع الديني والإقطاع الزمني،وقضية المرأة التي نادى بها، كما نادى بالحرية.

وكتابات أيوب تستهدف الفكرة السياسية والاجتماعية، وقد حصر أمانيه في مستقبل أفضل للطبقات العاملة، وللشعب العراقي قبل كل شيء، إن أهدافه سهلة وإنسانية، كأن يسجّل حقيقة، كأن يكشف لنا عن عيب أو نقص، كأن يقص في معظم الأحيان أن يؤدي هذه الأغراض الثلاثة في وقت معًا.. وقد دفعه نزوعه إلى نقد المجتمع إلى العناية بالسرد أكثر من عنايته بالحوار.

ولا يمكن أن ينفصل أبطال أيوب عن بيئاتهم التي يعيشون فيها، فالبطل عنده، هو الواقع نفسه، وهو الحياة في وطنه، تلك الحياة التي كان أبطالها جزء لا يتجزّأ منها، وهو يمثّل أبطاله في كفاحهم ضدّ حياتهم الاجتماعية الضيقة، لذا يعد هؤلاء الأبطال ممثلين للتيارات التقدمية والنزعات الإصلاحية في المجتمع العراقي وبدت شخصيات أيوب ذات سمة مسرحية في الحركة والحوار، فأغلبهم يصيحون دائما في لهجة خطابية ورنانة.. كما أن هذه الشخصيات الروائية تظهر في بعض الأحيان، وقد فقدت فرصها وارتكبت أخطاء شنيعة بالرغم من تكريسها لجهودها في سبيل تحقيق هدفها، وهذا ناتج عن تمسّك الكاتب بالواقع ورسمه قدر المستطاع..

ولم يكن ثمّة مناص من أن يصبح أيوب مالكًا لزمام السخرية اللاذعة، وأن يسود فيها، لأنّه استهجن كثيرًا التقاليد والاتجاهات التي كانت سائدة في مجتمعه، على أنه مع استهجانه للكثير من هذه التقاليد والأوضاع لم يكف عن إبداء مظاهر الإعجاب ببعضها الآخر، ومن اجتماع هذا الإعجاب والاستهجان ولدت السخرية في نفسه.. وفي هذه الروح الساخرة تكمن المأساة فسخريته نابعة من الألم الذي يعيشه الشعب العراقي مقيّدا بقيود اجتماعية وسياسية ثقيلة، أما حواره فيشف عن تمكن المؤلّف من استخدام الحوار وقدرته على إدارته رغم ما يلوح بأنه يعبّرعن أفكار محدودة، يوزّعها بالتناوب على أبطاله، لكي يصل من خلال الحوار إلى ما يريد عرضه من آراء وأفكار إصلاحية.

ويشبه أيوب محمود أحمد السيد، في أنهما لا يكتبان إلاّ ما يريانه ويلمسانه. وتعد كتابات أيوب امتدادًا لكتابات محمود السيد لأنهما سلكا طريقا واحدا في كتابة الرواية بهدف الإصلاح الإجتماعي ونقد الأوضاع السياسية في العراق، قبل اهتمامهما بما يستلزمه الفن، وهما يتشابهان في كتابتهما بما فيها من صدق وتجارب شخصية وتشعرك اللغة أو الكلمة أن مشاهداتهما قطع من نفسيهما..

ولذي النون أيوب فضل كبير على القصة العراقية، فقد ضرب للقصصيين العراقيين مثلاً رائعًا للكاتب كي يخلص لفنّه ويوقف عليه همّه، وقد استرعى أيوب منذ أن نشر

مجموعاته القصصية وروايته «الدكتور إبراهيم» في الثلاثينات، انتباه القرّاء لبساطة موضوعاته واتّجاهاته الثقافية والتعليمية، كما لفت نظر النقاد للسببين السابقين، وحمل المستشرقون إسمه ومؤلفاته إلى بلاد أوروبا وخاصة روسيا -الاتحاد السوفياتي سابقًا- فعرفت بفضله شيئا من الأدب العربي في العراق.

آثاره

1- رسائل الثقافة، قصص، مطبعة العربية، بغداد، 1937م؛ 2- الضحايا، قصص، بغداد، 1938م؛ 3- صديقي، قصص، مطبعة الأهالي، بغداد، 1938م؛ 4- وحي الفن، قصص، مطبعة الأهالي، بغداد، 1938م؛ 5- برج بابل، قصص، مطبعة الأهالي، بغداد، 1939م؛ 6- الكادحون، قصص مطبعة الربيعين، الموصل، 1939م؛ 7- الدكتور إبراهيم، رواية، مطبعة أم الربيعين، الموصل، 1939م، وطبعة شركة التجارة للطباعة، بغداد، 1960م؛ 8- العقل في محنته، قصص، مطبعة أم الربيعين، الموصل، 1940م؛ 9- حميات، قصص، مطبعة الأهالي، بغداد، 1941م؛ 10 الكارثة الشاملة، قصص، مطبعة الرشيد، بغداد، 1954م؛ 11- عظمة فارغة، قصص، مطبعة الرشيد، بغداد 1948م؛ 12- اليد والأرض والماء، رواية، مطبعة الرشيد، بغداد، 1948م، وطبعة ثانية، مطبعة شفيق، بغداد، 1970م؛ 13- قلوب ظمأى، قصص، مطبعة الرابطة، بغداد، 1950م؛ 14- صور شتّى، قصص، مطبعة الرابطة، بغداد، 1954م؛ 15- الرسائل المنسية، قصة طويلة، دار الثواء، بغداد، 1955م؛ 16- قصص من فينا، قصص، مطبعة المعارف، بغداد، 1957م؛ 17- وعلى الدنيا السلام، قصة طويلة، دار العودة، بيروت، 1972م؛ 18 ذو النون أيوب، قصة حياته بقلمه، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد 1986م.

المصادر والمراجع

● الطالب، د. عمر، الفن القصصي في الأدب العراقي الحديث، الرواية العربية في العراق، ج1، مطبعة النعمان، النجف، 1971م؛ ● القصة القصيرة الحديثة في العراق، جامعة الموصل، 1979م؛ ● الفن القصصي وحركة التحرّر العربي، آداب الرافدين، عدد 5، كلّية الآداب، جامعة الموصل، 1974م؛ ● حمودي، باسم عبد الحميد، في القصة العراقية، إتّحاد الأدباء، بغداد، 1962م؛ ● سلوم، د. داود، تطوّر الفكرة والأسلوب في الأدب العراقي في القرنين التاسع عشر والعشرين، دار المعارف، بغداد، 1960م؛ ● الأدب المعاصر في العراق، مطبعة المعارف، بغداد، 1962م؛ ● أحمد، د. عبد الإله، نشأة القصة وتطوّرها في العراق، مطبعة شفيق، بغداد، 1969م؛ ● فهرست القصة العراقية، دار الحرية، بغداد، 1973م؛ ● أمين، عبد القادر حسن، القصص في الأدب العراقي الحديث، مطبعة المعارف، بغداد، 1956م؛ ● عز الدين، يوسف، الرواية في العراق، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 1973م؛ ● الخليلي، جعفر، القصة

العراقية قديمًا وحديثًا، مطبعة الإنصاف، بيروت، 1962م؛ ● سعيد، جميل، نظرات في التيارات الأدبية الحديثة في العراق، معهد الدراسات العربية، القاهرة، 1954م؛ ● العزاوي، عباس، تاريخ الأدب العربي في العراق، دار المعارف، بغداد، 1958م؛ ● منصور، د. علي يحيى، وجه من رواد القصة العراقية «ذو النون أيوب»، الأقلام، العدد 10، السنة العاشرة، تموز، 1975م؛ ● إدريس، سهيل، القصة العراقية الحديثة، مجلّة الآداب، الأعداد، 2، 3، 4، بيروت، 1953م.

د. نجمان ياسين
الرئيس الأسبق للاتحاد العام
للأدباء والكتاب في العراق

أيوب، رشيد بن نصر الله

(1288 هـ / 1871 م - 1360 هـ / 1941 م)

رشيد بن نصر الله أيّوب، شاعر لبنانيّ لقّب بـ «الشاعر الباكي الشاكي» لكثرة ما في شعره من أنغام الأسى والشكوى الصاعدة من قلب حزين.

ولد في بسكنتا من أعمال المتن العام 1871 م/ 1288 هـ. تلقّى علومه الأولى في مدرسة الجوزة بساحة كنيسة مار ماما في بسكنتا. ثمّ دخل مدرسة الشوير العام 1887 م حيث درس اللغة الفرنسيّة. كان يحبّ الدرس والتنقيب والاطّلاع على المؤلّفات القديمة كألفية ابن مالك وديوان المتنبّي وبعض القصائد المتفرّقة المشهورة كقصيدة ابن الفارض.

ثم سافر إلى باريس العام 1889م، وأقام فيها ثلاث سنوات انتقل بعدها إلى مانشستر في إنكلترا حيث مكث نحو ثلاث سنوات ومارس التّجارة، هاجر بعدها إلى الولايات المتّحدة الأميركيّة العام 1895م وهو دون العشرين، فاستقرّ أولاً بمدينة نيو أورليانز في ولاية لويزيانا حيث اتجر فنال قسطاً من النجاح، ثمّ عاد إلى لبنان فترة أربعة أشهر ليسافر من جديد إلى الولايات المتّحدة. تزوج صوفيا الغريّب ورزق منها ولدان: إدوار وجورج.

ومن نيو أورليانز انتقل إلى مدينة بروكلين في نيويورك حيث التقى ميخائيل نعيمه للمرّة الأولى العام 1916 م. وانضمّ إلى «الرابطة القلميّة» العام 1920 م. أسهم في تحرير بعض الصحف والمجلاّت وفي مجموعة «الرابطة القلميّة».

توفّي في بروكلين حيث دفن، العام 1941 م/ 1360 هـ، وأقيمت له حفلتان تأبينيّتان: الأولى في 30 كانون الأول العام 1941 م في قاعة الكاتدرائيّة الأرثوذكسيّة في بروكلين - نيويورك، والثانية في بسكنتا في 31 أيار العام 1942 م، وتحدّث فيها عن مزايا الراحل كلّ

من ميخائيل نعيمه، وكعدي كعدي، وقبلان الرياشي، وعبدالله غانم، وصلاح لبكي، وكرم البستاني وغيرهم. كما أقيمت له حفلتان واحدة في ضهور الشوير العام 1966م، وأخرى أقيمت العام 1972م.

يمتاز شعره برنّة موسيقيّة حنون رقيقة، تصدر بنوع خاص عن ائتلاف الحروف والحركات، وتناسقها الرهيف ضمن إطار من النغمات الساحرة التي تشنّف الآذان وتبهر الأبصار بنعومتها ورشاقتها، ما يجعل نفس القارئ والمستمع تنساب في رقّة، من غير ما صخب أو ضجيج، واختيار اللفظة الموسيقيّة عنده ابتكار وإبداع. وأبلغ مثال قصيدته «هات الكمنجة هاتها» في ديوانه «هي الدنيا». ونسوق النموذج من ديوان «أغاني الدرويش» بحيث تظهر النغمة الموسيقيّة من تآلف الألفاظ المتجاورة فيقول:

فخذِ الدنيا وما فيها وهات
خيمةَ الناطور

حيثُ أدنو في ليالِيَ الطوال
من حمى الإلهام

وترى عيناي في أرضِ الخيال
روضةَ الأحلام

فاللفظة الموافقة تنطوي عنده على رنّة خارجيّة تصدرها حروف، وعلى رنّة داخلية تطويها معانيها، ممّا يدلّ على أنّ رشيد أيوب مبدع في مجال الموسيقى اللفظيّة وذوقه الفنيّ، إذ إنّه استطاع أن يولّد النغم الموسيقيّ من جرّاء تزاوج الأوزان والكلمات والعبارات بأسلوب يصعب معه فصل بعضها عن بعض، كقوله:

نحنُ في وادي الغياهبْ
قصدُنا تلك المروج

حيثما زهر الكواكب
في سَما الحبّ تموج كالبخُور

وهكذا يأتي التعبير الصوتيّ عنده ملائماً للحالة النفسيّة. وقد توافرت عنده ثلاثة شروط فانساقت نغمته الموسيقيّة في سلّم الجمال، أوّلها تزاوج الحروف اللفظيّة واقترانها بالمعاني بشكل متآلف ومتناسق، ثانيها سلاسة الألفاظ، وثالثها الإيقاع الوزنيّ.

وللقافية في شعره وقع موسيقيّ خاص، ميّزته عن بقيّة شعراء «الرابطة القلميّة» بطرافتها ونغمتها، وجعلت شعره يقرب إلى الغناء. ولعلّ قصيدته «المسافر» في ديوانه «أغاني الدرويش»، أبرز دليل على ذلك. فضلاً عن أنّه نوّع في القافية وإن لم يبدّل التفعيلة. وربما يعود ذلك إلى إجادته الضرب على عدّة آلات موسيقيّة. وهذا ما جعل شعره كما تقول جريدة «المكشوف» في العدد 344، الصادر العام 1942 م: «يحفل بالناي والعود والقيثارة والألحان والأغاني، فلا قافية مريضة أو عليلة في شعره وخاصّة في ديوانيه الأخيرين».

فإذا بدأ بقافية قويّة ممتدّة، فالقصيدة كلّها تنتهي بقوافٍ متشابهة الحدّة والقوّة، وإذا بدأ بأخرى حنون، فالقوافي تتوالى رقيقة رشيقة، متجانسة في حروفها من دون اضطراب أو صراع أو غضب، واختياره ألفاظ القوافي يراعي مقتضى أحواله النفسيّة مما يجعل حدّة الموسيقى في القصيدة تخفّ أو تقوى حسب انسجام الحروف الصوتيّة المنتقاة.

وكان أيوب يؤثر الألفاظ السهلة ذات الرنين الشجيّ المؤثّر، وتبدو النغمة موحّدة،

والقطعة متناسقة اللحن، ومتكافئة العذوبة والرقّة، وكأنّه يدوزن الأحاسيس الإنسانيّة. والواقع أنّ الرنّة الغنائيّة في شعر رشيد أيّوب طغت على أسلوبه بشكل واضح.

وعمد أيّوب إلى اتّباع الحواريّة ولعبة الإستفهام كأسلوب من أساليب التعبير الفنّيّ عنده، فشكّلت الحواريّة مرتكزاً فنّيّاً، إنْ على الصعيد القصصيّ وإنْ على الصعيد الشعريّ، وهي شكل من أشكال التعبير عند الشاعر، ومجال رحب للإفصاح الحرّ، كقوله في قصيدة «لماذا» في ديوانه «الأيّوبيّات»، إذ قال:

قــالــوا لــمــاذا تــشــتــكــي
فــأجــبــتــهــم مــن قــول هــاتِ

وفي قصيدة «مرور الزمن» في ديوان «أغاني الدرويش» قال:

لـمـاذا الـضـجـيـجُ ومـاذا الـخـبـرُ؟
فـقـالـوا: قـريـبـاً يـمـرُّ الأمـيـرُ

أمّا لعبة الاستفهام أو الاستفهاميّة فقد استعملها رشيد أيّوب لإكساب تعابيره نوعاً من الإيحاء الجماليّ، فيقول في «الأيّوبيّات»:

يـقـولـونَ: فـي الـمـرِّيـخِ قـومٌ كـشـكـلِـنـا
أنـاسٌ لـهـمْ عـقـلٌ يـنـاجـي كـعـقـلِـنـا
فـهـل أصـلُـهُـم نـوعُ الـتـرابِ كـأصـلِـنـا
وهـل يـجـهـلـونَ الـكـائـنـاتِ كـجـهـلِـنـا
وهل يعرفونَ الحقَّ أم هو ضائعٌ؟

ويُعَدُّ الاستفهام في الشعر من اللُّعَب البنويّة التي يرتكز عليها الشاعر إذ يُكسب بواسطتها قصيدته شيئاً من الحيويّة والجذّيّة والاستغراب.

يلجأ الشاعر رشيد أيّوب إلى أسلوب المناجاة عند مخاطبته إنساناً أو جماداً أو شيئاً معنويّاً، فينفرد الشاعر مع ذاته في رحلة التأمّل والتفكير ليتوجّه في الخفاء إلى عوالمه الخاصّة، فيناجي الخيال والوهم تنفيساً عن كرب وترويحاً عن نفس يائسة. فمناجاة أيّوب لملهمته أكسبت قصائده نوعاً من التبدُّل والتطوُّر، فعوضاً من أن تنحصر دواوينه ببثّ لواعجه القلبيّة ووصف مغامراته والبوح بآرائه الاجتماعيّة أو التغنّي بأمجاد الذات والماضي، نراه يتحوَّل إلى مخاطبة غير الواقع في محاولة منه لربط العالم التحتيّ بالعالم الفوقيّ.

فإذا ما ناجى أيّوب الأشياء المادّيّة الملموسة كالبحر والثلج والربيع والطبيعة فقد ناجاها مدفوعاً برغبة أو حاجة إلى الجلوس أمامها والاستمتاع بمخاطبتها، إلاّ أن مخاطبته للأمور المجرَّدة تُعَدُّ من أجملها كمناجاته لآلهة الشعر، فينبعث في قلبه الرجاء.

طغى على آثار رشيد أيّوب الأدبيّة ألم نفسيّ وجدانيّ معنويّ، قوامه الأسى والشكوى والتبرّم بالدنيا والزمان، والحيرة والصراع النفسيّ، وارتباكه في محاولة سبر أغواره المجهولة أمام مدنيّة العصر وحضارته وبين الماضي والحاضر، وإحساسه بألم إنسانيّ مرير وحادّ عند مرأى النفس البشريّة تتلوّى وتتألّم من العذاب تحت ضغط اجتماعيّ ودنيويّ واستبداد وظلم معنويّ، وعذاب الحبّ، إذ يقول في أغاني الدرويش: «أنا في سبيل الحبّ أهوى العين في عبراتها»

امتاز شعر رشيد أيّوب بالشوق والحنين إلى وطنه وأهله في لبنان وإلى عالم الطبيعة وعالم الروح، وإلى الموت والعالم المثاليّ. ورجحت كفّة التجديد على كفّة التقليد الذي لم ينجُ منه، فاقترب من أبواب الشعر الحديث المتحرِّر من القيود والمنقاد لأهواء النفس

وانفعالاتها وتطلّعاتها. فكان نظمه سَلِساً يجري فيه مجرى المياه المترقرقة، ينوّع في القوافي والرويّ والأوزان، هادفاً إلى تخطّي الأساليب القديمة وبعث الحركة والنشاط في أوصال القصيدة.

امتلك أيّوب مقدرة إبداعيّة على نظم القصّة الشعريّة مركّزاً على النواحي الاجتماعيّة والنفسيّة في سرد الأحداث، وفي الحوار والكشف عن شخصيات أبطاله ونظراتهم البعيدة من دون تطويل في أبيات قصائده القصصيّة، ولا استطراد في سرد الحدث أو الإطالة في الوصف، بل تركيز على الحادث والأهداف المخفيّة والواضحة بإشارات ولمحات تنطوي على الكثير من المعاني والرؤى.

هذا إلى جانب كون قصصه قد تنوّعت من حيث موضوعاتها، فكانت اجتماعيّة وعاطفيّة ورمزيّة. تُعَدُّ من أجملها كمناجاته لآلهة الشعر، فينبعث في قلبه الرجاء.

امتاز رشيد أيّوب بالصدق الفنيّ وأمانته مع إحساسه وتجربته، فلم يعرف الغلوّ والتطرّف بل الإحساس النابع من القلب بلا تصنّع أو مداهنة. فشعره مرهف صادق، وتعابيره واضحة تنمّ عن معاناته الوجدانيّة، وقصيدته «هكذا يغنّي زماني» في ديوانه «أغاني الدرويش» خير دليل على ذلك. فهو صادق غاية الصدق، الغنيّ وعمق تجربته. كما جاء في قصيدة «الأعمى» في ديوانه «هي الدنيا».

وانماز بالخيال الشعريّ ضمن إطاريه الحسّيّ والمعنويّ على قوّة خلق وإبداع صور تعبيريّة موحية، فتشهد للشاعر بأصالته وعبقريّته وابتكاراته، كما جاء في قصيدة «الورقة المرتعشة» في ديوانه «هي الدنيا».

وتبقى الميزة الأكثر طغياناً على شعر رشيد أيّوب الميزة العاطفيّة حتّى يمكن القول إنّ شعره هو شعر عاطفيّ قوامه روح ووجدان على حدّ قوله:

والزهرُ فاحَ شذاها في الفضاء كما
قد فاح شعري من روحي ووجداني

فالعاطفة الشعريّة تهب الأسلوب شعوراً راقياً يثير لذّة الحواس. فقصيدة «يا ثلج قد هيّجت أشجاني» في ديوانه «أغاني الدرويش» تمور بالحنين والعاطفة الجيّاشة. فأيّوب يغوص في خلايا الأحاسيس الصادقة المؤثّرة، فقوة العاطفة تستمدّ زخمها عنده من صدق التعبير وعمق الإحساس.

■ آثاره

لرشيد أيوب عدّة دواوين، الأوّل بعنوان «الأيوبيّات»، صدر في نيويورك العام 1916م، في 76 صفحة، ثمّ طبع ثانية في دار صادر ـ دار بيروت العام 1959م، وقدّم له ميخائيل نعيمه.

ظهرت له «خطرات» في مجلّة السائح العدد الممتاز العام 1923 م، ثمّ نشر ديوانه الثاني «أغاني الدرويش» في نيويورك، المطبعة السوريّة الأميركيّة، العام 1928م، في 112 صفحة، أعدّ رسومه جبران خليل جبران، وقدّم له أيضاً ميخائيل نعيمه، ثمّ طبع في دار صادر ـ دار بيروت، بيروت العام 1959م في 181 صفحة. فديوانه الثالث «هي الدنيا» صدر في نيويورك أيضاً العام 1940 م، وقدّم له شكرالله الجرّ، ثمّ في دار صادر ـ دار بيروت، بيروت، العام 1959 م في 171 صفحة.

المصادر والمراجع

1 ـ الكتب:

● أنيس، داود، التجديد في شعر المهجر، دار الكاتب العربي، القاهرة، 1967م؛ ● جرجس، جرجس ميشال، رشيد أيّوب في آثاره الأدبيّة 1871-1941م، أطروحة دكتوراه اختصاص في اللغة العربيّة وآدابها، جامعة القدّيس يوسف، كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، فرع الآداب العربيّة، بيروت، 1985م؛ ● حسن، محمّد عبد الغني، الشعر العربيّ في المهجر، ط 3، مؤسّسة الخانجي بالقاهرة، 1962م؛ ● داغر، يوسف أسعد، مصادر الدراسة الأدبية الفكر العربيّ الحديث في سير أعلامه، الجزء الثاني، الراحلون (1800-1955م)، منشورات الجامعة اللبنانيّة قسم الدراسات الأدبيّة 7، بيروت، 1983م، ص 155-156؛ ● الرابطة القلميّة، مجموعة الرابطة القلميّة لسنة 1921، دار صادر ـ دار بيروت، 1964م؛ ● السرّاج، نادرة جميل، شعراء الرابطة القلميّة، دار المعارف بمصر، القاهرة، 1964م؛ ● صيدح، جورج، أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأميركيّة، دار العلم للملايين، بيروت، 1957م؛ ● نبهان، أنطوان، رشيد أيّوب شاعر الحسرات، رسالة أعدّت لنيل شهادة الكفاءة في الأدب العربيّ، كلّيّة التربية، الجامعة اللبنانيّة، بيروت، 1968م.

2 ـ المقالات:

● البستاني، فؤاد افرام، «رشيد أيّوب»، دائرة المعارف، المجلد السابع، 1967م؛ ● اليازجي، اسكندر، «الفيلسوف الدرويش»، مجلّة السائح، نيويورك، عدد ممتاز رقم 993، السنة الحادية عشرة، (1927م).

3 ـ الجرائد والمجلاّت:

● مجلة الأندلس الجديد، (تشرين الثاني - كانون الأول 1934م)، ص 16؛ ● السمير، 4، جزء 4/1؛ ● المقتطف، مجلّد 91، الجزء الرابع، (1937م)؛ ● المكشوف، عدد 341، 6 حزيران، 1942م، عدد 344، 8 حزيران 1942م.

أ. د. يوسف لبكي
الجامعة اللبنانية ـ بيروت ـ لبنان

أيوب، كامل

(... هـ/ ... م ـ 1353هـ/1934م)

شاعر مصري ولد في إحدى قرى محافظة الغربية سنة 1934م، وبعد أن تلقى تعليمه في كتاب القرية ثم المدرسة الإلزامية فالابتدائية أتم تعليمه الثانوي في الغربية.

وانتقل إلى الجامعة في القاهرة نحو عام 1952م، وهنا بدأ يتواصل مع حلقات النشاط الفكري التي كانت تزخر به القاهرة في تلك الفترة بعد نجاح حركة الضباط الأحرار وتغير ملامح الحياة السياسية والتي عبر عنها في عنوان ديوانه الوحيد الذي نشرته الدار القومية للتوزيع والنشر 1965م وهو «طوفان والمدينة السمراء» وربما كان يشير إلى معارك القاهرة التي خاضتها داخليًا وخارجيًا، داخليًا من أجل التطوير والتغيير وخارجيًا مع القوى الدولية المضادة لحركة التحرر. على غلاف الديوان يقول إنه بدأ ينشر إنتاجه منذ عام 1952م، ولكننا في داخل الديوان نجده يسجل بعض القصائد نجدها مؤرخة بـ1951م وهما القصيدتان الأوليان، ثم ثلاث قصائد مؤرخة بـ1952م ثم ثلاث قصائد في 1953م، و1954م، وبعد ذلك نجد قصائد كثيرة في الديوان غير مؤرخة حتى نصل إلى قصيد «المسيح على الطريق» ويؤرخ بأنه كتب ليلة رأس السنة الميلادية لعام 1964م ثم ظهر الديوان مجتمعًا في سنة 1965م.

هذا ولا نعرف عن حياته الاجتماعية شيئًا بعد بحث مضن في المصادر والمراجع التي أرخت لأدباء القرن العشرين عربيًا ومصريًا بما في ذلك معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين، وإن كنا في داخل ديوانه المنشور نعثر على قصيدة مهداة إلى ابنته «مها» في بداية عامها الثاني بعنوان «أغنية الطفل» [ص 140 من الديوان المنشور «الطوفان، والمدينة السمراء»] فنعرف منه أنه تزوج وأنجب بنتًا سماها «مها».

ومن الغريب أننا لا نكاد نظفر بدراسة عن شعره غير تلك الدراسة التي كتبها مصطفى عبد اللطيف السحرتي ضمن كتابه «دراسات نقدية» ونشرتها الهيئة المصرية العامة للكتاب في سلسلة المكتبة العربية سنة 1973م ودارت حول ديوانه الوحيد يبرز فيها المؤلف مراحل تطوره الفني من خلال استقراء لقصائد الديوان ويوضح في الدراسة أن الشاعر مر بمرحلتين؛ الأولى التزم فيها الشكل التقليدي، والمرحلة الثانية هي التي انتقل فيها إلى الشكل الجديد ويبدو فيها تفاعله مع الواقع الجديد لحركة الشعر المعاصر.

وتكاد تتفق آراء السحرتي في دراسته مع ما قاله الشاعر نفسه في تقديمه الديوان حيث قدمه بدراسة سريعة عن حركة التطور في الشعر العربي المعاصر، وواضح أنه كان يعبر في تلك المقدمة عن حالته الخاصة من خلال حديثه العام عن حركة الشعر بصفة عامة.

المصادر والمراجع

● ديوانه «الطوفان والمدينة السمراء» طبعة الدار القومية 1965م؛ ● السحرتي، مصطفى عبد اللطيف، دراسة نقدية، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب 1973م.

د. محمد علي محمد سلامة
جامعة حلوان ـ مصر

فهرس المحتويات